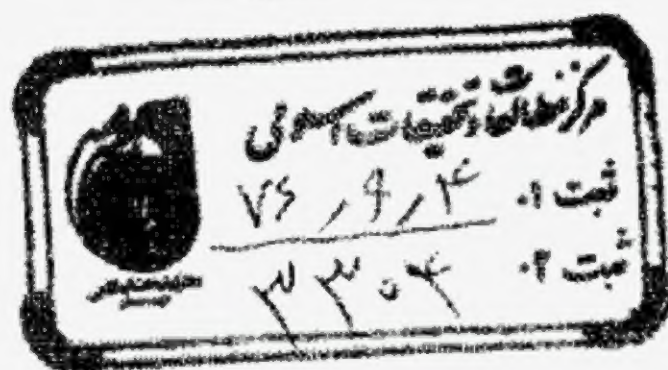




مجلة



١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

العدد الرابع والعشرون

هيئة التحرير

رئيس التحرير

الدكتور عادل جاسم البياتي - استاذ مساعد

عضواً

الدكتور صلاح حسين العبيدي - معاون العميد

عضواً

الدكتورة فوزية العطية - استاذة مساعدة

عضواً

الدكتور خالد ماهر - رئيس قسم اللغات الاوربية

عضواً

الدكتور زكي عبدالحسين الصراف - استاذ مساعد

عضواً

الدكتور كيكافوس نوري ففطان - مدرس



المهيب أحمد حسن البكر رئيس الجمهورية العراقية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



الاستاذ صدام حسين نائب رئيس مجلس قيادة الثورة



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في اعقاب عام منصرم ،

ومطلع عام جديد . .

يصدر هذا العدد الجديد ، الرابع والعشرون ، من مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد مع بداية عام جديد تدخله امتنا العربية ، هو عام ١٩٧٩ حيث تتجدد النظرة الى كل شيء في حياة العرب بفعل مظهرين برزا في شكل حاد وفرضا نفسيهما على الاحداث : الاول ، يتمثل في الصيغة المثلى التي توصل اليها القطران الشقيقان : العراق وسوريا ، بين العشرين والسادس والعشرين من تشرين الاول عام ١٩٧٨ ببغداد في ميثاق عمل قومي مشترك ، استجابة للمسؤولية القومية التاريخية وشعورا منهما بضرورة توفير المستلزمات الكفاحية الفعالة لمواجهة هذه الاخطار التي تهدد مصير الامة العربية وكرامتها وسيادتها ومستقبلها . والثاني ، ما أحدثه حزب البعث العربي الاشتراكي من تحرك واسع بين جماهير الامة العربية وقممها السياسية المتمثلة في الرجال المسكين بقيادة نظمها من ملوك ورؤساء في الثاني من تشرين الثاني عام ١٩٧٨ فكان ما ذكره السيد رئيس الجمهورية المهيب احمد حسن البكر في خطابه التاريخي عند افتتاح المؤتمر قد وضع الأشياء في نصابها ، عندما دعا المؤتمرين الى صيغة اتفاق تحقق الحد الأدنى من التحصن على الأقل ، ضد الاخطار المحيطة بالامة ، بعد أن اخذت القضية المركزية - فلسطين - تغادر حدود الاحتلال والاستيطان العدواني الى التعريض بكيان الامة وتاريخها وكرامتها ازاء العدو الصهيوني ، نتيجة المواقف الخيانية التي بدأت تطفو فوق وجه الاحداث على الساحة العربية الملتهبة ، دون أدنى سبب لمثل هذه الهزائم والتنازلات المخزية .

والحقيقة ، ان هذين الانجازين : الميثاق ، واجتماع القمة ، يشيران بوضوح الى طبيعة الدور الفعال الذي يقدمه حزب البعث العربي الاشتراكي لامة العربية ، وهما يتصلان ببعضهما في اكثر من سبب ، لأنهما كانا حصيلة واقع مؤلم ، هو واقع التجزئة من جهة ، وظهور معالم الخيانة الصريحة من جهة ثانية .

وقد رافقت احداث تلك الايام ، اسهامات واسعة في الشعر والخطابة والمقالة . فمن جيد ما قبل في هذه المناسبة : « ان التاريخ لا يمحو ذاكرته ، مهما اختلف مؤرخو الاحداث والوقائع والأشخاص ، والحقيقة الأنصع التي لما تزل ميثاقا دائم الاشراف ، تتجلى في كون العرب امة واحدة لها حضورها المادي والبشري والحضاري ، وتأثيرها البين على تطور البشرية منذ عهود طويلة ... » .

وبذلك تكون العاصمة العربية بغداد قد شهدت انجازات كبرى في اعقاب
العام المنصرم الذي كان مليئا باحداث الخيانة والدعوات الاستسلامية ، مما
جعل الامة في موضع لا تحسد عليه ، الامر الذي دفع حزب البعث العربي
الاشتراكي نحو تحركه الكبير ، فجعل من اعقاب ذلك العام انتعاشا في الامل
وزخما جديدا في روح النضال ، مما اعاد للنفوس الثقة في استقبال هذا العام
الجديد .

واما على صعيد العلم والثقافة والتربية ، فان واجبا ضخما القته
الاحداث على عاتق رجال التعليم في مختلف الاصعدة التربوية ، ليواكبوا النهضة
الجمهورية المتوثبة ، والتطلع الثوري نحو توحيد القطرين الشقيقين ، لكي
تحقق لنفسها ما اكده السيد نائب امين السر الاستاذ صدام حسين من انه
ميثاق عمل لوحدة وجدت لتبقى لا لتزول . ومثل هذا العزم لا يتم الا بوعي
الجماهير العربية وقادتها ، وهمة رجال التربية والتعليم بما يقدون به اجيالهم
من كتاباتهم وبحوثهم العلمية .

والله الموفق

هيئة التحرير

مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی

أفلاطون الاديب الناقد

د . جميل سعيد
كلية الآداب - جامعة بغداد

وُلد أفلاطون عام ٤٢٧ ق.م^(١) ، بعد نحو ثلاث سنوات من انفجار الحرب البيلوبونيسية^(٢) Peloponnesianwar ، تلك الحرب التي نشبت بين أثينا واسبارطة ، ثم شملت بلاد اليونان ، وامتدت الى المستعمرات اليونانية في آسيا الصغرى ، وفي إيطاليا وفي صقلية ، ثم ازداد امتدادها حتى تدخل فيها الفرس في آسيا ، وقد دامت ربع قرن متصل من الزمن .
واسهم فيها أفلاطون ، شأن غيره من اليونان ، فأخذت منه صباه وصدر شبابه .

واسرة أفلاطون كانت اسرة ممتازة ، في نسبها وفي مكائنها الاجتماعية والسياسية^(٣) . فأبوه اريستون Ariston من الطبقة العليا في قومه ، حتى لقد ذهبوا الى ان نسبه يتصل بكودروس Codrus آخر ملوك أثينا ، بل ذهبوا الى ان نسبه يتصل بالاله بوزايدون Poseidon أما أمه بيركتيون Perictione ، فقالوا ان نسبها يتصل بصولون وحسبك بهذا شهرة ونسباً .

by : H.D.P. Lee; P : 9

١ - انظر مقدمة الجمهورية :

٢ - انظر الحديث عن Thucydides وعن كتابه : (حرب البيلوبونيسيا)
في كتاب : « قصة الادب في العالم » ، للاستاذين : أحمد أمين وزكي محمود ، ٢٢٧/١

Encyclop Edia Britannica, Vol : 18/20

— ٣ —

وتوفي أبوه ، وهو صغير اخوة ثلاثة ، فتزوجت امه زوجها الثاني

بيريلامبس Pyrilampes ، وكان هذا نصيرا لبريكليس Pericles ذلك العظيم الذي اسبغ اسمه على عهد اثينا الذهبي ، فسُمي عصر بريكليس . وعنه اخذت الآراء الديمقراطية الكثير من ملامحها وصفاتها ، كما عرفها افلاطون فيما بعد . كان زوج امه هذا صديقا حميما له ، وكان بيريلامبس نفسه ذا شأن كبير في الحياة الاثينية العامة .

هكذا ولد افلاطون ، ونشأ في عائلة اثينية ممتازة ، نسا ومكانة اجتماعية وسياسية . وعاش اولى ايام حياته ، وايام شبابه في مدينة وفي مملكة تملأ الحرب اجواءها . هذه الحرب التي ابتدأت قبيل ولادته ، واستمرت حتى أخذت منه صدر شبابه ، وكان لها ابلغ الاثر في نفسه وفي آرائه . جاءت واثينا ديمقراطية في نظام الحكم ، وعصفت بها الى نظام ارستقراطي . وظلّت بها تقلّبها في الانظمة وفي الحياة حتى انتهت بسقوطها ، ونزولها عن كل ما كان لها من سلطان في البر والبحر . ثم افادت اثينا من حلمها الطويل المرعب ، فعادت الى نفسها والى نظامها الديمقراطي القديم .

وفي هذه الحرب كانت الخصومات السياسية والعسكرية محطمة ومميتة . فلم يكن يزاح نظام بنظام إلا بثورة عارمة قامعة ، ينتصر فيها الحزب او النظام فيمعن في رجال الحزب السابق او النظام السابق له ، اذلالا وسجنا وتقتيلا ، ثم تعود الكرة للمغلوب فيكيل لخصومه بكيلهم ويزيد . . . وتعود الكرة ثانية لمن بقى من هؤلاء فيشفون انفسهم من خصومهم ، يذيقونهم ألوانا من الاذلال والتعذيب والتقتيل .

وشهد افلاطون هذا كله ، واخذ منه صباه وريعان شبابه . ولم يشهد عن كذب شأن غيره من غمار الناس ، ولكنه كان يعيش في اتونه وفي حساته . شهدده وهو في الصفوة من رجاله ، وقد واثته الظروف ليكون من رجال السيطرة والسلطان^(٤) فيه ، ولكنه نفسه — على ما يقول — غرت واعرضت عنه . وظلّ يتذكر احداثه هذه حتى شاخ ومات .

٤ — المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

كان بحكم نشأته الارستقراطية ميالا للنظام الارستقراطي ، حتى اذا رأى ما يتركب من مظالم وفظائع عافته نفسه ونزعت الى النظام الديمقراطي . ورأى الحكام الديمقراطيين ، وقد آلت السلطة اليهم ، وهم من اسر وضيعة ، في نسبها وفي مهنتها ، كان بعضهم دباغا ، وبعضهم بائع مصاييح^(٥) ، وآلت السلطة اليهم فصاروا - على ما يقول افلاطون - يسيرون بسياستهم على ما تحبّه العامة ، ويحبه الرعاع ، على ما تقتضيه مصلحة الناس والوطن ، وتتطلبه ظروف الاصلاح . كانوا ديمقراطيين في ظاهرهم ، ولكنهم في حقيقتهم وفي حكمهم امبرياليون مستبدون ، يحكمون بقسوة وصرامة ، ورائدهم كما عبّر عنه افلاطون فيما بعد - : « من الطبيعي ومن الحق للقوي ان يستغلّ الضعيف » .

وفي غمرة هذه الظروف المائجة المضطربة ، وقد تعبث اثينا من المتطرفين وحكهم ، قدّر لفئة ديمقراطية معتدلة ان تكون في القمة من السلطان ، وان تدعو افلاطون ليشركها في الحكم . وانضمّ اليها . ولكنه ما لبث ان عزف عنها أيضا ، بعد ان اقتربت ما رآه اثنا كبيرا ، لم ينس حياته كلها ، ذلك انها أعدمّت سقراط^(٦) .

كان افلاطون صغيرا يوم عرف سقراط . وهو يمثلّه في محاوراته ، بأنه كان على صلة وثيقة بعائلته ، من هذا صلته بأديمانتس Adeimantus وجلوكون Glaucon وهما اخوا افلاطون ، وهما يكبراه في السن ، وقد ادار حوارهما وذكرهما كثيرا في الجمهورية^(٧) .

وسقراط هذا فريد في الفكر الاوربي ، على انه لم يكتب شيئا ابدا ، ولكن بطريق اصدقائه وتلاميذه ، ومنهم افلاطون ، عرّف جانب هام من افكاره . وافلاطون يصوره في محاوراته قيسح المنظر ، ولكنّه جذاب

by : H.D.P. Lee; p. 9

٥ - مقدمة الجمهورية :

٦ - المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

Encyclop ædia Britannica; 18/21

٧ -

الحديث ساحره • يبدو حديثه اوّل الامر تافها بسيطا ، حتى اذا أخذ بزمام محدّثه جرّه الى اغوار بعيدة محيّرة • وهو في كثير من الاحيان يسزج حديثه بسخرية لاذعة ، يريك فيها ان محدّثه يطفو على السطح في حوارهِ ، وان سقراط يجرّه الى الاعماق جرا • وطابعه العام في حديثه هو الجدّ •

نقول : عرف افلاطون سقراط • وكان سقراط — حيا وميتا — اكبر المؤثرين فيه • وقد تركت حادثة اعدامه في نفس افلاطون أبعاد الاثر • كتب افلاطون ، وهو شيخ ، عن تجاربه وهو شابّ في الثالثة والعشرين ، او في الثامنة والعشرين ، في الرسالة السابعة ، ويبيّن ان الحياة السياسية اعطته الفرصة لان يكون من رجالها في قمة السلطان ، ولكن اعدام سقراط هو الذي جعل نفسه تعزف عنها ، وتأخذ طريقا آخر غير طريقها ، قال : « لقد اعطيت السلطة العليا لثلاثين شخصا ، وكان بعضهم من اصدقائي او من أقاربي ، وكان ان دعوني في الحال لاشتراك معهم ، وكان شعوري في هذا ما تتوقعه عادة في شاب من الشباب ، لقد ظننت انهم سيصلحون المجتمع ، ويحكمون بالعدل • ولذا كنت انظر الى ما يقومون به بسرور بالغ حتى لقد بدا لي عهدهم ، في اوّله ، وكأنه العصر الذهبي • وارادوا — في جملة ما ارادوه — تجريم صديقي القديم سقراط ، ذلك الذي لا اتردد ان اقول عنه : انه اعدل وأصلح رجل يعيش في ذلك الحين • ارادوا ان يعيشوه مع آخرين ليقنادوا مواطنا آخر ، يجيئون به عنوةً ليعدم • ورفض سقراط هذا ، وفضل ان يغامر بكل شيء على ان يجعل من نفسه شريكا لهم في ما يقترفونه من شرور » ويقول : « وحين رأيت هذا ، ورأيت ما يباثله من امور تقترف ، عافتهم نفسي ، وانسحبت من آثام ذلك العهد وشروره » ويقول : « وسقط الثلاثون ، وابدل الدستور ، ... وشعرت ثانية برغبتني في الحياة السياسيّة ، وان كانت رغبة ليست شديدة كالاولى ... وكان الديمقراطيون بوجه عام ، معتدلين في تصرفاتهم • ولكن ، ولسوء الطالع ، استندى بعض هؤلاء الذين هم في السلطة ، صديقي سقراط ، استدعوه ليحاكموه بتهمة

غريبة مريعة ، انتها آخر ما يتصور ان يلصق من تهم — انتها تهمة المروق •
وقد حاكموه بها ، واعدموه (٨) ...

وبعد ، فقد افضنا بعض الافاضة في حياة افلاطون السياسية ، وبصلته
بسقراط ، وما كنا لنفيض في هذا لولا ما رأيناه من اثر لها في آرائه في النقد
والادب ، مما سنبينه فيما بعد •

وافلاطون لم يحظ بشهرته الكبيرة هذه لمكاته الفلسفية ، ولكنه
حظى بهذه الشهرة لموهبته الادبية (٩) ، حتى لقد سمّوه بالشاعر ، سمّاه
بهذا شيلي Shelley ، وسمّاه بها الكتاب المسرحيون • وقد يكون
من غير السهل ان يحاط بآرائه في الادب ، وفي الشعر ، ويقال بأياها كان
يدين ، ذلك لانه نثر آراءه بأسلوب الحوار المسرحي • والكاتب المسرحي
يورد الآراء مناسبة لشخصيات الحوار التي يتدعها ، وقد تكون هذه الآراء
على غير ما يعتقد او يدين به • ومن المعلوم أن أسلوب الحوار ، هو
الاسلوب الذي تعرض به الآراء تستدعي المناقشة ، ويكون بها مجال الاخذ
والرد ، وان هذا الاسلوب كان متبعا من عهد افلاطون نفسه ، او من قبل
هذا •

ويحتل افلاطون مكانا فريدا في تأريخ الحوار الفلسفي • حتى يمكننا
اعتباره ، من بعض النواحي ، نظير « اسخيلوس » الذي عمل كثيرا في
سبيل المسرحية • ولم يستطع أحد من اتباع افلاطون ، او مقلديه من
اليونان ، او الانكليز او الفرنسيين أو غيرهم ان يدانيه في بيانه ، وفي
اسلوبه ، وفي تأثيره • وان ائمة شخصية ممن سبقه او جاء بعده لتتضاءل
وتضعف بل تذوب حين تقاس اليه (١٠) •

٨ — انظر القسم الاول من الكتاب الاول من الجمهورية ،
LEE; P : 87—93

LEE; P : 12

٩ — انظر :

١٠ — انظر الصفحة نفسها ، والكتب نفسه •

ومحاوراته الفلسفية من الانتقاد والجمال^(١١) والفنّ بدرجة يصعب علينا معها ان نصدّق ان ليس هناك وراءها تقليد كبير من جنسها قد سبقها .

ومع ان القارىء له ان يقول : ان كلّ رأي عرضه افلاطون في حوارهِ ، انّما هو يمثّل وجهة نظر كان يرى من الواجب عرضها ، وقد تكون موافقة او مخالفة لما يراه او يعتقده . وعلينا بعد هذا ان نتذكّر ان افلاطون لم يعرض حتى في حوارهِ ، لم يعرض لمناقشة الشعر في موضوع خاص به في ذاته . ومع هذا فلا بدّ لقارىء افلاطون في حوارهِ هذا ان يطلع بفكرة عنه ، يراه اميل اليها من غيرها .

وافلاطون فنّان قديرٌ وهو لا يحاول ان يعلن عن فنّه ، او يتظاهر به ، بل لحتّى كأنه يعاني معاناة في سبيل اخفائه . وان الالفاظ لتتدفّق وتسيل من قلمه تدفق الالفاظ من لسان متحدّث متدفّق قدير . وهو بمحاوراته يورد بمهارة وبلباقة مكان الحوار وزمانه ، يعلن ، في بعض الاحيان عن هذا بلسان احد الحاضرين ، ويأخذ هذا في وصف تفاصيل المنظر ، وما يتعلّق به .

واشخاص حوارهِ اشخاص حقيقيّون . وقد لا يكونون احياءً حين يورد افلاطون حوارهِ على ألسنتهم ، فنحن مثلاً اكثر معرفةً بأخوي افلاطون: أدمانتس Adimantus وجلوكون Glaucon منّا بأفلاطون نفسه . وسيمپاس وسيميس Simmias and Cebes اللذان كانا مع سقراط حين موته ، كأنّهما من معارفنا واصحابنا . وقد وجد افلاطون اغنى مواد حوارهِ في حياة الفلاسفة الذين سبقوه ، امثال : بروتاجوراس Protagoras وجوجياس Gorgias وبارميندس Parmenides وغيرهم ... وهو ينفخ فيهم الحياة ، في حوارهِ ، فنراهم ماثلين امامنا .

أما حديثه عن سقراط واعطاؤه الصورة الحيّة له ، فذلك ما جعل الكثير من قرّائه يذهبون الى ان الحوار ، حوار سقراط نفسه ، وليس حوار أفلاطون مدارا على لسان سقراط . وذهابهم الى هذا سببه حوار افلاطون ، أكثر من أي سبب آخر ، وليس هناك من المصادر ما يشير على وجه التحقيق ولو الى عبارة واحدة ، دارت على لسان سقراط نفسه ، مما نسب اليه افلاطون في حوارهِ (١٢) .

وحواره لم يسلك فيه اسلوب القصص التاريخي ، بل أخذ فيه بالاسلوب المسرحي ، يديره على لسان أشخاص ، كانوا احياء ، على الصورة التي يرى افلاطون أنهم كانوا عليها ، وسقراط واحد من هؤلاء .

واننا ليصعب علينا ان نصدّق أنّ انسانا يروي حوارا بمئات من الصفحات ، يأخذ فيها بتفاصيل عقلية دقيقة ، ثم يكون هذا الحوار حقيقة لا تخيلا ولا ادعاء . على ان افلاطون من الفن والبيان بحيث جعل الناس جيلا بعد جيل يقرأون محاوراته لمتعتها الادبية اكثر مما يقرأونها لاهميتها الفلسفية . وكفى به هذا ادبا خالدا ، لم يستطع ان تنال منه ، وان تتعابعت وتقادمت عليه ، العصور .

كتبه واراؤه

لقد كان اعدام سقراط هو النهاية لمغامرات افلاطون في السياسة . ولقد اشتد سخط افلاطون على اثينا ، وعلى النظام الديمقراطي ، فهجّرها الى ميغارا Megara وهي غير بعيدة عن اثينا ، ثم تركها وسافر يسبح في آسيا الصغرى ، وفي مصر ، وفي برقة وبعد حين من عودته من هذه السباحة أسس اكاديميته المعروفة ، سنة ٣٨٧ ق.م ، وهي اقدم اكاديمية

عرفت في التأريخ • وظلّ يدرّس فيها نحواً من أربعين سنة ، حتى توفي سنة ٣٤٧ ق م (١٣) •

وفي هذه الحقبة الطويلة كتب نحواً من ثلاثين كتاباً ، ثر فيها آراءه
ثرا ، وفيها ما يبدو مناقضا بعضه لبعضه • وكان مما حير المشتغلين
بدراسه ، ان هذه الكتب لم يعرف تأريخ كتابتها ، ليهتدي الدارسون به
ويعرفوا ايها كتب قبل صاحبه ، وأي هذه الآراء كان لافلاطون أولا ،
ثم عدل عنه ، او غيرّه بعد ان مرّ عليه الزمن • ظلّ يكتب خمسين سنة
تقريبا ، وليس غريبا ان تتطوّر آراؤه وتتغيّر في كلّ هذا الامد الواسع
من الزمن ، وما لقيه ويلقاه فيه من تجارب ومحن • لقد جهد الباحثون جهدهم
في ترتيب هذه الكتب ترتيبا تأريخيا ، وسلكوا سبلا لذلك ، حاول بعضهم
ان يرتبها ترتيبا منطقيا • وحاول بعضهم ان يعتمد الى ما فيها من أحداث
تأريخية ، او أعلام ، وحاول بعضهم ان يعتمد الى اللغة نفسها ، وعندهم ان
لغة الكاتب تتطوّر كما تتطوّر آراؤه • ومع كل هذا فقد بقي الشك يحوم
حول ما وصلوا اليه من ترتيب لها ••• وطبيعيّ ألاّ يتفق الباحثون كلّ
الاتفاق فيما يسند اليه من آراء ، ما داموا لم يتفقوا كلّ الاتفاق على ترتيب
هذه الكتب ترتيبا زمنيا •

وحياة افلاطون الاولى ، وثقافته فيها ، ليست معروفة لنا • على انهم
يذهبون الى انه اتجه في صباه الى الادب ، قرأه شأن غيره من أطفال اليونان
في تربيتهم الاولى • ويقولون انه قرض الشعر ، وكتب المسرحيات ، ولكنه
ما لبث ان هجر هذا الى الفلسفة ، وبعضهم يعزّو هذا الى صلته
بسقراط (١٤) •

١٣- لم يجد ول دورانت Will Durant عبارة يعبر بها عن اعجابه بكتاب
الجمهورية غير ان يقتبس قول عمر في القرآن : « احرقوا المكتبات ،
فكر فائدة فيها : هي في هذا الكتاب » : Will Durant, P: 23

Sinclair, P: 345

والكثير من كتب افلاطون لا تتخذ اسماها ، أو عناوينها ، من موضوعاتها ، وانما هي تسمى بأسماء الاشخاص ، لهم منزلة في الحوار فيها ، فهي : ايون Ion وفيدو Phaedo وجورجياس Gorgias وفيدروس Protagoras وكريتو Crito وپروتاجوراس Protagoras و Phaedrux وغيرهم . وقليل منها ما سمّي باسم موضوعه ، « كالجمهورية » و « القوانين » .

على اننا لا نجد بين هذه الكتب ، كتابا منفردا يتحدث فيه عن الادب وحده . وكتاب ارسطو ، تلميذه ، عن « الشعر » كان أوّل كتاب معروف انه التّف في الادب مستقلا . على ان افلاطون نشر آراءه عن الادب ، وعن نقده ثرا في سبع او ثمان من محاوراته السقراطية التي تحدث فيها عن اللاهوت وما وراء الطبيعة ، والسياسة ، والتربية .

وليس اربنا في هذه المقدمة الموجزة عنه ، الا الاشارة لما عساه يتعلّق برأيه في الادب ، وفي نقده . وقد افضنا ، بعض الافاضة ، في الحديث عن الناحية السياسية لنشير الى ان افلاطون ، وقد عاصرها وبها النوضى والاضطراب ، لم يعد يهتّم الا ما يراه ذا فائدة وأهميّة في اصلاح المجتمع وفي استقراره .

مؤلفه من الشعر في نقده

وتراءى له ان الشعر ، على ما فيه من امتاع ، غير مفيد في هذا ، ومن هنا رأى ان يضحيّ بالمتعة حين تتعارض مع الفائدة . ومن هنا كانت قسوته بالغة على الشعر ، الا ما كان منه مفيدا . ولعلّ أهل الادب لا يلومونه على هذا ، بعد ان رأوا أيّ ظروف عصيبة هذه التي عاشها ، ودفعته لان يتجّه هذه الوجهة .

بيّنا ان النقاد لا يكادون يتفقون على أيّ كتب افلاطون اسبق من غيرها ، وعلى هذا فهم لا يكادون يتفقون أيّ آرائه كانت اسبق من غيرها ، وأيّها هو الذي يجب ان يعتدّ به ، لانه هو الرأي الاخير له . على انهم

يكادون يجمعون ان كتاب « القوانين »^(١٥) هو آخر ما كتبه افلاطون . واذا كان كذلك فرأيه فيه هو الرأي الراجح على غيره . وفي كتاب « القوانين » هذا وقف افلاطون موقفا قاسيا من الشعر ، جاء فيه : « انّ المشرّع الصالح يقنع الشاعر بالعمل على ما يجب ، فان عجز عن اقناعه ، اجبره على العمل على ذلك جبراً^(١٦) » وفيه : « ان الشعراء غير قادرين على معرفة الخير من نقيضه » وفيه : « ان الشاعر لا يجوز له ان يطلع أحدا من المواطنين على انفراد ، على ما نظمه ، قبل ان يعرضه على القضاة وحرّاس القانون الذين تحدّدت وظيفتهم بالنظر في مثل هذه الامور ، وقبل ان يُبدوا موافقتهم على ما نظم » وفيه : « ان يُعيّن رجال لا يقل عمر الواحد منهم عن خمسين عاما لفحص هذه القصائد ، واختيار بعضها » وفيه : « ان قصائد الشعراء الشرفاء ... يجب ان تُنتخب ولو خلت من سحر الشعر ، واختيار هذه القصائد من شأن المشرف على التعليم وغيره ، من الاوصياء على القانون الذي يجب ان يختصّوا هم بهذا الامتياز ، ولهم ان يكتبوا ما بدا لهم . اما الآخرون فلا يؤذن لهم بذلك ، ولا يجوز لاحدهم ان يجترىء على انشاء قصيدة غير مُصرّح بها ... ولو كانت أجمل من أناشيد ثاميراس^(١٧) Thamyra او « ارفيوس^(١٨) Orpheus » وهكذا نراه سيء الظن الى أبعد الحدود بعقول الشعراء ، يراهم لا يفرّقون بين الخير ومتعته في سبيل ما يراه مفيدا للمواطنين ، وان خلا من الجودة والمتعة .

١٥- دائرة المعارف البريطانية : Vol: 18/20

١٦- مقدمة : LEE, P : 9

١٧- Gillbert, P : 55

١٨- انظر : ص ٧٨ من كتاب الاستاذ الدكتور لويس عوض : « النقد الادبي - اليونان » وقد فضلنا ترجمته في كثير من النصوص التي اوردناها ! لانه اشار الى انه ترجمها عن الاصل اليوناني ، مستعينا بالترجمات الانكليزية . ولا يخفى وغير خاف ان النص الادبي قد تضع ملامحه اذا تداولته الترجمات من لغة الى لغة ... الى لغة اخرى .

وانظر : The Laws; 2/8299

وبقى بعد هذا : لمَ اساء الظنّ الى هذا الحدّ بالشعر والشعراء ؟
وهذا ما سنعرض له عند الحديث عن نقده .

ومشهور ان افلاطون هاجم الشعر والشعراء ، وابتعد الشعراء عن جمهوريته المثالية^(١٩) . ومع انه هاجم الشعر لصفات خاصة لم يستحسنها فيه ، فاننا من ملاحظاته على الشعر في محاوراته السقراطية ، التي اشرنا اليها ، نرى له تعلقا شديدا به ، ونراه يجد متعة كبيرة فيه . ولا عجب فقد قالوا : انه قرض الشعر في بعض ايامه ، وانه ظلّ يكتب كتاباته الشريفة بأسلوب شعري ممعن في الشاعرية^(٢٠) ، وقد مرّ بك الان حديثنا عنه في هذا .

يقول على لسان سقراط ، والخطاب موجّه الى جلوكون Glaucon أخى افلاطون ، يقول : « فنحن ايضا قد ألهمنا حبّ الشعر ، الذي غرسه فينا نظام التعليم في الدول النبيلة^(٢١) » ويقول في الكتاب العاشر من الجمهورية ، وقد قرر ان يبعد الشعر عن جمهوريته المثالية ، رغم عشقه له ، وتعلقه الشديد به ، يقول : « ولكيلا تنسب الينا ربّة الشعر ، الغلظة وقلّة التهذيب ، فان موقفنا منها موقف العشاق مع من يعشقون ، حين يعتقدون ان رغباتهم معارضة لمصالحهم . تراهم يكبحون جماح هواهم ،

١٩- ثاميراس Thamyrras : شاعر قدير ، كان من الاعتزاز بقدرته ، ان رأى انه قادر على الفوز في كل مباراة ، ولو كان المنافسون له ربات الفنون انفسهم . وفي اساطيرهم : ان ربات الفنون غضبن عليه فانسينه البراعة والقدرة .

الالياذة : ٥٩٤/٢

٢٠- ارفيوس Orpheus : مغن عبقرى ، شهر بأغانيه الساحرة . وذهب بعض شعرائهم ، ومنهم اسخيلوس ، الى ان ارفيوس كان من البراعة والسحر ، بحيث كان يجتذب الاشجار والحيوانات ، بسحر الحانه وأغانيه ، فيسيطر عليها ويجعلها تتبعه مسحورة حيث شاء . ويقولون ان كثيرا من القصائد الجيدة ، التي لا يعرف قائلوها ، نسبت اليه

The Laws; 8/829

-٢١

وهذا ما ينبغي ان نفعله ، فنتخلّى عنه ، وتنتخلّى عنه ونحن مرغسون
كارهون (٢٢) .

وتراه من حبّه للشعر يغبط الرواة عليه ، يقول في محاوراة ايو Ion
رواية هوميروس ، يقول على لسان سقراط : « انه يغبط الرواة لان مهنتهم
تطلب منهم ان يكونوا على اتصال دائم بطائفة كبيرة من الشعراء
المجيدين » (٢٣) .

ويتحدّث عن اللذّة ، او المتعة التي يحدثها الشعر ، فيقول : « ان
افضلنا حين يسمع عبارة لهوميروس ، أو أي شاعر من الشعراء التراجيدين ،
يصوّر فيها بطلا يستحق الرثاء ، ويطيل في التعبير عن احزانه بحديث طويل ،
وهو يبكي ويضرب صدره بيده » ، يقول : « ان افضلنا ، كما تعلم ، ليجد
لذّة في العطف عليه ، وتأخذه النشوة لروعة الشاعر الذي يحرك مشاعره
هذه » .

ويبدو ان أفلاطون اولع بهوميروس خاصة ، وكان ينظره باكبار واعجاب
لا حدّ لهما . يقول على لسان سقراط ، والحديث موجه الى جلكولون
أيضا : « كنت منذ فجر شبابي ، أحمل لهوميروس شعور الرهبة منه ، والحب
له ... فهو القائد الكبير ، والمعلم العظيم ، لكل هذه الجماعة التراجيدية
الساحرة » . ويقول على لسان سقراط ، وهو يحاور ايون الراوية ، لاتصال
مهنته بالشعراء ، يقول عن هوميروس : « انه أفضلهم وأقربهم الى
الآلهة » (٢٤) .

٢٢- انظر الحديث في هذا في :
Atkins - English Literary Criticism, P: 105

٢٣- يقول : Durant
عن افلاطون : « انه يكتب نثرا اجمل من
The Story of Philosophy, P: 16
الشعر ، انظر كتابه :

The Republic, Book Ten, 595

٢٤-

وهكذا تراه .. اقصى الشعراء ، مع حبّه لهم ، لاسباب خاصة تتعلّق
بسياسته في جمهوريته المثاليّة .

وفي الجمهورية ، كتابه ، حيث ركّز هجومه على الشعر ، لم يكن غرضه
الاول الحديث عن الشعر والفن ، وانما كان غرضه الاول ، السياسة وما
يتعلّق بها . وقد أبعد الادب والفنون عامة عنها ، لانها لم تكن لها فائدة
سياسية عنده ، بل ربما كانت ذات اثر سيء او معاكس لتلك الفضائل
الخاصة ، التي اراد تربيتها ، وتنميتها ، لاقامة جمهوريته المثاليّة . لقد نفى
الشعراء ، او ذلك الضرب من الشعراء الذين لا يراهم صالحين في جمهوريته ،
ورأى ان يقول للواحد منهم : « ليس لدينا نظراء في مدينتنا . وتطبيقا
لقوانيننا لا يكون لك نظراء » على انه رأى ان يقول ايضا ، وهو يعد الشاعر
من هؤلاء ، وكأنه يحسّ بقربه من نفسه ، وبشدّة تعلّقه به : « سنرسله
الى مدينة أخرى ... » ومناقشته للشعر في الجمهورية تجدها في آخر الكتاب
الثاني ، وأول الكتاب الثالث ، وفي الكتاب العاشر منها .

وفي الكتاب الثالث ، حيث يعنى العناية الاولى بتربية الاوصياء ، او
المربّين Gardians في جمهوريته ، يأخذ في الحديث عن تربيتهم وثقافتهم
الادبية ، ويراهما تتعلّق بالآلهة وبالاخلاق وبالشكل . ويدير حواراه على
لسان سقراط ، بقوله : « ان الفتيان من الناس تكون فيهم قابلية التأثير
والانطباع بما يلقي اليهم . واننا في وسعنا ان نطبعهم بما نريده لهم ، ويبقى
انطباعهم في هذا ثابتا فيهم . » ويمضي في حواراه ، ويرى ان الاله God

خير " بكل ما تحويه هذه الكلمة

يرى ان الاله مصدر الخير وحده ، ولكن الشعراء بأخطائهم الفظيعة ، أنهموا
الآلهة ، وصوّروها بما يسيء اليها ، فأسخيلوس^(٢٥) Aechlus
يقول : « ان الله يزرع بذور الشرّ في صدور الناس ، عندما يريد ان يهدم
بيتا من اساسه » وهو ميروس ، يقول : « على أعتاب الاله زيوس Zeus

اناء ان مترعان بالحظوظ ، هذا بالحظوظ السعيدة ، وهذا بالحظوظ الشقية ، فمن سمح له بمزيج منهما تنوعت حظوظه ، وذاق السعادة مرةً وذاق الشقاء أخرى . ومن اعطاه الشقاء لاحقه اليأس اينما ولّى وجهه « ويرى ألاّ يُسمح لاحد ان يقول : « ان من يحلّ بهم القصاص يشقون وان الله مسؤول عن شقائهم »^(٢٦) ويرى « ان الاله أزليا ، لا يتغيّر ، ولا يظهر بمظهر الخادع ، اذ أنه يملك ، من جميع الوجوه ، افضل الاشياء التي تنتمي لذاته . ومن هنا فان الاله أبعد ما يكون عن احتمال الظهور بمظاهر وصور شتى ، وعلى هذا فلا يجوز لشاعر من الشعراء ، ان يقول لنا : ان الآلهة تتجول في المدائن بصور الغرباء الوافدين من قصى البلاد ، مستخفين في كل زيّ من الازياء ... أو يعرض الربّة هير^(٢٧) Hera في التراجيديا ، وفي غيرها من القريض مستخفية في زيّ كاهنةٍ ، تشدّ الهبات ... وغير ذلك من اشباه هذه الاكاذيب »^(٢٨) .

ويرى الشعراء كثيرا ما يظهرون الاله بمظهر العاجز ، أو القاصر ، وهم حين يفعلون ذلك انما يُسيئون تصوير الآلهة والابطال ، شأنهم في ذلك شأن المصوّر يعجز عن نقل الصورة بريشته ، عسا هي في أصلها أو في حقيقتها » . ويرى الشعراء كذبوا على الآلهة في أشعارهم ، فصورّوها حاربت بعضها بعضا ، وحاكت الدسائس بعضها لبعض ، وانزل الضرّ بعضها ببعض ... وانزلت فطيع الاعمال بأقربائها وجيرانها . لقد صورّوا الربّة هيرا Hera تثقيّد بيدها ولدها . وصوّرّوا زيوس^(٢٩) Zeus يرمي

٢٦- محاوره ايون : ((530)) وانظر ترجمة هذه المحاوره ، عن الاصل اليوناني بالاستعانة بالترجمات الفرنسية ، للاستاذة الدكتورة سهير القلماوي ، والاستاذ الدكتور صقر خفاجة .

بهفايستوس^(٣٠) Hephaestus من السماء ، حين حاول هذا ان يدافع عن امه ، وهي تضرب^(٣١) .

وهكذا تراهم يصورون الآلهة بأمثلة سيئة ، غير جدرة بالاحتذاء او التقليد .

ويرى اننا نستطيع ان نمتدح هوميروس في أمور كثيرة ، ولكنه لا يمتدح في كلامه الذي اساء فيه تصوير الآلهة ، في الحلم الذي ارسله زيوس Zeus لأجا ممنون^(٣٢) Agamemnon وكذلك لا يمتدح اسخيلوس Aechylus حيث يجعل ثيتس^(٣٣) Thetis تقول : ان ابولو^(٣٤) Apollo تحدث في زفافها عن اطفالها الغر ، الذين لا ينزل بهم مرض ، والذين هم يعيشون في نعمة ، وانشد نشيدا يقول فيه : ان الآلهة ترعى مصيري اشد الرعاية ، فألهم قلبي الشجاعة ، وكنت على ثقة من ان فم فيوس^(٣٥) Phoebus الالهي ، لا ينطق كذبا ، بل هو ابدًا يفيض بالحكمة

٣٠- Hera هيرا : زوجة زيوس Zeus ، كبير الآلهة عندهم . واختصاصها الزواج ، وحياة النساء الجنسية . ويذكرون عنها غيرها الشديدة على المنافسات لها في فراش زوجها زيوس .

٣١- الجمهورية : ٣٨٠/٢ د

٣٢- زيوس Zeus ابو الآلهة وكبيرها ، ورب السماء ، رب الرعد والسحب والامطار . ومن ابنائه الآلهة عندهم : ابولو واريوس وديونيزوس وارتميس .

٣٣- هفايستوس Hephaestus اله النار . وفي اساطيرهم له صلة بالبراكين . وهو حداد الآلهة ، يروونه مهفأ بضع الاشياء السحرية العجيبة ، وانه هو الذي صنع درع اخيل Achilles

٣٤- الإلياذة : ١/٢ - ٣٤٠ . وعوض : ٢٨ .

٣٥- اجا ممنون Agamemnon : يصوره هوميروس القائد الاعلى لحملة الاغريق على طروادة . وفي « الاوديسا » ان الريح رمت به - وهو عائد الى بلاده - في بلاد ايجيست ، عشيق زوجته كليتمنيسترا . وان زوجته الخائنة انقضت عليه في اثناء وليمة فقتلته . وحادثته هذه كانت احاديث الشعراء ، وكانت موضوعا لاسخيلوس في احدي مسرحياته .

النبويّة ، ولكنّ منشد النشيد ، والجالسون في مأدبة عرسي ، والناطق بهذه الكلمات ، هو نفسه الذي اغتال ولدي^(٣٦) » .

هذا أمر الشعراء ، في تصوير الآلهة ، من الوجهة الالهية . وكذلك كان امرهم حينّ صورّوا لنا الوجهة الاخلاقية . ان اكثر الشعر المرويّ لنا غير جدير بالاغراض التربويّة ، لان الشعراء قد صورّوا الآلهة ، وصورّوا الابطال الماضين بصور لا تخلو من الرخاوة والضعف . وفي هذا ما فيه من اثر سيء في عقول الفتيان ، الذين نريد تنشئتهم على الشجاعة . ان الواجب يقضي أن نختار لهم القصص التي تعلّمهم الا يهابوا الموت . ويرى ان من يسمع الشعراء ، وما أنشأوه من قصص حول هاديس Hades عالم الموتى ، وفظائعه يفضلّ مرارة الهزيمة والعبوديّة ، على الموت في المعركة . ويرى ان تزال عبارة هوميروس من الاوديسا^(٣٧) Odyessey : « إنّي لأؤثر ان أعيش على وجه الارض عبدا لرجل مسكين على ان اكون سيّدا في دولة الموتى الهالكين » وعبارته في الالياذة : « يا حسرتنا في هاديس ، دار الفناء ، لا يبقى لنا غير ظلّ وزوال بلا ذهن يفكر^(٣٨) » وعبارته في الاوديسا^(٣٩) : « ... وكما تطير الخفافيش في قاع غار مليء بالاسرار ، وتعمل ، وتتلاحق صرخاتها حين تسقط حبة العنقود ، من الصخرة التي تماسكت حولها .. كذلك تطير هنا وهناك الارواح المغنّمة » وعبارته في الالياذة^(٤٠) : « وانطلقت الروح من البدن ، وهي

٣٦- ثيتس Thetis حورية من حوريات الماء . قالوا : انها ولدت اخيل بطل طروادة في « الالياذة » .

٣٧- أبولو Auollo : اله الشباب ، والمثل الاعلى لجمال الشباب المكتمل الرجولة . ومن اختصاصاته عندهم الرماية بالقوس والسهم ، والموسيقى ورعاية الفنون الرفيعة .

٣٨- فيبوس Phoebus هو أبولو

٣٩- انظر : LEE, P: 121 وعوض : ٢٨ والالياذة : ١/٢ - ٢٤٠ .

٤٠- الاوديسا : ٤/٨٩/١١ - ٤٩١

ترفف ، وهبطت الى هاديس ، وهي تنسب القضاء الذي اكرهها على ان تتخلّى عن الفتوة والشباب » •

وحوّر الشعراء الابطالَ الماضين بصور لا تخلو من رخاوة وضعف ايضا ، صورّوهم ليكون ويندبون موتاهم • ويرى افلاطون في جمهوريته ان الرجل اذا نزل به خطب ، كأن يفقد ابنا او أخا او مالا ، فعليه ان يتحمّل هذا ، ويركن الى الصبر الجميل ، والاّ يرى في الموت امرا رهيبا • وهو يرى ان يتخلّص من الدموع التي جعل الشعراء أعلام الرجال يذرفونها ، في مثل حالاتهم هذه ، ويرى ان تكون هذه الدموع مما تركن اليها الضعيفات من النسوة • وعلى هذا فهو لا يريد ان يسمع في جمهوريته المثالية احد من هوميروس ، ما قاله عن أخيل^(٤١) Achilles — وهو ابن آلهة — : « لقد تقلّب في نومه آنا على جنبه ، وآنا على ظهره ، وآنا على وجهه ، ثم نهض من فراشه ، وتجوّل تجوال الداهل الحائر على شاطئ البحر ... وبكلتا يديه امسك بالرماد وصبّه فوق رأسه »^(٤٢) • ولأقواله عن بريام^(٤٣) Priam وهو من ارحام الآلهة ايضا : صلّى وتقلّب في التراب ، ونادى كلّ رجل من الرجال صارخا باسمه^(٤٤) » ثم يورد افلاطون نصوصا غير قليلة من هذه الشكوى يختارها من الالياذة والاوديسا •

ويخلص من هذا بأن يرى لو ان الشبان اخذوا بهذا وأمثاله ، لما خجل الواحد منهم ، ان يطلق لعاطفته العنان ، فينوح ويشتد نواحه في السير من الاحزان •

٤١ — الالياذة : ١٠٣/٢٣ — ١٠٤

٤٢ — الاوديسا : ٦/٢٤ — ٩

٤٣ — الالياذة : ٨٥٦/١٦ — ٨٥٧

٤٤ — أخيل Achilles : بطل الياذة هوميروس • وغضبه الذي لا يكبح جماحه محوّر عقدة الالياذة •

ويرى مثل هذا في الشعراء يصوّرون العقلاء من الناس ، وقد سيطر عليهم الضحك . وعنده ان هذا لا يليق بهم ، لانه مبعد للوقار . وعلى هذا فهو لا يسمح ان تسمع مثل عبارة هوميروس في الالياذة : « وانفجرت الآلهة المباركة بضحك لا سبيل الى كبتة ، عندما رأت هفايستوس (٤٥) »

Estus Hepha يحمل الكأس ويجتاز القاعة » .

وهو لا يريد ايضا ان يستمع الى الشعراء يتحدثون عن اغتصاب الآلهة للنساء ، كما لا يريد ان يسمع من هوميروس قوله : « ... بينما كانت الآلهة والبشر تنام وتغطّ في النوم كان زيوس وحده يقظا ، يدبّر ويرسم ... ومع ذلك فقد نسي كل مشروعاته في استخفاف من اجل شهواته الجنسية . وما ان رأى الربّة هيرا Hera حتى غلبته عواطفه (٤٦) » .

امّا من الناحية الشكلية ، او من ناحية تصوير الهيئة ، فأول ما يواجهنا في الشعر تعبير « التقليد » Mimesis or Imitation الذي نراه يدور — فيما بعد — في كتاب : « الشعر » لأرسطو ... ان افلاطون قد استعمل التقليد — في الكتاب الثالث — بمعنى خاص ، هو نقل الاشخاص بصورهم او بهيئاتهم . وهذا ما يفعله الشاعر حين لا يكون هو المتكلم بشخصه ، كما نراه يفعل في الشعر الغنائي . اما في المسرحية ، وفي بعض اجزاء الملاحم ، فهو يمثل ، او يتقمّص شخصيات أخرى ، وبانشاد الفتيان لشعر الشعراء ، او بقراءته بصوت مرتفع — وكان هذا يؤلف جزءاً هاماً من الثقافة اليونانية — او التريّة عندهم ، يقول افلاطون ، على لسان سقراط : « ان المتعلمين من الفتيان سيحتذون امثلة الشعراء في هذا فيتعدون عن شخصيّتهم . انهم يحاولون ان يقلّدوا الشعراء ، فيتقمّصوا صوراً لشخصيات أخرى ، قد تكون بعيدة عن شخصيّاتهم ، وقد تكون بينها شخصيات سيئة ، غير جديرة

٤٥ — عوض : ٤١ ، والالياذة : ١٠/٢٤ — ١٢

٤٦ — بريام Priam : ملك طروادة ، ايام دمرها اجا ممنون في حرب طروادة الشهيرة . صوره هوميروس في الالياذة ، ذا منزلة عند الآلهة ، وعند كبيرهم زيوس .

بأن يتفحصوها • فهو يرى ان يحجموا عن تقليد كل عمل وضع ، او عمل شرير ، مخافة ان يصابوا بشيء مما يقلدونه • يقول على لسان سقراط لأديمانتوس : ألم تلاحظ ان التقليد اذا دأب عليه المرء من الطفولة ينغرس في الطبع والطبيعة ؟! ويتجلى في الجسم ، وفي الصوت ، وفي عادات التفكير ؟! • وعلى هذا فلا يرى افلاطون ان يقلد الرجال والنساء ، والاّ يُسمح للشبان بتقليد الجبناء من الناس ، ولا بتقليد أولئك الذين تبيح لهم اخلاقهم ان يسبوا بعضهم بعضا ، وان يستخدموا اللغة البذيئة في سكرهم او في صحوهم » ولا يرى ان يقلدوا صهيل الخيل او خوار الثيران (٤٧) •

وهكذا يرى ان هذا ، وأمثاله من الصور لا مكان له في جمهورية يُطلب بها من كل شخص ان يتعلم كيف يقوم بدوره على الوجه الاتم ، من غير ان يتدخل بفعاليات ، او ادوار غيره ، اذ يرى ان الشخص الواحد لا يستطيع ان يتقن تقليد جملة اشياء ، استطاعته اتقان تقليد شيء واحد • وعنده ان الانسان يستطيع ان يقوم قياما حسنا بصناعة واحدة خير من آخر يقوم بجملة صنائع • ويمضي في هذا حتى يرى ان الشخص لا يستطيع ان يكون خطيبا وممثلا ، مع تقارب الصنعتين الكلاميتين • بل يرى ان ممثلي « الكوميديا » ومثلي « التراجيديا » مختلفون ، رغم ان فن أولئك وهؤلاء قائم على التقليد (٤٨) • وافلاطون قد اعتمد في رسم هذه الصور السيئة في تأثير الشعر في المربّين او الاوصياء على شاعرين كبيرين هما هوميروس Homer وهزيود (٤٩) Hesiod وعلى كتاب المسرح أيضا •

٤٧- الايذاة : ٤١٤/٢٢ - ٤١٥ •

٤٨- هفايستوس Hephaestus انظر ص :

٤٩- الايذاة : ٢٩٤/١٤ •

وفي بداية الكتاب العاشر من الجمهورية^(٥٠) ، اوضح افلاطون في محاوراته : ان الفنون مظلة خادعة ، ولذا فهو يرفض على لسان سقراط الشعر القائم على التقليد ، ويقول : « كل الاعمال الشعرية القائمة على التقليد تفسد ادراك السامعين » . وبمقارنة هذا بما اورده في الكتاب الثالث ، نراه قد وسّع وعمّق المفهوم الذي اراده من معنى التقليد *Mimesis*

نراه يعود فيستعمله بمعنى اوسع وأشمل ، يستعمله بمعنى النقل المطابق للمنقول او التصور بالادب لعالم الواقع ، عالم الاشخاص ، والاحداث ، والامور الاخرى المتعلقة بالعالم الحقيقي ، وتصويرها بواسطة الادب او بواسطة الفنون^(٥١) الاخرى التي تدرك بالبصر عامة . ومعنى ذلك في الادب : انه يعني به ما يحاول ان ينقل صورة طبق الاصل بعالم الحياة والواقع . وهنا يعود بنا افلاطون الى نظريته ، نظرية المثل^(٥٢) *Theory of Ideas*

وعلى هذه النظرية يكون كل كائن موجود ، وكل حادث في هذا العالم ، إنمّا هو صورة محرّفة عن صورة اخرى مثالية لها وجود في عالمه الثاني ، الكائن وراء هذا العالم . ولشرح التقليد هنا يذكر مثله المشهور عن السرر والموائد ، ويبيّن فيه : ان هناك صانعا ماهرا يصنع الاشياء المثالية ، ذلك هو الاله ، ويأتي النجار فيقلّد بصنّعه هذا السرير المثالي ، ثم يأتي الرسّام فيقلّد سرير النجار . ويكون عندنا في هذه الحالة سرر ثلاثة ، سرير مثالي في الطبيعة صنعه الله ، وسرير آخر صنعه النجار ، وسرير ثالث صنعه المصوّر او الرسّام . وينتهي الى النجار مقلّد والرسّام ايضا . وهو يرى أنّ الشاعر كالمصوّر ، يصنع بألفاظه وعباراته ألوان الفنون المختلفة ، دون أن يفهم من طبيعتها ، الا ما يمكنه من تقليدها » ويقول : « والشاعر التراجيدي مقلّد » ويقول : « واذاً فهو كسائر المقلّدين بعيد عن الحقيقة بثلاث مراتب^(٥٣) »

٥٠- الجمهورية : ٣/٣٩٥ ب ، وعوض ، ص : ٥٠ .

٥١- الكتاب نفسه ، والرقم نفسه

ونيفيضم افلاطون في حديث التقليد هذا ، على لسان سقراط ، ويرى ان شعراء التراجيدين ، وهوميروس ايضا مقلدون ، وان الناس انخدعوا بهم حين سمعوههم يحسنون الحديث في كل الفنون ، وكل الامور الانسانية ، بل والالاهية ايضا . ولم يعلموا ان هذا تقليد بعيد عن الحقيقة ، بعيد بثلاث درجات او ثلاث مراتب ، وان هذه كلها مظاهر وليست حقائق ... ويرى ان هوميروس ، وقد جعل العسكرية والسياسية والتربوية اهم ما دار في شعره ، لا يعرف مع ذلك شيئا عن هذه الفنون . ويزيد فيبين : « ان ليس هناك من حرب ذكرت الوثائق انه انما تم النصر فيها بفضلها ، او ان الله اعان على نجاحها في أيام حياته . ويراها كذلك في غير هذه الفنون التي تحدث عنها (٥٢) » .

ويخلص من هذا ، الى ان ما ينتجه الشعراء ، والفنانون عامة ، انما هو صورة غير صحيحة (٥٣) لصور اخرى صحيحة ، في عالمه المثالي . ويعني في هذا حتى يرى ان هذه الصور التي يجيء بها الرسّامون والشعراء ، ان هي الا صور محرّفة وغير حقيقية . هي صور تبعد بثلاث درجات او ثلاث مراتب ، في تحريفها عن الحقيقة . وهي ، بهذا الاعتبار لا تعلمنا الا ما ليست له أهمية عن قيم الحياة .

ويسفي افلاطون في حوارهِ بشيء من التفصيل ، الذي يزيد في ميله على الشعر ، والتقليل من أهميته ، ويبين ان الشعر انما ينتمي الى شيء واطيء ، قليل الصلة بالعقل . ويراها يقووي العناصر الواطئة في اذهاننا ، ويقويها على حساب العقل .

٥٢- الجمهورية ، ٣/٣٩٤د

٥٣- هسيود Hesiod اعظم الشعراء التعليميين عند اليونان ، واشهر اعماله الشعرية : « الاعمال والايام » وعندهم انه من الشعراء الذين ثقفوا الناس بأشعارهم .

ويرى الشاعر يوضع الى جنب مع المصور ، لانه يشبهه من ناحيتين ،
أولاهما ان ما ينشئه من أعمال فنيّة ، يكون على درجة واطئة في سلّم
الحقيقة ، وثانيتها : أنّه معنيّ بالجانب الاسفل الواطيء من الروح ، لانه
يوقظ الاحساسات ويغذيها ، ويقويها ، ويعرقل حركة العقل^(٥٤) . . .
لان الشاعر المقلّد يطلق العنان للطبيعة اللاعقليّة ، التي لا تميّز العظيم من
الخسيس . انه صانع صور بعيد كلّ البعد عن الحقيقة^(٥٥) .

ويستمر في هذا ، ويزيد : « ان الشعر له قدرة على ايداء الناس ، حتى
الاخير منهم » ويزيد هذا ايضا بقوله : « ان افضلنا حين يستمع لهوميروس
او الى أيّ شاعر من شعراء التراجيديا ، وهو يصوّر بطلا من الابطال ،
يستحق الرثاء ، فيطيل التعبير عن احزانه بحديث مسهب طويل ، او هو يبكي
ويضرب صدره بيده . . . اقول : ان افضلنا — كما تعلم — يجد لذّة في
العطف عليه ، وتأخذه النشوة لروعة الشاعر الذي يحرك مشاعره اكثر من
سواه . يكون هذا على حين أنّنا نباهي بالتمسك في الصبر والهدوء ، وهذا
هو جانب الرجولة فينا ، امّا الجانب الاخر الذي يجد لذّة فيما يتلى من
شعر علينا فيمكن ، بهذا الاعتبار ، عدّه جانب الانوثة فينا . ونحن في
مصائبنا نحسّ بجوع وشوق طبيعيّ الى التخفيف عن احزاننا بالبكاء
والنواح . وهذا الشعور الذي نكتبه ، كلّما المت بنا كارثة ، يُغذيّه
الشعراء ويرضونه^(٥٦) . ويرى : أنّ شعور الحزن ، الذي يزداد قوّة برأى
مصائب الغير ، لا يمكن كته بسهولة في نفوسنا .

وهذا المبدأ نفسه يراه ينطبق على مضحك الاشياء ، وانّ هناك نكات
تجمل ان تقولها انت ، على حين انك تجد في سماعها متعة كبيرة ، اذ هي
القيت واستمعتها على خشبة المسرح الكوميدي . . والناس انما يكتبون

٥٤ — الجمهورية : ٥٩٥/١٠ — ٦٠٢ .

٥٥ — T.S. Dorsch, Classical Literary Criticism, P: 12

٥٦ — انظر الفصل الذي كتب عن الفن ((Art)) بكتاب : Grube-Plato's Thoughts

الضحك بفضل العقل ، والاّ حَسَبُوا مهرّجين • ولكنّهم بعد على المسرح ،
فد يفعلونه اذا عادوا الى مجالسهم في بيوتهم •

ومثل هذا يمكن ان يقال في الشهوة الجنسية ، وفي الغضب ، وفي
مشاعرنا باللذة والالام ، وفي كل العواطف الاخرى^(٥٧) • وفي كلّ هذا
يغذّي الشعر العواطف ويقويها ، بدلا من ان يضعفها ويهزلها • وهكذا
تسيطر علينا • بينما كان الواجب ، لصلحنا وسعادتنا ، ان نكون نحن
المسيطرين عليها •

وعلى هذا يقرّر افلاطون ان الشعر ، وليس المسرحيّ منه وحده ،
يكون ذا اثر سيء من الناحية الاخلاقية • لقد سبق لافلاطون ان بين ضرره
وخطره في تربية المربّين ، او الاوصياء ، ولكنه ما لبث ان توسّع في هذا ،
ومدّ ضرره الاخلاقي السيء ، على النحو الذي رأيت •

وفي « القوانين »^(٥٨) In the Laws حيث كان غرضه طبيعة
الحكومة المثاليّة ، كانت مناقشته لمكانة الشعر والفن اكثر عمومية ، اذ يرى
ان المواطنين يجب ان يثقّفوا بما هو جميل وخير ، وحيث ان الفن كله
تقليد او محاكاة ، فليس لنا ان نأخذ تلك الفنون التي اقتربت من الواقع
وراحت تقلّد من صوره ما تشاء • ولكننا نأخذ منها تلك التي قلّدت من
الصور ما هو خير وجميل فقط^(٥٩) ، وقد مرّ حديثه في هذا •

وفي بروتاجوراس ، يفيض في هذا ، ويصوّر التيار العام لآراء الشعراء
ويكاد يرفضها جملة ، فيبيّن انهم من عهد هوميروس • قد ارتضاهم الناس
مرّين ، وكانت آراؤهم عندهم تعين في خلق مواطنين صالحين ، يبين ان
التربية تبدأ من الطفولة الباكرة ، وتستمر الى نهاية الحياة • ويقول : فسي
السنوات الاولى تتعاون الام والمربية والاب والمرشد على التربية ، ويتولون

٥٧- الجمهورية ، ٥٩٩/١٠ •

٥٨- الجمهورية : ٦٠٠/١٠ •

Grube-The Greek and Roman Critics, P: 47

—٥٩

أمر الطفل ، وهم يسمعونه : هذا صحيح وهذا غير صحيح • وهذا مشرف
وهذا غير مشرف • وهذا مقدس وهذا غير مقدس ... وافعل هذا ولا
تفعل ذاك » • يقول : حتى اذا بلغ الطفل المرحلة الثانية اسلموه الى المعلم •
وحال يتعلم الحروف والقراءة ، ويتدبّر يفهم ما هو مكتوب ، يكون هذا
المعلم قد وضع بين يديه اشعار الشعراء الكبار ، التي يقرأها في مدرسته
... وفيها كثير من القصص والمدايح لمشهوري الرجال السالفين ، وعليه
ان يحفظ هذا عن ظهر القلب ، ليقلّدهم ، وليجب ان يكون على
شاكلتهم (٦٠) » •

ويدعم رأيه في هذا بما قاله في ليسس (٦١) Lysis اذ يبيّن ان
الشعراء قد وُصفوا بأنهم شيوخ الحكمة ومؤلفوها • ومن هنا رأى الناس
الاخذ بما قالوه •

على ان أفلاطون عاد فأوضح رأيه في هذا كله ، في محاوراته على
لسان سقراط ، اذ بين ان هذا الاعتقاد في الشعراء ، انما هو خلل
الرأي ، وأنه اعتقاد خاطيء • وان أحكام الشعراء على السلوك والاخلاق
غير جديرة بأن يطمأن اليها • ومردّ رأيه في هذا ، قد اوضحه في
الابولوجي (٦٢) Aplogy اذ بين ان الشعراء انما ينشئون ، لا بتأثير العقل
وسلطانه ، بل بايحاء لا حيلة له بالعقل • وفكرة الايحاء هذه اوضحها في
فيادروس (٦٣) Phaedrus وفي ايون (٦٤) Ion ، حيث رأى في الواحد

Dorsch, P: 12

-٦٠-

-٦١- عوض ، ص. ٧٠ ، الجمهورية : ٦٠٥/١٠

Gilbert - Literary Criticism, Plato to Dryden. P: 403

-٦٢-

LEE, 384

-٦٣- انظر :

Atkins - Literary : Dorsch, P: 12 وانظر :

-٦٤-

Criticism in Antiquity, Vol. 1, 33—70

منهم ما يرى في المخبول من الناس • وراهم يعيدون ، وهم في حالة صرع
او ذهول ، ما توحيه اليهم شياطين الشعر Muses • ويبين رأيه في هذا
بحديث ايون ، رواية هوميروس ، وهو يتحدث لسقراط بينا له انه يرى
نفسه يستيقظ ويزخر صدره بما يجب ان يقوله ، حين يتحدث عن هوميروس
وليس هو كذلك ، بل انه ليحسّ بالضياح التام حين يكون الحديث عن
غير هوميروس • ويفسر سقراط له احساسه هذا بالالهام ، الذي يشرحه
له على النحو التالي : هناك قوة الهيّة تحرك ايون ، كتلك الموجودة في حجر
المغناطيس ، او حجر هرقل • هذا الحجر لا يجذب اطواق الحديد فحسب ،
ولكنه ينقل اليها قوة مشابهة لجذب الاطواق الاخرى • وفي بعض الاحيان
ترى عددا من قطع الحديد او الاطواق ، وقد تعلقّت احداها بالآخرى ،
حتى لتكوّن منها سلسلة طويلة • هذا مثلهم مع ربة الشعر Muse
انها تلهم بعض الناس أولا • ومن هؤلاء الملهمين تتعلّق وتتدلّى سلسلة
من الاشخاص الاخرين ، الذين يتلقّون الالهام ... ويزيد ، فيقول :
ذلك لان كل الشعراء المجيدين ، لا يؤلفون قصائدهم الجميلة بالفن ، ولكن
يؤلفونها وهم ملهمون مجذوبون •

ويزيد سقراط ايضا ، فيقول لايون : وكما ان راقصات كوريبانت
Corybantes حين يرقصن ، انما يرقصن وهنّ في غير وعيهنّ ، فكذلك
الشعراء ، وهم ينشئون اغانيهم الجميلة ... وما اكثر ما يقوله الشعراء
من شريف الكلام عن اعمال الناس ، ولكنهم مثلك يا ايون حين تتحدث عن
هوميروس • انهم يلهمون ما يقولون ، وتدفعهم ربّات الشعر الى قوله •
وهكذا يشرح افلاطون رأيه في الشعر والشعراء ، على لسان سقراط ،
كما رأيت • وراهم ينشئون ما ينشئون وهم في حالة غيبوبة عن وعيهم
وعقلهم •



والآن ، وقد أطلنا الحديث عن نقد افلاطون للشعر والشعراء نعود فنقول : هذه خلاصة ، نرجو ان تكون واضحة ، في أهم النقاط الرئيسية التي اوردها افلاطون في هجومه على الشعر والشعراء ، بكتابه «:الجمهورية» The Republic وفي غيره من محاوراته الاخرى . وقد افضنا فيها بعض الافاضة ، لانها تمثل وجهة نظر افلاطون في موقفه المعادي من الشعر والشعراء ، وهي الناحية التي شُهر بها افلاطون فيما يتعلق بموقفه من الادب على مرّ العصور (٦٥) .

اما النقاط الاخرى ، وهي التي تمثل موقفه الحسن ، من الشعر والشعراء ، فضئيلة خافتة بالقياس الى هذه الناحية . ونعرض لتبيانها ايضا لتكتمل جوانب الحديث عن افلاطون ، وصلته بالنقد الادبي .

وقد يؤخذ من هذه الناحية الهجومية التي تحدثنا عنها ، ان افلاطون في تجسيده لهذه العناصر السيئة في الشعر ، انما يكون قد اضعف من شأن العناصر الطيبة ، او الحسنة فيه . وعلى أيّ حال يجب الا يغرب عن بالنا انه انما كان يجادل امر الشعر على اساس فائدته ، واهميّته للنواحي السياسية او الاجتماعية ، التي تحدث عنها في جمهوريته المثالية . وما دام احتمال أمر الشعر ، قد يكون مضرا بها — كما تراءى له — وذلك باغرائه الساحر لسامعيه ، فالاولى عنده ان يبعده او يطرده من جمهوريته المثالية .

على أننا وقد افضنا في الحديث عن الجانب السلبي ، نعود فنقول : انّ افلاطون وان افاض في الحديث عن الجانب السلبي في الشعر ، فانه لم يغفل الجانب الآخر ، ولو انه لم يوسعه بالحديث على نحو ما فعل في هذا . وعندنا انّه فعله في هذا شبيه بما يفعله أهل البلاغة من العرب ، حين يفيضون في الحديث عن الجانب السيء ، في الالفاظ ، في باب الفصاحة مثلا ، على اعتبار ان ما عداه يكون جائزا او حسنا او سائغا ، وان لا بأس بإيراده واستعماله .

ولا بأس ان نعود الى هذه الاشارات التي يبينها موجزة في الشعر الذي يريده ، ورأى ان يقبله على اساسها ، ويقبل شعراءه في مدينته المثالية الفاضلة ، اذا هم تمسكوا به ولم يحدوا عنه .

انه اجاز الشاعر الغنائي Lyrical Poet ذلك الشاعر الذي يتغنى ابدا بسديح في الافضل من الناس ، أجازة الدخول في جمهوريته المثالية ، ولكنه لم يسمح لغيره من الشعراء بدخولها . يقول على لسان سقراط لجلوكون ، بعد ان يمتدح هوميروس ، يقول : « ولكن عليك ان تعلم ان الضرب الوحيد من ضروب الشعر ، الذي يسمح به في دولتنا ، هو ذلك الضرب من الاناشيد ، الذي يتغنى بها ابدا في مديح الآلهة ، او في مديح اعظم الرجال » (٦٦) .

وافلاطون حتى في جمهوريته المثالية ، لم يوصد الباب بصورة نهائية على الشعر والشعراء ، ولكنه يبين انه حاضر " لان يستمع لاولئك الذين لديهم الحجج الحسنة يدافعون بها عن الشعر والشعراء » (٦٧) . انه في حديثه عن ربة الشعر The Muse قد بين - وقد مر بنا هذا - تعلقه به ، وقربه من نفسه ، بين الآ بأس عنده بعودة الشعر الى جمهوريته ، اذا استطاعت هي ان تدافع عنه ببحر غنائي ، او بأي بحر من بحور الشعر شئت ... بل يبين الا بأس بدخوله ، اذا استطاع عشاق الشعر ، وان لم يكونوا هم انفسهم شعراء ، ان يدافعوا عنه نثرا ، على ان يبينوا ان الشعر لا تنحصر أهميته بالمتعة واللذة ، ولكن بفائدة الناس في حياتهم وفي مجتمعهم . قال : « وسوف نسر بالاستماع او الاصغاء الى آرائهم ، وسيكون ربحا كبيرا لنا اذا وجدنا به معينا للفائدة ، كما به معين للمتعة » (٦٨) .

-
- | | | |
|------------------------|------------------------|-----|
| Protogoras (326a, 339) | وانظر : Drosch, P: 13 | ٦٦- |
| Dorsch, P : 13 | وانظر : Lysis (213e) | ٦٧- |
| Apology (22c) | وانظر : Dorsch, P : 13 | ٦٨- |

وكان — كما رأيناه في « القوانين » — على استعداد لقبول الشعراء المحاكين في الملاحم والمسرحيات ، على ان يحاكي هؤلاء الشعراء ما هو جدير بالمحاكاة عنده .

يضاف الى هذا ، أن افلاطون كان في الطليعة ، في وضع آراء ايجابية اخرى ، اكثر مما مرّ بنا . انه في فيدروس^(٦٩) Phaedrus اعطى معنى لتصوير الايحاء اعمق من ذلك الذي مرّ بنا . اذ يبيّن ان الايحاء ، كما يكون هذيانا ، لا سلطان للعقل عليه ، يكون هبة الهية لتحرير النفس من أثقال قيودها الدينية والاجتماعية^(٧٠) .

وفي فيدروس^(٧١) ايضا ، ناقش مبدأ الوحدة العضوية The Organic Unity التي اعتبرها ، اساسا لكل الآراء الفنية . قال ، على لسان سقراط : « ... وعلى كل حالة ، لا يمكن ان ترى في كل مقالة مخلوقا حيا ، لها جسم ، ولها رأس ، ولها قدم . ويجب على هذا ان يكون لها وسط ، وتكون لها بداية ونهاية . وان تكون كل من هذه الاقسام مناسبة للآخرى ، ومناسبة للمجموع^(٧٢) الكلي » .

Johnston, Greek : وانظر Pheadrus (244)

Literary Criticism, P :1 4

—٦٩

Ion (534)

—٧٠

٧١— يقول كروب في فاتحة حديثه عن افلاطون ، ص٤٦ : « ولان افلاطون ابعد الشعراء ، او معظمهم ، برم به الشعراء والنقاد . فجورج سينتسبري George Saintsbury على سبيل المثال لم يمنحه الا ثلاث صفحات فقط من كتابه « تاريخ النقد الادبي » وكاد يتجاهل كل اثر ايجابي في النقد الادبي » .

ولايضاح قول كروب هذا ، نقول ان كتاب سينتسبري بثلاثة اجزاء ، والجزء الاول وحده يقع في خمسمائة صفحة .

٧٢— انظر : 384 : P : LEE وانظر الجمهورية : ٦٠٧/١٠

وانظر : ص : — من هذا المقال .

وتحدث بمثل هذا في جورجياس^(٧٣) Gorgias قال : فالناس يقولون : ان القصة يجب ان يكون لها رأس ، وليس لها ان تنقطع في وسطها . وقد ألمح الى قريب من هذا في الجمهورية^(٧٤) ايضا .

وعلى هذا ترى افلاطون في آرائه الايجابية هذه ، كان الرائد الاول في وضع الاسس والآراء ، التي اصبحت فيما بعد اعلاما أو صوى للنقد في العصور التي تلتها . انه الرائد الاول الذي رسم - في الجمهورية - الحدود الواضحة البيئة بين شعر الملاحم ، والشعر الغنائي ، والشعر المسرحي

Epic Lyric and Drama

وفي « القوانين^(٧٥) » تحدث عن أحسن المسرحيات ، او أصدق المسرحيات ، ويؤكد انها تلك التي تمثل احسن صور الحياة وأنبها . قال : « ... ونحن - على ما نرى - ان مسرحياتنا هي أجود المسرحيات وانبها ، لان مملكتنا هي تقليد او محاكاة لاحسن وأنبل ما في الحياة ، وكذلك يكون ما بها من مسرحيات » .

وهذه الآراء ، قد طورها بعده ارسطو ، واخذها عنه النقاد في عصر النهضة في اوربا .

وفي الجمهورية^(٧٦) ، وفي فيادروس^(٧٧) ، اعتبر الرحمة والخوف هما العاطفتان اللتان تثاران بصورة خاصة في المأساة by Tragedy قال : « استمع اليّ » حين نستمع الى هوميروس ، والى غيره من شعراء التراجيديا يمثل احزان رجل عظيم ، فيصوره وهو يطيل نواحه ، بكل تعبير بالغ

٧٣- الجمهورية : ٦.٧/١٠

LEE, P : 385

٧٤- انظر :

Phaedrus, 245a, 265

٧٥- فيادروس

وانظر كروب Grube ص : ٧ وما بعدها . ودورش ، ص : ١٢ .

Britannica Great Books, Plato, P : 134

٧٦-

Phaedrus (264). Dorsch, P : 13

٧٧- دورش

Britannica Great Books - Plato, P : 133

وانظر :

الاسى ، حزين • انت تدري كيف ان أحسن الناس فينا يستمتعون بهذا »
ويرخون لانفسهم العنان حتى تسيطر عليهم عواطفهم • وهم اكثر ما يكونون
مديحا لهذا الشاعر ، حين يكون اعظم اثاره لهذه العواطف • وهذه فكرة
طوّرها ارسطو فيما بعد ، ولا نرى الحديث فيها مناسبا هنا •

وفي فيلبس^(٧٨) Philebus اثار مبدأ اشبعه — فيما بعد — المحدثون

من النقاد ، ذلك هو مبدأ ، او فكرة المتعة الحزينة Tragic Pleasure
ذلك الضرب الخاص من المتعة الذي نستخلصه من مشاهدتنا لمسرحية
جيّدة • قال على لسان سقراط ، بعد ان ناقش فكرة المتعة والالم ، وكيف
انّهما يتمازجان في كثير من الصور : وانك لتذكر كيف يتمازج السرور
بالالم في النواح وفي الفجعة بموت قريب او صديق " وانك لتذكر ايضا
كيف ان النظارة في المأساة يتسمون من خلال دموعهم » ثم يستمر ويقول :
— والحديث موجه الى بروتارخس Protarchus : « ولعلك لم يفتك ،
حتى في الكوميديا ، في مشاهد التمثيل الهزلي ، ان النفس يمتزج بها شعور
الالم والفرح^(٧٩) » وينتهي الى قوله : « وانّ الحوار ليقودنا الى ان هناك
تمازج بين السرور والالم في النواح ، ولسنا نراه في المأساة ، وفي المهزلة ،
وعلى المسرح فقط ، ولكننا نراه ايضا على المسرح الاكبر ، مسرح الحياة^(٨٠)
للناس Human Life

وكان افلاطون ، هو الناقد الاول ، الذي وضع القواعد النظرية

لطبيعة الملهاة ، وكان هذا خاصة في فيلبس^(٨١) Philebus

Grube, P : 58

٧٨- انظر :

Gorgias (503)

٧٩-

Dorsch, P : 14 والجمهورية : ٣٩٨ .

٨٠-

Britannica Great Books, The Laws :- 817 Plato P: 728

٨١-

←

ونخلص من حديثنا هذا ، الى ان افلاطون — وهو فيلسوف كبير —
أديب كبير ، وناقد كبير ايضا • وان شهرته في الادب والنقد الادبي ، لا تقل
عن شهرته الفلسفية • بل ذهب الكثير من نقّاده الى ان كتبه ، وقد خلدت
طيلة هذه القرون ، كانت مدينة بخلودها الى مكاتبتها الادبية او لا ثم لمكاتبتها
الفلسفية ثانيا • وان آراءه في النقد خاصة ، قد اثّرت اكبر الاثر في الادب
والنقد عند الغربيين ، حتى لا تكاد تجد كتابا — حديثا او قديما — يتحدث
عن النقد الادبي عندهم ، ولا ترى اسم افلاطون يدور في صفحاته •
وجدير بدارسي النقد الادبي عند العرب ، ولا سيما هذا النقد الحديث
الذي أخذ الكثير من مبادئه من الغرب ، ان يطلّعوا على آراء افلاطون ،
وعلى اثرها في النقد الادبي عند الغربيين ، لتكون معرفتهم بما عبر اليها من
هذه الآراء ، أوضح وأعمق وأشمل •
وعسانا في حديثنا هذا ، وفقنا الى اعطاء صورة واضحة عن « افلاطون ،
الاديب الناقد » • واللّه هو الموفق للصواب •

-
- ٨٢ — الجمهورية ، ٣٨٧ ، ٦٠٥
٨٣ — فيادروس
Phaedrus, 268
٨٤ — فيلبس (47—8) Philebus : وانظر : Dorsch, P : 14
: وانظر الحديث عن هذا مفصلا في كتاب : Gilbert
٨٥ — انظر : Britannica Great Books - Plato : 630
٨٦ — الصفحة نفسها ، والكتاب نفسه

مراجع البحث :

١ - المراجع العربية :

احمد امين وزكي نجيب محمود : قصة الادب في العالم ، ط : مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٥ .

توفيق الطويل - أسس الفلسفة ، طبعة دار النهضة العربية - مصر
حنا خباز - جمهورية افلاطون ، ط : مطبعة المقتطف والمقطم ، سنة ١٩٢٩ .

زكي نجيب محمود - محاورات افلاطون - طبعة لجنة التأليف والترجمة - بمصر ، سنة ١٩٣٧ .

سهر القلماوي - المحاكاة ، ط : البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٥٣ .
سهر القلماوي ومحمد صقر خفاجة - ايون ، او : عن الياذة ، مكتبة النهضة المصرية .

سليمان البستاني - الياذة هوميروس ، ط : دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

لويس عوض - نصوص النقد الادبي (اليونان) ط : دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٥ .

طه حسين : قادة الفكر

بدوي طبانة : النقد الادبي عند اليونان .

ب - المراجع الانكليزية :

Atkins - 1- Literary Criticism in Antiquity

2- English Literary Criticism

Bloom (Allan) - The Republic of Plato Boas and Smith -

Enjoyment of Literature Butler (Samuel) - The Iliad
of Homer and the odyssey

Dudley (Louise) - The Study of Literature

Gilbert (Allan) - Literary Criticism; plato to Dryden

Grube - A - Plato's thought.

B - The Greek and Roman Critics

Hamilton (Edith) - The great age of Greek Literature

Harriot (Rosmary) - Poetry and Criticism before plato

Hubbell and Beaty - an introduction to Drama

Jordan - Essay in Criticism

Lee (H.D.P.) - Plato, the Republic

Rojan and George - Makers of Literary Criticism

Saintsbury (George) A History of Criticism and literary
Taste

Sinclair - A History of Greek literature

Jowett (Benjamin) - The Dialogues of plato

Harward - Plato, the Seventh letter

القاعدة النفسية الاجتماعية للاتصال الاعلامي

للدكتور متعب مناف جاسم
قسم الاجتماع - جامعة بغداد

ان الاهتمام بالاتصال الاعلامي وعلى الاخص من زاوية علم النفس الاجتماعي يرجع الى الاسباب التالية :

(١) التوسع الحضري الذي ساد العديد من مجتمعات العالم بصرف النظر عن كونها صناعية ام غير صناعية عمل على نقل هذه المجتمعات من كونها مجتمعات أصولها متجانسة الى مجتمعات أصولها مختلفة جعل في كل مجتمع العديد من التراكيب المستقبلية Audiences هذه التراكيب تعيش في مجتمع واحد فقد كل روابطه التقليدية فليس هناك أعراف او عادات او تقاليد او معايير تشده الى بعضه البعض لذا فان الاعلام ووسائله تلعب الدور الاكبر في سبيل الصلة بين هذه التراكيب المستقبلية تأكيداً على نوع من الوحدة الاجتماعية اذ عن طريقة مخاطبة مثل هذه التراكيب والاتصال بها يمكن تحقيق هدفين : -
الاول : الوصول اليها مباشرة .

الثاني : خلق المناخ الاجتماعي عن طريق وسائل الاعلام لكي تتصل مثل هذه التركيب ببعضها اجتماعيا وبذا فان الاتصال انما يعمل في الوقت نفسه على التواصل وهو هدف اجتماعي بحد ذاته .

(٢) الحفاظ على العلاقات السياسية السائدة في المجتمع اذا ان المجتمعات الحديثة على اختلاف أشكالها انما تتحرك وفق ايدولوجية معينة هذه الايدولوجية في واقعها ليست الا تطبيقا لفلسفة الحكم في المجالات

العملية وبذا يصبح أساسيا لا يصال مثل هذه الايديولوجية من مصادرها او ترجمتها ووضعها على صعيد التعامل القومي من ان يلعب الاعلام دورا رائدا في توصيل هذه الايديولوجية اولا والقيام بتبسيطها وربطها بحياة الفرد العادي ثانيا ثم تحصين الجماهير ضد الايديولوجيات المعادية التي تستهدف هدم المجتمع ثالثا (١) .

(٣) بعد الحرب العالمية الاولى وبعد ان مر العالم بأزمات سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية ونفسية وانهيار العديد من النظم السياسية الاوربية وظهور الازمات الحادة في الاقتصاد العالمي فقد برزت ظاهرة مهمة في المجال الاعلامي هي ظاهرة الدعاوه Propaganda وهذه الظاهرة وان كانت قديمة قدم التعامل الانساني نفسه فقد استخدمت في فترات تاريخية موعلة في القدم الا ان استعمالها بشكل مدروس وتخصيص اجهزة لها وتدريب كوادر عليها انما نشأت في فترة الحرب الكونية الاولى وكانت من غاياتها الاساس هي :

(١) اضعاف الجبهة الداخلية عن طريق تضخيم الاخطاء الى الحد الذي يجعلها غير قابلة للإصلاح وبذلك يفصل المواطن العادي عن مجتمعه وهي المرحلة الاولى وبعد ذلك يبنى له مجتمع خاص به وفق ما تخطط له الدعاوه المضادة مما يؤكد غربته داخل مجتمعه وبالتالي اما ان يحد ويخسر مجتمعه او انه يصبح دمية بأيدي اعدائه والمقصود من هذا كله هو خلق فراغ بين المواطنين انفسهم عن طريق تشكيكهم بتراكيهم السياسة والاجتماعية وايجاد فراغ آخر يفصل بين المجتمع وسلطته ثم بين الشعب وجيشه في الجبهة .

Kornhauser, W., The politics of Mass Society, pp. 7—13.

(١)

(٢) أحداث تغييرات عميقة في الرأي العام مما يؤدي بالضرورة الى زعزعة ايمان الشعب بحكومته وجيشه وبالتالي يمكن ان تمهد مثل هذه النجاحات على الصعيد المحلي وعلى الاخص التغلغل في الجبهة الداخلية الى كسب المعركة في الداخل وهذا ما دفع بالجنرال فرانكو اثناء الحرب الاهلية في اسبانيا الى القول بان هناك اربعة فيالق أو طواير تقاتل في الجبهة وهناك الالهة منها طابور خامس يقاتل في داخل الساحة المعادية ، وعليه يتوقف الى حد بعيد كسب المعركة (٢) .

الاعلام بعد الحرب الثانية :

وفي الفترة اثناء وبعد الحرب العالمية الثانية تغير عمل الاعلام ووسائله فقد اخذ يؤدي مهمات حيوية وأساسية منها : -

- (١) رفع معنويات القوات المقاتلة .
- (٢) ربط الشعب بقواته المحاربة .
- (٣) تكييف الجنود لحياة الحرب واثارة النخوة والحمية في نفوسهم .
- (٤) تطويق المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والعمل على مجابقتها نفسيا عن طريق تقوية أواصر الصلة بين أفراد المجتمع أنفسهم أي تقزيم هذه المشكلات وعبرورها في سبيل هدف اكبر .

(٥) اعتماد اسلوب الدعاوه المضادة Anti propaganda وهو اسلوب جديد من أساليب العمل الاعلامي اذ يعني هذا ان تكون لك القدرة على فهم دعاوه الخصم والارتفاع بمستواك في الدعاوه الى درجة هذا الخصم ثم العمل على تحجيم دعاوته وبالتالي تجاوزها او ابطال تأثيرها وهذه العملية في غاية الاهمية لانها تعني الاستخدام الكامل لكل ما هو متاح من فهم نفسي واجتماعي وثقافي في سبيل رفع الروح المعنوية للشعب .

وهذا لا يتم بالاثارة فقط وانما بدرس هذه الاثارة وكيفية تزويد الناس بها الى الحد الذي تبنى فيه دفاعات معقولة يمكن ان تتحول الى هجمات عند الطلب (٣) .

(٦) ونظرا لاهمية مثل هذه الاساليب الاعلامية وما تتركه من الايجاب والسلب على كافة النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية في المجتمع فقد اهتمت الجامعات بها وأنشأت مراكز للدراسات الاعلامية في العديد من الدوائر العلمية المرموقة في العالم اهتمت بدراسة الرأي العام public Opinion والاتصال Communication وذلك باستخدام المناهج المطبقة في العلوم الاجتماعية

Methods of social seienees وطبيعي ان هذه المراكز انما تتعاون مع مثيلاتها على الاصعدة الحكومية او في المجالات الصناعية وبذلك يشهد عصرنا الراهن ومنذ خمسيناته ما يمكن ان يسمى بالثورة الاعلامية Communicaional Revoluiton انعكست هذه الثورة

في المجالات المختلفة سواء على صعيد خلق الافكار في المجال الاعلامي وربط هذا كله بالمناخ النفسي الاجتماعي السائد وبالتالي الخروج بصيغة اعلامية لها صورة مميزة وفعالة على الصعيدين الاعلاميين او ما نسميه بالاعلام الداخلي والاعلام الخارجي .

فترة الخمسينات والستينات والاعلام :

وفي العقدين الخامس والسادس من هذا القرن حصل تطور اعلامي خطير هو ظهور الاذاعة المرئية « التلفزيون » وقد استدعى ظهور هذه الوسيلة الاعلامية الى قيام بحوث عديدة عن الاذاعة المرئية وبرامجها واوقات بثها والكادر العامل

(٣) Sherif, M and Sherif, C., An Outline of Social psychology, pp. 449—488.

وهناك حقيقة لا بد من ذكرها هي ان التلفزيون انما يدخل كل بيت بدون استئذان وفي هذا تكمن خطورته حتى لقد قيل عند ترشيح كندي ونكسون للرئاسة في الولايات المتحدة ان الفائز الحقيقي هو التلفزيون وهذا يمثل واقعا بالفعل اذ ان التلفزيون يشد افراد العائلة من خلال فرض التواجد عليهم في البيت وهذا هو السبب الرئيس وراء تكييف البرامج سواء أكان زمنيا - اي اوقات البث اذ روعي ان تكون البرامج للصغار في فترات زمنية مبكرة لكي يستطيع هؤلاء التمتع بها ثم الذهاب الى فراشهم او من ناحية مضمون هذه البرامج كان تكون علمية وفنية وأدبية وفكرية ورياضية وتربوية .

وقد ادى مثل هذا التنوع في اوقات البث وفي المواد المقدمة الى تحديد الهدف من وراء الاذاعة المرئية : هل هو اخباري ام تعليمي او توجيهي واذا كان يجمع بين هذه المجالات مجتمعة فما هي نسبة كل منها الى مساحة الهدف العام ؟ وتطور آخر في مجال الاذاعة المرئية هو التلفزيون التربوي او حلقات البث التلفزيوني المحدد .

وهذه بالطبع تطورات أملتتها ضرورات خاصة اذ اصبح التلفزيون وسيلة لتكوين التوجهات لدى المواطنين Attitudes وهذه التوجهات لا بد وان تنعكس على علاقات المواطنين انفسهم وبالتالي فهي تؤثر في المعايير Norms والقيم Values والاعراف Mores السائدة

اذ قد يعمل التلفزيون على ان يكون عاملا محركا للتغير الاجتماعي Agent of Social change وهذا المجال له خطورته في بناء الخبرة والسلوك الاجتماعية اذ يرتبط بصميم مادة علم النفس الاجتماعي حيث يسعى هذا العلم الى دراسة خبرة الافراد وسلوكهم من خلال ردود افعالهم تجاه المواقف الاجتماعية (٤) المحفزة اجتماعيا فاذا تدخل التلفزيون في صياغة او التهيئة لمثل هذه المواقف الاجتماعية المحفزة امكننا تقدير الاثارة الايجابية والسلبية التي يمكن ان يتركها على سلوك الافراد ويرسبها في خبراتهم وبالتالي ينعكس هذا على مجمل السلوك الاجتماعي السائد .

(٤) انظر المصدر السابق .

اعلام السبعينات ومشاكل العالم المعاصر :

وبدخول فترة السبعينات من هذا القرن دخل الاعلام بافكاره واجهزته
النشرية والفنية وبآفاقه الواسعة والمؤثرة ليجد انماط مختلفة من المجتمعات
أهمها :

- أ - مجتمعات العالم الصناعي •
- ب - مجتمعات العالم ما قبل الصناعي •
- ج - مجتمعات العالم المتخلف •

وطبيعي ان الاعلام ناتج اجتماعي اى انه يعكس شأنه شأن مرافق
الاتاج الفكري (الثقافة) والمادي (الصناعة) الدرجة التي وصلها المجتمع
حضاريا ومدى دخوله اولا دخوله الى معترك حلبة الصراع الثقافي السائدة
لذا فان المشاكل التي يواجهها الاعلام في المجتمعات الصناعية - وعلى الاخص
في الدول الانكلوسكسونية هي الصراع السياسي والوفرة في الاتاج مع
عدم وجود العدالة في التوزيع والتناحر الطائفي والتمييز العنصري وارتفاع
مناسيب الجريمة ومحاولة التوفيق بين الثقافة الوطنية •

من National Culture والثقافات الفرعية Subcultures
ناحية والثقافة العالمية International Culture من ناحية
ثانية بالاضافة الى تبني بعض اليوتيبات (الطوباويات) المعاصرة مثل اراء بوبر
(المجتمع المفتوح وأعداؤه) وكالبرث (مجتمع الوفرة) وو • روستو وعلى
الاخص كتابات الاخير عن مراحل النمو الاقتصادي •

- | | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| The Traditional Society | (١) مرحلة المجتمع التقليدي |
| The precondition for take off | (٢) مرحلة التهيؤ للانطلاق |
| Take off | (٣) مرحلة الانطلاق |
| The Drive of Maturity | (٤) مرحلة الاتجاه نحو النضج |

(٥) مرحلة الاستهلاك الوفير^(٥) The Age of High Mass Consumption

وهذه المرحلة الأخيرة تحمل تعبيراً جديداً هو الإنتاج الكتلي أو المجموعي أو الجماهيري وبذلك التقت كتابات روستو مع التطور الثاني المهم في مجال الاعلام في السبعينات (الدخول الفعال للتلفزيون في الحياة والاقتصاد والسلوك) وهو تحول الاعلام نحو الكتلة أو المجموعة اذ ان المجتمعات في العقدين الخامس والسادس من هذا القرن قد تحولت الى كتل بشرية متراسة اذ حدثت هجرات جماعية من الارياف الى المدن وادى هذا الى تضاعف سكان المدن بشكل كبير فاق كل تصورات علماء الاجتماع الحضري حتى انهم اطلقوا على مثل هذه الحركة الكاسحة اسم الثورة الحضرية Urban Revolution وبذلك ولد عصر الكتل أو المجموعات

وبرزت على الصعيد العالمي المدن الكبرى أو الموسعة المتروبوليتانية أو الميكابوليتانية (وقد دفع هذا بالصناعة الى مواكبة عملية الحضرية اذ يصعب الفصل بين الصناعة والحضرية حيث أن الصناعة تحتاج الى الايدي العاملة التي يمكن ان تتجاوزها عن طريق المكننة أو الآلية المتقدمة ولكنها لا يمكن ان تستغني عن الوفرة في التجمعات البشرية التي تكون قوة منتجة ومستهلكة ولما كان الاعلام ظاهرة اجتماعية فقد تحول هو الآخر الى كونه اعلاماً جماهيرياً أو اعلام مجاميع ضخمة .

والفرق الرئيس بين الاعلام غير الكتلي والاعلام الكتلي هو السعة في التغطية الاعلامية ، اذ يصعب ان نطلق على التلفزيون التربوي أو التلفزه في نطاق محدد Closed-Circuit Telecast اسم اعلام كتلي اذ المفروض بالاعلام الكتلي ان يشمل في تغطيته الاعلامية الوطن بكامله وبالمثل يمكن ان توصف بقية وسائل الاعلام كالاذاعة المسموعة «الراديو» أو الاشرطة (الافلام) فاذا كان السامعون والمشاهدون (التركيبة الانسانية التي يحاول الوصول اليها) منتشرة على صعيد يتجاوز المحلي أو كان قصدها

(٥) محمد حسن عبدالباسط د . ، التنمية الاجتماعية ، ص ٢٨١ .

يجمع أكثر من قصد مساعد أي تكون أهدافها متعددة ومركبة فانه يمكن أن توصف بالكتلية اما اذا كانت تغطيها محدودة وهدفها مفردا فهي ليست كتلية .

أما على صعيد مجتمعات العالم ما قبل الصناعي فان أهداف ووسائل وكوادر الاعلام تواكب ما تتطلب اليه هذه المجتمعات وعلى الاخص الربط بين :-

أ - التراث

ب - العصر

أي ان وسائل الاعلام والتي يمكن ان تسمى بال جماهيرية في مثل هذه البلدان انما تعمل على بلورة اتجاهات جديدة تأخذ في اعتبارها تراث وفكر ودين وقيم هذه المجتمعات من ناحية وما يتطلبه العصر من صناعة وتكنولوجيا وإنتاج من ناحية ثانية وتحاول ان تخرج من مثل التوفيق بين هذه المتطلبات بصيغة يمكن ان تقدم من خلال وسائل الاعلام سواء اكانت مرقوة أم مسموعة أو مرئية وبذلك تعمل وسائل الاعلام وفي المجتمعات التي تزمع دخول العصر الصناعي على رسم طريق لدخولها دون حدوث ردود افعال قد تحطم البناءات التراثية لها . هذه المهمة لوسائل الاعلام في البلدان التي تحاول الدخول الى حلبة الصراع الحضاري الراهن ترتبط بعلم النفس الاجتماعي اذ ان علم النفس الاجتماعي في أساسه هو دراسة عملية تأثير وتأثر الفرد بالجماعة والتأثيرات المتبادلة داخل الجماعة نفسها

Intragroup

وبالتالي فان مثل هذه العملية

Intergroup Relations

يقصد منها تسهيل التعامل على مثل هذه المستويات في سبيل بناء توجهات نفسية - اجتماعية جديدة تجاه الحضارة والعصر والآلة والفكر الجديد بل قد تدفع هذه التوجهات الى مجالات أخرى مثل التوجه نحو العمل واحترام الانتاج اليدوي ومحاولة بناء المكانة في المجتمع Status اكتسابا وليس احتسابا (وراثيا) والنظر الى المرأة على قدم المساواة والاهتمام بالوقت وتقسيم العمل وتفصيل العلاقات المؤسسية والتمسك بالعلم كوسيلة لحل مشكلات الحياة اليومية ورفع المستوى الصحي للمجموع وهي أهداف تعتمد على المدى الذي

ينجح فيه علم النفس الاجتماعي في بناء توجهات جديدة وهو بذلك يلجأ الى وسائل الاعلام وال جماهيرية منها بشكل خاص لانها وعلى صعوبة استعمالها - من انجع الوسائل للوصول الى التغييرات المطلوبة (٦) ، يبقى دور وسائل الاعلام في المجتمعات المتخلفة وفي هذا المجال فان وسائل الاعلام تستطيع ان تلعب دورا حاسما في التوعية حيث ان الامة متفشية في مثل هذه المجتمعات ، لذا فان بناء توجهات جديدة من الصعب تحقيقه من خلال التربية الشكلية (المدارس) كما أن استخدام وسائل الاعلام وال جماهيرية منها بشكل خاص انما يعمل على (الوصول الى من يجب الوصول اليهم آخذين بنظر الاعتبار صعوبة المواصلات في مثل هذه المجتمعات او العزلة التي تحيط ببعضها وهي عقبات يمكن تخطيها عن طريق الاتصالات الاعلامية .

هذه المهام التي تقوم بها وسائل الاتصال الجماهيري تساعد على تنويع التوعية اذ تتناول التوعية الاجتماعية - أي بناء علاقات اجتماعية متحركة ترتبط بالعمل والانتاج اكثر من ارتباطها بالتقليد كما انها تبني توجهات جديدة خاصة بحياة المواطن ونظرة وتحويل هذه النظرة من القراية والركودية والامد القصير الى الاعتماد على النفس والحركة والنظر الى امد بعيد وهذا التحول في توجهات افراد المجتمعات المتخلفة يخلق دون شك ثورة اجتماعية تساعد المواطنين في هذه المجتمعات على عبور الهوة من التخلف الى مرحلة متقدمة شرط ان تعمل وسائل الاتصال الجماهيري على تحقيق برنامج متعدد الاهداف اذ تعمل على نشر التوعية الاجتماعية والاقتصادية والفكرية دون تجزئة لان خلق المواطن لا يتم عن طريق تقسيم متطلباته نحو المستقبل . وبذلك تعمل وسائل الاعلام وفق قاعدة نفس - اجتماعية نحو تخطي المعوقات التي تحول دون تقديم العديد من مجتمعات العالم لجهودها التي يجب ان تصب في هدف اكبر هو خلق وعي حضاري شامل لا مجال فيه لتفاوت بين مجتمع واخر حيث

Kuppuswamy, B., An Introduction to Social psychology, (٦)
pp. 259—295.

ان العالم المعاصر وبفضل وسائل الاتصال السريع اصبح صغيرا سريع التأثير بما يحدث في انحاءه المختلفة ومن غير المسموح به ونحن نشارف على نهاية القرن العشرين ان تكون هناك مجتمعات متخلفة مما يجعل من الانتقال الى القرن الواحد والعشرين عبئا على ما يسمى بمجتمعات الحضارة الصناعية في الوقت الذي يجب ان يتوزع العبء الحضاري وهذا ما يعمق أهمية وسائل الاعلام ويجعلها اكثر ارتباطا بقاعدتها النفس - اجتماعية^(٧) .

مستقبل الدراسات الاعلامية : -

ان النظرة المستقبلية للدراسات والعمل في المجال الاعلامي انما تساعد على رسم افق اعلامي جديد يأخذ بنظر اعتباره الخبرات الاعلامية التي مر بها الاعلام على الاصعدة الفردية والمحدودة ثم الكتلية والجماهيرية مستفيدا من ربطه وارتباطه بالقاعدة النفس اجتماعية التي تنطلق منها في تغيير التوجهات الاجتماعية .

وفي هذا المجال فان برنارد بيرلسون - وموريس جانوفتش في كتابهما قراءات في الرأي العام والاعلام يؤكدان ان ما يطلب من وسائل الاعلام مستقبلا هو تقديم وجهة نظر متوازنة تأخذ في اعتبارها دور الانسان ودور الاعلام في صياغة التوجهات وادخال العلمية في مجال الاعلام الكتلي او الجماهيري حيث بلغ العلم مرحلة متقدمة في تعامله مع الادوات المستخدمة في الحقل الاعلامي وعلى صعيد البحوث الاعلامية^(٨) .

هذه العلمية يجب ان يلتزم بها على صعيد الاعلام الكتلي وخصوصا ان هذا الضرب من الاعلام انما يسعى نحو بناء توجهات جديدة عن طريق تغطيته لمساحات انسانية واسعة ضمانا ان هذه العلمية تتم في الواقع تحت ظروف ايجابية نسبة اي الجمع بين العلمية في الاسلوب والايحائية في التوجيه مع

I bid., pp. 192—220.

(٧)

Berelson, B., and Janowitz, M, Reader in public Opinion and Communication, (ed.), p. 3.

(٨)

تحول من التوقعات القصيرة والمتوسطة الاجل الى التوقعات البعيدة اخذة
بالاعتبار ان الاسلوب المباشر وغير المباشر انما يعتمد على امور ثلاثة هي :

Messenger

(١) الناقل او المبلغ

Message

(٢) الرسالة

Content

(٣) المحتوى

وبالفعل فان الهدف المستقبلي للدراسات الاعلامية لا يمكن فصله عن
القاعدة الاجتماعية التي يركز عليها الاعلام نفسه وبشكل اوضح فانه يرتبط
بالايدولوجية السائدة في المجتمع ، لذا فان اهداف العمل الاعلامي على المدى
البعيد انما تتأثر بالمطالب الاجتماعية السائدة وما يجمع عليه من حاجات حاضرة
ومستقبلية وكيف ترتب الاولويات من حيث الاهمية والامكانات ثم كيف
يوازن بين الطموح والامكانات اما على صعيد الدراسات الاعلامية فان اهدافها
يمكن ان تكون اكثر تحديدا اذا انها يجب ان تميل نحو العلمية لكي تواكب
عصر العلم والتكنولوجيا في استخدامها للادوات المتقدمة في مجال قياسات
الرأى العام ووضع البرامج وهذا كله يساعد في الطبع في رسم السياسات
الاعلامية اذ ان الاعلام لم يعد اجتهدا فرديا وانما اصبح علما له مفاهيمه
ونظرياته ومناهج بحوثه ووسائله في اعداد كوادره ومؤشراته في النجاح
والفشل ولكن هذه الجوانب على اهميتها ثانوية اذا لم يستطيع الاعلام من ان
يعكس طموحات المجتمع اذ انه يبدأ من المجتمع وينتهي بالمجتمع نفسه وهذا
المجتمع قد يبدأ بالمحلية ثم الوطنية وينتهي بالعالمية ولكن تبقى حقيقة اساسية
هي ان الثقافة لا تكيف نفسيا ، وهذا يعني ان البناء الثقافي انما يأتي بعد
ان تكون الابنية النفسية والاجتماعية قد تكاملت واساس هذه الابنية تكوين
التوجهات التي تواكب متطلبات العصر من ناحية وطموح الجماهير من ناحية
ثانية وبذلك يكون الاعلام عملا ودراسة مطالبا بتحقيق هدف مركب هو الجمع
بين الايدولوجية في التوجيه والعلمية في العمل والنفس - اجتماعية في الاطار
والمستقبلية في النظرة وبذلك يتحرك الاعلام ايدولوجيا في عمله عمليا في

دراسته نفسيا اجتماعيا في شدة مستقبلها في تطلعه مع امكانية الموازنة بين هذه المجالات في تحقيق طموحه كمؤسسة اجتماعية لها ذاتيتها في العمل وما يعلق عليه من طموحات جماهيرية وهي التعامل مع ثقافة العصر والاخذ منها والاضافة اليها باصالة وتعاون (٩) .



Schramm, W., and Roberts, D. (ed), the process and (٩)
Effects of Mass Communication, pp. 517—521.

Baer, G., Population and Society in the Arab East, Fredrick A.
Praeger, N. Y, 1964.

Berelson, B, and Janowiz, M., (ed.), Scond Edtion, Reader in public
Opinion and communicaion, the Free press, N. Y., 1966.

Cantrill, Hadly, the psychology of Social Movements, N.Y., 1963.

Danziger, Kurt, Socialization, London, 1971.

Schramm, W., and Roberts, D., (ed.), the process and Effects of
Mass communication, Univ. of Illinois press, chicago, 1971.

التجديد في الادب معناه وتطوره

ابراهيم محمد الوائلي
استاذ مشارك
قسم اللغة العربية
كلية الآداب - جامعة بغداد

- مقدمة البحث
- هل يوجد تجديد مطلق في الادب ؟
- معنى التجديد .
- (١) التجديد في القالب او الاسلوب
- (٢) التجديد في المعاني
- مظاهر التجديد في المعاني
- (٣) التجديد في الموضوعات
- (٤) التجديد في الصورة والخيال
- (٥) عنصر الحرية في التجربة .
- خاتمة البحث

التجديد في الادب ، معناه وتطوره

كتب كثير من الادباء المعاصرين بحوثا في النقد والادب تناولت موضوع التجديد والتطور في الادب العربي ، وقد عنت هذه البحوث بالجانب التطبيقي ولكنها لم تكن العناية المطلوبة بالتفسير والتحليل لمعنى التجديد وفلسفته ، أو نقول بعبارة أوضح : ان نقادنا المعاصرين لم يضعوا للتجديد قواعد ومقاييس يعرف بها ، في حين أنهم أسهبوا في التطبيق وفي كثرة النماذج التي عرضوها لصور التجديد في العصور الادبية المختلفة ، وتناولوا بالتركيز ،

الاعراض المعروفة التي خضعت لقوانين التجديد ولا سيما اغراض الشعر وفنونه •

ومعنى هذا أن الدراسات التي كتبت في هذا الموضوع لا تزال غير مستكملة وأن بها حاجة الى التوضيح في مقاييس التجديد وفي معناه الى جانب التوضيح في اسبابه وعوامله •

وماذا عسى القاريء أن يجد من حصيلة في دراسة موضوع التجديد وهو يفتقر الى أبسط القواعد التي تساعد على التفسير والتعريف ليحدد المعالم التي يسير عليها في التطبيق •

ومن هذا المنطلق عاودت كثيرا من المراجع التي عنيت بالنقد الادبي وتناولت موضوع التجديد لاستعين بها وبما اختتمر في ذاكرتي من ملاحظات غير قليلة على وضع بعض الخطوط المتجانسة في تفسير معنى التجديد في الادب - الادب العربي بشكل خاص - وأن أتناول هذا الموضوع في بعض قواعده ومقاييسه ذات الصلة الوثقى بمظاهر التجديد في الشكل والمضمون •

وانا اذ ادرس هذا الجانب الذي يمكن أن يعد من الاسس في النقد الادبي لا اجد من الضروري أن اتناول جانب التطبيق وحشد الامثلة والنماذج لان مثل هذا العمل لا يكفيه بحث قصير يفرض فيه تجنب الشرح والاطالة في مظهر واسع من مظاهر الادب في عصوره الكثيرة •

يضاف الى ذلك ان اختيار النماذج وحشدها في هذا البحث قد يكون عملا غير ذي أهمية لدى القاريء الذي يراد له أن يكون حرا في التطبيق وفي اختيار ما يستسيغه من الاعمال الادبية للشعراء العرب في العصور القديمة وفي العصر الحاضر •

وقبل أن اتناول البحث في معنى التجديد وتطوره ، أود أن أ طرح
السؤال الآتي :

هل يوجد تجديد مطلق في الادب ؟

هذا السؤال من الممكن أن يضع نفسه في مقدمة البحث : لان معنى
التجديد قد يجر الى تصور لا نهاية له في مجال الادب ، فيفترض وجودا لا
وجود له ، حتى في أقصى درجات التخيل عند الاديب المفكر ، وحينئذ قد
يقال بوجود تجديد مطلق لا حدود له ، ولا ابعاد في بدء أو نهاية •

وقبل الاجابة عن هذا السؤال ينبغي ان نسأل أنفسنا ما معنى التجديد
المطلق سواء آكان في الادب أم في غيره من مظاهر العقل البشري -

لاشك اننا سنقول : ان التجديد المطلق معناه أن نكون أمام صورة
لا عهد للانسانية بها وليس لها أية ظلال في ماضي البشرية بعيدا كان أم
قريبا • فهل نستطيع أن نقول : ان الفن الادبي وسائر الفنون الأخرى يسكن
أن تنقطع صلتها بما ألفته الأذواق وتوارثته الاجيال ؟ وهل ظهر لنا قد أو
مؤرخ أدب من القدماء أو المحدثين شيء من ذلك في معنى أو فكرة باطار
لاسلة له بالتقديم الموروث ؟

قال العرب القدماء :

« وليس لاحد من اصناف القائلين غنى عن تداول المعاني ممن تقدمهم ،
والصب على قرائب من سبقهم • ولولا ان القائل يؤدي ما سمع لا كان في
طاقته أن يقول • وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لو لا
أن الكلام يعاد لنفد » (١) •

(١) كتاب الصناعتين ، ص ١٩٦ ، ط ١ .

وقالوا : « ما زال الشاعر يستعين بخاطر الآخر ويستمد من قريحته ويعتمد على معناه ولفظه ... ومتى أجهد أحدا نفسه واعمل فكره واتعب خاطره وذنه في تحصيل معنى يظنه غريبا مبتدعا ، ونظم بيتا يحسبه فردا مخترعا ثم تصفح عنه الدواوين لم يخطئه أن يجده بعينه أو يجد له مثالا لا يفض من حسنه » (٢) .

وقالوا :

« ولا يعلم في الارض شاعر تقدم في تشبيهه مصيب تام وفي معنى غريب عجيب أو في معنى شريف كريم أو في بديع مخترع إلا وكل من جاء من الشعراء من بعده أو معه ان هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره فانه لا يدع ان يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكا فيه » (٣) .

ولهذا شاع عند نقاد العرب القدماء نوع من الدراسة سدّوه (السرقات)؛ وقسموا هذه السرقات الى مستحبة ومنكرة . فالمستحبة هي التي يعتمد فيها الشاعر الى اضافة اشياء جديدة في الصورة أو العبارة . واما المنكرة فهي التي لا يستطيع ان يضيف اليها شيئا من ذلك (٤) .

ويقول (آلان) من المحدثين :

كل الناس مقلدون يجري بعضهم وراء بعض إلا الرجل الصخر الذي لا ينقاد ، وللرجل الصخر ثلاثة مظاهر : الفنان والحكيم والقديس . اما الحكيم والقديس فوجودهما نادر وأما الفنان فيقول : أنا كما أنا أعبر عن نفسي أولا أعبر عن شيء (٥) .

(٢) اوساطة بين المتنبي وخصومه ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٣) الحيوان للجاحظ ٣/٣١١ ، ط ٢ .

(٤) الصناعتين - المصدر السابق - ص ١٨٦ ، ٢١٧ .

(٥) النقد الجمالي واثره في النقد العربي . لروز غريب ، ص ٧٩ .

ولكن الفنان في رأينا وان تميّز عن البشر بموهبته وقدرته على التعبير لا يمكن أن يأتي بشيء جديد مطلق الجدة لا عهد للناس بمثله أولا عهد للناس ببعض عناصره في اقل تقدير ، ولا يمكن ان يخترع لفظة او عاطفة او خيالا او فكرة لم يكن الناس قد اهتموا الى شيء منها •

« ان التجديد في الادب كالتجديد في العلم لا يمكن الا على اساس تعاون الحاضر والماضي » (٦) •

وان المجدد مهما حاول ان يتعد عن القديم لا بد له من ان يستعين به في استعارة صورة او كلمة او حقيقة من تلك الحقائق التي احتوتها الرفوف القديمة او دفنتها الرمال فيبعثها من مرقدتها ويجدد ملامحها ويهب لها من قوة الشباب ما يدفعها الى مجال السمو والتخيل (٧) •

اما الابتكار المطلق فهو خلق جديد في كل العناصر في اللفظ والعاطفة والفكرة ، والخيال والموسيقى ، ومثل هذا الابتكار لا يعدو ان يكون مستحيلا لا يمثله نموذج واحد في الادب وان كان قليلا • فان استطاعت العبقرية الخلاقة ان تتخطى المستحيل في بعض عناصر الصورة الادبية فانها يستحيل عليها ان تبتكر كل العناصر ابتكارا مطلقا ليس فيه شيء من ظلال القديم •

ان الفنان يستطيع ان ينشيء بناء حديثا قد يخالف في شكله وهندسته البناء القديم ، ولكنه لا يستطيع ان ينشيء ذلك البناء على ارض غير قديمة ، ولن يستطيع أن يؤلف بناءه من مواد غير مستخرجة من هذه الارض •

ومهما اختلفت العصور في خصائصها ومقوماتها فان ارتباط كل عصر بما سبقه يبقى ارتباطا وثيقا لا ينفصل الا بمقدار ما يحدث من تطور في الفكر والحياة والمجتمع •

(٦) النقد التحليلي ، للغمراوي ، ص ٣١٨ •

(٧) انظر : تيارات ادبية - د . ابراهيم سلامة ، ص ١٣٨ - ١٣٩ •

هناك صلة وثقى بين الابناء والآباء ، وبين الوارث والموروث ، ولا يستطيع الابن ان يتحلل من اثار آباءه وان هو حاول ، ولا يستطيع أيضا أن يكون صورة طبق الاصل (٨) .

هكذا تكون العلاقة بين عصور الادب ، واذا كانت هذه العلاقة ثابتة لا تقبل الانقسام ، فان القول بنفي التجديد المطلق بديهية لا تقبل الشك ، وأن التجديد المطلق في الادب ، ان لم يكن مستحيلا كل الاستحالة فهو من هذا القبيل على خط ثابت .

معنى التجديد :

في القالب أو الاسلوب . في المعاني . في الموضوعات . في الصورة والخيال .

قلنا ليس في الادب تجديد مطلق شأنه في ذلك شأن غيره من سائر الفنون الاخرى التي يعتمد بعضها على بعض ويأخذ بعضها من بعض ، بل هو كغيره من الظواهر الاجتماعية والفكرية في التسلسل والتأثر ، غير ان استحالة التجديد المطلق لاتقف ولا تستطيع أن تقف في طريق التطور الذي يسلكه الادب في حياته وفي استمراره كالفنون والظواهر الاخرى . فهو اذن كائن حي متطور يسير تطور المجتمع في اسلوب الحياة والتفكير .

وما دما قد عرفنا ان العصور تختلف في تطورها واتجاهها ادركنا ان الادب كغيره من الفنون ، مقياس يقاس به تطور العصر وثقافة المجتمع ، وصورة تنعكس فيها العواطف والرغبات كلها أو بعضها .

وأن الشاعر — وهو فنان يتميز عن سائر البشر بمواهبه وقدرته على التعبير والتصوير — قادر بحكم ما اوتي من موهبة وقوة ملاحظة على تصوير العواطف والميول والعادات أو لعله أقدر من غيره على رسم التجارب التي يعانها غيره من سائر الناس بعد أن يكون قد استجاب لها وفكر فيها لذلك

(٨) انظر : ثورة الادب . د . محمد حسين هيكل ، ص ٤٦ - ٤٧ .

لابد ان تكون افكار الشاعر ومواهبه حصيلة ممارسة ودراسة وخلاصة تجارب المجتمع الذي يعيش فيه .

وليس من الضرورة القاسرة أن يكون الشاعر مستوعبا كل ما يشعر به غيره ، لان الاستيعاب عمل صعب في غاية الصعوبة ان لم تقل انه مستحيل جدا . بل المهم أن يكون الشاعر قد ادرك الكثير من مناحي الفكر والثقافة واللغة والعادات والتقاليد التي تميز بها عصره ومجتمعه وأن يكون في فنه جزءاً من ذلك العصر وذلك المجتمع فيعبر باللغة المألوفة في مفرداتها وقواعدها واساليبها ويصور النزعات والعواطف التي يتفاعل معها معاصروه ويتجنب من ذلك كله ما يستهجنونه ويعدونه غريباً أو بعيداً عنهم .

فالتجديد في الادب - شعرا أو نثرا - انما يكون اذا اعتمد على حصيلة غير قليلة من الثقافة والموهبة والتجربة بحيث يكون ذا أثر قوي فعال يعبر عن عصره تعبيراً صادقا ، ويصف نوازع المجتمع الذي ينتمي اليه وصفا امينا ويراقب الاحداث مراقبة واعية فيسجلها دون اهتزاز واضطراب ثم تأتي صورته حافلة بالتجربة الحية والشكل المتموج والخيال المبدع وتكون قد استجابت لعواطف البيئة والعصر ورغائب المجتمع أيا كانت تلك العواطف والرغائب ، على ان اطلاقنا للعواطف والرغائب لا يعني اننا لا نؤمن بواقع معين ينظم الاعمال الادبية . ففني العصور والمجتمعات ضروب من التناقض ينبغي الحذر من انزلاق الفن فيها قبل الاطمئنان الى سلامة المنطلق . فكثير من الاعشاب السامة يختفي وراء الازهار العطرة .

١ - التجديد في القالب أو الاسلوب :

الادب الفاظ ذات معان ، ولا قيمة لها بغير معانيها^(٩) . واذا كانت اللغة مادة الاديب فان المعاني محتواها الذي لا ينشطر عنها ، لذلك يصعب التفريق بين الاثنين لانه تفريق بين المضمون والقالب ، ومنشأ الصعوبة في

(٩) نظرية الادب ، ص ٢٢٣ . وانظر في هذا المعنى : النقد الادبي - أصوله ومناهجه - لسيد قطب ، ص ٢٢ .

التفريق أن العمل الادبي وحدة لا تتجزأ ، وأن الالهام يعني هبوط العبارة على الفنان بمعناها ومبناها دون ما تفريق^(١٠) .

وقد ذهب (فلوير) الى ابعاد من ذلك فقال : « القلب الجميل فكرة جسيمة والا فما القلب الذي لا يعني شيئا ؟ »^(١١)

فالفصل بين الشكل والمضمون كالفصل بين شيئين مترابطين ترابطا عضويا يتنفس أحدهما بتنفس الآخر ، غير ان هذا الاعتقاد مهما حمل من قوة لا ينبغي أن يحول بين العمل الادبي وبين دراسته دراسة تتناول اجزاءه التي أسهمت في بنائه والعناصر التي كوئته فان القلب أو ما نسميه بالهيكل أو الاسلوب الذي يختاره الشاعر - مثلا - لعرض الموضوع قد عنى به نقاد العرب القدماء . فقد بحثوا في اللفظة والعبارة والوزن ، واشترطوا في الشعر القويم سلامة التعبير الى جانب صحة المعنى واستقامته^(١٢) .

والاسلوب منذ القدم كان يلحظ في معناه ناحية شكلية خاصة هي طريقة الاداء أو طريقة التعبير التي يسلكها الاديب ليصور ما في نفسه أو ينقله الى من سواه بهذه العبارات اللغوية^(١٣) . لان الادب بعناصره - الفكرة والعاطفة والخيال والاسلوب - مجموعة تلتقي في التجربة وتتراوح فتكون منها الصورة التي تجمع بين قوة العاطفة وقوة الاداء وهذا يعني أن في الشعر عنصرا مهما الى جانب العناصر الاخرى لعله أهمها في البناء الادبي ، ونعني بهذا العنصر الاسلوب أو القلب الذي تصب فيه التجربة الشعورية ، وهذا القلب هو مجموعة اللفاظ وانسجامها والوزن المناسب لعرض الفكرة ، وطرق التصوير والتلوين ، وهو أيضا : تقسيم القصيدة الى مطلع

(١٠) النقد الجمالي واثره في النقد العربي ص ٨٣ .

(١١) المصدر نفسه والصفحة نفسها الهامش (١) .

(١٢) انظر : أسس النقد الادبي عند العرب . الفصول ٦ و ٧ و ٨ . ط ٢ .

(١٣) انظر : الاسلوب ، ل احمد الشايب ، ص ٤٤ ط ٥ . وانظر بعض الملاحظات

في « الادب المقارن » د . محمد غنيمي هلال ص ٢٨٣ ط ٥ .

وذروة وخاتمة ، وهو تناسق الصور وتماسكها وازدحامها وتنوعها وتطورها
نحو الختام» (١٤) .

فلا بد اذن للقالب الشعري من اللفظ الموقع والنغم المثير والموسيقى
التي تنتظم التجربة بايقاعاتها المختلفة وحروفها التي تأتلف منها المفردات ،
نفسها والتفاعيل والقوافي التي يأتلف بها النغم ويتدافع .

واذا كانت الفنية الجمالية ليست احتكارا في العمل الشعري وحده
فأن القالب الذي يتميز به الشعر لابد أن يكون خاضعا لتلك الموسيقى
الحافلة باللفظ الموحى والوزن والقافية لتكون المقاطع مناسبة للنغم والايقاع
الى جانب المفردات التي « يجب أن تكون متخيرة غير مبتذلة ، وأن تدل
بجرسها وبمعناها على ما تصور من اصوات وألوان أو نزعات نفسية » (١٥) .

والتألف والانسجام لا يرجعان الى الكلمة ذاتها أو العبارة نفسها وانما
يرجعان الى وضعها في موضعها اللائق بين اخواتها ليتم التجانس والانسجام
في انسياب موسيقي رتيب .

وليس من الحتمية القاسرة أن يقف القالب عند الحدود التي رسمها
القدماء وفي حشد المفردات والمقاطع خلال وزن رتيب لا محيد عنه فلربما كان
ذلك تقليدا لا يمت الى الفنية بصلة وليس فيه شيء من الابداع والتجديد ،
بل هو أشبه شيء بالمنظر الواحد الذي قد تمججه النفس ثم لا تحفل به بعد أن
كانت تديم النظر اليه (١٦) .

ان التقليد والمحاكاة في الاسلوب لا يمثلان سوى ارتداء قناع يختفي
وراءه الاديب فلا يتبين ملامح وجهه من يستطيع أن يسمعه (١٧) .

(١٤) النقد الجمالي - المصدر السابق - ص ٨٣ .

(١٥) الاسلوب - لاحمد الشايب . ص ٦٧ .

(١٦) انظر دراسات في علم النفس الادبي ، ص ٩٢ .

(١٧) فن الادب ، من مختارات شو بنهاور ، تعريب : شفيق مقار ٥٣ .

وإذا كان الشعر ليس بتقليد بقدر ما هو صدى للقلوب والنفوس والطبائع جميعا^(١٨) ، فإنه لا بد أن تنتقل فيه الكلمة والعبارة والوزن من ذلك الإطار التقليدي الى ميدان التجربة الحية المتطورة سواء أكان الوزن مما وضعه الخليل أم كان مما جد واستحدث ، وسواء أكان ذلك في شكل قصيدة أم كان في شكل آخر من الاشكال الادبية التي تعبر عن التجربة .

ان الالفاظ الجيدة والعبارات والاوزان كلها يصلح لعمل قصيدة أو شبهها ، ولكن التجديد ان يكون الاديب قادرا على استخدام هاتيك في مكانها المناسب لرسم الصورة وعلى تطويعها واخضاعها لغرضه بحيث تصور التجربة تصويرا حيا وتؤثر في السامع أو القاريء فتدفعه الى الاستيحاء والتأمل .

ولا يكون الاسلوب كاملا الا اذا استطاع أن يصور الافكار والعواطف تصويرا موحيا ولا يكون جميلا الا بقدر ما يعبر عنه من فكر جميل لان :
« الاسلوب يكتسب جماله من الفكر الذي يعبر عنه »^(١٩) .

فاذا لم تكن الالفاظ قوية التعبير ولم تصلح لان تعبر عن التجارب وتصورها بصورة واضحة استحال على الاديب المنشيء نفسه ان يتمثل تلك التجارب ويصورها في ذهنه^(٢٠) .

وما دما نعيش في عصر يختلف عن العصور السابقة في كثير من نواحي التفكير والحياة العامة فلا بد أن يكون ادبنا ، ولا سيما الشعر صورة صادقة لما تفكر فيه ونحسه ، ولا يكون هذا الشعر صورة صادقة الا اذا استطاع أن يوفق بين الشكل والمضمون توفيقا تاما ، فاذا استطاع الشاعر أن يخضع الموسيقى اللفظية بما فيها الكلمة والعبارة والوزن وما يتخلل ذلك من التشبيهات والاستعارات وغيرها الى تجربته وانفعاله وأن يتأثر بمجتمعه فيعبر

(١٨) انظر : من ادبنا المعاصر ، د . طه حسين ، ص ٣٥ ط ١ .

(١٩) فن الادب ، المصدر السابق ، ص ٧١ . وانظر : فلسفة الالتزام في النقد الادبي ص ٤٢ .

(٢٠) انظر : قواعد النقد الادبي ص ٣٥ - ٣٦ . ترجمة د. محمد عوض محمد .

عن عواطفه وانفعالاته وأفكاره ويؤثر فيه فيستجيب لفنه وتصويره فذلك هو معنى التجديد في القلب ، بل في طريقة التعبير بكل خصائصها .

٢ - التجديد في المعاني :

قلنا فيما سبق أن الفصل بين الفكرة واللفظ أو المضمون والشكل ، كالفصل بين عضوين مترابطين ، فالشعر لا يقال له شعر الا بالالفاظ الدالة المريحة التي تهبط على الشاعر بمعانيها . وهو انفعال ينتقل بجملته لا بأجزائه فمتى كان الشاعر قادرا على استخدام اللفظة وتطويعها كان قادرا على تأدية المعنى وتصوير التجربة ، غير ان ذلك لا يمنع من تفسير ظاهرة المعنى لان الالفاظ ما هي الا رموز تستخدم للتعبير عما يحس به الانسان فلا بد ان تكون بين اللفظ والمعنى علاقة الدال والمدلول . واذا كانت هذه العلاقة حقيقية في أصل الوضع فأن لها أشكالا في مجال التصور والتخيل نشأ عنها المصطلح المعروف عند اللغويين بالمجاز أو الاشتراك وهو أن يهب الاديب اللفظة معنى آخر لا تعجز عن تأديته والرمز اليه ، وهذا العمل الذي ينهض به الاديب يتوقف على مقدار ثقافته اللغوية ومدى اتصاله الفكري بالمفردات الادبية ومعانيها ، على أن لادراكه الحسي أثرا في هذه العملية لا يقل عما سبق . هذا في حدود ما تنطبق عليه المفردة وتؤديه من وظيفة لغوية في الاطار العام والشكل البنائي . اما في حدود التفسير للمعنى فإنه تجربة وانفعال بتلك التجربة . فيجب أن يكون غزيرا فياضا ودقيقا واضحا وأن يكون صحيحا لا خذلا فيه من ناحية واقع الحياة أو واقع التأريخ فلا يخرج عما ألفه العصر والمجتمع الا حين يرى الخروج لفائدة العصر والمجتمع .

المعنى هو ذلك المعنى المعاصر ، سواء أكان قديماً أم مستحدثاً فان الكثير من المعاني القديمة ما زال يحتفظ بمكائنه في النفوس ويؤثر فيها . واذا كانت المعاني « مما اشترك الناس في معرفته وكان مستقرا في العقول والعادات ... » وفي حكم الغرائز المركوزة في النفوس (٢١) . فأن تناولها

(٢١) اسرار البلاغة ص ٣٨٥ .

في أكثر من تعبير واحد وعند أكثر من شاعر واحد وفي عصور مختلفة لا يحط من قيمتها في النفوس غير ان استجابتها تختلف من شاعر الى آخر ، وأهميتها تختلف باختلاف العصور وتطورها ، فهي من حيث التعبير يمكن أن تؤدي وظيفتها التامة في عمل أدبي لا تؤديها في غيره ، ذلك ان التعبير هو الذي يساعد على تركيز المعنى وقوته في التجربة •

ومي - أي المعاني - من حيث ارتباطها بالعصر والمجتمع قادرة على أن تصعد الى القمة متى كانت تعبيراً صادقا عن العواطف التي تعيش معها فان لم تكن كذلك فمكانها الوديان والسفوح ، ولا أهمية لها • ان الذي خلد قول المتنبي :

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدى
قوة العرض واستحكام الاداء في حين أنه اخذ هذا المعنى بكثير من اطاره
اللفظي من قول الشاعر القديم :

فأني امرؤ عودت نفسي عادة وكل امرئ جار على ما تعودا (٢٢)
غير أن المتنبي منح هذا المعنى من طاقته الشعرية ومن أسلوبه المؤثر
ما لم يمنحه الشاعر القديم •

لذلك يصح القول : ان التجديد في المعاني لا يقف عند حدود العصر
وما جد فيه من تطور بل يمكن ان يستعين الشاعر بالمعاني القديمة ايضا متى
كانت ملائمة لروح العصر وميوله ورغباته على أن توهب حياة جديدة فيها
حركة وقوة وأن تعرض في اطار متوهج يمد أشعته الى أعماق النفوس
والقلوب •

ان الشاعر الملهم قادر على استخراج القضايا والمواقف القديمة التي
نسيها الناس أو لم يكثرثوا بها ، ثم هو بعد ذلك قادر على أن يزيل عنها
الغبار ويعيد اليها الحركة والحياة ، ويمنحها روح المعاصرة والمواكبة •

(٢٢) من أبيات رويت ليزيد بن الجهم الهلالي ولحميد بن ثور • انظر حماسة
ابي تمام ٣١٩/٢ ط ٢ ، مطبعة محمد علي صبيح •

ومظاهر التجديد في المعاني ثلاثة :

أ - جديد يخالف ما سبق ، وهو أن يأتي الشاعر بمعنى لم يسبق اليه فيضيف به شيئاً جديداً الى المعاني المتداولة ، وقد سموا هذا النوع من التجديد بالاختراع أو الابتكار وأشادوا بالمخترعين من الشعراء^(٢٣) ، وعدوا منهم في القديم بشارا وأبا نواس ، وكان ابن الرومي عندهم أكثر الشعراء اختراعاً^(٢٤) .

ب - توليد مما سبق ، وهو أن يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعر تقدمه أو يزيد فيه زيادة ملحوظة دون أن يستعين بالفاظه وعباراته أو أن يشركه في شيء من ذلك أو ينحو نحوه الا في الفكرة^(٢٥) .

ج - التحوير أو الابداع ، وهو أن يأخذ الشاعر معنى قديماً أو مطروقاً فيديره في ذهنه ويحرر فيه حتى يظهره في هيئة جديدة كأنها تخالف الهيئة القديمة^(٢٦) ويعرضه في اسلوب جديد وعبرة لم يسبق اليها^(٢٧) في صياغة تتصل بذلك المعنى لان من غير الممكن عقلاً أن يخترع الشاعر عبارة ، ولكن من الممكن أن يخترع صياغة وتأليفاً .

« فاذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه ... أو زيادة فيما اجحف فيه غيره من المعاني أو نقص مما اطاله سواء من الالفاظ كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة ، ولم يكن له الا فضل الوزن وليس بفضل مع التقصير^(٢٨) » . بل لم يكن الا سارقاً من غيره .

(٢٣) انظر العمدة ٢٦٢/١ - ٢٦٣ .

(٢٤) المصدر نفسه ٢٤٤/٢ .

(٢٥) انظر العمدة ٢٦٣/١ ، وأسس النقد الادبي عند العرب ٣٨٢ - ٣٨٣ .

(٢٦) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ٢٩٦ ط ٤ .

(٢٧) أسس النقد الادبي - المصدر السابق ٣٨٣ .

(٢٨) العمدة ١١٦/١ .

وسواء أكان الشاعر مخترعا أم مولدا أم محسّورا لا يستطيع أن ينهض
بالفكرة ما لم ينهض بها الابداع اللفظي ، فكثير من الوقائع والحوادث
معروف لدى الناس . ولكن الشاعر المجدد هو الذي يعبر عنها تعبيراً يجعلها
كأنها جديدة وإن كانت من المعاني التي اشترك فيها غير واحد من الشعراء وهو
ما يسمى (توارد خاطر) ، وذلك أن تمر فكرة واحدة أو معنى واحد على
خاطرين في وقت واحد ويعبرا عنها تعبيراً واحداً أو متشابهاً (٢٩) .

إن المعاني ليست إلا أفكاراً عامة يشترك فيها كثير من الناس ، وإنما
تصير شعراً حين يعرضها الشاعر عرضاً ينقلها من المعرفة إلى التأثير بالمعرفة (٣٠)
و (صاحب الذوق الخالق المحي هو الذي ينقل اليك احساسه بالشيء
القديم الموجود بين جميع الناس فإذا بك كأنك تحسه أول مرة لما اودعه فيه من
شعور وما اضفاه عليه من طرافة) (٣١) .

٣ - التجديد في الموضوعات :

عرف الشعر العربي في قديمه بتناوله الأغراض التي ألقتها البيئة العربية
واقترضتها الحياة في بساطتها والفكر في إطار البدانة التي لم تتخط حدود
الطبيعة المحسوسة إلا في القليل النادر . وقد أخذت تلك الأغراض تشق
طريقها في الشعر العربي متخيلة مدلة بنفسها حتى العصور المتأخرة ، غير أنها
تعرضت في بعض أنواعها إلى الضعف أو إلى ما يشبه الضعف كشعر المدح
المطلق والحماسة والهجاء وبقي الكثير منها مصدر الاعتراف كما اضيف إليها
كثير من الموضوعات والأغراض التي عرفها العصر العباسي كالغزل بالذكر
وشعر الزهد والخمر والمجون وغيرها . وبعضها قد حدث له تطور ملحوظ
كالغزل وشعر السياسة ووصف الطبيعة في ظل الحضارة .

(٢٩) شياطين الشعراء ، د . عبدالرازق حميدة ص ٣٠ .

(٣٠) في الادب الحديث ٢/٢٤٩ . ط ٢ .

(٣١) شعراء مصر وبيئاتهم ، للعقاد ص ١٦٨ ط ٣ .

ومعنى ذلك ان قانون التطور يحدث أثره في الاغراض والموضوعات كما يحدث أثره في المعاني والاخيلة • فحاجة المجتمع والعصر هي التي تملي وتقرر ، وهي التي تدفع الادب الى الاخذ بما يلائم طبيعة العصر والمجتمع لان الادب تعبير عن شعور الانسان واحاسيسه وأفكاره ، ولان النهضة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لا تستغني عنه في تصويرها وتسجيل حوادثها (٣٢) •

واذا كان شأنه كذلك فلا بد أن يكون في موضوعاته واغراضه مرآة لتطور المجتمع والعصر فلا يتناول منها الا ما ينسجم ويثر ويؤثر ويستجيب له العصر والمجتمع أيا كان ذلك الموضوع مدحا أو رثاء أو غزلا أو سياسة أو وصفا •

ان كل شيء صالح لان يكون مادة للادب بشرط ان يتناوله الاديب بوصفه تجربة يحسها لاجل ذاتها (٣٣) ويعبر عنها تعبيرا ملائما وينقلها بصورة أمينة •

والشاعر الذي امتزج بعصره وسائر ثقافته وتطوره يستطيع ان يتأمل ويفكر ويميز بين ما يصلح وما لا يصلح من الموضوعات والاغراض سواء أكان ذلك في حدود ذاته ونفسه أم في اطار مجتمعه • ان كل شيء في الحياة يصلح لان يكون موضوعا للشعر ولكن التجديد في ذلك الموضوع انما يكون حين يخلع عليه الشاعر احساسه ووعيه وتصوره (٣٤) • فان لم يكن للشاعر احساس يمتاز به ويصور لنا الحياة على صورة تناسب ذلك الاحساس فانه ناقل وصانع ونظمه تنميق وصناعة (٣٥) •

(٣٢) أنظر : اصول النقد الادبي - للشايب ، ص ٨٠ - ٨١ •

(٣٣) قواعد النقد الادبي - ، ص ٣٢ •

(٣٤) مقدمة (عابر سبيل) للعقاد ص ٤ - ٥ •

(٣٥) شعراء مصر وبيئاتهم ١٣٦ ط ٣ •

ومن هذا يتضح لنا ان الشعر لا يتقيد بموضوعات خاصة تقليدية لان موضوع الادب - والشعر منه - هو العصر والحياة أو هو المجتمع بتعبير ادق . والشاعر الموهوب هو الذي يختار ما يلائم عصره ومجتمعه وبيئته ، فقد يكون الموضوع حادثة معاصرة يستوحىها ويعبر عنها ، وقد يكون من التراث القديم ، والتراث القديم خزانة ضخمة لا تزال - وستبقى - مصدر ثراء من مصادر الالهام التي يلجأ اليها الادباء والفنانون في كثير من الاعمال الادبية والفنية . ولكن أي عمل يستلهم من ذلك المصدر الثر أو يستلهم من تلك الخزانة الضخمة لا يكون جديدا الا بما يسبغه عليه الاديب أو الفنان من سمات المعاصرة .

واذ اقتصرنا حديثنا على موضوع الشعر فبالامكان القول ان الشاعر يستطيع أن يتكئ على القديم فيأخذ منه ما يمكن أن يكون صالحا لمبحث جديد فيساير العصر بما يثير في النفوس من عواطف ونوازع تمت الى عصره . ان الشاعر حر في اختيار الموضوع حقيرا كان أو جليلا ، فراشة أو زهرة ، نسرا أو غابة ، قطرة ماء أو بحرا ، كوخا أو قصرا ، ناقة أو سيّارة ، زورقا أو باخرة ، ذرة رمل أو جبلا ، مسرب نمل أو كونا واسعا ، فلاحا أو عاملا ، جنديا أو قائدا . له كل ذلك وغيره ، ولكن بشرط ان يؤدي ما يختار تأدية فنية فيها استجابة وتأثير ، وفيها معاصرة وتأثير .

فالتجديد في الموضوع لا يعني أن يكون الموضوع مستجدنا طريفا لم يعرفه الناس من قبل ، بل يعني أن يكون متساوقا مع طبيعة الفن ورسالته مطردا مع احيائية الشعر وتعبيره ، يسمعه الناس أو يقرأونه وكأنه شيء جديد لا عهد لهم به ، ويستجيبون لروعة الفنية قبل أن يستأثر بهم غرضه واتجاهه .

٤ - التجديد في الصورة والخيال :

الشعر كالموسيقى ، فيه الترجيع والايقاع فهو انما يثير بما فيه من نغم منتظم ناشيء عن اوزانه وقوافيه وتوالي مقاطعه التي تتكرر بصورة رتيبة

وبانسجام الاصوات ودلالاتها على المعاني برنينها ووقعها ، وبهذه الموسيقى التي يندفع بها الشعر تنفعل النفوس وتتأثر القلوب والعقول (٣٦) .

ولكن الاتفعال لا يحدث لمجرد الموسيقى التي تعتمد على الوزن والقافية وجرس الالفاظ والحروف ان لم تتدافع هذه الموسيقى زاخرة بالمعنى والصورة والخيال والعاطفة المثيرة . فان من أهم خصائص الشعر ان تصب معانيه في صور يعمل فيها الخيال جهده ويتموج فيها الشعور المثير أيا كان الموضوع الذي ترسمه وتصوره وتلوّنه .

لابد للشعر من تلك الصور التي تعتمد على ما يحسه الشاعر ويتخيله ، وليست الصور التي تعتمد على الحقائق المجردة كما هي وانما ينبغي ان تنبض بالحركة والحياة بما يتخللها من تشبيه واستعارة وتمثيل وبما يشيع فيها من الوان واصوات منسجمة وان لم تتقيد بالاصل الذي استوحته وبالحقيقة التي رسمتها لان الشعر فن ايحائي يمتاز بقوة الايحاء وذلك بما يتضمن من معنى خفي الى جانب المعنى الظاهر بحيث تثير الصورة الواحدة صوراً وعواطف وأفكاراً أخرى (٣٧) غير الافكار التي احتوتها التجربة في ظواهر الالوان والخطوط البارزة .

والصورة التي يرسمها خيال الشاعر في الاطار اللفظي قد تنقل الينا الفكرة التي افعل بها ، كما تنقل الينا اشعاله بالذات ، فهي من القصيدة شخصيتها التي كونتها تلك المجموعة من الالفاظ المنسقة وهي التي تنقل الينا الشعور والفكرة .

ويتوقف عرض الصورة في اطارها المناسب على مقدار احساس الشاعر وتخيله لان الاحساس مصدر العمليات لادراك الاشياء ، وللادراك أثر كبير في الانتاج الادبي فاذا كان قويا واضحا استطاع الاديب أن يصف ما يحس وصفا دقيقا معبرا عن الواقع (٣٨) .

(٣٦) انظر موسيقى الشعر - د . ابراهيم انيس - ص ١٣ ط ٤ .

(٣٧) انظر - النقد الجمالي - ص ٩٥ - ٩٧ .

(٣٨) انظر - دراسة في علم النفس الادبي - ص ٣١ - ٣٢ .

وعن الادراك ينشأ التصور فيستحضر ما قد يغيب عن الحواس ثم تأتي العملية الثالثة وهي عملية التخيل الذي يتم به استحضار صور لم يسبق ادراكها في جملتها حسياً^(٣٩) . ولا يكون ذلك الا حين يهب الشاعر ما ادركه حسياً معنى لا تدل عليه طبيعة المحسوس وانما تخليه وانتزعه من نفسه فأضافه الى المعنى المألوف .

ولا يكون الشاعر دقيق الوصف والتصوير الا بمقدار ما لديه من دقة في التخيل ولا بد أن تكون الصور التي يستحضرها التخيل جديدة^(٤٠) ، وأن يكون التركيب والتأليف بين العناصر المألوفة قابلاً لأن يؤدي عن طريق التخيل الى استخراج صورة قد تكون غير مألوفة ، أو انها ليست مما تنهض به المحسوسات لو تركت على ما تؤديه من معان وصور .

فالخيال اذن اساس الصورة الادبية مهما تكن درجته الفنية^(٤١) ، ومهما بلغ به صاحبه من السمو أو التفاهة .

واذا كان التخيل أساس الصورة الادبية فإن للعاطفة شأنًا مهما في تكوين الخيال الذي ينسق الصورة ويعرضها في أسلوبها المعبر فقد تكون العاطفة هادئة عابرة ، وقد تكون عميقة التأثير ويستتبع الهدوء والتأثر اختيار الالفاظ والتعابير المناسبة لكلتا العاطفتين ففي الاولى تكون الصورة قد أدت بالفاظ وعبارات سهلة في حين تحتاج الثانية الى الجزالة والقوة والى التمثيل والكنايات وغيرها .

وقد تختلف الصورة التي تعبر عن العاطفة الواحدة فتكون عند هذا الشاعر غيرها عند الآخر ان العاطفة نفسها تختلف باختلاف الشعراء ، ولان الشعراء أنفسهم ليسوا على مستوى واحد من التخيل « فالخيال موهبة تتباين قوة وضعفاً وضيقاً واتساعاً لدى الأدباء »^(٤٢) .

(٣٩) المصدر نفسه ، ص ٣٣ .

(٤٠) المصدر السابق ، ص ٣٤ .

(٤١) اصول النقد الادبي ص ٢٤٣ ط ٥ .

(٤٢) في الادب الحديث ٢/٢٥٢ .

والشاعر الملهم هو الذي يسو خياله الى ادراك الاشياء وما فيها من معان وأسرار ثم يجسدها ويؤلف منها صوراً تثير في النفوس ما أثارته في نفس الشاعر . وبمقدار موهبة الشاعر وقدرته واستيعابه ثقافة عصره ومناحي تفكيره يكون تطور الصورة والخيال عنده .

فالتجديد في الصورة انما يكون في حيويتها المثيرة وفيما تنقله من عواطف ومشاعر وانفعالات صادقة لانها ليست مجرد رصف وحشد ، وانما هي في الغالب الاداة التعبيرية التي لا يقف القارئ أو السامع عند معناها المحدود ، بل يستتبع ذلك ما يثيره المعنى من معانٍ أخرى وبما يترك من مجال الاستنتاج والتفكير . فهي دليل موهبة الشاعر ومدى تجربته ووعيه ، فلا ينبغي أن تقف الصورة عند الرسوم والاشكال التي القناها في الشعر القديم فلكل عصر شعور وتجارب فلا بد أن تكون الصورة — بخيالها وعاطفتها وأدائها — حافلة بتجارب العصر وشعوره (لا التي طال عليها الامد وابتذلها الاستخدام لانها هي قيمة الشعر الفنية الجمالية التي يحسها من يقرأ ويدرك اسرارها من يستمع اليها من الادباء) (٤٣) .

ولا ينبغي للخيال كذلك أن يجمد على العواطف السقيمة المصطنعة التي تبقيه هزيعاً لا يبي ولا ينشيء صورة حية ، وانما ينبغي ان يكون اثر الخيال واضحاً فيما يتكرر من شخصيات قوية وما يصور من مشاهد توحى بالعواطف والانفعالات وتدفع الى التأمل والاستجابة .

ومما لا شك فيه ان أثر الخيال في الابتكار والتصوير أثر بارز لا ينكر في الآداب العالمية .

واذا كانت الصورة الادبية هي اللغة والخيال أو هي العبارة الخارجية للاحساس النفسي والاستبطان الشعوري فأن عليها أن تنقل الفكرة والعاطفة بأمانة ودقة وأن يكون بينها وبين ما تصور من عواطف وانفعالات تناسب وتساوق وان تؤثر في النفوس تأثيراً فيه استجابة وتأمل وانفعال .

(٤٣) دراسات في علم النفس الادبي ، ص ١٣٤ .

هـ - عنصر الحرية في التجربة :

الحرية في الفن - أدبا أو غير أدب - نوعان : حرية تتصل بالفن نفسه ، ويقصدون بها تحرره من قيود المنفعة سوى اللذة الجمالية ولا غاية له سواها . ولعل هذا تابع من منطلق النظرة الجمالية التي تبعد الفن عن الالتزام لانها (تريد تحرير الفن من كل قيد خارجي يعوق فنية العمل الفني) (٤٤) . أي ان العمل الفني لا ينبغي ان يرتبط - عند هؤلاء - بأي مقياس اجتماعي . ومعنى هذا أن الابداع الفني مسألة ذهنية ليس لها أية غاية ، وقد تكون - وكثيرا ما تكون - منفصلة عن الواقع . هذه المقولة هي التي نادى بها (كانت) وبنائها على اساس فكرة الجمال المطلق الحر (٤٥) .

وهي نظرية نسوقها هنا من غير أن نؤثرها أو نؤثر كل اجزائها وابعادها لانها قوبلت بكثير من الردود .

اما الحرية التي ندعو اليها هنا فهي حرية الفنان نفسه ، حين يشعر ويفكر وينتج سواء أكان كاتباً أم شاعراً أم كان غير هذين ، فنبعد عنه اشباح المؤثرات التي تبعثر الاخيلة والصور وتشتت الافكار وتعوق عملية الانتاج أي : أننا نبعد عنه أي تأثير خارجي فيه اكراه وقسر أو فيه عنت وتخويف ، ولكننا لا نتركه ينطلق مع حرية الفن على طريقة (كانت) ، بل ينبغي أن يكفل المجتمع حريته في إطار المجتمع نفسه وبمقدار علاقة الاديب بذلك المجتمع . ان حرية الاديب فكرة تبنّاها كثير من الادباء ومنهم الدكتور طه حسين . فقد قال :

« وأول ما ينبغي أن تكفله الجماعة المتحضرة للاديب هو الحرية ، وأريد الحرية الحرة التي يأمن معها الفوائل ولا يتعرض معها لشر أو هوان... وربما كانت الحكومات في هذا العصر أقل خطراً على حرية الادباء والفلاسفة وأصحاب الفكر من الجماعات » (٤٦) .

(٤٤) فلسفة الالتزام في النقد الادبي ، ص ٣٥ .

(٤٥) المصدر السابق ص ٣٤ .

(٤٦) المجموعة الكاملة - المجلد ١١ / ٦٠٤ - ٦٠٥ . بيروت ، دار الكتاب اللبناني .

ان تلك النظريات التي عرضناها في تفسير معنى التجديد يتوقف مدى تحقيقها لدى الاديب والشاعر أو أي فنان على مدى الحرية التي يجدها كل واحد من هؤلاء ، فبدون الحرية في الحياة والفكر لا ينشأ تجديد في الادب بكل ابعاد التجديد . حقا قد ينشيء الحرمان والاضطهاد ادبا عاليا ولكن هذا الادب قد يكون ذاتيا لا يمثل الا صاحبه .

خاتمة البحث :

قلنا في بداية البحث اننا نترك جانب التطبيق لان فيه اطالة في الدراسة، وتقييدا بنماذج معينة قد يفضل عليها القاريء أو الدارس نماذج اخرى لها علاقة بذوقه وميله الفني .

ولكننا نود في هذه الخاتمة القصيرة ان نشير بايجاز الى مدى التطور الذي حدث في الادب العربي حين نعرضه على تلك الاسس . ولكي نربط بين الاسس التي وضعناها للتجديد وبين عصور الادب العربي ، نقول : ان قوالب الشعر ومعانيه وموضوعاته وصوره واخيلته لم تبق على نسق واحد فقد حدث لبعضها تطور واسع نتيجة لتطور المجتمع حضارة وثقافة فبرزت قوالب جديدة في العصر العباسي ومجر الكثير من القوالب التي عرفت في العصر الجاهلي وما بعده بقليل وتركت الفاظ كثيرة كانت شائعة في الشعر الجاهلي ولم يبق لها مكان في عصر الحضارة والتطور الفكري . واستحدثت معان جديدة واكب فيها الشعراء ما جد في حياتهم وما طرأ من ثقافة وعلوم وفلسفة . وتطورت الموضوعات القديمة واستحدثت موضوعات جديدة في الغزل والخمر والمجون والاخوانيات والحكم وفي السياسة ايضا . أما الصور والاخيلة ، فانها انتقلت من البساطة الصحراوية الى التأمل والعمق تبعا لعشق الافكار والمعاني ، حتى كاد الشعر ينتقل من غموض المفردات ووحشيتها الى التعقيد وتشابك المعاني بحيث يصعب حلها وتفسيرها على غير المطلعين على دخائل النفوس وقضايا الفكر والمجتمع .

ولقد كان الخيال الذي ترتبط به الصورة أوثق الارتباط متنوعا غير محدود عند العرب فأنهم قفزوا به الى اصطناع المستحيل في كثير من المواضع حتى في العصر الجاهلي فقد أنطقوا الحيوانات وأجروا على سنتها الحوار وأنطقوا الجماد والاشجار والسيوف والقللم ، وابتكروا الشخصيات التي لا وجود لها في دنيا الحقيقة ، وضم بهذا وذلك قد استخدموا الخيال المسكن والمستحيل على السواء . فابتكار الشخصيات والحديث اليها عمل ممكن الوجود . أما انطاق الحيوان والجماد فهو من المستحيل ، ولعل في قصص الحيوان وفي المقامات وسيرة عنترة وألف ليلة وليلة غزارة وفيضا من النماذج التي تمثل ألوان الخيال عند العرب ومدى صلة تلك الألوان بالخلق والابداع وبالتجديد في الادب شعرا ونثرا .

مراجع البحث

- الادب المقارن - د . محمد غنيمي هلال - بيروت - دار العودة ودار الثقافة ط ٥ .
اسرار البلاغة - عبدالقاهر الجرجاني - القاهرة - مطبعة الاستقامة د - ت .
اسس النقد الادبي عند العرب - د . احمد محمد بدوي ط ١ . القاهرة ، مطبعة الرسالة ١٩٦٠ م .
الاسلوب - احمد الشايب - ط ٥ . القاهرة ، مطبعة السعادة - د - ت :
اصول النقد الادبي - احمد الشايب . القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٥٥ م ط ٥ .
تيارات ادبية - د . ابراهيم سلامة . القاهرة - مطبعة احمد مخيمر ١٩٥١ - ١٩٥٢ م .
ثورة الادب - د . محمد حسين هيكل . القاهرة - مطبعة السنة المحمدية ١٩٦٥ م ط ٣ .
الحيوان - للجاحظ ج ٣ ط ٢ . تحقيق عبدالسلام محمد هارون . القاهرة - مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٦٩ م .
دراسات في علم النفس الادبي - حامد عبدالقادر . القاهرة ، المطبعة النموذجية د - ت .

- شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي - عباس محمود العقاد . القاهرة ، مطبعة
لجنة البيان العربي ١٩٦٥ م ط ٣ .
- شياطين الشعراء - د . عبدالرازق حميدة . القاهرة ، مطبعة الرسالة .
- عابر سبيل - عباس محمود العقاد . القاهرة - مطبعة لجنة البيان العربي
١٩٦٥ م ط ٣ .
- العمدة - ابن رشيق القيرواني - تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد .
بيروت ، دار الجبل ١٩٧٢ م ط ٤ .
- فلسفة الالتزام في النقد الادبي - د . رجاء عبيد . القاهرة ، دار الثقافة للطباعة
والنشر ١٩٧٤ م .
- فن الادب - من مختارات شوبنهاور - تعريب شفيق عقار . القاهرة - الدار
القومية للطباعة والنشر .
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي - د . شوقي ضيف . القاهرة ، دار المعارف
١٩٦٠ م ط ٤ .
- في الادب الحديث - عمر الدسوقي . القاهرة ، مطبعة الرسالة ١٩٥٥ م ط ٢ .
- قواعد النقد الادبي - آسل ابر كرمبي - تعريب د . محمد عوض محمد .
القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٤ م .
- كتاب الصناعتين - لابي هلال العسكري . القاهرة ، دار احياء الكتب العربية
١٩٥٢ م ط ١ .
- المجموعة الكاملة - د . طه حسين ، المجلد ١١ . بيروت - دار الكتاب
البناني .
- من ادبنا المعاصر - د . طه حسين . القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ،
١٩٥٨ م ط ١ .
- موسيقى الشعر - د . ابراهيم انيس . القاهرة ، المطبعة الفنية الحديثة
١٩٧٢ م ط ٤ .
- نظرية الادب - اوستن وارين . ورينيه ويليك . تعريب محيي الدين صبحي .
بيروت مطبعة خالد الطرابلسي ١٩٧٢ م .
- النقد الادبي - اصوله ومناهجه - سيد قطب . القاهرة ، دار الفكر العربي
١٩٤٧ .
- النقد التحليلي - محمد احمد الغمراوي . القاهرة ، المطبعة السلفية ١٩٢٩ م .
- النقد الجمالي واثره في النقد العربي - روز غريب . بيروت ، دار العلم للملايين .
- الوساطة بين المتنبي وخصومه . القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ١٩٤٥ م ط ١ .

استخدام التصوير الجوي في اعداد الخرائط الطبوغرافية في العراق

الدكتور فلاح شاكر اسود
استاذ مساعد / قسم الجغرافيا
كلية الآداب

المقدمة

المسح الجوي علم يبحث في اعداد الخرائط باختلاف أنواعها ومقاييسها
من الصور الجوية وقد تعددت فروعها الى : -

١ - الفوتوكرامتري Aerial photogrammetry وهي القياسات على
الصور الجوية التي هي هندسة تحليلية صرفة .

٢ - تفسير الصور الجوية photo Interpretation لتعيين المعالم
المقاسة على الصور الجوية .

٣ - الملاحة الجوية Navigation وهي قيادة الطائرة الى المنطقة
المراد تصويرها بعد تحديد ارتفاع الطائرة واتجاهها الصحيح اثناء
الطيران .

٤ - التصوير الجوي Aerial photography وغرضه تمثيل اكبر عدد
ممكن من العوارض على الصور الجوية بوضوح وبأصغر عدد
ممكن من التصوير ، وبأقل عدد من نقاط الضبط الارضي ، وبأقل
عمل لآلات التحشية الارضية .

ولم يقتصر التصوير على الموجات في الضوء المرئي (٠٤٧ - ٠٦١) مايكرون بل تعدتها الى موجات اطول اخرى . فأشعة كاما استخدمت للكشف عن اليورانيوم ، والأشعة فوق البنفسجية تستخدم لغرض التنبؤات الجوية ، والأشعة فوق الحمراء تستخدم للبحث عن البراكين والحرائق في الغابات ، والرادار في معرفة جيولوجية الأرض ، والأمواج الأطول التي يبلغ طول الواحدة منها ١٠٠م في سير المنزلاقات الجليدية ومعرفة الأمطار والمياه الجوفية . والأمواج الطولى من هذه الى حد الأمواج الراديوية في الرصد الفلكي ومراقبة النجوم ، والأمواج المرتدة في تصوير قعر البحار . واستخدمت اجهزة في غاية الدقة ربطت بالأقمار الصناعية مع حاسبات الكترونية تبث المعلومات من هذه الأقمار الى المحطات الأرضية ، كما انها تستطيع التصوير اثناء الليل والنهار وفي الأجواء الجيدة والرديئة^(١) .

وفي دراستنا للصور الجوية واستعمالاتها في الجغرافية لابد ان نميز بين الصور التي تؤخذ من الطائرة وتلك التي تؤخذ من الأرض ، فالصور الأخيرة متوفرة في مجالات عديدة كالصحف والمجلات ولا يحتاج فهمها او ادراكها الى تدريب خاص ، ويصدق القول نفسه بالنسبة للصور التي تؤخذ من نافذة الطائرة ، أما الصور التي تؤخذ لأغراض علمية فانها تصور بألة التصوير الموجهة مباشرة نحو الأرض ، وتبين هذه الصور سطح الأرض ولكن بصورة غير شائعة ، اذ تبين سطح الأرض بشكل خارطة مصورة^(٢) .

لقد تميز التصوير الجوي عن طرق المساحة العادية بالميزات الآتية :

١ - اختصار الوقت كثيرا عن الوقت المستغرق في طرق المساحة الأرضية لاي منطقة .

(١) خالد هلال سرحان ، مبادئ المسح الجوي - مطبوع بالرويو ، بغداد ١٩٧٨ ص ١ - ٢ .

(٢) B.J. Garnier, pratical work in Geography, London 1966, p. 120.

٢ - الاقتصاد الكبير في التكاليف التي يتطلبها المسح الارضي وخصوصا في المناطق الوعرة والجبلية التي تنتشر فيها العوارض الطبيعية كالغابات والاهوار وغيرها .

٣ - الدقة التي نحصل عليها من التصوير الجوي ، وتصل بالنسبة للعوارض باستخدام الفلم ٢٠ مايكرون ، ولارتفاعات اني (٥) بالالف لكل ميل من ارتفاع الطائرة .

٤ - ملافاة الظروف الجوية السيئة كالبرودة القارصة في فصل الشتاء ، والحرارة الشديدة في فصل الصيف ، والرياح القوية ، التي يتعرض لها المساح بالحقل .

٥ - سهولة تصوير المناطق التي يصعب على المساح تصويرها او الوصول اليها كالقمم الجبلية ، والمناطق التي تغمرها المياه والاراضي الصحراوية الشاسعة وغيرها .

ويستفاد من المسح الجوي في اغراض عديدة تشمل اعداد الخرائط لمواقع الخزانات والسدود ، واعداد خرائط طبوغرافية بفترات كتنورية صغيرة جدا قد تصل الى اقل من ربع متر وله اهمية في العمليات الحربية اذ انها تزود الجيوش بخرائط مساحية يمكن بها معرفة تجمعات العدو ، ومواقعه وتخزين الذخائر والطائرات الرابضة في المطارات ومعرفة طبيعة الارض في المنطقة لتحديد الرماية وتحركات القوات وتنتائج الغارات الجوية (٣) .

كما يستفاد من المسح الجوي في تخطيط المشاريع الهندسية المختلفة التي تشمل (٤) :

(٣) الدكتور علي شكري - المساحة المستوية والتصويرية (مطبعة جامعة الاسكندرية ، الاسكندرية ١٩٦٠ ص ٢٠٨) .

(٤) محمد عبدالفتاح - المساحة الجوية كاسلوب حديث لتخطيط المشروعات الهندسية . منشورات المؤتمر الهندسي التاسع (١٣ - ١٨ كانون اول ١٩٦٤ ص ١١ - ١٩) .

أ - تخطيط الطرق وخطوط السكك الحديدية ، وخصوصا الطرق التي تمر من المناطق الجبلية والصحراوية والمزروعة ، وذلك بإجراء التخطيط الابتدائي والنهائي ، حيث تصور المنطقة بين طرفي الطريق لإجراء الدراسات الاستكشافية التي يحدد على ضوءها محاور الطريق ، ثم تصور هذه المحاور بمقياس اكبر للاختيار النهائي الذي يحقق انسب تخطيط اقتصادي للطريق ، ويتم هذا الاختيار على اساس التربة التي سينشأ عليها الطريق وانواع الصخور الموجودة لاجل تصميم اساس الطريق ومعرفة اماكن وجود مواد البناء من الصخور والحصى والاحجار القريبة من مكان العمل ودراسة الظواهر الطبوغرافية ومجري السيول التي تعترض الطريق لاجل تحديد الجسور والقنوات وتقدير التكاليف وحساب مكعبات الحفر والردم وتعميم المنشآت •

ب - تخطيط المدن : ويستفاد من الصور الجوية في شق الطرق وانشاء الميادين بأسرع الوسائل واكثرها اقتصادا ، وفي حالة التخطيط لمدينة جديدة فان الصور الجوية تنفرد بسهولة تحديد الكيفية التي تستغل بها الارض المختلفة واتجاه المدينة واختيار اماكن الاحياء المتجانسة وتخطيط شبكات المياه والمجري وتصميمها بتقدير اقطار انابيب المياه التي تمتد الى كل حي من هذه الاحياء المتجانسة كما يسهل معرفة عدد المنازل ومن ثم يعرف عدد السكان بكل كتلة سكنية • وبذلك يمكن تصميم شبكة تصريف المياه ، كما تستخدم الصور الجوية بنجاح كبير في اقامة شبكات الكهرباء وخصوصا في المناطق الجبلية •

ج - اختيار مواقع المطارات : حيث يستفاد من الصور الجوية في اختيار مدارج الهبوط وخصوصا اذا كانت المنطقة المحيطة بالمطار ذات طبيعة طبوغرافية غير منتظمة حيث يدرس مجال اقتراب الطائرة من المطار ، وابتعادها عنه في حالتي الهبوط والانطلاق •

د - اختيار مواقع الخزانات والسدود وتخطيط شبكات الري والصرف ،
وذلك بالاستفادة من الصور الجوية في معرفة طبوغرافية جوانب النهر ،
وحساب عرض النهر والمنطقة المحيطة به لحساب قدرة المنطقة على الخزن ،
كما يستفاد من التصوير في أعمال التخطيط الابتدائي للقنوات والمصارف
الرئيسية والفرعية لتسهيل عملية التخطيط في الاراضي المستوية ذات
المعالم الكثيرة مثل الاراضي الزراعية والقرى •

هـ - استصلاح الاراضي : وذلك بدراسة تصنيف التربة لمعرفة مدى صلاحيتها
لزراعة المحاصيل المختلفة ، وتحديد مساحات اكثر ملائمة لانواع
المحاصيل المختلفة اضافة الى تخطيط الترع والمصارف الرئيسية والفرعية •
ولكل صورة جوية مقياس رسم حسب الغرض من التصوير ، وهذا المقياس
هو النسبة بين البعد البؤري لآلة التصوير المستخدمة لهذا الغرض وبين الارتفاع
الذي اخذت منه الصورة •

وتشمل مقاييس الصور الجوية ما يأتي (٥) :

١ - مقاييس ١ : ٤٠٠٠٠ و ١ : ٥٠٠٠٠ وهو اصغر المقاييس ويستعمل في
اعداد الخرائط وفي الاستكشافات الجيولوجية واختيار مواقع طرق
المواصلات •

٢ - مقاييس ١ : ٢٥٠٠٠ وهو المقياس المتوسط والحد الادنى من المقاييس
المستعملة في التحليل المنفصل للاغراض الجيولوجية والتربة والجغرافية
والغابات •

٣ - مقياس ١ : ٢٠٠٠٠ وهو المقياس المتبع على نطاق واسع في تفسير
الصور الجوية للاغراض الزراعية التي لا تتطلب دقة عالية •

(٥) الدكتور عبدالكريم توما - المساحة المستوية والطبوغرافية ، مطبعة الزهراء ،
بغداد ١٩٧٥ ص ٣٢٢ •

٤ - مقياس ١ : ١٥٠٠٠ وهو مقياس واسع الانتشار يستعمل في اعداد الخرائط ذات المقياس المتوسط ، وفي التحليل التفصيلي الخاص بشؤون الجيولوجيا والتربة والغابات والمعالم الظاهرة على سطح الارض .

٥ - مقياس ١ : ١٠٠٠٠ وهو المقياس المستعمل في اعداد الخرائط الكبيرة المقياس وفي التحليل التفصيلي للغابات والجيولوجيا والمدن واختيار مواقع الطرق وشبكات الكهرباء .

٦ - مقياس ١ : ٥٠٠٠٠ وهو المقياس المستعمل في اعداد الخرائط والمخططات الهندسية والخرائط التفصيلية الاخرى الكبيرة المقياس ، وللتحليل التفصيلي لبعض المواقع ذات الاهمية الخاصة كالمدن والمشاريع الصناعية وتقاطع الطرق وغيرها .

ونظرا لان تصوير جميع الظواهر الارضية لم يكن بوضع عمودي مما يؤدي الى ظهور تشويه أو ميلان الاجسام كلما ابتعدنا عن مركز الصورة الجوية باتجاه الحافات لذا فان سلسلة من الصور تؤخذ عادة بشكل متلاحق بحيث تغطي كل صورة تلك التي تليها بمقدار ٦٠٪ من الجوانب و ٢٥ - ٣٠٪ من الاطراف ، فيظهر كل جسم مرتين على صورتين منفصلتين لاجل الاستفادة من ذلك في تحقيق التجسيم .

ولا بد من تحديد وقت الطيران وخطوطها عند القيام بعملية المسح بحيث يحدد اليوم والوقت ووضع الكامرة ومسارات الطائرات التي تقوم بالتصوير . ولا يسكن الحصول على الخريطة مباشرة من الصورة بمجرد الشف عليها ، لان الصورة الجوية تختلف عن الخريطة ، فالصورة عبارة عن مسقط مخروطي في حين تكون الخريطة عبارة عن مسقط عمودي ، ويظهر هذا الاختلاف واضحا اذا كانت الاراضي التي صورت تحتوي على أهداف ذات ارتفاعات مختلفة^(٦) .

(٦) الدكتور علي شكري، المساحة المستوية والتصويرية مصدر سابق ص ٢٤٣ .

ولعمل خرائط من الصور الجوية لابد من اتباع الخطوات التالية :

١ - ملاحظة وجود نقاط التثليث الارضية على الصور الجوية حتى تتم عملية الربط الارضي •

٢ - طبع الصور على الواح زجاجية Glass plates لاجل ارجاع الاشعة ، واستخدام هذه اللوحات على آلات تحويل الصور الى خرائطها على ان تكون كل صورتين متتاليتين حتى يتكون الموديل •

٣ - ارجاع الصورة الجوية الى وضعها الاصلي اثناء القيام بعملية التصوير ، وذلك باجراء العمليات الثلاث ، التوجيه الداخلي والتوجيه النسبي والتوجيه المطلق •

٤ - تمرر العلامة العائمة الموجودة في آلة الرسم على العوارض الموجودة في الصورة الجوية فيقوم الراسم بالرسم على الورقة المعدة لهذا الغرض بالمقياس المطلوب •

استخدام المسح الجوي في العراق

استخدم التصوير الجوي لغرض المسح في العراق بشكل متفرق قبل عام ١٩٥٠ ولاغراض مختلفة ، وبشكل محدود • ولكن الاستخدام الواسع بدأ بعد هذا التاريخ عندما تألف مجلس الاعمار عام ١٩٥٠ ، وصورت مناطق عديدة ولاغراض مختلفة ، وشمل المسح الجوي الاغراض التالية :

١ - تخطيط المشاريع الروائية مثل مشروع بحيرة الحبانية الذي صور عام ١٩٤٧ ، ومشروع تغذية العظيم ومشروع الزاب الصغير اللذين صوروا عام ١٩٥٢ ، ثم اعقب ذلك تصوير العديد من المشاريع الاروائية المهمة في العراق والتي سيتناولها البحث •

٢ - تحديد مواقع السدود ، مثل سد دوكان وسد العظيم اللذين صوروا سنة ١٩٥١ •

٣ - تحديد سعة الخزانات مثل خزان دربندخان سنة ١٩٤٧ ، وخزان
بخمة سنة ١٩٥١ وخزان دوكان سنة ١٩٥٢/١٩٥١ .

٤ - تطوير المنطقة مثل تطوير منطقة اسكي كلك التي صورت سنة ١٩٥٣ ،
ثم صورت مناطق عديدة بعد ذلك لنفس الغرض . ولتهيئة خرائط
دقيقة ومفصلة للشركات الاستشارية التي بدأت بدراسة مختلف مناطق
العراق .

٥ - استصلاح الترب مثل مشروع ترب العراق Z.A.D. التي صورت
سنة ١٩٥٤ وبلغت المساحة المشمولة بهذا التصوير ٢٢ ألف كم^٢ .

٦ - تحديد مواقع الكثبان الرملية في منخفض الشاري لمساحة تبلغ ٦٩٦ كم^٢،
والتي صورت سنة ١٩٥٢ .

٧ - تحديد خط انابيب البترول في بغداد ، وقد صور سنة ١٩٥٢ .

٨ - تطوير ميناء البصرة لمساحة تبلغ ٣٨ كم^٢ في عام ١٩٥٣ .

٩ - مشاريع جيولوجية وهندسية عديدة مثل مشروع باي حسن ومشروع
ابي غريب اللذين صوروا عام ١٩٤٧ ، ومشروع جنبور سنة ١٩٥٤ .

١٠ - تنظيم الطرق وشقها وخصوصا في المنطقة الجبلية مثل تنظيم طريق
عقرة - بخمة الذي صور سنة ١٩٥٢ ضمن منطقة مشروع الخمس
سنوات .

ونظرا لمباشرة العراق في اعداد خرائط طبوغرافية من الصور الجوية
فقد تأسس قسم المسح الجوي والطبوغرافي عام ١٩٥٧ كوسيلة لتوسيعه
وزيادة الاعتماد عليه ، وحددت واجباته بالقيام بجميع المسوحات العامة الجوية
وجميع أنواع الاعمال الحقلية المتعلقة بتلك المسوحات ، ومسح الارتفاعات
ورسم خطوط المنحنيات واستخراج قيم الارتفاعات وزود بأحدث الآلات التي
تحول الصور الجوية الى خرائط طبوغرافية بمقاييس مختلفة^(٧) .

(٧) جريدة الوقائع العراقية العدد ١٤٣ في ١٨-٣-١٩٥٩ .

وقد ازدادت أهمية هذا الجانب في الآونة الأخيرة بعد التوسع في مشاريع الري والصرف في العراق ، وظهور المشاريع الزراعية العديدة ، واستصلاح التربة ، وتخطيط المدن ، واحتياج مختلف الوزارات الى خرائط طبوغرافية نستند عليها في دراساتها كل حسب اختصاصها لاجل دعم خطط التنسية الاقتصادية الواسعة التي يمر بها القطر .

وبعد تنفيذ قانون الاصلاح الزراعي عام ١٩٥٨ ازدادت الحاجة الى التصوير الجوي لتوفير خرائط حديثة لهذه المناطق بعد ان أصبحت الخرائط السابقة المستندة على مسوحات قديمة يعوزها الدقة وقلة التفاصيل .

وكانت المساحة التي شملها المسح الجوي قبل تنفيذ القانون صغيرة تقرب من ٩٦٠٠٠ كم^٢ ، تشمل المحافظات الشمالية الاربعة (كركوك*) ، السليمانية ، اربيل ، الموصل) ، ومنطقة اسكي موصل ودمير قبو ، ووادي الثرثار ، واعالي الفرات ، وهور الحمار ، وقد نظمت لها خرائط حديثة ودقيقة استعملت لمختلف المشاريع التي جرت في هذه المناطق ، وبعد عام ١٩٥٨ رصدت المبالغ للخطة الاقتصادية المؤقتة لمسح ما تبقى من العراق وتنظيم خرائط جوية حديثة ودقيقة تفي بجميع الاغراض ، وخاصة مشاريع الاصلاح الزراعي والمشاريع العمرانية الاخرى^(٨) .

واذا استثنينا فترة التصوير ومقياس الرسم ، فان للعراق الآن غطاء كاملا من الصور الجوية والخرائط الطبوغرافية المستندة عليها ، اما اعداد خرائط موحدة لكل العراق وبمقياس واحد فما زالت هذه الامور غير متوفرة في الوقت الحاضر رغم ان ذلك سوف يتحقق في المستقبل .

(*) أصبحت الآن محافظة التأميم .

(٨) مؤسسة الاصلاح الزراعي ، قسم التخطيط والبحوث ، المسوحات العامة والطبوغرافية - مجلة الاصلاح الزراعي في اعوام السنة ، مطبوع بالرونيو ، ١٩٦٤ ، ص ٦٢ .

تطبيقات المسح الجوي في اعداد الخرائط الطبوغرافية العراقية(*)

١ - خرائط ١ : ١٠٠٠٠٠

وتغطي اغلب أقسام العراق عدا الهضبة الغربية الشمالية والجنوبية، وهي منطقة صحراوية ، ويبلغ عدد هذه الخرائط ١٣٤ خريطة ، وتحتوي هذه الخرائط على احدث المعلومات بالنسبة الى العوارض وطبيعة الارض ، وقد صدرت هذه الخرائط بشكل ملون وهي :

الرقم الفهري	الاتجاه	اسم الخريطة
جي ٣٧ اكس	ش ش ش غ ج ش ج غ	غو هبل بئر قاسم سنجار باره
جي ٣٨ ايم	(ج ش) ج غ	زاخو فيش خابور
جي ٣٨ اين	ج ش ج غ	بيو العمادية
جي ٣٨ او	ج ش ج غ	خزنة كاني رهش
جي ٣٨ اس	ش ش ش غ ج ش ج غ	دهوك ربيعة بادوش تلعفر

(*) اعتمدت ارقام الخرائط واسماؤها على الدراسة الميدانية للباحث .

الرقم الفهري	الاتجاه	اسم الخريطة
ج ٣٨ تي	ش ش ش غ ج ش ج غ	عقرة عين سفني كلك الموصل
جي ٣٨ يو	ش ش ش غ ج ش ج غ	راوندوز زيبار كويسنجق اريل
جي ٣٨ في	ش غ ج غ	حاج عمران قلعة دزة
جي ٣٧ ايف	ش ش ش غ ج ش ج غ	سنيسلة وادي العجيج المنائف پواره
آي ٣٨ أي	ش ش ش غ ج ش ج غ	الحضر شرى البريت عين طرطاوي
آي ٣٨ بي	ش ش ش غ ج ش ج غ	مخمور القيارة الفتحة الشرقاط

الرقم الفهري	الاتجاه	اسم الخريطة
آي ٣٨ سي	ش ش	جمجمال
	ش غ	التون كوبري
	ج ش	قادر كرم وليلان
	ج غ	كركوك
آي ٣٨ دي	ش ش	بنجوين
	ش غ	السليمانية
	ج ش	حلبجة
	ج غ	قره داغ
آي ٣٨ إي	ش غ	ميشياف
	ج غ	خورمال
آي ٣٧ كي	ج ش	حصية
	ج غ	الرطيمي
آي ٣٧ ايل	ش ش	أم عذى
	ش غ	البو فارس
	ج ش	عنه
	ج غ	القائم
آي ٣٨ جي	ش ش	الديكاني
	ش غ	الشعباني
	ج ش	ابو سمك
	ج غ	حديثه

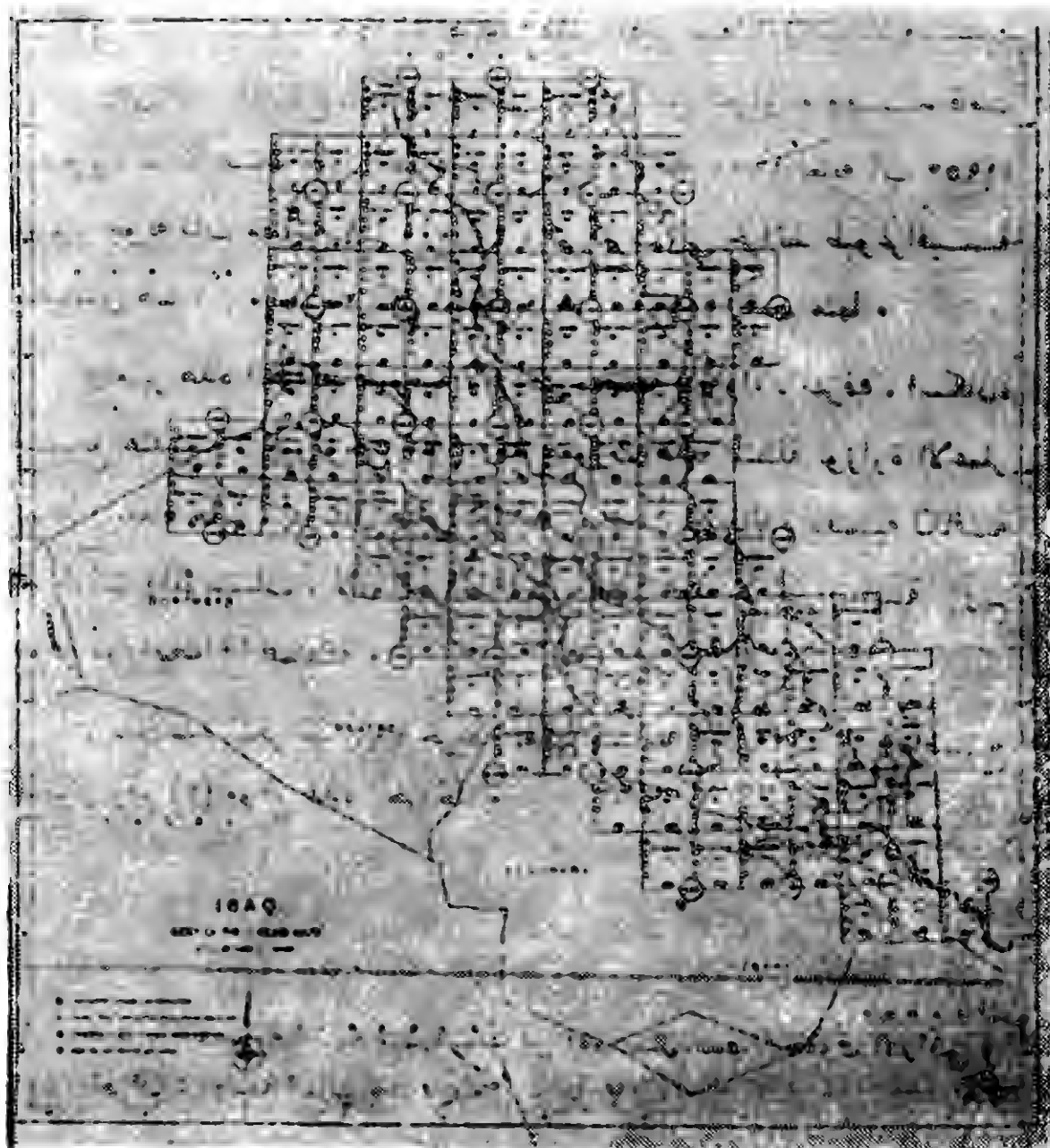
الرقم الفهري	الاتجاه	اسم الخريطة
آي ٣٨ ايج	ش ش	تكرت
	ش غ	بيجي
	ج ش	سامراء
	ج غ	عين الفرس
آي ٣٨ آي	ش ش	طوزخرماتو
	ش غ	پاره پاره
	ج ش	قره تبة
	ج غ	بلد
آي ٣٨ جي	ش ش	قره تو
	ش غ	قلعة شيروانة
	ج ش	كاني بز
	ج غ	خانقين
آي ٣٧ كيوي	ش ش	رئقة
	ش غ	بير الراح
آي ٣٧ آر	ش ش	المدحام
	ش غ	اييج ١
آي ٣٨ ايم	ش ش	هيت
	ش غ	قصر الخباز
	ج ش	ابو جير
	ج غ	عشوة

الرقم الفهري	الاتجاه	اسم الخريطة
آي ٣٨ اين	ش ش	اللبّاد
	ش غ	بحيرة الثرثار
	ج ش	الفلوجة
	ج غ	الرمادي
آي ٣٨ او	ش ش	بعقوبة
	ش غ	سميكة
	ج ش	سلمان باك
	ج غ	بغداد
آي ٣٨ بي	ش ش	مندلي
	ش غ	بلدروز
	ج ش	بدره
	ج غ	هور الشويجة
آي ٣٨ كيو	ج غ	زرباطية
آي ٣٨ اس	ش ش	كاره الشطب
آي ٣٨ تي	ش ش	هور ابو دبس
	ش غ	شثاة
	ج ش	قصر الاخضر
	ج غ	الملوتيان

الرقم الفهري	الاتجاه	اسم الخريطة
آي ٣٨ يو	ش ش	الصويرة
	ش غ	كربلاء
	ج ش	الهاشمية
	ج غ	الحلة
آي ٣٨ في	ش ش	جصان
	ش غ	العزيزية
	ج ش	الكوت
	ج غ	عفاك
آي ٣٨ دبليو	ش ش	خزينه
	ش غ	شيخ سعد
	ج ش	علي العربي
	ج غ	الحي
آي ٣٨ اكس	ش غ	وادي ابو غريب
	ج ش	شيخ فارس
	ج غ	الطيب
اييج ٣٨ بي	ش ش	رهماوي
اييج ٣٨ سي	ش ش	الديوانية
	ش غ	النجف
	ج ش	ام رحل

الرقم الفهري	الاتجاه	اسم الخريطة
ايج ٣٨ دي	ش ش	الفجر
	ش غ	الرميثة
	ج ش	الخضر
	ج غ	الساوة
ايج ٣٨ إي	ش ش	الميمونة
	ش غ	ارفاعي
	ج ش	البو صالح
	ج غ	الناصرية
ايج ٣٨ ايف	ش ش	هور الحويزة
	ش غ	العمارة
	ج ش	البيضة
	ج غ	القرنة
ايج ٣٨ جي	ش ش	القصير
	ش غ	الاشعلي
ايج ٣٨ كي	ش ش	الجبايش
	ش غ	سوق الشيوخ
ايج ٣٨ ايل	ش ش	الهارثة
	ش غ	المدينة
	ج ش	البصرة
	ج غ	الرميلة
ايج ٣٩ جي	ج غ	السيية

ويوضحها الشكل رقم (١)



٢ - مشروع الخمس سنوات

وهو من المشاريع الذي اخرجته مديرية التسوية العامة في اواخر سنة ١٩٥٠ لغرض انهاء معاملة التسوية في البلاد بسرعة توخيا للفوائد الاقتصادية، وتأمينا للاستقرار الاداري والعشائري^(٩) .

يغطي هذا المشروع القسم الشمالي الشرقي من العراق . وقد قامت بتصويره شركة هنتك خلال الفترة من تشرين اول عام ١٩٥١ لغاية آب ١٩٥٢ ، بصور جوية ذات مقياس ١ : ٤٠,٠٠٠ ، ثم كبرت الى خرائط طبوغرافية بمقياسين هما ١ : ٢٠,٠٠٠ لكل المنطقة و ١ : ١٠,٠٠٠ لقسم منها .

وتعتبر هذه الخرائط عمومية لاغراض مختلفة (ارواء ، صرف ، اسكان، مشاريع هندسية ، جيولوجي ..) وقد صورت هذه المنطقة لوزارة الاعمار سابقا والملغاة حاليا ، لذا فان هذه الخرائط أصبحت لها فائدة بالنسبة لكافة الوزارات والمؤسسات ، لان الخرائط التي اعدت تعد خرائط اساسية ، ولم يتوفر موزاييك(*) للمنطقة .

ويبلغ عدد الخرائط ٣٩٧ خريطة تغطي مساحة ٢٩٤٠٠ كم^٢ ، ويوضح الشكل رقم (٢) موقع هذه الخرائط .

(٩) مديرية التسوية العامة ، دراسات عن اعمال تسوية حقوق الاراضي في العراق ، مطبعة العاني بغداد ١٩٥٥ ، ص ١٧ .

(*) الموزاييك : مجموعة من الصور الفوتوغرافية المتتابعة في شريط واحد او عدة اشربة متجاورة . تصغر او تكبر بنفس المقياس بحيث تصبح صورة واحدة لمسافة واسعة من الارض ، ويقسم الى موزاييك مربوط اذا وجدت فيه نقط الاحداثيات ، وموزاييك غير مربوط اذا خلا من هذه الاحداثيات .



(شكل رقم ٢)

وفيما يلي اسماء الخرائط وارقامها التي تغطي المنطقة :

الرقم الفهري	ارقام الخرائط
٦١	• ٧٣٠ ، ٧٢٠ ، ٧١٠ ، ٧٠٠ ، ٦٩٠ ، ٦٨٠
٦٢	• ٧٢٠ ، ٧١٠ ، ٧٠٠ ، ٦٩٠ ، ٦٨٠
٦٣	• ٧٢٠ ، ٧١٠ ، ٧٠٠ ، ٦٩٠ ، ٦٨٠
٦٤	• ٧٣٠ ، ٧٢٠ ، ٧١٠ ، ٧٠٠ ، ٦٩٠ ، ٦٨٠
٦٥	• ٧٤٠ ، ٧٣٠ ، ٧٢٠ ، ٧١٠ ، ٧٠٠ ، ٦٩٠ ، ٦٨٠ ، ٦٧٠ ، ٦٦٠
٦٦	• ٧٢٠ ، ٧١٠ ، ٧٠٠ ، ٦٩٠ ، ٦٨٠ ، ٦٧٠ ، ٦٦٠ ، ٦٥٠ ، ٦٤٠
	• ٧٦٠ ، ٧٥٠ ، ٧٤٠ ، ٧٣٠

ارقام الخرائط

الرقم الفهري

٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ ، ٧٢٠ ، ٧٣٠ ، ٧٤٠ ، ٧٥٠ ، ٧٦٠ ، ٧٧٠ ،	٦٧
٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ ، ٧٢٠ ، ٧٣٠ ، ٧٤٠ ، ٧٥٠ ، ٧٦٠ ، ٧٧٠ ،	٦٨
٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ ، ٧٢٠ ، ٧٣٠ ، ٧٤٠ ، ٧٥٠ ، ٧٦٠ ،	٦٩
٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ ، ٧٢٠ ، ٧٣٠ ، ٧٤٠ ، ٧٥٠ ، ٧٦٠ ،	٧٠
٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ ، ٧٢٠ ، ٧٣٠ ، ٧٤٠ ، ٧٥٠ ،	٧١
٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ ، ٧٢٠ ، ٧٣٠ ، ٧٤٠ ،	٧٢
٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ ، ٧٢٠ ، ٧٣٠ ، ٧٤٠ ، ٧٥٠ ، ٧٦٠ ، ٧٧٠ ،	٧٣
٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ ، ٧٢٠ ، ٧٣٠ ، ٧٤٠ ، ٧٥٠ ، ٧٦٠ ، ٧٧٠ ،	٧٤
٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ ، ٧٢٠ ، ٧٣٠ ، ٧٤٠ ، ٧٥٠ ، ٧٦٠ ، ٧٧٠ ، ٧٨٠ ،	٧٥
٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ ، ٧٢٠ ، ٧٣٠ ، ٧٤٠ ، ٧٥٠ ، ٧٦٠ ، ٧٧٠ ، ٧٨٠ ،	٧٦
٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ ،	٧٧
٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ ،	٧٨

<u>الرقم الفهري</u>	<u>ارقام الخرائط</u>
٧٩	٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠
٨٠	٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠
٨١	٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠
٨٢	٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠
٨٣	٥٧٠ ، ٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠
٨٤	٥٧٠ ، ٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠
٨٥	٥٥٠ ، ٥٦٠ ، ٥٧٠ ، ٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠
٨٦	٤٩٠ ، ٥٠٠ ، ٥١٠ ، ٥٢٠ ، ٥٣٠ ، ٥٤٠ ، ٥٥٠ ، ٥٦٠ ، ٥٧٠ ، ٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠
٨٧	٤٨٠ ، ٤٩٠ ، ٥٠٠ ، ٥١٠ ، ٥٢٠ ، ٥٣٠ ، ٥٤٠ ، ٥٥٠ ، ٥٦٠ ، ٥٧٠ ، ٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠
٨٨	٤٧٠ ، ٤٨٠ ، ٤٩٠ ، ٥٠٠ ، ٥١٠ ، ٥٢٠ ، ٥٣٠ ، ٥٤٠ ، ٥٥٠ ، ٥٦٠ ، ٥٧٠ ، ٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠

الرقم الفهري	ارقام الخرائط
٨٩	٤٥٠ ، ٤٦٠ ، ٤٧٠ ، ٤٨٠ ، ٤٩٠ ، ٥٠٠ ، ٥١٠ ، ٥٢٠ ، ٥٣٠ ، ٥٤٠ ، ٥٥٠ ، ٥٦٠ ، ٥٧٠ ، ٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠
٩٠	٤٣٠ ، ٤٤٠ ، ٤٥٠ ، ٤٦٠ ، ٤٧٠ ، ٤٨٠ ، ٤٩٠ ، ٥٠٠ ، ٥١٠ ، ٥٢٠ ، ٥٣٠ ، ٥٤٠ ، ٥٥٠ ، ٥٦٠ ، ٥٧٠ ، ٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠
٩١	٤٥٠ ، ٤٦٠ ، ٤٧٠ ، ٤٨٠ ، ٤٩٠ ، ٥٠٠ ، ٥١٠ ، ٥٢٠ ، ٥٣٠ ، ٥٤٠ ، ٥٥٠ ، ٥٦٠ ، ٥٧٠ ، ٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠
٩٢	٤٥٠ ، ٤٦٠ ، ٤٧٠ ، ٤٨٠ ، ٤٩٠ ، ٥٠٠ ، ٥١٠ ، ٥٢٠ ، ٥٣٠ ، ٥٤٠ ، ٥٥٠ ، ٥٦٠ ، ٥٧٠ ، ٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠
٩٣	٤٦٠ ، ٤٧٠ ، ٤٩٠ ، ٥٠٠

٣ - مشروع اسكي موصل

يعد هذا المشروع مهماً من ناحيتين هما :

١ - الناحية الزراعية : وتقع منطقة المشروع على جانبي نهر دجلة في محافظة الموصل شمال العراق ، وتشمل مساحة ١٠٣٧٠٠٠ دونم ، موزعة على ثلاثة مناطق . تقع الاولى على الضفة اليمنى من النهر وتشمل مساحة ١٠٠ ألف دونم ويطلق عليها منطقة الشمال ، تقع شمال غرب الموصل بحوالي ٨٠ كم ، وتمتد حتى قرب الحدود السورية ، وهي من الاراضي القابلة للارواء ، ذات التربة العميقة الخصبة ، لذا فهي تعد من المناطق الاروائية المهمة في شمال العراق . والمنطقة الثانية تشمل المنطقة الغربية التي تبلغ مساحتها حوالي ٨٠٠ ألف دونم في منطقة الجزيرة ، وان احياها

سوف يؤدي الى توسيع الاراضي الزراعية في العراق ، لانها تشغل حاليا جزءا من المنطقة الصحراوية في بادية الجزيرة ، وسوف يمتد اليها مأخذ مياه لاروائها من منطقة (نجمة) قرب (القيارة) جنوب الموصل خلال اراضي تلعفر وسهل سنجار ، وان اكمال سد اسكي موصل سوف يؤدي الى تطوير هذا الجزء . أما المنطقة الثالثة فتقع على الضفة اليسرى من نهر دجلة وتمتد من خورسباد Kharsabad في الشمال حتى التقاء الزاب الكبير في الجنوب ، وتشمل مساحة ١٣٧ الف دونم ، ويعد نهر دجلة المصدر الرئيسي لهذا المشروع الاروائي (١٠) .

٢ - اختيار موقع السد : حيث يقع سد اسكي موصل المقترح شمال غرب مدينة الموصل بحوالي ٤٠ كم ، وسيؤدي الى حجز المياه وتوزيعها وخصوصا للمنطقتين الشرقية والغربية .

قامت بتصوير هذه المنطقة البالغة مساحتها ٧٢٥٢ كم^٢ شركة فيري البريطانية في شباط ١٩٥٦ ، بصور ذات مقياس ١ : ٣٢٠٠٠ ، ثم حولت الى خرائط طبوغرافية بمقياس ١ : ٢٠٠٠٠ تغطي كل المنطقة ، ومقياس ١ : ١٠٠٠٠ لجزء منها ، وهي خرائط غير كنتورية مكبرة من خرائط ١ : ٢٠٠٠٠ السابقة ، وغرضها توضيح العوارض فقط ، ويبلغ عددها ٤٦ خريطة .

ويبلغ عدد الخرائط ذات المقياس ١ : ٢٠٠٠٠ التي تغطي المنطقة حوالي ٦٦ خريطة والغرض منها توفير خرائط مفصلة لتسهيل الدراسات عن المشروع من الناحية الزراعية وعن موقع السد ، ولم يتوفر للمنطقة موزاييك .

Kuljian Corporation, Eski Mosul Irrigation project unpublished report, philadelphia, U.S.A. 1957.

ويوضح الشكل رقم (٣) موقع خرائط هذه المنطقة، وفيما يلي ارقام الخرائط :



(شكل رقم ٣)

• ٥١٠ ٠ ٥٠٠ ٠ ٤٩٠ ٠ ٤٨٠	٨٠
• ٥١٠ ٠ ٥٠٠ ٠ ٤٩٠ ٠ ٤٨٠ ٠ ٤٧٠	٨١
• ٥١٠ ٠ ٥٠٠ ٠ ٤٩٠ ٠ ٤٨٠ ٠ ٤٧٠ ٠ ٤٦٠ ٠ ٤٥٠ ٠ ٤٤٠ ٠ ٤٣٠	٨٢
• ٥٠٠ ٠ ٤٩٠ ٠ ٤٨٠ ٠ ٤٧٠ ٠ ٤٦٠ ٠ ٤٥٠ ٠ ٤٤٠ ٠ ٤٣٠ ٠ ٤٢٠	٨٣
• ٥٠٠ ٠ ٤٩٠ ٠ ٤٨٠ ٠ ٤٧٠ ٠ ٤٦٠ ٠ ٤٥٠ ٠ ٤٤٠ ٠ ٤٣٠ ٠ ٤٢٠	٨٤
• ٥٠٠ ٠ ٤٩٠ ٠ ٤٨٠ ٠ ٤٧٠ ٠ ٤٦٠ ٠ ٤٥٠ ٠ ٤٤٠ ٠ ٤٣٠	٨٥
• ٤٨٠ ٠ ٤٧٠ ٠ ٤٦٠ ٠ ٤٥٠ ٠ ٤٤٠ ٠ ٤٣٠	٨٦
• ٤٧٠ ٠ ٤٦٠ ٠ ٤٥٠ ٠ ٤٤٠ ٠ ٤٣٠ ٠ ٤٢٠ ٠ ٤١٠	٨٧
• ٤٦٠ ٠ ٤٥٠ ٠ ٤٤٠ ٠ ٤٣٠ ٠ ٤٢٠ ٠ ٤١٠	٨٨
• ٤٤٠ ٠ ٤٣٠ ٠ ٤٢٠	٨٩

٤ - مشروع دمبر قبو

يهدف هذا المشروع الى اختيار موقع سد دمبر قبو والى ارواء المنطقة باعتبارها مشروعاً زراعياً مهماً ، وقد انيطت دراسة المشروع الى شركة بني ديكن وكورلي الاستشارية Binnie Deacon and Gourley وقد حددت هذه الشركة ثلاثة مواقع لموقع السد وهي موقع دمبر قبو وموقع البوعواد وموقع المضايق . وقد فضلت الشركة الموقع الاول باعتبارها احسن المواقع لانه يقع على المضيق في ملتقى نهر العظيم بجبال حميرين . ومن المقرر ان يروي مساحة تقدر بحوالي مليون مشارة .

ان توفير الخرائط الطبوغرافية الدقيقة سوف يؤدي الى دعم الدراسات في هذه المنطقة وقد قامت شركة فيري البريطانية في سنة ١٩٥٦ بتصوير هذه المنطقة البالغة مساحتها ٥٥٩٧ كم^٢ ، وهي من المشاريع الزراعية . وقد غطت الشركة هذه المنطقة بصور جوية ذات مقياس ١ : ٣٢٠٠٠ ثم كبرت الى خرائط طبوغرافية بمقياس ١ : ٢٠٠٠٠ لكل المنطقة ومقياس ١ : ١٠٠٠٠٠ لجزء منها ، وخرائط هذا الجزء الاخير غير كنتورية مكبرة عن الخرائط السابقة ١ : ٢٠٠٠٠ لتوضيح العوارض فقط وعددها ٢١ خريطة فقط ، في حين تبلغ خرائط المنطقة كاملة من القياس ١ : ٢٠٠٠٠ (٤٩ خريطة) . ولم يتوفر لهذه المنطقة موزاييك . ويوضح الشكل رقم (٤) موقع خرائط هذه المنطقة . وفيما يلي ارقام خرائط هذه المنطقة :



(شکل رقم ۴)

• ۶۷۰ ، ۶۶۰ ، ۶۵۰ ، ۶۴۰ ، ۶۳۰ ، ۶۲۰ ، ۶۱۰ ، ۶۰۰ ، ۵۹۰	۶۱
• ۶۷۰ ، ۶۶۰ ، ۶۵۰ ، ۶۴۰ ، ۶۳۰ ، ۶۲۰ ، ۶۱۰ ، ۶۰۰ ، ۵۹۰	۶۲
، ۶۶۰ ، ۶۵۰ ، ۶۴۰ ، ۶۳۰ ، ۶۲۰ ، ۶۱۰ ، ۶۰۰ ، ۵۹۰ ، ۵۸۰	۶۳
• ۶۷۰	
، ۶۵۰ ، ۶۴۰ ، ۶۳۰ ، ۶۲۰ ، ۶۱۰ ، ۶۰۰ ، ۵۹۰ ، ۵۸۰ ، ۵۷۰	۶۴
• ۶۷۰ ، ۶۶۰	
، ۶۴۰ ، ۶۳۰ ، ۶۲۰ ، ۶۱۰ ، ۶۰۰ ، ۵۹۰ ، ۵۸۰ ، ۵۷۰ ، ۵۶۰	۶۵
• ۶۵۰	

٥ - مشروع مخمور

يعد من المشاريع المهمة التي قامت شركة بني ديكن وكورلي الاستشارية باعداد دراسة تفصيلية له ، تبلغ مساحته ٢٥٠٠ كم^٢ ضمن قضاء مخمور ، وتحده من كل الجهات حدود طبيعية واضحة فمن الشرق مرتفعات قرعة جوق ، ومن الغرب نهر دجلة ، ومن الشمال الزاب الكبير ، ومن الجنوب الزاب الصغير . وقد اعطت الشركة توصياتها المختلفة التي شملت ضرورة ارواء المنطقة من الزاب الكبير ومن نهر دجلة والذي سيستخدم في نفس الوقت في ارواء سهل اربيل دون اي زيادة في الكلفة المقدرة لاعمار الدونم الواحد ، وقد اوضحت الشركة كذلك بأن الاراضي الداخلة ضمن حدود اسقاء هذا الجدول قابلة للتوسع بواسطة الري بالرفع واستعمال المضخات لاسقاء بعض المساحات الصغيرة قرب مدينة مخمور وعدة مساحات صغيرة اخرى تمتد على ضفة نهر دجلة ، وبالرغم من كون هذه المساحات تسقى من الجدول الا انه من الانسب تأمين اسقائها بالمضخات (١١) .

ان تصوير هذه المنطقة واعداد خرائط مفصلة سوف يخدمها ويطورها ، ويؤدي الى امكانية دراسة هذه التوصيات بطريقة صحيحة وجيدة .

ولقد قامت بتصوير هذه المنطقة شركة هنتك البريطانية سنة ١٩٥٣ بصور جوية ذات مقياس ١ : ١٥٠٠٠ ، حولت الى خرائط طبوغرافية بمقياس ١ : ٢٠٠٠٠ ، ثم صغرت الى خرائط بمقياس ١ : ٥٠٠٠٠ تغطي مساحة ٧٥٠ كم^٢ ، ويبلغ عدد الخرائط ٢٣ خريطة وهي خرائط اساسية ولم يتوفر للمنطقة موزاييك . ويوضح الشكل رقم (٥) موقع هذه المنطقة ، وفيما يلي ارقام الخرائط التي تغطي المنطقة .

Binnie Deacon and Gourley, Makhmour Area Vol. III
unpublished report, London 1956.

(١١)



(شكل رقم ٥)

٠ ٥٣٠ ٠ ٥٢٠ ٠ ٥١٠	٦٩
٠ ٥٤٠ ٠ ٥٣٠ ٠ ٥٢٠ ٠ ٥١٠ ٠ ٥٠٠	٧٠
٠ ٥٤٠ ٠ ٥٣٠ ٠ ٥٢٠ ٠ ٥١٠ ٠ ٥٠٠	٧١
٠ ٥٣٠ ٠ ٥٢٠ ٠ ٥١٠ ٠ ٥٠٠	٧٢
٠ ٥٥٠ ٠ ٥٤٠ ٠ ٥٣٠ ٠ ٥٢٠ ٠ ٥١٠ ٠ ٥٠٠	٧٣

٦ - مشروع ري كركوك او العراق

يهدف المشروع الى احياء وارواء مساحة ٧٦٤٠٠٠ دونم من الاراضي الجيدة في محافظة كركوك التي كانت تزرع دوماً ، وتعطي انتاجاً منخفضاً ، كما يهدف المشروع الى احياء وارواء الاراضي الصالحة للزراعة الواقعة على جانبي نهر العظيم والبالغة مساحتها ٤٨٢٠٠٠ دونم بضمنها اراضي الغرفة التي كانت أغلبها قاحلة قبل اكمال المشروع . كما يؤمن المشروع ايصال حصة مضمونة من

أغلبها قاحلة قبل اكمال المشروع . كما يؤمن المشروع ايصال حصة مضمونة من المياه الى مشروع الحويجة الحالي البالغ ١٧٢ر٠٠٠ دونم . وبتوسيع الرقعة الزراعية بمقدار ٣٠٠ر٠٠٠ دونم . وبذلك تكون مجموع الاراضي التي ستروى من المشروع ١٤٤٨ر٠٠٠ دونم من محافظتي كركوك وديالى ، منها مساحة ١٢٧٦ر٠٠٠ دونم تدخل في حدود الارواء لاول مرة ، وتسقى كافة الاراضي سيحا عدا ١٠٢ر٠٠٠ دونم قرب مدينة كركوك ومساحات صغيرة اخرى تسقى بواسطة المضخات (١٢) .

قامت بتصوير هذا المشروع الزراعي شركة لوفت بلدتكنيك L.B.T. في تشرين الثاني ١٩٦١ بصور ذات مقياس ١ : ٢٠ر٠٠٠ ، حولت الى خرائط بمقياس ١ : ١٠ر٠٠٠ كم^٢ والهدف من التصوير هو تطوير المنطقة زراعيًا . وقد غطتها ٣٧٢ خريطة ، ولا يتوفر للمنطقة موزاييك ويوضح الشكل رقم (٦) موقع هذه الخرائط ، وفيما يلي ارقامها :



(شكل رقم ٦)

(١٢) باقر كاشف الفطاء - مشروع ري كركوك منشورات المؤتمر الهندسي العربي التاسع ١٣ - ١٨ كانون اول ١٩٦٤ ، بغداد ١٩٦٤ ص ٣ .

الرقم الفهري	ارقام الخرائط
آي ٣٨ ب ١٤	٠ ٢٥ ٠ ٢٤ ٠ ٢٣ ٠ ٢٠ ٠ ١٩ ٠ ١٨ ٠ ١٥ ٠ ١٤ ٠ ١٠
آي ٣٨ ب ١٥	٠ ٢٥ — ١ — ٤ ثم ٦ — ٢٥
آي ٣٨ ب ١٦	٠ ٢٥ — ١٦ ٠ ١٢ ٠ ١١ ٠ ٦
آي ٣٨ سي ١	٢٠ ٠ ١٥
آي ٣٨ سي ٢	٢٥ ٠ ٢٤ ٠ ٢٠ ٠ ١٩ ٠ ١٨ ٠ ١٦ ٠ ٧ ٠ ٥ ٠ ٤ ٠ ٣ ٠ ٢
آي ٣٨ سي ٣	٢٥ — ١
آي ٣٨ سي ٤	٢٥ — ١
آي ٣٨ سي ٦	٢٠ ٠ ١٥ ٠ ١٠ ٠ ٥ ٠ ٤
آي ٣٨ سي ٧	٢٠ — ١
آي ٣٨ سي ٨	٢٥ — ٢٢ ٠ ٢٠ — ١
آي ٣٨ سي ١٢	١٠ ٠ ٩ ٠ ٥ ٠ ٤ ٠ ٣ ٠ ٢
آي ٣٨ ايج ١٢ ٢١	
آي ٣٨ آي ١	٢٤ ٠ ٢٣ ٠ ٢٢ ٠ ٢١ ٠ ١٨ ٠ ١٧ ٠ ١٦ ٠ ١٣ ٠ ١٢ ٠ ١١ ٠ ٧ ٠ ٦ ٠ ١
آي ٣٨ آي ٥	٢٥ — ١
آي ٣٨ آي ٦	٢١ ٠ ١٦ ٠ ١١
آي ٣٨ آي ٩	٢٥ ٠ ٢٤ ٠ ٢٠ ٠ ١٩ ٠ ١٥ — ١٢ ٠ ١٠ — ١
آي ٣٨ آي ١٠	٢٥ — ١٦ ٠ ١٤ ٠ ١٣ ٠ ١٢ ٠ ١١ ٠ ٨ ٠ ٧ ٠ ٦ ٠ ٢ ٠ ١
آي ٣٨ آي ١١	٢١
آي ٣٨ آي ١٣	١٠ ٠ ٥
آي ٣٨ آي ١٤	٢٥ — ٢٢ ٠ ٢٠ — ١٧ ٠ ١٥ — ١
آي ٣٨ آي ١٥	٢٥ — ١٦ ٠ ١٣ ٠ ١٢ ٠ ١١ ٠ ٨ ٠ ٧ ٠ ٦ ٠ ٢ ٠ ١

الرقم الفهري ارقام الخرائط

آي ٣٨ آي ١٦ ٢٢،٢١

آي ٣٨ جي ٢ ٢٥،٢٤،٢٠،١٩،١٠،٥،٤

آي ٣٨ جي ٣ ٢٤-١

آي ٣٨ جي ٤ ٢٥-٢٣،٢٠-١٦،١٤-١١،٩-٦،٣،٢،١

آي ٣٨ جي ٦ ١٥،١٤،١٣،١٠،٩،٨،٧،٥،٤،٣،٢

آي ٣٨ جي ٧ ١٩،١٨،١٤،١٣،١٢،١١،٩،٨،٧،٦،٤،٣،٢،١

٧ - مشروع وادي الثرثار

يعد هذا المشروع من المشاريع المهمة في العراق فهو يمثل مشروعا للخزن والارواء في آن واحد ، حيث حولت اليه مياه نهر دجلة بواسطة قناة الثرثار المتفرعة جنوب سد سامراء المقام على نهر دجلة شمال مدينة سامراء بقليل للسيطرة على الفيضانات العالية وتصريف ٣٥ الف م^٣ واقترحت شركة نديكو الهولندية Nedeco-The Hague المكلفة بدراسة المشروع امكانية تحويل مياه نهر الفرات الزائدة الى المنخفض بعد اقامة سد على نهر الفرات عند مدينة هيت . وقد نفذ القسم الاول الخاص بنهر دجلة ولا زال القسم الثاني الخاص بنهر الثرات مجرد اقتراح . ووضح الخبراء بأنه لا خوف من تسرب المياه الى المناطق المجاورة له من الجنوب بعد املاء المنخفض ، وان مياه الخزان ستصبح بمرور الزمن وبعد ملء الخزان صالحة لاغراض الري من حيث الملوحة . وقدرت كمية الاستيعاب ٧٢ر٨ مليار م^٣ عند مستوى ٦٠ م . ويستخدم للري بواسطة جدول موحد يأخذ من الجنوب الغربي للمنخفض ، ثم يتشعب الى

فرعين ، احدهما يتجه شرقا ليصب في نهر دجلة شمال بغداد ، والآخر جنوبا ليصب في نهر الفرات شمال جدول الصقلاوية بقليل (١٣) .

وقد نفذ القسم الاخير سنة ١٩٧٧ بعد توسع كل من تركيا وسوريا في استغلال مياه نهر الفرات على حساب الحصة المقررة للعراق ، فاتجهت الانظار الى وادي الثرثار للاستفادة منه في تحويل قسم من مياه نهر دجلة الى نهر الفرات عند الحاجة .

واقترحت شركة نديكو امكانية ربط الفرات بدجلة عن طريق منفذ يأخذ من نهر الفرات في نقطة تقع شمال صدر جدول الصقلاوية بقليل ، ويتصل بالجدول الذي يرجع مياه الخزان الى دجلة شمال بغداد على ان تنشأ سدة على نهر الفرات بجوار صدر المنفذ فتستفيد منه جداول الصقلاوية وأبي غريب واليوسفية واللطفية بصدر موحد امام هذا السد (١٤) .

ان انجاز هذه الاعمال بدقة تطلب اعداد خرائط تفصيلية ودقيقة وقد قامت شركة الخطوط الجوية الملكية الهولندية K.L.M. بتصوير المنطقة سنة ١٩٥٧ بصور ذات مقياس ١ : ٣٠٠٠٠٠ ، ثم كبرت هذه الصور الى خرائط بمقياس ١ : ٢٥٠٠٠٠ ، وقد بلغ عدد هذه الخرائط ١٤١ خريطة تغطي مساحة ٢٠ الف كيلو متر مربع . ويتوفر للمنطقة موزاييك مربوط بمقياس ١ : ٢٥٠٠٠٠ والغرض من التصوير هو السيطرة على الفيضان ، ولكن أصبح لهذه الخرائط اهمية اوسع من ذلك ويوضح الشكل رقم (٧) موقع خرائط هذه المنطقة :

(١٣) احمد سوسة - فيضانات بغداد في التاريخ - ج ٣ مطبعة الاديب بغداد

١٩٦٥ ، ص ٧٤٨ - ٧٥٢ .

(١٤) نفس المصدر ، ص ٧٥٢ .



(شكل رقم ٧)

وفيما يلي اسماء وارقام الخرائط :

- اين آي - ٣٨ - ١ ٦٧ - ٧٢ ، ٧٩ - ٨٤ ، ٩١ - ٩٦
- اين آي - ٣٨ - ٢ ٦١ ، ٧٣ ، ٨٥
- اين آي - ٣٨ - ٥ ٧ - ١٢ ، ١٩ - ٢٤ ، ٣١ - ٣٦ ، ٤٣ - ٤٨ ، ٥٤ - ٦٠
- ٦٦ - ٧٢ ، ٧٩ - ٨٤ ، ٩١ - ٩٦
- اين آي - ٣٨ - ٦ ١ - ١٣ ، ١٤ - ٢٥ ، ٢٦ - ٣٧ ، ٣٨ - ٣٩ ، ٤٩ - ٥٠ ، ٥١
- ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٥ ، ٩٢
- اين آي - ٣٨ - ٩ ٩ - ١٢ ، ٢١ - ٢٤
- اين آي - ٣٨ - ١٠ ١ - ١٣ ، ٢٠ - ٢٦ ، ٣٢ - ٣٨ ، ٤٤ - ٥٠ ، ٥٥

٨ - مشروع اعالي الفرات

يغطي المشروع مساحة ١٣٧٩٦٩ كم^٢ ، تمتد في محافظة الانبار ، حيث يشكل النهر أهم مصدر للماء لأكثر اجزاء المحافظة تطورا ، ان مسح النهر في هذه المنطقة بخرائط تفصيلية تعتمد على التصوير الجوي سيؤدي الى خدمة المنطقة لان نهر الفرات يمثل واديا عريضا عميق المجرى ، يمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ، وانه سيلعب الدور الرئيسي في أية خطة تصورية لمصادر المياه في المنطقة . ان دراسة هذه المنطقة تشمل عدة جوانب .

١ - ارواء المنطقة حيث يستخدم حاليا كافة وسائل الري وهي الديمي والسيحي والمضخات والوسائل الاخرى كالنواعير التي تدار بواسطة الحيوانات او بواسطة النهر ، ويغطي الارواء بواسطة المضخات نسبة ٧٥٪ من الاراضي المزروعة في الاقليم بسبب ارتفاع الاراضي الزراعية عن مستوى النهر ، وان قلة الامطار يحدد التوسع والاعتماد على الزراعة الدائمة (١٥) .

٢ - اختيار موقع سد حديثة الذي يقع على بعد ٧ كم في مقدم مدينة حديثة وقد تقرر له خزن ٧٥٠ مليار م^٣ من التخزين الحي على منسوب تشغيل اعتيادي ١٤٧ م . أما الخزن الاجمالي المقرر فهو ٨٢٠ مليار م^٣ ، وستبلغ مساحة الخزان عند المنسوب الاعتيادي ٥٠٠ كم^٢ . وسينتج من الطاقة الكهربائية سنويا ١٥٠٠ مليون كيلوواط/ساعة (١٦) .

٣ - ان المنطقة ملائمة لزراعة محاصيل الخضر والفاكهة ومحاصيل العلف ، كما انه ملائم لتربية الحيوانات وقيام وحدات انتاجية للدواجن وانتاج المحاصيل الصناعية والدرنية (١٧) .

(١٥) وزارة التخطيط ، هيئة التخطيط الاقليمي والتقرير الاولي لتخطيط اقليم اعالي الفرات ، اعادة اسكان اهالي حوض سد حديثة - تشرين اول سنة ١٩٧٥ مطبوع بالرونيو بغداد ص ٥٥ .

(١٦) نفس المصدر ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

(١٧) نفس المصدر ص ٣٢٣ .

٤ - تنظيم شبكة البزل (التصريف) في المنطقة حيث قام الاستشاريون سنة ١٩٦٣ شركة الروافد الهندسية بإجراء الدراسات والتحريات والمسوحات واعداد التصاميم لانشاء شبكة التصريف (١٨) .

ان اعداد الخرائط التفصيلية لهذه المنطقة سوف ينعكس على تطوير هذا الجزء من اعالي الفرات من الناحية الزراعية والحيوانية .

لقد قامت شركة هنتك البريطانية بتصوير المنطقة سنة ١٩٥٦ بصور ذات مقياس ١ : ٣٠٠٠٠ ، كبرت الى خرائط طبوغرافية ذات مقياس ١ : ٢٥٠٠٠ ، بلغ عددها ٨٦ خريطة ، وكان الغرض من التصوير خدمة المشاريع الزراعية في المنطقة ، وقد صورت لصالح وزارة الاعمار والملاحة ، وبذلك اصبحت هذه الخرائط تؤدي اكثر من غرض واحد . ويوضح الشكل (٨) موقع المنطقة .



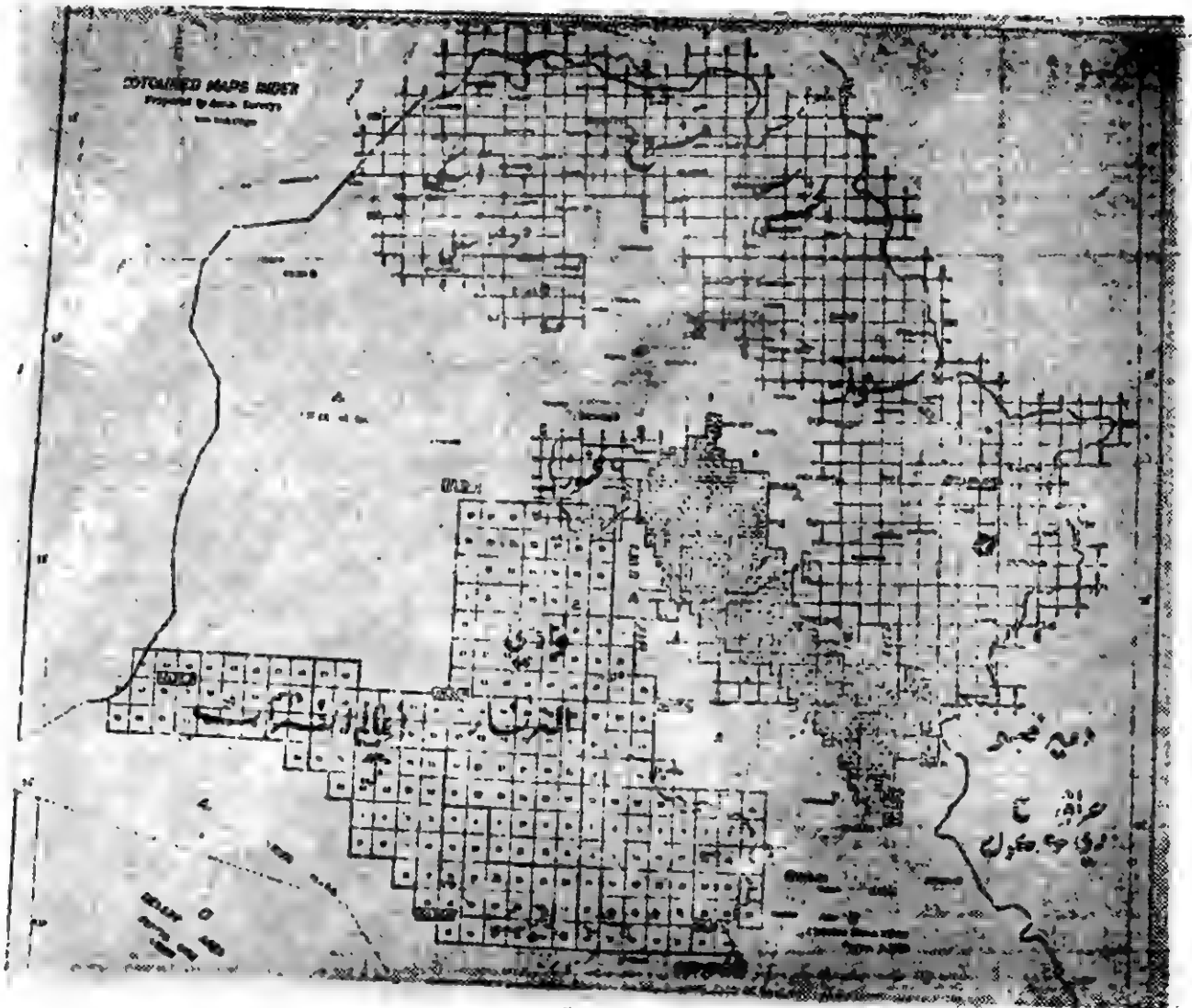
(شكل رقم ٨)

(١٨) وزارة الري مديرية مشاريع الري والبزل العامة . التقرير السنوي ١٩٧٤ - ١٩٧٥ مطبوع بالرونيو - بغداد ص ١٣ .

وفيما يلي ارقام الخرائط التي تخص المنطقة *

الرقم الفهري	ارقام الخرائط
اين آي ٣٧-٨	٨٤٠٧٢-٦٤٠٦٠-٥٢٠٤٨-٤١
اين آي ٣٨-٥	٩٠-٨٦٠٧٨-٧٣٠٥٣-٤٩٠٣٨٠٣٧
اين آي ٣٨-٩	٦٠-٥٥٠٤٨-٤٢٠٣٦-٢٩٠٢٠-١٥٠٨٠٣
اين آي ٣٨-١٠	٤٩٠٣٧٠٢٥

ويوضح الشكل رقم (٩) موقع المشاريع السابقة وهي (مشروع الخمس سنوات ، اسكي موصل ، دميرو ، مخمور ، العراق (C) اوري كركوك ، وادي الثرثار ، اعالي الفرات) *



(شكل رقم ٩)

٩ - مشروع الشنافية - الناصرية

تقع اراضي المشروع في القسم الاسفل من حوض نهر الفرات على كلا جانبي النهر ، وتبلغ مساحة المنطقة ١٠٦٤١٢٠ دونما ، ٥٤٪ منها اراضي قابلة للزراعة وما تبقى اراضي غير قابلة للاتّاج الزراعي وهي تشمل الاراضي المالحة وارياضي المستنقعات والاراضي غير الملائمة بسبب طبوغرافيتها والاراضي المشغولة بالطرق والقنوات وغيرها . ورغم صغر المساحة القابلة للزراعة فانها تستغل كل عام . لذا نجد ان مساحة المراعي تحتل كلا من الاراضي غير القابلة للزراعة والاراضي غير المزروعة من الاراضي القابلة للزراعة (١٩) .

ويشمل مشروع تحسين اراضي الشنافية - الناصرية حوالي ٢٢٢٥٠٠ هكتار تشمل مساحة ١٢٢٥٠٠ هكتار تروى حاليا و ١٠٠٠٠٠ هكتار الاراضي المراد اضافتها وعمل شبكات ري وبزل جديدة لها . وقد اقترح الخبراء القيام بالخطوات الفنية وهي غسل التربة التي تراكت فيها الاملاح بين ٣٠٠٠ - ٦٠٠٠٠ جزء بالمليون ، ثم عمل شبكات بزل لخفض مستوى المياه الجوفية القريبة من السطح ذات التركيز الملحي العالي البالغ حوالي ٢٠٠٠٠ جزء بالمليون واقترح ان يكون العمل على ثلاث مراحل وهي (٢٠) :

١ - الاراضي الواقعة بين الشنافية - السماوة والبالغ مساحتها ٥٣٨٤٠ هكتار .

٢ - الاراضي الواقعة بين نهر الفرات وشط السوير والاراضي الواقعة بين الخضر والناصرية في الجانب الايسر والبالغة مساحتها ٦١٩٤٠ هكتار .

(١٩) Technopromic Report, Technical and Economic Report on Irrigation and drainage developments in Shinafiya-Nasiriya area in Southern Iraq. Unpublished report Moscow 1963, p. 169.

(٢٠) الدكتور المهندس سعيد الحزائري - مشاريع الري والبزل في العراق وعلاقتها بتخطيط الموارد المائية سنة ١٩٧٠ - مطبوع بالرونيو بغداد ١٩٧٠ .

٣ - الاراضي الواقعة بين السماوة - الناصرية على الجانب الايسر ومساحتها ٦٤٨٥٠٠٠ هكتار .

ان توفير خرائط مفصلة لهذا المشروع - سوف يحقق امكانية تطوير الزراعة في المنطقة من الناحية الاقتصادية والتكنولوجية وتوسيع الاراضي التي ستروى في المستقبل وتطوير الري واستصلاح التربة وضمان توفير المياه لاراضي المشروع طول ايام السنة نظرا لعدم انتظام جريان النهر في هذه المنطقة. لقد صورت المنطقة من قبل شركة تكنو اكسبورت الروسية الى مديرية الزراعة العامة واستعملت صوراً لمنطقة العراق B ، وبلغت عدد الخرائط التي تغطي المنطقة ٣٧ خريطة بمقياس ١ : ٢٥٠٠٠ . ويوضح الشكل رقم ١٠ موقع المنطقة .



(شكل رقم ١٠)

وفيما يلي ارقام الخرائط :

الرقم الفهري ارقام الخرائط

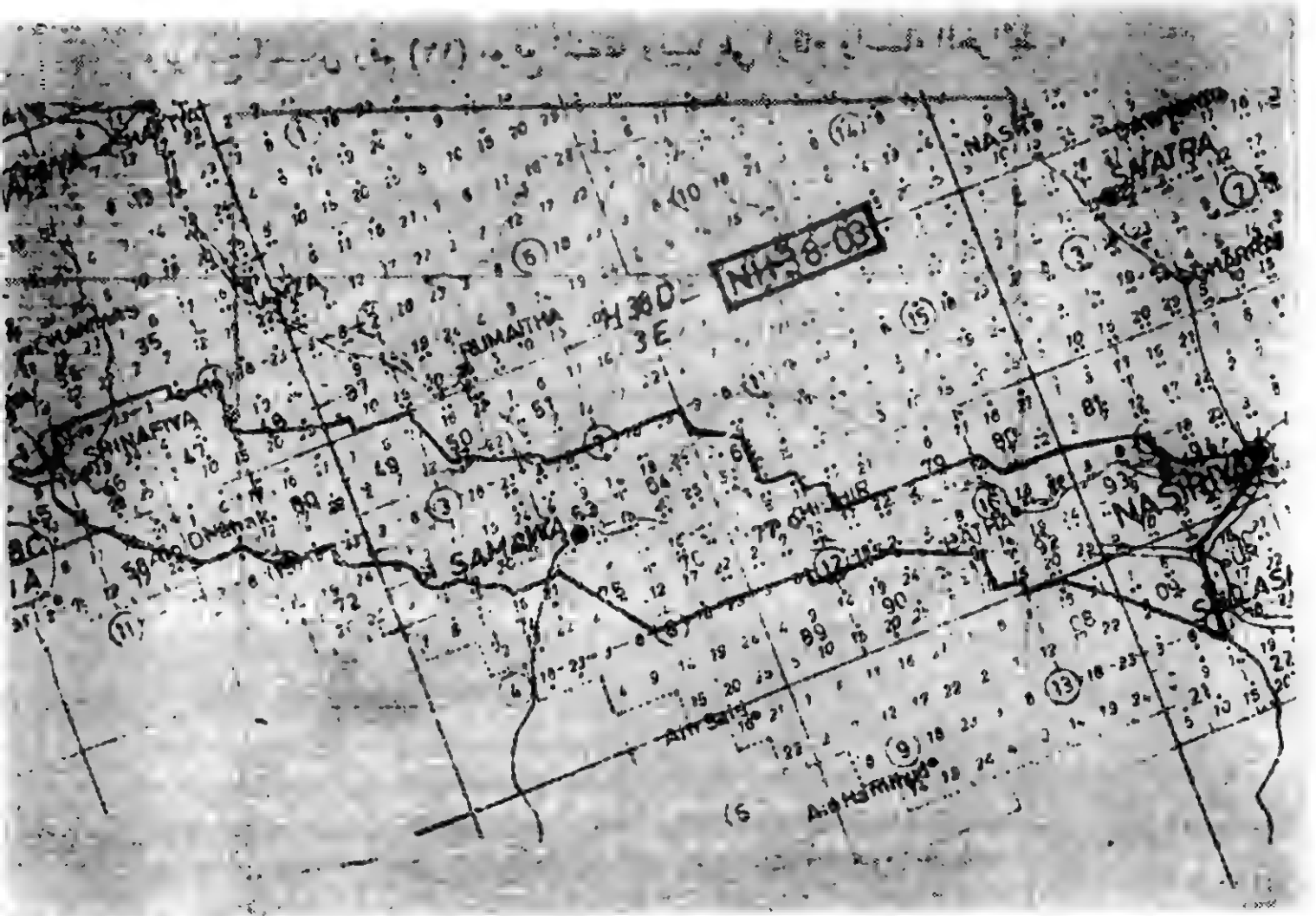
ايج ٣٨ - ٢ ٥٩٦٥٨٦٤٨ - ٤٥٦٥٦٤

ايج ٣٨ - ٣ ٦٨١ - ٧٤٦٥٦٤٦٣٦١٦٥١٦٥٠٦٤٩٦٣٧

٨٩ - ٩٤

ايج ٣٨ - ٧ ٢٢٦٢١٦١٠٦٩٦٨

ويوضح الشكل رقم (١١) موقع هذه الخرائط .



(شكل رقم ١١)

١٠ - مشروع هور الحمار

من المشاريع الزراعية التي اهتمت بها الحكومة ، وقد درست المنطقة من قبل شركة تامس Tippetts Abbett McCarthy بتقريرين احدهما شمل المنطقة من الكفل الى بحيرة الحمار والثاني شمل المنطقة من بحيرة الحمار الى شط العرب وذلك لغرض تطوير الزراعة والري في المنطقة والسيطرة على الفيضانات واكمال النواظم والسدود .

وقد قامت بتصوير المنطقة الخطوط الجوية الملكية الهولندية K.L.M في الفترة من تشرين اول لغاية تشرين ثاني ١٩٥٢ بصور ذات مقياس ١ : ٣٦٥٠٠ ، ثم كبرت الى خرائط طبوغرافية بمقياس ١ : ٢٠٠٠٠ وعددها ٧٤ خريطة . ويوضح الشكل رقم (١٢) موقع المنطقة وفيما يلي ارقام واسماء الخرائط .



(شكل رقم ١٢)

الرقم الفهري

٣ تي

ج ش

۲ جي

ش ش

۴ جي

ش غ

۱۲

ج ش

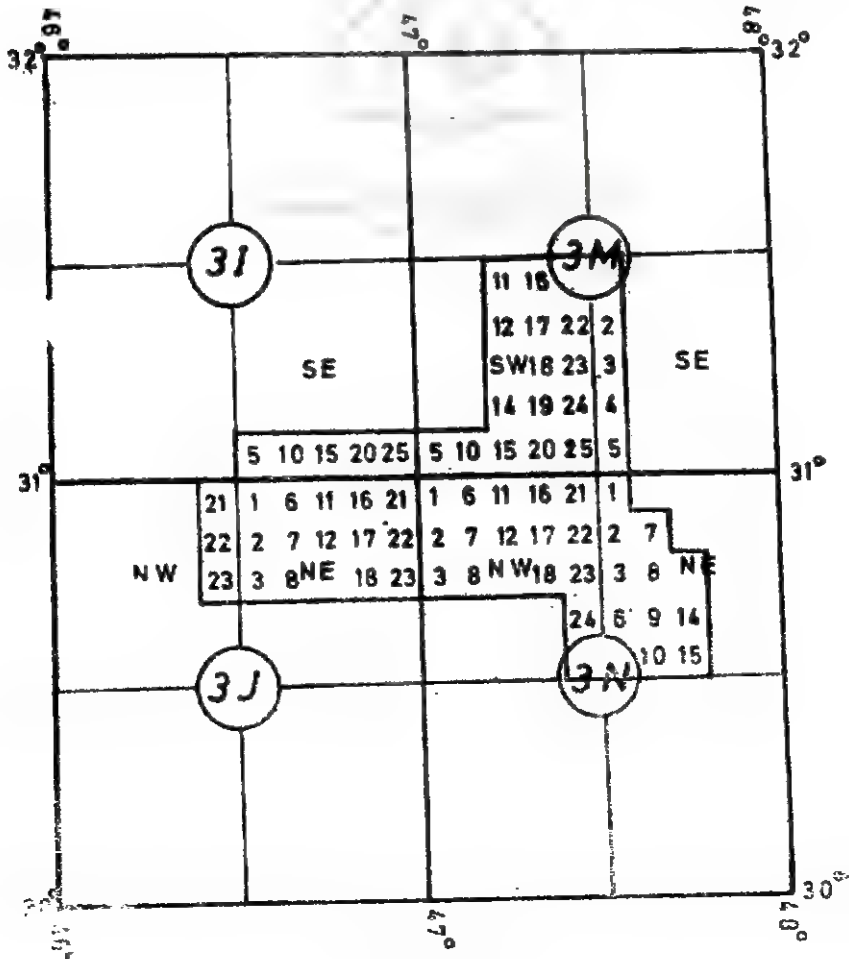
۳۱۴

உத

۳ این

شغ

ويوضح الشكل رقم (١٣) هذه الخرائط .



(شکل رقم ۱۳)

١١ - العراق A

تقع هذه المنطقة ضمن ثلاثة مواقع ، يقع القسم الاول شمال غرب نهر الفرات مجاورة لمنطقة اعالي الفرات ، تبدأ من جنوب بحيرة الجبائية حتى الحدود السورية. والقسم الثاني يقع شمال منطقة التراث حتى الحدود السورية كذلك ، وشملت اعالي منطقة الجزيرة في جزئها الواقع داخل العراق . والقسم الثالث يقع الى الشرق من منطقة التراث ، ابتداء من شمال مدينة بغداد حتى منطقة مشروع مخمور .

تبلغ مساحة المنطقة حوالي ٧٥٠٠٠ كم^٢ ، تتفاوت بين منطقة سهلية الى متموجة تكثر فيها المشاريع الانمائية .

قامت بتصوير المنطقة شركة K.L.M. الهولندية سنة ١٩٦١ ، واعدت لها تصاوير بمقياس ١ : ٥٠٠٠ ، ونظرا لكون المنطقة غير منبسطة فقد نظمت لها خرائط بمقياس ١ : ٢٥٠٠٠ ، وتعتبر خرائط هذه المنطقة خرائط اساسية . لاستخدامها لمختلف الاغراض ، ويوضح الشكل رقم (١٤) موقع خرائط هذه المنطقة . وفيما يلي ارقامها .



(شكل رقم ١٤)

القسم الاول :

٩٦٠٩٥٠٩٤٠٩٣٠٨٤٠٨٣	اين آي ٣٧ — ٧
٩٦ — ٨٥٠٨٣ — ٧٣٠٦٤ — ٦١	اين آي ٣٧ — ٨
١٢٠١١٠١٠	اين آي ٣٧ — ١١
٤٨٠٣٦ — ٣١٠٢٤ — ١٥٠١٢ — ١	اين آي ٣٧ — ١٢
٠٥٤ — ٥١٠٤١ — ٣٧٠٢٨ — ٢٥٠١٤٠١٣٠٢٠١	اين آي ٣٨ — ٩
٩٦ — ٩٠٠٨٤ — ٧٧٠٧٢ — ٦٤	
٧٢٠٦٠٠٥٩٠٤٨ — ٤٦٠٣٦ — ٣٢٠٢٤ — ٢٠٠١٢ — ٧	اين آي ٣٨ — ١٣
٦١٠٤٩٠٣٧٠٢٥٠١٣٠١	اين آي ٣٨ — ١٤

القسم الثاني :

٣٦ — ٣٠٠٢٤ — ١٩٠١٢ — ٧	اين آي ٣٧ — ٨
٠٦٠ — ٥٥٠٤٨ — ٤٣٠٣٦ — ٣٢٠٢٤٠١٩٠١٢ — ٧	اين آي ٣٧ — ٤
٩٦ — ٩٠٠٨٤ — ٧٨٠٧٢ — ٦٦	
٠٩٠ — ٨٥٠٧٨ — ٧٣٠٦٦ — ٦١٠٥٩ — ٤٩٠٤٦ — ١	اين آي ٣٨ — ١
٣٢ — ٢٥٠١٦ — ١٣٠٤ — ١	اين آي ٣٨ — ٢
٩٦ — ٩١٠٨٤ — ٧٩٠٧٢ — ٦٧٠٦٠ — ٥٥٠٤٨ — ٤٤٠٣٦	اين جي ٣٧ — ١٦
٠٥١ — ٤٩٠٣٨٠٣٧٠٢٧٠٢٦٠٢٥٠١٥٠١٤٠١٣	اين جي ٣٨ — ١٣
٩٦ — ٧٢٠٦٧ — ٦١	
٨٨ — ٨٥٠٧٨ — ٧٣٠٦٤ — ٦١	اين جي ٣٨ — ١٤

القسم الثالث :

٨٧٠٨٦٠٧٥٠٧٤٠٦٣٠٦٢	اين جي ٣٨ — ٢
٠٥٦ — ٥١٠٤٢ — ٣٨٠٣٠ — ٢٦٠١٦٠١٥٠١٤٠٣٠٢	اين آي ٣٨ — ٦
٠٩١ — ٨٨٠٧٩ — ٧٥٠٦٨ — ٦٣	

١٢ - منطقة العراق B

تغطي منطقة واسعة من القسم الاوسط والجنوبي من العراق ، أي انها تغطي اغلب السهل الرسوبي . فهي تمتد من بغداد شمالا حتى الخليج العربي جنوبا . ومن الحدود الايرانية شرقا حتى حافة الهضبة الصحراوية من الغرب . وهي عبارة عن اراضي سهلية عدا اقسامها الشرقية المتموجة المجاورة للحدود الايرانية .

تبلغ مساحة هذه المنطقة حوالي ١٠٠.٠٠٠ كم^٢ ، يمثل اغلبها منطقة سهلية تتركز فيها الزراعة ويزدحم فيها السكان ، وتمتد فيها شبكة كبيرة من مشاريع الري والتصريف .

لقد مسحت هذه المنطقة بمسوحات قديمة مختلفة ولاغراض متعددة ولمناطق غير منظمة ، وكان الشكل العام لهذه المسوح يعوزه الدقة وقلة التفاصيل بالاضافة الى قدم المسح مما جعل الخرائط المعدة لا يمكن الاعتماد عليها واستخدامها للمشاريع الحديثة المهمة والانمائية ، وخصوصا بعد تنفيذ قانون اصلاح الزراعي الذي تطلب اعداد خرائط حديثة للمنطقة بصورة دقيقة ومفصلة . ونظرا لاتساع هذا الجزء مما يجعل اعداد خرائطه بواسطة المسوحات الاولى يتطلب زمنا طويلا ومتدربين على مستوى عال . كل ذلك جعل النية تتجه الى استخدام التصوير الجوي لتحضير خرائط هذه المنطقة ، وقد وجد بأن اعداد الخرائط بمقياس ١ : ١٠٠.٠٠٠ هو المقياس المناسب للايفاء بأغلب الاغراض الزراعية والانمائية^(٢١) .

(٢١) محمد صالح حيدر - اهمية التصوير الجوي في التطور الزراعي - منشورات المؤتمر الهندسي التاسع ١٣ - ١٨ كانون اول ١٩٦٤ ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٤ ص ١٥ .

صورت المنطقة من قبل شركة K.L.M. خلال الفترة ١٩٦١ - ١٩٦٢
بمقياس ١ : ٣٥٠٠٠ واعدت لها خرائط بمقياس ١ : ١٠٠٠٠٠ ، كما اعد من
نفس هذه الصور موزاييك • ونظرا لكون المنطقة شديدة الانبساط فقد رسمت
الخرائط بدون كنتور • لقد صورت المنطقة لصالح وزارة الزراعة لاجل تخطيط
المشاريع الزراعية •

ويوضح الشكل رقم (١٥) موقع هذه الخرائط • والشكل رقم (١٦)
ارقام هذه الخرائط ونظرا لكثرة هذه الخرائط فلا اجد متسعا لذكر كل هذه
الارقام •



(شكل رقم ١٥)



(شکل رقم ۱۶)

١٣ - منطقة العراق D

وتشمل المنطقة الصحراوية الواقعة في القسم الغربي من العراق ، وهي منطقة قليلة السكان لعدم وجود مناطق استثمارية مهمة . وتتميز من الناحية الطبوغرافية بقلّة التفاصيل والعوارض وهي على العموم منبسطة عدا مناطق صغيرة منها . وقد جرت أعمال تنظيم خرائطها لاجزاء منها بمختلف المقاييس ولاغراض استطلاعية او لغرض التسوية العامة ، عدا مناطق محدودة وصغيرة جدا جرت فيها بعض المسوحات الهندسية . لذا فان اغلب الخرائط تتميز بقلّة التفاصيل والدقة ، وليس هناك أية مشاريع مهمة فيها مما يستوجب الاسراع بتنظيم خرائط طبوغرافية لها عدا استثمار المعادن في اماكن منها . وقد صورت المنطقة في عام ١٩٦٢ من قبل شركة K.L.M. بمقياس ١ : ٥٠٠٠٠٠ ، وكان التصوير بمواصفات خاصة بحيث يصلح للتحويل الى خرائط بمقاييس مختلفة وهي ١ : ٢٥٠٠٠ و ١ : ٥٠٠٠٠ و ١ : ١٠٠٠٠٠٠ .

لا توجد للمنطقة خرائط في الوقت الحاضر ، وتقوم شركة بولونية باعداد خرائط حديثة بمقياس ١ : ٢٥٠٠٠٠ ، كما سيكون للمنطقة موزاييك مربوط في المستقبل .

ويوضح الشكل رقم (١٧) موقع هذه المنطقة ، كما افرد وادي حوران بدراسة خاصة ويوضح الشكل (١٨) موقع هذه الدراسة وقد استعملت صور منطقة الفرات والعراق A وهو مشروع زراعي .



(شكل رقم ١٧)

١٤ - مشروع العمارة

يشمل الاراضي الدلتاوية العراقية على جانبي دجلة السفلي ، حيث تتفرع قنوات طبيعية في تلك المنطقة ، تتصرف مياهها الى الاهوار المحيطة . تبلغ المساحة الكلية للاراضي المشمولة حوالي ٢٦٠٠٠ هكتار (١٠٤٠٠٠٠٠٠ دونم) تقع بين نهر البتيرة ونهر الكسارة . و اراضي المشروع رسوبية طموية ذات اغوار قليلة جدا ، تشقها شبكة كثيفة من القنوات الاروائية عديمة النواظم في مقدمتها ، مما ادى الى جريانها بدون السيطرة عليها مما يؤدي الى ضياع نسبة هائلة من مياهها . كما تستغل المياه بشكل بدائي ، مما جعل حوالي نصف الارض غير مستغلة في الوقت الحاضر بسبب ارتفاع الملوحة . والفيضانات



(شكل رقم ١٨)

الموسمية وطبيعة الارض الطبوغرافية • ولقد اشار الاستشاريون بأن حوالي ٨٦٪ من الارض يمكن الاستفادة منها للاغراض الزراعية على اساس الري السيحي • واستصلاح الاراضي الزراعية باجراء الغسل المبدئي واكمال شبكات الصرف الكاملة وانشاء سداد واقية للمشروع من مياه الفيضان (٢٢) •

ان اعداد خرائط مفصلة ودقيقة للمنطقة سوف يؤدي الى تطوير هذه المنطقة بعد استصلاح الري واكمال الصرف وفيما يلي ارقام الخرائط التي تغطي هذه المنطقة •

(٢٢) الدكتور سعيد الجزائري - مشاريع الري والبنز في العراق وعلاقتها بتخطيط الموارد المائية (مطبوع بالرونو) بغداد ١٩٧٠ ص ١٠ •

٩٠٠ ، ٨٩٠ ، ٨٨٠ ، ٨٧٠ ، ٨٦٠ ، ٨٥٠ ، ٨٤٠	٢٦
٨٩٠ ، ٨٨٠ ، ٨٧٠ ، ٨٦٠ ، ٨٥٠ ، ٨٤٠	٢٧
٨٩٠ ، ٨٨٠ ، ٨٧٠ ، ٨٦٠ ، ٨٥٠	٢٨
٩٠٠ ، ٨٩٠ ، ٨٨٠ ، ٨٧٠ ، ٨٦٠ ، ٨٥٠	٢٩
٩٠٠ ، ٨٩٠ ، ٨٨٠ ، ٨٧٠ ، ٨٦٠ ، ٨٥٠	٣٠
٩٠٠ ، ٨٩٠ ، ٨٨٠ ، ٨٧٠ ، ٨٦٠ ، ٨٥٠ ، ٨٤٠	٣١
٨٩٠ ، ٨٨٠ ، ٨٧٠ ، ٨٦٠ ، ٨٥٠ ، ٨٤٠	٣٢

ويوضح الشكل رقم (١٩) موقع هذه الخرائط • والشكل رقم (٢٠) أسماء وأرقام هذه الخرائط هي :



(شكل رقم ١٩)

١٥ - مشاريع تخطيط المدن

قامت الشركة السويدية عام ١٩٦٢ بمشروع تصوير عدد من المدن العراقية لصالح وزارة البلديات لاجل اعداد خرائط طبوغرافية ، وكانت الصور بمقاييس مختلفة ١ : ٢٠٠٠٠ و ١ : ١٢٠٠٠ و ١ : ٦٠٠٠ ، ويهدف التصوير الى تنظيم هذه المدن وتخطيطها ، واعدت الخرائط بمقياس ١ : ١٠٠٠٠ وقسم آخر اكبر بمقياس ١ : ٥٠٠٠ وهذه المدن هي :

السليمانية ، كركوك ، النجف ، الكوفة ، الحلة ، الهندية ، كربلاء ، العمارة ، الناصرية ، وقد قامت مديرية المساحة العامة بالاشراف والعمل بمسح أغلب المدن العراقية والقصبات بمقاييس كبيرة تلائم طبيعة البلديات . كما صور عدد من المدن خلال الفترة ١٩٦٩ - ١٩٧١ وهي تكريت ، سلمان باك ، المسيب ، الكرابلة ، سامراء ، الزبير ، المقدادية ، بلدروز ، المحمودية ، النجف بمقاييس ١ : ٥٠٠ لكل من تكريت وسلمان باك . ومقياس ١ : ١٠٠٠ للمدن الباقية وقد صورت هذه المدن الى مديرية الطابو العامة .

اما مدينة بغداد فقد قامت بتصويرها شركة الكشف الجوي الالمانية (بول سيرفس) عام ١٩٧٢ ، واعدت خرائط بمقياس ١ : ٢٠٠٠٠ وتتكون من ست قطع (٢٣) ، ثم خرائط اكبر من ذلك بمقياس ١ : ٥٠٠ و ١ : ٢٥٠٠ .

المصادر

- ١ - الدكتور احمد سوسة ، فيضانات بغداد في التاريخ، ج ٢ ، مطبعة الاديب ، بغداد ١٩٦٥ •
- ٢ - باقر كاشف الغطاء ، مشروع ري كركوك ، منشورات المؤتمر الهندسي العربي التاسع ، ١٣-١٨ كانون اول ١٩٦٤ ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٤ •
- ٣ - خالد هلال سرحان ، مبادئ المسح الجوي ، مطبوع بالرونيو ، بغداد ١٩٧٧ •
- ٤ - الدكتور سعيد الجزائري ، مشاريع الري والبنل في العراق وعلاقتها بتخطيط الموارد المائية ، مطبوع بالرونيو ، بغداد ، ١٩٧٠ •
- ٥ - الدكتور عبدالكريم توما ، المساحة المستوية والتصويرية ، مطبعة الزهراء ، بغداد ١٩٧٥ •
- ٦ - الدكتور علي شكري ، المساحة المستوية والتصويرية ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، الاسكندرية ١٩٧٥ •
- ٧ - مؤسسة الاصلاح الزراعي ، قسم التخطيط والبحوث ، المسوحات العامة والطبوغرافية ، مجلة الاصلاح الزراعي في اعوامه الستة ، مطبوع بالرونيو ١٩٦٤ •
- ٨ - محمد صالح حيدر ، اهمية التصوير الجوي في التطور الزراعي ، منشورات المؤتمر الهندسي العربي التاسع ، ١٣ - ١٨ كانون اول ١٩٦٤ ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٤ •

٩ - محمد عبدالفتاح ، المساحة الجوية كاسلوب حديث لتخطيط المشروعات الهندسية ، منشورات المؤتمر الهندسي العربي التاسع ، ١٣ - ١٨ كانون اول ١٩٦٤ ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٤ .

١٠ - مديرية المساحة العامة ، فهرس ١ : ٧٥٠٠٠٠ لخرائط المسوحات الجوية مطبعة مديرية المساحة العامة ، بغداد (بدون سنة) .

١١ - مديرية التسوية العامة ، دراسات عن اعمال تسوية حقوق الاراضي في العراق ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٥٥ .

١٢ - وزارة التخطيط ، هيئة التخطيط الاقليمي والتقرير الاول لتخطيط اقليم اعالي الفرات ، اعادة اسكان اهالي حوض سد حديثة ، مطبوع بالرونيو ، بغداد ١٩٧٥ .

١٣ - وزارة الري ، مديرية مشاريع الري والبزل العامة ، التقرير السنوي ١٩٧٤ - ١٩٧٥ ، مطبوع بالرونيو ، بغداد ١٩٧٥ .

14. Binnie Deacon and Gourley, Makhmour area vol III unpublished report, London 1956.

15. B.J. Garnier, practical work in Geography W.J. Makay, London 1966.

16. Kuljian Corporation, Eski Mosul Irrigation Project, unpublished report, Philadelphia, U.S.A. 1957.

17. Polservice and Miasto projekt, Krakow Townplan, Baghdad, Land use and civic survey 1972.

18. Techino promexport, technical and economic report or Irrigation and drainage development in Shinafiya-Nasiriya area in Southern Iraq, report, Moscow, 1963.

ملاح من الشعر القصصي في الادب العربي

الدكتور نوري حمودي علي القيسي

استاذ في قسم اللغة العربية

كلية الاداب - جامعة بغداد

يمثل الشعر العربي امتدادا قصصيا واضحا من حيث الاداء والتناسق والافكار ، وقد ظلت اشكال هذه القصص ترسم في اغراضه ، وتتضح في معالجاته ، وتتحدد من خلال معانيه ، وظل الشعراء ينهجون هذا المنهج ، ويسلكون المسلك التقليدي في الصياغة والمتابعة ، من اجل الحفاظ على البناء القصصي المرتبط بحياتهم ، والمستمد من واقعهم الاجتماعي والفكري والحياتي . فايام العرب زخرت بأشارات واضحة لوقائع واحداث ، كما وقفت عند رموز علّلت في بعض الاحيان تعليقات مقاربة ، ولكنها في الحقيقة كانت تمثل بقايا اساطير ، وشخص اخبّار انقرضت اسبابها ، وانقطعت سلسلة روايتها ، وبقيت تأخذ دورها في الحديث والمناسبة والاستشهاد . وبقي الناس يدركون مناسبتها من خلال هذه المناسبات^(١) . وقد استمد الشعراء من هذه الرموز مادة قصصهم ، فاشاعوا استخدامها ، ورددوا احداثها ، ولونوها بكل ما يثير الرغبة الى متابعة الاستماع والانصات ، متخذين منها ومن وقائعها اساسا في التوجيه ، والعبرة ، ولم تكن الايام خالية من الحكايات الخارقة ، والاعمال الفردية التي تتسم بالبطولة ، وقد دفعت هذه الحكايات المؤرخين والرواة الى ان يحاولوا ايجاد المبررات التي تؤكد وجودها ، وثبت اعمالها ، فحاولوا تحديد اماكنها ، وتوقيت ازماتها ،

(١) الدكتور عادل البياتي . كتاب ايام العرب/الفصل الثاني . الايام بين التاريخ والاسطورة / ٧٧ وما بعدها .

وشدها بالوقائع شدًا معقولًا ، كما حاولوا ان يربطوا بينها وبين اعمال عرفتها أمم سابقة أو أقوام مجاورة • والذي يدقق النظر في مثل هذه الوقائع يهتدي الى انها تمثل في اصلها احداثا وقعت ، واعمالا جرت ، ولكن الاخبار قد تضاعفت ، وزيدت ، حتى اصبحت بعيدة في بعض اشكالها عن الحقائق التي بقيت ذاكرة الشعوب تحتفظ بها ، وظلت ملامح احداثها الكبرى تبدو باهتة في بعض الصور والوقائع ، وعاشت آثارها واضحة في ممارسة طقوس دينية أو شعائر وتقاليد تلوذ بها الشعوب عندما تجد نفسها غير قادرة على المجابهة ، أو عاجزة عن الصمود في غمار واقع نفسي بأأس •

ان بقايا القصص التي تطالعنا في المثل السائر ، أو الخبر المنقطع ، أو الاسطورة المحكية في الشعر أو الطقوس الديني الذي يمارس في ظل مناسبة عابرة ، تحدد العمر الزمني الذي بقيت أيامه تحمل هذه الاشياء المتناثرة وهي تجوز الدهر الطويل والاجيال الممتدة ، فتستغرق اجزاء متباعدة من حياتها ، وتقتطع أياما عصيبة من أيامها • فالقصيدة العربية قصيدة تعتمد الفكر اساسا ، والحوار أسلوبا ، وتتخذ من الأساليب والصور والمعاني مجالات لظهار البراعة الفنية ، والقدرات الابداعية التي يحاول فيها الشعراء كشف المعنى المراد ، والتركيز على الغاية المرجوة ، وايضاح الجوانب التي تستقطب الغرض • وقد دلت القصيدة على امتلاكها ناحية التأثير فعاشت أجيالا طويلة تحمل مشاعر الامة ، وتؤكد ذاتها ، وترسم آمالها التي عاشت حية في ضميرها الانساني • • وقد اكدت دراساتنا لبناء القصيدة على تكامل وحدتها الموضوعية ، وتوحد سياقها الشعري ، وامتداد الاثر القصصي بشكل متميز فيها • ولعلّ لوحة الصيد التي وقفت عندها في دراستي عن وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية^(٢) تمثل هذه الخصيصة بوضوح وتعبر عن السرد القصصي الذي ألزم به الشعراء في هذا المجال • لان الشاعر في كل جزء من أجزاء اللوحة كان يقع تحت قبضة رؤياه الشعرية ، ويخضع لنمط

(٢) وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية/ ٤١ وما بعدها •

أسلوبى معين ، يمارس من خلاله المنهج الذي أصبح يسلكه في كل حركة ، وعند كل موقف ، ابتداء من الصورة الاولى التي يشبه الناقه بالثور وانتهاء بانتصاره ، ومهمة الشاعر في هذا المجال تعتمد القصة التي تبدأ بوضع الخطوط الاولى ورسم شخوص هذه القصة من خلال الاحداث واحاطتها بالظرف الزماني والمكاني ومحاولة وضع النهاية التي تنتهي اليها تلك الاحداث . وفي ثانيا ذلك تتجلى لحظات التركيز التي تدفع القارىء او السامع الى المتابعة والانتباه وتخلق الجو القصصي الذي يعطي الحدث بعده ، ويحدد للمعاني مواقعها ، ويبدو ان هذا البناء والتنظيم كان واضحا كل الوضوح في ذهن الشاعر ، وهو ينسج أحداث القصة ويجمع اطرافها لتتلاقى في موضوع موحد ، وتتحد في أطراد شعري متجانس ، وسرد قصصي متسلسل تنمو من خلاله القصيدة نموا فنيا متكاملا ، وتتألف من وحداتها عوالم القصة تألفا دقيقا . يوحى بالاستيعاب الكامل ، والاحساس الواعي ، ويعكس القدرة القصصية التي كان الشاعر يتمتع بها ، ويكشف عن الالتزام الفني في البناء الذي أصبح نموذجا من نماذج الصورة ، وهيكل متفقا عليه من هياكل الصياغة ، وقد حاول الشعراء ان يبرزوا هذه الملامح من خلال التراكيب الشعرية المتناثرة في تضاعيف الايات ، فالوقوف على الطلل يستحيل عند الشاعر الى حركة صراع داخلية عنيفة ، تعيد الى نفسه الزمن ، وتخلق فيها دوافع النزوع الى الابتعاد عن هذا الجو . وهذه الحالة تولد عند الشاعر قوة الاندفاع لتخطي المرحلة ، والتحرك نحو موقف جديد ، والتواصل من اجل استكمال لوحة السرد القصصي لتأخذ الصورة ابعادها ، وتستكمل حلقاتها ، وتولد في نفس الشاعر توالي اللاحاح ، لمغادرة المحل الذي هيا له الشاعر دواعي الصمت ، وحشد لصوره من عوادي الزمن ، وقسوة الطبيعة ، وتوالي السنين ، ما جعله ذريعة للانتقال ، ومن هنا كانت مبررات الشاعر في هذا اللاحاح مبررات معقولة ، ليكون طريقه الى المغادرة سليما ، وحجته في عدم الانتظار مقبولة ، ومن الطبيعي ان يؤدي به الانصراف بعد هذا الوقوف الى الالتجاء الى وسيلته المفضلة التي تحملها للمسافات

الطويلة ، وتنقله عبر المتاهات التي يتيه فيها الدليل ، وتتجاوز به المفاوز القاتلة ، ولن تغيب هذه الصورة عن الشاعر وهو يخطط لاحداث قصته ، ويستجمع لها الجزئيات والكيليات لتكون هذه الوسيلة قادرة على اداء مهمتها ، متمكنة من تحمل المشاق ، صابرة على الجهود المضنية التي ستكلفها اعباء السفرة . ان هذا التهيؤ يوجب على الشاعر اعداد هذه الوسيلة اعدادا كاملا من حيث المقاومة والسرعة والتمكن والانطلاق ، ويغدق عليها من المظاهر ما يجعلها قادرة على الاجتياز ، والشاعر يدرك ما ستؤديه هذه الراحلة من واجبات ، ويجابهها من صعوبات ، فلا بد من تجميع صور التعب ، وتوفير لوازم الاجهاد ، وتهيئة الاشكال والصيغ التي يمكن ان تقال في هذا المشهد ، وتتلى في هذا الموقف . لتبرز دورها ، وتكشف عن مهمتها ، ولتجعل القارئ او السامع مدركا لما تلاقيه وتصادفه ، ليزداد شوقه الى نهاية الرحلة ولعل اختيار صورة الصياد المتوثب ، وانتقاء الوقت الذي تستظل فيه ، وتوقيت الزمن الذي يغلب عليه الليل ، واصطحاب هذا الجو بالمطر الشديد والظلام الدامس ، الى جانب انتظار الصياد المتربص بكلابه الجائعة والمدربة ، وارتقابه لخيوط الفجر وهي تتسلل عبر حفقات الرمل وقد اشبعها المطر فانهارت جوانبها على الثور الذي شبهت به الراحلة ، وتناثرت بعض حبات المطر على ظهره ، فشكلت لؤلؤا انقرط عقد نظمه ، أو انسل خيطه . . هذه الصورة وهذا التسلسل القصصي وهذه الحركات المزدحمة والاشكال المتوثبة التي يشد بينها توقع الحدث ، ويحكم ترابط المشهد بين جزئياتها قد أعدت باحكام ، ونسجت وفق تصور قصصي بارع . والشاعر هنا قد رسم لكل واحد من شخوصه دوره المرتقب ، ووضع له مجال تحركه ، وحدد له الخطوات التي يجب ان يخطوها ، فانصياد له دوره الذي يؤديه ، والكلاب لها موقعها الذي حدد لها ، لا يمكن ان تحيد عنه ، ولا تتجاوز ابعاده ، فهي مهزومة او مقتولة ، ولا نتيجة ثالثة غير هاتين النتيجتين ، والثور في الصورة

يمثل البطل الذي رسم له الانتصار وكتب عليه ان يكون الفائز في المعركة الحاسمة ، لانه صورة الناقة ، ونموذج الوسيلة التي ركبها الشاعر من أجل الوصول الى الغاية المنتظرة . وهو في واقعه يمثل العقدة التي تنتهي اليها القصة ...

ان الخيوط التي ربط الشاعر بها حركات هذا الحيوان ظلت في يده منذ اللحظة الاولى ، وظل الشاعر هو الشخص الوحيد الذي يملك القدرة على تحريكه كيف يشاء ، لانه العنصر الاساس في نهاية الصورة ، ونقطة الارتكاز في نقل مشاعر الشاعر الى المدوح ، ولهذا كان الاهتمام به اهتماما كبيرا ، والاعداد له اعدادا كاملا ، والاعتماد عليه اعتمادا كليا^(٣) .

لقد ظل منهج القصيدة العربية يحمل هذا التسلسل في بناء قصيدته التقليدية التي رسمها الشعراء ، وحملوا لواءها ، والتزموا بعنائها وظلوا يحملون معها هذه الابعاد القصصية التي تخفي في ثناياها عوامل الابداع ، وتطوي في اعماقها حكايات الامة التي تركت آثارها فوق كل لحظة من هذه الملامح ، وتخزن الموروث الاجتماعي والنفسي والديني الذي بقي عاملا حاسما من عوامل الدفع من اجل الوحول الى الحياة الافضل ، والسعي لتثبيت القيم التي اتفق على تحديدها المجتمع والتزم بتنفيذها الافراد .

ان الصورة القصصية التي تحتفظ بها ذاكرة القصيدة العربية لم تكن صورة جاهزة او مركبة ، وانما هي امتداد حضاري لفكر مبدع ، ومسيرة فكرية لروافد وابداعات انسانية متراكمة ، حققتها الذات العربية ، وقدمتها عطاء ادبيا متطورا ، وفنا انسانيا متقدما ، تخللته العواطف وشدت او اصره عوامل الشوق الحادة ، وعاشت في فيضه طاقات الانسان الذي اخلص لموروثه من خلال الالتزام بكل المناهج المتطورة .

(٣) يمكن مراجعة لوحة الصيد ووحدة الفكرة في كتاب وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية .

وقد وجدت القصة الشعرية عند هذيل صورة أخرى يكاد ينفرد بها شعراء هذه القبيلة وخاصة في احوال الرثاء^(٤) ، لانهم وجدوا في الوعل المسن ، والثور الوحشي الاسفع ، والحمار الوحشي ، والعقاب صورة الخلود لما تتمتع به هذه الحيوانات ، وخاصة الوعل من قوة وصلابة وتمكن من الارتقاء الى الاماكن المرتفعة ، وتسلق قلال الجبال المنيعه ، وقابلية على الايغال في أعماق الصحراء البعيدة ، ولكن بالرغم من كل هذا التمتع والتمكن والقابلية فهو يخضع لسلطان الموت ، وحوادث الدهر الذي لا يبقى على حدثانه شيء ، فلا بد ان يتاح لها في يوم من الايام صياد ماهر ، اخذ عدته وتأهب للعمل ، واعدّ السهام القويصة ، والرماح الطويلة التي تمكنه من اصابتها^(٥) . فالشاعر الهذلي في الرثاء يسرد لنا الحكاية سردا شيقا ، ويصور فيها هذا الحيوان ، وقد اكتملت قوته ، وعظم نشاطه ، ويصور ما يصادفه في حياته ، وما يتمتع به من ملذات الحياة ، وينعم به من مغانمها ، ليمنحه الصورة الكاملة للقوة والنشاط بأسلوب محكم ، وعبارات منتقاة ، وصور حية ، واحداث مشوقة ، واجواء قصصية تحمل القارئ او السامع على المتابعة ، وتدفعه الى التركيز ، للوقوف على النهاية ، وقد تحفزت مشاعره ، وتوثبت احساسه ، وبلغت في نفسه رغبة المتابعة حدا كبيرا . . وهنا يمتلك الشاعر ناصية الوقائع ، ليعطي الفكرة المرسومة في ذهنه كل الوانها ، ويحدد مواقع احداثها تحديدا دقيقا . فيصور الموت وقد تهيأ ، وبرسم القدر وقد حان ، وهو على شكل صياد ماهر ، أو حيوان جارح ، يتابع هذا الحيوان ،

(٤) للنحل في احاديث الشعراء ولاسيما الهذليين حديث طويل لكثرة انتشاره في مناطقهم واستفادتهم من عسله ولهذا كثرت صورته في شعرهم وتحدث عنه الشعراء وعن الطرق التي يصلون بها الى خلاياه والوسائل التي يستخدمونها مشتركوا العسل ، وهي احاديث تكتسب طابع القصص لما يرافقه من وقائع واحداث . (ينظر كتاب الطبيعة في الشعر الجاهلي ٢١٢/ وما بعدها) .

(٥) السكري . شرح اشعار الهذليين ٢٤٥/١ ، ١٠٩٠/٣ ، ١١٢٤/٣

ويبرز له على أشكال مختلفة ، يترصد حركاته ، ويراقب كل دقيقة من دقائقه حتى اذا أصبحت الفرصة مؤاتية ، سدّد سهمه ، وصوب رمحه ، وانقض عليه فارداه على الارض ينضح دما ، وهنا يطمئن الشاعر الى هذه النهاية ، التي وضّح خطوطها قبل ان يبدأها ، وصمم هيكلها قبل ان يشرع في سردها . ويختم القصة بعبارة التي توحى بالرضا ، ليعث في نفسه الراحة ، لانه المصير المقدر الذي يدرك كل انسان وحيوان ، ولا يفلت من قبضته احد^(٦) . وتشكل محاورة الذئب في بعض قصائد الشعراء امتدادا قصصيا آخر وبناء فنيا اعتمد الحوار والمناجاة ، وتخلّلتها المشاعر ، وتجلّت في احداثه طبائع الكرم الذي لازم امثال هذه المحاورات^(٧) ، ويمكن اعتبار قصيدتي المرقش الاكبر^(٨) وامرؤ القيس^(٩) من اوائل القصائد التي وصلت الينا وهي تحمل هذا النوع من المحاورة او المصاحبة . فقد صور امرؤ القيس مقابلته للذئب وقد اضرّ به الجوع عند ماء آجن ، بعد ان أمحل من حوله الكلا . فكان يعوي عواء الخليع الذي طردته العشيرة فبات لا يملك مالا يسدّ به رمق الحياة ، ولا أهلا يصدون عنه عوامل الدهر فخاطبه الشاعر رفيق ، وسأله عن أخ يواسيه ، ثم دعا الى الخوض الذي تركه له بعد ان اعتذر الذئب عن مشاركة الشاعر طعامه ، وبعدها يأخذ الذئب بالعواء مستبدعا بقية أصحابه لهذه المكرمة ، معلنا وفاءه لبني جنسه من الذئاب لتجد في هذا النبع ما يدفع عنها جراحة الجوع ، وقسوة الصحراء ، ولهيب وقدها اللافح . اما المرقش الاكبر فيقدم لنا صورة أخرى لهذا الحيوان الذي عراه مستضيفا فآكرمه كما يكرم الضيف ، ويصور لنا فكرة الكرم لاصيل الذي يقدم للضيف مهما كان شكله لا يفرق في تقديمه بين انسان وحيوان .

-
- (٦) ينظر شرح اشعار الهذليين ٢٥٣/١ و ١٠٩٣/٣ ، ١١٢٤ .
 (٧) ينظر كتاب على الهامش للاستاذ هلال ناجي/ ٣٩ .
 (٨) شعر المرقش الاكبر . مجلة العرب / والمفضليات ٢٦/١ .
 (٩) امرؤ القيس . الديوان ٣٦٣-٣٦٤ وتنسب القصيدة الى النجاشي الحارثي في حماسة ابن الشجري/ ٧١٨ وينظر تخريجها فيها .

وتلوح صورة الذئب عند كعب بن زهير ، وهي تحمل الموروث الشعري لها ، فقد استضاف الشاعر الذئب اثناء رحلته ، وحاول ان يصور المكان بدقة حيث كان الشاعر يسمع فيه همهمة لا يتبين فيها المعاني ، ولا تتميز الاصوات ثم يستمر في الحديث الذي يكشف حالة التفرد التي كان عليها الذئب ، والوصاف الدقيقة والالوان والاحوال ، وما يرجوه من الزاد ، ويضيف اليها صورة الغراب ، وهي استطراد جديد^(١٠) . ولعل إضافة الغراب ، وما أعقب ذلك من ملامح في توسيع افق الصورة ، والعناصر الجديدة التي دخلتها هي التي حملت ابن قتيبة على اعتبار الشاعر من السابقين حتى ان بعض الشعراء قد اخذوا منه ذلك^(١١) .

وتتوحد في اللوحين صورة الكرم الذي حاول الشاعر ان يعبرا عنه والصورة الانسانية التي داخلتهما وهما يقفان أمام حيوان لم يعرف غير الصحراء ميدانا ، ولم يجد غير الهواجر ظلا وملاذا ، ولعل الصورة الكاملة التي رسمها الفرزدق للذئب في قصيدته^(١٢) :

وأطلّس عَسالَ وما كان صلاحاً

دعوتُ بناري موهناً فأثاني

فلما أتى قلتُ ادنْ دونك إنني

وايّاك في زادي لمشتركانِ

فبتُ أسوِّي الزاد بيني وبينه

على ضوء نارٍ مرةً ودخانِ

فقلتُ له لما تكشّر ضاحكاً

وقائِمٌ سيفي من يدي بمكان

(١٠) كعب بن زهير . الديوان / ٤٦-٥٢ .

(١١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء ١/ ١٤٦ .

(١٢) الفرزدق : الديوان ٢/ ٣٢٩ وتنظر قصيدته .

تعشَ فانْ واثقتني لا تخونني
 نكنْ مثلْ من يا ذئبْ يصطحبانِ
 وانت امرؤ يا ذئبْ والغدر كنتما
 أخيين كانا أرضعا بلبانِ
 ولو غيرنا نبهت تلتمس القرى
 اتاك بسهمٍ أو شاة سنانِ
 وكلّ رفيقٍ كلّ رحلٍ وأنّ هما
 تعاطى القنا قوما هما اخوانِ

تعبر عن الامتداد الفني لهذه المحاورات • وعلى الرغم من ان مقدمة القصيدة قد أشارت الى ان الفرزدق خرج في نفر من الكوفة يريد يزيد بن المهلب ، فلما عرسوا من آخر الليل عند الغريين ، وعلى بعير لهم مسلوخة كان اجتزرها ، ثم اعجله المسير ، فسار بها فجاء الذئب فحركها • وهي مربوطة على بعير ، فذعرت الابل ، وجفلت الركاب منه وثار الفرزدق ، فأبصر الذئب ينهشها ، فقطع رجل الشاة ، فرمى بها الى الذئب ، فأخذها وتنحى ، ثم عاد فقطع اليد فرمى بها اليه ، فلما أصبح القوم خبرهم الفرزدق بما كان • • أقول : على الرغم من هذه المقدمة التي قدم بها لهذه الحادثة فاني أعتقد ان الصورة تقليدية لموروث شعري قصصي ، سلكه الشعراء في بعض مسالكهم ، واتجهجوه في جوانب من مناهجهم ، تعبيرا عن مشاركتهم لهذا الموروث ، وتأثرهم بما يحمله من مشاعر التعاطف في مواقف الكرم أو استجابتهم لدواعي النفس عندما تجد نفسها في موضع يستحق التعبير ، أو التزامهم بحدود الانغراض والمواقف والابنية الفنية لبعض ما يريدون التعبير عنه • ويمكن تأكيد هذه الفكرة عند مراجعتنا لقصيدة الفرزدق الثانية التي ذكر فيها الذئب مرة أخرى فقال (١٣) :

وليلة بتنا بالغريين ضافنا على الزاد مشوق الذراعين أطلس

(١٣) الفرزدق : الديوان ١/ ٣٨٧ •

ومن الغريب ان يقدم للقصيدتين بمضمون واحد ، وصياغة متقاربة . . وهذا ما يؤكد ما ذهبنا اليه من افتعال للحوادث^(١٤) ، ولعل تكرار امثال هذه القصائد وبالسرد القصصي التقليدي عند بقية الشعراء تحدد الصورة الفنية التي التزم بها الشعراء وعالجوا من خلالها الجوانب النفسية التي كانت تعترهم^(١٥) ، وتمسكوا بالاسلوب الذي اصبح متبعاً في معالجة هذه الموضوعات . لان معظم هذه المحاورات تدور في اطار واحد ، وتستخدم اسلوباً واحداً ، وتستسقي حوارها من موضوع محدد ، ولا اغالي اذا قلت أن الافعال والصيغ والصور تكاد تكون متشابهة ، وقد تركت هذه المحاورات أثرها الواضح في الادب العربي ، وربما انتقلت هذه الصياغة الى محاوره حيوانات أخرى ، استمدت احداثها من معانٍ وجد فيها الشعراء مجالاً للتعبير عن دواخلهم النفسية ، أو واقعهم الاجتماعي . فاتخذوا منها طريقاً للتعبير ، وفي محادثتها صوراً من صور التعاطف الانساني ، وقد ظلت هذه المحاورات تحمل السرد القصصي التقليدي ، وبقيت احداثها الداخلية مرتبطة بظاهرة الجوع الصارخ ، والوحدة الكئيبة ، والظلام الغامر ، والتطلع الى ما تجود به اليد ، والمراقبة الشديدة ، والترصد للغادر . . . والنهاية التي تحقق الرضا الى الطرفين . . . وقد ظلت ظاهرة الحديث مع الذئب مرتبطة بالجوع والكرم والتعاطف الوجداني والاحساس المتبادل والضيافة ولا بد لي وانا اتحدث عن هذا النوع من الحوار أن أقف عند جانب آخر من جوانب الكرم كان يرتبط بسرد قصصي آخر ، ويأخذ شكلاً قريباً من الشكل الذي كانت تأخذه هذه المحاورات ، فالشعراء في حديثهم عن الاضياف كانوا يلتزمون نمطاً قصصياً واحداً ، ويستخدمون شكلاً فنياً واحداً ، ويميلون الى استخدام صيغ لفظية واحدة ، من اجل الوصول الى الغاية التي تشرح الكيفية التي يتم بموجبها الكرم . وهو سرد متناسق من حيث التوجيه ، يبرز فيه التمهيد والتقديم ثم

(١٤) ينظر المعاني الكبير / ٢٠٦ ، ٢٠٧

(١٥) الكميت . الديوان : ١٩٦/١ ، ٨٦/١ نقلاً عن المعاني الكبير / ٢٠٤ ،

٢٠٥ وينظر الديوان ٨٧/١

ينتقل الى الوقوف عند احداث القصة وما يقدمه الضيف ، والطريقة التي ينتهي بها ذبح الذبيحة ، وما يعقب ذلك من وقائع .
ان هذا الجانب يشكل ظاهرة قصصية اخرى ساقف عندها قليلا لاؤكد هذا الجانب من حيث البناء والتوافق ، واؤكد ان هذه الاساليب القصصية كانت تمثل رافدا أدبيا واضحا في الشعر العربي .

وتأخذ مقدمات قصائد الاضياف جانبا واضحا من الحوار القصصي ، وهو جانب يتمثل بالضيف الذي يلجئه الضلال عن الطريق ليلا ، وجهد المسير الى ان يتكلف نباح الكلب وحكايته ، لتجاوبه كلاب الحي ، فيهتدي اليها بصياحها ، ويستعين على ضره وحيرته ، ويؤكد الشاعر بان الليلة من ليالي جمادى ، لانها من شهور البرد والمطر ، كما يؤكد شدة ظلمتها وامتداده ، وتكامله وتراكمه ، (لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا)^(١٦) ، وان الصدى يستتبه الى كل صوت يدركه ، ويستخدم الشعراء في هذه الحالة الصور الآتية :

- ... ومستنبح بات الصدى يستتبه^(١٧)
- ... ومستنبح قال الصدى مثل قوله^(١٨)
- ... ومستنبح يستكشط الريح ثوبه^(١٩)
- ... ومستنبح بعد الهدوء دعوته^(٢٠)
- ... ومستنبح تهوى مساقط رأسه^(٢١)
- ... ومستنبح في لجج ليل دعوته^(٢٢)

(١٦) من قصيدة لمرة بن محكان في حماسة ابي تمام (المرزوقي) ١٥٦٣/٤

(١٧) حماسة ابي تمام ١٥٥٧/٤

(١٨) ن.م. ١٥٦٩/٤ .

(١٩) ن.م. ١٥٨٠ .

(٢٠) ن.م. ١٦٤٣ .

(٢١) ن.م. ١٦٤٥ .

(٢٢) ن.م. ١٦٩٥ .

- ومستنبج لهفان يضربه النسيدي (٢٣) ...
 ومستنبج بعد الهدوء دعوتيه (٢٤) ...
 ومستنبج والجون أهدب ماطر (٢٥) ...
 ومستنبج طاوي المصير كأنما (٢٦) ...

ان صيغة (ومستنبج) التي افتح بها الشعراء مقطعاتهم في هذه النماذج وفي غيرها ، تؤكد التزام الشعراء بها ، والتحدث بآثارها ، والحرص على الشكل الذي استخدمت فيه ، كما ان الصياغة التي أعقبت هذه العبارة ، كانت صياغة متقاربة من حيث الشكل ، ومتفقة من حيث الاداء والمعنى والدلالة ، وهذا يعني ان هيكلنا من البناء الموحد في المعنى والاستخدام والتوافق كان يسود الجو الشعري ، ويفرض وجوده على الشاعر ، وهو يعالج موضوعا أو غرضا . واذا حاولنا متابعة الظاهرة في هذه النماذج وفي غيرها وجدنا ان الصورة التي رسمت في النموذج الاول تظل صورة تهدي بقية النماذج ، وترشد الشعراء الى أقتنائها ، وتدلهم على المعالم المتبقية والتي تترك على وجوه قصائدهم معالم الالتزام الفني في هذا البناء ، لان الشعراء يحرصون على ان يكون الشرط الثاني وما بعده جوابا (لرب) ويتضمن اشارة الى ما يرشد هذا المستنبج اليهم ، ولعلمهم وجدوا النار دليلا من ادلة الاهتداء ، بعد ان يوقدوها بغلاظ الحطب وكبارها ، فكان الجواب « حضأت له نارا لها حطب جزل » (٢٧) ، و « بشقراء مثل الفجر ذاك وقودها » (٢٨)

(٢٣) الحماسة البصرية ٢٣٤/٢ .

(٢٤) ن.م. ٢٣٦ .

(٢٥) ن.م. ٢٣٨ .

(٢٦) ن.م. ٢٤١ وينظر ٢٤٢ .

(٢٧) الحماسة ١٥٦٩/٤ .

(٢٨) الحماسة ١٦٤٣/٤ .

« حضأت له ناري فأبصر ضوءها »^(٢٩) و « بمشوبة في رأس صمدٍ مقابل »^(٣٠) ، و « رفعت له حمراء اخرق نورها »^(٣١) و « هدته لنا وردية اللون طيرت »^(٣٢) ، « ودعوت بحمراء الفروع كأنها »^(٣٣) ، « ورفعت له ناري فلما اهتدى بها »^(٣٤) .

فالنار هنا أصبحت علامة من علامات الاهتداء ، وإشارة من اشارات الشعراء اذا ارادوا ان يتحدثوا عن هذا الموضوع ، ومن الطريف هنا ان يلتزم الشعراء في هذا الموضوع وموضوع محاورة الذئب (البحر الطويل) لاسباب قد تدخل احيانا في قدرة البحر على أستيعاب الصورة ، واتساع مقاطعه النغمية لامتداد المعنى المطلوب^(٣٥) ، كما انهم ظلوا حريصين عليه حتى في القصائد التي جردوا فيها النساء للومهم على الانفاق او الكرم او الجرأة والمغامرة او الموضوعات الاخرى التي استخدموا فيها صيغ الحوار . ولعل ارجح الاسباب وافضلها يعود الى حرصهم على ابقاء الصورة التقليدية خاضعة حتى في الوزن . وهذا جانب فني يؤكد متابعة الصورة والحرص على استيفاء معظم اجزائها واستكمال ابعادها الفنية اطارا وبناء وتركيبا .

ان محاولة الشعراء تقليد الصورة الفنية المتعارف عليها ، لم تمنعهم من ابراز قدراتهم الفنية ، ولم تحل دون ايضاح احساسهم الدقيق وابداعهم المعبر ، فالنار التي حرص على ايقادها الشعراء ، ليهتدي بضوئها من كده الزمان في سفر ، أو لم تساعد الحال على مؤنة ، فاستنبح كلاب الاحياء لم تكن لونا واحدا ، أو صورة متشابهة ، فهي نار أوقدت بغلاظ الحطب وكبارها

(٢٩) الحماسة ١٦٤٦/٤

(٣٠) الحماسة ١٩٦٥/٤

(٣١) الحماسة البصرية ٢٣٤/٢ .

(٣٢) الحماسة البصرية ٢٣٨/٢

(٣٣) الحماسة البصرية ٢٤٢/٢

(٣٤) الحماسة البصرية ٢٤٢/٢

(٣٥) ينظر كتاب المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها للدكتور عبدالطيب المجذوب ٣٩٢ وما بعدها .

فكانت شديدة الاتقاد ، أو سعراء مثل الفجر لصفائها ، واشتداد حرمتها ، أو هي مرفوعة أو مهيّجة ، ليبصر ضوءها ، أو مشبوبة في رأس جبل مرتفع مقابل لسمت الضيف ليدعوه اليه ، أو حمراء يخرق نورها قميص الدجى ، أو وردية اللون قد تطاير شررها حتى تميّز بعلامتها رداء الافق ، أو حمراء كأن فروعها ذرى راية في جانب الجو تخفق ..

ان هذه الصور الملونة للنار ، وهذه الاوصاف التي وصفت بها للتدليل على ارتفاعها وانتشارها وسعة رقعتها كانت المجال الفني الذي حاول الشعراء ان يبدعوا فيه ، لاثبات قدرتهم في ابراز صورتها ، وايضاح أهميتها ، وتأكيدها ، وقد اتخذوا من هذه الصورة رمزا من رموز الكرم ، ومظهرا من مظاهر الاعتزاز ، ومجالا من مجالات القدرة على العطاء . أو الاشتهار به ، أو التميّز بمظهره . فمحاولة الاقتداء بالهيكل العام لهذا الغرض ، والالتزام بالبناء الفني لم يقتصر على الاطار العام للبناء ، وانما ظل الشاعر يتابع جزئياته بدقة ، ويساير أشكاله بمهارة ، ويدور في دائرته بانتظام . فالصورة التي بدأها بالاستنباح ، وتابعتها باشتعال النار كانت بداية لحوار مستمر يبدؤه الشاعر ثم يعقب عليه بقوله فقالوا^(٣٦) . أو فقلت^(٣٧) ، ثم يستمر الحوار في بعض القصائد فيستغرق مجموعة من الايات^(٣٨) . أو يستمر على لسان الشاعر الذي يأخذ مجالا جديدا في استكمال عملية الكرم والاعداد له والترحيب بالضيف واستقباله^(٣٩) ، والقيام بصورة مستعجلة حرصا على اصلاح امره ، وتوطيد محله ، واستغنام خدمته لئلا يبادر غيره فيفوز به

(٣٦) الحماسة ١٥٥٩/٤ .

(٣٧) الحماسة ١٦٩٥/٤ ، ١٦٩٨ ، ١٦٤٣ ، ١٦٢٧ ، ١٧١٦ .

(٣٨) الحماسة ١٦٢٧/٤ ، ١٦٢٨ .

(٣٩) الحماسة ١٦٤٣/٤ ، ١٦٤٦ ، ١٦٢٨ ، ١٦٩٨ والفضليات ١٢٦/٢

ويستخدم الشعراء الفعل (قمت) وهو مقترن بالفناء^(٤٠) وقد استبطن سيفه^(٤١) أو قام بنصله^(٤٢) . أو بأبيض مصقول خطت حديدته جفنه في الارض^(٤٣) .

ويحرص الشعراء على ان يكون السيف وسيلتهم في الذبح ، والابل ساكنة عظاما ، باركة بالفناء ، كريمة بيضا هاجدة ، أعدت لواجب حق ، وهيئت لتكون زادا للضيف ، ثم تتسلسل الحكاية تسلسلا قصصيا تتوالى فيها الافعال تواليا منسقا ، وتعاقبت حروف العطف تعاقبا متصلا من حيث الاداء والعمل والربط ، لتأخذ الحكاية حورتها ، ولتؤدي الافعال معانيها ودلالاتها لتصل الى النموذج الاخلاقي الذي بنيت عليه الحكاية ، وحددت الادوار . فالشاعر يسعى الى اكتساب الحمد بالمال^(٤٤) ، ويبالغ في تفقد أضيافه ، ويسترخص الحمد الذي يجلبه الاكل ويكسبه الطعام^(٤٥) ، ويؤكد ان اطعام الضيف حق ودين يرثه الابناء من الآباء ، ويأخذه الخلف عن السلف^(٤٦) ، ويباهي باصل الكرم وطيب ارومته ، وتعظيم الالتزام به^(٤٧) .

ان تسلسل هذه الحكايات ، واتفاق صيغها ، وحرص الشعراء على اداء المعنى وما يقتضيه البناء ، يشكل التزاما قصصيا واضحا ، وحوارا لحكايات كانت احداثها تدور في نفس الشاعر ، ووقائعها تتجلى له في حياته التي يمارسها في كل وقت ، ويؤكد وجود صيغ أدبية مرسومة ، وأطر فنية واضحة

(٤٠) الحماسة ١٥٥٩/٤ ، ١٥٦٦ ، ١٥٦٩ ، ١٦٤٩ ، ١٦٩٨ والحماسة البصرية ٢٣٧/٢ .

(٤١) الحماسة ١٥٦٦/٤

(٤٢) الحماسة ١٦٤٨/٤

(٤٣) الحماسة ١٦٩٨/٤

(٤٤) الحماسة ١٥٦١/٤

(٤٥) الحماسة ١٥٦٨/٤ - ١٥٦٩

(٤٦) الحماسة ١٧٠١/٤

(٤٧) المفضليات ١٢٥/١

يقف عندها الشعراء وهم يقدمون على معالجة الموضوع ، يأخذون بها وهم يؤدون مهمة المباشرة ، وهذا يعني ان سردا قصصيا ، وامتداد حوار داخلي كان يتجاذب اطراف الاحاديث في دخيلة الشاعر ، فينصرف الى معالجته ، ويأخذ نفسه التزاما بالصيغة ، وحرصا على الاداء ، وتشخيصا للعناصر الفنية التي كانت تأخذ ادوارها في الحكاية ، المتمثلة في أشخاص الضيوف ، وأصوات الاستباحت ، وعبارات الاستقبال والترحيب والاكرام ، والقيام بعجلة الى الكرم الهواجد ، وحركات الجازرين ، والجو النفسي الذي يسود العملية بعد الاطعام والارتياح الذاتي الذي يستشعره الشاعر وهو يطعم جائعا ويؤدي واجبا ، ويقضي حقا ، ويحسن الى أنسان اجده السير واتعبه الطريق واضلته الظلمة الحالكة .

ولعل الحوار الذي يكتنف بعض قصائد الشعراء ، والذي يأخذ طابع البساطة في بعض الاحيان ، هو حوار لا يخرج عن نطاق المساجلة الآنية ، والفكرة المؤقتة ، والتأثير الذاتي ، ولكنه يشل اتجاهها قصصيا ، ومجرى حوار كان يأخذ بعده في الواقع الشعري ويرسم ملامح توجهات قصصية معروفة ، وربما كانت هذه الملامح صورا لتيارات لم تبرز بشكل واضح في هذه المقطعات . وقد يكون الحوار طويلا تنبعث منه فلسفة الشاعر ، وتبرز من ملامحه قدرته الخلقية ، وتألق من خلاله ملامح الاصرار الذي دفعه الى هذا السلوك .

وقد يظن بعض الباحثين ان هذا الحوار بشكلي هو حوار حقيقي استحدثته الفكرة المؤقتة ، او أوجه العتاب الانفعالي ، أو خلقه الطرف المناسب . وقد حاولت في هذا البحث متابعة ظاهرتين من هذه الظواهر وعند شاعرين من الشعراء هما حاتم الطائي وعروة بن الورد ، وقد استطعت ان أتوصل الى ان هذا الحوار متخيل لا وجود للنسوة اللاتي تخيلهن الشعراء فيه ، ويمكننا ان نعد هذا التخيل من المحاولات الاولى في الحوار الشعري بالنسبة للادب العربي .

واستطيع كذلك ان اؤكد أن أكثر الحوار الشعري الذي استخدمه الشعراء كان يعتمد التجريد الذي يخلقه الشاعر ليؤكد في نفسه صفة مشهورة ، فمحاورته للفرس والغول يؤكد فيهما شجاعته ، ومحاورته للذئب يؤكد أكرامه للضيف ، ومحاورته للمرأة التي تظهر خوفها من الاتفاق يؤكد كرمه ، ومحاورته للمرأة التي تظهر خوفها من المخاطر يؤكد بطولته ، وكل محاولة من محاولات الحوار هذه تظهر صفة من صفاته ، وتؤكد رمزا من الرموز التي قدمها ، مستخدما أسلوب التجريد الذاتي الذي احس فيه قدرة على التعبير ، ومجالا لمخاطبة الذات •

فالتجريد الواعي لحقيقة النفس من خلال الاستجلاء الواقعي لها ، يوحى بما لا يقبل الشك بما تحمله هذه النفس من خصائص ، وما تحاوله من أثبات لها وهي في هذه المحاولة لا تخرج عن الاطار المرسوم والمحدد • وهذا التجريد يوحد الاثبات المتناثرة من اجزاء هذه الخصائص ، ويلصق أشكالها المتناسقة ، ووحداتها المتشابهة ، ليصنع منها الهيكل العام الذي يعكس من خلال حركاته أصالة الاتجاه ، ويعطي من ملامحه ما يضيف اليه تكامله الخلقى ، وتجانسه الجوهرى • والانسان يخضع وهو يعاني هذه التجربة لعوامل كثيرة تتصارع فيها الاجزاء ، وتسقط من بين أصابعها نزوات الاعراض الواهية ، وتلمع شرارات الحدس الموحى بصدق الرؤيا بشكل مغاير ، ليمنح الانسان قدرته الخلاقة ، ويهبه من معطيات أصالته ما يحمله على تصديق هذه الرؤى • وعند أستكمال الجوانب الخارجية للصفة التي أعتقد الانسان بوضوحها ، تنبري العوامل الداخلية بصمت واع ، لتسج الوجه الآخر لهذه الصفة ولتظهرها كاملة من خلال اطارين واعين يحسنان الابداع ويقدران على دفعه بشكل لوحة فنية بارعة وبارزة تتجسد في ألوانها ملامح الانسان المعبر وتألق في ثنایا خطوطها حركاته البارزة وتتحدد الخصلة التي وجدت طريقها البين ، شامخة رائدة •

وقد استطاع الشاعر الجاهلي ان يتلمس الطريق السليم للكشف عن صفاته البارزة بواسطة هذا التجريد لانه استطاع من خلاله ان يرسم صورته

الاضلية ويؤكد خصائصها البارزة ويظهره بشكل يوحى بالقدرة الفنية الكامنة في تعابيرها والتمكن المسئول عن حمل الشحنة الشعرية المعبرة . فهو يجرد من نفسه شخصية المرأة اللائمة ليجعلها الصورة الراقصة لسلوكه القانع بادائه وهو في هذا التجريد يخلق العبارة المتناسقة والجو الموافق والعتاب المقبول مستمدا من الحوار الداخلي الذي يجريه وسيلته التي يركز عليها لايضاح وجهة نظره وبسط المفهوم الذي آمن به حقيقة واقعة لا يمكن ان يخرج عن حدودها .

والشاعر يحرص على ان تكون وسيلته اللوم ، ويحرص على استخدام الفعل (لام) و (مشتقاته)^(٤٨) في بداية حوارهم وهو حريص كذلك على اخفاء الصورة الاولى التي لا يذكرها أبدا وانما يكتفي بتقديم حجته بعد ان يمهد لذلك بما يشير الى اللوم . ويحرص كذلك على ان يقع هذا اللوم في الليل بعد ان تبدأ النجوم اللامعة بالميلان نحو المغيب ، وبعد ان يحجب الظلام الرؤيا الواضحة وتلف الارض العريضة جحافل الليل المعتم . في هذا العالم تتوثب في نفس الشاعر عوامل الدعوة وكأنه كان يجد في ظل هذا الضمت الرهيب والوحدة السائبة استجابة واقعة وأثارة لازمة ودواعي موجبة .

والشعراء يصرون على ان ظاهرة اللوم هذه لم تكن في محلها مهما كانت الدوافع ويؤكدون استمرارهم على السلوك الذي ليموا عليه ، غير آبهين بما يقال عنهم ، ويعد الشاعر حاتم الطائي من النماذج الشعرية التي التفتت بشكل واضح الى هذا التجريد لتأكيد صفة الكرم ، ولا نستغرب هذه الحقيقة اذا علمنا ان حاتما يمثل التركيز الصادق لظاهرة الكرم العربي ، وقد أصبحت هذه الظاهرة خصيصة متميزة ، خبرها الشاعر خبرة واعية ، وهضمها هضما حسيا ، واستطاع ان يجعله فلسفة يدافع عنها وفق منطق معقول ، ويلتزم بها التزاما غير محدود ويبذل من أجلها ما يحصرص الآخرون على جمعه .

(٤٨) في معظم النصوص المستشهد بها نجد هذه الظاهرة .

وقد أخذت صورة التجريد أشكالا متباينة ، واتجاهات مختلفة ولكنها تلتقي عند ظاهرة اللوم ، وتختلف عن الصفة التي يلام عليها ، وهي التي تحمل المرأة على هذا اللوم ، ولهذا كان حاتم الطائي يجرد شخصية المرأة اللائمة على انثاقه وبذله وكرمه . وعروة يجرد شخصية المرأة اللائمة على غزوه وخوضه غمار الغارة ، وعمر بن معد يكرب يجردها على الانثاق الغزو معا .

ان حاتم الطائي في تجريده يمسك بخيوط الاسلوب الشعري المحسوس ويستخدم الالفاظ الشعرية الموحية ، ويوافق بين تسلسل الافعال بصورة فنية منسقة ، فاللوم واقع بسبب اعطاء المال أو هلاكه وحديث البخل قائم للمقارنة والدعوة الى امساك المال جزء من النصائح التي تقدمها اللائمة وفلسفة الشاعر وعادته في الانثاق ، وايمانه باساءة تصرف الوارث بعد موته ، تمثل التبرير المعقول لدى الشاعر وتحمله على الدفاع بشكل تقريرى عن هذا السلوك الوصفى والايمان المطلق بسلامة هذا التصرف ان هذه الافكار تتناثر في أبيات قطعه ، وبشكل يوحي بعمق الفكرة الشاعرة في نفسه فيقول في واحدة من قصائده (٤٩) :

وقد غاب عيشوق الثريا فعردا	وعاذلة هبت بليل تلومني
اذا ضنّ بالمال البخيل وصردا	تلوم على اعطائي المال ضلّة
أرى المال عند المسكين متعبدا	تقول : إلا أمسك عليك فأنني
وكل امرئ جارٍ على ما تعودا	ذريني ومالي أن مالِك وافر
يقي المالُ عرضي قبل أن يتبددا	ذريني يكن مالي لعرضي جنة
أرى ما ترين أو بخيلا مغلدا	أريني جودا مات هزلا لعني
الى رأيٍ من تَلَحَّينَ رأيك مسندا	وإلا فكفي بعضَ لومِكِ واجعلي

وفي قطعة أخرى يقول (٥٠) :

وقائلةٍ أَهلكتَ في الجود مالنا
فقلت دعيني انما تلك عادة

وفي ثالثة يقول (٥١) :

مهلا نوارُ أَقْلِي اللومَ والعذلا
ولا تقولي لِمال كنتُ مَهْلِكُهُ
يرى البخل سبيلَ المالِ واحدة
ان البخل اذا ما مات يَتَبَعُهُ
لا تعذليني على مال وصلت به
ولا تقولي لشيء فات ما فعلا
مهلا وان كنتُ أعطي الجن! والخبلا
إن الجواد يرى في ماله سُبُلا
سوء الثناء ويحوي الوارث الأبلا
رَحْمًا وخيرُ سبيل المال ما وصلا

اما في القطعة الرابعة فلا يكتفي الشاعر بعاذلة واحدة وانما يتجاوزها الى عاذلتين تلومانه لا تلافه واتفاقه فيقول (٥٢) :

وعاذلتين هبتا بعد هجمة
تلومان لما غورَ النجمُ ضلَّة
فقلتُ وقد طال العتابُ عليهما
الا لا تلوماني على ما تقدما
فانكما لا ما مضى تدركانه
تلومان متلافاً مفيداً مثلوما
فتى لا يرى الاتلاف في الحمد مغرماً
واوعدتاني ان تبينا وتصرما
كفى بصروف الدهر للمرء مُحْكماً
ولستُ على ما فاتني مُتندماً

وهكذا تنبسط فلسفة حاتم ، وتتضح ملامح هذا السلوك من خلال التجريد الذي افرده من نفسه على شكل ذات تمثل الجانب المضاد لما يعتقد به ، ليجسد هذا السلوك من ثنايا التمييز الواضح بين الخصيصتين •

(٥٠) الديوان/١٨٧

(٥١) الديوان/٢٠٠ - ١٠٢ •

(٥٢) الديوان/٢٣٥ •

ولم ينفرد بهذا الحوار حاتم الطائي ، ولم تتميز به شخصيته ، وإنما نهج هذا النهج مجموعة من الشعراء ، لأن البناء الفني ألزمهم بالمحاكاة والاطار الشعري حملهم على التقليد . وقد أكدت النماذج الشعرية التي زخرت بها مجاميع الشعر هذا الاتجاه ، فعمرو بن الاهتم يجرّد شخصية أم هيثم ليخاطبها فيقول (٥٣) :

ذَرِنِي فَأَنْ الشَّحَّ يَا أُمَّ هَيْثَمٍ لَصَالِحِ اخْلَاقِ الرِّجَالِ سُرُوقِ
ذَرِنِي وَحُطِّي فِي هَوَايَ فَانِي عَلَى الْحَسْبِ الزَّكَاكِ الرَّفِيعِ شَفِيقِ
ذَرِنِي فَانِي ذُو فَعَالٍ تَهْمُنِي نَوَائِبُ يَعْشَى رِزْوَاهَا وَحَقُوقِ

وزيد بن حصين يجرّد ابنة منذر فيقول (٥٤) :

أَقْلَيْ عَلِيَّ اللُّومَ يَا ابْنَةَ مُنْذِرٍ وَنَامِي فَاَنْ لَمْ تَشْتَهِي النُّومَ فَاسْهَرِي
ويجرّد زيد بن ظالم أم كدراء (٥٥) ، ويسمّيها عروة بن الورد أم حسان (٥٦) ، وعند سالم بن قحطان أم الوليد (٥٧) وفي قول يزيد بن الجهم الهلالي أم محمد (٥٨) ويطلق عليها سودة اليربوعي اسم « مي » (٥٩) .
وفي صورة حطائط بن يعفر ابنة العتّاب (٦٠) وهي طريفة عند جؤيّة بن النضر (٦١) ويسمّيها عبدالله بن الحشرج أم سالم (٦٢) وعند رجل من بني

(٥٣) ابو تمام . الحماسة ١٦٥٢/٤

(٥٤) نفس المصدر ١٦٧٨ وهي في ديوان عروة / ٣٥ .

(٥٥) ن . م . ١٧١٧

(٥٦) ن . م . ١٧٢٣

(٥٧) ن . م . ١٧٢٦

(٥٨) ن . م . ١٧٢٩

(٥٩) ن . م . ١٧٣٢

(٦٠) ن . م . ١٧٣٢

(٦١) ن . م . ١٧٣٥

(٦٢) ن . م . ١٧٣٧

سعد ام الكلاب^(٦٣) ، ويكتفي بعض الشعراء بلفظ عاذلة وعواذل
ولائية^(٦٤) ، وهي كما وجدنا في نماذج حاتم مقطعات تتمسك باطار المعاني
المحدودة ، والالفاظ المستعملة ، والصيغ التركيبية التي اصبحت سمة من
سمات هذا الغرض ، ومن الطبيعي ان تتضمن هذه النصوص الجواب الذي
يرد به الشاعر ، أو القول الذي يبرر به الاتفاق ، وعندها يستخدم الفعل
(قلت)^(٦٥) .

وفي الطرف الاخر من قضية التجريد هذه يقف شاعر آخر ليمسك
بطرف ثانٍ من الموضوع ، وليعالجه بشكل يرافق المعالجة التي استخدمها
حاتم ، وكلها تعبر عن صفة أخرى لازمت هذا الشاعر ، ورسمت خطوط
ظاهرة طبعت حياته وكشفت كوامن فلسفة اتخذها اساسا لحياته . هذا
الشاعر هو عروة بن الورد ، وهذه الصفة هي الغزو ، وحب الاسفار والمغامرة
وقد وجدت هذه الصفة عند الشاعر استجابة دقيقة فاستحسنها ، وعرف بها ،
وادرک قدرته على سلامة تحقيقها ، فعاش لها بلا تردد ، والتزم بها بلا تكلف
ولهذا كانت تعيش في حسه بصورتها المجسدة ، وترتني ملامحها في ذهنه
بوعي مسبق ، حتى أصبحت ظلا لا يفارقه ، وصوتا لا يتعد عنه ، وقد
استطاع الشاعر بما وهب من نفاذ بصيرة ، وقدرة استشفاف على ما يحيط
به من معالم متفاوتة ان ينتزع الاعجاب من أصحابه . ويأخذ زمام المبادرة
بالسيادة ولكن من جانب هو غير انجانب المعروف في مجتمعه ، فأصاب
الامر من موضع آخر ، ولمس المجد بوسيلة غير مدركة من قبل ابناء عصره .

(٦٣) ن.م. ١٧٣٩ وتنظر الحماسة الشجرية/٤٧٥ وما بعدها والحماسة
البصرية ٢٣٧/٢ وما بعدها .

(٦٤) الحماسة ١٦٥٥/٤ ، ١٧٠٧ ، ١٧١١ ، ١٧١٦

(٦٥) تنظر نماذج حاتم والحماسة ١٧١٦/٤ ، ١٧٣٢ . وديوان عروة بن
الورد / ٢٤ ، ٤٤ ، ٤٥ .

كان عروة بن الورد متحسسا للامر ، وهو يعي الظاهرة ، ويحسن السلوك للوصول اليها وقد أهلت قدرته الشعرية ، وبراعته في الالتقاء والبناء على تحقيق رغبته حتى كان تجريده للموضوع تجريدا واعيا ، وقد اختار له المرأة اللائمة على هذا السلوك وهي في تجريده هذا يوضح ابعاد الفكرة الثابتة في نفسه ، ويحدد خطوطها الواضحة ، فالمرأة تلومه على الغزو ، وتحاول ان تحول بينه وبين المخاطر التي توصله الى غايته ولكنه ينتهي . عادة بما يرد لومها ويذهب عتابها ويفند حججها ويحرص الشاعر شأنه في التجريد الاول على استخدام الفعل « أقللي اللوم » ويطلب منها ان تتركه ونفسه لا يمانه بأن المنايا تفر كل ثنية ، وأيمانه بخلود الاعمال الكريمة والاحاديث المشرفة ولهذا توزعت الافعال التي يخاطب بها المرأة في شعره فيقول (٦٦) :

وسائلة أين الرحيل وسائل ومن يسأل الصلوك أين مذهب ؟
مذهب ان الفجاج عريضة إذا ضنَّ عنه بالفعال أقاربه

ويقول في قطعة أخرى (٦٧) :

أقللي عليّ اللومَ يا بنت منذر ونامي وإن لم تشتهي النوم فاسهري
ذريني ونفسي أم حسان انسي بها قبل أن لا أملك البيع مُشتري
احاديث تبقى والفتى غيرُ خالد إذا هو أمسى هامة فوقَ صَيَّرِ
ذريني أطوف في البلاد لعلي اخليكَ أو اغنيك عن سوء محضري
الخ ...

(٦٦) الديوان/ ١٩ .

(٦٧) الديوان/ ٣٥ .

ويقول في ثالثة (٦٨) :

ألم تعلمي يا أم حسان أننا خليطا زيالٍ ليس عن ذاكٍ مقصر
وإن المنايا ثغرٌ كلٌّ ثنيّةٍ فهل ذاك عما يتغي القومٌ مُحصرٌ
ويستمر عروة في هذا النهج الشعري ، وبهذه الطريقة التي تعتمد المرأة
في الحديث وتتخذ منها ذاتا تسأل عن طريقته في الحياة (٦٩) .

لقد وجد عروة في هذه الصيغ الشعرية إثارة كانت تحمله على بسط
فلسفته والكشف عن حقيقة سلوكه الاجتماعي لايمانه بهذا النمط من الحياة،
وهذا ما جعل شعره صورة لحياته وقد ذوب فيه العلاقات الكبيرة المتباعدة
في تلك الحياة مستمدا من هذه التساؤلات مواضع الكشف الحقيقي عن
دخيلة النفس الطامحة لتسجيل المفاخر التي وجد فيها الشاعر مفارقة تميزه
عن أبناء عصره ، وقد أستطاع تحقيق هذه الذات من خلال التساؤل الواعي،
والاجابة المدركة والحوار الصادق الذي ملك عليه أطراف الحديث الحقيقي .

إن حاتم الطائي وعروة بن الورد لم يمسكا بأطراف الموضوع وحدهما،
وانما كانت هناك أكثر من يد تمسك بالخيط من مواضع أخرى لتؤدي
مهمتها القائمة على أساس الحوار المفتعل أو الاختلاق الذاتي المتمثل بهذا
الشكل الكلامي لتؤدي مهمتها ولتعبّر عن وجهة النظر التي يستشعر بها

(٦٨) الديوان/٣٩ .

(٦٩) الديوان/٤٥ ...

دعيني للغنى أسمى فاني رأيت الناس شرهم الفقير

والديوان/٤٨ ..

تقول ألا أقصر من الفوز واشتكي لها القول طرف احور العين داعم

والديوان/٥١ ..

أرى أم حسان الفداة تلومني تخوفني الاعداء والنفس اخوف

والديوان/٦١ ..

وكانت لا تلوم فارقتني ملامتها على دل جميل

والديوان/٦٢ ..

دعيني أطوف في البلاد لعلي أفيد غنى فيه لدي الحق محمل

هؤلاء الشعراء فأبو دؤاد الأيادي تشكوه زوجته (أم حنتر) لتبديده ثلاثين
ناقة وتزعم أنه أفسد المال ، فيقول (٧٠) :

في ثلاثين زعزعتها حقوق أصبحت أم حنتر تشكوني
زعمت لي بأنني أفسد المال وأزويه عن قضاء ديوني
املت أن أكون عبدا لمالي وبهنا بها مع المال دوني
إن من شيمتي لبذل تلادي دون عرضي فإن رضيت فكوني
ولبيد يقف في ديوانه موقفين يقربان من موقف حاتم الطائي حتى تكاد
تكون الصور والأفعال والتبرير متشابهة يقول في الأولى (٧١) :

اعاذل قومي فاعذلي الآن أو ذري
فلست وإن اقصرت عني بمقصر

اعاذل لا والله ما من سلامة
ولو أشفقت نفسي الشحيح المثير

أقي العرض بالمال التلاد واشتري
به الحمد إن الطالب الحمد مشتري

ويقول في الثانية (٧٢) :

تلوم على الأهلك في غير ضلة
وهل لي ما أمسكت إن كنت باخلا

(٧٠) الديوان ٣٤٦ .

(٧١) الديوان ٤٦ .

(٧٢) الديوان ٢٤٦ .

ومثل ليبد يصنع طرفة^(٧٣) ، وعدي بن زيد^(٧٤) ، والمرقش
 الاصغر^(٧٥) ، ومعاوية بن مالك^(٧٦) ، والاسود بن يعفر^(٧٧) ، وحاجب
 ابن حبيب^(٧٨) ، وعمرو بن معد يكرب^(٧٩) وخضاف بن نذبة^(٨٠)
 وعمرو بن الاهتم^(٨١) ، والمخبل السعدي^(٨٢) ، وسهم بن حنظلة^(٨٣) ،
 وكعب بن سعد^(٨٤) .

ولم يقتصر اللوم على الغزو والاتفاق وحج المغامرة ، وانما تعداه
 الى مسائل أخرى أخذت طابع المعاتبة ، فأمرأة أوس تعاتبه على شرب
 الخمرة^(٨٥) وكذلك السموأل^(٨٦) ، وزهير تلومه المرأة في الوجد^(٨٧)
 وامرؤ القيس يلام على طربه^(٨٨) ، وربما تعدى اللوم هذه المواضع الى
 مواضيع أخرى تخص الأخفاق في الحرب^(٨٩) وغير ذلك من الموضوعات

-
- (٧٣) الديوان / ٨٣ .
 (٧٤) الديوان / ٣٥ .
 (٧٥) الديوان /
 (٧٦) الفضليات ١٥٦/٢ .
 (٧٧) الديوان / ٢٤ .
 (٧٨) الفضليات ١٦٨/٢ .
 (٧٩) الديوان / ٦٠ .
 (٨٠) الديوان / ٧٧ .
 (٨١) الفضليات ١٣٢/١ .
 (٨٢) الفضليات ١١٦/٢ .
 (٨٣) الاصمعيات / ٤٦ .
 (٨٤) الاصمعيات / ٧٠ .
 (٨٥) الديوان / ١٤ .
 (٨٦) الديوان / ٨٥ .
 (٨٧) الديوان / ٣٤٦ .
 (٨٨) الديوان / ٩٧ .
 (٨٩) الحماسة ٧٦٥/٢ . (المرزوقي)

التي يجد في تفسيرها الشاعر مبررا ، أو يتخذ منها حجة تعاونه على شرح سلوكه أو فلسفته أو طريقته التي سلكها في معالجة المسائل التي تعترضه .
ان الشعراء الذين عرضت لهم ، والشعراء الآخرين الذين وجدوا في هذه المخاطبة نهجا ينتفعون منه في التنفيس عن دخائلهم ، قد اتخذوا أسلوبا موحدا . من حيث الصياغة واستخدام الافعال وانتقاء الوقت وتسلسل الافكار حتى أصبح بإمكاننا فرز الاساليب المستخدمة في هذه المواضع ، فحاتم يستخدم عبارة (وعاذلة) و (قائلة) و (عاذلتين) وعروة يستخدم عبارة (وسائله) وحاتم يقول (مهلا نوار أقلي اللوم) ويقول عروة (أقلي علي اللوم ...) وحاتم يقول (ذريني وأريني ودعيني) ويقول حاتم (ألم تعلمي ...) ويقول عروة (ألم تعلمي ...) ويختار حاتم الليل لمعابته .. فيقول :

وعاذلة هبّتْ بليل تلومني وقد غاب عيوق الثريا فعددا
وفي آيات أخرى يقول :

وعاذلتين هبتا بعد هجعة تلومان متلافا مفيدا ملّوما
تلومان لما غوّر النجم ضلة فتى لا يرى الاتلاف في الحمد مغرما
ويختار عروة الليل كذلك فيقول :

أقلي عليّ اللوم يابنت منذر ونامي وان لم تشتهي النوم فاسهري
ان هذه الصياغة لم تقتصر على هذين الشعارين وانما يشاركهما بقية الشعراء الذين أشرت اليهم .

بقي هناك أمر آخر اتسمت به كل القصائد التي استشهدت بها ، وهو شمول قضية التجريد المرأة دون غيرها ، واقتصار الحديث عليها ، واتخاذها الطرف الثاني الذي يستثير هذه المسائل في كل الحالات ، وبمختلف الاشكال التساؤلية التي وجد فيها الشعراء خصائصهم ، وفي كثير من الاحيان تكون الزوجة .

ان اقتصار الموضوع على المرأة يمكن ان يحدد قيمتها في التوجيه السلوكي للرجل ، ومشاركتها في تحديد المسؤولية التي أضطلع بها وأشارات الشعراء لحديثها ، وبهذا الشكل من اللوم والعتاب يضع المرأة في المركز الذي يؤهلها لهذه المهام ويحملها مسؤولية المشاركة الفعلية لحياة الرجل وضمان المستقبل الذي ترسمه من خلال تصرف الرجل الذي لا يرضيها في بعض الاحيان . وهذه الصورة تكشف الوجه الحقيقي لهذه القيمة الاجتماعية الكبيرة والاسهام الجاد في تحديد النهج المميز لكل عمل يقدم عليه .

ان هذه المرأة لم تكن الزوجة على الاطلاق لان الشعراء ذكروا أكثر من أسم ولم يكونوا بحاجة الى هذه الاسماء المتعددة ، فهي نوار وسلمى وأم عامر وماري وابنة عبدالله وابنة مالك وابنة ذي البردين وعاذلة وسائلة وعاذلتين عند حاتم . وهي أسماء وليلى وسلمى وتماضر وسلمى وأم وهب بنت منذر وأم حسان وأم مالك وأم سرياح عند عروة ومن غير المعقول أن تكون هذه الاسماء كنايات لزوجتيهما . وهذا يعني ان الاسماء التي لجأ اليها الشاعر ان لم تكن أسماء حقيقية . ان هذه الدراسة المحددة تكشف عن الجانب الموضوعي لبعد من أبعاد بناء القصيدة والتناسق الفكري الذي ينظم هذا البناء ، وكان الشاعر الجاهلي يخطط لذلك وفق نموذج شعري متكامل تتوارد فيه الصور والافعال والاجواء ، وهو لا يخرج عن هذا الاطار ، وكان يتحرك وفق أسلوب شعري مرسوم . يدل عليه هذا البناء .

لقد اقتصرت ، وانا أعرض لظاهرة الحوار في القصيدة الجاهلية على ايراد نموذجين كبيرين من النماذج التي لمست فيهما وضوح الظاهرة ، وتجسد الحوار ، وابرز الاتجاه المتمكن في نفوس أصحابهما . ولم يكن غرضي من ذلك الا التمهيد للدخول الى طوايا الفكرة ، واستقراء مظاهرها المتعددة ، وتلمس الفكر الشعري المبثوث في ثنايا الابيات . والاهتداء بعد ذلك الى النموذج المتكامل الذي وضعه الشعراء الاوائل لهذه الكيفية التي أصبحت تقليدا متفقا عليه ، وقاعدة تجتذى في السلوك الحسي . ويمثل الحوار الذي أخذ هذا الشكل في القصيدة الجسر الفكري الذي حاول

الشعراء استخدامه لنقل أفكارهم الى الناس ، وايضاح العلل التي وجدوا أنفسهم ملزمين باتخاذها ، ليسطوا لهؤلاء الناس المبررات التي دفعتهم لذلك . حتى أصبح بإمكاننا ان نفرد الشعراء الى مجاميع تمثل كل مجموعة فكرة تدافع عنها . فمجموعة تستخدم الحوار لتدافع عن فكرة الكرم والبذل والعطاء والائفاق ، ومجموعة أخرى تستخدم الحوار لتدافع عن حب المخاطرة ، وتجشم الاهوال ، والغزو . ومجاميع أخرى تستخدم الحوار لتحاول ايقاف اللائمين على شرب الخمرة عند حدهم أو تحاول التبسط من خلال أحاديثها في استحداث الصور الالهية والاشكال الخيالية التي ترسم لهم ، أو تحاول اظهار الدوافع التي تختفي وراء شحوب اجسامهم ، لاتخاذ ذلك مبررا للحديث عن دوافع الحزن الذي اعتراههم ، وفلسفتهم في ذلك .

والشعراء في كل مجموعة من هذه المجاميع تلتزم أسلوبا محددا وصيفا شعرية متفقا عليها ، وألفاظا وأشكالا درجوا على استخدامها حتى أصبحت اتجاهها يجمع بين الأساليب والمعاني والألفاظ . . وأصبح الشاعر مقيدا بذلك ، ملتزما بما هو مفروض عليه ، يعرف مواقع خطواته وهو يتحدث عن كل موضوع ، ويعطي الصفات المتفق عليها لكل متسائل . ويمنح الجو الشعري الذي يجسد عمق الظاهرة لكل عنصر يسهم في ابراز ظاهرة الحوار ، لتكامل الاجزاء ، ولتصبح قادرة على الاداء ، وصالحة لخلق المناخ الملائم . وقد أدى هذا التخصص الى ظهور نماذج مختلفة ، وايجاد صيغ لها شكلها المتميز ، وهي تحمل طابع الشكل المراد معالجته . ولعل النماذج التي ستلحق بالبحث توضح هذا التميز الشعري الواضح .

ان صورة المحاكاة المتناسقة التي يهيء لها الشاعر ، وصورة التساؤل المنطقي الذي يرسمه من خلال الوضع التقريري لهذا التساؤل ، وتراكم الصور المألوفة في كينيتها وتوافقها وترباطها تضع الشكل العام الذي كانت

تأخذ هذه الصياغة ، والهيكل الفني المتبع في توحيد الاجزاء التي خطط لها الشاعر ابتداء من عبارة « قالت » وما يتعلق بها من خصائص وأحداث ، ويلوح من أوضاع وتعاطف حتى نهاية الجواب الذي احتفظ به الشاعر لنفسه ، بعد ان أعد له الاعداد الكافي من المظاهر النفسية والمنطقية ، وما يتصل بها من مظاهر أخرى أسهمت بشكل تقريرى في تحديد ملامح التساؤل . وهو في الغالب صورة زمنية متكاملة ، عرف الشاعر حدودها وتشرب خصائصها ، فاصبحت جزء لا ينفصل عن حياته ، وطابعا عاما تفرّد به عن سواه ولهذا كانت مشاغله فيه بارزة ، وتصويره لابعاده واضح الرؤيا ، لا يترك منه دقيقة الا رسمها ، ولا يظفر بخفقة من خفقاته الا روى غليله من أشباعها ، وقد ساعد هذا التدقيق على اظهار الصنعة المعروفة عند الشاعر بشكل متميّز .

فحاتم الطائي أكرم العرب لا لانه هو الوحيد الذي يقدم الطعام لضيوفه ، ولا لانه يتفرّد وحده بهذه الخصيصة ، ولكنه أستطاع ان يعطي لكل جانب من جوانب الكرم ما يضيء زواياه ، ويمنح كل خصائصه ما عجز الآخرون عن اضاءته . وقد أستخدم الشعر لذلك استخداما فنيا سليما . يبيّن فلسفته التي تشبّع أصولها ، فعاش البذل في وجوده عطاء وكرما وتضحية ، وأدرك ان ذلك العطاء لا يمكن ان يكون خلودا الا اذا بذل . وان ذلك المال الذي كان يقدر على التصرف به لا يحقق له الذكر الحميد الا اذا أطمع فيه وافدا ، وأشبع جائعا ، وفك عانيا وأسيرا . وقد استقطبت هذه الافكار في ذهنه حقيقة حيّة . آمن بها ايمانا مطلقا ، لم يزحزحه جبروت الجوع الميت . ولم تخذله قدرة الحاجة القاتلة التي كان يستشعر بها ، ويقدر غائلتها المرة . حتى أصبحت صرخاته الانسانية في هذا المجال خطا أنسانيا واضحا يبرزه الشعور الانساني العميق بفداحة الجوع الذي يأكل

النفوس ويسقطها من أبراج إنسانيتها .. ولهذا كانت سماحته في العطاء لا تحد ، وخدمته في أطعام الضيف لا تنتهي (٩٠) .

أيا أبنة عبدالله وابنة مالك ويا أبنة ذي البردين والفرس الورد
إذا ما صَنَعْتَ الزاد فالتسي له أكيلاً ، فاني لست آكله وحدي
أخاً طارقاً ، أو جارَ بيت فانسي أخاف مذمات الاحاديث من بعدي
واني لعبدُ الضيف ما دام ثاويها وما في الا تلك من شيمة العبدِ
ان ايمان حاتم بالكرم ينبع من فلسفته القائمة على اعتباره عادة لا تقاوم
وكثيرا ما كان جوابه مؤكدا لهذه الفلسفة (٩١) :

وقائلة أهلكت بالجود مالنا ، ونفسك حتى ضَرَّ نفسك جودها
فقلتُ دعيني إنما تلك عادتي لكل كريم عادة يستعيدُها
وهو كما أكدت يستخدم الحوار القائم على التساؤل وسيلة لبسط
هذه الفلسفة الحكيمة ، متخذاً من المرأة محورا محركا لكل الاجوبة الجاهزة
في فكره .. وهو لا ينسى أيضا القضايا الاخرى التي تدفعه الى هذا
السلوك .

وعروة بن الورد من الشخصيات الجريئة في عالم الشعراء ، لا لانه
الوحيد الذي يقدم نفسه للموت طعمة سائغة ، وليس لانه يتفرد دون غيره
بهذه الخصلة التي عرف بها واشتهر بقدرته على تجاوزها . وانما استطاع
من خلال اتصافه بهذه الصفة ان يعطي لكل بعد من أبعاد الشجاعة ما يجعله أكثر
قدرة على التعبير لابرار هذا البعد أو ذاك منتفعا - وتلك خصيصة في ذهن
الشاعر - من الاشارات المثيرة التي وجد الاعجاب بها يأخذ شكلا متميزا ،
والاهتمام بأبرازها يمنح تركيزا أشد . ولعل موهبته الشعرية الجيدة ،
وتوقده الحسّي اللامع ساعده على تكييف هذه الالتفاتات تكييفا شعريا

(٩٠) الديوان ٤٣ - ٤٤ .

(٩١) الديوان ٤٤ .

موفقاً حتى أصبحت الخصال جزء من حياته، فتلونت بأنماط الجرأة واصبحت اتجاهاته كلها تمثل التضحية وحب المخاطرة ، حتى ترسخ في ذهنه بأن الموت على الهيئة التي صورها أو تخيلها أو أرادها لا يمكن ان تكون محمودة الا اذا كانت تضحية جريئة (٩٢) ..

ذريني أطوف في البلاد لعلني
فان فاز سَهمٌ للمنيّة لم أكن
أخليك أو أغنيك عن سوء محضري
جزوعاً وهل عن ذاك من متأخر

* *

ولكن صعلوكاً صفيحةً وجهه
مطّلاً على أعدائه يزجرونه
كضوءٍ شهاب القابس المتنوّر
بساحتهم ، زجرَ المنيح المشهّر
تشوّفَ أهل الغائب المتنظّر
حميداً وإن يستغن يوماً فأجدر
فذلك ان يلقَ المنيّة يلقها
وفي قطعة أخرى تبرز ملامح شجاعته وفلسفته في الطريقة التي اختارها واعتقد بها (٩٣) ..

ألم تعلمي يا أم حسان أننا
وأن المنايا نغرُ كل نيةٍ
وغبراءٍ مخشيٍ رداها مخوفةٍ
قطعت بها شكّ الخلاج ولم أقل
خليطاً زيالٍ ، ليس عن ذاك مقصّرٌ
فهل ذاك عما يبتغي القومُ محصرٌ
أخوها بأسباب المنايا ، مغرّرٌ
لخيابةٍ ، هيّابةٍ : كيف تأمّرُ
ولعلّ هذا النمط اصبح منهجا يسلكه ، ومذهبا يبشر به (٩٤) .

ونحن صبحنا عامراً إذا تمرّست
بكلّ رقاق الشفرتين مهتدٍ
عجبت لهم إذ يخنقون نفوسهم
علالة أرماحٍ وضرباً مذكراً
ولدنٍ من الخطي قد طرّاً سمرا
ومقتلهم تحت الوغى كان اعذرا

(٩٢) الديوان ٣٦ - ٣٧ .

(٩٣) الديوان ٣٩ .

(٩٤) الديوان ٤١ .

ان هذه النفس التي كان بإمكانه أن يجعلها زاخرة بمباهج الحياة ،
ومتع الدنيا • تلهو كما يلهو الآخرون ، وتقبل بما يقبل به القانعون
هذه النفس لا يمكن أن تخلد الا اذا كانت قادرة على البذل والا طويت مثل
ملايين النفوس التي عاشت وماتت ولم تترك لها ذكراً يُحمد ، وكأنها
لم تكن • وكأن الدنيا لم تجد لها ظلاً فيها • فما الفرق اذن
بين النفسين ؟؟ (٩٥) •

دعيني أطوف في البلاد لعلني
أليس عظيمًا أن تلم مليمًا
فان نحن لم نملك دفاعا بحادث
وفي حديث آخر يقول (٩٦)

أفيد غني في لذي الحق محمل
وليس علينا في الحقوق معول
تلم به الايام فالموت أجمل

أرى أم حسّان الغداة تلومني
تقول سلمي لو أقمت لسرنا
لعل الذي خوفتنا من امامنا
تخوطني الاعداء والنفس أخوف
ولم تدر أني للمقام أطوف
يصادفه في اهله ، المتخلف

ان النفس الكبيرة هي النفس التي تخدم الآخرين ، وتستجيب
لنوازع الخير وتدرك ان الخلود في تضحياتها ، وأن الموت في كونها
نفسا لا تتجاوز النفوس الاخرى ، وبذلك تسقط في مدارج النسيان
وممالك العدم •

من هذا التفكير المدرك ، ومن هذه الذهنية النافذة كانت ترتفع أعلام
الخلود في نفس عروة ، ومن هذا الایحاء استطاع ان يخدم فكره معبرا عنه
بشعره كما عبّر الآخرون منتفعين من علامة الاستفهام الكبيرة التي تختفي
وراء عبارة اللوم أو العتاب التي أستخدمها أحسن استخدام ، ووفق الى
صياغتها بأحسن صياغة • • وهكذا تأخذ أبعاد التجريد أشكالا متفاوتة

(٩٥) الديوان ٦٢ •

(٩٦) الديوان ٥١ •

تحدّدها النزعات الانسانية المستحكمة ، وتبرزها القدرة المتسكنة في كل نفس ، فاذا قدّر لهذه النفوس أن تأخذ مواضعها في عالم التضحية والجرأة فهناك نفوس كانت تأخذ أشكالاً غير هذه الاشكال ولكنها أستطاعت أيضاً الى حد بعيد ان تحدد وجودها في عالم الشعر الجاهلي . فأمرؤ القيس كانت حياته غير حياة أولئك ، وكان نهجه مغايراً لنهج الآخرين ، لانه نشأ في ظل حياة مترفة كما تحدثنا الاخبار ، وذاق من ترف الدنيا ما كان غيره محروماً منه ، ولكن هذا الشاعر كان يحاول ان يرسم لنا عالماً غير عالمه ، ويصوّر لنا حياة غير حياته ، ويعكس لنا من ألوان الحياة ما لم يكن له فيه نصيب . فجاء تجريده صورة لما يحيط به وجاءت صورته عالماً متراكماً من الاحداث التي عاشت في ذهنه حقيقة ، أو أدراك بعضها معاشة نادرة . ولكنها كانت عالماً ينفرد به الشاعر ، وقدرة استطاع ان يسخرها لفنه والوانا منطقية من الحس الشعري الواضح الذي وجد فيه العالم المريح ، الذي يستطيع ان يمارس فيه النشاط الذاتي من خلال التجربة البسيطة أحياناً ، أو خلال القدرة على تصوير هذه التجربة - غير الواقعية - في الاحايين الاخرى .

وتأخذ شخصية امرئ القيس في هذا التجريد وتقديم الحوار أبعاداً قصصية واضحة ، تتجلى من خلالها قدرته ، ويبرز تمكنه الشعري ، وتتضح جوانب الصور التي أراد لها أن تكون بارزة المعالم . لانه جرّد امرأة فنهض يسمو اليها برفق ومهل لئلا يشعر بمكانه أحد ، بعد ما نام أهلها ولكن هذه المرأة التي جرّدها تضجر من وصله هذا ، وتخشى الفضيحة والسبأ ، وتحسسه بالسمار والناس الذين يحيطون به ، ولكنه وبأسلوبه القائم على هذه الطريقة من الحوار المفتعل ، والاسلوب القصصي المتصل ، يرد عليها ، ويقسم بالله على ألاّ يبرح هذا المكان ولو قطعوا رأسه وجعلوه أوصالاً . والصورة

في واقعها - كما أرى - لم تكن صورة حقيقية ، ولم يكن لها ظل من الواقع
الا في ذهن الشاعر القاص . لان طبيعة الحوار الذي رسمه ، والاشكال التي
ابتدعها ، والموضوعات التي تطرق اليها ، والتقاليد التي احيطت باللوحه من
خشية الفضيحة والتحسس بالسماز واحاطة المرأة بالناس .. هذه التقاليد
بعيدة كل البعد عن طبيعة الحياة الجاهلية التي قامت على حماية الشرف ،
والدفاع عن العرض ، والالتزام الخلقي الذي يفرضه العرف القبلي .. ان
صورة الحوار هذا لم تكن واقعة الا في ذهن الشاعر ، وان احداثها لا ترتسم
الا في مخيلته (٩٧) .

سموتُ إليها بَعْدَ ما نامَ أهلُها	سَمُوْ حَبَابِ الماءِ حالا على حالِ
فَقالتَ سَباكُ اللهُ انكَ فاضحي	أَلستَ تَرى السُّمَارَ والناسَ أحوالي
فَقلتَ يَمينُ الله أبْرَحُ قاعِداً	وَنو قَطَّعُوا رأسيَ لَدِينِكَ وأوصالي
حلفتُ لها بالله حَلْفَةً فَاجِرٍ	لَناموا فما إن من حديثٍ ولا صالٍ

الى آخر الايات التي يكشف فيها ما كان يرمي اليه من هذا الحوار ،
وما كان يسعى اليه من وراء هذه الصياغة القصصية الرقيقة .. فامرؤ القيس
في هذا الحوار يريد التحدث عن مغامراته ، والاشارة الى صراحته في هذا
السلوك واختلاف الصور الا اخلاقية التي ارتسمت في ذهنه ، ليشبع غريزته
التي عبر عنها ، وعرفت عنه ، وتسلك من خلالها الى الشعور الذاتي بادراك
الحدث المطلوب ، وجني ثمرة اللذة الحسية التي تعالت في نفسه ، وتألفت
خطوطها في ذاته ، وتوضحت أطراف صورتها بشكل مفصل من خلال الحديث
المغري ، والصورة البارزة ، والتعاطف المتوثب ، والاثارة الحسية التي انتزعها
من فكره ولصقها على لوحة شعره حقيقة حائرة .

ويعاود امرؤ القيس الفكرة ثانية في أحاديث تكاد تشابه الحديث الاول
وتكاد أحداثه وصوره تقرب من أحداث وصور اللوحة الاولى (٩٨) .

ويوم دخلتُ الخِدرَ خدرَ عُنَيْزَةٍ . فقالت لكَ الويلاتُ إنك مُرْجِلِي
تقولُ وقد مالَ الغبيطُ بنا معاً . عقرتَ بعيري يا امرأ القيس فانزلِ
فقلت لها سيري وارخي زِمَامَهُ . ولا تُبعديني من جَنَّاك المَعْلَلِ .

وبيضةٍ خدر لا يرامُ خباؤها . تمتعتُ من لهوٍ بها غيرَ مُعْجَلِ
تجاوزت أحراساً وأهوالَ معشَرٍ عليَّ حِرَاصٍ لو يُشرّون مقتلي

فقلت يمين الله ما لك حيلةٌ . وما إنْ أرى عنك العمايةَ تنجلي
ان هذا اللون الشعري الذي انفرد به امرؤ القيس وبهذه الهيئة
الشعرية القائمة على الحوار المفتعل تمثل الطريقة التي اتبعها الشعراء الآخرون
الذين أرادوا ان يعبروا عن أفكارهم فاهتدوا الى هذا السبيل ، واستخدموا
الصيغ المألوفة ، والاساليب المتبعة ، وطريقة الحوار التي أصبحت نهجا
تقليديا معروفا ، تصبح المرأة فيه هي المحرك والاداة الدافعة لكل توجيه
يحاوله الشاعر .. ولكنها كانت تأخذ الوجهة الذاتية التي يستبطنها الشاعر
من خلال الحدث المطلوب ، أو الصفة البارزة ، أو الاتجاه المحدد ..

ان التجريد عند امرئ القيس لم يأخذ هذا الشكل وحده وانما كان
يأخذ أشكالا أخرى ، وكأنه كان يحس بالراحة النفسية وهو يستخدمه ، لانه
كان يجد فيه راحة وتنفيسا ، ففي بائيته يطلب من لائمه بعض اللوم ...
ويطلب منها ان تقلل لانه لم يعد يحتمل وهو حديث يوحى بالترابط النفسي
الذي كان يشدّ الشاعر الى هذا الحديث والشعور الدافق بتوجهه في بعض

الاحيان مما يلّمّ به من أحداث .. وعندها يجد نفسه مدفوعا الى استحداث الصورة ثم الطلب منها ان تقلل .. وفي هذا الاستحداث ومن خلال المحاولة النفسية تتبدد بعض طبقات الاحزان التي كانت تملأ عليه النفس (٩٩) .

فبعض اللوم عاذلتي فاني ستكفيني التجارب وانتسابي
ان اللائمة حقيقة غير موجودة ، والعاذلة التي يمكن ان توجه اليه هذا العتاب غير واقعة ولكنه كان يحس بنفسه حاجة اليها لتخفف من عنائه بعض التخفيف وهو في محنته هذه ، تطارده فلول بني أسد ، وتترصده عين المنذر ابن ماء السماء وتنسحب من حلفه بقية القبائل التي كانت تظهر له بعض الود في زمان أبيه وأعمامه ثم ينفطر عقد أمارته ، فيشعر بالخيبة تقف شامخة ، وأطياف الموت من خلال رماح وسيوف بني أسد ، ويحس بأن اللائمة لا بد أن تكون امرأة تملأ نفسه بعد يأسها وتخفف حرارة الخوف بعد احاطته بعناصره .. يجرّد هذه المرأة لتكون باعنا حقيقيا للوم ، وداعية للحديث الذي يريد التنفيس عنه بعد ارتفاع هذا السؤال الكبير الذي يختفي وراء علامة اللوم هذه . وعندها تفتح أمامه أبواب الراحة بشكل فسيح وتوصد أمامه أبواب الهموم والاحزان ، وبعدها يشرح حسّه الحزين وحياته المتبدّدة ، ووجوده المبعثر ، ونهايته المؤلمة . وقد استطاع حقا ان يكون هذا المفتاح هو المؤشر الانعطافي في توجيه تيار اليأس ، ليرز على شكل آهات مرسومة ، وفلسفة محدّدة ، ضاقت بصاحبها السبل فكتّمها .

وفي لوحة من لوحات صيده يحاول ان يتحدث عن قدرته في الصيد .. وهو كعادته يتخذ أسلوب الحوار أسلوبا لابرّاز هذه القدرة .. ولكنه يجعل الحديث في هذه المرة بينه وبين رجل ، لانه من غير المعقول ان تكون الربيّة امرأة .. وهو يفتتحها بعبارته المألوفة (١٠٠) ..

(٩٩) الديوان ٩٧ .

(١٠٠) الديوان ١٧٢ .

وقد اغتدى قبل العطاس بهيكلٍ شديدٍ مَشَكَّ الجنبِ فَعَمَ المنطقِ
بعثنا ربيئاً قبل ذلك مخملاً كذئب الغصا يمشي الضراءَ ويتقي
فظلَّ كمثل الخشف يرفعُ رأسه وسائرُهُ مثلُ الترابِ المدقَّقِ
فقال الا هذا صُوارٌ وعانةٌ وخيط نعامٍ يرتعي متفرِّقِ
فقمنا باشلاء اللجام ولم نَقْدُ الى غُصْنٍ بانٍ ناضِرٍ لم يَحَرِّقِ

.....

فقلت له صَوِّبْ ولا تَجْهِدْته فيُذْرِكُ من أعلى القطاةِ فتزلقِ

.....

فقلنا ألا قد كان صَيِّدٌ لقانصٍ فَخَبَّشُوا علينا كلَّ ثوبٍ مروِّقِ
ولعلَّ صورة زهير التي وصف فيها صيده نلتقي مع هذه الصورة في
اطارها العام ودقائقها الصغيرة وحتى في بعض صيغ ألفاظها . وفي هذا التشابه
تتضح طبيعة الحوار ، وتتحدّد الاشكال الفنية التي يلتقي عندها الشعراء
واللبنات التي يستخدمونها في بنائهم . لان زهيراً يصف غلامه الذي ذهب
يستطلع الحيوانات الوحشية ثم جاء هذا الغلام يدب ويخفي شخصه ويضائله،
ثم يخبر جماعته بأنه رأى ثلاث أتن وحشية وهي ضامرة كأقواس السَّراء
ومعها حمارها ، ثم رسم الشاعر صورة الوصية التي بلغها لهذا الغلام ليتمكن
من صيده ، مستخدماً الهيئات الجسدية والاحوال النفسية التي كانت تلوح
من خلال الاطار العام للصورة (١٠١) .

فبينما تُبَغِّي الوحش جاء غلامنا يدبُّ ويخفي شخصه ويضائله
فقال شياهُ راتعات بقفرةٍ بمستأسد القرَّيان حوَّ مسائله

ثلاثٌ كأقواس الرّاء وناشط قد اخضرّ من لسّ الغمير جحافله
وقال : اميري ما ترى رأي ما نرى انخيلته عن نفسه أم نصاله

.....

فقلنا له سدّدْ وأبصرْ طريقه وما هو فيه عن وصاتي شاغله
وقلتُ تعلّم أن للصيّد غيرةً وإلاّ تضيّع فانك قاتله

ان صورة الحوار الذي كان الشاعر الجاهلي يستخدمه لم يقف عند حدود الصفات التي وقتّ عندها ، وانما كان اطارا عاما لكثير من نوازع النفس الانسانية ، ووعاء تراق فيه المشاعر ، ويبدو ان هذا الاطار كان يجد الاستجابة النفسية الكاملة ولهذا كان يأخذ الشكل الشامل لطبيعة المشاعر .. ويستوعب الصورة مهما كان بعدها . فأبو ذؤيب الهذلي يجرد شخصية المرأة التي منحها حق الاستفسار عن بحاله وشحوب جسمه ، وابتذال نفسه ، وتركه الزينة . ومنحها أيضا حق الاستفسار عن شدة أرقه ، وعدم قدرته على النوم ، حتى أصبح جنبه لا يوافق مضجعا .. لقد جرّد أبو ذؤيب هذه المرأة التي سماها أميمة لتسأل هذه الاسئلة ، ولتثير هذه الكوامن ، ليكشف عن ألمه وحزنه ، وليتخذ هذا المفتاح وسيلة للتعبير عن دواعي الشحوب ، واسباب الارق ، وعوامل ابتذال النفس . وليبسط فلسفة الحزن التي علت نفسه ، وصبغت حياته بسبب المأساة التي أصابته ، فقد هلك بنوه الخمسة في عام واحد ، أصابهم الطاعون ، وكانوا رجالا ولهم بأس ونجدة ، فبكاهم بهذه القصيدة الرائعة .. التي جعلها على هذه الهيئة ، واتخذ لها هذا المنهج ومنحها هذا المدخل لتكون أقدر على تبديد الحزن من خلال التساؤل ، وتفتيت قدرة المطاب من بين ثنايا الراحة التي يستشعرها وهو يسمع أصدااء تأثره جسما ضعيفا ، وشحوبا مضنيا ، وتركها لكل مباحج الحياة . وهي حالة نفسية مقبولة ، يتلمس فيها المفجوع طلاوة الحديث ، فتتسرب همومه أجابة يصاحبها الالم الكامن ، ويخالطها الحزن الممض .

له صانع هذا السلوك الشعري أعطى المجالس النحر للاستجابة الشاعر الطبيعية
لأنه ترك له حرية الحديث عن المصيبة ، ومنحه فرصة الانطلاق للتعبير عن
تراكم الحشرات .. وشرح فلسفة البكاء التي أورثها آياه الموت . وتبرير
الحزن الذي لازمه بعد وقوع النكبة (١٠٢) ..

قالت أميمة : ما لجسمك شاحبا
أم ما لجنبك لا يلائم مضجعا
منذ ابتذلت ومثل مالِك ينفع
إلا أقض عليك ذاك المضجع

فأجبتني : أما لجسمي أنه
أودى بشي وأعقبوني غصنه
والأودى بشي من البلاد فودعوا
بعد الرقاد وغبرة لا تقلم

وتحدد ملامح هذا الاتجاه في قصيدة أخرى ولشاعر آخر هو كعب بن
شعر الغنوي الذي أخذ الحوار بينه وبين سلمى وسيلة للحديث عن حزنه
لأنها أنكرته وأنكرت شحوبه كأنها لم تدر ما فجع به الدهر من هلك أخيه
الذي كان يكفيه ويعينه على مغائبات الدهر ، وكان كجوارح الخيل

جريصا على خلات الكرام ، ثم أبدى أسفه على الصعبة الطيبة ، وعزى
نفسه بأنه سوف يلحق أخاه ، وتضمن أن لو استطاع فداءه بثمن انجى على
الدهر بلومه فيما صنع ، وهو حديث مؤلم ، لأن الشاعر يستعطف مشاعره ،

ويستثير دوافعه وقد وجد في تساؤل سلمى إشارة لهذا الحديث ، وتحفزا
لتوضيح ملامحه . وهي صورة تقرب في كثير من جوانبها من صور قبلي
ذؤيب ، وحتى الشكل الذي أخذه التساؤل والشحوب الذي اعتري الاثنين ،

وما أوحته طريقة السؤال (١٠٣) ..

تقول سلمى ما لجسمك شاحبا
فقلت ولم أعني الجواب ولم ألج
كأنك يحميك الشيراب طيب
وللدهر في ضمير الليل لا غصيب

تتابع أحداث تخرجه من أخوتي
أتي دون حليو العيش حتى أمره
وشبهن رأسي والخطوب تشيب
ينكسرون على أكلهن لنكسرون

٢٢١/٢ .

(١٠٣) الاصمعيات ١ : وحدا راجعا ليقال فيه . راجعا لاجلها
٨٨٢

أَجَاعِلُهُ أُمَ الحَصِينِ خَزَايَةَ عَلِيٍّ فَرَارِي أَن لَقِيتُ بَنِي عَبَسَ
 وَرَهْطَ بَنِي عَمْرٍو وَعَمْرٍو بَنَ عَامِرٍ وَتَيْمًا فَجَاشَتْ مِنْ لِقَائِهِمْ نَفْسِي
 لَقُونَا فَضَمُّوا جَانِبِينَ بِصَادِقٍ مِنَ الطَّعْنِ حَشَّ النَّارِ فِي الحَطْبِ الِيبَسِ
 وَلَمَّا دَخَلْنَا تَحْتَ فِيءِ رَمَاحِهِمْ خَبِلْتُ بِكَفِي أَطْلُبُ الأَرْضَ بِالْمَسِّ

ثم يعود الشاعر الى التبرير الذي حمله على وضع هذا الحوار ،
 فالفرار في عرف الشاعر لم يكن هزيمة ، فهو شجاع عرفته المعارك الماضية ،
 وقد أعدَّ الشاعر لهذا الحديث لوازمه ابتداء من حديث أم الحصين التي
 جعلت فراره خزاية ، وهو مدخل سليم للتعبير ، وفتحة نفسية ناجحة .

ان هذه النماذج تمثل جانبا من الجوانب التي كان الشاعر الجاهلي
 يخوضها من أجل التعبير ، واتجاهات كان يسلكها للخروج الى الحقيقة ،
 ومجابهة الحاجة الملحة التي كانت تملأ عليه أبعاد تحركه الاجتماعي أو
 الاخلاقي . وهو في كل طريق يصاحب رحلة مرسومة ، وينهج دربا معروفا ،
 تشرق فيه مصاييح لوحته اللامعة . وقد استطعت أن أقف على مجبوعة من
 النماذج يمكن توحيدها وفق أحوال تقف على رأسها ظاهرة اللوم على
 الاتفاق (١٠٦)

اما الظاهرة الثانية فهي اللوم على مجابهة الاخطار (١٠٧) وتأتي بقية
 الجوانب على أشكال متفرقة كما لمسنا ذلك في أبيات ابي ذؤيب الهذلي أو كعب

(١٠٦) أبو دؤاد الياضي / الديوان ٣٤٦ ، حاتم الطائي/الديوان ٤٠ ، ٤٤ ،
 ٧٣ ، ٨٠ ، الاسود بن يعفر / الديوان ٢٤ ، لبيد بن ربيعة/الديوان ٤٦
 ٣٤٦ ، طرفة بن العبد / الديوان ٨٣ ، عمرو بن معد يكرب / الديوان
 ٦٠ ، الفضليات ٣٨/١ ، ١١٦/١ ، ١٢٣/١ ، ٥٠/٢ ، ١٥٦/٢ ،
 ١٦٨/٢ والاصمعيات ٤٧/١ ، قيس بن الخطيم الديوان ١٢٠ ، خفاف
 بن ندبة / الديوان ٧٧ .

(١٠٧) سلامة بن جنديل /الديوان ٢٠٠ ، عروة بن الورد/الديوان ٣٥ ، ٤٨ ،
 ٥١ ، ٦٢ ، عمرو بن معد يكرب/الديوان ٦٠ ، الاصمعيات ٧٠ .

ابن سعد الغنوي في لوم المرأة على ترك الزينة وشحوب الجسم . أو كما وجدناها عند امرئ القيس في قصيدتيه اللتين أشرنا إليهما . أما اللوم على شرب الخمرة فهو ظاهرة أخرى نلمسها عند بعض الشعراء^(١٠٨) . وتأتني جوانب أخرى تكتنفها بعض مظاهر اللوم كلومها على السهر^(١٠٩) ولومها على الاخفاق في الحرب^(١١٠) أو الهزيمة منها^(١١١) أو الوجد^(١١٢) .

وهي في مجموعها مظاهر نفسية معينة يحسها الشاعر ، ويدرك مدى قدرتها على نفسه ، ويحاول ان يجد لها مجالا يستوعب هذا الاحساس ، وقد استطاع ان يهتدي الى الطريق الذي استطاع من خلاله أن يرسم البعد ويحدد ملامح القدرة ويشارك النفس ما تشعر به . وقد وجد في صورة الحوار هذه الاشكال لاسباب كثيرة وقفت عندها خلال الدراسة الموجزة .

وفي اطار الحديث عن الحوار في القصيدة الجاهلية تتركز مجموعة من التساؤلات الانسانية لتحديد هذا الاطار ، وتثبيت القواعد التي ينطلق منها تفكير الشاعر الجاهلي في أثبات قدرة التجديد ، ونزوعه نحو ايجاد الصيغ الجديدة التي تلازم هذا النزوع ، وتتفق مع القالب الذي يسعى الى تحقيقه . وقدرته هذه تتجلى في استحداث هذا الاسلوب ، ووضع الخطوط البارزة التي اراد لها ان تأخذ شكلها في بناء القصيدة . واتباع الطريق الذي يساهم في استكمال الصورة التي تمنح هذا الاسلوب ، وقد ترك الفرصة المطلقة لمن أراد ان يظهر براعته في استخدام هذا الاسلوب .

(١٠٨) أوس بن حجر / الديوان ١٤ ، السموال / الديوان ٨٥ ، عبيد بن الابصر الديوان ٣٣ ، ٣٨ .

(١٠٩) قيس بن الخطيم / الديوان ١٤٥ .

(١١٠) قتادة بن مسلمة / الحماسة ٧٦٥/٢ .

(١١١) أوس بن حجر / الديوان ٥١ .

(١١٢) زهير بن أبي سلمى / الديوان ٣٤٦ .

لست ، لأن اهتمام الشاعر الجاهلي في الخطوع إلى المتقاضي المألوف في البناء
 الشعري ، وشعوره بالوجداني بقوة هذا الخطوع ، والتولم بهذا الارتباط
 الذي فرضته عليه طبيعة الالتزام جعلته يدرك التقريرية الرتيبة التي درج
 عليها في النظم ، ويشعر بالسامة التي ولدها هذا الالتزام الذي أوشك أن
 يأخذ نظاما ثابتا ، ومنهجا موحدا في البناء ، وقد دفعه هذا الإحساس إلى
 إيجاد طريقة جديدة يستطيع بواسطتها أن يتجاوز الرتابة ، ويخرج على
 الأسلوب التقريبي ، ويمنح القصيدة قوة دفع جديدة ، يكشف فيه عن قيمة
 ذاتية مركزية ، وخصيصة أخلاقية متميزة ، واتجاه إنساني واضح ، وبسيط
 يفهم بالفكر ، التي بتزلزله ، وتخلطها عن الجانب الواسع ، المألوف له ، وهو
 ما ذكره يوحى بقدرة الشاعر على إدراك الواقع ، وتطويعه بطول هذا الموقف
 لما يصبو إليه من تحديد ، فقد استطاع حاتم الطائي أن يفرغ قدرة العطاء
 المائلة التي أصبحت كيانا مستقلا من وجوده في جانب شعري جديد ، يصوغه
 أطوار مغاير لوجناء له قواعده وأصوله ، والخطوع حورا وقبيل الورد أن يصب
 قدرة الجراءة والمغامرة التي شغلت ركنه واسعة من حياته في جوابات شعرية
 جديدة التفت في أطوار شعر حاتم الطائي ، وهذا يعني أن الشاعر الجاهلي
 لم يقف أمام القوالب الشعرية الموروثة شكلا ومضمونا موقف المستسلم لها ،
 وإنما كانت شخصيته الشعرية تبرز من خلال عمل فني يؤديه ، أو تجربة
 شعرية يعانها ، أو صياغة أسلوبية تتميز بها . فالشاعر الجاهلي كان يستوعب
 الشكل استيعابا شعريا شاملا ، ويستوعب من كل الأشكال التي يدور فيها ،
 ويعتمد عليها ، ولكنه كان ينظر إليها من خلال الحقيقة التي كان يؤمن بها
 أيمانا مطلقا ، وهي حقيقة تجعله في موضع المسؤولية الحققة ، لأنه استطاع
 التوصل إلى صيغة جديدة أهله تأهلا كاملا للخروج على النهج المرسوم ،
 فحاتم الطائي في قصائده وعروة بن الورد وأمرؤ القيس وأبو ذؤيب الهذلي
 وكعب بن سعد الغنوي ، وعشرات الشعراء الذين استخدموا هذا الأسلوب في

بعد ان ارتدت حوارا فرضته طبيعة التجديد اللازمة . وهي ظاهرة توحى
بعمق أدراك هذين الشعارين لها ، وقدرتهم على أستيعابها ، وتوفيقهم الى
أستخدامها . ويبدو ان وضوح الافكار التي كانت تساورهم ، والقيم
الانسانية التي اخذوا نفوسهم بها دفعتهم الى استخدام هذه الاساليب ،
لأنها أقدر على احتواء الصيغة ، واشمل في استيعاب الافكار .

لقد استطاع الشعاران التحرك من خلال تجربتين رائدتين في الشعر
العربي لوضع معالجات جديدة ، تميزت بالخروج على التقاليد المألوفة ،
والاستقلال الشعري الذي فرض نموذجا جديدا من التعامل داخل القصيدة
الجاهلية ، وهو تحرك تكاملت وحداته عندهما تكاملا واضحا ، واصبحت
أصوله متميزة في قصائدهما ، ولم يكن غريبا ان تقتارب الاشكال عند كليهما
حياغة واسلوبا ومضمونا ، لأنهما يتحركان من نقطة واعية ، ويأخذان مجال
الاحاطة بما يريدان من فكر قادر على الاخذ والتمثيل ، وقد وجدا في رحاب
القصيدة مساحة ميدانية صالحة ، استطاعا ان يحولاهما الى تجربة ناضجة ،
ثبتا فيها اعمدة البناء ، ووضعوا صيغ المخاطبة ، واتقيا جمل الحوار ،
واستطاعا ان يحيطا هذه التجربة بالجو المناسب .

ان أختلاق الحوادث ، وافتعال الاسلوب التصويري في المخاطبة ،
واختيار الموضوع الذي يستحق هذا الحوار ، يمثل التحرك الابداعي للشاعر
الجاهلي ضمن اطار الغرض الجديد ، وتمثل الادراك العقلي الذي أخذت
ملامحه تستقر في ذهنه للخروج من دائرة الالتزام التي وقفت حدودها عند
المألوف من الصور ، والمتعارف من الاشكال ، والمستخدم من الاساليب .

واذا حاولنا متابعة القصيدة وهي ترتدي ثوب الحوار وجدناها تبتعد
في صورتها عن الصورة المألوفة من حيث البناء والصياغة ، فالشاعر يفتح

القصيدة بوضع الصورة ، وتحديد الغرض والصياغة ، منذ المطلع ثم يبدأ بتحديد الملامح التي تبرز هذه التغيرات لاستكمالها استكمالاً يكشف عن صورتها الحقيقية التي استوعبها الشاعر ، وكان الشاعر فيها قد اوجد نظاماً داخلياً جديداً للصورة وبنائها . وهي أحوال تكشف بشكل لا يقبل الشك عن الفكر الجديد الذي بدأ يشق طريقه في زحمة القوالب السائدة بعد ان ادرك الشاعر ضيق ما يعاينه واختناقه وهو يقع تحت طائلة النظام الشعري السائد .

ان تحويل النظام التقريري الى نظام الحوار ، وايجاد السبل الكفيلة باستكمال أدوات هذا النظام ، وتحديد المعالم الواضحة له يشكل خطوة جديدة في النظام الشعري ، وقد وفق الشاعر وهو يتخذ لنظامه هذا من أسباب النجاح ما جعله قادراً على التمييز والوضوح . فصياغة « وعاذلة » او « وقائلة » أو « عاذلتين » عند حاتم وصياغة « وسائل » التي استخدمها عروة تصور المطلع الجديد الذي استحدثته هذه الفئة ، وهو مطلع مغاير لما ألفناه في المطالع الأخرى التي حاول الشعراء من خلالها المرور الى موضوعاتهم ، وهي مطالع تقليدية بحتة اقتفى فيها الشعراء آثار القدامى . وقد وفق الشعراء في اختيار هذا المطلع الناجح الذي ترك لهم مجال الحركة والجواب والتساؤل وطبيعة الانفعال ، وقد اقترنت هذه الصياغة بالزمن المحدود الذي آثار في نفوسهم نوازع التساؤل ، ونوازع التأثير ، وجعلهم يدركون الجو المتكامل الذي أوحته اليهم هذه الصورة الجديدة . وإلى جانب هذه المطالع فقد برزت مطالع أخرى كانت لها صياغة معروفة تخالف الصياغة المألوفة للقصيدة لأنها تتميز بصيغة الامر ، وتتفق في توجيه الخطاب للمرأة التي اختلقتها طبيعة الحوار ، وهي إشارة توحى باستمرار الشاعر في السير في هذا الطريق واستمراره في تثبيت الأساليب التي تقوم هذا النهج ، وقد ظلت هذه المكملات تسد الثغرات التي يجد الشاعر نفسه مضطراً الى استخدامها فيها .

أما الظاهرة الثانية فقد ظهرت على شكل ملامح مؤثرة ، أو خطوط متميزة ، تتجلى أثارها على أشكال بعض القصائد فتشغل جزءا منها ، أو تدخل ضمن جانب من جوانبها ، وهي في أغلبها تأثير واضح لتلك البصمات التي تعالت أصولها عند بعض الشعراء ، ولعل النماذج التي تطالعنا في قصائد امرئ القيس (١١٥) ، وزهير (١١٦) ، ولسيد (١١٧) ، وأبي دؤاد (١١٨) ، وطرفة (١١٩) ، وعبدى بن زيد (١٢٠) ، والمرقس الأصغر (١٢١) ، ومعاوية بن مالك (١٢٢) ، والأسود بن يعفر ، وحاجب بن حبيب (١٢٣) ، وعمرو بن معد يكرب (١٢٤) ، وخفاف بن ندية (١٢٥) ، وعثرو بن الأهم (١٢٦) ، والمخل السعدي (١٢٧) ، وسهم بن حنظلة (١٢٨) ، وكعب بن سعد (١٢٩) ، هذه النماذج تمثل هذا التأثير الذي أخذ أبعادا مختلفة ، وصورا متباينة استطاع الشعراء أن يحددوا أشكالها من مبادئ الفنية التي تحرر كواحلها من أغراض موضوعاتهم

- (١٢٥) - الديوان ٣٣-١١-١٢-١٧
(١٢٦) - الديوان ١٢-١٣-١٤-١٥-١٦-١٧-١٨-١٩-٢٠-٢١-٢٢-٢٣-٢٤-٢٥-٢٦-٢٧-٢٨-٢٩-٣٠-٣١-٣٢-٣٣-٣٤-٣٥-٣٦-٣٧-٣٨-٣٩-٤٠-٤١-٤٢-٤٣-٤٤-٤٥-٤٦-٤٧-٤٨-٤٩-٥٠-٥١-٥٢-٥٣-٥٤-٥٥-٥٦-٥٧-٥٨-٥٩-٦٠-٦١-٦٢-٦٣-٦٤-٦٥-٦٦-٦٧-٦٨-٦٩-٧٠-٧١-٧٢-٧٣-٧٤-٧٥-٧٦-٧٧-٧٨-٧٩-٨٠-٨١-٨٢-٨٣-٨٤-٨٥-٨٦-٨٧-٨٨-٨٩-٩٠-٩١-٩٢-٩٣-٩٤-٩٥-٩٦-٩٧-٩٨-٩٩-١٠٠-١٠١-١٠٢-١٠٣-١٠٤-١٠٥-١٠٦-١٠٧-١٠٨-١٠٩-١١٠-١١١-١١٢-١١٣-١١٤-١١٥-١١٦-١١٧-١١٨-١١٩-١٢٠-١٢١-١٢٢-١٢٣-١٢٤-١٢٥-١٢٦-١٢٧-١٢٨-١٢٩-١٣٠-١٣١-١٣٢-١٣٣-١٣٤-١٣٥-١٣٦-١٣٧-١٣٨-١٣٩-١٤٠-١٤١-١٤٢-١٤٣-١٤٤-١٤٥-١٤٦-١٤٧-١٤٨-١٤٩-١٥٠-١٥١-١٥٢-١٥٣-١٥٤-١٥٥-١٥٦-١٥٧-١٥٨-١٥٩-١٦٠-١٦١-١٦٢-١٦٣-١٦٤-١٦٥-١٦٦-١٦٧-١٦٨-١٦٩-١٧٠-١٧١-١٧٢-١٧٣-١٧٤-١٧٥-١٧٦-١٧٧-١٧٨-١٧٩-١٨٠-١٨١-١٨٢-١٨٣-١٨٤-١٨٥-١٨٦-١٨٧-١٨٨-١٨٩-١٩٠-١٩١-١٩٢-١٩٣-١٩٤-١٩٥-١٩٦-١٩٧-١٩٨-١٩٩-٢٠٠-٢٠١-٢٠٢-٢٠٣-٢٠٤-٢٠٥-٢٠٦-٢٠٧-٢٠٨-٢٠٩-٢١٠-٢١١-٢١٢-٢١٣-٢١٤-٢١٥-٢١٦-٢١٧-٢١٨-٢١٩-٢٢٠-٢٢١-٢٢٢-٢٢٣-٢٢٤-٢٢٥-٢٢٦-٢٢٧-٢٢٨-٢٢٩-٢٣٠-٢٣١-٢٣٢-٢٣٣-٢٣٤-٢٣٥-٢٣٦-٢٣٧-٢٣٨-٢٣٩-٢٤٠-٢٤١-٢٤٢-٢٤٣-٢٤٤-٢٤٥-٢٤٦-٢٤٧-٢٤٨-٢٤٩-٢٥٠-٢٥١-٢٥٢-٢٥٣-٢٥٤-٢٥٥-٢٥٦-٢٥٧-٢٥٨-٢٥٩-٢٦٠-٢٦١-٢٦٢-٢٦٣-٢٦٤-٢٦٥-٢٦٦-٢٦٧-٢٦٨-٢٦٩-٢٧٠-٢٧١-٢٧٢-٢٧٣-٢٧٤-٢٧٥-٢٧٦-٢٧٧-٢٧٨-٢٧٩-٢٨٠-٢٨١-٢٨٢-٢٨٣-٢٨٤-٢٨٥-٢٨٦-٢٨٧-٢٨٨-٢٨٩-٢٩٠-٢٩١-٢٩٢-٢٩٣-٢٩٤-٢٩٥-٢٩٦-٢٩٧-٢٩٨-٢٩٩-٣٠٠-٣٠١-٣٠٢-٣٠٣-٣٠٤-٣٠٥-٣٠٦-٣٠٧-٣٠٨-٣٠٩-٣١٠-٣١١-٣١٢-٣١٣-٣١٤-٣١٥-٣١٦-٣١٧-٣١٨-٣١٩-٣٢٠-٣٢١-٣٢٢-٣٢٣-٣٢٤-٣٢٥-٣٢٦-٣٢٧-٣٢٨-٣٢٩-٣٣٠-٣٣١-٣٣٢-٣٣٣-٣٣٤-٣٣٥-٣٣٦-٣٣٧-٣٣٨-٣٣٩-٣٤٠-٣٤١-٣٤٢-٣٤٣-٣٤٤-٣٤٥-٣٤٦-٣٤٧-٣٤٨-٣٤٩-٣٥٠-٣٥١-٣٥٢-٣٥٣-٣٥٤-٣٥٥-٣٥٦-٣٥٧-٣٥٨-٣٥٩-٣٦٠-٣٦١-٣٦٢-٣٦٣-٣٦٤-٣٦٥-٣٦٦-٣٦٧-٣٦٨-٣٦٩-٣٧٠-٣٧١-٣٧٢-٣٧٣-٣٧٤-٣٧٥-٣٧٦-٣٧٧-٣٧٨-٣٧٩-٣٨٠-٣٨١-٣٨٢-٣٨٣-٣٨٤-٣٨٥-٣٨٦-٣٨٧-٣٨٨-٣٨٩-٣٩٠-٣٩١-٣٩٢-٣٩٣-٣٩٤-٣٩٥-٣٩٦-٣٩٧-٣٩٨-٣٩٩-٤٠٠-٤٠١-٤٠٢-٤٠٣-٤٠٤-٤٠٥-٤٠٦-٤٠٧-٤٠٨-٤٠٩-٤١٠-٤١١-٤١٢-٤١٣-٤١٤-٤١٥-٤١٦-٤١٧-٤١٨-٤١٩-٤٢٠-٤٢١-٤٢٢-٤٢٣-٤٢٤-٤٢٥-٤٢٦-٤٢٧-٤٢٨-٤٢٩-٤٣٠-٤٣١-٤٣٢-٤٣٣-٤٣٤-٤٣٥-٤٣٦-٤٣٧-٤٣٨-٤٣٩-٤٤٠-٤٤١-٤٤٢-٤٤٣-٤٤٤-٤٤٥-٤٤٦-٤٤٧-٤٤٨-٤٤٩-٤٥٠-٤٥١-٤٥٢-٤٥٣-٤٥٤-٤٥٥-٤٥٦-٤٥٧-٤٥٨-٤٥٩-٤٦٠-٤٦١-٤٦٢-٤٦٣-٤٦٤-٤٦٥-٤٦٦-٤٦٧-٤٦٨-٤٦٩-٤٧٠-٤٧١-٤٧٢-٤٧٣-٤٧٤-٤٧٥-٤٧٦-٤٧٧-٤٧٨-٤٧٩-٤٨٠-٤٨١-٤٨٢-٤٨٣-٤٨٤-٤٨٥-٤٨٦-٤٨٧-٤٨٨-٤٨٩-٤٩٠-٤٩١-٤٩٢-٤٩٣-٤٩٤-٤٩٥-٤٩٦-٤٩٧-٤٩٨-٤٩٩-٥٠٠-٥٠١-٥٠٢-٥٠٣-٥٠٤-٥٠٥-٥٠٦-٥٠٧-٥٠٨-٥٠٩-٥١٠-٥١١-٥١٢-٥١٣-٥١٤-٥١٥-٥١٦-٥١٧-٥١٨-٥١٩-٥٢٠-٥٢١-٥٢٢-٥٢٣-٥٢٤-٥٢٥-٥٢٦-٥٢٧-٥٢٨-٥٢٩-٥٣٠-٥٣١-٥٣٢-٥٣٣-٥٣٤-٥٣٥-٥٣٦-٥٣٧-٥٣٨-٥٣٩-٥٤٠-٥٤١-٥٤٢-٥٤٣-٥٤٤-٥٤٥-٥٤٦-٥٤٧-٥٤٨-٥٤٩-٥٥٠-٥٥١-٥٥٢-٥٥٣-٥٥٤-٥٥٥-٥٥٦-٥٥٧-٥٥٨-٥٥٩-٥٦٠-٥٦١-٥٦٢-٥٦٣-٥٦٤-٥٦٥-٥٦٦-٥٦٧-٥٦٨-٥٦٩-٥٧٠-٥٧١-٥٧٢-٥٧٣-٥٧٤-٥٧٥-٥٧٦-٥٧٧-٥٧٨-٥٧٩-٥٨٠-٥٨١-٥٨٢-٥٨٣-٥٨٤-٥٨٥-٥٨٦-٥٨٧-٥٨٨-٥٨٩-٥٩٠-٥٩١-٥٩٢-٥٩٣-٥٩٤-٥٩٥-٥٩٦-٥٩٧-٥٩٨-٥٩٩-٦٠٠-٦٠١-٦٠٢-٦٠٣-٦٠٤-٦٠٥-٦٠٦-٦٠٧-٦٠٨-٦٠٩-٦١٠-٦١١-٦١٢-٦١٣-٦١٤-٦١٥-٦١٦-٦١٧-٦١٨-٦١٩-٦٢٠-٦٢١-٦٢٢-٦٢٣-٦٢٤-٦٢٥-٦٢٦-٦٢٧-٦٢٨-٦٢٩-٦٣٠-٦٣١-٦٣٢-٦٣٣-٦٣٤-٦٣٥-٦٣٦-٦٣٧-٦٣٨-٦٣٩-٦٤٠-٦٤١-٦٤٢-٦٤٣-٦٤٤-٦٤٥-٦٤٦-٦٤٧-٦٤٨-٦٤٩-٦٥٠-٦٥١-٦٥٢-٦٥٣-٦٥٤-٦٥٥-٦٥٦-٦٥٧-٦٥٨-٦٥٩-٦٦٠-٦٦١-٦٦٢-٦٦٣-٦٦٤-٦٦٥-٦٦٦-٦٦٧-٦٦٨-٦٦٩-٦٧٠-٦٧١-٦٧٢-٦٧٣-٦٧٤-٦٧٥-٦٧٦-٦٧٧-٦٧٨-٦٧٩-٦٨٠-٦٨١-٦٨٢-٦٨٣-٦٨٤-٦٨٥-٦٨٦-٦٨٧-٦٨٨-٦٨٩-٦٩٠-٦٩١-٦٩٢-٦٩٣-٦٩٤-٦٩٥-٦٩٦-٦٩٧-٦٩٨-٦٩٩-٧٠٠-٧٠١-٧٠٢-٧٠٣-٧٠٤-٧٠٥-٧٠٦-٧٠٧-٧٠٨-٧٠٩-٧١٠-٧١١-٧١٢-٧١٣-٧١٤-٧١٥-٧١٦-٧١٧-٧١٨-٧١٩-٧٢٠-٧٢١-٧٢٢-٧٢٣-٧٢٤-٧٢٥-٧٢٦-٧٢٧-٧٢٨-٧٢٩-٧٣٠-٧٣١-٧٣٢-٧٣٣-٧٣٤-٧٣٥-٧٣٦-٧٣٧-٧٣٨-٧٣٩-٧٤٠-٧٤١-٧٤٢-٧٤٣-٧٤٤-٧٤٥-٧٤٦-٧٤٧-٧٤٨-٧٤٩-٧٥٠-٧٥١-٧٥٢-٧٥٣-٧٥٤-٧٥٥-٧٥٦-٧٥٧-٧٥٨-٧٥٩-٧٦٠-٧٦١-٧٦٢-٧٦٣-٧٦٤-٧٦٥-٧٦٦-٧٦٧-٧٦٨-٧٦٩-٧٧٠-٧٧١-٧٧٢-٧٧٣-٧٧٤-٧٧٥-٧٧٦-٧٧٧-٧٧٨-٧٧٩-٧٨٠-٧٨١-٧٨٢-٧٨٣-٧٨٤-٧٨٥-٧٨٦-٧٨٧-٧٨٨-٧٨٩-٧٩٠-٧٩١-٧٩٢-٧٩٣-٧٩٤-٧٩٥-٧٩٦-٧٩٧-٧٩٨-٧٩٩-٨٠٠-٨٠١-٨٠٢-٨٠٣-٨٠٤-٨٠٥-٨٠٦-٨٠٧-٨٠٨-٨٠٩-٨١٠-٨١١-٨١٢-٨١٣-٨١٤-٨١٥-٨١٦-٨١٧-٨١٨-٨١٩-٨٢٠-٨٢١-٨٢٢-٨٢٣-٨٢٤-٨٢٥-٨٢٦-٨٢٧-٨٢٨-٨٢٩-٨٣٠-٨٣١-٨٣٢-٨٣٣-٨٣٤-٨٣٥-٨٣٦-٨٣٧-٨٣٨-٨٣٩-٨٤٠-٨٤١-٨٤٢-٨٤٣-٨٤٤-٨٤٥-٨٤٦-٨٤٧-٨٤٨-٨٤٩-٨٥٠-٨٥١-٨٥٢-٨٥٣-٨٥٤-٨٥٥-٨٥٦-٨٥٧-٨٥٨-٨٥٩-٨٦٠-٨٦١-٨٦٢-٨٦٣-٨٦٤-٨٦٥-٨٦٦-٨٦٧-٨٦٨-٨٦٩-٨٧٠-٨٧١-٨٧٢-٨٧٣-٨٧٤-٨٧٥-٨٧٦-٨٧٧-٨٧٨-٨٧٩-٨٨٠-٨٨١-٨٨٢-٨٨٣-٨٨٤-٨٨٥-٨٨٦-٨٨٧-٨٨٨-٨٨٩-٨٩٠-٨٩١-٨٩٢-٨٩٣-٨٩٤-٨٩٥-٨٩٦-٨٩٧-٨٩٨-٨٩٩-٩٠٠-٩٠١-٩٠٢-٩٠٣-٩٠٤-٩٠٥-٩٠٦-٩٠٧-٩٠٨-٩٠٩-٩١٠-٩١١-٩١٢-٩١٣-٩١٤-٩١٥-٩١٦-٩١٧-٩١٨-٩١٩-٩٢٠-٩٢١-٩٢٢-٩٢٣-٩٢٤-٩٢٥-٩٢٦-٩٢٧-٩٢٨-٩٢٩-٩٣٠-٩٣١-٩٣٢-٩٣٣-٩٣٤-٩٣٥-٩٣٦-٩٣٧-٩٣٨-٩٣٩-٩٤٠-٩٤١-٩٤٢-٩٤٣-٩٤٤-٩٤٥-٩٤٦-٩٤٧-٩٤٨-٩٤٩-٩٥٠-٩٥١-٩٥٢-٩٥٣-٩٥٤-٩٥٥-٩٥٦-٩٥٧-٩٥٨-٩٥٩-٩٦٠-٩٦١-٩٦٢-٩٦٣-٩٦٤-٩٦٥-٩٦٦-٩٦٧-٩٦٨-٩٦٩-٩٧٠-٩٧١-٩٧٢-٩٧٣-٩٧٤-٩٧٥-٩٧٦-٩٧٧-٩٧٨-٩٧٩-٩٨٠-٩٨١-٩٨٢-٩٨٣-٩٨٤-٩٨٥-٩٨٦-٩٨٧-٩٨٨-٩٨٩-٩٩٠-٩٩١-٩٩٢-٩٩٣-٩٩٤-٩٩٥-٩٩٦-٩٩٧-٩٩٨-٩٩٩-١٠٠٠-١٠٠١-١٠٠٢-١٠٠٣-١٠٠٤-١٠٠٥-١٠٠٦-١٠٠٧-١٠٠٨-١٠٠٩-١٠١٠-١٠١١-١٠١٢-١٠١٣-١٠١٤-١٠١٥-١٠١٦-١٠١٧-١٠١٨-١٠١٩-١٠٢٠-١٠٢١-١٠٢٢-١٠٢٣-١٠٢٤-١٠٢٥-١٠٢٦-١٠٢٧-١٠٢٨-١٠٢٩-١٠٣٠-١٠٣١-١٠٣٢-١٠٣٣-١٠٣٤-١٠٣٥-١٠٣٦-١٠٣٧-١٠٣٨-١٠٣٩-١٠٤٠-١٠٤١-١٠٤٢-١٠٤٣-١٠٤٤-١٠٤٥-١٠٤٦-١٠٤٧-١٠٤٨-١٠٤٩-١٠٥٠-١٠٥١-١٠٥٢-١٠٥٣-١٠٥٤-١٠٥٥-١٠٥٦-١٠٥٧-١٠٥٨-١٠٥٩-١٠٦٠-١٠٦١-١٠٦٢-١٠٦٣-١٠٦٤-١٠٦٥-١٠٦٦-١٠٦٧-١٠٦٨-١٠٦٩-١٠٧٠-١٠٧١-١٠٧٢-١٠٧٣-١٠٧٤-١٠٧٥-١٠٧٦-١٠٧٧-١٠٧٨-١٠٧٩-١٠٨٠-١٠٨١-١٠٨٢-١٠٨٣-١٠٨٤-١٠٨٥-١٠٨٦-١٠٨٧-١٠٨٨-١٠٨٩-١٠٩٠-١٠٩١-١٠٩٢-١٠٩٣-١٠٩٤-١٠٩٥-١٠٩٦-١٠٩٧-١٠٩٨-١٠٩٩-١١٠٠-١١٠١-١١٠٢-١١٠٣-١١٠٤-١١٠٥-١١٠٦-١١٠٧-١١٠٨-١١٠٩-١١١٠-١١١١-١١١٢-١١١٣-١١١٤-١١١٥-١١١٦-١١١٧-١١١٨-١١١٩-١١٢٠-١١٢١-١١٢٢-١١٢٣-١١٢٤-١١٢٥-١١٢٦-١١٢٧-١١٢٨-١١٢٩-١١٣٠-١١٣١-١١٣٢-١١٣٣-١١٣٤-١١٣٥-١١٣٦-١١٣٧-١١٣٨-١١٣٩-١١٤٠-١١٤١-١١٤٢-١١٤٣-١١٤٤-١١٤٥-١١٤٦-١١٤٧-١١٤٨-١١٤٩-١١٥٠-١١٥١-١١٥٢-١١٥٣-١١٥٤-١١٥٥-١١٥٦-١١٥٧-١١٥٨-١١٥٩-١١٦٠-١١٦١-١١٦٢-١١٦٣-١١٦٤-١١٦٥-١١٦٦-١١٦٧-١١٦٨-١١٦٩-١١٧٠-١١٧١-١١٧٢-١١٧٣-١١٧٤-١١٧٥-١١٧٦-١١٧٧-١١٧٨-١١٧٩-١١٨٠-١١٨١-١١٨٢-١١٨٣-١١٨٤-١١٨٥-١١٨٦-١١٨٧-١١٨٨-١١٨٩-١١٩٠-١١٩١-١١٩٢-١١٩٣-١١٩٤-١١٩٥-١١٩٦-١١٩٧-١١٩٨-١١٩٩-١٢٠٠-١٢٠١-١٢٠٢-١٢٠٣-١٢٠٤-١٢٠٥-١٢٠٦-١٢٠٧-١٢٠٨-١٢٠٩-١٢١٠-١٢١١-١٢١٢-١٢١٣-١٢١٤-١٢١٥-١٢١٦-١٢١٧-١٢١٨-١٢١٩-١٢٢٠-١٢٢١-١٢٢٢-١٢٢٣-١٢٢٤-١٢٢٥-١٢٢٦-١٢٢٧-١٢٢٨-١٢٢٩-١٢٣٠-١٢٣١-١٢٣٢-١٢٣٣-١٢٣٤-١٢٣٥-١٢٣٦-١٢٣٧-١٢٣٨-١٢٣٩-١٢٤٠-١٢٤١-١٢٤٢-١٢٤٣-١٢٤٤-١٢٤٥-١٢٤٦-١٢٤٧-١٢٤٨-١٢٤٩-١٢٥٠-١٢٥١-١٢٥٢-١٢٥٣-١٢٥٤-١٢٥٥-١٢٥٦-١٢٥٧-١٢٥٨-١٢٥٩-١٢٦٠-١٢٦١-١٢٦٢-١٢٦٣-١٢٦٤-١٢٦٥-١٢٦٦-١٢٦٧-١٢٦٨-١٢٦٩-١٢٧٠-١٢٧١-١٢٧٢-١٢٧٣-١٢٧٤-١٢٧٥-١٢٧٦-١٢٧٧-١٢٧٨-١٢٧٩-١٢٨٠-١٢٨١-١٢٨٢-١٢٨٣-١٢٨٤-١٢٨٥-١٢٨٦-١٢٨٧-١٢٨٨-١٢٨٩-١٢٩٠-١٢٩١-١٢٩٢-١٢٩٣-١٢٩٤-١٢٩٥-١٢٩٦-١٢٩٧-١٢٩٨-١٢٩٩-١٣٠٠-١٣٠١-١٣٠٢-١٣٠٣-١٣٠٤-١٣٠٥-١٣٠٦-١٣٠٧-١٣٠٨-١٣٠٩-١٣١٠-١٣١١-١٣١٢-١٣١٣-١٣١٤-١٣١٥-١٣١٦-١٣١٧-١٣١٨-١٣١٩-١٣٢٠-١٣٢١-١٣٢٢-١٣٢٣-١٣٢٤-١٣٢٥-١٣٢٦-١٣٢٧-١٣٢٨-١٣٢٩-١٣٣٠-١٣٣١-١٣٣٢-١٣٣٣-١٣٣٤-١٣٣٥-١٣٣٦-١٣٣٧-١٣٣٨-١٣٣٩-١٣٤٠-١٣٤١-١٣٤٢-١٣٤٣-١٣٤٤-١٣٤٥-١٣٤٦-١٣٤٧-١٣٤٨-١٣٤٩-١٣٥٠-١٣٥١-١٣٥٢-١٣٥٣-١٣٥٤-١٣٥٥-١٣٥٦-١٣٥٧-١٣٥٨-١٣٥٩-١٣٦٠-١٣٦١-١٣٦٢-١٣٦٣-١٣٦٤-١٣٦٥-١٣٦٦-١٣٦٧-١٣٦٨-١٣٦٩-١٣٧٠-١٣٧١-١٣٧٢-١٣٧٣-١٣٧٤-١٣٧٥-١٣٧٦-١٣٧٧-١٣٧٨-١٣٧٩-١٣٨٠-١٣٨١-١٣٨٢-١٣٨٣-١٣٨٤-١٣٨٥-١٣٨٦-١٣٨٧-١٣٨٨-١٣٨٩-١٣٩٠-١٣٩١-١٣٩٢-١٣٩٣-١٣٩٤-١٣٩٥-١٣٩٦-١٣٩٧-١٣٩٨-١٣٩٩-١٤٠٠-١٤٠١-١٤٠٢-١٤٠٣-١٤٠٤-١٤٠٥-١٤٠٦-١٤٠٧-١٤٠٨-١٤٠٩-١٤١٠-١٤١١-١٤١٢-١٤١٣-١٤١٤-١٤١٥-١٤١٦-١٤١٧-١٤١٨-١٤١٩-١٤٢٠-١٤٢١-١٤٢٢-١٤٢٣-١٤٢٤-١٤٢٥-١٤٢٦-١٤٢٧-١٤٢٨-١٤٢٩-١٤٣٠-١٤٣١-١٤٣٢-١٤٣٣-١٤٣٤-١٤٣٥-١٤٣٦-١٤٣٧-١٤٣٨-١٤٣٩-١٤٤٠-١٤٤١-١٤٤٢-١٤٤٣-١٤٤٤-١٤٤٥-١٤٤٦-١٤٤٧-١٤٤٨-١٤٤٩-١٤٥٠-١٤٥١-١٤٥٢-١٤٥٣-١٤٥٤-١٤٥٥-١٤٥٦-١٤٥٧-١٤٥٨-١٤٥٩-١٤٦٠-١٤٦١-١٤٦٢-١٤٦٣-١٤٦٤-١٤٦٥-١٤٦٦-١٤٦٧-١٤٦٨-١٤٦٩-١٤٧٠-١٤٧١-١٤٧٢-١٤٧٣-١٤٧٤-١٤٧٥-١٤٧٦-١٤٧٧-١٤٧٨-١٤٧٩-١٤٨٠-١٤٨١-١٤٨٢-١٤٨٣-١٤٨٤-١٤٨٥-١٤٨٦-١٤٨٧-١٤٨٨-١٤٨٩-١٤٩٠-١٤٩١-١٤٩٢-١٤٩٣-١٤٩٤-١٤٩٥-١٤٩٦-١٤٩٧-١٤٩٨-١٤٩٩-١٥٠٠-١٥٠١-١٥٠٢-١٥٠٣-١٥٠٤-١٥٠٥-١٥٠٦-١٥٠٧-١٥٠٨-١٥٠٩-١٥١٠-١٥١١-١٥١٢-١٥١٣-١٥١٤-١٥١٥-١٥١٦-١٥١٧-١٥١٨-١٥١٩-١٥٢٠-١٥٢١-١٥٢٢-١٥٢٣-١٥٢٤-١٥٢٥-١٥٢٦-١٥٢٧-١٥٢٨-١٥٢٩-١٥٣٠-١٥٣١-١٥٣٢-١٥٣٣-١٥٣٤-١٥٣٥-١٥٣٦-١٥٣٧-١٥٣٨-١٥٣٩-١٥٤٠-١٥٤١-١٥٤٢-١٥٤٣-١٥٤٤-١٥٤٥-١٥٤٦-١٥٤٧-١٥٤٨-١٥٤٩-١٥٥٠-١٥٥١-١٥٥٢-١٥٥٣-١٥٥٤-١٥٥٥-١٥٥٦-١٥٥٧-١٥٥٨-١٥٥٩-١٥٦٠-١٥٦١-١٥٦٢-١٥٦٣-١٥٦٤-١٥٦٥-١٥٦٦-١٥٦٧-١٥٦٨-١٥٦٩-١٥٧٠-١٥٧١-١٥٧٢-١٥٧٣-١٥٧٤-١٥٧٥-١٥٧٦-١

وإبراز الجانب الواضح في سلوكهم . وهي ظاهرة لا تعطي لأصحابها الموقع
 الشعري الذي استحقه أولئك الشعراء الرواد ، ولكنها تحدد لهم موقعا
 مناسباً يرسم لهم طريق التأثير ، ويحدد العمق الإيجابي الذي استطاع الشاعر
 أن يحققه لنفسه من خلال التجربة القصيرة . ولعل الأشكال الفنية التي
 برزت عند المجاميع الأخرى كانت تعكس التوافق في تحديد الرؤية التي
 وجد فيها الشعراء اتفاقاً في معالجة القضايا التي يعالجونها ، ولا بد أن يكون
 هؤلاء الشعراء متفقين - ولو من حيث الرغبة الداخلية - على صيغة الحوار
 بالأساليب التي أدركوها ، لأن هذه الطبيعة تجعلهم متشوّعين القيمة
 الشعورية التي تنجم عن التوزيع الذي يحسه الشاعر وهو يتقاسم مع غيره
 المشاعر ، ويوزع ما يدور في نفسه على إنسان آخر قد يستريح له إذا وجد
 فيه جزءاً من نفسه ، وهو جانب آخر كان الشاعر يحاول التوفيق فيه من
 أجل التنسيق الفني والحسي ، وكأنه كان يجد في تبديد الأحاسيس وتوزيع
 التساؤل ومشاركة الآخرين في الحيرة التي كانت تتنابه وهو يعاني قوة
 التدافع الذاتي راحة نفسية مقبولة لا يمكن أن يتخطى عنها . وقد بقيت
 هذه العناصر التي حاول الشعراء توظيفها لتشكيل العناصر الأساسية التي
 ساهمت في البناء الشعري .

إذا استطاع الشاعر حاتم الطائي والشاعر عروة بن الورد أن يقدموا
 التجربة الناجحة في الخروج من الأطار المألوف في بناء القصيدة ، وإذا قدر
 لهذه التجربة أن ترسم علاماتها الكثرة في قصائدها بأشكالها المتكاملة
 خروجاً عن الرتابة المعتادة والتقريبية المستحكمة . فإن أصدقاء الحوار المقتلن
 الذي تسرب إلى بقية قصائد الشعراء ، كانت تتعالى بأشكال متفاوتة ، وتبرز
 تأثيراتها وهي تحمل سمات هذا التغيير الذي اكتسب هذه القصائد شكلها
 مغايراً ، وأضاف إليها لحناً جديداً وجعل صورتها الداخلية تتماثل على شاعراً

ذاتيا مع الاحداث التي كان الشاعر يمثّلها حقيقة أو خيالا • ولعل لوحات
امرىء القيس اللاميتين (١٣٠) :

سموت اليها بعدما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال
والثانية (١٣١) :

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك الويلات انك مرجلي
وغيرها من اللوحات امثال قوله (١٣٢) :

وقد اغتذى قبل العطاس بهيكل شديد مشك الجنب فعم المنطق
ولوحة زهير (١٣٣) :

فيينا نبغي الوحش جاء غلامنا يدب ويخفي شخصه ويضائله

تمثل هذا الاتجاه الذي حاول فيه امرؤ القيس ان يدخل هذا الحوار
الفني في ثنايا قصيدته (١٣٤) فأضاف اليها هذه الصورة الجديدة التي توصل
اليها خياله ، واهتدت اليها شاعريته ، وهي صورة تسودها الحركة ويتجسد
فيها الخيال ، ويتناوب فيها الجواب بين « فقلت » و « فقلت » و « حلفت »
و « اسمحت » و « تنازعنا » وما يلزم الصورة من أوضاع وأفعال وتقتضيه
من ضمائر • وهي قطعة جديدة لها خصائصها المتميزة، ولونها البارز ، وكذلك
كان صنيعه في قصيدته الاخرى التي عرض فيها لدخوله حذر عنيزة وما
قالت له •• وما قال لها ، وهي أقوال توحى بالتصورات التي كانت تدور
في نفسه ، وتوحى بما كان يتمناه من أحوال ، وما كان يريد ان يتحدث به
مع صاحبه التي كانت حقيقتها في ذهنه واضحة متميزة •• ارضاء لطموح
ينازعه ، وتوثيقا لصورة يرغب في تحقيقها ، وقد أدت هذه الصورة التي

(١٣٠) الديوان ٣١-٣٢ .

(١٣١) الديوان ١١-١٣ .

(١٣٢) الديوان - ١٧٢ .

(١٣٣) الديوان - ١٣٠ .

(١٣٤) الديوان ٣١-٣٢ .

أدخلها الشاعر في ثنایا قصیدته الى ايجاد تعلیلات كبيرة عند دارسي الادب ، وحملتهم على تفسیرات بعيدة بشأن هاتین اللوحتین ، وقد بنى على وجودهما بعض الدارسین احكاما متباعدة وفسروا في ضوءهما الاحداث تفسیرات غريبة . ولكن الواقع الذي يمكن ان یهتدي اليه الباحث من خلال الدراسة التي أشرت فيها الى الطريق الجديد الذي اراد الشاعر ان يعبر عن تصوراتہ بشكل حوار داخلي او استنباط لاحداث كانت اشباحها في نفسه قائمة ، تؤكد ان هذه الصور هي محاولات جديدة لتحقيق الذات ، واشباع الفردية ومحاولات ايجاد صیغة جديدة للخروج على الرتبة المعهودة في البناء الشعري ، ومحاولة جديدة في توزيع الاحساس الذي كان ينوء به الشاعر الجاهلي وهو يقع تحت طائلة الزمن واحداثه ، وكذلك كانت الصورة بالنسبة الى زهير بن ابي سلمی الذي قدم صورة دقيقة للصيد الذي كان یتغني الصيد وما دار في ذهنه وهو يلون أحداثها ، ويدقق وقائعها ويحدد مواضعها وأوقاتها . ومن الطبيعي ان تكون صورة زهير صورة تقليدية لموضوعات كانت تطرق في القصيدة الجاهلية التي اطلع عليها زهير وتأثر بها وحيه وهو يستوعب مآثورات عصره وما سبق به . وقد أرضى زهير بتقديمه هذه اللوحة من خلال محاوراته التي استخدم فيها أسلوب الحوار المباشر ورغبته وطموحه في الوصول الى الصورة دون حواجز ، ورغبته في استمرار الصورة التقليدية التي عاصرها ولم يتمكن من تحقيقها وجودا حقيقيا ، ورغبته في التوفيق بين معاصرتہ لما یصادفه وارتباطه بما یساهم في بناء ثقافته . ولعل وجود مثل هذه اللوحة منفردة او قليلة - كما كانت لوحات امرئ القيس منفردة أو قليلة - تؤكد هذه الحقيقة التي لا نجد لها نظائر في ديوانه ، وتؤكد انسلاخ الشاعر من الاطار الذي كان یتحكم فيه لفترة زمنية قصيرة یعود بعدها الى الانجراف في التيار الحاد الذي كان

يفرض عليه الاستمرار دون توقف ، لمتابعة الاتجاهات السائدة التي كانت
تفرض نفسها قوية وحازمة على الشعراء الذين لم يذنبوا بتأجيلها بل بما وجدوه من
التزامات وحضوع لما هو عليه من انضباط من احكام وصوابط .. ومن
الجانز ان تكون هذه النزعات النفسية تعكس صوراً ذات خلية كاني الشاعر
يقف عندها حائراً ، ولم يجد نفسه قادراً على تحقيقها الا من خلال الحوار
الشعري الذي يطمئن على الأقل - الرغبة الجامعة ، ويوحى الجاهب الذاتي
في تلك النفوس . انما رقيقتنا قديمت لا بد من رجوعنا الى ما
ان ارتباط الحوار بالحالة النفسية المدركة لتحقيق الطموح يمكن ان
يقصر لنا الكثير من الانكسارات التي كانت تغنيها نفوس الشعراء وهم
يرجعون الى هذا الاسلوب من المحاور ، ولا بد ان تكون المرأة التي اختارها
امرو القيس او حاتم الطائي او عروة بن الورد او ابو ذؤيب الهذلي او كعب
ابن سعد الغنوي ، او الغلام الذي اختاره زهير بن ابي سلمى من العوامل
التي تجعل الفكرة مقبولة في تحديد شخوص الحوار ، فالمرأة هي الالفة
دائماً ، وهي التي تخشى الفقر وتحافظ على الرجل وتحاول حمايته من الاثرلاق
وتفقد احواله وما يضييه من هزال وضعف .. وهذا ما حاول الشعراء ان
يقدموه ، او هي الانسنة التي يمكن ان يجد عندها الرجل راحته في متبادلة
العواطف وتجاوب الاحاسيس كما صورها امرؤ القيس .. اما الغلام فهو
الذي كان يرشد زهير وجماعته ويبرهم بمواضع الصيد .. ان هذه
العلاقة التي يمكن الوقوف عليها من نماذج القصائد يمكن ان تكون عاملاً
جديداً من عوامل الدراسة التي يعول عليها لانهما حددت المؤثر الذي بموجبه
تكون الشخصية الثانية التي يقوم عليها الحوار ، وان هذه الشخصية كانت
تحضغ لمجموعة من المواصفات حتى تكون قادرة على أداء مهمتها على الوجه
الاكمل . وان الشاعر كان يراعي ذلك في الاختيار لتعطي اشخاصة ان

تؤدي ما تفرضه عليها طبيعة الحوار من واجبات . وإن الشاعر كان يعلم
الوجهة التي تسير وفقها القصيدة ابتداء . لأن هذا التحديد سيعقبه تحديد
آخر في السلوك والعمل والمتابعة . وهذه العناصر قد وجدت مواضعها في
تفكير الشاعر لأنها تجاوزت المنطلقات الثابتة في البناء ، وفي ظلالها كانت تتحرك
الأجزاء المكتملة . . .

إنما الأسلوب والطريقة واستخدام الضمائم والأفعال والروابط التي
تحكم هذه الأساليب والاعتبارات الداخلية التي توجد بين كل هذه الأجزاء
فقد كانت أقدارها متفاوتة عند الشعراء لأنها كانت تتصل بقوة التجربة التي
يريد الشاعر أن يعبر عنها ، وبمستلزمة الحدث الذي يكثر تطوفاً إعلامه في
ذهنه فنزلت الحقيقة التي تجدد من خلال الصياغة المستخدمة والنماذج
التي تدور في إطار الأحاديث كانت ترسم للحوار صوراً على الموضع من
تباعدها أحياناً - واضحة ، يمكن الوقوف عندها وتحليل دلالاتها ورموزها
تحليلاً موضوعياً ، لتأخذ القيمة الأساسية لها ، لأنها تشكل في حد ذاتها
قاعدة من قواعد البناء القصصي وأساساً يمكن الوقوف عليه لتحديد البنات
الأولى لهذا الفن في الشعر العربي ، لأن الدراسات ما تزال تتخبط في إيضاح
هذا الجانب الفني في النصوص الشعرية . وإن الدارسين كانوا يعبرون هذه
الفترة ، ويتجاوزون الأصالة التي أجهد القدامى عقولهم في إيجادها ، وإن
هذه النماذج يمكن عدها جسراً ثقافياً من الجسور التي عبر من خلالها الأدب
القديم ، وممرات ثقافية كانت الأفكار والرموز والأساطير والأساليب
والقصص تمر عبرها بلامح خافتة أحياناً وواضحة كل الوضوح في الأحياء
الأخرى . . وهذا ما دفعني إلى أن أشدد في إبراز الصورة لأن التشديد في
هذا الموقع يعني تثبيتاً لأصول فنية وأسلوبية أغفل الباحثون معالجتها
معالجة تتناسب وأهميتها . وتركوا كل لمحة من هذه اللوحات إلى تقدير

الصدفة في تحقيقها وهذه بادرة خطيرة جرت على الدراسات الادبية أهوالا
كبيرة •

ان التوفيق بين كل هذه العناصر ، يعني تحديدا للصورة المتكاملة
لشكل الحوار بأجزائه وأساليبه وشخصه وأفكاره وقيمه ، ولا بد ان يكون
الشاعر قد سعى الى تحديدها منذ المقطع الاول ، وحاول وضعها بشكل
متسلسل بموجب الوحدات المرسومة في السياق ، وان ارتباطها بالشكل
المتفق ، والصورة الموجهة تمنحنا دليلا آخر على ان الشاعر الجاهلي كان
واعيا في رسم أبعاد قصيدته ، وان اعدادها وتكاملها ووحدتها كانت أمرا
مفروغا وشكلا متفقا عليه في المفهوم الشعري ، لانه ينطلق من الترابط
المتكامل بين كل تلك الاجزاء وفق الغرض المحدد الذي اصبحت خطوطه
واضحة المعالم عند الشاعر الجاهلي •

الاكديون : دورهم في « المنطقة »

الدكتور فاضل عبدالواحد علي
كلية الاداب - جامعة بغداد

تعريف بالموضوع :

قبل احدى وعشرين عاما نشر الاستاذ اذارت كتابه التقيم والموسوم «العصر الوسيط الثاني في بلاد وادي الرافدين»^(١) وبطبيعة الحال فانه ،يفترض ضمنا وجود عصر وسيط اول . وبالنسبة للاستاذ اذارت فان « العصر الوسيط » يعني ، ضمن اشياء اخرى ، فترة تتميز بالدرجة الاولى بالتجزئة السياسية للقطر وبظهور وحدات أو دويلات سياسية متعددة يعاصر بعضها البعض الاخر . وبتعبير آخر يكون العصر الوسيط فترة ركود وانحلال سياسي تعقب فترة وحدة شاملة . وقد افترض المؤلف وبحق ، ان سلالة كيش الاولى التي حكمت في حدود (٢٨٠٠ ق.م) كانت من اولى السلالات في بلاد بابل التي نجحت في تحقيق الوحدة الداخلية للقطر . ولا بد لنا من التنبيه هنا الى ان سلالة كيش هذه تمثل اقدم الاشارات المدونة في النصوص المسماة الى وجود قبائل الجزيرة العربية في النصف الجنوبي من وادي الرافدين . اذ من المعروف ان اثني عشر ملكا من ملوك هذه السلالة البالغ عددهم ثلاثة وعشرين كانوا يحملون اسماء جزيرية (أي الجزيرة العربية)^(٢) . ولنا ان نفترض بطبيعة الحال ان زمن استيطان هذه القبائل الجزيرية في وادي الرافدين سبق هذا التأريخ بقرون طويلة علما ان سلالة كيش تعتبر اول سلالة حكمت بعد الطوفان مباشرة بموجب قائمة الملوك السومرية .

مقدار ما تشكله عيلام (جنوب غربي إيران) من خطر بالنسبة لهم . أما باتجاه الشمال والغرب فقد كان من الضروري بالنسبة لهم أن تفتح الطرق أمامهم للحصول على المعادن وضمان مسيرة القوافل التجارية . وعلى هذا النحو يكون الأكديون من الأوائل الذين أدركوا الأهمية «الاستراتيجية» للمنطقة في المفهوم المعاصر ضمانا لسلامة القطر على ضوء ما يحيط به من قوى متصارعة كانت تمثل آنذاك بصلالات إقليمية واسعة.

وقد أقاد البابليون والآشوريون والكلدانيون من التجربة الأكديّة فلم يبقوا مكتوفين أمام قوى الصراع في الشرق الأدنى القديم . ولهذا اعتمدوا سياسة بناء جيش ضارب له القدرة على الاضطلاع بكبح جيوش الطامعين وضرب الحلاف العسكرية وقت الحصار الذي كانت تفرضه القوى المعادية لشل الحياة التجارية والاقتصادية^(٥) . ولا نعتقد أننا بحاجة إلى التأكيد على أن هذه السياسة البابلية ومن بعدها الآشورية ومن بعدها الكلدانية تمثل بعناوبها البارزة خير دليل على كبري هذا الإجماع.

الأكديون : في حين نجد أن السجلات البابلية والآشورية والآرامية لا تذكرهم إلا في سياق الأحداث التي تليها ، فإنهم يظهرون في السجلات المصرية القديمة في عهد رمسيس الثاني (١٢٥٠ ق.م) - ٢٤٠٠ ق.م تتميز بسيادة السومريين سياسيا وعسكريا في جنوب وادي الرافدين وأن البلاد كان يقرب عليها التجارة السياسية التي تمثلت بالعديد من دويلات المدن . ويمكن القول أن رفعة النفوذ السياسي لتلك الدويلات كانت تمتد من أقصى جنوبي المقطع إلى مدينة كيش (تل الحير حاليا) وهي المنطقة التي أطلق عليها السومريون اسمهم كيش (Ki-en-gi) . بلاد سومر لم تكن تحتل مكانة بارزة في السجلات المصرية القديمة.

ومن المعروف أيضا أن السومريين استظاعوا في عصر فجر السلالات وضع اللبنة الأولى لأقامة حضارة عريقة في هذه المنطقة من بلاد وادي الرافدين عندما توصلوا إلى صناعات كثيرة ، إلى اختراع الكتابة كوسيلة للتدوين ، والابداع في مجالات الفنون المختلفة كصناعة الأحكام الأسطوانية والتمثيل

والدمى والحلي الفضية والذهبية • وكان لهم اسهام مشهود في ميدان الادب وفن العمارة والطب وكثير من العلوم والمعارف • واليهام بعود الفضل ايضا في وضع وبلورة المعتقدات الدينية وكثير من الافكار التي تتعلق بخلق الكون والانسان وبالمفاهيم والنظم السياسية والاجتماعية والقانونية •

غير ان سيادة السومريين على البلاد والمتمثلة ، كما قلنا ، بدويلات المدن انتهت على يد زعيم اسمه سرجون الذي استطاع فرض سيطرته على البلاد وتوحيد دويلات المدن ومن ثم اقامة امبراطورية واسعة الارحاء عرفت بالامبراطورية الاكدية نسبة الى مدينة اكد التي اتخذها عاصمة له • والاكيون الذين تزعمهم سرجون في اقامة الامبراطورية الجديدة هم من قبائل الجزيرة العربية التي استوطنت في بلاد بابل في عصر مبكر جدا ، ربما منذ الالف الرابع قبل الميلاد •

وقد عاش هؤلاء جنبا الى جنب مع السومريين وتفاعلوا معهم قبل ان يتمكنوا من الاستيلاء على دفة الحكم •

وخلافا للسومريين الذين ما يزال اصلهم واصل لغتهم مجهولين لحد الان ، فان الاكيين يمثلون واحدة من اقدم هجرات قبائل الجزيرة الى وادي الرافدين • كما ان لغتهم تعود في اصولها الى عائلة لغات الجزيرة التي تفرعت الى فروع منها الاكدية والبابلية والاشورية والعربية والعبرانية والارامية (وهي التي تسمى باللغات السامية) •

ومن الجدير ذكره هنا اننا نهمل في دراستنا الحالية المصطلح المتداول « الساميون » الذي لا يستند على اساس تاريخي مقبول وسوف نستعمل بدلا منه « قبائل الجزيرة » او « الجزيريين »^(٦) للاشارة الى تلك القبائل التي كان موطنها الاصلي جزيرة العرب والتي كانت تتكلم لغات او لهجات تعود في اصلها الى لغة واحدة هي لغة الجزيرة ، والتي كانت ايضا تتشابه ، الى جانب ذلك ، بجملة من السمات التاريخية والحياة المعاشية والاعراف والتقاليد والقوانين وفي المعتقدات الدينية •

اما المناطق التي كانت تستوطنها القبائل المتكلمة بلغة الجزيرة فانها كانت تشمل في العصور التاريخية القديمة ، جزيرة العرب واطرافها الشمالية كالصحراء السورية وما يعرف بالهلال الخصيب . وقد اضطرت هذه القبائل ، ولاسباب مختلفة وفي فترات مختلفة ايضا . الى هجرة مواطن استيطانها والنزوح ثم الاستقرار في المناطق المتحضرة من بلاد وادي الرافدين والاراضي السومرية والفلسطينية .

ومما تجدر ملاحظته اننا عندما نتكلم عن قبائل الجزيرة فاننا لا نعني بطبيعة الحال انها كانت تستوطن المناطق الصحراوية الجرداء . بل على العكس من ذلك فان تلك القبائل كانت تنتقل في بوادي الهلال الخصيب وفي حواف الجزيرة العربية طلبا للمراعي . ولنا ان نتصور ان حركتها في التنقل كانت بطيئة قبل ظهور الجمل في المنطقة في القرن الثاني عشر قبل الميلاد . ولا شك في ان القبائل البدوية كانت على اتصال دائم بالقرى الزراعية والمدن المتحضرة حيث كانوا يتزودن بين حين وآخر بالحبوب والتمور والادوات وحتى السلاح^(٧) ويحصل احيانا ان يستوطن عدد من الافراد او عائلة برمتها في قرية او مدينة فتمتحن الزراعة وتربية الاغنام والماشية وهناك شواهد تاريخية كثيرة على ان القبائل البدوية هذه كانت تشكل احيانا خطرا على السلطات الحاكمة في المدن وكثيرا ما نسمع ان قبيلة معينة او حلفا من قبائل عديدة هاجمت المراكز المتحضرة ونجحت في الاستيلاء عليها وفي استيطانها .

وبقدر ما يتعلق الامر بوادي الرافدين فان هناك من الادلة الكتابية ما يشير الى ان قبائل الجزيرة كانت موجودة في العراق في عصر مبكر جدا . فهناك اسماء اعلام ترد في وثائق عصر فجر السلالات تدل بصورة واضحة على ان اصحابها كانوا جزيريين أي من غير السومريين ، كما تم العثور على عدد من النصوص التي دوت باللغة الاكدية . ويستدل من التوزيع الجغرافي للمواقع الاثرية التي وجدت فيها اسماء الاعلام هذه على ان الاكديين كانوا منتشرين في رقعة واسعة نسبيا وانهم ، وان كانوا قليلين بالنسبة للسومريين في الجنوب ،

لكنهم كانوا يتمتعون بالقوة والنفوذ في المنطقة التي كانت ضمن حدود مملكة
 كيش (تل الامخير) . ومن المعروف ان عددا من ملوك هذه المملكة ، التي
 قامت فيها اول سلالة حاكمة بعد الطوفان ، كانوا يعملون على بناء الجزر وفتحها
 ويتضح من النصوص المسمارية ايضا ان هؤلاء الجزيريين كانوا يؤلفون للجزر
 الاكبر من سكان شمالي القطر . ومعلوم ان الاقسام الوسطى من وادي
 الرافدين ، ابتداء من مدينة نمر في الجنوب وحتى خط هيتي - سامراء شمالا
 أصبحت تسمى « بلاد اكدي » منذ زمن سرجون الاكدي والازمان اللاحقة .

كان هؤلاء الاكديون يتكلمون اللغة الاكدية التي هي فرع من قرويع
 لغة الجزيرة الام ، كما انهم استخدموا في كتابتها الخط المسماري الذي
 استنبطه السومريون مع قليل . ثم ان وجود الاكديين جنبك الى جنب مع
 السومريين ادى بطبيعة الحال الى تأثيرهم بالحضارة السومرية . ففي نطقهم
 اللغة استعار الاكديون كثيرا من الكلمات والمصطلحات السومرية كما يجلي
 الباحث في الوقت نفسه ان هنالك كثيرا من المفردات في اللغة السومرية ذات
 اصل اكدي . وعلى غرار السومريين فقد استوطن الاكديون القرى والمدن
 ومارسوا الزراعة وشتى صنوف الحرف كما انهم مارسوا المعتقدات والطقوس
 الدينية التي مارسها السومريون . وهناك حقيقة واضحة لدى الباحثين في
 تاريخ حضارة بلاد وادي الرافدين وهي اننا اذا ما استثنينا الجانب اللغوي
 فان السومريين والاكديين انصهروا في بوتقة حضارة اصيلة واحدة حتى عاده
 من الصعب على المرء ان يميز بين ما هو سومري الاصل وبين ما هو اكدي .

سرجون الاكدي مؤسس الامبراطورية (٢٣٧١ - ٢٣١٦ ق م) زعيم
 يظهر من النصوص المسمارية ان سرجون الاكدي بدأ حياته العملية في
 مدينة كيش وانه كان احد مقربي الملك اور . وياثا في تلك المدينة . وتبقى
 الظروف غامضة عن كيفية استطاعته الانشاء على الحكم . ومن غير المستبعد
 ان سرجون بدأ حياته ساقيا في بلاط هذا الملك اذ جاء في احد النصوص
 المسمارية المتأخرة ان الملك اور - زياثا أمر ساقية سرجون بان « تغير جراته »

ويعبر القمم السفلى
ويطوف حول بلاد البحر ثلاث مرات
وتستولى يداه على دلمون
ويقصد مدينة الدير^(١٢) العظيمة

يعتبر سرجون بحق واحدا من اعظم القادة في التاريخ القديم لانجازاته
العظيمة في الميادين العسكرية والادارية . واول ما قام به سرجون كان هجومه
على مدينة الوركاء ودحره ملكها لو كال زاكيزي الذي جيىء به اسيرا الى معبد
الاله انليل في مدينة نمر . وتفهم من النصوص المسمارية التي تروى اخبار
هذا الملك انه استولى بعد ذلك على مدن مهمة اخرى مثل اور ولكش واوما
وانه اتبع سياسة تدمير اسوار المدن من اجل القضاء على مراكز تجمع المناوئين
لسلطته كما انه اقدم على حجز بعض عوائل الحكام المناوئين له كرهينة في
العاصمة اكد .

وقد استطاع سرجون في غضون فترة قصيرة بسط نفوذه على كل بلاد
سومر حتى ان احد النصوص المسمارية يلمح الى ذلك بقول مأثور « انه
(أي سرجون) غسل سلاحه في مياه البحر السفلى » أي مياه الخليج العربي .
ويذكر نص مسماري آخر عن اعمال سرجون العسكرية وعن انتصاراته على
المدن السومرية ، انه خاض ثلاثا واربعين معركة وانه بنتيجة ذلك صارت
« سفن ملوخابا^(١٣) وسفن دلمون ترسو في المرفأ امام مدينة اكد » وبتعبير اخر
انه استطاع احكام سيطرته على الخليج العربي واصبح بمقدوره الحصول
على منتوجات البلدان الواقعة عليه . وجدير بالذكر ان كتابات سرجون كانت
تشير الى هذه المناطق الخليجية باعتبارها جزء من الامبراطورية الاكدية كما
يتضح ذلك من بعض الاشارات في قصة مولده سابقة الذكر وفي القائمة
الجغرافية الخاصة بالمواقع الاثرية التي شملتها فتوحاته العسكرية .

اتخذ سرجون عاصمة جديدة له عرفت بمدينة اكد ، وهي العاصمة
الوحيدة بين عواصم العراق القديم التي ما يزال موقعها غير معروف لحد

الآن . وقد بنى في هذه العاصمة الجديدة كما تشير الى ذلك كتاباته ، معبدا
للالة عشتار التي ادعى بانها هي التي منحتة الحكم ، كما انه اقام معبدا للاله
زبابا اله الحرب لمدينة كيش . وبطبيعة الحال فقد اصبحت اللغة الاكدية لغة
البلاد الرسمية كما ان حكام المدن كانوا من الاكديين ايضا .

وبعد النصر الساحق الذي حققه على المدن السومرية اتجه سرجون
الاكدي بفتوحاته اتجاهين اولهما غربي والاخر شرقي . ففي الغرب تذكر
النصوص المسمارية من عصره انه استولى على مدينة اتو (هيت) ومارى
(تل الحريري) وعلى غابات الارز (جبال امانوس) وجبال الفضة (جبال
طوروس) ويارموتي (ميناء جنوبي بيلوس) وعلى مدينة ابلا في شمالي
سوريا (بالقرب من كركميش) . ومن هذا يتضح ان سرجون استطاع ان
يفرض سيطرته على مناطق الفرات وشمال سوريا . ويذكر نص عثر عليه في
تل العمارنه عنوانه « ملك المعركة » ان سرجون الاكدي وصل الى مدينة
بورش خندا في اواسط اسيا الصغرى منتصرا لجماعة من التجار اصابهم الظلم
على يد احد الحكام هناك فاسرع سرجون لنجدتهم علما بان نوع العلاقة التي
كانت تربط اولئك التجار بسرجون ما زالت غير معروفة (١٤) .

اما المناطق الشمالية من القطر والتي عرفت فيما بعد بلاد اشور فقد
شملتها فتوحات سرجون . فهناك ادلة على ان مدينتي نينوى واشور كانتا
تحت سيطرة الاكديين . كما وتدل النصوص الكتابية على وجود نسبة كبيرة
من اسماء الاعلام الاكدية بين سكان مدينتي نينوى خلال العصر الاكدي . ثم
ان العثور على تماثيل حجرية في الطبقات السفلى من معبد عشتار في نينوى
تعود الى العصر الاكدي ربما فسر بانها كانت بمثابة شواهد تذكارية لطبقة
حاكمة عينها الملوك الاكديون في بلاد اشور . واخيرا فان اكتشاف الرأس
البرونزي المعروف في مدينة نينوى والذي ارجع تاريخه الى العصر الاكدي ،
على اساس اسلوب صناعته ، ربما يعود الى أحد الملوك الاكديين ويرجح ان
يكون سرجون او حفيده الشهير نرام - سين .

لعدة داما اختواتها في الشرجوان يلا الحرة في فقدت كان في المناطق الجنوبية الشرقية
 والشمالية الشرقية امن بلاد ولادي الى افدين ان و قد اوصلتا تفاصيل جسيمة
 عنها في كتابات الملك سرجون في قتلها وفي نصص من متاخر في ارض بلخ و كان قتلها كبير
 كتاباته انه لاقى جيوشا اربعة حكام بقيادة ملك «راوان» الواقعة في جنوب
 غربي ايران وانه استطاع دحرهم وقتل قائدهم . كما انه استولى على بلاد
 عيلام وعين عليها حاكما قابعا له . وكان من نتائج سيطرته على بلاد عيلام
 والاقليم الاخرى من ايران ان تدفقت زروات كبيرة على بلاد أكد . ان هذا
 الامتداد اليواسع للامبراطورية الاكدية وفي اتجاهات متعددة كان قد عبر
 عنه سرجون نفسه في احد نصوصه عندما قال : «والان قاي كان الملك الذي
 يدعي انه نظير لي فلتصل الي حيث وصلت انا» .
 خلفاء سرجون :
 في عهد سرجون كان في يد سرجون السبع ت اضا قلته ريك هتليب ريك
 خلف سرجون ابنه بلاموش الذي حكم سبع سنوات وجاء من بعده اخوه
 الآخر مانشتوس الذي حكم ثلاث عشرة سنة . ويبدو من قائمة الملوك ان
 الاخير كان الابن الاكبر لسرجون وعلى اية حال فقد بدأ الاخوان حياتهما في
 ممارسة شؤون الحكم في زمن ايهما سرجون مجربا لاجتلاء الحيرة تال
 ويعتبر نرام - سن (٢٢٩١ - ٢٢٥٥ ق م) بحق ثاني اشهر ملوك
 هذه السلالة العظيمة وواحد من الشخصيات البارزة في تاريخ العراق القديم .
 وقد بقي حكمه الطويل (ست وثلاثون سنة) مزدهرا حتي نهايته .
 ووصلت احوال ذلك الحكم الملك نرام - سن من يدون في على انصهر على وسمارية
 من عصره واخرى دونت في عصور لاحقة اضافة الى المنحوتات الحجرية التي
 تصوروا انتصاراته على اعدائه تال لاجل في نسخ ريك كما ريك
 ريك التفسيرات لائق المسيحية . من معطر هذا الملك بلقرين تحليله في الاول
 انه لا يتعمل بالاطنافة التي خلقك «ملك الكلد» لقمين آخرين يملك «ملك الخبابة»
 الاربع (يمارن كيرنكا انا بيلام) وملك العالم (امارن كيرنكا) وملك ايشيرلانا وملك
 دون شك الى سعة الامبراطورية وتوحيدها في عصرنا من الاموال الجديد الثاني

هو استخداهم علامة لالهية (النجمة) في كتابة اسمها على غرار اسماء الالهة.
 كما ان بعضا من اتباعه كتبوا على اختتامهم الاسطوانة عبارات تعزو اليه
 لالهية مثل «الملك» وبطبيعة الحال فان مثل هذا الاتجاه نحو تاليه
 الملك يخالف كيفما الفكره المسبوقه المقديمه للمتي بكله يقوم عليها الحكم والتي
 تعتبر الحاكم او الملك مجرد ممثل للالهة في حكم البشر كما يخالف الاتجاه
 الحضاري العام في بلاد وادي الرافدين (« ناله » منه نسخ هذا الوثيقة
 منه في الجدي في الملاحظة انه هذه البدعة ، أي اضفاء الالهية على الملك ،
 استمرت بعد نرام - سين ولكن على نطاق ضيق جدا وخاصة في زمن سلالة
 اور الثالثة وعصر اسن لارسه ولكنها لم تظهر بين الملوك الآشوريين .
 بدأ فراميلطين حكمه مثل غيرهم من سبقوه في إخضاع بعض المدن التي
 خرجت على الطاعة اذ يذكر نرام - سين ثانيا في حجة نصيبان ظهرت في البلاد
 وقتلها عشتار مدينة لكيش للكماء بفكر اسن لارسه في عشرين في ثمانين من حكمه
 المقاطعات المختلفة التي شملت رقعة واسعة من الامبراطورية ابتداء من بلاد
 الانضول في الحدود الشمالية الغربية الى مكاف في الخليج العربي ومنه
 ولا شك في ان إعادة اخضاع هذه الاجزاء استلزم حملات عسكرية متعددة
 كما استلزم وقتا وجهدا كبيرين .
 لقد سلكت الحملات العسكرية لنرام - سين باتجاه الغرب طريق
 الفرات ابتداء بمدينة ماري (تل الحريري) ومروا بمدينة ارمانو (ربما
 حلب) ثم مدينة ابلا (بالقرب من كركميش) ويذكر نرام - سين انه اسر حاكم
 ارمانو ريش - ادد (وربما كان حاكما على ابلا ايضا) والذي صور وهو
 أسيرا على منحوتة اهديت الى اله القمر سين . كما تذكر كتاباته انه اخضع
 جبال الارز وعرفها بكونها « جبال امانواس » وهناك من الادلة الكتابية
 ما يشير الى ان نرام - سين على غرار جده سرجون اقاد فرض سيطرته على
 بعض المناطق في جنوب شرقي اسيا الصغرى وكشفت التنقيبات في ديار بكر

على الخابور عن قصر اقامة نرام - سين للسيطرة على الطريق التجاري الممتد الى منطقة الجزيرة كما عثر على مقربة من مدينة ديار بكر على مسلة نحت عليها رسمه . ولا شك في ان نرام سين استطاع فرض سيطرته ايضا على بلاد اشور حيث لقب نفسه بلقب « حاكم سوبارتو » بلاد اشور فيما بعد .

أما في الجزء الجنوبي من الامبراطورية فيذكر نرام - سين في احدي كتاباته انه زحف ضد « مكان » (بلاد عمان) وألقى القبض على ملكها المسمى Mandannu وقد خاض نرام - سين معارك ضارية ضد القبائل المعروفة بـ « لولو » او « لولوبو » في المنطقة الجبلية الشمالية الشرقية من وادي الرافدين وخذل انتصاراته عليهم في منحوتة جبلية على الجانب المنحدر للمر (دربندي كاور) في جبل كره داغ الى الجنوب من السليمانية . ويتكرر موضوع هذه المنحوتة الجبلية على المسلة المعروفة بمسلة النصر للملك نرام سين نفسه التي عثر عليها في سوسة والتي تصور الملك الاكدي حاملا القوس والرمح ولابسا خوذة ذات قرنين وهو يصعد جبلا شاهق القمة وقد تساقطت تحت قدميه عدد من قتلى الاعداء . وتذكر الكتابة التي على المسلة انها تصور انتصار الملك الاكدي نرام - سين على ساتوني ملك لولوبي . والمعروف عن هذه المسلة انها كانت من جملة الغنائم التي أخذها العيلاميون الى بلادهم بعد غزوهم البلاد في نهاية حكم الكاشيين .

ومن المؤكد ان نرام - سين انجز ما يمكن تسميته بالادارة المركزية للامبراطورية وهذا النوع من الحكم المركزي للبلاد لم يكن موجودا في عهد دويلات المدن السومرية فمن الناحية الاقتصادية تذكر بعض النصوص المسمارية ان اصنافا من السلع الثمينة كانت تتدفق على العاصمة اكد من جميع اجزاء الامبراطورية وان حكام الولايات كانوا يبعثون بجزيتهم الشهرية والسنوية . وطبقت فكرة الحكومة المركزية ايضا من خلال تعميم تقويم موحد لكل البلاد في زمن السلالة الاكدية ، في حين كانت دويلات المدن السومرية تستعمل تقاويم مختلفة .

وكدليل على العظمة والوحدة السياسية للبلاد فقد استخدم لقب جديد في عهد هذه السلالة وهو لقب ملك الجهات الأربع . وإذا ما عرفنا ان هذا اللقب كان ينعت به بعض العظماء من الالهة امثال آنو وانليل ادركنا ان ملوك السلالة الاكادية اعتبروا انفسهم ممثلين للالهة في حكم البلاد واخيرا فقد حلت اللغة الاكادية محل اللغة السومرية فاصبحت لغة البلاد الرسمية في كافة الشؤون والمجالات .

من كتابات الملك سرجون الاكدي :

[هذا النص والذي يليه كانا بين نصوص عديدة وجدت مدونة على رقيم طيني كبير يتكون من اربعة عشر عمودا جمع فيه النسخ الاكدي نصوصا متفرقة مما كان مدونا على التماثيل والاشياء النذرية الاخرى التي كانت موجودة في معبد الاله انليل في نمر . ويتضمن هذا الرقيم نماذج من كتابات لوكال زاكيزي ملك الوركاء (الذي قضى عليه سرجون الاكدي) وكتابات ملوك السلالة الاكادية : سرجون وريموش ومانشتوسو] : -

١ - سرجون ملك اكد ، ناظر الالهة عشتار ، ملك كيش ، كاهن الاله آنو ملك السماء ، الحاكم العظيم للاله انليل ، دحر مدينة الوركاء وهدم سورها . لقد كان هو المنتصر في الحرب مع سكان الوركاء ، اذ اسر لوكال زاكيزي ، ملك الوركاء ، أثناء المعركة وجاء به والطوق (في عنقه) الى بوابة الاله انليل .

سرجون ملك اكد كان المنتصر في الحرب مع سكان اور . اذ دحر مدينتهم وهدم سورها . ثم دحر مدينة اي - نمار وهدم سورها . وبالمثل فإنه دحر الاراضي الممتدة من لكش حتى البحر . وعندئذ غسل سلاحه في البحر . لقد كان المنتصر في الحرب مع سكان اوما ، اذ دحر مدينتهم وهدم سورها .

ولم يمكن الإله أنليل إذا كان من الوقوف بوجه سرجون ملك
 البلاد. لقد أعطاه الإله أنليل المنطقة من البحر العلوي إلى البحر السفلي.
 ثم صار الأكديون يحكمون في كل البحار من البحر السفلي فقط. ولقد
 وصارت ماري وعيلام تقف بخشوع أمام سرجون ملك البلاد. أما لقد
 أعاد سرجون ملك البلاد بناء مدينة كيش وأمر أن تكون لها حيازة مدينتهم
 ثانية .

عسى الإله شمش أن يحطم قوة كل من يخرّب هذه النطلات ولك
 من يقضي على ذريته . فبعد سنة من ذلك ولد لهذا رجلاً اسمه
 نسم. وكان هذا الرجل يعطي قاعدته (التي تمثلها سرجون ملك البلاد) في
 كل سنة. وكان يخرج جوثى، فملك كيش كل هذا في سنة ٣٠٠٠ سنة فخر
 ت بالكل المدن من جوثا إلى جوثا حتى ساحل البحر. وفي مرفأ مدينة كيش
 ت بالكل السفن التي تبحر من جوثا إلى كيش. وأدلمون الملك يخرجون سجد
 مصليا أمام الإله وكاف في لغوتل فأعطاه المنطقة العليا. أما في السيار مولي
 وابل حتى غابات الأرز وجيل الفضة . ولم يمكن الإله أنليل إذا كان
 من الوقوف بوجه سرجون الملك الذي كان يأكل في بلاطه ١٠٠٠ جندي
 في اليوم . أما نسم بعد ذلك في سنة ١٠٠٠ سنة .
 عسى الإله أن يحطم اسم كل من يخرّب هذه الكتابة. وإن يقضي الإله
 أنليل على ذريته .

٣ - سرجون . . . ماذا كتب عنه أحد المؤرخين البابليين المتأخرين ؟

(نقّس في أقدام فقرات مما كتب أحد المؤرخين في العصر البابلي
 الحديث عن الملك سرجون الأكدي الذي تفضله عنه حقبة زمنية طويلة تقرب
 من ألف وسبعمائة وسبعين عاما) :-

مراجع وملاحظات

(١) D.O. Edzard, Die Zweite Zwischenzeit Babylonien (1957),
PP. 1 ff.

(٢) وهؤلاء حسب تسلسلهم في الحكم :

(Pala- Kinatim)	٢ - پالا كيناتم
(Buanum)	٦ - بو - آنم
(Kalibum)	٧ - كالبوم
(Qalumum)	٨ - قلوبوم
(Zuqaqip)	٩ - زقاقب
(Atab)	١٠ - اتاب
(Mashda)	١ - مشدا
(Arwi'um)	١٢ - اروئم
(Balikh)	١٤ - باليخ
(Tizkar)	١٩ - تزكار
(Ilku')	٢٠ - الكوء
(Ilta-Sadum)	٢١ - ايلتا - سادم

اما بخصوص قائمة الملوك السومرية فانظر :

Jacobsen, The Sumierian King List (= Assyriological Studies No. 11)
Chicago, 1939.

(٣) لا شك في « ميسلم » ملك كيش كان من القوة بمكان بحيث انه استطاع
فرض تسوية على مدينتي لكش واوما كل نزاعهما حول الاراضي الزراعية
وخاصة المنطقة المعروفة گو - ادينا Gü-edinna

ومعروف أيضا ان كلا من ايناتم أمير لكش ولوكال زاكيزي ملك الوركاء
ادعيا بحصولهما على « ملوكية البلاد » دلالة على تحقيق السيطرة الكاملة
على بلاد سومر الار ان ذلك لم يدم الا لفترة قصيرة من الزمن . حول مزيد
من التفاصيل عن الكتابات المسمارية بهذا الخصوص انظر :

Edzard, Op. Cit., P. 2.

(٤) حول هذه النقطة بالذات انظر :

Gadd, The Cambridge Ancient History (Third edition, Vol 1, Part 2, 1971) p. 422.

(٥) من الامثلة على ذلك نذكر ما فعلته قبائل مارتو (الاموريون) عندما قطعوا ، بسبب ضغطهم المتواصل على المدن السومرية ، المون الغذائية عن العاصمة اور في نهاية حكم الملك ابي - سين وكانوا عاملا اساسيا في اسقاط سلالة اور الثالثة . وبالمثل فقد فرضت القبائل الارامية الحصار على الاشوريين في العصر الاشوري الوسيط وكادوا يقضون على كيانهم خلال القرنين الحادي عشر والعاشر قبل الميلاد .

(٦) كان هذا الموضوع محور نقاش بيننا وبين عدد من السادة الزملاء الاساتذة بقسم الآثار (كلية الاداب) في مناسبات عديدة خلصنا من خلالها الى خطأ هذه التسمية (الساميين) والى ضرورة ايجاد بديل يحل محلها . وقد سبقنا الاستاذ طه باقر فثبت اعتراضه على مصطلح (الساميين) في كتابه (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد ١٩٧٣ ص ٦٥) عندما قال ما نصه : « ولو اننا اسمينا هذه اللغات بلغات الجزيرة ، او اللغات العربية والاقوام السامية بالاقوام العربية او اقوام الجزيرة لكان ذلك اقرب الى لصواب ، ولكن اختصاص اولئك الاقوام السامية كل منهم باسم خاص مثل الاكديين والبابليين والعرب والبرانيين وغيرهم يجعل اطلاق تسمية عرب على كل منهم لا يعبر عن المدلول التاريخي الدقيق » .

وكان بودنا ان يقدم الزميل الدكتور لطفي عبدالوهاب رئيس قسم التاريخ في جامعة بيروت العربية هو الآخر بديلا عن مصطلح الساميين من خلال مناقشته لفرضية شلويتسر صاحب هذه التسمية ولكنه استعمل المصطلح نفسه على علاته على الرغم من انه افرد له ولمدلولاته التاريخية بابا كاملا من ص ٤٠ - ٨٧ في كتابه الاخير والموسوم العرب في العصور القديمة ، بيروت ، ١٩٧٨ .

(٧) حول مزيد من التفاصيل انظر : الدكتور لطفي عبدالوهاب ، المرجع نفسه ص ٧٤ - ٧٧ .

Gadd, Op. Cit., p. 419.

(٨)

(٩) حول هذا النص انظر :

Pritchard (editor), Ancient Near Eastern Texts (1955),
P. 119.

اما بخصوص ترجمة النص الى العربية ، فانظر بحثنا الموسوم « بين الواح
سومر وسفر التكوين » ، مجلة كلية الاداب ، العدد الثالث والعشرون
(اصدار خاص) ١٩٧٨ ، ص ٢٢ - ٢٤ .

(١٠) مصطلح شائع الاستعمال في النصوص السامرية ويقصد به « الناس ،
الشعب » بصورة عامة .

(١١) البحرين .

(١٢) آثارها تعرف الان بـ « تلول العقر » قرب بدرة على الحدود الشرقية لبلاد
وادي الرافدين .

(١٣) ربما تدل على بلاد الهند .

(١٤) من المعروف ان المعادن كانت مادة اساسية لصنع السلاح وغيره من
الاحتياجات اليومية على اختلاف انواعها . وباستثناء مادة القير والمنتجات
الزراعية التي كانت انذاك متوفرة في القطر ، فقد كان لزاما البحث عن
مصادر للثروة المعدنية . فالنحاس كان يستورد اول الامر من بلاد القوقاس
(ربما من اقليم اذربيجان في ارمينا) قبل ان تكتشف له مصادر اخرى في
انضوليا (اسيا الصغرى) وفي مكان (عمان حاليا) . اما القصدير فكان
يستورد من ايران او ربما من افغانستان في العصور القديمة قبل ان يحصل
عليه الفينيقيون من اسبانيا في الالف قبل الميلاد . وكانت الفضة تستورد
من جبال طوروس والذهب من مصر والهند . كما اشتهرت مكان (اي
عمان) باحجار الديوريت السوداء التي كان يصنع منها التماثيل
والمسلات . اما الخشب فكان الحصول عليه من جبال زاكروس ومن جبال
الارز في لبنان بالاضافة الى شمال القطر .

حزب البعث العربي الاشتراكي

دراسة موجزة في المؤتمر القومي الاول

والفترة التي تلتها حتى عام ١٩٥٤

الدكتور
صباح محمود محمد
كلية الاداب - جامعة بغداد

مقدمة :

يمثل انعقاد المؤتمر القومي الاول - التأسيسي - لحزب البعث العربي الاشتراكي انجازا وتحولا في حياة العرب وتاريخهم « واذا كان الحزب ابن ذلك المؤتمر ، فان ولادته الحقيقية كانت قبل ذلك » كما يقول الرفيق شبلي العيسمي . ان البدايات الحقيقية لولادة الحزب ترجع الى مطلع الاربعينيات ، متبلورة في مواقف الحزب النضالية واطروحاته الفكرية عبر بياناته وكتابات الرفاق الاوائل .

ان نشوء الحزب وظهوره كان ردا على ما كان يحفل به المجتمع العربي من تصورات ونزعات وتيارات فكرية ، سواء ما تبلور منها في نظريات وايدولوجيات او ما كان يكتفي بالشعارات الاستراتيجية تعبيرا عن منطلقاته الفكرية . وقد تمثلت تلك التيارات والنزعات في :

١ - تيارات لا قومية ، لا تعرف من القومية سوى التعصب والاستعمار ، وذات موقف سلبي من كل القضايا القومية ، اضافة الى كونها تعتمد الصيغ التقليدية الجاهزة في تحليلها لطبيعة الصراع القومي في المجتمع العربي ، متجاهلة الصراع القومي وارتباطه الوثيق والجدلي بالقضية الاجتماعية فيه .

كما ويندرج ضمن هذه التيارات اللاقومية النزعة الدينية التي تطمس الجوهر الحقيقي للإسلام ، وتكتفي بالنظرة الشكلية والسطحية التي تبعد المجتمع العربي عن التفاعل والتقدم .

٢ - تيارات أقليلية قطرية ، كانت تدعو الى الهلال الخصيب او سوريا الكبرى ، او تدعو الى الفينيقية والفرعونية وغير ذلك من الدعوات التي تجزء الامة العربية الى مجموعة من الامم والوطن العربي الى مجموعة من الاوطان والاقاليم .

٣ - تيارات قومية لا اثر للتفكير الاجتماعي (الصراع الطبقي) فيها او لربط القضية الاجتماعية بالصراع القومي في المجتمع العربي .
ان جميع التيارات والنزعات الفكرية تلك وغيرها كانت عاجزة عن تحليل واقع المجتمع العربي بشكل علمي وسليم ، وكانت في الاغلب ذات نظرة احادية ناقصة .

ومن هنا جاءت اطروحات الحزب لتمثل نظرة جديدة وأصيلة الى واقع المجتمع العربي ومستقبله .

في عام ١٩٤١ أصدر الحزب بياناً باسم « الاحياء العربي » بمناسبة الاضراب ضد الاحتلال الفرنسي . كما شكل الحزب « حركة نصرة العراق » أثناء ثورة مايس ١٩٤١ . كما بدأ في هذا العام تسجيل اسماء المرتبطين بالحزب وتكوين الحلقات التنظيمية وجمع الاشتراكات .

وفي عام ١٩٤٢ تفرغ الاستاذ عفلق والبيطار للعمل الحزبي وهو أول تفرغ في تاريخ الحزب .

وفي عام ١٩٤٣ استقرت تسمية الحزب باسم « البعث العربي » كما ظهر شعار الحزب « أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة » . وفي هذا العام أيضاً تم ترشيح الاستاذ ميشيل عفلق لخوض الانتخابات النيابية في سوريا . كما تقدم الحزب بطلب لاصدار صحيفة باسم البعث العربي .

وقد صدرت أول نشرة للحزب عام ١٩٤٥ موقعة باسم « مكتب البعث العربي » والذي افتتح مقره في حي القنوات بدمشق .

وفي تموز ١٩٤٥ قدم الحزب طلبا الى وزارة الداخلية لمنحه الترخيص بالعمل العلني الرسمي ، وكان الطلب موقعا باسم « الهيئة المركزية التنفيذية » .

وفي تموز ١٩٤٦ صدرت جريدة البعث ، وهي اول صحيفة للحزب وتنطق باسمه وتعبّر عن أفكاره وشعاراته واهدافه . وكان الاستاذ ميشيل عفلق مديرها السياسي .

يوميات المؤتمر القومي الاول

٤-٦ نيسان ١٩٤٧

١ - يوم الجمعة ٤ نيسان

١ - في الساعة العاشرة صباحا من يوم الجمعة الرابع من نيسان ١٩٤٧ ، تم افتتاح الجلسة الاولى للمؤتمر القومي الاول لحزب البعث العربي ، في مقهى الرشيد الصيفي شارع ٢٩ ايار بدمشق وتردد في ارجاء البهو شعار « أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة » . وقد حضر مندوبون عن سوريا والاردن ولبنان والعراق .

وقد تم في هذه الجلسة انتخاب رئيس للمؤتمر وثلاثة امناء للسر . وتقدم الاستاذ ميشيل عفلق وألقى خطاب الافتتاح ، تحدث فيه عن صمود الحزب ومحاولات الطبقة الحاكمة للقضاء عليه وعرقلة نموه . وأكد على ان البعثيين تميزوا « بقدر كبير من سلامة الطبع ونفاذ النظر وحرارة الايمان بامنتهم وصدق الغيرة على مصلحتها » . كما حدد الدوافع الاساسية لانبثاق حركة البعث وهي ، حاجة الامة العربية الى الانقلاب ، وبان الوقت قد حان للشروع في تحقيقه ، والايمان العميق بان الجيل الجديد هو الاداة المهيأة لهذا التحقيق .

وبعد انتهاء الاستاذ ميشيل عفلق من القاء خطاب الافتتاح ، القى الاستاذ البيطار ، البيان السياسي ، الذي حل فيه الموقف السياسي على الساحة العربية ، وبين موقف الحزب من الجامعة العربية . ثم تمت مناقشة البيان وأحيل الى اللجنة التنفيذية لوضعه بصيغته النهائية . وبعد ذلك أختتمت الجلسة الصباحية .

٢ - اما الجلسة الثانية فقد افتتحت في الساعة الخامسة من مساء يوم الجمعة ، فتحدث في بدايتها الاستاذ ميشيل عفلق عن المراحل التي مر بها وضع دستور الحزب والذي كلفت لجنة خاصة باعداده والاسس الفلسفية القومية التي قام عليها . وقد قام أمين السر بقراءة مشروع الدستور وتمت مناقشته مادة مادة .

ب - يوم السبت ٥ نيسان

١ - افتتحت الجلسة الثالثة من المؤتمر في الساعة العاشرة صباحا ، وتم فيها بحث النظام الداخلي للحزب واقرت بعض مواده .
٢ - افتتحت الجلسة الرابعة من المؤتمر في الساعة الخامسة مساء وأقر فيها المؤتمر سياسة الحزب الاجتماعية والمبادئ المتعلقة بالتربية والتعليم .

ج - يوم الاحد ٦ نيسان

١- بدأت الجلسة الخامسة من المؤتمر في الساعة التاسعة صباحا ، وناقش المؤتمر بقية مواد النظام الداخلي .
٢ - وفي الساعة الخامسة بدأت الجلسة السادسة من المؤتمر ، حيث نوقشت الناحية الاقتصادية في الدستور . كما تم انتخاب الهيئة التنفيذية للحزب أي القيادة القومية كما انتخب الاستاذ ميشيل عفلق عميدا لحزب البعث ، حيث القى كلمة بليغة مؤثرة وهو يشهد ولادة جديدة للامة العربية والطلبة العربية الثورية . وفي ختام المؤتمر ردد الجميع شعار الحزب .

دستور الحزب :

أقر المؤتمر القومي الاول دستور الحزب ، والذي تضمن مبادئ أساسية تمثل بما يلي :

١ - المبدأ الاول :

وحدة الامة العربية وحريتها ، أكد فيه على ان العرب أمة واحدة ، وان الوطن العربي وحدة سياسية اقتصادية وان الامة العربية وحدة روحية ثقافية • وان الوطن العربي للعرب وحدهم •

٢ - المبدأ الثاني

شخصية الامة العربية ، أكد فيه على ان الامة العربية تتميز بصفات خاصة ، تظهر في نهضتها وحيويتها ، كما أكد على حرية الفرد وقيمه •

٣ - المبدأ الثالث :

رسالة الامة العربية ، أكد فيه على ان الامة العربية ذات رسالة خالدة تظهر باشكال متجددة متكاملة في مراحل التاريخ كما أكد على مكافحة الاستعمار ومساعدة الشعوب المناضلة والتآخي الانساني •

أما المبادئ العامة فقد تناولتها (١٣) مادة ، أكد فيها الدستور على عروبة الحزب وتنظيمه القومي ، وان الحزب اشتراكي وشعبي وانقلابي ، كما حدد فيها الرقعة الجغرافية للوطن العربي ولغة الدولة الرسمية ، وراية الدولة العربية ، ومن هو العربي • كما أشار في المادة الثانية عشر الى ان الحزب يناضل في سبيل رفع مستوى المرأة ، وأكد في المادة الاخيرة على تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم والحياة الاقتصادية •

كما تناول الدستور في ثمان مواد ، سياسة الحزب الداخلية ، وأكد فيها على الرابطة القومية باعتبارها الرابطة الوحيدة القائمة في الدولة العربية وأكد على مساواة المواطنين امام القانون ، واستقلالية السلطة القضائية وحصاتها ، وأكد على شرف الخدمة العسكرية الاجبارية •

اما سياسة الحزب الخارجية ، فقد أكد الدستور في اربع مواد على ان المصلحة القومية العربية العليا هي الموجه الاساس للسياسة الخارجية ، كما أكد على مناهضة الاستعمار والغاء كل ما يخل بسيادة العرب من معاهدات واحلاف واتفاقات •

واكد الحزب في سياسته الاقتصادية على النظام الاشتراكي وملكية الامة للثروة الاقتصادية ، كما أعطى الاهمية الكبرى للقطاع العام ، وان تحدد الملكية الزراعية والصناعية ، واشراك العمال في ادارة المعامل ، كما أكد الدستور على أشرف الدولة المباشر على التجارة الداخلية والخارجية ، وعلى وضع تخطيط اقتصادي شامل .

وتناول الدستور في ستة مواد ، سياسة الحزب الاجتماعية وتطرق فيها الى الاسرة والنسل والزواج وصحة المجتمع . وأكد على الزامية العمل وان تضمنه الدولة لكل مواطن ، وان تحدد ساعات العمل ، وايجاد الضمان الاجتماعي للعمال ، وتأليف النقابات ومحاكم العمل . واكد الحزب على ايجاد ثقافة قومية تقدمية انسانية ، وعلى حرية القول والنشر والصحافة في حدود المصلحة القومية ، وحمايتها ، وتشجيع تأسيس النوادي والجمعيات المختلفة . واكد الحزب على الطبقات الكادحة المسحوقة وانه يناضل من أجلها .

اما سياسة الحزب التربوية والتعليمية ، فقد وضع مبادئها في خمس مواد ، واكدت على الطابع القومي لتلك السياسة ، والغاء مؤسسات التعليم الاجنبية والاهلية ، وان التعليم مجاني بكافة مراحلها ، وان تؤسس مدارس مهنية متطورة .

وقد أشار الدستور في مادة منفردة الى كيفية تعديل المبادئ الاساسية والعامّة للدستور .

هكذا ولد البعث فكرة مناضلة و « الفكر - كما يقول ميشيل عفلق - ، في حد ذاته قوة تاريخية وقوة ثورية لا تقدر ، فبمجرد وضع القضية العربية في صيغة شاملة كان أول مساهمة في تركيز الحركة الثورية العربية على أسس صلبة » .

ثانيا : الفترة بين المؤتمر القومي الاول ١٩٤٧ والمؤتمر القومي الثاني ١٩٥٤

ان الفترة بين انعقاد المؤتمر القومي الاول في نيسان ١٩٤٧ والمؤتمر الثاني حزيران ١٩٥٤ ، تعتبر من الفترات الحاسمة في تاريخ الحزب ، حيث بدأت تظهر تنظيمات له في بعض الاقطار العربية ، تمارس نشاطها وتلعب دورها في النضال اليومي وفي تعبئة الجماهير العربية ومحاربة الانظمة العميلة .

وفي هذه الفترة ايضا قسمت فلسطين وظهر الكيان الصهيوني وشرذ شعبنا العربي من فلسطين . ومن ذلك الوقت أخذ الحزب « ينظر الى هذه القضية على انها القضية المركزية وراح يوليها المكان الاول من اهتمامه ونشاطه ... وشدد على ضرورة التعبئة الجدية واعتماد الجهاد والكفاح المسلح » .

ولغرض عرض تاريخ الحزب ونضاله خلال هذه الفترة ، فقد قسمنا الموضوع الى الجوانب التالية :

١ - الناحية التنظيمية :

١ - في سوريا : اجتمع مجلس الحزب الممثل لجميع فروعه خلال يومي ١٩ و ٢٠ أيلول ١٩٤٧ وافر بياناً تطرق فيه الى مبادئ حزب البعث باعتباره حزبا قوميا عربيا انقلابيا اشتراكيا شعبيا . وتحدث البيان عن مشاكل سوريا المتمثلة بأزمة الحكم وتزوير الانتخابات ، ومسألة الدستور وتعديله ، وقضية جبل الدروز ، والسياسة الاقتصادية للحكومة . كما تطرق الى المشاكل العربية والمشاريع المطروحة ، كمشروع سوريا الكبرى ومشكلة لواء الاسكندرية وعروبة لبنان وقضية فلسطين .

وفي ١٥ نيسان ١٩٤٩ انعقد مجلس الحزب مرة أخرى في مكتبه في دمشق ، وحضر هذه الدورة أعضاء المجلس من الفروع في سوريا وشرق الاردن وتعذر مجيء ممثلي الحزب في العراق وكان العميد الاستاذ ميشيل عفلق رئيسا للمجلس . وتم انتخاب أمناء السر وتليت تقارير الفروع كما ناقش الاعضاء دراسة المشروع الذي قدمته اللجنة التنفيذية عن النظام الداخلي فأقر المجلس تأليف لجنة لدراسة المشروع . وقد القى الاستاذ ميشيل عفلق تقريراً مفصلاً عن أعمال الحزب خلال السنتين الماضيتين في الجلسة الثانية صباح السبت ١٦ نيسان ١٩٤٩ تناول فيه ما يلي :

أ - البعث والانتخابات

ب - مؤتمر مجلس الحزب في حمص تشرين الثاني ١٩٤٧ والامور التي اقرها .

ج - البعث والدستور وتعديله

د - ذهاب اللجنة التنفيذية مع فرقة البعث العربي الى فلسطين .

هـ - نضال الحزب من أجل فلسطين واعتقال العميد

و - قيادة الحزب لمظاهرات تشرين الثاني ١٩٤٨ بمناسبة اقتطاع الاسكندرونة

ز - نضال الحزب ضد اتفاقيتي النقد والتابلاين وغير ذلك من القضايا .

وقد ناقش الاعضاء تقرير اللجنة وقدمت بعض المقترحات كما وجهت بعض الانتقادات ، وقام عميد الحزب بالرد على الاسئلة والملاحظات . وفي نهاية الجلسة جرى نقاش حول اشتراك الحزب في الحكم .

وفي الجلسة الثالثة من مساء السبت تمت تلاوة تقرير اللجنة المكلفة بدراسة مشروع النظام الداخلي ومناقشته ، كما جرى انتخاب الاستاذ ميشيل عفلق عميداً للحزب بالاجماع ، كما انتخب أعضاء اللجنة التنفيذية .

اما الجلسة الرابعة التي افتتحت صباح الاحد ١٧ نيسان ١٩٤٩ فقد قرأ العميد تقريراً عاماً باسم اللجنة التنفيذية عن أعمالها التنظيمية . واهم ما ورد فيه انشاء اربعة مكاتب في المركز وهي المكتب الاداري ومكتب الدعاية والمكتب المالي والمكتب الاجتماعي والرياضي ، وادخال العنصر النسوي في الحزب وايجاد نواة لفرع كبير في العراق . ثم تليت تقارير الفروع ونوقشت . وفي الختام وجه العميد كلمة توجيهية أكد فيها على « ان نضال البعث العربي كفيل بان يحقق للشعب العربي في جميع اقطاره حياة اشتراكية تقدمية حرة » . وبعدها ردد الجميع شعار الحزب .

وفي الايام من ٨-١٠ كانون الاول ١٩٤٩ عقد مجلس حزب البعث العربي مؤتمره الدوري الذي ناقش فيه شؤون الحزب الداخلية واستمع الى تقرير اعدته اللجنة التنفيذية عن نشاط الحزب وعلاقته بالحركات والاحزاب الاخرى .

كما اجتمع مجلس الحزب في نيسان ١٩٥٠ ، وقد تناولت المناقشات فيه تقرير الاستاذ ميشيل عفلق الذي تطرق فيه الى القضايا التنظيمية الداخلية ونشاط الحزب وازدياد اعضاءه ، كما حل الموقف السياسي في سوريا والوطن العربي وبين رأي الحزب في ذلك . ثم نوقش مشروع النظام الداخلي الذي عدلت بعض مواده واقرت المواد الرئيسة فيه واعطيت الصلاحية لعميد الحزب بتأليف لجنة للبت في بعض المواد المتعلقة بالمكاتب ووضع النظام في صيغته الاخيرة كما نوقش مشروع انشاء مطبعة للحزب ومدرسة ثانوية نموذجية ثم بين الاعضاء آرائهم في جريدة الحزب وما يجب ان تكون عليه . كما جرى انتخاب العميد حسب منطوق النظام الجديد واختتمت الدورة بكلمة القاها الاستاذ ميشيل عفلق عميد الحزب .

وبين ٢٧-٢٩ أيلول ١٩٥٠ عقد مجلس الحزب مؤتمره الدوري الذي بحث فيه اوضاع الحزب الداخلية والموقف السياسي في القطر السوري والوطن العربي . كما تمت مناقشة البيان السياسي والبرنامج العملي للحزب في السنة القادمة . وتم تعديل النظام الداخلي وانتخاب قيادة جديدة .

وعاد المجلس الى الانعقاد في الفترة ٢٨-٢٩ كانون الاول ١٩٥٠ وبحث القضايا التنظيمية الداخلية ومشاكل القطر السوري وموقف الحزب من القضايا العربية والدولية .

وفي يومي ٢٢-٢٣ شباط ١٩٥١ عقدت مكاتب العمل في الحزب مؤتمرا عاما لها في مدينة حمص واتخذت مقررات هامة في تعديل قانون العمل وسن تشريع للعمال الزراعيين وتحقيق الضمان الاجتماعي وحل مشكلة غلاء الخبز .

وفي ١٣ تشرين الثاني ١٩٥٢ تم الاندماج بين حزبي البعث العربي . و « العربي الاشتراكي » مع بقاء دستور حزب البعث من دون اجراء أي تعديل عليه ومنذ ذلك الوقت اخذ الحزب تسميته « حزب البعث العربي الاشتراكي » .

وعقدت هيئة قيادة الحزب في سوريا يومي ٥-٦ أيار ١٩٥٤ اجتماعا بحث فيه بعض القضايا التنظيمية والموقف السياسي الراهن واتخذت القرارات اللازمة بشأن ذلك .

٢ - في لبنان : ترجع عملية نشر مبادئ الحزب في لبنان الى الطلبة اللبنانيين الذين تخرجوا من جامعة دمشق ، كما ان الحزب توجه الى الطلبة العرب الذين يدرسون في الجامعة الاميركية في بيروت . ظهرت اول الامر خلايا طلابية صغيرة في الجامعة وفي بعض المدارس الثانوية في بيروت ثم طرابلس وصيدا وصور والبندقية وبعبك وغيرها من المناطق اللبنانية . وكانت البيانات تصدر موقعة باسم « الشباب القومي العربي » و « العرب القوميون » او « القوميون العرب الاحرار » أو « الطليعة العربية في لبنان » او باسم هيئات طلابية يقودها الحزب كمؤتمر الطلاب في لبنان او « مجلس الطلبة » .

لقد بدأ نشاط الحزب يتزايد وأخذت افكاره بالانتشار بين صفوف العمال والفلاحين منذ مهرجان صيدا الذي أقيم في ٦-٥-١٩٥٢ لتكريم شهداء ايار . وقد وردت في النشرة الداخلية رقم (٢) المؤرخة في اواخر ايار ١٩٥٢ عبارة « القيادة الفرعية في لبنان » . وقد تم بناء على دعوة من هذه القيادة عقد مؤتمر لممثلين عن الهيئات الادارية لفرق الحزب في مختلف مناطق لبنان ، وكان غرض المؤتمر دراسة نشاط الحزب وسياسته العامة ووضع الخطوط الكبرى لعمله في المستقبل . وفي النشرة الداخلية رقم (٣) المؤرخة في آب سنة ١٩٥٤ ظهرت عبارة « فرع لبنان » وفي ايار ١٩٥٤ وفي نشرة داخلية غير موقعة ظهرت عبارة « القيادة القطرية » .

٣ - في الاردن : قام بعض الطلبة الذين درسوا في جامعة دمشق بكسب عدد من الشباب العاملين في صحيفة « اليقظة الاسبوعية » كما استطاعوا التغلغل في صفوف العمال والفلاحين . وعندما دخل الحزب الانتخابات النيابية استطاع بعض مرشحي الحزب النجاح فيها .

٤ - في العراق : كان قد تقاطر على الدراسة في العراق مجموعة من شباب الاسكندرونة يحملون معهم بذور البعث وافكاره وكراريس صغيرة الحجم كبيرة الاهداف والمضامين كأحاديث البعث العربي و « السياسة العربية » تلقاها الزملاء والمقربون وبدأت معها تتكون خلايا حزبية صغيرة من الطلبة وصدرت البيانات والنشرات باسم « الشباب العربي » وبدأ الحزب ينتشر بواسطة الطلبة الى مناطق العراق المختلفة . وفي عام ١٩٥٠ شارك الحزب بمندوبين اثنين في المخيم الذي اقيم في بلودان . كما أصدر الحزب بياناً مهد لا تنفاضة تشرين ١٩٥٢ الوطنية موقعا باسم «الشباب العربي الجامعي في العراق » وفي عام ١٩٥٣ اصدر الحزب جريدته المركزية السرية « العربي الجديد » وبعد صدور عديدين منها أبدل الاسم الى « الاشتراكي » .

ب - النضال اليومي :

بعد المؤتمر القومي الاول ازداد نشاط الحزب ومساهمته في النضال اليومي مع الجماهير العربية فقد خاض الحزب الانتخابات في حزيران وتموز ١٩٤٧ في القطر السوري وفضح أساليب السلطة في تزوير الانتخابات مما أدى الى زج مناضليه في السجون كما تعرضت صحيفة الحزب للتعتيل ، واصطدم بعصابات السلطة ومأجوريها . وقد انتهزت البرجوازية الحاكمة في سوريا انشغال الجماهير العربية بقضية فلسطين فحاولت تعديل الدستور ، فتصدى لها الحزب وأكد على ان تلك المحاولة خطر على الجمهورية والحرية والاستقلال . كما خاض الحزب معركة ضد السلطة بسبب اتفاقية التباين والنقد .

بسبب هذا الوضع المتأزم تحركت القوات المسلحة في ٣٠ آذار بقيادة حسني الزعيم فوقف منه الحزب موقف التأيد المشروط ، كما قدم العديد من المذكرات الى قائد الانقلاب طالبه بتشكيل حكومة موثوقة وتطهير الجهاز الحكومي وتأمين الحريات واجراء الانتخابات ووضع دستور جديد .

لقد أستغل الانقلاب نقمة الشعب على السلطة البرجوازية فانقلب عليها وفرض دكتاتورية عسكرية ظالمة ، فتم تشكيل حكومة لا تمثل الشعب وقعت مع فرنسا اتفاقية النقد ومع الشركة الاميركية اتفاقية التباين ، كما قامت باجراءات أخرى لا تخدم الشعب ، فتصدى الحزب لها وعبء الجماهير من أجل أسقاطها فأصدر قائد الانقلاب امرا بملاحقة الحزب وقادته . وفي يوم ١٤ آب ١٩٤٩ حدث انقلاب جديد بقيادة الحناوي فشارك الحزب بشخص العميد ميشيل عفلق في الوزارة حيث تسلم وزارة المعارف الا أن الانقلاب افسح المجال لحزب الشعب مجال السيطرة على الحكم وتوجيهه الى وضع يهدد المكاسب الوطنية والديمقراطية التي حققتها الجماهير في القطر السوري مما أدى الى قيام انقلاب آخر بقيادة الشيشكلي في ٢٠ كانون الاول ١٩٤٩ . ان الشيشكلي لم يتسلم السلطة مباشرة وانما بدأ يمارس

ضغطه على الحكم بحجة الحيلولة دون تحقيق مشاريع الفئة الحاكمة
لمناقضته لقضية الشعب . ثم ما كاد يتسلم السلطة الفعلية حتى بدأ يطعن
ما حققه نضال البعث وجماهير الشعب من انجازات ومكتسبات كتأميم
الريجي والحريات العامة وقوانين العمل . وقد أصدر الحزب بيانات عديدة
وضح فيها شعاراته وأهدافه ووقف من الشيشكلي موقف المحذر المنذر
الموضح . ونتيجة لهذا الموقف ونضال الحزب وتحريكه للجماهير أغلقت
جريدته وطورد اعضاؤه . ثم تصاعدت معركة الحزب ضد الدكتاتورية وبدأ
الحزب يوثق صلاته بالقوى الوطنية في القطر السوري وفي مقدمتها الحزب
العربي الاشتراكي ، فاعلن دمجهما في ١٣ تشرين الثاني ١٩٥٢ ، وقد اعطى
هذا دفعا جديدا للنضال ضد الدكتاتورية الامر الذي جعل السلطة تشدد
الملاحقة ضد الحزب وقادته ، غادر على اثرها بعض قادة الحزب الى لبنان
وبسبب الضغط الذي تعرضت له الحكومة اللبنانية من الشيشكلي اجبر
الرفاق على مغادرة لبنان الى روما ، ولكنهم عادوا فجأة الى سوريا فاعتقلتهم
السلطة الدكتاتورية في ٢٧ كانون الثاني ١٩٥٢ حتى خرجوا من السجن
بعد سقوطها في ٢٤ شباط ١٩٥٤ . حيث مرحلة عمل الحزب العلنية كما عادت
صحيفته الى الصدور وبدأت الجماهير تلتف حول الحزب وترفع شعاراته
واهدافه .

اما في لبنان ، ولما كان الحزب منحصرا بين الطلبة في بداية الامر فقد
قاد الجماهير الطلابية في مقاومة الاستعمار ومشاريعه كمشروع الدفاع
المشترك ، كما وقف الى جانب شعبنا العربي في مصر الذي رفض المقترحات
الرباعية ، وفي مهرجان صيدا عبر الحزب عن رفضه للطائفية ووضح الوضع
السيء للجماهير في الجنوب . كما أستجاب الحزب لدواعي الالتزام القومي
فشارك في نضال شعبنا العربي في سوريا ضد الدكتاتورية العسكرية ونظم
حركة احتجاج واسعة ضد اعمال التعسف والارهاب التي تقوم بها . وعندما
سقطت دكتاتورية الشيشكلي اقام الحزب في لبنان مهرجانا كبيرا اشتركت
فيه وفود من مناطق لبنان المختلفة وتوجهت الجماهير الشعبية الى دمشق

حيث اقيم مهرجان ضخيم احتفالاً بالمناسبة كما وقف الحزب الى جانب الشعب العربي في العراق استنكاراً لموقف الفئة الحاكمة في العراق من الاحلاف الاجنبية واحتجاجاً على كبت الحريات واطلاق الرصاص على الطلبة . وقاد الحزب الاضراب العام في جميع المعاهد والمدارس في لبنان وطالب باقالة الوزارة .

وفي العراق كان البعثيون في طليعة جماهير شعبنا العربي في العراق في النضال والتصدي للحكومات الرجعية العميلة والمشاريع الاستعمارية المطروحة في المنطقة العربية لربط الاقطار العربية بعجلة الامبريالية العالمية . كما وقف الحزب هنا الى جانب شعبنا العربي في سوريا ضد الدكتاتورية العسكرية ومسألة تعديل الدستور . وقد كان البعثيون في مقدمة الجماهير المتنفضة في تشرين ١٩٥٢ . وكان أول بيان سياسي مهد للاتفاضة صادرا عن الحزب تحت توقيع « الشباب العربي الجامعي في العراق » يستنكر فيه الاعتداء الواقع على طلبة الصيدلة من قبل الشرطة . كما ساند الحزب اضراب عمال شركة الدخان الاهلية وضراب عمال النفط في البصرة ودعا الى القيام باضراب تأييداً لمطالبهم ، استجاب له الطلبة في بغداد كما عبر الحزب عن مساندته لاضراب عمال الارامكو البطولي وشجب تصرف الفئة الحاكمة وفضح أساليب الاستعمار والشركات الاحتكارية . كما شارك الحزب في الانتخابات النيابية عام ١٩٥٤ وأكد انه عن طريق الانتخابات يستطيع فضح الفئات الحاكمة واظهار متناقضات الواقع الفاسد واثارة الوعي لدى جماهير الشعب كما دعا الشعب الى مزاوله حقه في الانتخابات واحباط أي محاولة لتزويره واسناد المرشحين الوطنيين .

اما في الاردن فقد استطاع البعثيون من خلال مشاركتهم في صحيفة اليقظة الاسبوعية في توعية الجماهير ، كما استطاع الحزب ان يكسب بعض الوجوه الوطنية الفلسطينية . وقد شارك في الانتخابات النيابية ففاز له سنة

١٩٥٠ نائبان احدهما عن القدس والاخر عن رام الله وكان الحزب في مقدمة الجماهير المطالبة بالتححرر من التبعية الاستعمارية ، والنضال ضد توجه الفئة الحاكمة للصالح مع الكيان الصهيوني .

ج - قضية فلسطين :

حذر الحزب ، منذ مطلع الاربعينيات ، من تزايد الهجرة الصهيونية الى فلسطين وقد قدم مكتب البعث العربي كتابا الى المعتمد السياسي الاميركي في سوريا في ١٠ آب ١٩٤٤ يحتج فيه على موقف الدولة الاميركية من فلسطين وفتح باب الهجرة الصهيونية اليها . كما احتج الحزب في آذار ١٩٤٥ على تصريح الرئيس روزفلت بشأن فلسطين . ودعا الى اضراب عام في ٣ ايار ١٩٤٦ ضد اللجنة الاميركية الانكليزية التي اقترحت ارسال مائة الف صهيوني الى فلسطين وقد كتب الاستاذ ميشيل عفلق في « البعث » في ٦ آب ١٩٤٦ بان « فلسطين لا تنقذها الحكومات بل العمل الشعبي » وفي تشرين الثاني ١٩٤٧ قرر مجلس الحزب الذي انعقد في حمص ان يتطوع اعضاء الحزب للقتال في فلسطين . ووجه نداء للجماهير يحثها على التطوع في كتائب الانقاذ . كما شارك الحزب مع شخصيات وطنية بتشكيل « جمعية تحرير فلسطين » للاشراف على تنظيم المتطوعين . وفي مطلع عام ١٩٤٨ انشأ الحزب « مكتب فلسطين الدائم » في الحزب والذي أصدر بيانا في ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٨ ، حذر فيه من ان الخطر يهدد فلسطين من كل جانب ، وكان مجلس الحزب الذي عقد في ١٥-١٦ كانون الثاني ١٩٤٨ قد اتخذ قرارا بتجنيد جميع اعضاءه للاشتراك في تحرير فلسطين كما قرر ارسال اول كتيبة الى الجبهة بقيادة لجنة الحزب التنفيذية . وقد استشهد في فلسطين الكثير من الرفاق البعثيين امثال مأمون البيطار وسليمان الكريدي وغيرهم .

لقد ظل الحزب يؤكد على مسؤولية الحكومات الرجعية في إضاعة فلسطين بسبب تواطئها مع الاستعمار واضطهادها للجماهير العربية ، وشل دورها في معركة التحرير . وقد ركز الحزب خلال عامي ٤٩-٥٠ على تحليل

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

واذا كانت الحضارة العربية الاسلامية تدين بالفضل الى الحضارات التي سبقتها ، فإن حضارة اوربا الحالية تدين بالفضل الى العرب الذين حملوا اليها آيات الفن والآداب واغنوها بتراث علمي مزدهر . وغدا كل جانب من جوانب الحضارة العربية الاسلامية يمد اوربا بفيض من العلوم والآداب والفلسفة والفن ، ولا يستطيع اي باحث ان ينكر تأثير مؤلفات الفلاسفة المسلمين على فلاسفة الغرب ، امثال الرازي وابن سينا وابن رشد والغزالي^(٢) ، ومدى اهتمام العلماء الغربيين بنظريات العلماء العرب في الفلك والكيمياء والرياضيات والهندسة والطب^(٣) ، وعن الادباء الاوريون بتأليف الادباء العرب ودواوينهم ، ولا ريب ان الآراء والنظريات التي جاء بها العلماء العرب كانت موضع تقدير الباحثين الغربيين ومن ثم تغلغت افكارهم وآراؤهم في الاكاديميات العلمية المختلفة ، مما حدا بالكثير من اولئك الباحثين التخصص في علوم اللغة العربية وآدابها لينقلوا الى شعوبهم نتاج الحضارة الخريفة العربية الاسلامية^(٤) .

وسوف نتناول في هذا البحث تأثير بعض المظاهر الاثرية العربية الاسلامية في العمارة الاوربية دون التوسع الى دراسة تأثير جميع العناصر المعمارية العربية والاسلامية الاخرى ، ودون الاشارة كذلك الى تأثير مجالات الفنون العربية الاسلامية مثل الخزاف الهندسية والكتاتبة والحيوانية ، والتصوير على الورق وعلى الجص ، وغيرها في مختلف ميادين الفن العربي الاسلامي حيث سنفرد لذلك بحثا مستقلا .

يتفق الباحثون والمؤرخون على أن الاوريين بدؤا اتصالهم بالعرب عن ثلاثة طرق هي : الحروب الصليبية ، وجزيرة صقلية ، والاندلس .

-
- (٢) عفيف بهنسي ، اثر العرب في الفن الحديث ، صفحة ١٠ .
(٣) بريجز ، تراث الاسلام ، صفحة ١٥٩ ، الشرق الاوسط في مؤلفات الامريكيين ، ترجمة محمد مصطفى زيادة ، صفحة ١٠٦ .
(٤) الشرق الاوسط في مؤلفات الامريكيين ، ترجمة محمد مصطفى زيادة ، صفحة ١٠٦ .

ولئن كانت الحروب الصليبية قد فشلت في مهمتها ، واستطاع العرب المسلمون ان يوقفوا زحفها ، فأنها أفادت الغرب فائدة كبيرة ، كان من اهم نتائجها ، انتقال مظاهر من العمارة العربية الاسلامية الى اقاليم اوربية على ايدي المحاربين من الضباط والجنود واصحاب الحرف والصناعات الذين كانوا ضمن تلك الحملات الصليبية التي كانت تأتي الواحدة منها تلو الاخرى ويعود منها من بقي على قيد الحياة الى موطنه ليزاول فيه مهنته وحرفته متأثرا بما رآه وانطبع في ذهنه من تقاليد فنية عربية ، وقد ظهر اثر ذلك جليا في فنون العصور الوسطى في اوربا^(٥) .

وبالاضافة الى الطرق الثلاثة التي انتقلت عن طريقها الحضارة العربية الاسلامية ، هناك طريق آخر ادى الى عبور هذه التأثيرات الى اوربا ، هو الطريق التجاري البحري ، فقد كانت مرافئ البندقية وجنوا ومرسيليا تتعامل مع التجار العرب ، فلقد كان في مرسيليا فنادق مخصصة للعرب ، وفيها اسواق يتصدرها التجار القادمون من الشرق العربي ، وكان الفرنسيون يتوددون الى هؤلاء التجار ويفضلونهم على غيرهم من الوافدين^(٦) .

ويبدو ان الصليبيين قد اهتموا كثيرا بمظاهر العمارة العسكرية العربية الاسلامية التي شاهدوها في الحصون والقلاع والمدن ، فنقلوا بعض الافكار المعمارية من قلاع سوريا ومصر الى حصونهم وقلاعهم ومدنهم ، ومنها استخدام السقاقات ، وتدعى ايضا باسم المشرييات ، والمشرييات في العمارة عبارة عن دعائم يتقارب بعضها من بعض وتحمل فوقها حواجز بارزة وبين كل دعامتين فتحة مقفولة بباب مستور يمكن ان تصوب السهام فيه الى رؤوس المحاصرين الذين يحاولون ان يخفروا تحت الجدران ويضعوا تحتها اللغم كي يمكن ايضا ان يصب على رؤوسهم الزيت والماء المغلي او غير

(٥) فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، صفحة ٢٧٠ .

(٦) عفيف بهنسي ، اثر العرب في الفن الحديث ، صفحة ٣٦ ،

ذلك من الاشياء المؤذية ، وقد حلت هذه المشربية في العمارة محل الابنية الخشبية^(٧) . ويبدو انها اصبحت واسعة الانتشار في الغرب منذ نهاية القرن السادس عشر كما اشار بريس دافزن^(٨) . وقد قلدها الانكليز في القضايا والسياجات المعدنية .

وقد درس البروفسور كريزويل الاصل المعماري لعشرة امثلة من المشربيات الموجودة في سوريا^(٩) ، و اشار الى ان من بين هذه العشرة ستة امثلة او سبعة لم تكن في الحقيقة الا مرافق حجرية من نوع كان منتشرا حتى العصور الحديثة ، ولا يزال هناك واحد من هذا النوع على الرصيف الخشبي الداخل في البحر بمدينة جوري Gorey من اعمال Jersey اما الامثلة الثلاثة الباقية التي يحتمل ان تكون قد استخدمت لالقاء السهام وغيرها فاقدمها عهدا يرجع تاريخه الى منتصف القرن السادس الميلادي اي قبل قيام الاسلام^(١٠) .

(٧) والمشربية انواع مختلفة من الخشب المخروط المشبك انتشر استعمالها في مصر حتى بلغت صناعتها اوج عظمتها في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وكانت تصنع منه الشرفات والاحجبة التي تغطي الفتحات والنوافذ حتى يحفظ حرمة اهل البيت من انظار الغرباء ، وتسمح في الوقت نفسه بمرور الهواء والضوء . وقيل ان اصل الكلمة مشتقة من (الشرب) لان الواح هذا الخشب المشبك كانت تثبت في بداية الامر بنوافذ المساكن كي توضع عليها قتل الماء فتبرد وتصبح لذيدة للشرب ، وفي مدينة القاهرة ودار الاثار العربية انواع شتى من خشب المشربيات (انظر ، تراث الاسلام، بريجز صفحة ١٥٩، العمارة العربية في مصر الاسلامية، فريد شافعي ، صفحات ٢٨٨ - ٢٨٩ ، شكل ١٩٣) .

(٨) عفيف بهنسي ، اثر العرب في الفن الحديث صفحة ١٦ .

(٩) Bulletin de L'Institut Francais d'archeologie Orientale Vol. XXIII, Cairo, 1924.

(١٠) تراث الاسلام ، قسم العمارة ، بريجز ، صفحة ١٦٨ .

وبعد التاريخ الذي ذكر فيه البروفسور كريزويل هذه الامثلة ظهر مثال عربي اسلامي لظاهرة المشرييات في قصر الحير على مقربة من الرصافة في سورية يرجع تاريخه الى عام ١١٠ هجرية - ٧٢٩ ميلادية وينسب الى الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك^(١١). وهناك احتمال كبير بأن ذلك العنصر كان موجودا ايضا في قصر الاخضر^(١٢). كما ان هناك مثالان من هذه الظاهرة المعمارية نلاحظها فوق باب النصر الذي يرجع الى عام ١٠٨٧ ميلادية. ومن المؤكد ان هاتين المشريتين المعماريتين كانتا ضربا من الاستحكامات العسكرية المعدة للدفاع عن سور المدينة، وهما اقدم بنحو مائة سنة من اقدم الذي عرف في اوربا، ومن امثلة هذه الظاهرة المعمارية في شاتو جيار (ترجع الى سنة ١١٨٤ م) وشاتيون (ترجع الى سنة ١١٨٦ م)^(١٣).

وهكذا يظهر ان الصليبيين استعاروا فكرة هذه الظاهرة المعمارية من العرب، وان العكس لا يمكن ان يكون صحيحا، ومن المعروف ان المشرييات المعمارية التي تبنى على صف من الدعائم لم تلبث ان اصبحت ظاهرة انيقة جدا في القصور الفرنسية والانكليزية ابان القرن الرابع عشر.

وهناك ظاهرة اخرى تؤدي وظيفة قريبة مما تؤديه السقاطات وهي - المزاغل - التي توجد في سقف باب او مدخل وتصل الى ارضية السطح العلوي فوق الباب او المدخل، بحيث يتمكن المدافعون من قذف المهاجمين بالسهام والحراش ورمي القذائف من احجار وزيت مغلي وغيرها فوق رؤوس الاعداء^(١٤).

(١١) Creswell, Early Muslim Architecture, II, P. 336, Pls. 54 C, 56 a—b

(١٢) المصدر السابق، صورة رقم ٢٩. فريد شافعي، العمارة العربية في مصر الاسلامية، صفحة ١٩٣، شكل ١٣٥ وشكل ١٣٦.

(١٣) تراث الاسلام، قسم العمارة، بريجز صفحة ١٦٨.

(١٤) فريد شافعي، العمارة العربية في مصر الاسلامية، صفحة ١٩٥.

ولم يعثر على امثلة اخرى لهذه الظاهرة لا قبل الاسلام ولا في العصر الاسلامي بعد قصر الاخضر العباسي الا في ابواب حصن القاهرة التي شيدت في وزارة بدر الجمالي ، اي في باب الفتوح وباب النصر وباب زويلة ، ويرجع تأريخهم الى ما بين سنتي ٤٨٠ و ٤٨٥ هجرية (١٠٨٧ - ١٠٩٢ ميلادية) (١٥) ووجدت ايضا بعد ذلك في العصر الايوبي والأتابكي (١٦) .

وبذلك يكون قد مضى اكثر من ثلاثة قرون لم يظهر فيها هذا العنصر الدفاعي ، ومما هو جدير بالذكر انه بدأ في الظهور في اوربا في القرن الرابع عشر الميلادي ، ولاشك ان ظهوره فيها كان ايضا بتأثير العمارة العربية الاسلامية التي انتشرت تقاليدھا هناك عن طريق الصليبيين (١٧) .

ومن الظواهر المعمارية العسكرية التي اقتبسها الاوربيون لحصونهم من اساليب الدفاع العربية ، فكرة الابواب المصنوعة من القضبان الحديدية القوية المتشابكة والتي تنتهي من اسفلها بسنان حادة كالحرا ب ، وتنزل بثقلها الكبير رأسيا وتسمى بالافرنجية Portallis ولا يمكن رفعها الا بواسطة الحبال والبكرات من داخل الحجرات المعدة لذلك فوق الابواب (١٨) . وتظهر قنوات رأسية في ابواب قصر الاخضر العباسي (١٥٩ - ٧٧٦ م) تدل عن ان ابوابا حديدية من ذلك النوع كانت مستعملة فيه (١٩) .

(١٥) Creswell, Early Muslim Architecture, 11, pp. 33—35, 46—47, Figs. 15, 21

فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، صفحة ١٩٦ .

(١٦) Creswell, E.M.A., 1. pp. 170, 173, 175, 183, 184, 185, Fig. 83, Pls. 56C, 57 a—c,

فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، صفحة ١٩٥ .

(١٧) Creswell, E.M.A., 11, P. 86. فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، صفحة ١٩٦ .

(١٨) Creswell, E.M.A., 11, pp. 57—61, Figs. 48, 60, 61, 64,

وفريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ٢٤٧ .

(١٩) فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ٢٣٧ .

ومن المظاهر الدفاعية المعمارية التي اقتبسها الاوريون في قلاعهم وحصونهم من العمارة العربية ظاهرة المداخل المتتوية ، التي سماها المؤرخون العرب « الباشورة » ذلك هو جعل المدخل الموصل من باب القلعة الى داخلها على شكل زاوية قائمة او جعله ملتويا لكي لا يتمكن العدو الذي يصل الى الباب من ان يرى الفناء الداخلي او ان يصوب سهامه الى من فيه (٢٠) . والظاهر ان فن العمارة العسكرية عند الرومان والبيزنطيين لم يكن معروفا فيه مثل هذا النوع من المداخل ، بل كانت هناك عدة ابواب دفاعية تشيد على قطر واحد ، ويفصل كل باب عن الآخر فضاء كانوا يسمونه Propugnaculum (٢١) . ويدل اقصى ما هو معروف على ان اول ما استعملت هذه المداخل المتتوية كان في القرن الثامن بمدينة بغداد المدورة (٢٢) . ولم يفلح المستشرقون وعلماء الآثار ، برغم محاولاتهم ، ان يرجعوا اصولها المعمارية الى فن من فنون العمارة القديمة السابقة للاسلام (٢٣) . وتختفي امثلتها بعد بغداد المدورة فترة من الزمن لتظهر بعدها في العصر الاتابكي في الشام ايام الحروب الصليبية ، واستخدمها

(٢٠) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٧٤/١ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٩٥٤ / ٢

Creswell, E.M.A., 11, pp. 24—26;

Creswell, A.A.E.M.A., pp. 177—178.

(٢١) تراث الاسلام ، قسم العمارة ، بريجز ، صفحة ١٦٨ ، فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ٢٧٣ .

(٢٢) Herzfeld, Archaeologische Reise., 11, pp. 106-133; Figs. 180-183; Creswell, E.M.A., 11, p. 11, Figs. 3, 5;

تراث الاسلام ، بريجز ، صفحة ١٣٩ ، طاهر العميد ، بغداد مدينة المنصور المدورة ، صفحات ٢٢٠ — ٢٣٢ ، الاشكال ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ٢٧٣ .

(٢٣) انظر مؤلف كريزدل وفيه شرح مطول حول الاصول المعمارية لهذه الظاهرة المعمارية .

Creswell, E.M.A., 11, pp. 23—29, Figs. 14—23.

صلاح الدين الايوبي في الباب الجديد^(٢٤) ، وهو احد ابواب مدينة القاهرة الفاطمية ايام وزارته للخليفة الفاطمي العاضد بين سنتي ٥٦٤ - ٥٦٧ هـ / ١١٦٩ - ١١٧٢ م ، ثم استعملها في ابواب اسوار مدينة القاهرة ، وفي ابواب قلعة الجبل^(٢٥) . التي شيدها سنة ٥٧٢ هـ - ١١٧٦ م^(٢٦) .

ولقد ظهرت مثل هذه المداخل المتلوية في فرنسا اكثر من غيرها من الاقطار الاوربية ونرى مثالا لها في Carcassonne^(٢٧) اما في انكلترا فكان ظهورها نادرا على الرغم من ان هناك مثالا جيدا لها في Beaumaris^(٢٨) .

ومن مظاهر العمارة العربية الاسلامية التي انتقلت الى العمارة الاوربية. المقرنصات^(٢٩) ، وتعد من المظاهر المعمارية الفريدة التي لازمت العرب والمسلمين اينما ذهبوا ، واصبحت طابعا يميز عمارتهم على امتداد الرقعة

(٢٤) المصدر السابق ، صفحات ٤٢ - ٤٣ ، الاشكال ١٦ و ٢١ ، واللوحات ١٤٦ و ١٦ .

(٢٥) المصدر السابق ، صفحات ١٤ - ١٦ ، و ١٨ - ٢٠ ، و ٣٣ - ٣٥ ، والاشكال ١ ، ٦ ، ٨ ، واللوحات 5 d-c, 6 a, e, 7

(٢٦) فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ٢٧٢ .

(٢٧) تراث الاسلام ، بريجز ، صفحة ١٦٩ .

(٢٨) المصدر السابق .

(٢٩) وتسمى بالانكليزية Stalactite مشتقة من الكلمة اليونانية Stalzein التي تعني الفعل « ينقط » ، وتطلق على النحجر الذي ينشأ على شكل اعمدة نازلة غير منتظمة في بعض الكهوف بفعل الترشح الذي تنتجه مياه محملة بالاملاح الجيرية ، على ان هذا اللفظ يطلق على الاعمدة التي تصبح معلقة في سقف الكهوف . ويطلق مصطلح المقرنصات في فن العمارة على ضرب من الزخارف التي تحاكي تلك الاعمدة الطبيعية المتحجرة وتتألف من تراكيب حجرية او اجرية صغيرة تندلى الى الاسفل فيكثر استعمالها في القصور والمدارس وواجهات المساجد .

الجغرافية التي حكموها من الهند الى اسبانيا ، ويعتقد بعض الباحثين ان من المحتمل ان يكون اصل هذه الظاهرة المعمارية الفريدة هو العراق^(٣٠) ، ويمكننا ان نعتبر اقدم امثلتها المعروفة ما نراه في مأذنة جامع الجيوشي بالقاهرة ، ثم تظهر بعد ذلك في واجهة جامع الاقمر حيث استخدمت المقرنصات فيها لاغراض زخرفية ، كما توجد ، بالاضافة الى ذلك حنيات محفورة على شكل صدف ، وربما تكون هذه الحنيات هي النوع الذي نقلت عنه الحنيات الصدفية في عمارة عصر النهضة^(٣١) .

وتظهر في العمارة البيزنطية شكل لحنية عربية اسلامية ركنية اطلق عليها بعض الباحثين اسم المقرنصة^(٣٢) ، وهي على هيئة حنية مجوفة ذات رأس من قبة نصف دائرية ويحملها احيانا عمودان^(٣٣) .

والظاهر ان سبب ابتكار هذه المقرنصة عند العرب هو الاقلال من استعمال المثلثات الكروية ، ويرجع اقدم مثل مؤكد التأريخ منها الى عهد الخليفة المعتصم ، اذ تظهر في قصره المعروف بالجوسق الخاقاني ، الذي بناه في عام ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م ، ويلاحظ نموذج لتلك المقرنصة في باب العامة^(٣٤) .

ويبدو ان فكرة هذه المقرنصة العربية قد انحدرت من فكرة الحنيات الركنية المخروطية ، وهي التي يعود اقدم نموذج منها الى العصر الساساني المبكر ، وتنتشر في منطقة واسعة واقطار عديدة تمتد من اواسط آسيا

(٣٠) تراث الاسلام ، بريجز ، صفحة ١٧٠ .

(٣١) المصدر السابق . صفحة ١٧٠ .

(٣٢) فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ١٤٤ .

(٣٣) Creswell, E.M.A., 11, Figs. 99, 101, 103;

فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ١٤٤ .

(٣٤) Crswell, E.M.A., 11, pp. 232-234, Figs. 181-182, Pl. 51 a-d;

فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ١٤٢ و ٢٠٠ .

نحو الشرق وتشمل بلاد فارس والعراق^(٣٥) ، فإنه من المستبعد جدا ان يكون قد ظهر منها الا بعد القرن التاسع الميلادي على الاقل ، فإن هذا النموذج لا توجد له اية امثلة في العمارة الساسانية ، ولذلك فإنه من المرجح ان يكون قد ظهر في العمارة البيزنطية بتأثير من العمارة العربية الاسلامية^(٣٦) .

من المظاهر المعمارية العربية التي تظهر في عمارة العصور الوسطى في اوربا انواع العقود المدببة التي ابتكرها الشرق العربي الاسلامي ، كما حدث مثلا في كنيسة سان فرون Front بمدينة Perigueux التي شيدت في حوالي ١١٢٠ م^(٣٧) . وتقع هذه المدينة في وسط القطاع الجنوبي من فرنسا ، ولكنها اقرب الى خليج بسكاي منها الى البحر الابيض المتوسط ، ومع ذلك فإنه يجلب نظرنا في هذه الكنيسة انتشار استعمال العقود من النوع المدبب ايضا^(٣٨) ، مما يؤكد وصول التأثيرات العربية الاسلامية الى بلاد فرنسا من الشرق العربي وليس من الاندلس التي يندر فيها وجود العقد المدبب اذ كان النموع السائد في عمارتها هو العقد نصف الدائري من نوع حدوة الفرس^(٣٩) .

وظهرت العقود المدببة كذلك في كنيسة سان مارك بمدينة البندقية التي شيدت بين عامي ١٠٤٢ - ١٠٨٥ م^(٤٠) .

-
- Creswell, E.M.A., 11, pp. 101, 118, Figs. 83, 117; (٣٥)
فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ٢٠٠ .
(٣٦) فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ٢٠٠ .
Fletcher, pp. 288 D—G, 290; Springer, 11, pp. 189, 190, (٣٧)
192—3; Figs. 256—7; Woermann Vol. 3, pp. 217—8,
Fig. 171.
Lethaby, Architecture, P. 164. (٣٨)
(٣٩) فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحات ١٣٦ - ١٣٧ .
Fletcher, pp. 288 A—C, 289; Hamilton, pp. 4, 8, 147—148, (٣)
Fig. 44, Pls. IX, X, LXVIII; Woermann, Vol. 3' pp.
175, Fig. 139, Pl. 28; Springer, 11, pp. 477—8, Figs.
643—4.

ونشاهد الاقواس التي تشبه حدوة الفرس في جامع دمشق تحيط بالصحن^(٤١) ، واذا اردنا ان نتبع الاصل الذي تحدت منه هذه الاقواس فان بعض النماذج منها وجد محفورا فوق الصخر في آثار ترجع الى ما قبل الاسلام ، ولكن ظهورها في جامع دمشق كان من اقدم الحالات التي ظهرت فيها لتلك الاقواس وظيفه معمارية صحيحة^(٤٢) .

وانتقلت الى العمارة الاوربية من العمارة العربية صفوف من النوافذ الصغيرة رؤوسها ذات فصوص ، وقد ظهرت في اول الامر في الجدار الجنوبي في الجامع الكبير بسامراء ، ومن المحتمل ان تكون هذه الظاهرة المعمارية الهامة ، التي وجدت ايضا في قرطبة ، قد نشأت في الهند ابان العصر البوذي ، كما يذهب الى ذلك هافل^(٤٣) . واذا لم يكن هذا صحيحا فان الفضل في وجود تلك الاقواس على اختلاف انواعها وتطورها في العمارة الاوربية راجع الى المسلمين^(٤٤) .

وهناك ظاهرة اخرى ترى في المساجد التي شيدت في العصر الفاطمي ، وهي شرفات على شكل اسنان المنشار ، ربما كان اصلها عراقيا ، ومن المحتمل ان يكون مهندسو قصر الدوق^(٤٥) ، وغيره من القصور الاخرى في البندقية^(٤٦) ، قد تأثروا بها ، وتظهر في هذا القصر اساليب معمارية عديدة تذكر بأساليب العمارة الاسلامية ولا يبعد ان تكون منقولة عنها^(٤٧) .

ومن اهم الظواهر العربية الاسلامية التي اقتبست في طرز العصور الوسطى في اوربا فكرة ملء الشبايك والفتحات بالواح زخرفية من

(٤١) تراث الاسلام ، بريجز ، صفحة ١٦١ .

(٤٢) المصدر السابق ، صفحة ١٢٨ .

Havell, Indian Architecture, P. 86.

(٤٣)

(٤٤) تراث الاسلام ، بريجز ، صفحة ١٦٤ .

(٤٥) قصر الدوق - وهو من القصور الفوطية في ايطاليا شيد في اوائل القرن التاسع واعيد بناؤه مرات عديدة .

(٤٦) تراث الاسلام ، بريجز ، صفحة ١٤٦ .

(٤٧) المصدر السابق . صفحة ١٤٦ .

الزجاج الملون المجمع على بعضه بصلوع من الرصاص ، وهي فكرة مقتبسة من الشمسيات العربية ، اي من الألواح الجص المفرغ فيها وحدات زخرفية ملئت بقطع من الزجاج الملون تفصل بينها وتجمعها ضلوع من الرصاص بدلا من الجص ، و اضافوا رسوماً والوانا على قطع الزجاج ليخرجوا منها لوحات تصور القصص المسيحية والمناظر المختلفة (٤٨) .

هذا وقد تأثرت العديد من الكنائس والقصور المشيدة في صقلية بالعمارة العربية الاسلامية ، منها كنيسة الكابلابلاتينا التي بنيت في عام ١١٣٢ م بمدينة بالرمو ، وقد بنيت كاتدرائية مونريالي على نسقها في نفس المدينة كذلك (٤٩) . ثم كنيسة المرتورانا وهي في مدينة بالرمو ايضا . ومن القصور ، قصر العزيزة الذي بني في عام ١١٥٤ م ، وقصر لأكوبا (اي قصر القبة) وقد شيد في عام ١١٨٠ م (٥٠)

وتواريخ بناء هذه الكنائس والقصور ترجع الى ما بعد انتهاء الحكم العربي الاسلامي في جزيرة صقلية عام ١٠٩٠ ، بعد انتهائه في مدينة بالرمو نفسها في عام ١٠٦٠ م . ولكن على الرغم من ان هذه الابنية شيدتها النورمنديون فإن كثيرا من الظواهر المعمارية العربية البحتة ظهرت فيها ، تلك الظواهر التي توجد ايضا في إيطاليا نفسها بمدينتي آمالفي وسالرنو (٥١) .

لم يكن ما ذكرناه من بعض مظاهر العمارة العربية الاسلامية في عمارة اوربا في القرون الوسطى سوى نقاطا مميزة ، والواقع ان العرب المسلمين كانوا مصدر كثير مما وصل الى اوربا من علم الهندسة ، او كانوا على الاقل القنطرة التي وصل الى الغرب عن طريقها كثير من هذا العلم .

(٤٨) فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ٢٧٢ .

(٤٩) عفيف بهنسي ، اثر العرب في الفن الحديث ، صفحة ١٨ .

(٥٠) تراث الاسلام ، بريجز ، صفحات ١٤٢ - ١٤٣ .

(٥١) المصدر السابق ، صفحة ١٤٣ .

المراجع والمصادر العربية

الخطيب - (الحافظ او بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي)
تاريخ بغداد ، طبع بمطبعة السعادة بالقاهرة عام ١٣٤٩ هـ -
١٩٣١ م .

ياقوت - (شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي
البغدادي) معجم البلدان ، طبع لايبزك سنة ١٨٦٦ م .
بريجز - (آرنولد وكريستي وبريجز)

تراث الاسلام - جزءان ، الاول منه ترجمة لجنة الجامعيين ،
والثاني وهو الذي اعتمدنا عليه ترجمة وتعليق المرحوم الدكتور
زكي محمد حسن . طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر
بالقاهرة عام ١٩٣٦ م .

مجموعة المؤلفين ---

الشرق الاوسط في مؤلفات الامريكيين . موضوع الفنون والاثار
الاسلامية . تأليف ريتشارد اتنجهاوزن . ترجمة محمد مصطفى
زيادة . القاهرة عام ١٩٥٣ .

العميد - (طاهر مظفر)
بغداد مدينة المنصور المدورة . النجف عام ١٣٨٧ هـ
١٩٦٧ م .

شافعي - (فريد)
العمارة العربية في مصر الاسلامية ، القاهرة ١٩٧٠ م

بهنسي - (عفيف)
آثر العرب في الفن الحديث ، دمشق ١٩٧٠ م .

المراجع والمصادر الأجنبية

Rivoira (G.T.)

Moslem Architecture, Its Origin and Development
(Oxford 1918)

Briggs (M.S.)

Mohammadan Architecture in Egypt and Palestine
(Oxford 1924).

Richmond (E.T.)

Moslem Architecture 623—1516, Royal Asiatic Society
(London 1926).

Creswell, (K.A.C.)

Early Muslim Architecture, Vol. 11, (London 1926).

Lethaby (R.L.)

Architecture,

Fletcher (B.)

A History of Architecture, (London 1961).

Risler

La Civilisation Arabe.

المصدر الصريح والمؤول

الدكتور فاضل صالح السامرائي
كلية الآداب - جامعة بغداد

يقصد بالمصدر الصريح المفردة التي تدل على الحدث المجرد نحو انطلاق وذهاب ويقصد بالمصدر المؤول الجمل التي تقع موقع المصدر الصريح بتصدر أحد الأحرف المصدرية ، فمن المصادر الصريحة قولك (اعجبني انطلاقك) ومن المصادر المؤولة قولك (اعجبني ان تنطلق) •

وهناك اختلاف بينهما في المعنى والاستعمال فقد يقع المصدر الصريح في مواطن لا يقع فيها المؤول وبالعكس ، وقد يؤدي أحدهما معنى لا يؤديه الآخر . وسبب هذا الاختلاف في الغالب يعود الى ان المصدر الصريح هو مفردة والمصدر المؤول جملة أوقعها الحرف المصدر في موقع المفرد ، وثمة فرق بين المفرد والجملة ولذا قد يسد المصدر المؤول مسد ما يقتضي جملة أحيانا نحو (حسبت أنك قائم) و (ليت اننا لم نكبر) ولا يسد مسد ذلك المصدر الصريح لأن الفرق بينهما كالفرق بين الجملة والمفرد الا في مواطن •
فمن الاختلاف في الاستعمال بينهما :

١ - ان المصدر المؤول قد يسد مسد المسند والمسند اليه نحو (ظننت انك ذاهب) و (أحسب الناس ان يتركوا) ولا يسد المصدر الصريح مسدهما وذلك ان المصدر المؤول في الاصل جملة لها معناها الحاصل من الاسناد أوقعها الحرف موقع المفرد بخلاف المصدر الصريح فانه مفرد أصلا •

٢ - ان المصدر المؤول يسد مسد خبر فعل الرجاء او مسد فاعله نحو (وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم) و (عسى الله ان يأتي بالفتح) ولا يسد ذلك المصدر الصريح •

٣ - ينوب المصدر الصريح عن ظرف الزمان ولا ينوب عنه المؤول تقول
(جئتك غروب الشمس) أي وقت غروبها و (جئت قدوم الحاج) أي وقت
قدومهم ولا تقول (جئتك أن تغرب الشمس) ولا (جئت أن قدم الحاج) •

٤ - يكثر حذف حرف الجر مع أن وإن نحو (ولا يجر منكم سنان قوم أن
صدوكم عن المسجد الحرام) أي لأن صدوكم و (عجبت أن اخاك ناجح)
أي من أن اخاك ناجح • وهذا قياس إذا اتضح المعنى ، وليس الأمر كذلك
مع المصدر الصريح •

٥ - يصح وصف المصدر الصريح ولا يصح وصف المصدر المؤول تقول :
(يعجبني انطلاقك السريع) ولا يصح (يعجبني أن تنطلق السريع) ^(١) •

٦ - ينوب المصدر الصريح عن فعله نحو (صبرا آل ياسر) و (فضرب الرقاب)
أي اصبروا واضربوا • ونحو (سقيا لك) و (أتوانيا وقد جد الناس)
ولا ينوب عنه المصدر المؤول •

٧ - يؤكد المصدر الصريح فعله ^(٢) ويبين نوعه وعدده نحو (انطلقت انطلاقا)
و (انطلقت الانطلاق) وانطلاق السهم وانطاعتين ولا يستعمل المصدر
المؤول لذلك الى غير ذلك من اوجه الخلاف في الاستعمال •

ثم ان لكل من المصدرين الصريح والمؤول غرضا لا يؤديه الآخر ، فمن
ذلك :

١ - ان المصدر المؤول يفيد الدلالة على الزمان بخلاف المصدر الصريح تقول :
(اعجبني ان قمت) يفيد الدلالة على الماضي و (أن تصبر خير لك)
فيفيد الدلالة على الاستقبال وقد يفيد الحال بحسب الفعل بخلاف المصدر
الصريح فانك اذا قلت (صبرك خير لك) احتمل الماضي والحال والاستقبال
لانه ليس في صيغته ما يدل على تحديد زمن ^(٣) •

(١) انظر المغني ٦٧٩/٢ ، الهمع ١٥١/١ - ١٥٢ ، الاشباه والنظائر ١٩٥/٢ •

(٢) حاشية الصبان ١٧٦/١ •

(٣) انظر بدائع الفوائد ٩٢/ •

ثم اضافة الى انه يستعمل للتمييز بين ما هو واقع وما سيقع
يستعمل ايضا للدلالة على المأمور به او المنهي عنه او المدعو به وما الى
ذلك نحو (اشرت اليه بأن قم) او بأن لا تقم وبأن حفظك الله . ولو
ابدلته بالصريح لم يفهم المعنى نفسه .

٢ - ان المصدر المؤول ولا سيما مع (ان) يدل « على مجرد الحدث دون
احتمال معنى زائد عليه ففيها - يعني أن - تحصين من الاشكال وتخليص
له من شوائب الاجمال ، بيانه انك اذا قلت : كرهت خروجك واعجبني
قدومك احتمل الكلام معاني منها ان يكون نفس القدوم هو المعجب لك
دونه صفة من صفاته وهيأته وان كان لا يوصف في الحقيقة بصفات
ولكنها عبارة عن الكيفيات واحتمل ايضا انك تريد انه اعجبك سرعته او
بطؤه أو حالة من حالاته فاذا قلت (اعجبني ان قدمت) كان أن على
الفعل بمنزلة الطباع والصواب من عوارض الاجمال المقصودة في
الاذهان » (٤) .

وايضاح ذلك انك اذا قلت مثلا (يعجبني مشي محمد) فقد يفيد
ذاك ان في مشيه صفة معينة هي التي تعجبك فيه ويحتمل ايضا انه يعجبك
مجرد المشي من دون قصد الى صفة معينة ، ولكن اذا قلت (يعجبني ان
يمشي) كان ذلك لمجرد المشي لا لشيء آخر او لصفة خاصة . ونحو ذلك
قوله تعالى (بل زُيِّنَ للذين كفروا مكرهم وصُدّوا عن السبيل) فان
قوله (زين للذين كفروا مكرهم) يحتمل ان مكرهم انما زين لهم لما فيه
من الدهاء والحيلة والاستدراج ولو قال (زُيِّنَ للذين كفروا أن يمكروا)
لكان المعنى انه زين لهم ان يفعلوا مكرا لا ان مكرهم له صفة معينة هي
التي تزينه لهم . ومثله (يعجبهم علمهم) و (يعجبهم ان يعلموا) .

(٤) المصدر نفسه ٩٢/١ - ٩٣ .

٣ - ان (ان) والفعل قد تفيد الاباحة ولا تفيد القطع بحصول الفعل بخلاف المصدر الصريح فانه قد يفيد القطع بحصوله وذلك نحو ان تقول (له صراخ صراخ الشكلى) فهذا يختلف عن قولك (له ان يصرخ صراخ الشكلى) فان قولك (له صراخ) قطع بحصول الفعل اي هو يصرخ : اما اذا قلت (له ان يصرخ) فلا يفيد ذاك ان الصراخ حصل وانما المعنى يحق له ان يصرخ^(٥) كما تقول (لك ان تذهب الى البصرة) أي يحق لك .

٤ - ان المصدر المؤول يبين الفاعل من المفعول من نائب الفاعل ولا يبين ذلك المصدر الصريح تقول (ساءني ان يعاقب محمد) فمحمد نائب فاعل و (ساءني ان يعاقب محمد) فمحمد فاعل و (ساءني ان يعاقب خالد " محمدا) فمحمد مفعول به . فان قلت (ساءني معاقبة محمد) احتمل ان يكون محمد فاعلا او مفعولا ، ولا يبين المصدر الصريح نائب الفاعل فاذا اردت بيان نائب الفاعل وجب ان تأتي بالمصدر المؤول تقول (عجبت من ان يضرب عمرو) فعمر و نائب فاعل فاذا قلت (عجبت من ضرب عمرو) تبادر الى الذهن انه فاعل^(٦) الا في تعبيرات محدودة .

٥ - ان لكل حرف من الحروف المصدرية معنى خاصا به فاذا جئت بالمصدر الصريح لم يتبين المقصود وذلك ان (ان) تفيد التوكيد و (ان) للاستقبال و (ما) للحال اذا دخلت على المضارع و (لو) للتمني و (كي) للتعليل فاذا جئت بالمصدر الصريح اتفنى التمييز بينها فعلى سبيل المثال انك تقول :

- ١ - يسرني ان تذهب ٢ - يسرني ان ذهبت ٣ - يسرني انك ذاهب
 - ٤ - يسرني انك تذهب ٥ - يسرني انك ذهبت ٦ - يسرني لو ذهبت
 - ٧ - يسرني انك ستذهب ٨ - يسرني ما ذهبت .
- وهذه كلها تؤول بيسرني ذهابك .

(٥) انظر الرضي على الكافية ١/١٣١ ، حاشية بس على التصريح ١/٣٣٣ .

(٦) حاشية الصبان ٢/٢٨٣ .

٦ - التمييز بين الصيغ ومدلولاتها فانه في المصادر المؤولة تستطيع ان تأتي بالفعل واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وصيغ المبالغة واسم التفضيل فتفيد كل صيغة دلالتها من حدوث وثبوت وتكثير وتفضيل وغيرها في حين لا يتأتى ذلك في المصادر الصريحة . فأنت تقول (يعجبني ان محمدا ضارب ومضروب وضربا وضرب من غيره) في حين انها كلها تكون بلفظ واحد في المصدر الصريح تقول (يعجبني ضرب محمد) أو تتكلف تعبيرات اخرى لا تؤدي مؤدى الاصل نحو : يعجبني افضلية ضرب محمد او كثرته ونحو ذلك . ففي المصدر المؤول من التمييز بين المعاني ما ليس في المصدر الصريح .

٧ - يؤتى بالمصدر المؤول فيما ليس له مصدر صريح من الافعال كالأفعال الجامدة نحو (وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم) و (ان ليس للانسان الا ما سعى) .

٨ - قد يؤتى بالمصدر الصريح لارادة الحدث وحده دون ارادة صاحبه او ارادة زمنه نحو (الحمد لله رب العالمين) فانه يراد بالحمد مجرد الحدث لا صاحبه ولا زمنه ونحو (الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان) ونحو (هم في شقاق) و (ما يعدهم الشيطان الا غرورا) و (ما كيد الكافرين الا في ضلال) فامساك وتسريح وشقاق وغرور وضلال احداث مجردة فجيء بها مصادر صريحة ولا يراد معها اصحابها . ولو قال (وما يعدهم الشيطان الا ان يغرهم) لتغير المعنى ولو قال (وما كيد الكافرين الا في ان يضلوا) لم يكن لذلك معنى .

٩ - ايقاع الجمل المختلفة بدلالاتها المتميزة موقع المصدر في المصدر المؤول ولا يتأتى ذلك في المصدر الصريح وذلك كالجمل الفعلية والاسمية الكبرى والصغرى ، المؤكدة بطرق التوكيد المختلفة وغير المؤكدة ، المثبتة والمنفية ، بالساليب النفي المختلفة ، الشرطية وغيرها وما الى ذلك من انواع الجمل مما لا يتأتى في المصدر الصريح نحو (وأن لو استقاموا على الطريقة

لا سقيناهم ماء غدقا) و (أعلم ان لا اله الا الله) وعلمت ان محمدا ذو
مال كثير وعلمت ان محمدا ماله كثير وعلمت ان محمدا ليس له مال
وعلمت ان محمدا لا مال له وغير ذلك .

واليك مثلا يوضح كيف ان المصادر المؤولة المختلفة ذات الدلالات
المتعددة تؤول بلفظ واحد على تباينها :

- ١ - يسرني أن محمدا ضرب
- ٢ - يسرني أن محمدا يضرب
- ٣ - يسرني أن° ضرب محمد
- ٤ - يسرني أن° قد ضرب محمد
- ٥ - يسرني ان قد يضرب محمد
- ٦ - يسرني ان° محمد° ضرب
- ٧ - يسرني ان° محمد° يضرب
- ٨ - يسرني انه محمد ضرب
- ٩ - يسرني انه محمد يضرب
- ١٠ - يسرني انه قد ضرب محمد
- ١١ - يسرني انه قد يضرب محمد
- ١٢ - يسرني ان محمدا سيضرب
- ١٣ - يسرني ان سيضرب محمد
- ١٤ - يسرني انه سيضرب محمد
- ١٥ - يسرني انه محمد سيضرب
- ١٦ - يسرني ان محمدا ضارب
- ١٧ - يسرني انه محمد° ضارب

- ١٨- يسرني انه ضارب "محمد"
- ١٩- يسرني ان° محمد ضارب
- ٢٠- يسرني ان° ضارب "محمد"
- ٢١- يسرني ان محمدًا انه ضارب
- ٢٢- يسرني ان محمدًا انه لضارب
- ٢٣- يسرني أن محمدًا أنه ضارب
- ٢٤- يسرني أن محمدًا ضربًا
- ٢٥- يسرني انه محمد ضارب
- ٢٦- يسرني ان محمد° ضارب
- ٢٧- يسرني انه ضربًا محمد
- ٢٨- يسرني ان° ضربًا محمد
- ٢٩- يسرني ان محمدًا انه ضربًا
- ٣٠- يسرني ان محمدًا انه لضربًا
- ٣١- يسرني محمدًا انه ضارب
- ٣٢- يسرني ان محمدًا اضرب
- ٣٣- يسرني ان° محمد° اضرب
- ٣٤- يسرني انه محمد اضرب
- ٣٥- يسرني ان محمدًا انه اضرب
- ٣٦- يسرني ان محمدًا انه لأضرب
- ٣٧- يسرني أن محمدًا أنه اضرب
- ٣٨- يسرني انه اضرب° محمد°
- ٣٩- يسرني ان محمدًا مضروب
- ٤٠- يسرني انه محمد مضروب

ونكتفي بهذا القدر وهناك صور أخرى لهذا التعبير وهذه كلها تؤول
بتعبير واحد هو (يسرني ضرب محمد) •

وبهذا يتضح لنا ان احد المصدرين لا يغني عن الآخر ولا يسد مسده بل
لكل منهما خصائصه وغرضه •

الحروف المصدرية

في العربية حروف تسمى الحروف المصدرية وهي أن° وأن° وكي ولو وما •
ووظيفة الحرف المصدرى ايقاع الجملة موقع المفرد فتوقعها فاعلا ومبتداً
ومفعولاً به ومضافاً اليه ومجرورة بحرف الجر وغير ذلك ، تقول (أن تعدل في
حكمك خير لك من ان تجور) فأوقعت (تعدل) مبتداً اخبرت عنه ، وتقول
(يسرني ان تفوز) فجعلت (تفوز) فاعلا ، وتقول (سررت بأنك فائز) فأوقعت
(انت فائز) مجروراً بالحرف وهكذا ، ولا يتأتى ذلك لولا الحرف المصدرى •
وقد تقول : اذا كانت هذه الغاية من الحرف المصدرى فلماذا تعددت
الحروف المصدرية ؟

والجواب ان هذه الأحرف ليست متطابقة من حيث الوظيفة بل ان لكل
حرف معنى ووظيفة قد تختلف عن الآخر •

ف أن° : تدخل على الجمل الاسمية وتفيد التوكيد نحو (واعلموا أنكم
ملاقوه) بخلاف (أن°) الخفيفة الاصل فهي لا تفيد التوكيد ولذا قالوا اذا
وقعت (أن°) المشددة بعد افعال الرجحان افادت العلم نحو (قال الذين يظنون
أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) واذا وقعت الخفيفة
لم تفد ذلك تقول (اظن أن يأتي محمد) •

والمحففة من الثقيلة حرف مصدرى ايضا يدخل على ما لا تدخل عليه
المشددة كالافعال الجامدة والجمل الانشائية وغيرها نحو (وان ليس للانسان
الا ما سعى) و (وأن لو استقاموا على الطريقة) • وهي تفيد التوكيد ايضا •

أن ° الخفيفة الاصل : وتدخل على الجمل الفعلية وهي تدخل على المضارع فتصرفه الى الاستقبال غالبا نحو (اريد أن تزورني) وتدخل على الماضي نحو (هل تنقمون منا الا أن آمنّا بالله) وتدخل على الأمر نحو (وإذا انزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك اولو الطول منهم) ونحو قولنا (ناديتهم بأن اقدموا) • وقد تفيد التعليل نحو (عبس وتولى أن جاءه الاعمى) •

وقد ذكر برجشتراسر ذاك جاء في (التطور النحوي) : « وأخرجوا (أن °) عن كونها مصدرية محضة فان قولي (اريد أن تفعل ذلك) يتعدى قولي اريد فعلك ذلك في ان نصب الفعل يقرب (ان) من (كي) كأنني قلت (اريد كي تفعل ذلك) أي غرض ارادتي فعلك ذلك كما جاء في القرآن الكريم (انما يريد الله ليعذبهم بها) • فالجمل المصدرية النائبة عن مفعول فعل من افعال الارادة والطلب وما يشاكلها تقترب من الجمل الغرضية في جوهر معناها » (٧) •

غير أنني اخالفه في المثال الذي ذكره (اريد أن تفعل ذلك) فهذا لا يفيد التعليل • ولا شك انه يعني بالغرض التعليل خصوصا وانه نظرًا لها بكى ، اما اذا كان يقصد بقوله (غرض) المعنى العام فان كثيرا من المفعول به غرض فاذا قلت (اريد كتابا) كان الكتاب غرضا واذا قلت (اود لقاءه) كان اللقاء غرضا بهذا المعنى •

وقد وردت (أن °) للتعليل كثيرا في القرآن الكريم وذلك نحو قوله (ولا يجز منكم شأن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا) أي لان صدوكم ، وقوله (تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون) وقوله (وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولدا) •

وقد تقول : ان معنى التعليل لم يأت من (ان °) وانما هو من الحرف المقدر اللام او غيره •

وأقول : اذا كان بالامكان تقدير حرف يفيد التعليل في قسم من الامثلة فقد يمتنع في قسم آخر ، فمما يصح فيه تقدير حرف يفيد التعليل قوله تعالى (عسى وتولى ان جاءه الاغصى) أي لان جاءه .

ومن الثاني قوله تعالى (اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله) فلا يصح ابدال (كي) او (اللام) بها فلا يصح للمعنى نفسه ان تقول (اتقتلون رجلا كي يقول ربي الله) أو (ليقول ربي الله) واللام عندهم على تقدير (أن) .
فمعنى الآية أتقتلونه لأنه يقول ربي الله ومعناها باللام أو بكى اتقتلونه حتى يقولها ، فمعناها بـ (أن) انه يقولها ومعناها بكى وباللام انه لا يقولها .
ومثله قوله (يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) وهي كالأية السابقة .

وقد تقول : انه يصح ان نقول (اتقتلون رجلا لأن يقول ربي الله) للمعنى نفسه او قريب منه فأقول : ان ذكر (أن) يؤدي معنى لا يؤديه حذفها وابدالها غيرها ، فاللام عندهم على تقدير (أن) ومع ذلك اذا حذفت (ان) وجئت باللام تغير المعنى في نحو هذا ، فذكر (أن) يفيد نوعا من التعليل لا يفيد حذفها .

وهي تستعمل للتعليل مع الفعل الماضي بدلا من كي أو اللام لان هذين الحرفين لا يياشران الفعل الماضي وذلك نحو (افنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين) والنحاة يقدرون اللام في نحو هذا .

والخلاصة انها استعملت في التعليل كثيرا في الماضي والمضارع بدون حرف يفيد العلة ، ثم ان التعليل بها قد يختلف عن التعليل بكى او اللام .

هذا من ناحية التعليل . واما من ناحية الزمن فانها تصرف الزمن للاستقبال غالبا . ومن غير الغالب قوله تعالى (وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه) فهذا ليس نصا في الاستقبال بل يشمل الحال ايضا وكقوله تعالى (تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون) وهم لا يجدون ما ينفقون في

الحال • ونحوه قوله (فلعلك تارك) بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك
أن يقولوا لولا انزل عليه كنز) ف (أن يقولوا) ليس نصا في الاستقبال بل
هو يفيد الحال وما قبل الحال ايضا لأن هذا القول صدر منهم قبل نزول الآية ،
وكقوله (والقي في الارض رواسي ان تميد بكم) وهي لا تميد لا في الحال ولا
في الاستقبال الا ان يشاء الله • وقوله (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا
ان يقولوا ربنا الله) وهم اخرجوا لأنهم قالوا ذلك ومستمرون على قوله ايضا
وقوله (فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات
والارض) والمقصود بـ (ألا يسجدوا) الحال •

ومثله قوله تعالى (اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله) وقوله (يخرجون
الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) وقوله (وما تقموا منهم الا أن يؤمنوا
بالله العزيز الحميد) وان كل ذلك ليس فيه تنصيص على الاستقبال ونحوه
(ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي) وهو لم يسجد في الماضي ، وقوله (ومن
آياته ان تقوم السماء والارض بامرہ) وهما قائمتان بامرہ لم تزالا ولا تزالان •
غير أنه يمكن ان يقال ان اغلب ما ذكرنا يفيد الاستمرار الذي منه
الاستقبال فتكون دلت على الاستقبال ضمنا لا تنصيحا ، ولا ينطبق هذا
على نحو قوله تعالى (الا يجدوا ما ينفقون) فيما احسب فان هؤلاء قد
يجدون في الاستقبال ما ينفقون والله اعلم •

ما : و (ما) تدخل على الفعل المتصرف في الغالب ماضيا كان او مضارعا
نحو قوله تعالى (ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا
يوم الحساب) وقوله (وانا بريء مما تجرمون) أي من اجرامكم • وقوله
(لتجزى كل نفس بما تسعى) أي بسعيها • وقد تدخل على غير ذلك قليلا
نحو (بقوا في الدنيا ما الدنيا باقية) وقوله :

اعلاقة ام الوليد بعد ما افنان رأسك كالشغام المخلص

وقيل : (ما) كافة لـ (بعد) عن الاضافة (٨) •

(٨) انظر الرضي على الكافية ٤٢٨/٢ ، المغني ٣١١/١ •

وهي اذا دخلت على الفعل المضارع افادت الحال^(٩) نحو (سبحانه وتعالى
عما يصفون) ونحو (فذرهم وما يفترون) •

وقد تكون زمانية نحو قوله تعالى (وانا لن ندخلها ما داموا فيها) أي
مدة دوامهم فيها وقوله (فاتقوا الله ما استطعتم) أي مدة استطاعتكم على احد
التقديرين •

وقد ذكر برجستراسر أن التطابق كثير بين أن° وأن° وما ، قال : « واذا
تساءلنا عن الفرق بين أن وان وبين (ما) مع صرف النظر عن الحالات التي تقي
فيها (أن) بوظيفة خاصة بها فتعمل في نصب الفعل وجدنا أن التطابق بينها كثير
مثاله من القرآن الكريم (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة) و (ذلك بما عصوا)
فأن و (ما) معناهما واحد ومنه (من بعد ما جاءهم العلم) و (من بعد أن نزع
الشیطان بيني وبين اخوتي) وعلى العموم ف (ما) اندر كثيرا من (ان) و (ان°)
ويقل استعمالها تدريجيا مع تطور اللغة العربية غير أنها احتفظت بها في بعض
الاحوال نحو- (قل ما وجد مثل ذلك) وطالما وبئس ما ... •

وقد تميز العربية بين ان وان وبين (ما) في المعنى واشهر مثال لذلك هو
الفرق بين كأن وكان° وبين (كما) فكأن وكان° تفيدان فرض كون الشيء غير
ما هو عليه في الحقيقة وكما تفيد التشبه والتمثيل الحقيقي مثال ذلك (وأذ
نتقتنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) والجبل لم يكن ظلة او مثل ظلة بل كان ضدها
في المتانة والرسو • والمعنى لو كان الجبل كظلة لكان تتقه ورفع وزلزلته
قريبا من الاحتمال فلأنه لم يكن كظلة كان تتقه من المعجزات • (كما) مثل
(آمنا كما آمن الناس) يعني ايماننا مثل ايمانهم «^(١٠) •

والحق انه ليس ثمة تطابق بين هذه الاحرف فأن° تفيد التوكيد وأما
(أن°) و (ما) فيبينهما اوجه اختلاف منها :

(٩) انظر التصريح ٦٢/٢ ، الهمع ٩٢/٢ •

(١٠) التطور النحوي ١٢٦ - ١٢٧ •

١ - ان (أن) تفيد الاستقبال في الغالب و (ما) تفيد الحال وذلك اذا دخلتا على الفعل المضارع فمن ذلك قوله تعالى (اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم) ف (يبسطوا) المقصود به الاستقبال ولو قال (ما يبسطون) لكان للحال . وقوله (هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا) أي شريطة ان تعلمني فالتعليم في المستقبل ، ولو قال (على ما تعلمني) لكان المقصود به الحال ، وقوله (ساء ما يعملون) ولو قال (ان يعملوا) لكان للاستقبال ومنه (فذرهم وما يفترون) و (وانا بريء مما تجرمون) فهذه كلها للحال بعكس أن .

٢ - ان (ما) قد تكون زمانية بخلاف (ن) وذلك نحو قوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقوله (واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا) وقولك (انت مفلح ما تفعل الخير) أي مدة فعلك الخير .

٣ - ان (ما) تكون اسما موصولا وتكون حرفا مصدريا ايضا وفي قسم من التعبيرات يحتمل الكلام المعين فيكون من باب التعبير الاحتمالي الذي له نظائر في العربية وذلك نحو (ساء ما يعملون) فقد يحتمل المعنى ساء عملهم وساء الذي يعملونه . وقوله (وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك) فالمعنى يحتمل ادع ربك بعهد عندك ويحتمل بالذي عهد عندك ، ونحوه قوله (قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) فهذا يحتمل ياليت قومي يعلمون بمغفرة ربي لي ويحتمل انه ياليتهم يعلمون بالشيء الذي غفر لي به ربي .

ونحوه ان تقول (صبرت على ما كذبتني) فالمعنى يحتمل : صبرت على تكذيبك لي ويحتمل : صبرت على ما كذبتني به اي الشيء الذي كذبتني به ونحوه ان تقول (صدق ما عاهد الله) فهذا يحتمل انه صدق عهد الله ويحتمل صدق ما عاهد الله عليه اي صدق الشيء الذي عاهد الله عليه اما (أن) فلا تكون الا مصدرية . وبذا تكون (ما) قد تؤدي اكثر من معنى احيانا .

٤ - ولكون (ما) كذلك أي انها قد تكون مصدرية وقد تكون اسما موصولا وقد تحتل المعنيين احيانا لذا يؤتى بـ (أن) اذا اريد التنصيص على المصدر وبخاصة اذا كان مجيء (ما) قد يصرف الكلام الى معنى آخر وذلك نحو قوله تعالى (ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم) فلوا بدلت (ما) بـ (أن) لكان المعنى انهم لا يودون ما ينزل عليكم أي لا يودون الخير النازل عليكم من الله . وكقوله تعالى (عبس وتولى ان جاءه الاعمى) أي لمجيء الاعمى ولو قلت : عبس وتولى لما جاءه الاعمى او بما جاءه الاعمى لكان المعنى عبس للشيء الذي جاء به الاعمى ، ولم يأت الاعمى بشيء وانما عبس لمجيئه لا لشيء جاء به ، ولو قال (عبس وتولى ما جاءه الاعمى) لكان المعنى انه عبس وتولى كلما جاءه الاعمى . وكلا المعنيين غير مراد .

ونحوه قوله تعالى (وما تشاؤون الا ان يشاء الله) والمعنى انكم لا تشاؤون الا بمشيئة الله اي الا اذا شاء الله ولو قال (وما تشاؤون الا ما يشاء الله) لكان المعنى انكم لا تشاؤون الا الشيء الذي يريده الله ويشاؤه . وهذا غير مراد ولا يصح .

٥ - الاصل في مصدر (ما) ان يكون مخصوصا وفي مصدر (أن) ان يكون لارادة مجرد الحدث وهذا فرق رئيس بين استعماليهما ولذا لا يحسن وضع احدهما مكان الاخرى احيانا فمثلا قوله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) يصح فيه تأويل (مما قضيت) بمصدر فتقول (ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا من قضائك) ولكن مع ذلك لا يحسن وضع (أن) مكان (ما) فلا تقول (ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا من ان قضيت) لان المعنى سيكون عند ذاك : عليهم الا يجدوا في انفسهم حرجا من كونك تقضي او من مبدأ أنك تقضي ، وليس هذا المقصود وليس في انفسهم حرج من ذلك بل المقصود أن عليهم ان يرضوا بما يقضي ولو كان لا

يوافق هواهم ورغبتهم ليس في انفسهم حرج من ذلك لا من مجرد أن يقضي ، فيكون مصدر (ما) مخصوصا . وقد يراد بـ (ما قضيت) المقضي به أي اسم موصول .

ونحوه قوله سبحانه (سبحانه وتعالى عما يصفون) فانه يصح تأويل (عما يصفون) بـ (عن وصفهم) غير أنا لو ابدلنا (أن°) بـ (ما) لوجدنا أن المعنى يختلف فلو قلت : (سبحانه وتعالى عن ان يصفوا) لكان المعنى تنزيه الله عن مجرد الوصف ، وليس هذا المقصود اذ لا شك ان الله له الصفات العليا وانما المقصود تنزيهه عن الوصف الباطل والصفات التي لا تليق به سبحانه ، ويحتمل ان تكون (ما) اسما موصولا أي عما يصفونه به من الصفات الباطلة .

ونحوه قوله (افتهلكنا بما فعل المبطلون) وهذا يحتمل ان المعنى : افتهلكنا بفعل المبطلين ومع ذلك لا يصح ابدال أن بـ (ما) فلا تقول : افتهلكنا بأن فعل المبطلون . فإن الاول فعل مخصوص وهو الذي يؤدي الى الاهلاك اما الثانية فيكون المعنى اتهلكنا لان المبطلين فعلوا ولا ندري ما فعلوا ، فالفعل الاول مخصوص معلوم بخلاف مصدر أن . ويحتمل ان تكون (ما) اسما موصولا ايضا .

ومثله قوله تعالى (وضائق عليهم الارض بما رحبت) والمعنى برحبتها ولو قلت (بأن رحبت) لكان المعنى انها ضاقت عليهم بكونها رجة وهو معنى متناقض أو غير مراد . ونحوه قوله تعالى (لا تؤاخذني بما نسيت) والمقصود به نسيان مخصوص وهو العهد الذي بينهما ولو قال (بأن نسيت) لا حتمل المعنى انه آخذه بمبدأ النسيان أي آخذه لكونه نسي اي لمجرد حصول النسيان عنده .

ونحوه قوله تعالى (لتجزى كل نفس بما تسعى) أي بسعيها ولو ابدلت (ان) بها فقلت (لتجزى كل نفس بأن تسعى) تغير المعنى واصبح انها تجزى لانها تسعى ، فالاولى سعي مخصوص تجزى به ان كان خيرا

فخير" أو شرا فشر • والثانية انه مطلق السعي فهي تجزى لانها تسعى وليس فيها المعنى الاول •

ونحوه قوله تعالى (ربكم اعلم بما لبثتم) أي بلبثكم والمقصود به زمن لبثكم ومدته ولو قال (ربكم اعلم بأن لبثتم) لكان المعنى ان ربكم يعلم بأنكم لبثتم وهذا غير مراد فالاولى لبث مخصوص بخلاف الثانية •
فمصدر (ما) مخصوص محدود بخلاف مصدر (أن) فانه لمجرد الحدث وهذا فرق رئيس بينهما كما ذكرت •

٦ - ثم ان التعليل قد يختلف بينهما من جهة اخرى وذلك ان تقول مثلاً (عاقبتك بما ذهبت الى القرية) أي عاقبتك بسبب ذهابك ولو قلت (عاقبتك بأن ذهبت الى القرية) احتمل هذا المعنى واحتمل أنه عاقبه بالذهاب أي جعل ذهابه هو العقوبة • ونحوه ان تقول (لقد جزاك الله بما كنت من المصلحين) و (جزاك الله بأن كنت من المصلحين) فالاولى معناها انه جزاك بسبب كونك من المصلحين والثانية تحتل السببية وتحتمل انه جزاه بأن جعله من المصلحين ، فالجزاء هو جعله من المصلحين •

٧ - ان (ان) تستعمل للتعليل كما ذكرنا بخلاف (ما) وهي تقوم مقام حرف التعليل مع الافعال الماضية وذلك نحو (وتخر الجبال هذا أن دعوا للرحمن ولدا) وقد تقول ان (ما) وردت للتعليل ايضاً نحو (لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) وقوله (اني جزيتهم اليوم بما صبروا) •
غير أن (ما) لم تأت للتعليل الا مع حرف يفيد التعليل اما (أن) فهي حيث وردت للتعليل منزوعة من حرف التعليل في القرآن الكريم الا في نحو قوله تعالى (لئلا يعلم اهل الكتاب) •

٨ — التشبيه بـ (ما) يختلف عن التشبيه بـ (أن) وذلك نحو قولك (اضرب
كما ضرب خالد) أي ان خالدًا ضرب فاضرب انت كضربه ، ولو قلت
(اضرب كأن ضرب خالد) لكان المعنى اضرب كأن خالدًا ضرب ولا
يدل على ان خالدًا ضرب فتريد ان يضرب مثله وانما المعنى اضرب كأن
الضارب خالد • ونحوه قوله تعالى (فاستقم كما امرت) ولو قال
(فاستقم كأن امرت) لكان المعنى استقم كأنك امرت ولم يفد انه مأمور
حقيقة • الى غير ذلك من اوجه الخلاف •

كي : ويفيد التعليل نحو جئت كي استفيد جاء في (لسان العرب) :
« كي حرف من حروف المعاني ينصب الافعال بمنزلة (أن) ومعناه العلة لوقوع
الشيء كقولك : جئت كي تكرمني ••

الجوهري : واما (كي) فجواب لقولك : لم فعلت كذا فتقول : كي
يكون كذا وهي للعاقبة كاللام « (١١) •

وعند بعضهم انها لا تفيد التعليل وانما التعليل من اللام المقدرة فاذا
قلت : جئت كي استفيد فاذا قدرت (كي) مصدرية وجب تقدير اللام قبلها
أي جئت لكي استفيد واللام تفيد التعليل (١٢) •

والراجح أنها للتعليل كما هي في الجارة •

لو : وهي للتمني ولذا كثر وقوعها بعد ما يفيد التمني نحو (ودّ) وما
في معناها قال تعالى (ودوا لو تدهن فيدهنون) • جاء في (الكشف) في
قوله تعالى (ودوا لو تدهن فيدهنون) : « فان قلت : لم رفع فيدهنون ولم
ينصب باضمار أن وهو جواب التمني ؟ قلت : قد عدل به الى طريق آخر » (١٣) •

(١١) لسان العرب ١٠١/٢٠ •

(١٢) المغني ١٨٢/١ •

(١٣) الكشف ٢٥٧/٣ وانظر جواهر الادب ١٥٦ •

ولذا اذا لم يقصد معنى التمني بعدود فلا يؤتى بها قال تعالى (ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت) قال : « وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم » بخلاف قوله (وودوا لو تكفرون) وقوله (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتُمون الله حديثا) •

مراجع البحث

- ١ - الاشباه والنظائر لجلال الدين السيوطي •
- ٢ - بدائع الفوائد لابن القيم - المطبعة المنيرية - مصر •
- ٣ - التطور النحوي - برجستراسر - مطبعة السماح - مصر •
- ٤ - جواهر الادب في معرفة كلام العرب للامام علاء الدين بن علي الاربلي ، المطبعة الحيدرية بالنجف ١٩٧٠ •
- ٥ - حاشية الصبان على شرح الاشموني - دار احياء الكتب العربية •
- ٦ - حاشية يس العليمي على التصريح - دار احياء الكتب العربية •
- ٧ - شرح الرضي على الكافية - مطبعة الجوائب •
- ٨ - الكشف للزمخشري •
- ٩ - لسان العرب لابن منظور - نسخة مصورة عن طبعة بولاق •
- ١٠ - المغني لابن هشام - تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد •

معوقات مشاركة المرأة في عملية التنمية

الدكتور عادل عبدالحسين شكاره
كلية الآداب - جامعة بغداد

المحتويات

الفصل الاول : في تحديد المفاهيم الاساسية

- ١ - هدف البحث
- ٢ - مشكلة البحث
- ٣ - الفرضية الاساسية
- ٤ - تحديد المفاهيم التالية :
- أ - مفهوم المعوقات
- ب - مفهوم المشاركة
- ج - مفهوم التنمية

الفصل الثاني : المعوقات الاساسية التي تقلل من زيادة مشاركة المرأة في عملية التنمية .

اولا : معوقات تكمن في طبيعة الانساق الاجتماعية والاقتصادية التقليدية السائدة في المجتمع

- ١ - نظم الاسرة
- ٢ - النظم السياسية
- ٤ - النظم الدينية والتشريعية والقضائية
- ٥ - النظم التربوية والتعليمية

ثانيا : المعوقات في الاطار الثقافي للمجتمع

- ١ - المعوقات الثقافية
- ٢ - المعوقات الاقتصادية
- ٣ - المعوقات الاجتماعية

الفصل الثالث : الاساليب النظرية والعملية لزيادة مساهمة المرأة في عملية التنمية .

اولا : الاساليب النظرية .

ثانيا : الاساليب العلمية .

الفصل الاول

في تحديد المفاهيم الاساسية

هدف البحث :

يستهدف هذا البحث تحليل واقع المرأة العراقية سواء منها العريضة والكردية والتركمانية وبقية الاقليات الاخرى ، وتشخيص المعوقات التي تحد من مشاركتها في عملية التنمية بشكل فعال في اغلب نشاطات المجتمع من اجل الوصول الى افضل الصيغ التي من شأنها ان تزيد من مساهمتها والانتفاع من طاقاتها التي تمثل نصف المجتمع فبقاء هذا المورد البشري بمعزل عن الاستخدام الامثل والاستفادة من طاقته يعرقل عملية التنمية ويحد من مسيرتها .

مشكلة البحث :

ان تزايد اهمية دور المرأة في عملية التنمية التي يشهدها القطر يتطلب دراسة اوضاعها ومدى مشاركتها وتحديد معوقات مساهمتها في هذه المسيرة مع وضع الحلول اللازمة للقضاء على هذه الاثار السلبية .

ان المرأة في القطر العراقي تمثل نصف مجموع السكان ولكن المشكلة تكمن في عدم الاستفادة من طاقاتها الكامنة بالنظر لظروف نابعة من طبيعة المجتمع نفسه .

وعليه فان معالجة هذه المشكلة يتم عن طريق تغيير اوضاع طبيعة المجتمع من اجل الاستفادة من طاقاتها في عملية التنمية .

الفرضية الاساسية في هذا البحث :

(هي في وجود علاقة طردية بين تغيير المجتمع ودور مشاركة المرأة في هذا المجتمع) .

فأن اي تغيير في طبيعة بنية المجتمع سيؤدي بالتالي الى تغيرات متلاحقة في طبيعة تغيير دور المرأة ومدى مشاركتها في عملية البناء •

ان تحقيق هذه الفرضية يعتمد بالاساس (على طريقة التغير النسبي)^(١) وهي بوجود صلة بين العلة والمعلول ، اي ان بين اي حادثتين او ظاهرتين احدهما تكون علة والاخرى معلولا تلازما ، بحيث ان اي تغيير في العلة يؤدي الى تغيير مواز في المعلول •

وعلى هذا الاساس فان اي تغيير في طبيعة المجتمع سيؤثر على تغيير دور المرأة ومشاركتها في عملية التنمية •

تحديد المفاهيم الاساسية

ان تحديد المفاهيم في العلوم الطبيعية يكون من السهولة بمكان ، لانه يمكن ملاحظة الظواهر وقياسها قياسا كيا ، وتسجيلها موضوعيا ، ولكن في العلوم الاجتماعية تكمن صعوبة تحديد مفاهيم المجتمع التي تختلف من زمن لآخر ومن مكان لآخر ، وحتى اذا كانت في نفس المكان والزمان •

لا شك ان المفهوم الاجتماعي يخضع لتأثير المدارس الفكرية والايديولوجية المختلفة ، لهذا يتطلب من الباحث الكشف عن الترابطات والتأثيرات المتداخلة لبعض المفاهيم ، لكي يصل بالنهاية لتحديد ذلك المفهوم الذي يستخدمه لاهداف البحث العلمي •

(١) انظر تفصيلات تحقيق الفروض في كتاب :

W. J. Good, P.K. Halt, Method in Social Reaserch, Ch. 7

(Testing the Hypothesis), 1952, pp. 74—91.

لقد ايد علماء الاجتماع ظاهرة التداخل والالتباس في استعمال المفاهيم الاجتماعية ، وتعذر على بعض الباحثين تقديم مصطلح او مفهوم واحد متفق عليه لكي يستخدم كأداة لتحديد الظواهر الاجتماعية .^(٢)

لهذا لا بد لنا في بداية هذا البحث ان نحدد بعض المفاهيم الاساسية الواردة هنا مع شعورنا بضرورة تحديد بعض المفاهيم الاخرى ، ولكن قد جرى العرف الاكاديمي على الغالب عند بعض الباحثين ان يقتصر على تحديد المفاهيم الاساسية التي لها صلة وثيقة بالعنوان الوارد في البحث ولهذا سيكون تركيزنا على المفاهيم التالية :

Obstacle

اولا : مفهوم المعوقات :

تواجه التنمية معوقات كثيرة تقلل من مسيرتها في تحقيق الاهداف المرجوة منها .

مفهوم المعوق بصورة عامة انه الحاجز او العائق المادي الذي يحول دون تحقيق الاهداف ، ولكن لا يعني ذلك ان العوائق المادية هي الاساس على اعتبار انها مرئية وظاهرة للعيان ، وذلك لان العوائق الاجتماعية تكون اغلب الاحيان مهمة حيث يظهر بجانب المعوقات المادية ، اتجاهات سلوكية تتحكم في استغلال واستثمار الوسائل المادية المتواجدة ، ولهذا يمكن القول انه بالامكان السيطرة على العوائق المادية بتوفير كل شيء بسهولة ويسر ، ولكن العوائق الاجتماعية الناجمة عن تراكمات تراثية سابقة ، لا تتغير بنفس السهولة وهي تكون اكثر صلابة امام المخططين خاصة عندما تتحجر وتكون كطبقة

(٢) انظر : نيقولا تيماشيف ، نظرية علم الاجتماع ، ترجمة الدكتور محمد عودة (وآخرين) (الطبعة الاولى ، دار المعارف بمصر ١٩٧٠) ص ٥٣٥ .

Giezerman, G., The Laws of Social Development (Translated from Russian, Publishing House, Moscow) pp. 184—185.

لقد اشار جيزرمان الى ان الالتباس بين المصطلحات يكون حتى في اعلى المستويات الاكاديمية العليا ، وحتى في الندوات العلمية كما اثرت مثل هذه المواضيع في الندوة العلمية لعلم الاجتماع لاقطار العالم الثالث .

واقية امام اي تغيير واصلاح اذا لم يكن ذلك الاصلاح شاملا وعلميا ومدرسا
بعناية .

وهناك مفهوم اخر قد يلتبس مع المعوق وهو مفهوم التحدي
(Challenge) ، فعندما تتبلور معوقات التنمية واذا لم تعالج معالجة
علمية على احداث التغير الاجتماعي المقصود ، تكون انذاك مناهضة حضارية
تواجه المخططين في مجال التخطيط والتنفيذ ، اذن التحدي هو نتيجة المعوقات
غير المدروسة دراسة علمية ، فهو اكبر وواسع .

ثانيا : المشاركة او المساهمة : Participation

يحتل مفهوم المشاركة مكانا مرموقا عند المشتغلين بعملية التنمية
والتخطيط . وهو يختلف باختلاف النظم والمجتمعات .

يدل معنى المشاركة او المساهمة على التعاون في اي وجه من وجوه
النشاط ، يستخدم هذا المفهوم في مجالات العلوم الاجتماعية المختلفة ، فعند
الاقتصاد يعني المشاركة في الارباح وادارة المشروع ، وفي السياسة يعني
اشتراك المواطنين في مناقشة الامور العامة بطريقة مباشرة او غير مباشرة اما
في علم الاجتماع فمفهوم المشاركة واتساعها يرتبط مع المشاركة الاجتماعية ،
اي كلما ارتفعت المستويات التعليمية والمعيشية والمهنية ودرجة الاستقلال
في المراكز الاجتماعية (اي عدم التبعية) تكون المشاركة اوسع ، حيث يكون
الانتماء الثقافي والمهني للمنظمات والاتحادات لتدفع اعضاءها الاشتراك في
الحياة العامة وتحديد المواقف منها^(٤) .

(٣) انظر : الدكتور وفيق اشرف حسونة ، التخطيط للتنمية الاجتماعية في
الوطن العربي (من سلسلة المذكرات للمعهد التخطيط القومي في الجمهورية
العربية المتحدة ، رقم ١٦٠ ، سنة ١٩٧١) ، ص ٥٣ - ٥٤ .

(٤) معجم العلوم الاجتماعية ، اعداد نخبة من الاساتذة المصريين والعرب
المتخصصين ، القاهرة سنة ١٩٧٥ ، مادة (مشاركة) ص ٥٤٥ . لا بد
من الاشارة ان قانون المشاركة الذي انتهى اليه ليفي بريل من العقلية
البدائية لا يخضع لمبدأ عدم التناقض بل يحل محله قانون المشاركة
البداثي .

لقد اكدت اغلب البحوث في الحلقات العلمية الى ضرورة الاهتمام بالمشاركة واسهام الناس في عملية التنمية ، على اعتبار ان التنمية هي من الناس واليههم ، فالمشاركة ضرورية لانجاز المشاريع ، فخطط التنمية لا يمكن ان تسير بوضعها الصحيح من دون مشاكة ومساهمة الافراد^(٥) يقول (شارل تبلهايم) ان نجاح التنمية يتوقف على مدى مشاركة الجماهير في سبيل تنفيذ الاهداف ، وقد اعطى اهمية للكادر السياسي في تفتح المبادرات الشعبية وكيفية مسانداتها . بكل الطرق من اجل انجاح عملية التغيير المطلوب^(٦) .

يتضح من هذا ضرورة المشاركة وان سبل تطويرها تعتمد على مقدار توفر المناخ الاجتماعي من الخدمات الاجتماعية المختلفة مع ضرورة التخطيط من قبل الكادر السياسي لتطوير هذه المشاركة .

ثالثا : التنمية :

تمثل قضية التنمية مكانا بارزا في الفكر الاجتماعي والاقتصادي ، ومنذ الحرب العالمية الثانية اخذ المفكرون الاجتماعيون على اختلاف تخصصاتهم في الاهتمام بموضوع التنمية محاولين تحديد مفهومها وابعادها ، ولا شك ان لهم الفضل الكبير في ارساء كثير من الاسس النظرية .

ولكن تحديد مفهوم التنمية شأنه شأن بقية المفاهيم الاجتماعية الاخرى . فيه كثير من الصعوبة لتعدد الاتجاهات والتخصصات ويمتزج هذا المفهوم ببقية المفاهيم الاخرى كالتقدم والتطور والتغيير .

فمفهوم التقدم كما يظهر لاول وهلة ان هناك مراحل متعاقبة وقد استعمل هذا المفهوم في البداية في الفكر الفلسفي ، ثم استعمل مفهوم التطور وهو اكثر موضوعية من المفهوم الفلسفي السابق في الفكر الفلسفي ، وقد تأثر هذا

(٥) وزارة التخطيط ، الدائرة التربوية والاجتماعية ، وقائع الحلقة الدراسية . في التخطيط الاقليمي والتنمية الاجتماعية ، بغداد ١٩٧١ ، ص ٥٣ .

(٦) شارل تبلهايم ، التخطيط والتنمية (ترجمة الدكتور اسماعيل صبري . عبدالله ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٦) ، ص ٦٢ .

المفهوم بالمشابهة بين الكائن الحي والمجتمع ، ثم ان هذا التطور يكون غير مخطط او مسيطر عليه ، وبعد هذا ظهر مفهوم التغير خاصة عند علماء الاجتماع وهو يمثل اكثر موضوعية عن مفهوم التطور - فقد ركز مفهوم التغير على دراسة التحولات التي طرأت على المجتمعات بصورة اكثر وضعية من التقدم والتطور ، وظهر هذا المصطلح نتيجة الانتقادات التي وجهت لنظريات التقدم والتطور (٧) .

اما مفهوم التنمية ، فهو الاخر فيه اختلاف بشأن تحديد مفهومه ولهذا يتعذر وضع مفهوم واحد ، حتى ان الاختلاف في تحديد مفهومه يظهر عند انعقاد المؤتمرات العلمية (٨) .

لا ريب ان اختلاف تحديد هذا المفهوم يرجع لاسباب عدة ، منها اختلاف اراء العلماء باختلاف تخصصاتهم ، اضافة الى اختلاف الايديولوجيات ، فالايديولوجية الرأسمالية ، تختلف في تحديد هذا المفهوم عن الايديولوجية الاشتراكية ، وكذلك فان اختلاف طبيعة المجتمعات فيما بينها يساعد على ظهور مفاهيم قد تلائم طبيعتها الاجتماعية والحضارية ، فالمجتمعات النامية لها مشاكلها الاجتماعية والاقتصادية الخاصة التي تختلف عن المجتمعات المتقدمة .

مع هذا فهناك تعاريف متعددة يمكن ايجازها بما يلي من اجل الوصول الى تعريف اجرائي في هذا البحث .

(٧) انظر تفصيل ذلك في كتابنا ، نظرية هوبهاوس في التنمية الاجتماعية ص ٦٩ - ص ٩٥ .

(٨) انظر : احمد خليفة ، مؤتمر التنمية الاجتماعية للبيئات الصحراوية (وزارة الشؤون الاجتماعية ، الادارة العامة للتخطيط ، القاهرة ، سنة ١٩٦٦) ، ص ٢٤ .

(٩) الدكتور احمد الخشاب ، الطريق الصعب طريق التنمية (القاهرة : مكتبة الوعي العربي بلا سنة) ص ٢٤ .

تؤكد بعض التعاريف على ان التنمية عبارة عن تغير حضاري في طبيعة المجتمعات تتناول افاقا واسعة تهدف خدمة الانسان بتوفير الحاجات الضرورية^(٩) .

بينما تعاريف اخرى تركز على الجهود ، اي انها نوع من العمل الاجتماعي لخدمة المجتمع^(١٠) هذا التعريف اقرته هيئة الامم المتحدة حيث اشارت في احدي تقاريرها بانها الجهود المبذولة من قبل المواطنين والحكومة في سبيل تحسين احوالهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في المجتمعات المحلية ، لتسهيل اندماج هذه المجتمعات في حياة الامة والمساهمة في تقدمها بقدر الامكان^(١١) .

ان اهم ميزة للتنمية حسب المنظور الاشتراكي ، التأكيد على الشمول والعلمية والحساب الدقيق لكل مرحلة من مراحل التنمية ولهذا فالتنمية عندها تستهدف احلال التغير المتوازن في الانشطة والميادين عامة وفق حسابات علمية دقيقة تمثل بالنسبة لكل مرحلة انتقالا جديدة على طريق تحقيق المجتمع المنشود^(١٢) .

من هذه التعاريف المختلفة نرى ان التنمية هي التغير الاجتماعي المخطط ، او هي الصيرورة الاجتماعية ، ونقصد بها التغير الاجتماعي والاقتصادي المخطط ، او بعبارة اخرى تغير الواقع الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع المراد تنميته .

ولا بد من القول هنا ان التنمية الاجتماعية لها اهميتها ، فالغاية من التنمية اولا واخرا هو تنمية بشرية ، اما الجانب المادي فهو ليس الا وسيلة .

(١٠) صلاح مصطفى الفوال ، البداوة العربية والتنمية ، (مكتبة القاهرة الحديثة سنة ١٩٦٧) ص ٢٣ .

(١١) United Nations Document E/2931-Twentieth Report of Administrative Committee on Coordination to the Economic and Social Council, 1959, Annex 3, p. 2.

(١٢) سلسلة الثقافة الثورية ، سياسة التنمية في العراق ، سلسلة (٣٠) ص ٤ .

الفصل الثاني

المعوقات الاساسية التي

تقلل من زيادة مشاركة المرأة في عملية التنمية

تمثل المرأة نصف الثروة البشرية في العالم العربي ، وان مشاركتها في عملية التنمية تعود فوائدها عليها وعلى اسراتها وعلى مجتمعا بأسره .

ان مشاركة المرأة بصورة ايجابية وفعالة داخل البيت وخارجه سوف تحقق التقدم للمجتمع من الناحية الاجتماعية والاقتصادية ، ولكن مدى هذه المشاركة في اطار المجتمع العربي ككل هي في الحقيقة دون المستوى المطلوب حتى انه في بعض اجزائه تكون مشاركتها بصورة محدودة للغاية (١٣) .

من الملاحظ ان اكثر التقارير والبحوث العلمية يؤكد على جانبين الاول طبيعة النظم والانماط الاجتماعية التقليدية السائدة في المجتمع ، والثاني هو طبيعة الاطار الحضاري او الثقافي للمجتمع . عند دراسة معوقات التنمية اضافة للعوامل المادية .

لقد اكد التقرير في مؤتمر تنمية العالم الثالث على ان النواقص المادية ليست هي الاساس ، وانما هناك طبيعة المؤسسات والنظم الاجتماعية من جهة والايضاح الاجتماعية والنفسية من قيم وعادات وتقاليد وغيرها من جهة اخرى (١٤) .

(١٣) د . نجاه المرس سنباري ، تعليم المرأة وعلاقته باحتياجات العالم العربي من القوى العاملة (بحث مقدم لمؤتمر قضايا تنمية الموارد البشرية في الوطن العربي ، الكويت سنة ١٩٧٥ ، المنشور في مجلة الاداب ، (سورية) العدد الاول سنة ١٩٧٦ . ص ٨٩ .

(١٤) رونالد روبنسون ، تنمية العالم الثالث ، ترجمة عبدالحميد الحسن ، دمشق سنة ١٩٧٣ . ص ٧٦ .
لقد عقد مؤتمر كمبردج حول التنمية في ايلول سنة ١٩٦٥ .

ولهذا سيكون تركيزنا لدراسة معوقات مشاركة المرأة في التنمية على ناحيتين هما :

١ - دراسة معوقات الانساق والنظم الاجتماعية والاقتصادية التقليدية في المجتمع .

٢ - الاطار الحضاري (الثقافي) للمجتمع .

اولا : معوقات تكمن في طبيعة الانساق الاجتماعية والاقتصادية التقليدية السائدة في المجتمع :

لقد اعتاد علماء الاجتماع والاتروبولوجيا لتحليل طبيعة البناء الاجتماعي لاي مجتمع (باعتباره نسقا متماسكا) على دراسة النظم الاجتماعية المختلفة وبمعنى اخر ان داخل كل نسق هناك عدد من النظم الاجتماعية ، فمثلا النسق الاقتصادي يشتمل على عدد من النظم الاجتماعية تتركز حول النشاط الاقتصادي مثل نظام تقسيم العمل ونظام الملكية ، وهكذا الانتاج والاستهلاك والتبادل والنقود .. الخ . ولهذا فان دراسة النظم الاجتماعية في كل نسق من هذه الانساق التي يتألف منها المجتمع تساعدنا على اعطاء صور شاملة لدراسة اية ظاهرة وعلى فهم طبيعة المجتمع نفسه لانها ستعطينا صورة متكاملة عن الحياة الاجتماعية فيه^(١٥) .

ولهذا سيكون تركيزنا على دراسة النظم الاجتماعية التالية للتعرف على ما يسود فيها من عادات وتقاليد وممارسات قد تكون معوقة في طريق مشاركة المرأة في عملية التنمية . وهي :

١ - نظم الاسرة : متعلق بالزواج والطلاق .

Institution

(١٥) انظر لتفصيل النسق System والنظم الاجتماعية في المراجع التالية :

معجم العلوم الاجتماعية ص ٦٠٠ - ٦٠١ .

الدكتور احمد ابو زيد ، البناء الاجتماعي (الجزء الثاني) ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ١٩٦٧) ص ١ - ٢ ، ص ٣ - ٤ .

٢ - النظم الاقتصادية : كالبيع والشراء وتقسيم العمل والهبة والارث والملكية .

٣ - النظم السياسية ، كالسيادة ، والعلاقة بين الحاكم والمحكومين .

٤ - النظم الدينية والتشريعية والقضائية (كالعقائد والطقوس واقامة الشعائر) .

٤ - النظم التربوية والتعليمية ، المدرسة والتعلم والامية .

لا شك ان هناك كثيرا من الظواهر السلبية تكمن في طبيعة هذه النظم الاجتماعية بحيث لم تكن تسير طريق الاصلاح الجذري والثوري ، لان التنمية هي عملية تغيير واقع المجتمع من جميع جوانبه ، فظهور هذه الظواهر السلبية التي اعتاد عليها الافراد على شكل عادات وتقاليد واعراف تكون معوقة على الغالب .

لقد اكدت ورقة عمل اتحاد نساء العراق على ان اسباب تدني انتاجية المرأة العاملة دور المجتمع باجهزته وتنظيماته المختلفة كالاقتصادية والاعلامية والتربوية والاجتماعية^(١٦) .

١ - النظم الاسرية :

ان هناك كثيرا من الظواهر الاجتماعية السلبية قد ترافق النظم الاجتماعية في حالة حدوث الزواج والطلاق وغيرها مما تقلل من مكائتها ودورها في المجتمع وتنظر اليها نظرة دنيوية تقلل الى حد كبير من مشاركتها في عملية التنمية .

ان نظم الزواج والطلاق وتعدد الزوجات ، وما ينجم من كل ذلك من علاقات اجتماعية تعسفية وتسلطية ، قد حالت دون مشاركة المرأة في عملية البناء والتطوير مدة من الزمن ، وذلك لقوة العادات والدوافع المادية التي يجنيها المجتمع من هذه النظم .

(١٦) الاتحاد العام لنساء العراق ، ورقة عمل حول الصيغ العلمية لزيادة انتاجية المرأة العاملة ، كانون الثاني ، ١٩٧٧ . ص ٣٢ .

ان نظم الزواج خاصة في المناطق الريفية له اثره على عدم مشاركة المرأة لان نظرتة الى المرأة نظرة دنيوية تحط من مكانتها ، فهي الوسيلة المادية في حالات المشاجرات والمنازعات العشائرية ، وهي الوجه البارز من اوجه (الدية والفصل) ، فألأعراف والعادات تحدد طريقة وانواع الزواج في هذا المجتمع عن طريق الاتفاق (قصة بكصة) او زواج الخطف وغيرها من الانواع والالوجه التي تحط من مكانة المرأة (١٧) .

اما ظاهرة تعدد الزوجات ، فهي ظاهرة شائعة خاصة عند الريفيين ، ولا ريب ان لهذه الظاهرة اثارها على حرية الاسرة وتقضي على تماسكها ووحدتها لانها تخلق البلبلة وعدم الاستقرار والتنافر بين افراد الاسرة الواحدة وهذه الامور من معوقات مشاركة المرأة لمزاولة نشاطها المطلوب منها .

اما ، طبيعة العلاقات الاجتماعية ، فهي على الغالب علاقات تعسفية او تسلطية ، والرجل له الصدارة ، قد تفسر هذه لاعتبارات غير علمية بيولوجية ، ولكن لا يمكن ان تفسر الا من ناحية اجتماعية ، فهي قامت لاعتبارات اجتماعية تعززها طبيعة المجتمع من اعرافه وتقاليده ، ولهذا اصبح من حق الرجل الطلاق دون المرأة ، والمرأة ليس لها رأي في الزواج خاصة في المناطق الريفية (١٨) .

لهذا فقد خطت حكومة الثورة خطوات ايجابية عن طريق تعديل قانون الاحوال الشخصية الثاني (١٩) من اجل تحرير المرأة ومساواتها بالرجل لكي تنسجم هذه الامور مع روح العصر ومرحلة التغير الاجتماعي التي يجتازها

(١٧) انظر : الدكتور شاكر خصباك، الاكراد (بغداد ، مطبعة شفيق سنة ١٩٧٢) ص ٤٦٠ - ص ٤٦٤ .

(١٨) Firth, Human Types (London : 1951) pp. 100—101.

(١٩) لقد اصدر مجلس قيادة الثورة ، تعديل قانون الاحوال الشخصية رقم (٢١) لسنة ١٩٧٨ ، وهذا القانون يعتبر تعديلا للقانون رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ ، والذي يعتبر من احد العوامل التي تعيق تقدم المرأة وتعرقل سيرتها التحررية .

القطر ، وبهذا فان هذا القانون قد قدم المقومات الاساسية لتمكين المرأة بصورة فعالة من المشاركة الفعالة في التنمية وتطوير المجتمع .

لقد ازال القانون المذكور الزواج بالاكراه او الزواج الذي يقوم خارج المؤسسات الرسمية لاعتبارات ترتبط بالعادات ولدوافع مادية غير مشروعة .

٢ - النظم الاقتصادية :

لقد دلت الاحصاءات على ان عدد الاناث اكثر من عدد الذكور بالنسبة للمناطق الريفية في العراق^(٢٠) ، ولكن بالرغم من هذه الزيادة فلا زال العدد يمثل نقصا في منظور التنمية الاجتماعية والاقتصادية .

ان كثرة النساء في القطر لا تعني الاستفادة من هذه الموارد البشرية ، لان هذه الموارد لم تستغل في خدمة التنمية ، ويعزي ذلك لاسباب اجتماعية واقتصادية ، فالوضع الاجتماعي للمرأة يحول احيانا دون وصول طاقاتها الكاملة الى ميدان الانتاج والمشاركة الايجابية في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية ، ان وجود القيود المجتمعية من قيم وممارسات تكبل نشاط المرأة وتحول دون مساواتها الفعلية مع الرجل لهذا اخذت حكومة الثورة على عاتقها مهمة القضاء على كثير من القيم والممارسات الضارة والاهتمام بتعميق قيمة حب العمل الجماعي والمشاركة وغيرها^(٢١) .

لا شك ان طبيعة عمل المرأة تختلف حسب البيئات الاجتماعية وحسب الزمن ، فان المرأة الحضرية تختلف عن المرأة الريفية في مدى المشاركة ونوع العمل وحرية ، ومع هذا فان طبيعة الحياة الاجتماعية السائدة في الريف خاصة قد تحول دون الاستفادة من عمل المرأة ومشاركتها .

(٢٠) وزارة التخطيط ، دراسة تفصيلية حول واقع القوة العاملة وتطورها في العراق سنة ١٩٧١ ، ص ٣٠ - ٣٤ .

(٢١) التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي ص ١٥٧ - ص ١٦٠ (الفصل الخامس مسيرة التحولات) .

ان طبيعة الحياة الاجتماعية في المناطق الريفية تجعل العمل جميعا حيث تشارك الاسرة بكاملها كوحدة انتاجية في العمل ، ودور المرأة هنا واضح في مساعدة زوجها وفي تحصيل قوت العائلة ، وهي تقوم بالاضافة الى واجبات بيتها باعمال اخرى كالحرث والتسميد وغيرها وهي على الغالب تعتمد على الالات والادوات البسيطة (٢٢) .

من هذا يتضح واقع العمل الجمعي وعدم وضوح ظاهرة تقسيم العمل ، لان الاسرة كلها تشتغل والمرأة خاصة تقوم بالدور الكبير بهذه المساهمة لكن التقاليد والعادات تجعل للرجل ميزة على المرأة بالاضافة الى حاجة العمل الزراعي الى ايدي عاملة بالنسبة للأسرة مما يدفع الى تعدد الزوجات ومما يدفعه الى الزواج بفتاة اصغر منه لتساهم معه في الحقل (٢٣) .

اما من حيث الملكية الشخصية ، فطبيعة النظام الاقتصادي التقليدي لا يشجع على الملكية الشخصية ، ولا يشجع العمليات الفردية ، فهناك انظمة للوراثة مبعثها اعتبارات اجتماعية فمثلا ان (نظام المحاصة للوراثة) في محافظة السليمانية ، يمنع الاب من توزيع حصته من الارض على اولاده ، وهذا يجعل الابناء دائما يتعاونون فيما بينهم ويستمررون على العيش حتى بعد وفاة الاب ، لانهم كوحدة اقتصادية (٢٤) .

ولكن بعد الثورة ونتيجة لتغير طبيعة المجتمع فان مجال مساهمة المرأة في النشاطات المختلفة قد اتسع لحد كبير ، فاسباب عدم المشاركة قد شخصت من قبل حكومة الثورة وارجعت للمجتمع ككل ، لان طبيعة عدم المشاركة هي محصلة الظروف الموضوعية الراهنة ، لان القدرة الذاتية للمرأة الان في

(٢٢) انظر : الدكتور علي الوردي ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي (بغداد ، مطبعة العاني عام ١٩٦٢) ص ٢٠٦ .

(٢٣) الاتحاد العام لنساء العراق ، المؤتمر السادس (مطبعة الامة ، بغداد سنة ١٩٧٤) ، ص ٨٦ .

(٢٤) الدكتور شاكر خصبك ، الاكراد ، ص ٢٥٥ .

المجتمع ، هي محصلة الظروف الموضوعية ، والجوانب الاساسية من النقص فيها تقع المسؤولية فيها على المجتمع ككل ، وليس على المرأة وحدها (٢٥) .

ولهذا كان مساهمة المرأة في النشاطات المختلفة قد تغير بعد الثورة نتيجة لتغير حركة المجتمع في الاصعدة المختلفة ، فقد طرأت زيادة كبيرة على عدد المشتغلات في اجهزة الدولة ففي عام ١٩٧٢ كان عدد المشتغلات (٤٨) الف ، بينما في عام ١٩٧٦ وصل الى (٧٨) الف .

اما عن مجال مساهمة المرأة في مجالات العمل الشعبي وحملات البناء فقد زاد بزيادة تطور المجتمع . هذا الى ان الخطة القومية ٧٦ - ١٩٨٠ قد اولت رعاية المرأة اهمية خاصة وذلك بتقديم خدمات لمراكز الرعاية الاجتماعية والاهتمام بشؤون التدبير المنزلي ، والخياطة ، والحياكة وتنظيم الندوات الثقافية والاجتماعية وفتح مجالات المساهمة في فرص التأهيل والتعليم والتدريب دون تمييز بينها وبين الرجل (٢٦) .

٣ - النظم السياسية :

لا شك ان مدى مشاركة المرأة يرتبط بطبيعة النظم السياسية التقليدية السائدة والتي لها من الرواسب الذهنية والتقاليد البالية .

لقد عانت المرأة من عدم المشاركة في النشاطات السياسية والاجتماعية لفترة طويلة ، لان الظروف الاجتماعية لم تستطع في ظلها ان يكون لها دور فعال في هذه المشاركة لعدم توفر الظروف الموضوعية لبناء المنظمات الاجتماعية لكي تؤدي المرأة من خلالها دورها السياسي والاجتماعي .

(٢٥) السيد النائب صدام حسين ، عن الثورة والمرأة ، ص ٧٥ .

(٢٦) من حديث السيد عدنان حسين وزير التخطيط ، في جريدة الثورة رقم (٢٩٥٠) بتاريخ ١٩٧٨/٣/٩ ص ٤ .

Hobhouse, L.T., Social Development pp. 256—262.

لقد ايد عالم الاجتماع ماكيفر دراسة كل من رادكليف براون ودراسة مالفينوفسكي عن النظم السياسية وطبيعة المجتمع وما يسود فيه من روابط قرابية .

لقد ايد علماء الاجتماع والاثروبولوجيا ان طبيعة النشاطات السياسية ما هو الا انعكاس لطبيعة المجتمع نفسه في مظاهر اجتماعية وما يتطلبه من حقوق وواجبات الافراد تجاه مجتمعهم ، ومن عادات وتقاليد ومظاهر اخرى كل هذه الامور تتداخل بصورة متكاملة للبناء السياسي ونشاطاتها (٢٧) .

ان المرأة في ظل هذه المجتمعات التقليدية تكون عادة محرومة عادة من كثير من الحقوق ، فنظرة المجتمع اليها ليس بالمستوى الذي تؤديه في مشاركتها الفعالة في النشاطات الاقتصادية والاسرية ، ومرد ذلك انها مقيدة بعادات وتقاليد اجتماعية تحدد سيرتها في المجتمع ولهذا كان مردود هذه النظرة ان تفشت الامية بين صفوف النساء بشكل فعال لان المجتمع يرى في تعليم المرأة خطرا يؤدي الى افسادها .

لقد ارجعت بعض الدراسات الميدانية في العراق اسباب عدم مشاركة المرأة في الحياة السياسية والادارية والقيادية ، الى دور الرواسب الذهنية والتقاليد البالية التي حالت دون وصول المرأة لتحل مكاتتها السياسية والادارية مما جعل نظرة المجتمع اليها بانها لا تستطيع ان تتحمل طبيعة الاعمال المناطة بها ، بالاضافة الى ان البناء الفسيولوجي لا يساعدها على ذلك .

والواقع ان الحجج القائلة بعدم مقدرة المرأة على تحمل الاعمال والذي يعد عائقا دون مشاركتها حجج باطلة لا تساندها الادلة العلمية فقد اظهرت الدراسة بان بعض النشاطات الادارية التي مارستها المرأة والتي ينظر اليها على انها صعبة قد نجحت المرأة في ادائها على احسن وجه (٢٨) .

MacIver, R.M., The Web of Government, the Macmillan (٢٧)
Company, New York, 1947.

انظر الترجمة العربية للدكتور حسن صعب - تكوين الدولة / بيروت ،
١٩٦٦ ص ٥٦ .

(٢٨) المركز القومي للاستشارات والتطور الاداري ، دور المرأة في النشاطات
الادارية في العراق ، بغداد ١٩٧٦ ، ص ٤٥ - ٤٦ .

لقد تغيرت مشاركة المرأة في النشاطات السياسية والقيادية بعد الثورة واصبحت تلعب دورا كبيرا ، فان لها دورا في الحركة الوطنية والسياسية ، واصبح من الضرورة مشاركة ومساهمة المرأة في النقابات ونشاطها النقابي ولو انه لم يكن دون المستوى المطلوب (٢٩) .

والاتحاد العام لنساء العراق قد اخذ على عاتقه تدليل الصعوبات من اجل اسهام المرأة الجاد في عملية التنمية ، وهو يقوم بتوعية الجماهير النسوية من خلال الندوات والاحتفالات والنشرات وغيرها من دفع المرأة للمساهمة الجادة وممارسة حقوقها السياسية (٣٠) .

٤ - النظم التشريعية والقضائية والدينية :

ان النظم التشريعية والقضائية والدينية هي من النظم المهمة التي توجد في المجتمعات بانواعها المختلفة ، ولهذه النظم فائدة في تماسك افراد المجتمع وفي تفسير كثير من الظواهر التي تراود تفكير الافراد ، بالاضافة الى اهميتها في تقوية النفوس والسيطرة على صعوبات الحياة ، بالاضافة الى ان هذه النظم تعتبر من وسائل الضبط الاجتماعي فهي التي تحدد مجالات العقاب والثواب والخير والشر ، بحيث يكون تأثيره فعالا على افراد المجتمع (٣١) .

ولكن البيئة الاجتماعية والمستوى التعليمي المنخفض يساعد على تداخل كثير من المفاهيم والانماط السلوكية الغريبة عن الدين كالتفكير الخرافي والاسلوب غير العلمي حتى ان بعض البحوث التجريبية قد اظهرت ان هذا التفكير يسود بين الريف والمدينة والذكور والاناث وان اختلفت درجة الانتشار بينهما لكن هذا التفكير يعوق عملية التنمية (٣٢) .

(٢٩) سعاد خيري ، المرأة وفاق التطور في العراق ، بغداد سنة ١٩٧٥ ، ص ٤٣ - ٤٤ .

(٣٠) الاتحاد العام لنساء العراق ، المؤتمر السادس . ص ٩٣ .

(٣١) Kingsly, Davis, Human society, the Macmillan Co., 1950.

انظر الدكتور علي فؤاد ، علم الاجتماع الريفي ص ١٦٠ - ص ١٦١ .

(٣٢) الدكتور محمد نبيل نوفل ، بحث العوامل الاجتماعية والنفسية التي تعوق التنمية ، بحث مقدم للمؤتمر الفكري الاول للتربويين العرب بغداد سنة ١٩٧٥ ، ص ١٤ .

لو رجعنا الى اسباب انتشار هذا التفكير غير العلمي نلاحظ هناك عوامل متعددة تداخلت في ايجاد مثل هذه الظواهر ، منها ضعف الوعي السليم ، ووجود الاستعمار والاقطاع ، بحيث اصبح التفكير يركز على النواحي الغيبية ولا يتناول طبيعة الحياة الاعتيادية للمشاكل الاجتماعية والاقتصادية والصحية (٣٣) .

ان المرأة في المجتمع خاصة الريفية منها تكون غير متعلمة والامية منتشرة عندها بصورة كبيرة ، مما ساعد على تقبل كثير من الظواهر غير العلمية في تفسير مصاعب الحياة مما اثر على نفسياتها وعلى سير اعمالها وعلى صحة اولادها ، فالاحبة والاخذ بالسحر وغيره مظاهر سلوكية تزاولها مما ساعد على تأخرها وتخلفها .

وعلى هذا الاساس يصبح لزاما الربط بين التعاليم الدينية وواقع الحياة الدينية ، بحيث يمكن تحويل كثير من الظواهر السلبية بين المواطنين الى عامل يوحد جهودهم نحو الحياة الايجابية الفعالة .

ان توعية رجال الدين بايديولوجية المجتمع وفلسفته الاصلاحية عن طريق برامج تدريبية تتفق مع دورهم في القيادة الدينية للمجتمع تؤدي الى مساندة رجال الدين لنشاط وتنمية المجتمع مسانده كبيرة (٣٤) .

اما من النواحي القانونية والتشريعية ، فنلاحظ ان قانون الاحوال الشخصية السابق كان من العوامل المعوقة لمشاركة المرأة في التنمية ،

ان الاوضاع القانونية والتشريعية قد اهملت حقوق المرأة وشلت قابليتها الانتاجية وجعلت منها اداة تحمل الخرافات والغيبيات وواسطة لنقل السلوكيات السلبية الى الاجيال التي تقوم بتربيتها .

(٣٣) الدكتور علي فؤاد ، علم الاجتماع الربفي ، ص ١٦١ - ص ١٦٣ .
(٣٤) دكتور الفاروق زكي يونس ، تنمية المجتمع في الدول النامية ، مكتبة القاهرة الحديثة سنة ١٩٦٧ . ص ٢٧٣ - ص ٢٧٤ .

ولا شك ان هذه الوضعية هي انعكاس لطبيعة المجتمع ولهذا فأن نظرة الرجل الى المرأة تكون نظرة دنيوية ومعاملتها تكون معاملة سيئة حتى انه ينظر اليها كتابع ومتاع له وكان لهذا اثره الواضح على المرأة وعلى تربية اطفالها وعلى مقدار مشاركتها في تنمية المجتمع^(٣٥) .

من هذا نستنتج ان القوانين والتشريعات وليدة ظروف معينة ، واذا قامت ثورة ولها ايدىولوجيتها في تغيير المجتمع وهي مختلفة عن الظروف السابقة يتحتم عليها اعادة النظر في الاوضاع السابقة لكي تستطيع ان تحدد طريقها ، ولهذا كان قانون الاحوال الشخصية الثاني عام ١٩٧٨ ضرورة اساسية لتعجيل من مسيرة مشاركة المرأة في هذا المجتمع الجديد ، الذي ظهرت فيه انماط من السلوك من العلاقات وفي جميع المجالات ، لهذا اصبح ظهور هذا القانون وبقيّة الاصلاحات الاخرى ضرورة علمية لانه يستند الى نظرة شمولية، من نظرة تنطلق من واقع المجتمع وتعود اخيرا اليه .

٥ - النظم التربوية والتعليمية :

للتربية والتعليم اهميتها في تحديد مشاركة المرأة في عملية التنمية ، والتربية تعد كظاهرة اجتماعية ، فحيثما يتواجد الفرد فهو في حالة تفاعل مع غيره من افراد مجتمعه ، والتربية هي كظاهرة لانماط التعامل والضوابط التي تشكل طبيعة العلاقات الاجتماعية ، وهي تزود الافراد بانماط فكرية وسلوكية معينة ، فالتربية اذن موجودة في كل مجتمع يتناقلها الافراد جيلا بعد جيل .

اما التعليم فهو المحتوى العلمي للتربية ، واذا اردنا تحديدا ادق فهو المظهر الرسمي للتربية يتشثل ذلك في دور العلم والمؤسسات المختلفة^(٣٦) .

(٣٥) الاتحاد العام لنساء العراق ، المؤتمر السادس ، بغداد سنة ١٩٧٤ ، ص ٩٢ .

(٣٦) Durkhiem, Education Sociology, Trans. by S.D. fox Glencoe, The free press, 1956.

ان التربية الاجتماعية السائدة في العراق تمثل اتجاهات تربوية نابغة من طبيعة المجتمع ، تؤكد بصورة خاصة على سلطة الرجل وخضوع المرأة له بتبرير من المجتمع وقبوله ، ان هذه السيطرة وليدة ظروف اجتماعية للبنية الاجتماعية المتمثلة بالتخلف الاجتماعي والاقتصادي والفكري^(٣٧) .

فالمرأة بصورة عامة كانت وظيفتها تربية الاطفال والاهتمام بالبيت ومساعدة زوجها بالاعمال ، وبمعنى اخر لم يكن للمرأة مركز اقتصادي واضح ولم يكن لديها تقسيم عمل يميز عملها ، فهي تشتغل بكل الاعمال ولكنها تابعة للرجل والتشريعات والاعراف تحرمها من ابسط الحقوق في الملكية وابداء رأيها في الزواج والطلاق وغيرها .

ان كل هذه التقاليد والعادات الاجتماعية في تربية المجتمع كان له الاثر الاكبر في تجديد مساهمة المرأة في جوانب الحياة ، حتى ان التربية الاجتماعية تحرمها من التمتع بالحقوق الطبيعية في التعليم والملكية وغيرها .

لا شك ان تأثير هذه التربية يختلف في الريف عن المدينة بل ان تأثير هذه التربية الاجتماعية تضعف اينما تحل الصناعة والتحضر فيزداد اقبال المرأة على مناهل العلم ، وهذا ما نلاحظه في مراكز المحافظات وبعض المناطق الاخرى مما يدل على زيادة مساهمة المرأة في مناطق المنشآت الصناعية^(٣٨) مما يستوجب التوزيع والتخطيط الاقليمي للمنشأة الصناعية بحيث تتمكن المرأة من مشاركتها في عملية التنمية . اما النظام التعليمي فكان الى حد قريب وقبل ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ يتركز بصفة عامة في المراكز الحضرية اكثر من المراكز الريفية وللذكور اكثر من الاناث .

الدكتور احمد الخشاب ، الاجتماع التربوي والارشاد الاجتماعي .
(٣٧) الدكتور سلوى الخماش ، المرأة العربية والمجتمع التقليدي المتخلف ، بيروت سنة ١٩٧٣ ، ص ٣٦ .
(٣٨) انظر جدول احصاء الصناعات الكبيرة لعام ١٩٧١ .

واهم من هذا فاذا تحقق تكافؤ الفرص التعليمية بين الحضر والريف فان الريفيين قد لا تساعدهم ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية ، هذا الى ان ابناء الريف المتعلمين نراهم يحاولون الابتعاد عن بيئاتهم الاجتماعية بدلا من ان يساهموا في اثراء وانماء بيئاتهم .

اما بالنسبة للمرأة فان اتجاهات الريفيين بصورة عامة عن تعليم المرأة يكشف لنا حقيقة وهي قوة التقاليد والعادات ، بأعتقادهم ان مكان المرأة هو المنزل ويمكن القول بان هذه الظاهرة عامة لبعض الاحصائيات في بعض الاقطار العربية فان نسبة المتعلمات من الاناث في الريف من جملة المتعلمين هي ٢٥٪ ، بينما نسبة المتعلمات من الاناث من جملة المتعلمين في المراكز الحضرية هو ٥٠٪ ، وهذا يكشف لنا في الوقت نفسه المدى الشاسع بين الريف والمدينة من وجهة تعليم المرأة (٣٩) .

تتفق اغلب الدراسات (٤٠) على وجود معوقات كالتقاليد التي لا تبيح بدخول البنت الى المدرسة لاسباب يفسرها المجتمع بحجج متعددة بالاضافة الى ان قلة الخدمات التعليمية وانعدامها خاصة في المناطق الريفية ، مع ظروف اجتماعية واقتصادية تساعد على عدم اقبال المرأة في التعليم .

ان الجدول الاحصائي الخاص (٤١) عن عدد المدارس والنسب المئوية للذكور والاناث في المرحلة الابتدائية يدل دلالة واضحة على تخلف المرأة في هذه الناحية ، ففي سنة ٦٧/٦٨ نرى نسبة البنين في المدارس يمثل ٧٠.٥٪ اما الاناث فلا تتعدى نسبتهم عن ٣٥.٢٪ بينما بعد عشر سنوات ٧٧/٧٦ كانت نسبة البنين ٧٤.٧٪ بينما البنات ٣٥.٢٪ .

(٣٩) الدكتور احمد الخشاب ، علم الاجتماع التربوي والارشاد الاجتماعي ، ص ٢١٩ - ص ٢٢٠ ، ص ٢٢٣ .

(٤٠) دراسة الدكتور اكرم نشأت وجماعته عن (دراسة معوقات الاقبال على التعليم الابتدائي في العراق) وزارة التربية ، المديرية العامة للتخطيط التربوي - قسم التوثيق والدراسات عام ١٩٧١ ص ٢٥ .

(٤١) كتاب الجيب الاحصائي عام ١٩٧٦ ، لوزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للاحصاء جدول رقم (٥٦) .

وقامت حكومة الثورة بجملة من القرارات الثورية في زيادة مساهمة المرأة في التنمية منها على سبيل المثال قانون رقم (٩٠) لعام ١٩٧٥ بمساواة المرأة بالرجل في الحقوق والالتزامات المالية والوظيفية كما اقر مجلس التخطيط رقم ١٣ بتاريخ ١٩/١/٩٧٥ اعطاء الاولوية في التعيين في عدد من الوظائف التي تناسب طبيعة واستعداد المرأة ، بالاضافة الى قانون الاحوال الشخصية الثاني والذي يعتبر خطوة فعالة لتحسين احوال المرأة ولزيادة مساهمتها .

بالاضافة الى هذه المساواة في فرص التعليم ، فان مشكلة الامية قد اخذت مسارها نحو العمل عند حكومة الثورة باقرارها مشروع التعليم اللزامي في القطر ومكافحة الامية التي ورثت من عهود سابقة فقد اشار التقرير السياسي بان (الاساليب الكلاسيكية في محو الامية لا يمكن ان تحل هذه المسألة حلا جذريا ولا بد من القيام بحملة وطنية شاملة يقودها الحزب وتشارك فيها المنظمات الشعبية الكبرى ومؤسسات الدولة المختصة للقضاء على الامية قضاء مبرما وخلال برنامج زمني محدد) (٤٢) .

ثانيا : المعوقات في الاطار الثقافي للمجتمع :

ان مفهوم الحضارة والثقافة يختلف باختلاف اراء العلماء ولا بد في هذا المجال ان نحدد المفهوم الشائع للثقافة والحضارة عند تايلور حيث جاء تعريف شامل وجامع من اجل تحديد المعوقات الكامنة في الاطار الثقافي .

يعرف تايلور الثقافة (هو ذلك الكل المركب الذي يحتوي على المعلومات والمعتقدات والفنون والقيم والقوانين والتقاليد وجميع القابليات والعادات التي يكتسبها الانسان بوصفه عضوا في مجتمع ما) (٤٣) .

ومن التعريف نستطيع ان نتلمس ان هناك ثلاثة عناصر اساسية يتفق عليها بانها هي المعوقات الاساسية في التخلف وهي كما يلي :

١ - معوقات في طبيعة المعلومات والمعرفة (اي معوقات ثقافية)

(٤٢) التقرير السياسي .

Tylor, E. B., Primitive Culture, London, 1871.

(٤٣)

٢ - معوقات في طبيعة (الفنون) أي في طبيعة النشاطات الاقتصادية يتشل ذلك في نظرتها للعمل وطبيعته ، ومعوقات تكمن في طبيعة اعمالها او معوقات بيولوجية ونفسية واقتصادية واجتماعية كل ذلك يمكن ان يدخل ضمن (المعوقات الاقتصادية) .

٣ - معوقات تكمن في طبيعة القوانين والتقاليد والقيم الاجتماعية السائدة في المجتمع (وهذا يمكن ان نطلق عليه « معوقات اجتماعية ») .
لقد اكد التقرير السياسي حول موضوع تخلف المرأة (ان مشكلة تخلف المرأة العربية ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا هي الان اخطر معوقات النهضة العربية المعاصرة ..)

ومن هذا المنطلق سنركز على هذه المعوقات الثلاث :

١ - المعوقات الثقافية (في طبيعة المعلومات والمعرفة المكتسبة)

ان اهم ما تحتاج المرأة اليه في طريق زيادة مساهمتها الفعالة في المجتمع هي المعرفة والعلم . (لان المرأة ما دامت تعيش في ظل الامية فهي من الصعب ان تشعر بان لها حقوقا او ان تحسن استخدام هذه الحقوق او المحافظة عليها بالرغم مما يقدمه المفكرون والمنظمات لزيادة وعي المرأة والشعور بحقوقها المهضومة ، فالامية هي داء تجعل صاحبه لا يرى الامور على حقيقتها .

لا ريب ان تعليم المرأة واعطاءها المعلومات والمعرفة تختلف بين قطر واخر وبين اجزاء القطر الواحد من ريفه الى حضرية وحتى احيانا بين نفس المدن او الريف ، لان الازواضع الاجتماعية لها اثرها في اعطاء فرص التعليم للمرأة .
الا اننا نستطيع ان نقر بان الاتجاه العام في اغلب الاقطار العربية يقضي بتعليم المرأة ولم يعد ذلك عداء سافر كما كان من قبل ، ولكن لا يزال هذا الاتجاه يأخذ طابع الفتور وعدم اللامبالاة^(٤٤) هناك كثير من المعتقدات الاجتماعية تدور حول اتجاه عدم تعليم المرأة فيرجعه بعضهم الى عوامل دينية ، واخرى

(٤٤) الدكتور محمد النويهي ، مشاكل تحرير المرأة في المجتمع العربي المسلم ، من بحوث مؤتمر (بين التقليد والتجديد) المنعقد في جامعة الخرطوم ص ٢٧٤ .

لنواح اخلاقية والثالث لنواح اسرية . وعلينا ان نعتقد بان هذه الادعاءات لم يكن يسندها الادلة العلمية ، حتى ان الاديان السماوية تحت على المعرفة وطلب العلم ففي الحديث النبوي (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) دلالة واضحة على اهمية التعليم .

وكذلك بالنسبة لادعاءات الاخلاقية والاسرية فان كرامة الانسان وشرفه يزداد بالعلم والمعرفة حيث يؤهله على تدبير اموره وما يلاقه من مصائب ، اما من ناحية عمل البيت ، فان عمل المرأة له اهميته الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، بالإضافة الى انها تستطيع ان تضع اسسا تخطيطية لاسرتها في الاتفاق وعدم التبذير (٤٥) .

٢ - معوقات في طبيعة نشاطاتها الاقتصادية :

ان تأثير التقاليد والعادات الاجتماعية في تحديد مسارات النشاطات الاقتصادية للمرأة لها اثرها الكبير . بالرغم من نشاطات المرأة في المجالات الاقتصادية في المناطق الريفية ، فهي تساعد الرجل في اغلب المجالات الاقتصادية بالإضافة الى اعمالها في البيت ، ولكن هناك عادات وتقاليد تجعل من المرأة تابعة للرجل وليس لها من الاستقلال الاقتصادي او التملك والتصرف لان المجتمع لعاداته وتقاليده يقر ذلك ، ولهذا يكون تحرير المجتمع من هذه العادات والتقاليد المعوقة تحريرا للرجل وتخلصه من هذه المعوقات نفسها (٤٦) .

(٤٥) الدكتور محمد النويهي ، المرجع السابق ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٤٦) هناك وجهات متعددة لاصلاح اوضاع المرأة منها :

- ١ - انها قضية نسوية اي ينظر اليها بنظرة منعزلة .
 - ٢ - (الاضطهاد النسوي المركب) اي تدخل باسم المشكلة العامة للاضطهاد والاستغلال .
 - ٣ - (التقديمية الزائفة) اي الاكتفاء بالمظاهر دون الجوهر .
 - ٤ - (النظرة الضيقة للتمييز الجنسي) على اساس انها تابعة للرجل .
- الدكتور الياس فرح ، المرأة في فكر ونضال حزب البعث العربي الاشتراكي ، بيروت ص ٨ - ٩ .

بالإضافة الى التغير الحاصل في بنية المجتمع ، فإن هناك تشريعات عدة صدرت لضمان حق المرأة في العمل والاجور والتشغيل بالاعمال مع مراعاة اوضاعها ومنحها الاجازات وغيرها ولكن بالرغم من هذه الاجراءات فلا زال مجموع المشتغلات اقل من الطموح ، ولو ان اعدادها اخذت بالزيادة المستمرة كما هو واضح في الجداول التالية :

نسبة المشتغلات في المجالات الصناعية

الصناعة

النسبة المئوية من مجموع
المشتغلين

٪٢٣	المنسوجات
٪٤١	خياطة الملابس
٪٣٢ر٣	صناعة وتجميع الساعات
٪٣١	صناعة المواد الغذائية
٪٢١	صناعة التبوغ
٪١٦	الصناعات التحويلية الاخرى

اما نسبة المشتغلات في المجالات المهنية :

المجموعات المهنية

النسب المئوية من مجموع
المشتغلين

٪٣٣ر٦	المدرسات والمعلمات
٪٣٠ر٨	الاطباء والصيادلة
٪٢٨ر٧	الفنيين بالطب
٪٢٥ر٢	الكيميائيين والفيزيائيين

اما نسبة مساهمة المرأة في العمل الزراعي حسب احصائية ١٩٧١ فتبلغ ٤٥٪ من مجموع المشتغلين^(٤٧) .

ولكن التخطيط الاشتراكي الشامل في القطر مستمر من زيادة مساهمة المرأة لكي تؤدي دورها في تحقيق المجتمع الاشتراكي .

٣ - المعوقات الاجتماعية (المتمثلة في التقاليد والقيم وما يسود عنها من قوانين) .

هناك انواع من القيم والتقاليد تتحكم في انماط وسلوك الافراد وهذا السلوك يكون حكمه مثل القوانين له صفة الالتزام والطاعة .

ان القيم المتعلقة بالمرأة تكون على الغالب كثيرة ولها حساسية خاصة ، مما تمنعها عن مزاولة دورها المطلوب في مجتمعها ، لان طبيعة التنمية تكون شاملة ، وهي تحتاج الى مشاركة المرأة في تطوير العملية التغييرية في المجتمع ولهذا فأي نظرة تحدد من نشاطها وتعزلها عن طبيعة حركة المجتمع لاسباب غير علمية هي نظرة عاتقة في طريق التنمية .

لقد اقرت ورقة العمل المعدة من الاتحاد العام لنساء العراق في اكثر من مجال اهمية العوامل الاجتماعية في الحد من انتاجية المرأة العاملة فانها عوامل اجتماعية وتربوية وفكرية وثقافية متشابكة . حتى ان اثر هذه العوامل قد امتدت الى عملها مما اثر على انتاجيتها مما (جعل الكلفة المادية والمعنوية المباشرة لعملها تزيد على الفوائد المباشرة التي تتحقق لها منه)^(٤٨) .

(٤٧) الاتحاد العام لنساء العراق ، المرأة وعام ١٩٧٥ ، ص ١٢ - ص ١٤ .

(٤٨) الاتحاد العام لنساء العراق ، ورقة عمل حول الصيغ العملية لزيادة انتاجية المرأة العاملة . ص ٢ .

اما تفسير ذلك فيمكن ان يرجع الى صراع القيم التقليدية الذي امتد تأثيره على العمل نفسه ، وبين القيم التي اثبتت عن طريق التغيير الاجتماعي المخطط لتغيير طبيعة وبنية المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والتربوية . ولعل هذا التصادم يفسر لنا احيانا القلق النفسي بين ظروف حياتها التقليدية وبما يحيط بها من مسؤوليات واعباء سرية تنتظرها قبل وبعد خروجها من العمل ، وبين القيم الجديدة التي تحمل في طياتها قيم جديدة نحو العمل والزمن والاتاج^(٤٩) .

وبعد هذا لابد من القول ان التخطيط الشامل لابد ان يشمل كل جوانب الحياة كما سنطرحه في الفصل الثالث ، ولكن تبقى ناحية علمية مهمة هي ان تغير هذه القيم والعادات لم تكن باستطاعتها ان تسير بنفس المسيرة في النواحي الاقتصادية والنظرة الى العمل واتاجه ، فهذا يحتاج الى زمن والى تضحية ، ولا شك ان القانون والتشريع سوف يسرع في العملية ويغرس مفاهيم اجتماعية او ان يغير طبيعة العلاقات الاجتماعية المتخلفة لهذا اكدت اغلب البحوث الاجتماعية على ضرورة الموازنة بين تغير الجوانب المادية والجوانب المعنوية في عملية التخطيط بحيث تسير على نفس الوتيرة من دون ان يحدث (هوة) او فجوة حضارية تؤدي الى ظهور مشاكل اجتماعية ينعكس اثره على العمل واتاجيته .

الفصل الثالث

الاساليب النظرية والعملية لزيادة مساهمة

المرأة في عملية التنمية

اولا - الاساليب النظرية :

ان اتباع هذه الاساليب النظرية سوف يساعدنا كثيرا على حل كثيرا من المعوقات لمساهمة المرأة في عملية التنمية ويمكننا ايجازها بما يلي :

(٤٩) الدكتور احمد الخشاب ، الاجتماع التربوي ص ٤٩٦ .

١ - التفهم العلمي للظروف السائدة :

ان التفهم العلمي يكون عن طريق الدراسات النظرية والميدانية من اجل اختيار الاسلوب والنموذج والادوات والبيانات اللازمة .

ان حساب الظروف وتقديرها تقديرا علميا ومحاولة التحكم فيها بحيث يمكن التنبؤ الى حد كبير لمقدار النمو ، وبمعنى اخر لا بد ان يكون الانسان عنصرا فعالا في توجيه الظروف والتقليل من الظواهر السلبية ومؤثراتها وليس مجرد الاذعان لمتطلبات البيئة الطبيعية والاجتماعية وظروفها .

لقد اكدت الدراسات على^(٥٠) ان سكان الريف بصورة خاصة خاضعة لسلطان الطبيعة ويكونون في حالة استسلام مما يجعلهم متمسكين بالتقاليد الموروثة . وهذا مما يضعف عندهم روح المسؤولية الاجتماعية ، والتماسك الاجتماعي .

٢ - التأكيد على تغيير القيم لتتمشى مع التغير الثوري الجذري ومنجزاته وذلك باتباع الوسائل التالية :

٢ - الاهتمام بوسائل الاعلام من تمثيلات ومسرحيات واذاعة التي تؤكد على دور المرأة في المشاركة .

فان طبيعة القيم الاجتماعية المتخلفة عن واقع المجتمع وتطوره لا بد ان يجري تطويرها لكي تفرس القيم الجديدة المنبعثة من روح العصر الجديد الثوري حيث تجعل انذاك من الافراد قوى ضاغطة تطالب بالمشاركة والمساهمة في عملية التنمية والاسراع في تقديمها^(٥١) .

(٥٠) الدكتور حامد عمار، أسس التخطيط الاجتماعي في النطاق القومي والمحلي ص ١٥ - ١٦ .

(٥١) الدكتور محمد ابراهيم كاظم ، التطوير القيمي وتنمية المجتمعات الريفية (من المجلة الاجتماعية والجنائية - الجمهورية العربية المتحدة - العدد الثالث ، المجلد السابع ١٩٧٠) ص ٤ .

ب - الحوار الديمقراطي المقنع : لا ريب ان الحوار الديمقراطي المنبعث من قبل المنظمات الجماهيرية تجاه المرأة ودورها في عملية التنمية ، خاصة من قبل المنظمات النسوية التي يكون لها تأثيرها البالغ على نساء القطر ككل .

ثم ان من مهمات المنظمات الجماهيرية المختلفة التأكيد على تعميق الممارسات الديمقراطية وتهيئة وتوفير الخدمات التي يحتاجها الافراد ، ولا شك ان دور المرأة والتي تمثل نصف المجتمع ان تأخذ أهمية في هذا الحوار والاهتمام بمشاركتها في كافة المجالات والمستويات (٥٢) .

ج - تكوين رأي عام مستنير والاستعانة به كمؤشر لمسيرة الثورة في طريقها الصحيح ، وذلك بغرس القيم الجديدة والممارسات الايجابية والدعاية لها عملا وقولا .

الاساليب العملية :

١ - التأكيد على تدريب الاعداد الكبير من النساء ، في مختلف الكوادر العاملة في شتى مجالات التدريب مثل مجال التدريب والتأهيل المهني ، فالعمل على تأهيل المرأة مهنيًا قد يساعدها على تذليل كثير من مشاكلها مما يؤثر على طبيعة عملها ، فتكون آنذاك عنصرا منتجا تساهم في عملية التنمية بشكل احسن ، مع الاهتمام باعداد دورات تدريبية وتشجيعها على ممارسة المهن المختلفة .

٢ - التوعية والارشاد : للمنظمات والاتحادات المختلفة اثرها في توعية الجماهير النسوية للقيام بدورها الفعال في بناء المجتمع ، مع توجيههم لاستئصال القيم الاجتماعية البالية باعطاء بدائل جديدة تدعو الى العمل والاخلاص بمساندة وتسريع من القوانين والتشريعات .

(٥٢) من مقترحات ورقة عمل للاتحاد العام لنساء العراق ، ص ٤٧ - ٤٨ .

المصادر العربية

- ١ - أحمد أبو زيد (دكتور) ، البناء الاجتماعي الجزء الثاني (الاسكندرية : دار الكاتب العربي للطباعة والنشر عام ١٩٦٧) .
- ٢ - أحمد الخشاب (دكتور) ، الاجتماع التربوي والارشاد الاجتماعي (القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة عام ١٩٧١) .
- ٣ - أحمد الخشاب (دكتور) ، الطريق الصعب طريق التنمية (القاهرة : مكتبة الوعي العربي) .
- ٤ - أحمد خليفة (دكتور) ، مؤتمر التنمية الاجتماعية للبيئات الصحراوية (وزارة الشؤون الاجتماعية ، الإدارة العامة للتخطيط ، القاهرة عام ١٩٦٦) .
- ٥ - أكرم نشأت (دكتور) ، دراسة معوقات الإقبال على التعليم الابتدائي (وزارة التربية ، المديرية العامة للتخطيط التربوي - قسم التوثيق والدراسات) عام ١٩٧١ .
- ٦ - الاتحاد العام لنساء العراق ، المؤتمر السادس .
- ٧ - الاتحاد العام لنساء العراق ، ورقة عمل حول الصيغ العملية لزيادة إنتاجية المرأة العاملة ، كانون الثاني ، عام ١٩٧٧ .
- ٨ - الفاروق زكي يونس (دكتور) ، تنمية المجتمع في الدول النامية (القاهرة : مكتبة القاهرة ، عام ١٩٦٧) .
- ٩ - الياس فرح (دكتور) ، المرأة في فكر ونضال حزب البعث العربي الاشتراكي .
- ١٠ - التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي .
- ١١ - المركز القومي للاستشارات والتطوير الإداري ، دور المرأة في النشاطات الإدارية في العراق ، بغداد ، عام ١٩٧٦ .
- ١٢ - حامد عمار (دكتور) ، أسس التخطيط الاجتماعي في النطاق القومي والمحلي (مركز تنمية المجتمع في العالم العربي ، سرسن اللبان عام ١٩٦٨) .
- ١٣ - رونالد ، روبنسون ، تنمية العالم الثالث ، ترجمة عبد الحميد الحسن ،
- ١٤ - سعاد خيرى ، المرأة وفاق التطور في العراق ، بغداد عام ١٩٧٥ . (دمشق : ١٩٧٣) .
- ١٥ - سلسلة الثقافة الثورية ، سياسة التنمية في العراق ، سلسلة (٣٠) .
- ١٦ - شاكر خصباك (دكتور) ، الاكراد ، (بغداد : مطبعة شفيق ، عام ١٩٧٢) .

- ١٧- شارل تبهليم، التخطيط والتنمية ، ترجمة الدكتور اسماعيل صبري عبدالله ، (مصر : دار المعارف عام ١٩٦٦) .
- ١٨- صدام حسين ، عن الثورة والمرأة .
- ١٩- صلاح مصطفى الفوال ، البداوة العربية والتنمية (القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة عام ١٩٦٧) .
- (بغداد : مطبعة دار السلام ، عام ١٩٧٥) .
- ٢٠- عادل عبدالحسين شكاره (دكتور) ، نظرية هوبهاوس في التنمية الاجتماعية
- ٢١- علي الوردي (دكتور) ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي (بغداد : مطبعة العاني عام ١٩٦٢) .
- ٢٢- علي فؤاد (دكتور) ، علم الاجتماع الريفي .
- ٢٣- محمد ابراهيم كاظم (دكتور) ، التطور القيمي وتنمية المجتمعات الريفية (المجلة الاجتماعية والجناحية ، الجمهورية العربية المتحدة ، العدد الثالث ، المجلد السابع عام ١٩٧٠) .
- ٢٤- محمد النويهي (دكتور) ، مشاكل تحرير المرأة في المجتمع العربي المسلم ، (من بحوث مؤتمر بين التقليد والتجديد المنعقد في جامعة الخرطوم) .
- ٢٥- محمد نبيل نوفل (دكتور) ، بحث العوامل الاجتماعية والنفسية التي تعوق التنمية (بحث مقدم لمؤتمر الفكري الاول للتربويين العرب ، بغداد عام ١٩٧٥) .
- ٢٦- نجاه المرس سبناري (دكتورة) ، تعليم المرأة وعلاقته باحتياجات العالم العربي من القوى العاملة (بحث مقدم لمؤتمر قضايا تنمية الموارد البشرية في الوطن العربي ، الكويت عام ١٩٧٥ ، المنشور في مجلة الاداب (سورية) العدد الاول عام ١٩٧٦) .
- ٢٧- نيقولا تيماشيف ، نظرية علم الاجتماع ، ترجمة الدكتور محمد عودة (مصر : دار المعارف ، عام ١٩٧٠) .
- ٢٨- وزارة التخطيط ، دراسة تفصيلية حول واقع القوة العاملة وتطورها في العراق ، عام ١٩٧١ .
- ٢٩- وزارة التخطيط ، الدائرة التربوية والاجتماعية ، وقائع الحلقة الدراسية في التخطيط ، بغداد ، عام ١٩٧١ .
- ٣٠- وفيق اشرف حسونة (دكتور) ، التخطيط للتنمية الاجتماعية في الوطن العربي (الجمهورية العربية المتحدة : معهد التخطيط القومي ، سلسلة رقم ١٦ ، عام ١٩٧١) .
- ٣١- يونسكو (الشعبة القومية للتربية والعلوم الثقافية ، اعداد نخبة من الاساتذة المصريين والعرب المتخصصين ، القاهرة ، عام ١٩٧٥) .

المصادر الانكليزية

1. Durkhien, Education Sociology, Trans, by S. D. fox Glencoe, The Free Press, 1950.
2. Firth, Human Types (London : 1951)
3. Good, W.J. and Halt, P.K., Method in Social Research, 1952.
4. Giezerman, G., The Laws of Social Development, Moscow
5. Hobhouse, L.T., Social Development, (London, George Allen and Unwion Ltd., 1960).
6. Kingsley Davis, Human Society, the Macmillan Company, 1950
7. MacIver, R.M., the Web of Government (New York : MacMillan Company, 1947).
8. United Nations Decument E/2931-Twenty Report of Administrative Committee on Coordination to the Economic and Social Council, 1959.
9. Tylor, E.B., Primitive Culture, London, 1871.

توظيف رموز التراث العربي في التربية من خلال ادب الاطفال

الدكتور ابراهيم الداوقي
قسم الاعلام - كلية الاداب
جامعة بغداد

ماذا نقصد بالتراث ؟

لكل أمة حية تاريخ حافل بالنضال ، يتمثل في تجارب وعطاءات الاسلاف في مجالات الثقافة والمعرفة والعلم ، والتي تؤلف بمجموعها (التراث القومي) وهو بمثابة السجل لارادة الافراد والجماعات في تدعيم مكانة الامة والحفاظ على شخصيتها الحضارية وعظائها الانساني^(١) .

واذا كانت للافراد مساهماتها الفعالة والجادة في اغناء التراث القومي للامة العربية في كافة المجالات ، فقد كانت للجماعات ، والكتل الشعبية عطاؤها وابداعاتها وانجازاتها في مجالات اخرى .

واذا كانت اثار امرئ القيس والمتنبي والجاحظ وابن سينا والبيروني والمسعودي وابن خلدون واعمال عنترة والخنساء وابن فراس تشكل التماعات الابداع الفردي في التراث القومي العربي ، فان مئات الامثال والحكم الشعبية والقصص والاحاجي والالغاز والسير والطب الشعبي والاغاني تؤلف ابداعات العامة واضافاتها للتراث العربي الحي .

(١) الاستاذ الدكتور ياسين خليل : افتتاحية مجلة التراث العلمي العربي ، العدد الاول - السنة الاولى ١٩٧٧ ، ص ٣ .

لذلك فاننا نقصد بـتراث الامة العربية :

أولاً - التراث القومي العام : ونقصد به تاريخ الامة السياسي والاجتماعي والثقافي والانظمة الاقتصادية والقانونية ومنجزاتها في مجالات الكيمياء والفلك والطب والفيزياء والعمارة والتصوير والتزويق والعلوم الاخرى .

ثانياً - التراث الشعبي : هو النشاط الاجتماعي الانساني في البيئة الشعبية ويجسد ، بمجموعه ، الحياة الانسانية التي كانت ملك الجماعة في تلك الفترة التي لم تكن قد ظهرت فيها الروح الفردية بعد ، اضافة الى تاريخ الابتكارات التي اوجدتها الروح الفردية كالادب والاقتصاد والدين والحقوق والفن ... لان ثمة تداخلا بين الابداع الفردي والجماعي في تراث مختلف الشعوب ومنه التراث الشعبي العربي .

وتأتي ، في مقدمة هذا التراث ، الملاحم والاساطير مثل كلكامش وبعل وموت وسمير أميس وقصص الخلق والخصب والماء : الخلق والطوفان ، تموز ، عشتار ، ازوريس ، الفينيقي ، العنقاء ... في الثقافات القديمة للاقطار العربية . بل اننا نجد عرب الجاهلية قد شخصوا الاجرام السماوية وانزلوها منزلة البشر ، ثم الهوها وعبدوها ونسبوا اليها الكثير من حوادث البشر كالزواج والحروب والمشاعر الانسانية كالحب والكراهية . فنجوم (الشعري العبور) و (الشعري الغميصاء) كانتا اختي (سهيل) - وكان سهيل عشارا ظالما على طريق اليمن فمسخه الله كوكبا ، وانه خاصم (الجوزاء) فركلته برجلها وطرحته حيث هو ، فضربها هو بالسيف فقطع وسطها - فلما انحدر سهيل وصار يمانيا ، تبعته (الشعري اليمانية) عابرة المجرّة فسميت (عبورا) اما (الغميصاء) فانها اقامت حيث هي واخذت تبكي لفقدتهما حتى غمضت فسميت (الغميصاء) . كما ان (الجدي) قتل (نعشا) فبناته تدور به تريده . وقد عبد العرب ايضا (الدبران) و (الثريا) حيث كانا من الاجرام اللالهة في الجاهلية . وان (القمر) اراد ان يزوج الدبران من الثريا حينما خطبها ، فابت عليه ، وولت عنه لذلك فهو يتبعها حيثما توجهت .

وعندما اشرقت شمس الهداية المحمدية ، انارت دياجير الفكر الانساني ليدفع به من جديد نحو المجد ، فتلاحمت الحضارة الشرقية مع الحضارة العربية ، فكانت الحضارة الاسلامية المزدهرة وما اضافت الى تراثنا من الاساطير والملاحم والقصص الدينية : قصة ايوب وياجوج وماجوج وناقة صالح وجنة عدن وسيرة سيف بن ذي يزن وعنترة بن شداد وقصص المعراج والخضر ويوسف والف ليلة وليلة وموسى والفرعون ... التي تمثل بمجموعها قيما ثورية ورموزا ذات دلالات اجتماعية وفلسفية .

ويعد التراث القومي العربي ، بالنسبة للاطفال الصغار ، المعين الذي ينهل منه لاكتساب الثقة بالنفس والاعتزاز بالقومية والتفاخر بالامجاد والتطبع على بذل التضحيات والفداء في سبيل الحفاظ على تقاء الامة وديمومتها وحيويتها وتطلعاتها المستقبلية . ولذلك يمثل التراث العربي ثروة ثقافية هائلة تفتح امام اعين الاطفال المتربة والمتلهفة ابواب الماضي لكي يطلعوا من خلالها على منجزات الاجداد وعواطف الانسان الدافقة وروح المغامرة الجبارة والانتصار للحق والخير في عالم جديد مليء بالاحلام والمتعة . وعليه تكون علاقة الطفل بالتراث علاقة مستمرة لانه يمثل مراحل حياته ونموه وتكوينه النفسي .

واذا كان علماء النفس يقسمون مراحل نمو الاطفال الى ثلاث مراحل هي :-

١ - مرحلة الطفولة المبكرة

٢ - مرحلة المراهقة

٣ - مرحلة الرشد والرجولة

فان تراث الامة - ايضا - قد شهد هذه المراحل نفسها في نموه وتطوره الحضاري : فمرحلة الاساطير تمثل الطفولة المبكرة للامة ، ومرحلة نمو الحس القبلي تمثل مرحلة المراهقة ، اما مرحلة انشاء المدن وبناء الحضارات فانها تمثل مرحلة الرشد والرجولة . ولذلك فان مراحل تطور التراث تتساق مع مراحل

نمو الطفل عقليا : فالطفل في مرحلته الاولى يميل الى الاساطير والخرافات ، وعندما يصل الى مرحلة المراهقة فانه يميل الى قصص البطولة والفروسية والمغامرات ، اما في مرحلة الرشد فانه يسعى الى التألف والتآخي والتضامن . « واذا نظرنا لنمو الافراد ، فاننا نجد ان هذه المراحل تتطابق من حيث المنطق الزمني مع هذا النمو . ولما كان الاطفال ... لم تكتمل افكارهم عن الحياة من حولهم ولم يستبينوا الممكن من المستحيل والمعقول من اللا معقول ، فلذلك نجد ان نفس هذه الاوضاع تماثل مرحلة التفكير الانساني في بداياته .. وكيف انه بهذا التفكير استطاع ان يجتاز الصعاب عن طريق تجسيم احلامه وامانيه .. كأن يجعل الحيوان يتكلم فيقنعه ويستغله لخدمة اغراضه التي لا يستطيع اداءها بتكوينه العضلي ، او ان يلبس طاقية تجعله غير مرئي فيستطيع ان يتسلل الى أي مكان لا يستطيع دخوله بوجوده المادي .. » (٢)

ان الاطار الحضاري العام للتراث العربي يجسد صراع الانسان العربي مع الطبيعة ومع القوى الشريرة التي تحاول صد انطلاقه نحو الافضل ... وهذا لا يعني ان التراث العربي كله تراث ثوري لان ثمة نماذج عديدة تؤكد على الجمود والقناعة او تقتصر الى الطموح والمبادرة . ولذلك يمكننا تقسيم التراث العربي الى قسمين :-

١ - التراث الساكن : وهو التراث الموقوع على العادات والموروثات والذي لا يقبل التغيير والتبديل . وتتجسد اهميته في الترويح والتسلية والامتناع .

٢ - التراث المتحرك : وهو الجانب الحيوي من التراث العربي والذي يتحرك في حدود التحولات الاجتماعية ويقوم بوظيفته التربوية والتوجيهية ضمن تلك التحولات التي لا تتم سريعا ، ولكنها حتمية بالضرورة . غير اننا نستطيع ان نحول الموروث الساكن الى موروث متحرك عن طريق غرس القيم الفاضلة او تطعيمه بالقيم الجديدة للمجتمع .

(٢) ابراهيم احمد بخيت : دور الحكاية الشعبية في التعليم ، بحث مقدم الى ندوة الفولكلور العربي ببغداد ١ - ١٠ اذار ١٩٧٧ ، ص ٢٢ .

ان فكرة تحول التراث الساكن الى تراث متحرك تنطبق على التراث الجاهلي والاسلامي والحديث : فحكاية ابي القاسم البغدادى المؤلف عام ٣٠٤/٣٠٥ هـ تحوي الكثير من العادات والتقاليد التي اضمحلت الان ، او تحولت الى موروثات اخرى . وعادة طفر المرأة العاقرة من فوق القبور - وهي من الموروثات الجاهلية - تحولت الى لعبة (طفر الجبل) للبنات ... لان الموروثات تمثل حياة البشر في مراحلها التاريخية ، وكلما تطور الانسان كلما تساقطت الموروثات الساكنة والبالية او تحولت الى اشكال اخرى ونشأت معتقدات جديدة او قيم جديد .

فهل نستطيع ان نوظف التراث العربي ككل لتنمية قابليات الطفل ، أم نستطيع ان نوظف جزء من هذا التراث لتربية الطفل من خلال فن من فنون ادب الاطفال ؟

اننا نعتقد ان التراث العربي بقيمه الاصلية يمكن ان يكون معينا ثرا لتنمية قابليات الطفل من خلال توظيفه في فنون ادب الاطفال ... لا سيما وان فيه دعوات كثيرة للافراد للنهوض بالمجتمع ومكافحة الظلم والطغيان والثورة على التقاليد الجائرة والجمود الاجتماعي عبر مراحل تطور الفكر العربي على مدى العصور : فالرواية العربية الجاهلية تمثل مزيجا من الاداب السامية القديمة ، وتعد (ايام العرب) موروث الجماهير العربية في مسيرتها نحو حياة عربية جديدة وضع لها الاسلام اطارها الفكري العام بحيث اصبح التراث العربي - الاسلامي سجلا للعقلية العربية بكل مفاهيمها الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية عبر الدولة والامة والعوارض الذاتية .

فبطولات غنتره وسيف بن ذي يزن والوزير سالم وابي زيد الهلالي والخنساء وخولة بنت الازور تصور البطولات القبلية ذودا عن الارض او العرض او وفاء لعهد . ويمثل بطل سيرة (الاميرة ذات الهمة) الشجاعة والتضحية في اطار ثوري أخاذ . واخرج (عباس بن فرناس) فكرة الطيران من عالمه الاسطوري (بساط الريح) الى الواقع البشري .

غير اننا لا نستطيع ان نوظف التراث العربي ككل في تربية الطفل نظرا لضخامة هذا التراث ولتشعب مصادره ولكثرة عناصره اولا ... وبسبب عدم وضع اطار - لحد الان - لمضامين ادب الاطفال ثانيا - ، ولذلك فاننا سنحاول بحث كيفية توظيف جزء من التراث العربي وهو (الاسطورة والحكاية) لتنمية قابلية الطفل من خلال فن من فنون ادب الاطفال وهو (قصص الاطفال) .

رموز التراث العربي في الاسطورة والحكاية :

مرت البشرية في ادوار تاريخها الطويل بفترات تحكمت فيها (الاقلية) وبسطة نفوذها وسامت الآخرين انواعا من الظلم والاستبداد مما حدا ذلك بالطبقات المحكومة الى ان تنفس عن حياة الشقاء والتعاسة التي تعيشها بالطقوس والشعائر التي تؤديها للالهة لانقاذها من تعاستها ولكي تدله الى طريق الالهة المتمثلة بالقدر الذي يرى فيه الانسان قوة هائلة تتمكن من انقاذه من تلك التعاسة .

ونتيجة لهذه الفترة الزمنية فقد تشابهت طقوس مختلف الشعوب رغم المسافات الشاسعة التي تفصل بينها . حيث لاحظ كثير من الاثروبولوجيين تشابه الطقوس عند اليونانيين والرومان والمصريين القدماء والهنود الحمر وسكان استراليا الاصليين . « ولعل في الثروة التي سجلها الاثروبولوجيون واحتفظ بها مؤرخو الحضارات القديمة من (طقوس العبور) و (طقوس قتل الملك) »^(٣) وعقدة اوديب خير معين لنا لتفسير الاساطير التي وصلت الينا عن طريق تلك الطقوس و « لعلنا لا نخطئ اذا افترضنا ان كثيرا من الاساطير التي لا نعرفها الان الا على انها اساطير ، كان لها - في وقت ما - جانب يقابلها في السحر ... او بعبارة اخرى انها كانت تمثل كوسيلة للايجاد الفعلي للاحداث التي تصفها بلغة تمثيلية . وكثيرا ما تموت الاحتفالات (الطقوس) بينما تظل الاساطير حية ، فيبقى علينا ان نستنتج الاحتفال الميت من الاسطورة

(٣) شكري محمد عياد : البطل في الادب والاساطير ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٨٨ .

الحياة .. «^(٤) لا سيما وان الاساطير ما هي الا « الجزء القولي المصاحب للطقوس البدائية »^(٥) ولذلك قيل ان « الاساطير هي جماع حكمة الاقدمين ودستور حياتهم مصوغين في قالب قصصي عن الخلق والحياة والموت والبعث .. »^(٦)

ولهذا فان عقدة اوديب وطقوس العبور والملك المقتول يمكنها ان تفسر جانبا كبيرا جدا من الاساطير والقصص الشعبية في تراث الشعوب المختلفة ، ومنها تراث الشعب العربي .

فاذا كانت عقدة اوديب واضحة في الاساطير اليونانية والرومانية والهندية والايوانية والتركية ، فانها اوضح ما تكون في قصة (حكاية جودر الصياد ابن التاجر عمر) وهي من قصص الف ليلة وليلة ، حيث يستطيع (جودر الصياد) فتح الابواب السبعة والوصول الى الكنز بعد التغلب على وهم الطفولة في التعلق بالام ، ذلك الوهم الذي لا يتلاءم مع الرجولة والشباب . كما ان عبدالصمد المغربي يمثل - في القصة نفسها - شخصية السامر العليم بالكنوز ... وهو بمثابة شخصية الكاهن او الشيخ في طقوس العبور^(٧) والذي يوجه الآخرين الى ما ينبغي عمله .

(٤) سير جيمس فريزر : الفصن الذهبي ، ترجم باشراف الدكتور أحمد ابو زيد ، الجزء الاول ، القاهرة ١٩٧١ ، ص

(٥) شكري محمد عياد : المصدر السابق ، ص ٨٥ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٦٥ .

(٧) طقوس العبور : تمثل الموت والبعث ، فاذا بلغ الصبي سن الشباب ، مثل رجال القبيلة منظرا رهيبا يتظاهرون فيه بقتل الصبي ثم اعادته الى الحياة شابا يافعا عارفا بعبادات وتقاليد قبيلته .

(٨) الملك المقتول : اصطلاح خاص يطلق على الطقوس المتبعة في تنصيب الملك الجديد ، حيث يقتل الملك السابق قبل ان يبلغ الهرم ظنا بان روحه سوف تهرم معه - اذا بقى في الحكم - وبذلك تفقد القبيلة قوتها وجبروتها لانهم يرون في الملك مستودعا للقوة الكونية الحيوانية .

اضافة الى ان قصة (جودر الصياد) تمثل طقوس الملك المقتول^(٨) ولكن بصورة اخرى عندما يتغلب (جودر) على الملك (الشمردل) نتيجة خوارق (خاتم الملك) الذي يزوجه ابنته ، ثم يخلفه (جودر) على الملك . « والى عهد قريب كانت قبائل الشلوكة في جنوب السودان تقتل ملكها اذا بدت عليه علائم الضعف او المرض »^(٩)

يرد (راجلان) قصص البطولة في التراث الانساني كله ، الى شعائر قتل الملك القديم وتنصيب الملك الجديد وفق النموذج التالي^(١٠) :

- « (١) النشأة الغامضة للبطل ، وان قيل انه من اصل ملكي او الهى .
- (٢) توليه الملك او الزعامة بعد عمل جليل يدل على انه محبوب بقوة خارقة .
- وقد يكون هذا العمل هو القضاء على الملك الشيخ . (٣) انتهاء ملكه بتخلي هذه القوة الخارقة عنه وانقلاب احبابه عليه بحيث يموت مقتولا بيد احد هؤلاء الاحباب ، او من جهة لم يكن يتوقع ان يأتيه منها الموت » .

فهل نستطيع ان نطبق نموذج راجلان على الابطال ورموزهم في التراث العربي ؟

انا نعتقد ان ابطال السير الشعبية وكذلك ابطال الملاحم الجاهلية لا يخرجون عن اطار نموذج راجلان في البطولة : فالبطل الجاهلي عنتر ابن لامة سوداء ، كانت قبل سبيها من بنات الملوك ، ويختلف بنو عبس حول ابوته ، ثم يحكم انه ابن الامير شداد . وينشأ عنتر نشأة العبيد ، يخدم ويلزم برعي الغنم ، الى ان تظهر شجاعته النادرة ، فيصبح (حامية) بني عبس ، ثم يتزوج ابنة عمه عبلة ، ثم يموت ميتة حقيرة — بعد ان طرده قومه — حيث يترصد له احد اصحاب الثارات فيقتله بنبله مسمومة .

(٩) شكري محمد عياد : المصدر السابق ، ١١٤ .

(١٠) شكري محمد عياد : المصدر السابق ، ص ١١٢ .

وعقد باحث معاصر مقارنة بين نموذج «راجلان» وبين حياة امرئ القيس فتكشف له عن سيرة عالمية لهذا البطل ، يتصل جذره بالاداب السومرية والسامية (١١) .

كذلك الحال بالنسبة لابطال السير الشعبية والقصص والحكايات لان « البطل الاسطوري ليس بطلا موضوعيا بالمعنى العلمي ولكنه موضوعي بالمعنى العقلي لكلمة الموضوعية ، بل بمعناها الاتفعالي . وهذه الصفة الموضوعية الاتفعالية ... هي التي تجعل للاسطورة تأثيرها الخاص وجوهرها الصلب الذي لا يمكن ان يضيع ضياعا تاما في ثنايا أي عمل فني متأخر »

ولما كانت الطقوس السحرية ليست فكرية وانما هي ايضا اتفعالية ، لذلك تتحول الاسطورة الى رمز للطقوس التي كانت تمارسها الجماعات ... وما البطل الا رمز من هذه الرموز التي تمثل الاسطورة والطقوس في آن واحد . واذا القينا نظرة الى التراث العربي فاننا نجد العديد من تلك الرموز متجسدة في شخصيات هذا التراث : زرقاء اليمامة ، الخنساء ، سيف بن ذي يزن ، خولة بنت الازور ، عنترة ، الاميرة ذات الهمة ، الحسين ، ابو ذر ، الخضر . او دلالات رمزية متجددة : الحلاج ، ابو يعلي . او قد تكون تلك الرموز متجسدة في وقائع واحداث : حرب البسوس ، وداحس والغبراء ووقائع ايام العرب . او قد تكون رموزا اسطورية : البساط السحري ، علاء الدين والمصباح ، جزيرة واق واق ، جبل قاف ، جنة عدن ، ارم ذات العماد ، خاتم المنى ، طاقة الاخفاء ، الكنز ، العصا السحرية ، العجوز الشمطاء ، الابواب السبعة ، الحيوان المسحور ، النير الطائر ، الاعداد ، العون الخارق ، الابن الاصفر ، البراق ، العنقاء . الخ .

(١١) يراجع الدكتور عادل البياتي (ايام العرب) ص ٢٧٧ ومجلة افاق عربية العدد ٩ سنة ١٩٧٥ مقاله المعنون البطل الاسطوري واللحمي .

واذا كانت ثمة خصائص عامة للتراث هي : التحول والاضافة والتغيير ،
فان ثمة مبادئ عامة تحكم رموز التراث العربي في حركتها الدائبة بين القيم
الماثلة والقيم الجديدة ، وهذه المبادئ هي :

- مبدأ القدرة والعجز •
- مبدأ الطموح والغيرة والحسد •
- مبدأ التداخل بين العوالم الانسانية والحيوانية والنباتية وانتصار الانسان
على الجميع في النهاية •
- مبدأ الاستخدام الافضل للعقل عند مجابهة الصعاب •
- مبدأ المطالب التعجيزية •
- الابن الاصغر ومعجزاته •
- تأثير الدين •

كما ان ثمة صراع هائل — يتجسد من خلال الاساطير — بين الانسان
والارض وبين القوى الشريرة والطاغية التي تحاول التسلط عليهما لمنعهما من
استمرارية الوجود والحياة • ويشكل التراث العربي الساحة الواسعة لهذا
الصراع ضمن اطار خصائصه العامة : التحول والاضافة والتغيير •

ومن هنا يمكننا توظيف رموز التراث العربي من خلال خصائص التراث
العامة وفق التصور التالي :

اولا — التحول : هو من اهم خصائص التراث حيث يتحقق من خلاله
(الموت) ثم (البعث) ثم (القيامة من جديد) • فالتراث الساكن يمثل مرحلة
(الموت) لما فيه من الفساد والانحلال والعقم • بينما يمثل التراث المتحرك
مرحلة (البعث) لما فيه من روح ثورية ومواقف ملتزمة بالحق وطموح الانسان
العربي للتغلب على العقبات وتغيير الواقع • اما مرحلة (القيامة من جديد)
فانها تتمثل في اكتشاف البطل للحلول الجذرية لمشاكله بالقضاء على الشر
والعذر والخيانة من على الارض ونشر العدالة • وهذا الكشف يؤدي الى ان

يكون التراث رحما ولودا للعديد من القيم الحضارية الجديدة • فرحلات السندباد البحري اكتشاف للعالم الخارجي ومحاولة للتحويل من القيم الرثة الى القيم المستجدة والمستحدثة • وعندما يترقب عنترة - في صغره - الاسد حتى يخرج اليه فيصرعه بيديه ثم يشويه ويأكله ... فان هذه الاسطورة تمثل جزء من طقوس العبور ... وهو العبور الى وظيفة الملك الاقدس ، في الوقت الذي تمثل فيه عبورا الى الذات لاستكشاف بواطنها وصقلها بالقيم الانسانية الفاضلة • كذلك تشير ملاحم سيف بن ذي يزن والاميرة ذات الهمة واسطورة (الخضر) الى الموت الذي عاتته الامة العربية وتبشيرها بالبعث والولادة الجديدة من خلال تحول الابطال من الجبن واللامبالاة والغيبة الى الشجاعة والالتزام والواقعية •

بل اتنا نجد هذا التحول في التراث العربي ككل .. فقطوسه القديمة تحولت الى اساطير ، تمثلها الملاحم العربية في ايامهم التي عاشوها في الجاهلية ، ثم تحولت هذه الاساطير الى حكايات يلعب فيها (البطل) الدور الرئيس بحيث يتحول الى (رمز) يتعامل مع الرموز الاخرى التي تمثلها الكائنات الغريبة التي هي مزيج من الانسانية والحيوانية والالوهية ... تلك الكائنات ذوات الارواح كالحيوانات والاشجار العظيمة والبحار والانهار والجبال وغيرها من رموز القوى الطبيعية •

ثانيا - الاضافة :

اذا اخذنا بفكرة (راجلان) حول الاساطير ، والتي تؤكد على ان الاساطير « لا تعدو ان تكون شكل الكلمات المرتبة بطقوس معينة • ولناخذ هذا المثل البسيط :

عندما نودع صديقا ، نصافحه باليد ونقول : مع السلامة • فالمصافحة ضرب من القطوس ، والعبارة (مع السلامة) هي شكل مختصر من القول (مع سلامة الله) وهي الاسطورة ... »^(١٢) فان هذا الكلام المصاحب

(١٢) شكري محمد عياد : المصدر السابق ، ص ٨٦ - ٨٧ •

للاساطير قد شهد اضافات عديدة من خلال الممارسات الزمانية والمكانية المختلفة ، وعلى شكل حلقات ، في دورة اسطورية تصل بداياتها - احيانا - الى ايام سحيقة في القدم .

» فقد كان الساميون القدماء يقدسون كل ما يرمز الى الخصوبة واستمرار الحياة ، فاتخذوا الام في اول الامر رمزا ، ثم اضيف العضو الذكري الى قائمة الظواهر المقدسة عندهم ، لذلك يظهر هذا العضو عند شعراء الجاهلية ، كبقايا لذلك التقديس ، ولكن بشكل متطور بحسب العقلية الملائمة للعصر . . » (١٣)

بل اننا نجد في التراث العربي ظاهرة الاضافة واضحة جلية في استئثار بطل واحد بطولات الوقائع والايام العربية ، فقد اضيفت جميع بطولات ايام (داحس والغبراء) الى عنترة بن شداد .

ولعل الحكايات الشعبية اخصب نماذج التراث العربي تعرضا للاضافة ، حتى يمكننا القول ان قصص الف ليلة وليلة ما هي - في الحقيقة - الا جماع تراث الشعب العربي من الحكايات التي كانت متداولة في العراق والشام ومصر والمغرب العربي . . . اضيفت الى بعضها فكان هذا التراث العربي الخالد .

والذي يهمننا في موضوع (الاضافة) كيفية تنقية الاصل الاسطوري للتراث من (الاضافات الفنية) التي ادخلت عليه ، ومن ثم بناء العمل الادبي الجديد عليه من خلال وضع اطار العلاقة الجدلية بين الاسطورة والواقع في دياكتيكية خاصة من اجل اغناء هذا الواقع وغرس قيم ومفاهيم جديدة فيه .

ثالثا - التفسير :

يتمثل الصراع القائم في الاساطير والحكايات - ومجمل الموروث القومي - بالعداء الكائن بين البطل ومنافسه او عدوه . فالبطل جميل ، شجاع ، وسيم ومحب للخير . . . وعدوه : قبيح ، جبان وشرير . وكأن البطل هو نموذج

(١٣) الدكتور عادل جاسم البياتي : كتاب ايام العرب ، بغداد ١٩٧٦ ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .

الانسان الذي يخرج من عالمه الصغير - عالم الام - الى عالم القبيلة الممتد في الماضي والمستقبل ، المرتبط بقوى كونية اكبر من القبيلة واوسع في معنى الانسانية نفسها ..» (١٤)

وعندما اكتشف الانسان فكرة الخير والشر ، بدأ الصراع الحقيقي بين الشكل القديم القائم على الاستقرار والذي يتمثل في الروح الخيرة ، وبين المضمون الثائر على هذا الشكل الجامد المتمثل بالنطاق الاجتماعي الذي يكبل تطلعات الفرد ويحول دون تحطيمه . وهذا هو الدافع النفسي الذي يدفع بالبطل الى ثورته ضد الشكل ، وضد النطاق الاجتماعي وضد التناقض . وهو نفسه اداة (التغيير) في كل الموروث القومي للامة .

فالملك الهرم ، في الاساطير القديمة ، يجب ان يتغير بعد ان انحصرت قوته الخارقة فعم الخراب البلاد ونفقت القطعان واجهضت النساء . كذلك بطل الاساطير ، فعنترة - كما رأينا - يموت ميتة حقيرة بعد ان طرده قومه . لان المجتمع يحاول دوما التخلص من بطله الفاني والعاجز ليجدد حياته بروح فتية نتيجة هذا التغيير والتبديل . ولان الحياة تنبعث من الموت في صورة الصراع الدائر في الاساطير وفي الواقع ... ولذلك اصبح التغيير سنة الحياة . ومن هنا فان استعمال الرمز الاسطوري التاريخي برؤى فتية جديدة يسبغ على النموذج الجديد قيما جديدة لكي يصبح رمزا حضاريا يعبر عن (التغيير) المطلوب في قيم المجتمع وصولا الى تحقيق الهدف .

توظيف الرموز في تنمية القابليات من خلال ادب الاطفال :

ان علاقة الفرد بالتراث ورموزه علاقة مستمرة ومستديمة ، لانه يتفاعل معه في حياته اليومية . ويتعايش معه كلما تجددت العلاقات الاجتماعية . لذلك يجب علينا توظيف هذا التراث والاستفادة منه في سعينا نحو الرقي الحضاري وتنمية قابليات الاطفال والارتفاع بذوقهم الفني والادبي الى المستوى المطلوب من خلال ادب الاطفال .

(١٤) شكري محمود عياد : المصدر السابق ، ص ١٤٠ .

ان الانقسام الكائن بين تربية الطفل البيتية والمدرسية يخلق لديه ازدواجية في الشخصية لا يستطيع التخلص منها عندما يكبر ، بل يتضخم لديه كلما توغل في الحياة ومارس تناقضاتها اليومية . لذلك فان اقوم طريق لردم هذه الشقة بين التربييتين هي العودة الى التراث لكي ينهل منه الطفل ويتخذة معينا له طيلة حياته عن طريق ردم التناقضات :

١ - بين البيت والمدرسة .

٢ - بين التربية البيتية والمدرسية .

٣ - بين حياة الفرد والمجتمع .

ولا يتم ذلك الا باستعمال لغة سهلة ومبسطة تكون وسطا بين اللهجة العامية واللغة الفصحى تعتمد على البساطة والدقة وابرار الحقائق في جمل قصيرة ذات نهايات بليغة مع شحن الكلمات بالمعاني ذات التشابه المسهبة والاشارات الموفقة بعيدا عن الخطابة والوعظ اللذين يؤديان الى الملل .

اما مضمون ادب الاطفال فيجب ان يعتمد على المفاهيم الاخلاقية والتربوية والتوجيهية في آن واحد ضمن اطار :

— اجراء المقابلات مع الشخصيات .

— متابعة اخبار العالم واحداثه .

— تبادل المراسلات بين الاطفال قطريا وقوميا ودوليا .

— متابعة الاحداث السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية في القطر .

— اجراء المسابقات .

— متابعة المناسبات الوطنية والقومية والعالمية وذلك لغرض :

— تنمية هوايات الاطفال .

— غرس قيم وعادات طيبة في نفوسهم .

— التوجيه الاخلاقي وبث الوعي الاجتماعي .

— دعم عاطفة الحب لديهم نحو القيم الرفيعة الوطنية والقومية
والعالمية من حب الوطن والتضامن والنضال القومي والسلام
العالمي القائم على العدل واحترام المفاهيم الاشتراكية •

— الاستفادة من التراث ، رموزه واساطيره ، تضيئنا واستلهاما وتشبيها
لارساء قيم فاضلة واخلاق حسنة لكي تستطيع ان تأخذ بيد الطفل
ليجتاز العقبات التي تعترض سبيله ويفرس في نفسه المبادئ التي
يستطيع ان يبنى عليها سلوكه في المستقبل •

فكيف نستطيع توظيف تلك الرموز في قصص الاطفال ؟ مثل كل شيء ،
يجب وضع خطة للعمل تستند الى ثلاث مراحل ، هي :-

اولا - تثبيت الرمز :

ان مواقف الانتصار والانكسار وما يدور بينهما من احداث ووقائع في
الحكايات والاساطير ، تتوافق تلقائيا مع اهداف الحادثة سواء أكانت دينية او
اخلاقية او ترفيهية لكي تؤدي وظيفتها التربوية في نهاية المطاف •

واذا كان للتراث وظيفة نقدية ، الى جانب وظيفته التربوية ، فان ذلك لا
يعني ان التراث بمجموعه يمثل العمل الثوري الخلاق للشعب ، لان ثمة نماذج
عديدة فيه تؤكد على الجمود والانهازية • بل قد يحدث احيانا ان يكون
هذا الهروب الى الخيال او الرمز ، يقول باسكوم « ان كشف الانسان لما
يسميه بالتعاسة من خلال الحكاية ، انما هو هروب الى الخيال من ضغوط
المجتمع سواء اكانت هذه الضغوط هي الزنا بالمحارم او تعدد الزوجات او غير
ذلك .. » (١٥)

غير ان الهروب المقصود هنا ، هو اكتساب القدرة على تحطيم القيود
والارتفاع فوق الالام والمنغصات والعقبات للوصول الى الاستقرار والسعادة
والطمأنينة • وبذلك تخدم الحكاية الشعبية الفرد والتطور الاجتماعي ، في
الوقت الذي تقوم فيه بالوظيفة التربوية •

Alan Dandes : The Study of Folklore, U.S.A. 1965, p. 279. (١٥)

ولذلك يجب علينا فرز العناصر الايجابية من التراث ، لانه موروث حي يسبق الزمن ويقدم البديل البناء ، وان كان بشكل خيالي او اسطوري او رمزي . وهذه العناصر الايجابية ليست بحاجة الى الاضافة او التغيير لانها تستطيع ان تقوم بوظيفتها التربوية من خلال قصص الاطفال عبر طريق استلهام الرموز في تحقيق الهدف . فثمة العديد من الاساطير والحكايات التي تتخذ من الصفات الحميدة والخيرة ابطلا لها كالصدق والاخلاص والاحسان والامانة والعقل ، بدل الابطال العاديين ، حيث يمكن توظيف هذه الرموز في قصص الاطفال ليتخذوا من هذه الصفات ملاذا لهم في ساعات الضيق والامتحان لانها لا تخذل من يتحلى بها في الملمات . كما يمكن اضافة رمز الى رمز اخر من رموز العناصر الايجابية للوصول من خلال التحول الى الابتكرات الفنية والعلمية الحديثة . فقد استطاع الانسان العربي بخياله المبدع ان يخلق رمز (البساط الطائر) لتخطي العقبات وليخضع لارادته الزمان والمكان ، واستطاع عباس بن فرناس ان يحول هذا الرمز الخيالي الى رمز واقعي عندما قام بالتجربة العملية للطيران ، وهي نفسها الفكرة التي اوحى الى الانسان الحديث فكرة زيادة الفضاء بالطيران الحديث ، بل الوصول الى الكواكب الاخرى عن طريق الاقمار الصناعية .

كما اننا نستطيع تحويل القيم الجامدة من تراثنا الساكن الى قيم ثورية تقدمية لكي يتحول الى تراث متحرك باضافة القيم الجديدة السائدة في المجتمع اليها . . . عن طريق نبذ السلوك الفردي المتداول ، في الحكايات والاساطير ، في الحياة والتوجه نحو انماط السلوك الجماعي وتنميتها لدى ان طفل خدمة للافكار الاشتراكية التي تؤكد على العمل الجماعي ، حيث يتحول رمز البطولة الفردية الى رمز بطولة الجماهير في انجاز المهمات عن طريق العمل الشعبي مثلاً .

ثانياً - مرحلة الطموح :

ان الوظيفة الاساسية للحكايات الشعبية وكذلك الاساطير ، هي خدمة وظيفة التعليم والتربية ، ولذلك فان التراث المتحرك - وبعضاً من التراث

الساكن - لا يقف ضد الطموح الانساني ، وانما يسعى من خلال فكرة الثواب والعقاب الى ترسيخ القيم الفاضلة لكي لا يتخذ السلوك اللااخلاقي وسيلة للوصول الى الهدف او لتحقيق الغايات .

لذلك يجب ان تتمثل الوظيفة الثقافية والتربوية لقصص الاطفال في كيفية توظيف رموز التراث العربي لأرساء القيم الفاضلة واطافة القيم الجديدة لمجتمعنا الاشتراكي اليها عن طريق التحول او التوجيه بالتغلب على العقبات التي تقف بوجه المسيرة الثورية .

فان رمز (الكنز) والحصول عليه يجب ان لا يكون غاية ، بل وسيلة للوصول الى منفعة عامة لتنمية المجتمع .

ورمز الذود عن القرية او القبيلة يجب ان يتحول الى رمز للدفاع عن الوطن والقومية كهدف ، لان الحياة يجب ان لا تخلو من هدف ، وهو الذي يستدعي التضحية والفداء .

ونبذ رمز القناعة باعتبارها كنزا واداته من خلال الدعوة الى الطموح كسلوك ملتزم .

وادانة رموز الكسل والخمول والاستغلال والانتكالية والظلم والغدر والخيانة واللؤم والكذب ، والدعوة الى العمل والصدق والاخلاص والإخاء والوفاء والاتقان والاجارة والحب .

ثالثا - مرحلة الاكتشاف :

تعد هذه المرحلة من اهم مراحل توظيف رموز التراث في تنمية قابلية الطفل ، لانها تعتمد على تمرين عقل الطفل على اختبارات الذكاء والتحكم في الاستخراجات اللغوية وتسلسل الافكار عن طريق المترادفات اللغوية والعدد واستخدام الافعال المزدوجة والتنازلية للارتفاع بالادراك العقلي لدى الاطفال لوضع البدائل الجيدة والمتسقة مع ظروف المجتمع وقيمه الجديدة والافكار السائدة فيه .

واذا كانت الحكايات والاساطير قد لازمت التفكير الانساني منذ بدء الخليفة ، كصورة اخرى لحركة المجتمع في اطار الزمان والمكان وكتسجيل للفكر العربي في مختلف المراحل ... فكلما ازداد تطور العرب الاجتماعي وابدعت افكارهم صورا جديدة، تساقطت بعض القيم ونشأت قيم جديدة كبديل لها . ولذلك فان وظيفة الحكاية لا تنتهي الا بنهاية الوجدان الشعبي لانه المصدر الاساسي لها .

ولا يتم الاكتشاف الا عن طريق الغوص في الوجدان الشعبي في محاولة لاكتشاف بواطنه لوضع البديل الصحيح لكل الرموز الخاملة والتواكلية والرجسية من اجل التسامي بالطفل نحو افاق المعرفة والنور والجمال ، حتى يمكننا اعتبار مرحلة الاكتشاف من ابرز قيم مرحلة التوازن الاجتماعي في المجتمع^(١٦) . فعندما يعجز الوالد - او البطل - عن ادارة اعماله او مملكته ينادي على ابنائه الثلاثة ويستجوبهم لاكتشاف كفاءتهم وقدرتهم على تحمل اعباء الملك والصعاب ... فيسعى كل واحد منهم - بطريقته الخاصة - الى اثبات مواهبه لكي يظفر برضاء الوالد . غير انهم يفشلون الا الابن الصغير الذي يستطيع تلبية رغبات الوالد بعد كثير من المغامرات والمخاطر والصعاب التي يلاقها في طريق اكتشافه لذاته اولا واكتشافه لوسيلة نجاحه ثانيا . وهذا الابن الاصغر هو في حد ذاته (قيمة) او رمز يمثل الفتوة والريعب والخير . واذا عرفنا بان هذا الابن الاصغر يكون في كثير من الحالات ابن أمة سوداء وبذلك يحقق هذا الرمز التكافؤ الاجتماعي اولا ويضع البديل الواضح عن العجز والزيف والشر ثانيا .

كما نستطيع عن طريق هذا الاكتشاف وضع البدائل الحديثة للكثير من الرموز التراثية : فيمكن ان نتخذ من عنترة بديلا ورمزا للانسانية الثائرة ضد الاضطهاد اللوني والعنصري ، ومن الحصان العربي رمزا للاصالة والوفاء وصورة لعلاقة الحيوان بالانسان . ومن جزيرة واق واق بديلا عن العوالم السحرية في قصص الاطفال .

(١٦) ابراهيم احمد بخيت : المصدر السابق ، ص ٢٨ .

النتيجة :

ارجو ان لا يفهم من دراستي هذه انني ادعو الى العودة الى المعتقدات البالية او القيم القديمة لتقديمها في طبق نظيف يستسيغها الجيل الجديد ... ولكنني ادعو الى دراسة موروثاتنا دراسة علمية ودقيقة لاستخلاص الدروس منها لتوظيفها في تربية اطفالنا وتنمية قابلياتهم لخدمة اهداف الثورة وقيمها الحضارية الجديدة .

ان ربط الماضي بالحاضر من خلال الفهم الشامل والواعي لطبيعة التراث العربي وقيمه الاصلية سواء ما كان مرتبطا منها بايام العرب في الجاهلية أم بالاسلام أم بالحياة اليومية المادية للفرد والجماعة هو المنطلق الاساس للتوجه نحو غد متميز يعتمد تراث الماضي واصالته قاعدة حضارية تركز عليها نهضتنا الشاملة في عراق الثورة اليوم .

مصادر البحث :

- ١ - الدكتور ياسين خليل : رئيس تحرير مجلة التراث العلمي العربي ، العدد الاول ، السنة الاولى ١٩٧٧ .
- ٢ - ابراهيم احمد بخيت : دور الحكاية الشعبية في التعليم ، ندوة الفولكلور العربي ، بغداد ١ - ١٠ اذار ١٩٧٧ (غير مطبوع) .
- ٣ - شكري محمد عياد : البطل في الادب والاساطير ، القاهرة ١٩٥٩ .
- ٤ - جيمس فريزر : الغصن الذهبي ، ترجمة د . احمد ابو زيد واخرين ، القاهرة ١٩٧١ .
- ٥ - الدكتور عادل البياتي : كتاب ايام العرب ، بغداد ١٩٧١ .
- ٦ - Alan Dandez : The Study of Folklore, U.S.A., 1965.

الدراسات والمناهج الاعلامية

الدكتور سنان سعيد
رئيس قسم الاعلام - كلية الآداب
جامعة بغداد

نظرة تاريخية :

لم تعد الرغبة في العمل الصحفي أو الاعلامي بأنواعه من صحافة واذاعة وتلفزيون ، ولم تعد الموهبة أو الثقافة العامة كافية للنجاح في الممارسة والتطبيق . فقد انتهى عهد الصحافة التي كان يتولى أمرها ويمارس العمل فيها الافراد « الموهوبون » من أدباء أو شعراء وحدهم ، في اوروبا وغيرها من مناطق العالم^(١) وانتهت صحافة المبادرات الفردية ، وتحولت « الصحيفة » من مشروع صغير يتبناه وينظمه ويديره شخص أو بضعة أشخاص ، الى مؤسسة يعمل فيها المئات ، وحيانا الالوف ، وفق تخطيط ومن اجل هدف مرسوم ، في الاغلب ، ممن يخاطبون عشرات الالوف ، وحيانا الملايين من الناس ، وتعين بالتالي على الصحفي ان يفهم السياسة والفلسفة والتاريخ ويعرف اللغات والقانون والاقتصاد السياسي والجغرافيا السياسية ، ويقف على اتجاهات الرأي العام والمذاهب الاقتصادية والاجتماعية ، الى جانب المامه بفنون الصحافة واساليب ممارسة العمل الصحفي والاعلامي ، ويمتلك القدرة على « فهم فن الحياة وليس مجرد الاطلاع على الامور المتصلة بالحياة في جوانبها المختلفة »^(٢) . وتبعاً لكل ذلك فقد برزت أهمية اعداد الكادر الصحفي والاعلامي بصورة عامة في وقت لاحق ، كضرورة تملئها ظروف التطور ، وخاصة الحاصل في مجال الاتصال ، والعلاقات بين الافراد والشعوب والدول .

ولقد بات تأهيل الكوادر للصحافة ومن ثم لوسائل الاتصال الأخرى ، موضع الاهتمام محليا واقليميا ودوليا . وقد اهتمت لجان مختصة في الأمم المتحدة بأمر الاعداد المهني للكوادر الصحفية . ففي عام ١٩٤٨ انعقد في جنيف مؤتمر اشتركت فيه كل الدول الاعضاء في الأمم المتحدة لبحث موضوع حرية الاعلام وما يتصل به من امور وقضايا ومشاكل ، وكانت ضرورة الاعداد المهني من الموضوعات التي حصل اجماع يكاد يكون كليا عليها . وجاء في تقرير للجنة الصحافة ووكالات الانباء التابعة للأمم المتحدة صدر في عام ١٩٤٨ « ان الصحافة لا يمكنها ان تبلغ مستوى رسالتها السامية على خير وجه الا اذا توفرت في الصحفيين القائمين بها المزايا المهنية والعلمية والخلقية الكافية . وتوافق اللجنة كل الموافقة على اهمية الاعداد المهني باعتباره عاملا من عوامل تحسين الخدمات التي تؤديها الصحافة للمجتمع . فليس من مهنة تقتضي من صاحبها ما تقتضيه الصحافة من ثقافة متنوعة ، وقدرة على تطبيق معلوماته على الانباء التي يتداولها يوميا بين يديه » (٣) . وعينت منظمة اليونسكو بأمر تأهيل الصحفيين والاعلاميين فدعت الى مؤتمر عقد في باريس عام ١٩٥٦ ، أجمع الاعضاء المشاركون فيه على ضرورة تأهيل الصحفيين تأهيلا خاصا . واعانت اليونسكو جامعة ستراسبورغ في انشاء معهد دولي للصحافة والاعلام (٤) يعد الكوادر المحلية ، ويساعد في اعداد الكوادر الاجنبية ، وخاصة الافريقية منها ، كما أنشئ معهد دولي آخر باشراف اليونسكو في الكوادور ، كمركز اقليمي للتأهيل الصحفي في قارة امريكا اللاتينية ، ومركز ثالث في دكار فضلا عن مراكز اقليمية اعلامية تقدم العون بشكل او بآخر في مجال تأهيل الكوادر الى الاقطار النامية او الى التي تعاني من نقص او حاجة في هذا الصدد .

ولدراسة الصحافة ، ونعني بها اعداد وتأهيل الكوادر الصحفية تاريخ يعود الى نحو مئة عام . وقد بدأت التطبيقات الاولى للتعليم الصحفي في « واشنطن كوليج » بولاية فرجينيا الامريكية عام ١٨٦٩ . وبعد مضي بضع سنوات ادرجت دروس في فنون الصحافة في مناهج بعض الكليات والمعاهد التابعة لجامعات الولايات الامريكية الأخرى . ولم تكن افكار تدريس

الصحافة تجد التأييد دائما • فقد كان هنالك من يتشكك في جدواها ، وكان هنالك من يتحمس لها ويدعو اليها ويعمل على انجاح تطبيقها • وكان في مقدمة المتحمسين لتدريس الصحافة من الصحفيين البارزين « جوزيف بوليتزر »^(٥) الذي كان متفائل النظرة الى مستقبل التأهيل الصحفي • ولم تعرف اوروبا تعليم الصحافة الا في مطلع القرن • ولعل جامعة زوريخ في سويسرا هي اول مؤسسة جامعية في اوربا تعنى بالصحافة والتعليم الصحفي ، بانشائها كرسيًا للصحافة في عام ١٩٠٣ ، وبتطبيق برنامج لتعليم الصحافة نظريا وعمليا^(٦) • على ان مدرسة الصحافة في ليل ، هي اول مركز للتأهيل الصحفي في اوروبا وفق برنامج منظم ، ويرجع تاريخ تأسيس هذه المدرسة الى عام ١٩٢٤ •

ان الحرب العالمية الاولى ، باحداثها والتطورات اللاحقة لها ، زادت من اهمية تدريس الصحافة ، وضاعفت الاهتمام به • ففي المانيا ظهر الاهتمام بالدراسات الصحفية منذ عام ١٩١٩ • وفي الاتحاد السوفيتي برز الاهتمام بتدريس الصحافة بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، وتمثل ذلك في دورات قصيرة الاملد ، عرفت بدورات روستا^(٧) وذلك عام ١٩١٩ • اما اول برنامج تدريبي مهني فقد انشأته الحكومة في جامعة موسكو عام ١٩٢١ • وتحول في عام ١٩٢٣ الى دراسة لمدة ثلاث سنوات • وفي الوقت نفسه انشئت اقسام للصحافة في العديد من الجامعات ومنها جامعة موسكو وليننغراد (عام ١٩٣٠) • وتحول قسم الصحافة في جامعة موسكو الى كلية للصحافة عام ١٩٥٢ • وجرى الشيء نفسه في جامعات ومعاهد اخرى ، في كييف وليننغراد ولفوف وباكوف ، حيث تحولت اقسام الصحافة في جامعاتها الى كليات قائمة بذاتها^(٨) • وظهرت ، في الفترة ما بين الحربين العالميتين الاولى والثانية ، اقسام ومدارس وكليات للصحافة في العديد من الجامعات الاوربية وفي جامعات اليابان^(٩) ، والصين والهند وتايلاند وغيرها • اما في الاقطار العربية فقد انشئ اول قسم للصحافة في الجامعة الامريكية في القاهرة عام ١٩٣٥ ، تلاه انشاء معهد للتحرير والترجمة والصحافة في جامعة القاهرة عام ١٩٣٩ • وكانت

مدة الدراسة في المعهد سنتين بعد الدراسة الجامعية ، زيدت الى ثلاث سنوات عام ١٩٤٨ • وفي عام ١٩٥٤ انشئ في كلية الاداب بجامعة القاهرة قسم التحرير والترجمة والصحافة (وكان يقبل فيه خريجو الثانوية) • وتحول القسم المذكور الى قسم للصحافة ، والى معهد للاعلام (١٩٧٠/١٩٧١) والى كلية للاعلام في وقت لاحق (١٩٧٥)^(١٠) • وفتح الى جانب كلية الاعلام في جامعة القاهرة وقسم الصحافة في الجامعة الامريكية ، قسم للاعلام في جامعة الازهر ، وقسم للاعلام في جامعة اسيوط (١٩٧٦) مؤخرًا •

وشهد عام ١٩٦٤ انشاء المعهد الوطني العالي للصحافة في الجزائر^(١١) • وقسم الصحافة في كلية الاداب بجامعة بغداد • وانشئ في العام نفسه اول مركز للتأهيل الصحفي في تونس وهو معهد الصحافة وعلوم الاخبار • وفي عام ١٩٦٦ انشئ قسم للصحافة في جامعة ام درمان بالسودان ، وانشئت اقسام للصحافة ، في السنوات التالية ، في جامعات الرياض وجدة ، وليبيا ، ومعهد للاعلام في الجامعة اللبنانية ، تحول الى كلية للاعلام والتوثيق قبل نحو سنتين • واعلن عن انشاء قسم للصحافة والاعلام في المغرب اواخر عام ١٩٧٦ ، وتتجه النية الى انشاء قسم للاعلام في كلية الاداب بجامعة الكويت •

ان تطور الاعلام والاتصال وظهور وسائل الاتصال الجديدة وتطورها وتوسع استخدامها ، واتباع اساليب متطورة وحديثة في مخاطبة الجماهير ، وتنوع وتعقد العمل داخل الاجهزة الاعلامية ، وتطور فنون السينما والاذاعة والتلفزيون جعل معاهد اعداد الكوادر الاعلامية ، والتأهيل الصحفي تراجع مناهجها وخططها وتعيد النظر فيها على نحو يتفق مع ظروف ومتطلبات المرحلة الراهنة • ومن هنا ، فقد تشعبت الدراسة في اقسام ومعاهد الصحافة والاعلام ، واخذ بمبدأ التخصص في الكثير منها ، مع التركيز في التخصص على فروع الصحافة والاتصال والاذاعة والتلفزيون والعلاقات العامة ، في الاغلب •

أنماط الدراسات الاعلامية :

لقد كان التأهيل الصحفي (الاعلامي) دروسا في الصحافة • وكانت الغاية من انشاء معاهد ومراكز التأهيل الصحفي ، التأهيل الصحفي العام • واستوعبت مناهجها ، بمرور الزمن ، دروسا في مواضيع النظرية الصحفية ، وتاريخ الطباعة ، والصحافة ، والتحرير الصحفي ، واللغة والاسلوب التي جانب مواضيع مساعدة او ثانوية ، توفر - مع المواضيع التخصصية الرئيسة - اسباب الثقافة الصحفية العامة ، فضلا عن دروس عملية وساعات منهجية في تطبيقات بعض المواضيع (المواد) كالاخراج والضرب على الالة الكاتبة والاختزال والتصوير • ثم طورت الاقسام الى معاهد تابعة لكليات او جامعات ، او كليات ومعاهد مستقلة قائمة بذاتها ، تضم مناهجها مواضيع نظرية وعملية بالاختصاصات التي تدرس فيها ، كفنون وعلوم الاتصال (التحرير الاذاعي والتلفزيوني ، تخطيط انتاج البرامج ، الاتصال والتنمية ، الرأي العام والدعاية ، الاخراج الاذاعي والتلفزيوني ، العلاقات العامة وتخطيطها وتطبيقاتها ، الالقاء والصوتيات • الخ) •

ان اغلب مراكز ومعاهد التأهيل الصحفي (الاعلامي) تمنح شهادات البكالوريوس او الدبلوم بعد دراسة تستغرق اربع او خمس سنوات تكون المرحلة الاولى منها عامة والمرحلة الثانية تخصصية • او يركز في المرحلة الثانية على المواد التخصصية • وقد استحدثت دراسات تخصصية عليا في بعض المعاهد الاعلامية يمنح الطالب بعد انجاز متطلباتها درجة الماجستير او الدكتوراه •

ويمكن لنا ايجاز الدراسات الصحفية والاعلامية على النحو التالي :

- ١ - دراسات اكااديمية لمدة ثلاث سنوات بعد المرحلة الثانوية (فرنسا)
- ٢ - دراسات اكااديمية في الصحافة والاعلام لمدة سنتين بعد دراسة اكااديمية جامعية لمدة سنتين (في فرنسا ايضا)

٣ - دراسات اكاديمية في الصحافة والاعلام لمدة سنة او سنتين بعد دراسة
اكاديمية جامعية معينة لمدة اربع سنوات (معهد الصحافة في جامعة
القاهرة سابقا ، وبعض المعاهد في فرنسا الآن)

٤ - دراسات اكاديمية جامعية في الصحافة والاعلام لمدة اربع سنوات (مع
تخصص) (كلية الاعلام في جامعة القاهرة ، قسم الاعلام في جامعة
بغداد ، قسم الاعلام في جامعة الرياض) •

٥ - دراسات اكاديمية جامعية في الصحافة والاعلام لمدة خمس سنوات بعد
الثانوية - مع تخصص - (كليات الصحافة في الجامعات السوفيتية) •

٦ - دراسات تخصصية عليا - ماجستير •

٧ - دراسات تخصصية عليا - دكتوراه (ثلاث سنوات بعد الماجستير) •

٨ - دراسات تخصصية عليا - دكتور (٣ - ٤ سنوات بعد الدراسة الجامعية
الاولية) •

٩ - كورسات أو مواد اعلامية ضمن دراسات انسانية اخرى •

وثمة صيغ اخرى للتأهيل الاعلامي ظهرت تطبيقات واسعة لها خلال
السنوات الاخيرة نذكر منها :

- دورات تأهيلية قصيرة الامد لبضعة اسابيع الى بضعة اشهر (١٢) •

- حلقات دراسية محلية واقليمية ودولية (١٣) •

- محاضرات مستقلة في مواضيع تتصل بالممارسة النظرية والتطبيقية للعمل
الاعلامي •

توجهات الدراسات الاعلامية :

إذا أمعنا النظر في مناهج مراكز ومعاهد الدراسات الاعلامية والصحفية
في العالم ، نجد للبعض منها توجهاً معيناً في الدراسة او موادها ، الى جانب
التفرع التخصصي فيها ، مع ما بينها من تماثل قليل او كثير في المواد الدراسية •
ويرتبط ذلك بطبيعة ظروف واحتياجات البلاد ، وبالنظام القائم فيها وسياساته

العامة والتعليمية ، بالدرجة الرئيسية . فعلى سبيل المثال نجد أن معاهد الصحافة والاعلام في فرنسا تعنى في مناهجها بالمواد القانونية على نحو بارز^(١٤) . في حين تمثل المواد التاريخية المتصلة بالتاريخ السياسي للبلاد وتاريخ الصحافة موقعا بارزا في مناهج كليات الصحافة في البلدان الاشتراكية ، وخاصة في الاتحاد السوفيتي^(١٥) . ويعنى في معاهد الصحافة والدراسات الاعلامية في الولايات المتحدة بالعلاقات العامة والاتصال بالجمهور والاعلان بصورة خاصة .

كما نجد ظاهرة تخصص بعض المعاهد . فمدرسة الصحافة في « ليل » : مثلا تعنى بدراسة « الصحافة » . في حين يأخذ معهد ستراسبورغ بالتخصص في فروع ثلاثة هي الصحافة ، والراديو ، والتلفزيون . ويميل معهد الصحافة في جامعة باريس الثانية الى البحوث والدراسات الاعلامية والاتصال اكثر من غيرها . اما الدراسة الاعلامية في جامعة باريس الرابعة فتهم بالعلاقات العامة والاعلان والدعاية^(١٦) . ولبعض معاهد الصحافة والاعلام في المانيا الغربية توجهات خاصة : هي الاخرى . فمعهد **Für Publizistik** التابع لجامعة برلين الحرة ، والذي يمنح الماجستير والدكتوراه في وسائل الاتصال الجماهيرية ، بشكل عام ، يعنى بصورة خاصة بوسائل الاتصال في المانيا الديمقراطية ودول اوربا الاشتراكية الاخرى ، لاسباب سياسية ، بالدرجة الاولى ، دون شك . وفي معهد الصحافة التابع لجامعة **Göttingen** يتركز الاهتمام في مناهج الدراسة على وسائل الاتصال بشكل عام . ونجد المعهد التابع لجامعة مينز **Mainz** يعنى بمنهج البحث في الاتصال الجماهيري وبدراسات تاريخ وسائل الاتصال^(١٧) .

الدراسات الاعلامية العربية

تطورت انظمة ومناهج الدراسات الاعلامية العربية ، خلال السنوات الاخيرة على نحو ملموس . ومع ظهور مراكز جديدة للدراسات الاعلامية في الوطن العربي ، وجدنا انماطا من الدراسات الاعلامية تأخذ باتجاهات

متنوعة ، وتتباين من حيث الاسس ايضا • فالمعاهد الاعلامية تعتمد الدراسة الاكاديمية المؤلفة من اربع سنوات من حيث الاساس ، وتأخذ بما يلي :

- ١ - نظام السنوات الدراسية (كلية الاعلام في جامعة القاهرة) •
 - ٢ - نظام الكورسات ، او المتصلين الدراسيين المؤلفين لسنة دراسية واحدة (قسم الاعلام في جامعة الرياض ، قسم الاعلام في الجامعة الامريكية في القاهرة • وقد شرع بتطبيق هذا النظام في قسم الاعلام بكلية الآداب في جامعة بغداد اعتبارا من العام الدراسي ١٩٧٧/١٩٧٨ م) •
- ونجد ان مناهج الدراسة في كثير من معاهد الاعلام العربية تأخذ بالتخصص ، في حين ان بعض المعاهد والمراكز تطبق الدراسة الصحفية أو الاعلامية العامة • ويمكن لنا ان نجمل الاتجاه في هذا الصدد بما يلي :

(١) تخصص عام في الصحافة^(١٨) (قسم الصحافة في جامعة اسبوت و فرع الاعلام بالجامعة الامريكية في بيروت) •

(٢) تخصص في فرعين ، هما في الاساس :

أ - (الصحافة) أو (الصحافة والعلاقات العامة)

ب - (الاذاعة والتلفزيون)

(٣) تخصص في ثلاثة فروع ، هي :

أ - (الصحافة) •

ب - (الاذاعة والتلفزيون) •

ج - (العلاقات العامة)^(١٩) •

او يكون تفريع التخصص كالاتي :

أ - الدراسات الاعلامية (اعلام)

ب - الصحافة والاذاعة والتلفزيون •

ج - الاعلان والعلاقات العامة (٢٠) •

ونجد التفريع على نحو آخر :

أ - الصحافة والنشر •

ب - العلاقات العامة والاعلان •

ج - الاذاعة والخيالة (٢١) •

وتكاد معاهد الاعلام العربية تتماثل في تحديد مرحلة التخصص • فهي تأخذ بمبدأ الدراسة العامة في السنتين الاوليين ، وبالتخصص في السنتين الثالثة والرابعة • ويتميز التخصص في « معهد الصحافة وعلوم الاخبار » في تونس ، وفي « معهد العلوم السياسية والاعلامية » في الجزائر ، عن الدراسة والتخصص في سائر معاهد الاعلام العربية • ففي معهد تونس تكون الدراسة على النحو التالي :

(أ) دراسة عامة في السنتين الاوليين ، تكون بمثابة مرحلة دراسية قائمة بذاتها يمنح الطالب بعدها درجة علمية (شهادة الكفاءة في الصحافة) •

(ب) دراسة تخصصية في السنتين الثالثة والرابعة يحصل الطالب بعد انجاز متطلباتها على شهادة « الاجازة في الصحافة وعلوم الاخبار » • ويؤخذ هنا باختيارات تخصصية الى جانب التعلم الاساسي التخصصي (٢٢) •

اما في « معهد العلوم السياسية والاعلامية » في الجزائر فان التخصص يكون في المرحلة الثانية من الدراسة ، في احد فروع الدراسة في المعهد ، وبينها العلوم الاعلامية • والظاهر ان المعهدين التونسي والجزائري قد اخذا بنمط الدراسة التخصصية المزدوجة في المعاهد الفرنسية • فالدراسة في المعهد الفرنسي للصحافة وعلوم الاخبار في جامعة باريس الثانية ، مثلا ، تركز على اساس التقسيمات التالية :

• قانون •

• اجتماع •

• تاريخ •

• اقتصاد • (٢٣) •

وهو ما تنلمسه في اتجاه الدراسة التخصصية في معهدي المغرب العربي •
وتأخذ ثلاثة مراكز للدراسة الاعلامية في الوطن العربي ، بالتوجه الديني
في التخصص ، وهي قسم الاعلام في جامعة الازهر ، وقسم الصحافة والاعلام
في جامعة ام درمان الاسلامية ، والمعهد العالي للدعوة الاسلامية في جامعة
الامام محمد بن سعود الاسلامية في الرياض •

وثمة اتجاهات تدعو الى تخصص المعاهد الاعلامية العربية ، او تأخذ به
فعلا (٢٤) ، واخرى لا تميل الى ذلك •

المناهج الاعلامية ومسألة اللغة :

من الطبيعي ان تكون لغة التدريس في معاهد الاعلام العربية ، عربية ،
مع تدريس لغة اجنبية في الاقل • على ان الامر ليس كذلك في كل المعاهد ،
حيث نجد الوضع التالي :

١ - تدرس كل المواد باللغة الانكليزية (الجامعة الامريكية في القاهرة ،
الجامعة الامريكية في لبنان) •

٢ - تدرس بعض المواد بالانكليزية والفرنسية (كلية الاعلام والتوثيق في
الجامعة اللبنانية) •

٣ - تدرس بعض المواد بالفرنسية والعربية (معهد الصحافة وعلوم الاخبار
في تونس ، ومعهد العلوم السياسية والاعلامية في الجزائر)

٤ - تدرس كل المواد بلغتين في مجموعتين ينتظم الطلبة فيهما ، وتتلقى
مجموعة دروسها كلها بالعربية ، والاخرى بالفرنسية ، (معهد العلوم
السياسية والاعلامية في الجزائر) •

وتستقر اللغة الاجنبية كمادة ثابتة في مناهج كل المعاهد الاعلامية
العربية ، وترفق احيانا بمادة الترجمة ، وبلغة اجنبية اخرى تكون ضمن المواد
الاختيارية • وقد اقر في المناهج الجديدة لجميع اقسام الكليات في الجامعات
العراقية ، وبينها قسم الاعلام ، مبدأ تدريس مادة تخصصية واحدة في كل

فصل دراسي بلغة اجنبية ، الى جانب السير قدما في التعريب التام للتعليم الجامعي في الكليات العلمية الصرفة • ونرى ان تعمل معاهد الاعلام العربية ، في تلك الاقطار التي ورثت مخلفات التأثير الثقافي الاجنبي من عهد السيطرة الاستعمارية الاجنبية الطويلة ، ما في وسعها لاتمام عملية تعريب الدراسة فيها ، مع التأكيد على اهمية المام الطالب بلغة اجنبية او اكثر من لغة وتحقيق ذلك عمليا •

الدراسات الاعلامية بين النظرية والتطبيق :

ان الشيء المسلم به هو وجوب ارتباط ما يدرسه الطالب في المعاهد الاعلامية نظريا بالتطبيق والممارسات العملية • واي انقصاص بين طرفي هذه المعادلة يعني الخلل في عملية التأهيل الاعلامي • فلم يعد كافيا اليوم مجرد اتقان اللغة واجادة الكتابة والتفنن في تحرير المادة الاعلامية • ان رجل الاعلام ليس كاتباً ضليعا في اللغة وحسب • وان كانت اللغة العدة الرئيسة للتعبير عن آرائه وافكاره او تحريره للنصوص الصحفية او المادة الاعلامية التي يعالجها • وتتطلب الدراسات الاعلامية الحديثة التطبيق العملي لكثير من المعلومات والخبرات النظرية المكتسبة ، وتستدعي ممارسة طلبة الاعلام للعديد من الانشطة الاعلامية ، الامر الذي يقتضي بالتالي توفير مستلزمات مثل هذا التطبيق ، وامكانيات الممارسة العملية والتطبيقات للطلبة •

المفاضل والحلول :

تعاني معاهد الاعلام العربية من مشاكل وصعوبات تعترض طريقها ، ومن اوضاع تؤثر على اضطلاعها بمهمتها في « تكوين الاعلامي العربي المؤمن بالاهداف القومية للامة العربية والقادر على الاسهام الايجابي في تحقيق هذه الاهداف ، وفي مقدمتها تنمية المجتمع العربي وتوحيده والتصدي للتحديات التي يواجهها مسلحاً بالقدر الكافي من التأهيل التخصصي والثقافة العامة الى جانب الخبرة العملية » (٢٥) • وبينها ما يتعلق بمناهجها ، الى جانب افتقارها الى العدد الكافي من اعضاء الهيئة التدريسية (٢٦) ، والى الكتب

المنهجية وغير المنهجية والاجهزة والمعدات اللازمة للدراسة فيها . وبين هذه المعاضل ما يتصل بقبول واختيار الطلبة ايضا ، ومن ثم بتدريهم .

ان خريجي كثير من معاهد الاعلام العربية ، كثيرا ما يواجهون عالما جديدا اذ يتوجهون الى المؤسسات الاعلامية والصحفية للعمل فيها بعد تخرجهم من معاهدهم ، ويخفق البعض في تطبيق ما درسه نظريا ، ويعجز البعض الآخر عن العمل على النحو المطلوب . ولا مناص لمعاهد الاعلام العربية من توفير مستلزمات التطبيق العملي والتدريب لطلبتها فيها . ولا بد لها من تأمين التعاون في مجال التدريب مع المؤسسات الاعلامية والصحفية فالتدريب في المعاهد نفسها ، حتى مع توفير مستلزماته (مختبر تصوير ، مطبعة صغيرة ، استوديو اذاعي .. الخ) لا يكفي ولا يحقق كل شيء . وفي هذا الصدد نجد قلة من معاهد الاعلام العربية وقد وفرت هذه المستلزمات ، او بعضها ، ونجد الاخرى عاجزة عن ذلك . ولعل السبب الرئيس في ذلك يعود ، في تقديرنا الى عدم توفر الامكانيات المادية لتأمين هذه المستلزمات ، او لعدم توفر التفهم الكافي لدى الجهات المسؤولة عن هذه المعاهد لاهميتها وضرورة توفير ما تحتاج اليه وتريده .

وفي مجالات التدريب والتعاون بين معاهد الاعلام العربية والمؤسسات الاعلامية الصحفية نجد ان الامر يختلف من قطر الى آخر ومن معهد الى معهد ومن قسم الى ثان . ففي بعضها نلاحظ تعاونا وثيقا يكاد يكون امرا مقررنا ورسميا (قسم الاعلام في كلية الآداب بجامعة بغداد) (٢٧) . وفي معاهد اخرى نجد هذا التعاون في مستوى لا بأس به ، وفي غيرها خاضعا للعلاقات بين مسؤولي الاقسام والمعاهد والمسؤولين عن المؤسسات الصحفية والاعلامية ، معتمدا على العلاقات (الودية) وحدها ، ولا نجد اى تعاون ملموس مسن هذا القبيل ، عمليا ، في معاهد اخرى .

ان السبيل الى حل المعاضل المتعلقة بالتدريبات العملية ، حلا جذريا ، وليس وقتيا على اساس اعتبارات العلاقات الشخصية ، هو التعاون المبدئي الراسخ بين معاهد الاعلام من جهة ، والمؤسسات الاعلامية ووزارات الاعلام من جهة اخرى ، على اساس سياسة مركزية ملزمة لكل الاطراف ، كما هو جار في القطر العراقي على نحو يدعو الى الارتياح . فاذا كان يتعين على هذه المعاهد ان تظل مرتبطة بالجامعات اكاديميا فان صلتها ، في الوقت نفسه ، بالمؤسسات والاجهزة الاعلامية ، ينبغي ان تكون قائمة ووثيقة ، فلها في الاساس ، تعد الكادر المؤهل ، وعليها يمكن ان تعول ، ومنها تستطيع ان تستفيد . مع العمل على توفير متطلبات وصيغ التدريب داخل المعاهد نفسها ، او بمبادراتها على النحو التالي :

- تدريبات داخلية تعتمد على مختبر التصوير والاستديو الاذاعي والمطبعة .
- تدريبات في التحرير تعتمد على المطبوعات التي تصدر عن المعاهد .
- تدريبات في البحث تعتمد على التقارير الفصلية وبحوث التخرج الالزامية .
- زيارات استطلاعية للمؤسسات الصحفية .
- حلقات دراسية وندوات ومحاضرات عامة خارج نطاق المناهج المقررة .
- مشاركات في الندوات والمؤتمرات الاعلامية .
- سفرات علمية تدريبية الى الدول الاخرى ، فضلا عن السفرات العلمية داخل القطر (٢٨) .

ان انماط ومناهج التأهيل في المعاهد الاعلامية العربية تأثرت بأنماط ومناهج الدراسة في المعاهد الاعلامية الاجنبية بشكل او بآخر ، فالذين خططوا لهذه الدراسات ووضعوا مناهجها ممن درسوا في معاهد الصحافة والاعلام خارج بلدانهم ، او اطلعوا على مناهج وانظمة الدراسات الصحفية والاعلامية في الخارج . كما نجد تأثرا واضح المعالم على الصعيد الاقليمي بين

مناهج وانظمة الدراسات الاعلامية العربية التي اخذ بعضها من البعض الآخر ،
بنسب متفاوتة . ان التأثير بتجارب الدول المتقدمة في مجال الدراسات الاعلامية
امر طبيعي . على انه ينبغي الا يكون مجرد محاكاة او اقتباس شكلي . فما
هو صالح وعلمي في بلد من البلدان ، قد لا ينطوي على فائدة تذكر ، عمليا ،
في بلد آخر . وعلى خبراء واساتذة الاعلام والمسؤولين في معاهد الاعلام العربية
ان يقدرُوا ما هو مناسب لهم ، ومفيد وضروري ، لعملية التأهيل الاعلامي في
بلدهم تبعا لظروفه واحتياجاته وامكانياته المتوفرة ايضا .

ومع ايماننا بضرورة توحيد مناهج المعاهد الاعلامية العربية ، فاننا
لا نستحسن التقليد الحرفي الشكلي القائم على مجرد المحاكاة . نذكر على
سبيل المثال ان كثيرا من معاهد الاعلام العربية استحدثت فيها فروع (العلاقات
العامة) او (الاعلان) لمجرد تقليد او مجازاة قسم آخر اقدم منها ، دونما دراسة
لضرورة او جدوى مثل هذه الفروع . ويمكن ان نشير ايضا الى الاخذ
بتدريس بعض المواد ، وتثبيتها في المناهج ، وفق المنطق نفسه ، وحتى دون
التفكير في وجود من هو أهل ، او يمكن له ان يدرس هذه المواد .

ونرى من الضروري الاستقرار على منهج عربي موحد للدراسات
الاعلامية ، بالصيغة والروح التي خرجت بها توصيات لجنة المنهاج الموحد
لمعاهد الاعلام العربية التي انعقدت في بغداد (١٥ - ٢٠ تشرين ثاني ١٩٧٧) .
ولا بأس أن تأخذ معاهد الاعلام المتعددة في القطر العربي الواحد بمبدأ المعهد
المتخصص (كالمملكة العربية السعودية ، وجمهورية مصر العربية) ، على ان
تتسم طبيعة ومحتوى المناهج ، ومفرداتها بالمرونة ، وبامكانية مجازاة ما يستجد
في عالم الدراسات الاعلامية المتطورة ، وبالتوافق مع حاجات ومتطلبات
المرحلة التي يمر بها القطر او الوطن العربي .

ومن المهم قبل كل شيء ان تكون لمعاهد الاعلام العربية اهدافها التي
تسترشد بها في وضع مناهجها وعملية التأهيل الاعلامي التي تضطلع بها ، وان
تضع لنفسها خطط عمل تعمل في ضوءها . وعليها ان تضع بوحى من هذه

الاهداف مفردات مناهجها وموادها التدريسية • ان الاهداف من تسميات المواد الدراسية ، هو محتوى هذه المواد • واذا رسمت للمعاهد الاهداف المطلوبة ففي مقدورها ، وعليها ، ان تعتمد عليها في عملها ونشاطها العلمي والاعلامي • ولقد شرعت الجامعات العراقية ، بكل كلياتها واقسامها العلمية ، بوضع مناهجها الجديدة ومفردات هذه المناهج مسترشدة بالاهداف الجامعية والقومية التي تم اقرارها من قبل الجهات المركزية المسؤولة عن سياسات ومناهج التعليم في القطر العراقي ، واصبحت بمثابة دستور لها •

ماذا بعد التخرج :

ان التأهيل الاعلامي عملية ينبغي ان تكون متواصلة ومستمرة يوميا • وينبغي الا يتوقف الجهد في حدود ما اكتسب من معرفة وخبرة ، او شهادة تأهيلية من دراسة في معهد او عمل في مؤسسة اعلامية • ذلك ان التطور السريع للاعلام بنظرياته وعلومه وفنونه ، وبعده ، تعدده ، تطور لا يمكن الاكتفاء معه بما اكتسب وما انجز • فضرورات طبيعة العمل الصحفي والاعلامي تقتضي الوقوف على كل جديد يتصل بهذا العمل ومتابعة كل تطور يحدث في الظروف والوسائل الخاصة به • وليست لهذا العمل نهاية ، وبالتالي ، ليس هنالك اكتفاء يمكن القبول به وكل تفكير من هذا النوع ، معناه الجمود والتخلف • ولعل التخرج في معهد للصحافة والاعلام هو البداية الحقيقية للعمل الصحفي والاعلامي ، يظل المضي في التأهيل ضرورة ملحة بعدها تقع مسؤوليتها على اجهزة الاعلام ، حيث يعمل الكادر الاعلامي وعلى الكادر نفسه وتبرز هنا مهمات في مقدمتها :

- استخدام القدرات المكتسبة على نحو مثمر •
- اكتساب مهارات وقدرات جديدة (٢٩) •
- تطوير ما اكتسب ويكتسب على نحو ينسجم مع المهمات المرحلية والمقبلة وظروف العمل واساليبه المتجددة باستمرار •

ومثل هذا التأهيل ، ونرى ان نسميه بالذاتي لاتصاله بالجهاز الاعلامي من جهة ، وبذات الكادر الاعلامي من جهة اخرى ، يعتبر استمرارا للتأهيل الاكاديمي او غير الاكاديمي المكتسب . وهو موضوع نرى ان نعرض له بشيء من التفصيل .

ان ما نعنيه بالتأهيل الذاتي في الصحافة والاذاعة والتلفزيون ، هو ما يكتسب من خبرة ، او يضاف الى المكتسب منها . وما يجري من تطوير لها اثناء العمل . او في سير ممارسة المهنة في المؤسسة الاعلامية . في عملية التأهيل الذاتي هذه يشارك طرفان : المؤسسة والكادر العامل فيها .

ان المؤسسة الاعلامية (الصحيفة - الاذاعة - التلفزيون ووكالة الانباء ايضا) تعمل وتتحرك وفق خطة عمل او سياسة معينة . مع الاستعانة بقاعدة تقنية وبأسلوب توجه متميز في الاغلب وبمجهود كادر يتألف عادة من :

- ١ - عناصر عاملة اكتسبت الخبرة المهنية والتخصص بالممارسة .
- ٢ - عناصر عاملة جديدة حديثة العهد بالعمل لا تملك تأهيلا مسبقا .
- ٣ - عناصر عاملة جديدة حديثة العهد بالعمل تملك تأهيلا نظريا ، وقسطا من التدريب العملي ، احيانا .

ان مهمة الاتصال ، تأتي في مقدمة المهن التي باتت تخضع للتطور السريع والتجديد المتصل الذي يتعذر تحديد آفاق ابعاده المستقبلية . انها فن تتجدد أسسه العلمية والتقنية ، وصيغ نشاطه باستمرار وسرعة فريدة بين مجالات نشاط الانسان الاخرى .

ولقد تغيرت اساليب العمل وتعقدت متطلباته ، وتوسعت وتطورت قنواته وصيغ توجهه ، كما شمل التغير مفهوم الوقت والزمن في مجال ممارسته .

كانت الملكة فكتوريا في فراش المرض الذي الم بها وقرب نهايتها . وكان جون فارد كوك بين المراسلين الصحفيين الذين انتظروا نهاية الملكة المحتضرة . وكان يمتطي جوادا سريع العدو ، على بعد نصف ميل من القصر يراقب احدي

نوافذه • ولما ابصر اشاره ضوئية من النافذة ، لكز جواده وانطلق به السى
اول مكتب للاتصال بصحيفته ، واحراز سبق صحفي عال برشوة خادم في
قصر الملكة^(٣٠) • وعندما مات نابليون في جزيرة سانت هيلانه التي نفي اليها
فان خبر وفاته لم يصل الى فرنسا ولم ينشر في صحفها ولم تعرف به اوروبا
الا بعد بضعة اشهر^(٣١) ، وفي عهد استعمار امريكا وانشاء وتطور الصحافة
فيها ، كانت انكلترا المصدر الاعظم للاخبار • فقد كان المستوطنون في
« العالم الجديد » اكثر اهتماما بالاخبار الواردة عبر المحيط • وكان قباطنة
السفن وسواهم من الذين كانوا يصلون على ظهر السفن حملة الاخبار
الجديدة • وكان بعض الصحفيين ، سعيا منهم لاحراز سبق صحفي ،
ينطلقون في قوارب صغيرة سريعة باتجاه السفن القادمة ويتصلون بمن عليها ،
وهي لما تزل في عرض البحر ، للحصول على الاخبار منهم والعودة بها سريعا الى
الشاطئ والتوجه بعد ذلك الى مكاتب صحفهم او ايصال التقارير الاخبارية
اليها^(٣٢) هكذا كانت الصحافة تعمل وتسعى لتحقيق سبق الصحفي في تغطية
الاحداث والانفراد بنشر الاخبار • ولقد تغير مفهوم سبق الصحفي بسرعة •
وبات الاعلام الاخبارى يتحقق اليوم في دقائق • فلقد ذاع في كل ارجاء
العالم ، على سبيل المثال ، نبأ تحليق اول انسان في الفضاء الخارجى (يوري
غاغارين عام ١٩٦١) فور الاعلان عنه رسميا من اذاعة موسكو • كما ان الملايين
من الناس في العالم كانوا يتابعون اولاً باول ، صوتيا وصوريا ، عملية هبوط
اول انسان على سطح القمر (نيل ارمسترونغ عام ١٩٦٨) • لقد قرب تكنيك
الاتصال الاذاعي والتليفزيونى ، واساليب استخدامه ، المسافات ، وربطت
الاقمار الاصطناعية القارات ، وبات في مقدور المرء ان يشاهد حدثا
يجري على بعد مئات والوف الكيلومترات عنه في لحظة وقوعه • وليس ذلك
فحسب بل تيسر له ان يشاهد الحدث مكررا ، وبعد وقوعه ومتى ما ارتوى
ذلك ، بفضل اساليب النقل والتسجيل الصوتي والصورى المتطورة •

ان الجمع الآلي ، على سبيل المثال ايضا ، والذي اعتبر حدثا كبيرا وجديدا في عالم الطباعة ، وظل كذلك نحو قرن من الزمن اخذ يخلي المكان لاساليب وطرائق جديدة متطورة في الجمع ، منها الجمع التصويري والالكتروني . ومحررو الاخبار في الوكالات العالمية المتقدمة للانباء ، لم يعودوا يستخدمون اقلامهم ، ولا الورق في عملهم ، فقد بات في مقدورهم ان ينجزوا كل شيء : ان يتلقوا ويقرأوا ويصححوا ويحرروا ، ومن ثم يثبثوا الاخبار والتقارير ، بالضرب على مفاتيح الماكينة الالكترونية الموجودة على مكتبهم ومتابعة النصوص الاخبارية المعالجة على شاشتها . مع الرجوع الى الارشيف الالكتروني عند الحاجة (٣٣) .

وثمة صحف يتم اعداد طبعات لها في مناطق نائية ، او توزع نسخها ، عن طريق الراديو والبث التلفزيوني وفي وقت واحد (٣٤) .

انه عصر ثورة الاتصال المرتبطة بثورة الالكترون ، عصر تطور سريع لا بد من مجاراته والتجاوب مع ايقاع حركته الديناميكية المنطلقة . كل ذلك يعني ان التأهيل ، في مجالات الاتصال والعمل الاعلامي ، بدوره ، وكنتيجة لاستمرارية تجدد وتطور فنون وعلوم الاتصال ، عملية مستمرة ، او ينبغي ان يكون كذلك .

ان العمل في الصحافة والاذاعة والتلفزيون ، تعليم متصل مستمر لا يعرف التوقف ، والتأهيل الاعلامي في هذه الحقول لا ينتهي بالحصول على شهادة اكايدمية ، او وثيقة تخرج من دورة تدريبية ، او باكتساب خبرة ما في وقت معين بحكم الممارسة العملية .

ان ما يقال عن تأهيل الكوادر الصحفية وتدريبها ، ينطبق على تأهيل وتدريب العاملين في مجالات الاتصال كلها ، فهؤلاء يحتاجون الى مزيد من

التعلم ، دائما ، والى تدريب مستمر وتطوير دائم لخبراتهم ومهاراتهم المكتسبة . فالفنيون الذين يمارسون العمل الفني في محطات الاذاعة ، او الذين يديرون الاستديوهات ويعدون وينتجون البرامج الاذاعية والتلفزيونية ويتولون تشغيل اجهزتهم ، شأنهم شأن العاملين في مكاتب الاخبار والتحرير ، او الذين يعملون في عمل صحفي ، ينبغي ان يطوروا قدراتهم على نحو ينسجم مع ما يستجد في حقول عملهم وفي فنون وعلوم الاتصال عموما ، بالمتابعة والتدريب المتخصص المنظم . وثمة صيغ مطبقة او يمكن ان تطبق بهذا الصدد ، ومنها :

— التدريب اثناء ممارسة العمل ، ويتحقق باكتساب الخبرة العملية والمهارة الفنية من العاملين المجربين ، والوصول الى مستواهم يوما ما .

— التلمذة التدريبية ، ويؤخذ بها في بعض الدول ، وتمارس بالجمع بين العمل المهني والتأهيل الاكاديمي ، حيث توفر الصحيفة او المؤسسة الاعلامية ، لاحد كوادرها من الشباب فرصة الدراسة في معهد او كلية مع الابقاء على علاقته العملية بمؤسسته ، في صورة عمل معين يعهد اليه (٣٥) .

— حلقة البحث التدريبية ، وتنظم لمناقشة ودراسة الشؤون المتصلة بالعمل في مؤسسات الاتصال . فمعهد الصحافة في جامعة كولومبيا بنيويورك ، مثلا ، ينظم حلقة بحث وتدريب للكتاب المتخصصين في العلوم ، او لمحري الشؤون المدنية ، او لمحري الاخبار ، وغيرهم من المحررين في اختصاص معين ، حيث يناقشون مشكلاتهم في مدى بضعة اسابيع ، ويشارك في النقاش مسؤولون عن المهن المذكورة ، ايضا (٣٦) ومنها الحلقات الدراسية التي اعدتها المركز الدولي للدراسات العليا في الصحافة

بكويتو في الاكوادور ، والدورات والحلقات الدراسية للمعهد الدولي للصحافة والاعلام في ستراسبورغ ، كما يمكن لنا ان نذكر الحلقات الدراسية التي نظمها المركز العربي للدراسات الاعلامية في القاهرة وتلك التي شاركت في عقدها الوحدة الاقليمية الاعلامية لليونسكو بالقاهرة ، ومعهد التدريب الاذاعي والتلفزيوني في بغداد .

— دورات تدريبية او تأهيلية ، وتنظم لتطوير كفاءة وخبرة العاملين في اجهزة الاعلام . ونذكر منها دورات معهد التدريب الاذاعي والتلفزيوني في بغداد ، واتحاد الصحفيين العرب ونقابة الصحفيين العراقيين ، ووكالة الانباء العراقية .

— التعاون الاقليمي في التدريب . ويتم بتنظيم حلقات دراسية ودورات في مركز تدريبي يمول اقليميا او دوليا . ونذكر على سبيل المثال دورة المعهد العربي للثقافة العمالية ، التي عقدت مؤخرا (٣٧) .

— عقد لقاءات مع خبراء الاتصال ، ويتحقق ذلك بترتيب معهد من معاهد الاتصال او الصحافة لقاءات تأهيلية او توجيهية ، بارسال الخبراء الى قطر ما للالتقاء بالعاملين في الصحف ، مثلا ، وتقديم التوصيات اليهم والتوجيهات في ضوء دراسة ومناقشة مشكلاتهم ومشكلات مؤسساتهم التي يعملون فيها .

— الاستعانة في العمل ببعض المتخصصين من غير العاملين في المؤسسة او الاعلاميين (٣٨) .

— ايفاد الكوادر العاملة في مؤسسة ما ، لزيارة مؤسسة اكبر ، او مركزية للاطلاع على سير وتنظيم العمل فيها ، او للاستزادة من التدريب فيها . ويطبق ذلك في الاتحاد السوفيتي على نطاق واسع ، وتتراوح مدة الايفاد بين بضعة ايام او اسابيع وبضعة اشهر .

— ايفاد الكوادر لزيارة المؤسسات المتقدمة الشبيهة بها وذات الصلة
بمؤسستهم ، في الدول الاخرى للاطلاع والتدريب •

ونرى ، الى جانب كل ذلك ، ان التأهيل الذاتي ، في المؤسسات الاعلامية ،
باغناء الخبرات وتطوير القدرات ، يمكن ان يتحقق على نحو آخر من خلال
العمل اليومي ، وباتصال وثيق به • والتنظيم الجيد للعمل في المؤسسة ،
والتوجيه المخطط له ولنفذه كفيل بتحقيقه وانجاحه • وتضطلع بدور
هام ، في هذا الصدد الخطط البعيدة المدى ، والقصيرة ، والخطط الشهرية
والاسبوعية للعمل (في الصحف) والبرامج (في الاذاعة والتلفزيون)
والاجتماعات اليومية ، او الاسبوعية للاقسام ، والاجتماعات الشهرية
للمدريات والاجتماعات العامة للمؤسسة ، وتنظيم ندوات او محاضرات مهنية
او فنية او سياسية يشترك فيها المسؤولون او ذوو الاختصاص من الاساتذة
والكتاب وخبراء الاعلام ، حيث ترسم وتناقش الخطط ، وتراجع المعطيات ،
ويلقى الضوء على النتائج والمحصلات الايجابية والسلبية على حد سواء ،
ويحاسب العاملون على ما تعهدوا به او كلفوا به وما حققوه او قدموه من
عطاء • ويظل الهدف الاستفادة القصوى والصحيحة من الامكانيات التقنية
الموجودة وبأقصى وافضل مجهود يبذله الكادر العامل ، وصولا الى الهدف
المرسوم ، مع العناية بأمر تخصص الكادر ، او تمكينه من التخصص الدقيق
في حقل عمله وتطوير هذا التخصص ، وهو امر يتطلب تظافر جهود المؤسسة
والمسعى الذاتي ، وجعله في موضع الاهتمام اليومي الدائب •

الهوامش والمراجع :

- (١) كانت الصحافة العربية ، هي الاخرى ، صحافة أفراد من الادباء او الشعراء في مرحلة مبكرة من تاريخها ، ولمدى غير قصير من الزمن .
- (٢) د. محمود فهمي . الفن الصحفي في العالم . القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٢١ .
- (٣) المصدر السابق ، ص ٢٢ - ٢٦ ، انظر ايضا : د. سنان سعيد : « في التاهيل الصحفي » / التخصص في الصحافة / ملحق « الجمهورية » ، ١٤ حزيران ١٩٧٥ .
- (٤) د. خليل صابات . الصحافة ، رسالة واستعداد وعلم وفن . القاهرة ١٩٦٧ ، ط ٢ ، ص ٤٢ .
- (٥) اوصى بوليتزر بثروة كبيرة تركها لانشاء مدرسة للصحافة بعد وفاته ، ول منح جوائز لاحسن الكتابات الصحفية ، وهي الجوائز المعروفة التي تحمل اسمه حتى الان .
- (٦) د. خليل صابات . المصدر السابق . ص ٤٨ .
- (٧) روستا ROSTA : وكالة انباء روسيا ، وهي بمثابة السلف لوكالة انباء الاتحاد السوفيتي « تاس » .
- (٨) للاستزادة من المعلومات والتفاصيل ، انظر :
Mass Communication Teaching and Studies at Universities.
The UNESCO press. Paris 1975.
- (٩) بدأت دراسة الصحافة في الجامعة الامبراطورية «جامعة طوكيو» بدروس نظرية في الصحافة نظمت عام ١٩٢٩ .
- (١٠) انظر : دليل كلية الاعلام . مطبعة جامعة القاهرة . ١٩٧٦ ، ص ٥ .
ايضا : التدريس الاعلامي في الدول العربية ، تقرير اعده د. أحمد حسين الصاوي . جامعة الرياض . ص ١٢٧ ، ١٣٧ .

(١١) أدمج مع معهد العلوم السياسية ، مؤخرا ، فأصبحا معهدا واحدا يسمى « معهد العلوم السياسية والاعلامية » .

(١٢) على سبيل المثال : دورات معهد التدريب الاذاعي والتلفزيوني التابع للمؤسسة العامة للاذاعة والتلفزيون في بغداد .

(١٣) اول حلقة لدراسة طرق التدريب على استخدام وسائل الاعلام نظمت من قبل اليونسكو و اقيمت في القاهرة عام ١٩٦٦ ، كما نظمت في بغداد « معهد التدريب الاذاعي والتلفزيوني » حلقات دراسية في السنوات الاخيرة .

(١٤) انظر : *Journalisme Strasbourg. Enseignement Recherche*
Ecole Supérieure De Journalisme De Lille. Lille. 1974. انظر ايضا

(١٥) تدرس مادة التاريخ في كل سنوات الدراسة الخمس في كليات الصحافة في الاتحاد السوفيتي . كما أن تاريخ الصحافة يعطي حجما زمنيا واسعا هو الآخر . ونستثنى هنا مناهج معاهد الصحافة في ألمانيا الديمقراطية . فمادة التاريخ تدرس ساعتين في الاسبوع خلال سنة دراسية واحدة في كلية « قسم » الصحافة بجامعة لايبزك « انظر :

Studienplan für die Grundstudienrichtung Journalistik.
Ausbildung an der Karl-Marx-Universität Leipzig. Berlin.
1974).

(١٦) انظر كتاب اليونسكو
(Mass Communication. Teaching Studies at Universities).

القسم المخصص لفرنسا

(١٧) المصدر السابق ، القسم المخصص لألمانيا الغربية .

(١٨) تخلت معاهد الاعلام العربية ، باستثناء قلة منها : عن هذا الاتجاه .

(١٩) كلية الاعلام في جامعة القاهرة .

(٢٠) كلية الاعلام والتوثيق في الجامعة اللبنانية .

(٢١) قسم الدراسات الاعلامية بجامعة قار يونس في بنغازي « الجماهيرية العربية الليبية » .

(٢٢) انظر : معهد الصحافة وعلوم الاخبار . دليل الطالب . الجامعة

التونسية . ١٩٧٧/١٩٧٨ . ص ٢٢ . أيضا : تقرير الدكتور أحمد

حسين الصاوي عن التدريس الاعلامي في الدول العربية .

- (٢٣) Mass Communication القسم الخاص بفرنسا .
- (٢٤) يتجه قسم الاعلام في جامعة الملك عبدالعزيز في جدة الى التركيز على التخصص في الصحافة . ويلاحظ الاتجاه نفسه في جامعة اسبوت .
- (٢٥) التقرير الختامي والتوصيات . اجتماع لجنة المنهاج الموحد لمعاهد الاعلام العربية . بغداد ١٥-٢٠ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٧ . قسم الاعلام . كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ص ٢ .
- (٢٦) انشئ قسم الصحافة والاعلام في جامعة الأزهر عام ٧٥ / ٧٦ دون أن يتوفر فيه مدرس متخصص متفرغ . وقد عين فيه مدرس بعد عام . « انظر تقرير الدكتور أحمد حسين الصاوي عن التدريس الاعلامي . ص ١٥٠ » .
- وفي كلية الاعلام والتوثيق اللبنانية ٣ اساتذة متفرغين ، وهم متخصصون في العلوم الانسانية والاجتماعية . ويبلغ عدد المحاضرين والمتدربين من خارج الجامعة ٢٣ ثمانية منهم متخصصون في المواد الاعلامية « المصدر السابق ، ص ١٠٣ » . وفي قسم الدراسات الاعلامية بجامعة قار يونس في بنغازي استاذان محاضران متفرغان فقط وهما من جمهورية مصر العربية .
- (٢٧) يتدرب طلبة قسم الاعلام في كلية الآداب بجامعة بغداد يوما واحدا في الاسبوع في احدى المؤسسات الاعلامية ، مدى السنة الدراسية ويتدربون شهرا كاملا في العطلة الصيفية ، وبينهم من فتحت المؤسسات الاعلامية ابوابها امامهم حيث يعملون فيها من الان كمندوبين او محررين ، في هذه الصفحة او تلك او في بعض اقسام المؤسسة بالاضافة الى التدريب العملي داخل القسم .
- (٢٨) ثبتت في المنهاج الجديد لقسم الاعلام بجامعة بغداد السفرات العلمية داخل وخارج القطر . وقد قام طلبته في سنة سابقة بزيارة الى لبنان . وفي السنة الماضية الى الكويت ومن المقرر ان يقوموا بزيارة مماثلة الى احد الاقطار العربية هذا العام . وتجدر الاشارة الى مبادرات قسم الاعلام في كلية الآداب بجامعة الرياض في هذا المجال حيث اخذ ينظم لطلبته دورات تدريبية في انكلترا « لتقوية اللغة » .
- (٢٩) وهو ما يعنيه ويلبور شرام « بالتدريب اثناء العمل » . انظر ويلبور شرام . أجهزة الاعلام والتنمية الوطنية . دور الاعلام في البلدان النامية ترجمة محمد فتحي . القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٢٨٤ .

(٣٠) فن الصحافة ، تحرير ادموند كوبلنتر ، ترجمة أنيس صايغ ، بيروت ، ١٩٥٨ . ص ١٧٤ .

(٣١) د. خليل صابات . الخبر ومصادره . محاضرات . ص ٢٢ .

(٣٢) توماس بيرى . الصحافة اليوم . ترجمة مروان الجابري . بيروت ١٩٦٤ ، ص ٢٠ .

(٣٣) أخذ بتطبيق هذه الطريقة التي تعتبر ثورة جديدة في عالم الصحافة والاتصال في عدد من كبريات الصحف ووكالات الانباء في الولايات المتحدة . على أنها ، في ظروف الانظمة الرأسمالية ، تؤدي الى بطالة عدد غير قليل من عمال الصحافة . وبالتالي فانها تواجه المقاومة من قبل منظماتهم النقابية . وفي فرنسا تنهيا وكالة الصحافة الفرنسية « فرانس بريس » لاستخدامها .

(٣٤) طبعت بعض الصحف الامريكية في القارة الاوروبية . طبعت صحيفة (اساهى) اليابانية . و (برافدا) و (ازفستيا) السوفيتين و « نويس دويتشلاند » الالمانية الديمقراطية .. الخ .

(٣٥) ويلبور شرام . المصدر السابق . ص ٢٨٥ .

(٣٦) المصدر السابق .

(٣٧) نظم المعهد في نيسان عام ١٩٧٧ دورة تأهيلية خاصة بالصحفيين العماليين في الاقطار العربية ، عقدت في بغداد .

(٣٨) ويتم ذلك بالاستفادة منهم كمستشارين أو خبراء مساعدين ، أو هيئات استشارية . ويؤخذ بذلك في دور النشر وبعض المؤسسات الاعلامية في الدول الاشتراكية .

الكردي في كتابات المسلمين الأوائل ذكر مواطن وطوائف الأكراد

الدكتور أحمد عثمان أبو بكر
كلية الاداب - جامعة بغداد

كلمة

قد عمدنا في هذه الدراسة الى ذكر ونقل مدونات وأراء المؤرخين والبلدانيين العرب والمسلمين الاوائل عن مواقع ومواطن ومساكن الاكراد وأسماء عشائهم و طوائفهم وما أتيح لهم ذكرها ، والاقتصار على اقتباس تلك الصفحات أو الفقرات أو الجمل التي يرد فيها لفظ الكردي أو الاكراد أو هاتين التسميتين بالاضافة الى لفظ الكردي في حالات ، وليس غير ذلك قدر الامكان . ونوالي نحن العمل في اقتطاف أمثال تلك التعابير على تلك الصورة لغاية منتصف القرن الرابع الهجري ونعمد في ذات الوقت الى شرح أو مقارنة أو مناقشة تلك المدونات بعضها بالنسبة الى البعض الآخر والتعليق على تلك الكتابات بمقتضى الحاجة والضرورة . ويجدر الاشارة الى أننا نعتمد الاقتباس لكامل صفحات أو فقرات أو تمام جمل تتضمن تسميات الكردي والاكرد أو الكردي وأسماء طوائفهم في حالات معينة كلما تحقق وجودها وذكرها لدى تقصينا لمواطن ومواقع سكن الاكراد وأماكن وجودهم في تلك الحقب من التاريخ وعند تحرينا عن أسماء قبائلهم وفرقهم ، ونجد مبررا أو دعما لعملنا هذا أو لهذا النهج من البحث في هذه الدراسة بعينها في عدة اسباب نراها واردة ومن ذلك قلة الصفحات أو الفقرات أو الجمل التي خصصت لطوائف الاكراد ولمناطق وجودهم ومواقعهم وندرة ذكرهم النسيية في الكتابات

التأريخية والاداب الوصفية وفي مصنفات البلدانين الاوائل الرواد وشعورنا الواقعي بإمكان جمع كل او جل ماكتب وسجل في هذا المضمار الى ذلك التأريخ بين دفتي بحث واحد ، ومن جهة ثانية يحدونا الامل في هذا المنحى أن ننقل للقارئ صورة حقيقية او واقعية من المظان الاصلية عن كيفية ذكر هؤلاء الاقدمين من مؤرخين وبلدانيين للكرد والاكرد والحرص على تجنب أجتزاء او بتر معنيين لتلك الصور والشذرات وحفظ النبرة والنكهة التأريخية الاصلية التي غالبا ماتكون معبرة واخاذة •

ومن جهة أخرى فأننا نتوخى ان نهج في نفس الوقت سبيلا قريبا من ذلك الاسلوب او الطريقة العلمية التي تعرف بلفظ HERALDRY في التعابير الاجنبية عن دراسة الاصول والمناشى والانساب والمظان •

ويجدر أن نلاحظ أيضا أنه قلما يورد هؤلاء الكتاب والمصنفون الرواد أو يذكرون مواطن سكن الاكرد او يدرجون أسماء طوائفهم وفرقهم كاملا أو بالتفصيل الوافي وبانتظام ووضوح • وتتميز كتابات الاضطخري والمسعودي والمقدسي وابن حوقل وغيرهم قلة من الاوائل بشىء من التفصيل وبدرجة من الانتظام بهذا الصدد ، قد تفتقدهما الكتابات والمراجع الاخرى • فإن ماعمله هؤلاء المذكورون هم أنهم دونوا أسماء ومواطن قبائل كردية عديدة وأشاروا الى اوجه من حياتها في أحوال وصور أوضح من عمل غيرهم •

مع ذلك فإن ماذكر من تفاصيل عن هذه الفرق والعشائر ومواقع سكنها وعن الاكرد عموما من بعض الاخبار والمعلومات قلت او كثرت تنطوي على فوائد وتستأثر بأهمية تأريخية وعلمية كبيرة حقا • ويبدو ان التقسيمات الادارية المعروفة كانت تقتصر اساسا على هذه التسميات : الاقليم ، جمع أقاليم — كورة ، جمع كور — رستاق ، جمع رساتيق — طسوج ، جمع طساسيج (كذلك ناحية ، جمع نواحي)^(١) — وهناك سقع ، جمع أسقاع — مدينة ، جمع مدن ومدائن و مدينت — بلد ، جمع بلدان — وقرية ، جمع قرى — والقصبة وهي مركز كورة الاداري •

(١) « وترجمة الطسوج ناحية » — ابن خرداذبة — (المسالك) ، (١٠٧)

وبالنسبة لبعض مواطن وأحياء وطوائف الاكراد تستخدم تسمية خاصة من لدن هؤلاء المؤلفين وهي (زم ، جمع زموم) وهي ماكانت تقع خصوصا في إقليم فارس وعلى حد اصفهان وكرمان والاهواز . وستظهر تفاصيل هذا الموضوع ضمن هذا البحث .

وقد جهدنا أن نقدم الاقتباس قدر المستطاع من أقدم المؤرخين والبلدانيين وتدرج في ذلك ، وبذات الوقت عمدنا الى ذكر اهم المراجع التي تذكر هذه التسميات والالفاظ وذلك ليتمكن للقارئ تتبع التسلسل من جهة والتبادر الى الموضوع او المضمون الاهم ليسهل عقد المقارنة والوثوق من صحة هذه التسميات والمواقع والاماكن . ونباشر نحن الاقتباس والشرح والتعليق على ضوء ذلك حسب .

مواطن ومواقع

جاء في كتاب اليعقوبي (البلدان) :

كورة الجبل^(١)

الصميرة^(٢)

« ومن مدينة السيروان الى مدينة الصميرة وهي مدينة كورة تعرف بمهرجا نقدق .. وأهلها أخلاط من الناس من العرب والعجم من الفرس والاكرد وأفتتحت ماسبذان والصميرة في خلافة عمر بن الخطاب^(٣) » .

(١) « وكور الجبل ماسبذان ومهرجا نقدق وماه الكوفة . وهي الدينور » - ابن خرداذبة - (المسالك والممالك) - ص (٢٠) .

(٢) وهي صميرة : « كلمة أعجمية وهي في موضعين أحدهما بالبصرة .. والصميرة بلد في ديار الجبل » - الحموي - (معجم البلدان) ، مجلد (٣) ص (٤٤٣)

(٣) اليعقوبي - (كتاب البلدان) - ص (٢٦٩) ، وجاء في نفس المصدر ، ص (٢٣٦) : « كور الجبل الحزنة الخشنة الثلجة دار الاكراد » . - (من كور الجبل ... همذان ونهاوند والدينور و حلوان وما سبذان ومهرجا نقدق وشهرزور والصامغان واذربيجان ..) - (تاريخ اليعقوبي) . الجزء (١) ص (٢٠١) .

حلوان^(٤)

« حلوان مدينة جليلة وأهلها أخلاط من الناس من العرب والعجم من الفرس و
الأكراد ... وقرماسين مدينة جليلة القدر كثيرة الأهل أكثر أهلها العجم
من الفرس والأكراد^(٥) »

أصبهان

« لها رستاق جيى وفيه المدينة ، ورستاق بران وأهلها دهاقين لا يخالطهم
غيرهم .. و رستاق القامدان (رويدست) وفيه الأكراد ومنه خرجت الخرمية
وهو الحد بين عمل أصبهان وعمل الأهواز ، ورستاق فهمان وفيه الأكرا^(٦) »
(المسافة بين مدينة السلام والري)^(٧)

« من بغداد الى النهروان ٤ فراسخ .. ومن الدسكرة الى جلولا ٧
فراسخ ... حتى تصير الى قنطرة يقال لها طرارستان ، ومن جلولا الى خانقين
٧ فراسخ ... ثم تمر حتى تنتهي الى وادي حلوان ... ومن حلوان الى ملي
درواستان ٤ فراسخ ... ومن ملي درواستان الى مرج القلعة ٦ فراسخ الطريق

(٤) حلوان - كانت تقع بين (قصر شرين) و (كرنند) - زكي - (خلاصة تاريخ
الکرد وكرستان) - ص (٦) .

« حلوان العراق وهي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد »
- الحموي (معجم البلدان) - مجلد (٢) ، ص (٣١٧) ، انظر أيضا - ابن
حوقل - (صورة الارض) - ص (٣١٤) .

(٥) اليعقوبي - (كتاب البلدان) - ص (٢٧٠) . قرماسين - و (قرماشين) في
(الاعلاق النفيسة) - ص (١٦٣) ، و (قرمسين) .. وهو تعريب كرمان
شاهان بلد معروف بينه وبين همذان ثلاثون فرسخا قرب الدينور وهي
بين همذان وحلوان - (معجم البلدان) - مجلد (٤) ، ص (٦٩) ، (كرمان
شاهان .. مدينة بالجبال) - المقدسي - (احسن التقاسيم) ، ص (٢٨)

(٦) اليعقوبي - (البلدان) - ص (٢٧٤) ، ويذكر ابن الفقيه : (رويدشت
والقامدار) - مختصر تاريخ البلدان - ص (٢٦٣) ، و (رستاق القمندان ..
ورستاق رويدشت) - ابن خرداذبة - (المسالك والممالك) - ص (٢٠) .

(٧) اقرأ ، لسترانج (بلدان الخلافة الشرقية) - ص (٢٣) .

في شعب وأشجار كثيرة و هو موضع مخوف من الاكراد حتى تنتهي الى مرج
القلعة ... وبقر العقبه قرية يقال لها اخرين وهي بناء الاكاسرة وسكانها قوم
من الاكراد وفيها بيت يعظمه المجوس ... ثم الى نهاوند وهي إحدى كور
الجبل وكور الجبل ماسبدان ومهرجا نقذق وماء كوفه وهي الدينور و ماء
البصره وهي نهاوند وهمذان وقم» (٨)

وجاء في كتاب ابن خرداذبة (المسالك والممالك) : « كورة أستان شاذ
فيروز وهي حلوان وظيفه حلوان مع الجبارقة والاكرد من الورق ألف الف
وثمان مائة الف » (٩)

وجاء في نفس المصدر مايلي :

« وهي اربعة وتفسير الزموم محال الاكراد (١٠) فمنها زم الحسن بن جيلويه
يسمى البازنجان من شيراز على أربعة عشر فرسخا وزم أردم بن جواناه من
شيراز على ٢٦ فرسخا وزم القاسم ابن شهر براز يسمى الكوريان من شيراز
على خمسين فرسخا وزم الحسن بن صالح يسمى السوران من شيراز على
سبعة فراسخ » (١١) .

يتصف موضوع الزموم بطرافة أخاذة و أهمية خاصة في هذه الفترة
من التاريخ . وقد أشار الى التسميتين (زم) و (زموم) كل من المسعودي
وابن خرداذبة وتوسع في الكتابة عن أمور وشؤون تلك الزموم الاضطخري و

(٨) ابن رسته - (الاعلاق النفيسة) ، ص (١٦٥) - وانظر ابن خرداذبة -
(المسالك والممالك) - ص (٤١) .

(٩) ابن خرداذبة - (المسالك والممالك) - ص (١٤) . ولعل الورق هنا هو
الورق وهو الدرهم المسكوك - (تاريخ البيهقي) ، ص (٨١٥) .

(١٠) « ... محال الاكراد اربعة زموم بفارس خاصة ... » - ابن الفقيه -
(مختصر كتاب البلدان) ص (٢٠٣)

(١١) ابن خرداذبة - (المسالك والممالك) ، ص (٤٧) ، ابن الفقيه - (المختصر)
- ص (٢٠٣-٢٠٤) ، وجاء في (المشترك وضعاً والمفترق صقعا) ، لياقوت
الحموي - ص (٢١٠) : « ... جمعه زموم وهي محال لقبائل الاكراد بارض
فارس ... ورم الحسن بن صالح ويسمى الريزان » .

المقدسي وأبن حوقل بصورة خاصة ، وورد ذكرها في (تأريخ الرسل والملوك) للطبري . وقد تطرق الى الزموم كتاب من الاجيال التالية لجيل هؤلاء مثل ياقوت الحموي وغيره .

كتاب الاصطخري (المسالك والممالك) و (والاقاليم)

يذكر الاصطخري تفاصيل مفيدة وشيقة عن طوائف كردية كانت تقطن مواطننا ومواقعا اشتهرت كما ذكرنا بأسم (زم) في المفرد و (زموم) في صيغة الجمع في بعض أنحاء إيران بالاخص في أقليم فارس . ومن يتمعن في أمر هذه الزموم يجدله تأريخ سابق يرجع الى عهود أخرى . ويقول المؤرخ محمد أمين زكي : « فينبغي البحث عن أصل الشعب الكردي .. بواسطة دراسة الآثار والمؤلفات الشهيرة للعلماء الاختصاصيين .. ويؤيد هذه الفكرة طبعا وجود عشائر كردية كثيرة في — فارس — في عهد الساسانيين » (١٢)

ونستطيع نحن أن نتأكد من ذلك من الفاظ وتسميات الزموم وأسماء الطوائف والرؤساء الواردة في هذه الكتب والتأليف ، وتبدو أهمية الزموم واضحة لما أولاها هؤلاء المؤلفون والمصنفون من الاهتمام . (١٣)

وجاء في كتاب الاصطخري المذكور

« وأما حلوان فهي مدينة عامرة ... وهي بقرب الجبل ... ثم تطوف على مثل القوس الى حد عمل واسط من حد العراق الى الجبل فإنه قليل العمارة فيها قرى مفترشة والغالب عليها الاكراد والاعراب وهي مراعى لهم » (١٤)

(١٢) زكي ، محمد أمين — (خلاصة تأريخ الكرد و كردستان) ، ص ٤٣

(١٣) يجمع المسعودي كلمة (زم) في صورة (زموم) — (التنبية والاشراف) — ص (٨٨)

ويجمع هو نفس الكلمة في صيغة (زمام) في قوله : « الاكراد ...

الهربانية وغيرهم ممن بزمام فارس » — المصدر نفسه ، ص (٧٨)

(١٤) الاصطخري — كتاب (المسالك والممالك) ، ص (٦٨) ، طبعة (١٩٦١) ،

ابن حوقل — (صورة الارض) — قسم اول ، ص (٢٤٧) .

وجاء في هذا المصدر أيضا :

« ذكرما بفارس من الكور والمدن والزموم . . وأما زمومها فهي خمسة :
وأكبرها زم جيلوية ويعرف بزم الزميجان ، ثم الذي يلي هذا الزم في الكبر زم أحمد
ابن الليث ويعرف باللوالجان ، يلي ذلك في الكبر زم الحسين بن صالح ويعرف
بزم الديوان ، ثم شهريار^(١٥) ويعرف بزم البازنجان ، والبازنجان الذين في
حدود أصبهان ناقله من هذا الزم ، وزم أحمد بن الحسن ويعرف بزم الكاريان
وهو زم أردشير . وأما أحياء الاكراد فأنها تكثر في الاحصاء ، غير أنهم بجميع
فارس يقال أنهم يزيدون على خمسمائة ألف بيت شعر ، ينتجعون المراعي في
المشتى والمصيف على مذاهب العرب ، ويخرج من بيت واحد من الارباب
والاجراء والرعاة وأتباعهم ما بين رجل واحد الى عشرة من الرجال ونحو ذلك
وسأذكر من أسامي أحيائهم ما يحضرنى ذكره على أنهم لا يتقصون في العدد
الا من ديوان الصدقات »^(١٦)

ويقدم الاصطخري في كتابه تفاصيل اخرى

« وأما زمومها فإن لكل زم منها مدنا وقرى مجتمعة ، قد ضمن خراج
ناحية منها رئيس من الاكراد ، والزموا اقامة رجال لبذرة القوافل وحفظ
الطرق ونوائب السلطان اذا عرضت ، وهي كالممالك . فأما زم جيلوية المعروف
بالرميجان فان مكانه في الناحية التي تلي أصبهان ، وهو يأخذ طرفا من كورة
أصطخر ، وطرفا من كورة سابور . . . وكل ما وقع في هذا من المدن والقرى
فمن هذا الزم ، ويتأخم في عمل أصبهان البازنجان ، وهم صنف من البازنجان
الذين هم بزم شهريار ، وليس من هؤلاء البازنجان أحد في عمل فارس ، الا
ان لهم بها قرى وضياعا كثيرة ، واما زم الديوان المعروف للحسين ابن صالح
وهو من كورة سابور فإن حدا منه يلي أردشير خرة ، وثلاثة حدود تحيط

(١٥) وهو زم (شهربراز) في (المسالك والممالك) - ابن خرداذبة ، ص (٤٧) .

(١٦) الاصطخري - (المسالك والممالك) - ص (٦٧-٦٨) . يقول ياقوت الحموي

في (معجم البلدان) - مجلد (٣) ، ص (٨٣٨) : « وبنواحي فارس من

أحياء الاكراد ما يزيد على خمسمائة ألف بيت شعر » .

بها كورة سابور ، وكل ماكان من المدن و القرى في اضعافها فهي منها ، وأما
 زم اللواليجان لاحمد ابن الليث - وهو في كورة أرد شیر خرة ، فحد منه
 يلي البحر ، وتحيط بثلاث حدود له كورة أرد شیر خرة ، وما وقع في اضعافه
 من القرى والمدن فهو منه ، وأما زم الكاريان فان حدا منه الى سيف بنى
 الصفار^(١٧) وحدا منه الى زم البازيجان ، وحدا منه الى حدود كرمان ، وحدا
 منه الى ارد شیر خرة ، وهي كلها في أردشير خره . واما أحياء الاكراد بفارس
 فهم : الكرمانية والرامانية ومدثر وحي محمد بن بشر والبقيلية و البنداد مهريه
 . حي محمد بن اسحاق والصباحينة والاسحاقية والاذركانية والشهركية
 والطهمادهنية والزبادية والشهروية والبندادكية والخسروية و الزنجية
 والصفرية^(١٨) والشهيارية والمهركية والمباركية والشتا مهريه والشاهونية
 والسلمونية والصيرية والازاددختية و البزاددختية والمطلبية والماليه
 والشاهاكانيه والكجتية والجليلية ، فهؤلاء الذين حضرني اسمائهم ، ولايتهم
 تقصيمهم الا من ديوان الصدقات ، ويقال انهم يزيدون على خمسمائة الف
 بيت ، ويخرج من الحي الواحد الف فارس الى مائة فارس ، وأقل من ذلك
 واكثر ، وينتجعون في المشتى والمصيف على المرعى ، الا القليل منهم على
 حدود الصرود و الجروم^(١٩) فلا ينتقلون ، ولهم من العدة والبأس والقوة
 بالرجال والدواب والكراع ما يستصعب على السلطان أمرهم - اذا أراد
 تحيفهم ، ويزعمون أنهم من العرب ، وهم أصحاب أغنام ورمالك ، والابل فيهم
 قليل، وليس للاكراد خيل الا للبازنجان الذين انتقلوا الى حد اصبهان ، وأما

(١٧) - معجم البلدان - مجلد (٣) ، ص (٢١٧) ، و « سيف بنى الصفار وخدمته
 ينتهي الى رم الريحان » - المصدر نفسه ، مجلد (٢) ، ص (٨٢٢) .

(١٨) أنظر (مروج الذهب) - مجلد (٣) ، طبعة (١٩٦٥) - ص (١٠٠)
 «الصفرية و الحمريه » .

(١٩) (الصرد وهو المكان المرتفع من الجبال و هو أبردها) - (معجم البلدان) -
 مجلد (٣) ص (٣٧٦) ، (الجرم مصدر جروم معرب كرم بالفارسية والارض
 الشديدة الحر . ج جروم) - قطر المحيط (المعلم بطرس البستاني) .

دوابهم براذين ، وهم على حسن حال ويسار ، ومذاهبهم في القنية والنجعة (٢٠) .
مذاهب قبائل العرب وقبائل الاتراك ، وهم فيما يقال يزيدون على مائة حي ،
وأنا حضرنى نيف وثلاثون حيا (٢١) »

لاشك في أن ما يذكره ابن خردذابه و الاصطخري من الزموم واسامي
رؤسائها تعودان الى القرنين الثالث والرابع ، وقد يكون لها تأريخ سابق
لعهود أقدم وكما يتبين في صفحات لاحقة أيضا ، ويلاحظ بالنسبة للاصطخري
اهتمامه ودقته في تعيين مواقع هذه الزموم وحدودها . . ومن جهة أخرى ،
فأنه يظهر ان بعض رؤساء زموم الاكراد لم يكونوا اكرادا . فمثلا يذكر
الاصطخري أن (احمد بن الحسن الذي نسبنا اليه زم الكاريان ، وهو من ال
الجلندي أزدي ، وابنه حجر بن أحمد هو على الزم في منعة وقوة الى يومنا
هذا ، وال الصفار الذين نسب اليهم سيف بني الصفار هم ال الجلندي) (٢٢) .
ويعود الاصطخري الى ذكر الاكراد في (المسالك والممالك) في حالات
نادرة خارج إقليم فارس ، فمن ذلك يذكر هو : « وأما شهر زور فانها مدينة
صغيرة ، قد غلب عليها الاكراد على قربها من العراق ولا يكون بها امير او
عامل ، وهي في يد الاكراد ، وكذلك سهرورد الغالب عليها الاكراد وهي مدينة
صغيرة (٢٣) »

ومن جهة أخرى لا يتطرق الاصطخري لدرجة كافية من الوضوح الى
مواقع سكن الاكراد بعد أن ينسب الطوائف الثلاث والثلاثين التي يذكرها
الى اقليم فارس . فلا يذكر هو مكان تواجد الاحياء والطوائف الكردية
الآخري ، رغم أنه يذهب الى القول أن احياء الاكراد تربو على المئة . ويمكن
ملاحظة هذا الغموض بخصوص مواقع القبائل التي يدرج المقدسي اسماءهم في

(٢٠) القنية . . ما اكتسب ج قنى ، النجعة - طلب الكلاء في موضعه وهي

اسم من النجوع ج نجع - قطر المحيط (للمعلم بطرس البستاني) .

(٢١) الاصطخري - (المسالك والممالك) ، ص (٧١-٧٢) ، طبعة (١٩٦١) .

(٢٢) الاصطخري - (المسالك والممالك) - ص (٨٥) .

(٢٣) المصدر نفسه ، ص (١١٨) .

تسلسل واحد مع فارق لديه حيث يذكر المواقع والمناطق التي سكنها الاكراد دون ان يطابق ذلك مع محل كل طائفة على حدة . ويختلف عمل المسعودي عن هذا شيئاً ما حيث يذكر هو بعض المواقع بشكل اوضح ، ويهمل هو الآخر هذا العمل في حالات أخرى .

ويذكر الاصطخري تفاصيل أخرى عن الزموم :

« واما ملوك الزموم الذين على أبوابهم الجيوش الدائمة من ألف رجل الى ثلاثة آلاف فان منهم في زم الزميجان المعروف بزم جيلويه المهرجان بن روزبه وهو اقدم من جيلويه وأعظم شوكة ومنزلة ، واخوه سلمة ابن روزبه بعده ، وكان جيلويه ناقلة أليهم . . . وكان يخدم سلمة فلما مات تغلب جيلويه على هذا الزم . . . حتى نسب الزم إليه الى يومنا هذا . . . ورياسة هذا الزم في اولاد جيلويه الى يومنا هذا ، واما زم الديوان فكان رئيسهم آزاد مر ابن كوشهاذ من الاكراد فملكه دهرا ثم عصى فقصده السلطان فهرب الى عمان وبها مات ، وصار الامر بعده الى حسين بن صالح من الاكراد ، فصار الزم في يده ويد اولاده الى أيام عمر بن الليث^(٢٤) فنقله عنهم الى ساسان بن غزوان من الاكراد، فهو في أهل بيته الى يومنا هذا ، واما زم اللواليجان فكان في أيدي ال الصفار، الى ان ولى محمد بن ابراهيم الطاهري^(٢٥) فارس فجعله في يدي احمد بن الليث رجل من الاكراد فهو في يدي أهل بيته

(٢٤) « وفيها - اي سنة ٢٦٥ هجرية - مات يعقوب بن الليث بالاهواز وخلفه أخوه عمر بن الليث . . . » - الطبري - (تاريخ الرسل والملوك) ، مجلد (٩) ، ص (٥٤٤-٥٤٥) ، طبعة (١٩٦٨) ، انظر كتاب المسالك والممالك نفسه حول آل الليث .

(٢٥) يقصد بهذا الرئيس محمد بن واصل بن ابراهيم الذي يذكره الطبري وثم ابن الاثير . فقد جاء في (تاريخ الرسل والملوك) ، مجلد (٩) ، ص (٤٧٤) : « وفيها - اي سنة ٢٥٦ هجرية - وثب محمد بن واصل بن ابراهيم التميمي ، وهو من أهل فارس ، ورجل من اكرادها يقال له احمد بن الليث . . . وغلب محمد بن واصل على فارس » ، ابن الاثير - (الكامل) مجلد (٧) ، ص (٢٤٠) ، طبعة (١٩٦٥) .

الى يومنا هذا ، ومحمد بن ابراهيم^(٢٦) هو الذي اوقع بازاد مرد كوشهاده حتى هرب ، واما زم الكاريان فهو في ال الصفار الى يومنا هذا على قديم الايام ورئيسهم اليوم حجر بن أحمد بن الحسن ، واما زم البازنجان فأن رئيسهم كان يسمى شهريار من الاكراد ، والزم منسوب إليه وكان مظاهر لجيلويه وصار بعده للقاسم بن شهريار ثم انتقل الى موسى بن القاسم ، والبازنجان الذين هم في حد أصبهان هم من هذا الزم فانتقلوا عن فارس ، الا ان لهم في حدود فارس ضياعا كثيرة وكان رئيسهم موسى بن عبد الرحمان ثم صارت لموسى بن مهرباب^(٢٧) وصارت بعده لابنه ابو مسلم محمد بن موسى ومن بعده لاحمد بن موسى والرئاسة فيهم الى يومنا هذا (٢٨) »

نستطيع ان نلاحظ بصدد كلمة (زم) والزموم أن ابن خرداذبة يذكر صيغة (زم) و كذلك ابن الفقيه ، اما الاصطخري فيدون اللفظ في صورة (زم) في (المسالك والممالك) وأحيانا بشكل (رم)^(٢٩) كما في (كتاب الاقاليم) والصورة الاخيرة هي النادرة جدا . ويسجل المقدسي الكلمة بصيغة (زم) و (زموم) ، وكذلك يفعل المسعودي وابن حوقل والطبري صيغة (زم) و (زموم) . والحقيقة هي ان صيغة الكلمة هي (زم) وليس غيرها^(٣٠) .

(٢٦) هو محمد بن واصل بن ابراهيم المذكور ، وفي (صورة الارض) لابن حوقل ص (٢٤٢) : « كان محمد بن واصل الحنظلي أمير فارس » .

(٢٧) يكتب الطبري : « وفيها - اي سنة ٢٦١ هجرية - اوقع اصحاب يعقوب بن الليث بأهل زم موسى بن مهران الكردي ، لما كان من ممالاتهم محمد بن واصل ، فقتلوه ، وانهزم موسى بن مهران » - (تاريخ الرسل) ، جزء (٩) ، ص (٥١٤)

(٢٨) الاصطخري ، (المسالك والممالك) - ص (١٤٥)

(٢٩) يذكر صفي الدين البغدادي صيغة (رموم) و (زموم) معا - (مراسد الاطلاع) ، ص (١٠١٢) لسنة (١٩٥٤) .

(٣٠) انظر ، الحموي ، ياقوت :-

- (معجم البلدان) - مجلد (٢) ، ص (٨٢١) - (المشترك وضعاً والمفترق صقلاً) ، ص (٢١٠)

فمن المعروف عند القائمين بالتحقيق في المخطوطات أنهم يعانون في مساعيهم من غياب التنقيط والتحريك في النصوص المخطوطة في الغالب .

غير أن أغلب هؤلاء المؤرخين والبلدانيين اوردوا كلمة (زم) وهم أهم من تطرق الى موضوع الزم والزموم^(٣١) فلاشك في أن اللفظ المقصود هو (زم) وبالإضافة الى كل ذلك ، يرد في كتاب (معجم البلدان) تعبير مهم يؤكد بأن هذا اللفظ هو (زم) ، وخصوصا ملاحظة عصر الحموي مما يظهر احتمال استمرار بقاء هذا اللفظ عبر القرون . وهذا التعبير هو الاتي :

« زوم بضم اوله وسكون ثانيه من نواحي أرمينيا مما يلي الموصل ولعل الجبن الزومي اليه ينسب .. وقيل الجبن الزماني وقيل الزومي ينسب الى زومان وهم طائفة من الاكراد لهم ولاية^(٣٢) » .

واكثر من ذلك ، لاتزال كلمة (زومه) بمعنى محل طائفة كردية رائجة في مناطق كردية شمالية . فصاحب كتاب (عادات وتقاليد الاكراد) محمود بايزيدي يدون كلمة (زومة) مرارا وتكرارا في الكتابة المذكورة والمنشورة بالزنكو مع ترجمتها الروسية بنفس معناها المذكور . فالزومة هي حي او قرية كردية لطائفة او فرقة منهم بحسب كتاب بايزيدي . فكما ان الزم كان ينسب الى احد الرؤساء في تلك العصور ، كذلك يذكر بايزيدي العائش في النصف الاول من القرن التاسع عشر بأن كل زومة تعرف بأسم رئيسها ، فيكتب هو :

« يؤلف كل فخذ او بطن من جملة العوائل التي ترتع في المربع سوية قسما او كتلة تسمى زومه . وتدعى هذه الفرقة بأسم رئيسهم الاغا او الشيخ أكبرهم سنا . فمثلا .. يطلق على الزومة أسم زومة علو أو زومة حسو

(٣١) يذكر الطبري في حوادث سنة (٢٨٤) هجرية تعبير (الاكراد واهل الزموم) - (تاريخ الرسل والملوك) - جزء (١٠) ، ص (٦٥) ، طبعة (١٩٦٨) .

(٣٢) الحموي - (معجم البلدان) ، مجلد (٢) ، ص (٩٥٩) ؛ « ومعنى زم بالكردية - قبيلة - وأصح وجه لكتابتها (زومه) - لسترانج - بلدان الخلافة الشرقية) - ص (٣٠٢) .

(زومة علي او زومة حسن) • فبطونهم وكذلك قراهم يطلق عليها زومة
فلان (٣٣) » •

جاء في كتاب المقدسي (أحسن التقاسيم) :

« وزمومه - أي أقليم فارس - خمسة أكبرها زم أحمد بن صالح يعرف
بالديوان ثم زم شهریار يعرف بزم البازنجان وهم الذين في ناحية أصبهان
من هذا القوم ناقلة من هذا الزم وزم أحمد ابن الحسن ويعرف بزم الكاريكان
وهو زم ارد شیر خرة (٣٤) »

وجاء من نفس المصدر كذلك :

« وأما سابور فانها كورة نزيهة ... قريبة من الجبال .. ومن مدنها
دريز ... توز زم الاكراد جنبد خشت وخشت وسط الجبال ... وزم الاكراد
لها نهرو رستاق وهي وسط الجبال ذات بساتين وفواكه وخيرات (٣٥) »
وجاء في الكتاب نفسه عن القبائل الكردية :
« وبه من أحياء الاكراد ثلاثة وثلاثون »

« الكرمانية ، الرامانية ، مدثر ، حي محمد بن بشر ، الثعلبية ، البندامهرية
حي محمد بن اسحاق ، الصباحية ، الاسحاقية ، الاذركانية السهركية ، الطهمدانية
الزبادية ، الشهروية ، المهركية ، البنداقية ، الخسروية ، الزنجية الصفرية ، المباركية
أستامهرية ، الشاهونية ، الفراتية ، السلمونية ، الصيرية ، الازاددختية والمطلبية
والمالية ، والشاكانية ، وهم خمس مائة الف بيت » (٣٦) •

(٣٣) ملا محمود بايزيدي - (عادات وتقاليد الاكراد) - طبع بالزنكو مع الترجمة
الروسية - رودنكو - موسكو (١٩٦٣) - [تعريب الدكتور أحمد عثمان
أبو بكر - ومعد للطبع] •

(٣٤) المقدسي - (أحسن التقاسيم) - ص (٤٤٧) ، (اردشير خرة .. هي من
أجل كور فارس ومنها مدينة شيراز) - الحموي - (معجم البلدان) ، مجلد
(١) ، ص (١٩٩) •

(٣٥) المقدسي - (أحسن التقاسيم) - ص (٤٢٤) ، انظر ايضا الصفحتان (٥٢)
و (٤٣٥) منه •

(٣٦) المقدسي - (أحسن التقاسيم) - ص (٤٤٦) •

جاء في كتاب ابن حوقل (صورة الارض)

«... وأما زمومها فهي ايضا خمسة واكبرها زم جيلويه ويعرف بزم الرميحان والذي يليه في الكبر زم أحمد بن الليث ويعرف باللواليجان ويلى ذلك في الكبر زم الحسين بن صالح ويعرف بزم الديوان ثم زم شهر يار ويعرف بزم المازنجان قبيل من الاكراد في حدود أصبهان ناقله من هذا الزم^(٣٧) وزم احمد بن الحسين ويعرف بالكاريان وهو زم أردشير . فأما أحياء الاكراد فأنها تكثر عن الاحصاء عن غير انهم بجميع أحيائهم المقيمة بفارس على استفاضة أهل الديوان والخاصة من علماء التناء^(٣٨) يزيدون على خمسة مائة ألف بيت شعر ينتجعون المراعي في الشتاء والصيف على مذاهب العرب ويخرج من البيت الواحد من الارباب والاجراء والخول واتباعهم ما بين رجل الى عشرة من الرجال ونحو ذلك . و سأذكر من أسامي احيائهم ما يحضرنى ذكره على أنهم لا يتقصون في العدد الا من ديوان الصدقات»^(٣٩)

جاء في نفس المصدر كذلك هذه التفاصيل :

« و ذكر زمومها^(٤٠) وصفاتها ، فأما زمومها فأن لكل زم منها قرى ومدنا مجتمعة قد ضمن خراج كل ناحية منها رئيس من الاكراد والزم صلاح أحوال

(٣٧) يلاحظ ان الاصطخري والمقدسي وابن حوقل جميعهم يذكرون ان هذا القسم من البازنجان (المازنجان) هم من زم البازنجان في إقليم فارس ، ويحتفظون بأملأك لهم هناك .

(٣٨) الثاني والدهقان ج تناء . تنا بمعنى اقامة - (قطر المحيط) - (المعلم بطرس البستاني) .

(٣٩) ابن حوقل - (صورة الارض) - القسم الثاني ، ص (٢٣٦) . وهنا ايضا يذكر ابن حوقل كما ذكر البلدانيون الآخرون الذين اقتبسنا منهم عدد هؤلاء الاكراد ويقدرونهم بنحو خمسمائة ألف خيمة أي عائلة .

(٤٠) ويقول ابن حوقل ايضا : « وأما ابواب المال لبيت المال على الناس فمن الزموم .. الخ و « عامة فارس مساحة الا الزموم فأنها مقاطعات بالعبرة » (صورة الارض) - ص (٢٦٣) . يدور الكلام عن تقسيمات الارض الزراعية للضرائب والخراج .

فأحيته وتنفيذ القوافل وحفظ الطرق والقيام بأحوال السلطان إذا عرضت بناحيته وتنفيذ أوامره وهي كالممالك ، فاما زم جيلويه المعروف بالزميجان فإنه يلي أصبهان ويأخذ طرفا من كورة اصطخر وطرقا من كورة سابور وطرفا من كورة الرجان وخدمته ينتهي الى أصبهان وحد منه الى حدود خوزستان وحد منه ينتهي الى زم ناحية سابور ، وكل ما وقع فيه من المدن والقرى فإنه من عمل أصبهان ومتأخهم من عمل أصبهان المازنجان وهم من المازنجان الذين هم من زم شهریار^(٤١) وليس فيهم احد في عمل فارس الا له بها ضياع وقرى كثيرة غزيرة واما زم الديوان المعروف بالحسين بن صالح وهو من كورة سابور فإن حدا منه يلي اردشير خرة وثالثه حدوده تنعطف عليها كورة سابور فكلما كان من المدن والقرى في أضعافه فهو منها ، واما اللواليجان زم أحمد بن الليث وهو في كورة أردشير خرة وما وقع في أضعافه من القرى والمدن فهو منها ، وأما زم الكاريان فإن حدا منه الى سيف - بني الصفار وحد منه الى زم المازنجان وخدمته حدوده كرمان ..

وأما أحياء الاكراد بفارس فإن منهم الكرمانية والرامانية ومدين وحي محمد بن بشر و النقيلية والبنداذ مهريه وحي محمد بن أسحاق والصباحية والاسحاقية والاذركانية والسهركية والطهمدانية والزيادية والشهروية والبنداذقية والخسروية والزنجية والصفرية والشهيارية والمهركية والاستامهرية والشاهوية والفراية والسلمونية والمصيرية والازاددختية والمطلبية والمالية واللارية والبرازدختية و الشاهكانية والجليلية . وهؤلاء المشهورون من احيائهم ولا يمكن تقصيصهم الا من ديوان الصدقات ويزيدون على خمس مائة ألف بيت و يخرج من الحي الواحد ألف فارس وأكثر وأقل ليجتمعون في الشتاء والصيف في المراعي والمصايف والمشتاتي الا القليل منهم على حدود الصرود فأما أهل الجروم فلا يزولون ولا ينتقلون بل يترددون فيما لهم من النواحي ولهم من العدة والبأس والقوة بالرجال والدواب والكراع ما يستصعب

(٤١) بحسب قول ابن حوقل كانت هناك مدينة زم وكان رستاقها زم شهریار نفسه - (صورة الارض) - ص (٢٣٨) .

على السلطان أمرهم اذا اراد تحيفهم أو تهضمهم ، وهم أصحاب أغنام ورميك والابل فيهم قليلة و ليس للاكراد خيل عتاق الا ما عند المازنجان المقيمين بحدود أصبهان وانما دوابهم براذين و شهاري وهم على حسن حال ويسار ومذاهبهم في القينة والنجعة مذاهب العرب ويقال انهم يزيدون على مائة حي وانما ذكرت نيفا وثلثين حيا (٤٢) .

هكذا نجد أنه قد دون الاصطخري والمقدسي وابن حوقل بالاضافة الى المقيمين في الزموم أسماء عدد كبير من القبائل والفرق الكردية و أماكن سكن الطوائف حسبما رأينا ذلك في الصفحات السابقة . ويجدر أن نلاحظ أنه يدخل بعض الاختلاف في أسماء هذه القبائل والطوائف او اختلاف كبير في بعض الحالات . غير ان الاختلاف في تلك المسميات يصبح أكبر وأوضح كلما تباعد الزمن بين العهود ، فيدون الجيل الثاني والثالث من البلدانيين والمؤرخين — اذا اجيز لنا هذا التصنيف العملي — في القرن الخامس او السادس او السابع ومن جاء من بعدهم من هؤلاء يدونون اسماء القبائل والفرق الكردية أحيانا بخلاف مدونات الاوائل وباسماء جديدة او مغايرة ، وحتى في انساب جديدة غير مذكورة في السابق (٤٣) . فمثلا يرد في كتاب المقرئزي (السلوك) مايلي :

« الاكراد ينسبون الى كرد بن مرد ... وقيل أنهم من بني حميد بن طارق الراجع الى حميد بن زهير ... وهم قبائل : منهم الكورانية بنو كوران والهدبانية(*) ، والبشئوية ، والشاهجانية والسزلجية واليزوالية والمهرانية ، والزرزارية والكيكانية ، والجاك ، واللو ، والدنبلية ، والروادية ، والديسنية والهكارية ، والحميدية والوركجية ، والمروانية ، والجلالية ، والشنيكية والجوبي ... وأحياء الاكراد تكثر عن الاحصاء (٤٤) »

(٤٢) ابن حوقل — (صورة الارض) — ص (٢٣٩-٢٤٠)

(٤٣) نحاول معالجة موضوع الانساب والاصول في بحث مخطوط آخر .

(*) الهدبانية.. طائفة يذكرها المسعودي في (التنبيه والاشراف) ، ص

(٧٨) ، ويذكرها ابن حوقل في (صورة الارض في مادة الجزيرة (الجزيرة) .

(٤٤) المقرئزي — (كتاب السلوك) — جزء اول — قسم اول — ص (٢-٤) .

يسجل الاصطخري في قائمة واحدة اسماء ثلاث وثلاثين قبيلة وفرقة ، أما المقدسي فيسجل أسماء ثلاثين منها مع أنه يذكر قوله (وبه من أحياء الاكراد ثلاثة وثلاثون) . من جهة أخرى ، يذكر المسعودي في كتاب (مروج الذهب) أسماء ست عشرة عشيرة وطائفة منهم ، وذلك على الوجه التالي : « نوع من الاكراد - وهو الشويهجان ببلاد ماهين الكوفة والبصرة وهي أرض الدينور وهمدان - والماجردان وهم من الكنكور ببلاد أذربيجان والهلبانية و السراة وما حوى بلاد الجبال من الشاذنجان واللزية والماذنجان والمزديكان والبارسان والخالية والجبارقية ، والجاوانية ، والمستكان ومن بلاد الشام من الدبابة وغيرهم .. ومنهم اليعقوبية والجوزقان وهم نصارى ، وديارهم مما يلي بلاد الموصل وجبل الجودي » (٤٥)

من جهة أخرى يسجل المسعودي في كتاب (التنبيه والاشراف) أسماء خمس عشر فرقة وعشيرة اضافة الى انه يسجل فيه أيضا عددا كبيرا من اسماء البلاد والاقطار التي كانت تسكنها القبائل والطوائف الكردية ، وهي على الوجه التالي :

« الاكراد البازنجان والشوهجان و الشاذنجان والنشاور و البوذيكان واللرية و الجوزقان والجاوانية والبارسيان والجلالية والمستكان والجبارقية والجروغان والكيكان والماجوران والهدبانية وغيرهم ممن بزموم فارس وكرمان وسجستان وخراسان وأصبهان وأرض الجبال من الماهات ماه كوفه وماه البصرة وماه سبذان والايفارين وهما كرج والبرج وأبي دلف وهمذان وشهرزور

(٤٥) المسعودي - (مروج الذهب) - جزء (٢) ص (١٢٣) ، جاء في تاريخ الطبري ، جزء (٩) ص (٤٩٠) ، طبعة (١٩٦٨) عن احدث سنة (٢٥٨) هجرية : « وفيها اوقع مسرور البلخي بأكراد اليعقوبية فهزمهم ، وأصاب فيهم » . هكذا يذكر المسعودي على انهم نصارى بأسمهم اليعقوبية .

وداراباذ والصامغان وأذربيجان وأرمينية وأران و البيلقان والباب والابواب
ومن الجزيرة و الشام والثغور .. » (٤٦)

ويذكر المسعودي بالاضافة مواقع سكن اخرى : « ثم سكن من الاكراد
... جبال هراة وكوهستان وبوشنج من بلاد خراسان ومن بلاد مكران على
ساحل البحر بين بلاد السند وكرمان ، اكثرهم صفرية وحميرية ، ومنهم ببلاد
حمران اصطخر وصاهك بين كرمان وفارس ، ومنهم ببلاد تيهرت المغرب ومنهم
ببلاد حزموت وغيرها (٤٧) »

فإذا دققنا النظر في هذه الاسماء والالفاظ التي اوردها الاصطخري
والمقدسي وابن حوقل من جهة والمسعودي من جهة ثانية ، وبين تلك الاسماء
التي يدونها المقرئ من جهة اخرى لنجد فروقا وتمايزا كثيرا وواضحا . ولعل
هذا مما يعتبر من الامور الطبيعية بالنظر لان القبائل والفرق غالبا ماتتغير
اسماءها ومواقع سكنها بمرور الزمان وبفعل الاحداث وتعاقب الادوار . وانه
من النادر ان ابقت قبيلة او طائفة كردية على اسمها وموقعها بصورة ممتددة
من القديم حتى الحال الحاضر (٤٨) .

(٤٦) المسعودي - (التنبيه والاشراف) - ص (٨٨-٨٩) . يذكر المسعودي
ايضا : « خابور دجلة .. عليه قصور على بن داود الكردي من الرهزادية »
- المصدر نفسه ، ص (٤٨) .

(٤٧) المسعودي - (مروج الذهب) - الجزء (٣) ، ص (١٠٠) ، طبعة (١٩٦٥) .
وعن الاصطخري في (المسالك) ، ص (١٥٤ - ١٥٥) : « قوهستان من
خراسان .. والمدن التي بقوهستان هي متباعدة وفي مفاوز هذه المدن
يسكن الاكراد » - اقرأ فيه ايضا ص (١٥٨) .

(٤٨) للتدقيق في اسماء ومواطن الفرق والعشائر الكردية قديما وحديثا يراجع
كتاب (خلاصة تاريخ الكرد وكردستان) ، موضوع (العشائر)

ولنتابع أقتباس مدونات المقدسي والآخرين :

« إقليم الرحاب (٤٩) »

« ديل (٥٠) بلد جليل عليه حصن منيع والخير فيه كثير . . . والجامع على رابية كبيرة الى جنبه كنيسة يضبطه الاكراد به قلعة بنيانهم طين وحجارة . . . وسلماس طيبة عليها حصن من طين وحجارة . . . وقد أحاط بها الاكراد . . . وقندرية مدينة أحدثها الاكراد بها جامع لطيف (٥١) »

وجاء في نفس المصدر :

« جنديسابور كانت قصبة عامرة جليلة و بلدة قديمة وكانت مقر الاقليم والان قد اختلت وغلب عليها الاكراد . . واللور على حد الجبال (٥٢) »

جاء في كتاب الاضطخري (الاقاليم) :

(ذكر حدود فارس)

« واما أحياء الاكراد فأنها تكثر عن الاحصاء غير أنهم بجميع فارس يقال أنهم يزيدون على خمسة مائة الف بيت شعر ينتجعون المراعي في الشتاء والصيف كالعرب ويخرج من كل بيت جماعة (٥٣) »

(٤٩) يقول المقدسي من اقليم الرحاب : « وقد جعلنا هذا الاقليم ثلاث كور اولها . . اران ثم أرمينية ثم أذربيجان » - (احسن التقاسيم) ، ص (٣٧٤) .
ويقول الحموي عنه : « الرحاب . . بأذربيجان واكثر أرمينية » - (معجم البلدان) ، مجلد (٢) ، ص (٧٥٨) .

(٥٠) ديل هي دوين نفسها - دائرة المعارف الاسلامية - مجلد (١) - (١٩١٣) (بالانكليزية) .

(٥١) المقدسي - (احسن التقاسيم) ، ص (٣٧٧)

(٥٢) المقدسي - (احسن التقاسيم) - ص (٤٠٨) يدور الحديث هنا عن اقليم الاهواز في ايران ويقول ابن حوقل : « واللور بلد خصيب والغالب عليه هواء الجبل . . . وله بادية واقليم ورساتيق الغالب عليه الاكراد وهو بجوارهم خصب وبمصابتهم رطب » - (صورة الارض) - القسم (٢) ، ص (٢٥٧) .

(٥٣) الاضطخري - (كتاب الاقاليم) - ص (٥٧)

طبع كتاب الاقاليم هذا في الشكل المخطوط على الفوتوستات ، لذلك جاءت اكثر كلماتها غير منقطة وكلمات أخرى طافرة وفيه أخطاء في أسماء الاحياء . ويمكن مع ذلك الاعتماد على المعلومات الواردة فيه . وبالنسبة لأسماء الاحياء فيمكن الرجوع الى كتاب (المسالك والممالك) للمؤلف نفسه الذي نقلنا عنه سابقا . وقد صححنا ما اقتبسناه على الطبعة الاخرى لكتاب الاقاليم) ، لسنة (١٨٩١) .

وجاء أيضا في كتاب (الاقاليم) المذكور :

« وأما شهرزور فأنها مدينة صغيرة قد غلب عليها الاكراد .. ولا يكون بها امير ولا عامل وهي في بلاد الاكراد وكذلك سهرورد الغالب عليها الاكراد وذكر لي أن سهرورد أهله كرم^(٥٤) »

جاء في كتاب ابن حوقل (صورة الارض) :

الجزيرة

« وأما الموصل فمدينة على غربي دجلة ... تصيف في مصايفها وتشتمو

في مشاتها من أحياء العرب وأحياء الاكراد كالهذبانية و الحميدية والاربية وكانت بها بيوت فاخرة ... وفيها أسواق ... يجتمع الاكرة والاكرد كثيرة الخير ... وفيه مدينة تعرف بكفرعزي يسكنها قوم من الشهاجرة نصارى ... وينزل في نواحيها الاكراد ، وقردي وبازبدا رستاقان عظيمان^(٥٥) » .

(٥٤) الاصطخري - (الاقاليم) - ص (٥٧) ، ويقول ابن مهمل (ونزير كانت مملكة ... حتى غلب على البلد صنف من الاكراد يعرفون - الهذبانية - فملكوا المدينة .. وشهرزور مدينت وقرى ... مشتى ستين الف بيت من اصناف الاكراد الجلالية واليابسان والحكمية والسولية » - (الرسالة الثانية) - ص (١٥-١٦) .

(٥٥) ابن حوقل - (صورة الارض) - ص (٢١٤-٢١٧) ويقول هو في نفس المصدر ، ص (٣١٥) : « وهذه الجبال مسكونة مأهولة بالاكراد الحميدية والاربية والهذبانية ، وغيرهم من اكراد شهر زور وسهرورد »

ويذكر الدينوري (قردي وبازبدي) (٥٦) . ويذكر الطبري هاتين
البلدتين في حوادث سنة (١٧٤) . (٥٧) .

ويذكر ابن خردذبه (٥٨) في (المسالك والممالك) هذا البيت الشعر :

بقردي وبازبدي مصيف ومربع
وعذب يحاكي السلسيل بروده

نستطيع ان نلاحظ من الصفحات الكثيرة السابقة أنه بجانب المؤرخين
الذين سجلوا احوالا وشؤونا وأحداثا شارك الاكراد فيها بقسط من المشاركة
قليل او كثير ، فبجانب هؤلاء نجد البلدانين ، ومن المؤرخين من كانوا
بلدانيين أيضا ،الذين اولوا مناطق سكن الاكراد وكذلك الطوائف والعشائر
الكردية قسطا من اهتمامهم . وتشكل الصفحات السابقة نماذج غير كاملة من
ذلك رغم ما نبذله من جهد لنتمه،وهي جل ما كتب بشأنه في حينه،وقد عمدنا
نحن الى اقتباس تلك الصفحات والفقرات والتعابير والجمل ومن الشذرات
ما اشتملت على موقع من مواقع سكن الاكراد او موضع لتوطن عشيرة أو
فرقة منهم وما حوت الفاظا مثل الاكراد او الكرد وكذلك الكردي ليس الا .
ولا ينحصر عمل هؤلاء المؤرخين والبلدانيين في المنطقة الكردية فيما اقتبسنا
حسب ،بل يشتمل على مواطن ومواقع كردية اخرى يأتي ذكرها في حنايا كتبهم
وثنايا تصانيفهم وبتفاصيل تقصر او تطول . فلقد يذكر كاتب من هؤلاء الاوائل
أقليم اذربيجان ، مثلا ، ولا يذكر وجود الاكراد فيها كسكان أصليين ، حيث
لا يشك ان الكرد توطنوا هذا الاقليم واستقروا فيه منذ القدم بالاعداد الغفيرة
الجمّة . وقد استوطن الاكراد أقاليم عديدة بشهادة هؤلاء أصحاب التصانيف .

(٥٦) الدينوري - (الاخبار الطوال) - ص (٣)

(٥٧) الطبري - (تاريخ الرسل) ، حوادث سنة (١٧٤) .

(٥٨) ابن خرداذبة - (المسالك والممالك) - ص (٩٥)

من جهة أخرى، قد أستأثر إقليم فارس وما ولاها وما صاقبها بأهتمام خاص من لدن هؤلاء الرواد نسبة لمواقع سكن الاكراد - وبالأحرى احرز هذا السقع أهتماما اكبر ولعل الاستثناء البارز بينهم هو المؤرخ المسعودي الذي يذكر عددا كبيرا من الفرق و الطوائف الكردية وعددا كبيرا ايضا من مناطق سكن الاكراد ومواقع استيطانهم في ذلك الحين . أما المؤلفين والمصنفين من مؤرخين وبلدانيين من الاجيال التالية لهؤلاء الاوائل فقد انصب أهتمامهم فيما كتبوا بهذا الصدد على المناطق الاخرى أكثر . وهذا يستوقف النظر . ولعل احد اسباب هذا الواقع هو احتمال تناقص عدد القبائل وانخفاض شأنها وأهميتها في إقليم فارس او بالأحرى هجرة الاكراد من ذلك الاقليم وتفرقهم في الاقاليم والامصار الاخرى نحو الشمال والغرب منها بالاخص^(٥٩) ولعل شيخ الربوة صاحب (نخبة الدهر ...) هو من أوائل الذين التفتوا الى احتمال هذا التشتت ، بل هو يقول ان اكراد ذلك الاقليم ابيدوا من قبل التتار^(٦٠) . مهما يكن من امر يبدأ ذكر الاكراد يعتريه الوهن في اقليم فارس بالتدريج فيزداد شأنهم وذكرهم في بقاع ومواقع اخرى اكثر وابعد نحو الشمال والغرب في إيران واذربجان و أرمينيا وحوض الفرات ودجلة والجزيرة انذ .

(٥٩) يذكر القلقشندي : نقلا عن مسالك الابصار للعمري قوله « والمراد بهذه الجبال الجبال الحاضرة بين ديار العرب وديار العجم ، دون اماكن من توغل من الاكراد في بلاد العجم . قال : وابتداؤها جبال همذان وشهرزور ... ثم ذكر منها عشرين مكانا في كل مكان منها طائفة من الاكراد » - كتاب (صبح الاعشى) - الجزء (٤) ، ص (٣٧٣) .

(٦٠) شيخ الربوة - (نخبة الدهر) - الفصل الرابع ص (١٧٧)

مصادر ومراجع البحث

- ١ - الاصطخري ، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الكرخي - (كتاب المسالك والممالك) ليدن ، طبعة (١٩٦١) •
- ٢ - الاصطخري ، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الكرخي - (كتاب الاقاليم) - طبع دي مويلر • (بلا)
- ٣ - ابن الاثير ، علي بن محمد عز الدين الشيباني - (الكامل في التاريخ) - بيروت - (١٩٦٥)
- ٤ - ابن حوقل ، أبو القاسم محمد النصيبي (البغدادى) - (كتاب صورة الارض) - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت • (بلا)
- ٥ - ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله أحمد الخراساني - (المسالك والممالك) ليدن ، مطبع بريل - (١٨٨٩)
- ٦ - ابن رسته ، أبو علي أحمد بن عمر - كتاب (الاعلاق النفيسة) - ليدن بمطبع بريل سنة (١٨٩١) •
- ٧ - ابن الفقيه ، أبو بكر أحمد بن محمد الحمداني - (مختصر كتاب البلدان) ، ليدن ، بمطبع بريل - (١٣٠٢) •
- ٨ - ابن مهمل ، ابو دلف مسعر - (الرسالة الثانية) نشرة بطرس بولغاكوف موسكو - (١٩٦٠)
- ٩ - بايزيدي ، ملا محمود - (عادات وتقاليد الاكراد) - تقديم وترجمة الى الروسية - (رودينكو) موسكو - (١٩٦٣) • (مع النص الكردي بالزنكو)

- ١٠- البستاني - المعلم بطرس - قطر المحيط - لبنان - (طبعت بالافست)
- بلا .
- ١١- البلاذري ، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر - (فتوح البلدان) -
دار النشر الجامعيين (١٩٥٧)
- ١٢- البيهقي ، أبو الفضل - (تأريخ البيهقي) ، ترجمة الى العربية يحيى
الخشاب - المكتبة المصرية (١٩٥٦) .
- ١٣- الحموي ، الامام شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي -
(معجم البلدان) - طهران (١٩٦٥)
- ١٤- الحموي ، الامام شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي -
(المشترك وضعاً والمفترق صقلاً) ، مطبعة المثني بغداد . بلا
- ١٥- الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود - (كتاب الاخبار الطوال) -
ليدن ، بريل (١٨٨٨)
- ١٦- زكي ، محمد أمين - (خلاصة تأريخ الكرد و كردستان) ، بغداد
(١٩٦١)
-
- ١٧- شيخ الربوة ، شمس الدين الصوفي الدمشقي - (نخبة الدهر في
عجائب البر والبحر) ، نشر ميهرن ، ليزينغ - (١٩٢٣) .
- ١٨- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جريز - (تاريخ الرسل والملوك) - دائرة
المعارف بمصر - (١٩٦٨) .
- ١٩- القلقشندي ، ابو العباس أحمد بن علي - (صبح الاعشى في صناعة
الانشا) - المؤسسة المصرية العامة - (١٩٦٣)
- ٢٠- لسترنج ، كي - (بلدان الخلافة الشرقية) ، تعريب بشير فرنسيس
وكوركيس عواد ، بغداد - (١٩٥٤)
- ٢١- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي - (مروج الذهب ومعادن
الجوهر) - بيروت - (١٩٦٥)

- ٢٢- المسعودي ، ابو الحسن على بن الحسين بن علي - (التنبيه والاشراف)
- مصر - (١٩٣٨) •
- ٢٣- المقدسي ، شمس الدين أبو عبدالله محمد ابن أحمد ابن ابي بكر ،
(أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) تحقيق دي غويه ، ليدن - (١٩٠٦)
تحقيق دي غويه ، ليدن - (١٩٠٦)
- ٢٤- المقرئزي ، تقي الدين أحمد بن علي - (كتاب السلوك لمعرفة دول
الملوك) - صححه محمد مصطفى زيادة - جزء أول - قسم أول -
القاهرة - (١٩٣٤)
- ٢٥- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح - (كتاب البلدان) -
الطبعة الثانية - ليدن ، بريل - (١٨٩٢) •
- ٢٦- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح - (التاريخ) - ليدن ،
بريل ، (١٨٨٣) •

صلات العرب الحضارية واثرها في الشعر قبل الاسلام

الدكتور عادل جاسم البياتي
كلية الآداب - جامعة بغداد

أمدتنا الاشارات العديدة الواردة في الشعر العربي قبل الاسلام بالادلة الواضحة التي تشير الى عمق الصلات الحضارية للعرب مع الامم المتعدنة يومئذ . فقد كشف لنا الشعر عن اسماء عدد من الامم والشعوب عرفهم الشاعر القديم ، وتأمل في طباعهم وما اشتروا به ، وعرف احداثا وبلادا قديمة عليه أو جديدة معاصرة له . وقد دخلت هذه الاشارات في شعره متخذة صورا متعددة ومواضع مختلفة يتنفع منها الشاعر في ارشاد او اخبار أو عقد مقارنة او ترويح لامر يطلبه هو او قومه أو قصة تاريخية أو حكمة أو موعظة .

ولو شئنا أن ننظر الى هذا التواصل الحضاري في غير الشعر لظهر للعيان كثيرا ومتعددا ، يمكن حصر بعضه بحروب التحرير في أول الحكم العربي وبنفوح البلدان فيما بعد ، ويمكن حصر البعض الآخر بالتجارة والعمل واستثمار الطاقات البشرية داخل الارض العربية ، مثل مهنة البناء والحرف اليدوية والصناعات الاخرى . ويمكن حصر ذلك ايضا في لقاءات حضارية اخرى من خلال السياحة والسفر لغرض الدراسة أو الاطلاع أو جمع المعلومات أو التبشير الديني . وتنهض رحلة القرشيين في الشتاء والصيف دليلا ناصعا على مدى ما بلغه العرب من التواصل الحضاري مع شعوب الارض القديمة من روم وفرنس وهند واحباش ، فقد كانوا يتجهون في الشتاء الى السواحل الجنوبية من بلاد العرب ، حيث تموج شواطئ اليمن زاخرة

بتجارات الامم القادمة الى المياه العربية تمتلئ سفنها بالبضائع المتنوعة ،
فياخذ العرب منهم ما يحتاجونه من بضائعهم ، ويعرضون عليهم ما في حوزتهم
من منتوجاتهم المحلية ، ولا يقتصر ذلك على الطعام والشراب واللباس
والاثاث ، ولا على السلاح والعدة الحربية الاخرى من خيل وحيوان أو
غيرهما ، بل يتعداه الى ما لدى الطرفين أو الاطراف المتعاملة جميعا من الخبرات
العلمية والقدرات الادبية والمعتقدات الدينية ، وكذلك كان الامر بالنسبة
لرحلتهم نحو التخوم الغربية وشواطئ البحر المتوسط ، حيث يلتقون
باساطيل الروم وسواهم من الامم ، يعرضون عليهم ما لديهم فيعطون ويعطون .
وقد اشار القرآن الكريم الى هاتين الرحلتين^(١) ، كما صرح باسم الروم في
سورة حملت اسمهم^(٢) ، ودلت على اهتمامات عالمية فكرية وعسكرية . ولو لم
يكن العرب يومئذ يتطلعون الى مثل هذه الاهتمامات ويطمحون الى معرفتها
واستقصاء انبائها لما وردت السورة بهذا الوضوح وبهذا الشكل الواعي من
دراسة الاحداث الفكرية والعسكرية . وتضم كتب المصادر العربية القديمة
انواعا من القصص عن رجال عرب كانوا يحملون الى قومهم مشاهداتهم في
اسفارهم ، وما ينقلونه عن الاجانب من افكار أو مصنوعات أو غيرهما .

ولو شئنا ان نعدد أوجه هذه الصلات - ونحن نبدأ بأشهرها ، وهي
الصلات الحربية - لضاق بنا مجال البحث ، لان الحملات العسكرية ، سواء
أكانت من العرب أو ضدهم ، تحمل في تضاعفها كل أسباب التأثير الحضاري ،
لكن يكفي أن نشير الى اشهر حملة في التاريخ العربي ، تلك التي قادها
الاسكندر بجيوشه الجرارة واساطيله البحرية الكبيرة الى بلاد العرب ، فقد
تركت من الآثار ، ماجعل العلماء يتأملونها ويعقدون المقارنات حولها ، وقد بلغ
من تأثير الاسكندر في نفوس الناس ، أن دخل عنصرا عربيا الى جانب الابطال
القوميين والشخصيات العربية المقدسة في مأثورنا الشعبي ، حتى عد قديسا في
حكايات الجماهير وقصص الانبياء والاولياء والرجال الصالحين ، مع أنه
جاء غازيا ولقي حتفه في بلاد العرب ، بعد أن غزا العالم القديم^(٣) . وأما

بالنسبة للسواح من رجال العلم ، فتكفي الإشارة الى ما ذكره بطليموس^(٤) في القرن الثاني الميلادي ، حيث شاهد مكة ، وأعجب بمكانتها العظيمة لدى العرب ، وأمدنا بأقدم تسمية لهذه البلدة . ومع أن إشارة هيرودوتس الى بلاد العرب ، وهو ابو التاريخ عند الغربيين كما لقبه « شيشرون » تكفي دليلا لهذا التواصل العلمي ، وان سياحته ودخوله في البلاد ينهضان شاهدا مع باقي الشواهد الاخرى^(٥) ، الا أنه وردت اخبار عن مؤرخين آخرين ساحوا في بلاد العرب القديمة ، ونقلوا عنها أخبارا كثيرة ، كما نقلوا اليها الشيء الكثير من مظاهر الثقافة والفكر في بلادهم .

وأول مظاهر الاطلاع الحضاري على الثقافات القديمة التي كانت تزرخ بها البلاد في العصور القديمة ، هي معرفة الشاعر بماضي الممالك التي شيدت فوق أرضه ، وبالأحداث الجسام التي مرت بهم ، والرجال العظام الذين نهضوا بأمر هذه الممالك ودعواتهم الاصلاحية والاستنهاضية . ولعل ابرز ذلك يتجلى في البناء والعمران وتشبيد السدود والقلاع الحصون والقصور والاطم والهياكل والمعابد والصروح ، وهي سمة حضارية تعبر عن ذهنية تنزع الى العمران ، وتجسد طموحا مشروعا وحقيقيا نحو الاستقرار والبناء . فقد وردت في الشعر العربي القديم أخبار أقدم سد ركامي عرفه انسان الشرق القديم يومئذ ، وهو سد مأرب الذي شادته حضارة العرب الجنوبيين ، وبقي يغذي البطاح والصحارى الفساح المحيطة به زمنا طويلا . وما أخبار الجنتين عن يمين وشمال واشجار الفاكهة والنبات والخضرة في القرآن الكريم الا صدى الذكريات السعيدة التي ترسبت في ذاكرة الامة عما كان يقدمه السد من الخدمات والخير العميم . الا ان اشارات الشعر الجاهلي الى هذه النقاط الحضارية المضيئة في حياة امتنا ، جاءت كإشارات القرآن الكريم اليها ، اما في معرض وعظ او ارشاد او تذكير ، ولم ترد باعتبارها قصة او خبرا مقصودا بذاته . فقد ذكر الشعر انفجار هذا السد العظيم وطغيان السيل العرم على كل شيء ، حتى هدم ما كان قد شيد بسببه . فالماء ان احسن البشر استغلاله

واستثماره كان نعمة ، فان اساءوا ذلك صار نقمة . وقد ركز الشعر على هذا الجانب ، فاتخذ منه موضوعا وعظيا ، ولم يذكر التفاصيل ، وان كان مفسرو الشعر فيما بعد ، انتفعوا من مفسري القرآن الكريم ، فذكروا القصة كاملة . ولقد اثر هذا الموقف الوعظي في الشعر على الناس ، حتى انهم نسوا اسم السد او تناسوه ، فلم يعد يعرف الا باسم « العرم » نسبة الى سيول الماء الهائلة التي خرجت من السد عند انفجاره (٦) .

قال الاعشى (٧) :

من سبأ الحاضرين مأرب اذ ينون من دون سيله العرما
ويروي الاعشى أيضا في قصيدة له قصة العرم والسد بشكل مبتسر ، وكيف بنته الحضارة الحميرية (٨) :

وفي ذاك للمؤتسي اسوة ومأرب غفى عليها العرم (٩)
رخاء بنته لنا حير اذا جاء مأوهم لم يرم (١٠)
فأروى الزروع واعنابها على سعة مأوهم اذ قسم
فعاشوا بذلك في غبطة فجار بهم جارف منهزم
فطار القيول وقيلاتها (١١) بهماء فيها سراب يطم
فطاروا سراعا وما يقدر من لشرب صبي فطم (١٢)

واذا انتحينا صوب القطر العراقي من بلاد العرب ، تراءت لنا في الوادي الكبير الذي كان يعرف قديما بوادي الثرثار ، الممتد من جنوب الموصل ، عبر جبال تكريت ، حتى سامراء ، قلعة هائلة كانت يومئذ شامخة تتحدى الطامعين ، صامدة تصارع الغزاة والفاحين ، عرفت في التاريخ باسم اهلها : الحضر . وهي اليوم من اعرق اثارنا . وقد اطلق العلماء على مدينتها اسم مدينة الشمس ايضا (١٣) . ولقد كان الشاعر العربي على صلة ومعرفة تامة بها وبحضارتها ، وقد ذكرها في شعره ، مما يدل على أن الناس كانوا بواسطة

الشعر يتناقلون أخبار الحضارات القديمة ، ويتغنون بها ، ويطمحون الى بعثها • قال السيب بن علس يذكر الحضر في شعره (١٤) :

وجناه من أفق فأورده سهل العراق وكان بالحضر
وقال الاعشى يذكر قصة زوال هذه الحضارة ، ويبيدي اشفاقه عليها (١٥) :

ألم تري الحضر اذ أهله بنعمى وهل خالد من نعم
أقام به ساهبور الجنود حولين تضرب فيه القدم (١٦)
فما زاده ربه قوة ومثل مجاوره لم يقم
فلما رأى ربه ففله أتاه طروفاً (١٧) فلم ينتقم
وكان دعا زهطه دعوة هلم الى امركم قد صرم (١٨)
فموتوا كراما بأسيا فكم وللموت يجشمه من جشم (١٩)
وللموت خير لمن قاله اذا المرء أمته لم تدم

وفصل عدي بن زيد العبادي في الاحداث بشكل اوسع فقال (٢٠) :

والحضر صابت عليه آسية من ثغرة أيّد مناكبها (٢١)
رييبة لم توقّ والدها لحبها اذ يضاع راقبها
أجشمها حبها لما فعلت اذ نام عنها للنفي حاجبها
اذ غبّته حمراء صافية والخمر وهّل يهيم شاربها
واسلمت ربها بليتها تظن أن الرئيس خاطبها
فكان حظّ العروس اذ برق الصبح دماء تجري سبائبها (٢٢)
وحوّر الحضر واستبيح وقد أحرق في خدرها مشاجبها
لم يبق فيه الا مراوح طا يات وبور تضغو تعالبا (٢٣)

واذا أخذنا صوب الغرب نحو التخوم الشامية ، نلتقي بالنابعة يذكر ابنية
« تدمر » ويتطرق الى ذكر الانبياء والمصلحين من الرجال الاوائل الذين
خرجوا بقومهم من ظلمات الجهل الى نور المعرفة والحرية والحضارة (٢٥) .

ولا أرى فاعلا في الناس يشبهه
ولا احاشي من الاقوام من أحد

الا سليمان اذ قال الاله له
قم في البرية فاحدها عن الفند

وخيّس الجن اني قد اذنت لهم
ينون تدمر بالصقّاح والعمد (٢٦)

فمن اطاعك فافقه بطاعته
كما اطاعك وادله على الرشد (٢٧)

ومن عصاك فعاقبه معاقبة
تنهى الظلوم ولا تقعد على ضد

وعندما يتطرق الشاعر الجاهلي الى ذكر العزran والابنية ، لا يغفل ذكر
الايدي التي استثمرت داخل البلاد من غير العرب ، وقدمت خبراتها في هذا
المضمار ، وهم عادة من الروم او الفرس او الهند او الاحباش او الترك . بل
يذكر الاعشى أناسا من كابل كانوا يعملون داخل البلاد العربية (٢٨) :

ولقد شربت الخمر تر كض حولنا ترك وكابل (٢٩)
كدم الذبيح غريبة مما يعتق أهل بابل

اما قصة المعمارى الرومى « سنمار » فهي مشهورة ، وتذكر في الشعر
بكثرة . وهي مؤشر واضح الى ان الخبرات البيزنطية لم تكن غريبة عن
العربى يومئذ (٣٠) . فقد ذكر في بناء قصر الخورتق ان بانيه كان رجلا يقال له :

سنمار • وانه بناء عجباً مما جعله يتحول الى اسطورة في نظر الناس ، يتناقلونها في الشعر والقصص ، ويرد أيضا في اغراض الحكمة والموعظة والارشاد • قال سليط بن سعد (٣١) :

جزاني جزاء الله شر جزائه جزاء سنمار وما كان ذا ذنب
سوى رصه البنيان عشرين حجة يعالي عليه بالقراميد والسكب

واذا كان هذا المعمار قد قدم للعرب ما لديه من معرفة نقلها من حضارة قومه ، فان الخورثق قد بني بأيدي عربية وبخامات البلاد ومعادنها ، وقد كان البناء يضيفون الى معارفهم ما كانوا يقفون عليه من معارف غيرهم من اهالي البلاد الاخرى ، ولذلك نحن نفهم عبارة الجاحظ من هذا المنطلق • يقول الجاحظ (٣٢) : « وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها ، بان تعتمد ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى • وكان ذلك هو ديوانها ، ثم ان العرب أحبت أن تشارك العجم (٣٣) في البناء ، وتنفرد بالشعر ، بنو (غمدان) وكعبة (نجران) وقصر (مارد) وقصر (مأرب) وقصر (شعوب) و (الابلق الفرد) • • وغير ذلك من البنيان » فعبارة الجاحظ توضح لنا ان العرب ان كانوا متفوقين في فن الشعر ، وهو من صنعهم ، واصيل لديهم ، فقد كانوا في العمارة متأثرين بخبرات غيرهم ، أي انهم عرفوا هذا الفن لدى غيرهم واطلعوا عليه ، وحاولوا ان يأتوا بمثله ليبرهنوا للعالم انهم امة بناء وعمران وحضارة ، كما انهم امة شعر وادب • ولو اطلع الجاحظ على نتائج الاثار والحفريات والدراسات الحديثة لاجرى تعديلا مهما على عبارته • فقد دلت الكشف وبرهنت على اصاله التمدن في الارض العربية •

واذا تركنا العمران والتمدن وحضارة العالم وما تركته من آثار في الشعر ، متوجهين الى اعماق الانسان العربي نفسه يومئذ ، عائدا من خارج البلاد ، مجسدا ما وقعت عليه عيناه من جديد هناك ، أو الى الاجنبي نفسه ، داخلا الى بلاد العرب ، ومغادرا الى بلاده ، حاملا عن العرب ما وصلت اليه يده من قدراتهم في الثقافة والفنون والتجارة والسلع ، برز هذا الاثر الحضاري

في الشعر ايضا ، وظهر لنا ان العرب كانوا مع شعوب العالم فاعلين ومنفعلين .
 وليس من اختصاص هذه الدراسة ان تفصل في هذا الجانب فهو كبير يخوض
 فيه عالم التاريخ ، والاجتماع ، والاثار ، الا اننا نحاول ان نتلمس في الشعر
 بعض مظاهر هذا التأثير . فقد حفلت دواوين العرب الشعرية في العصر الجاهلي
 بطائفة من الالفاظ لكثير من المواد والسلع والالات والادوات تحمل اسم
 البلدان التي جاءت منها والاقوام الذين حملوها الى بلادنا . واكثر ما يرد ذكر
 الاجنبي وفتوحاته في احاديث الشعراء عن الخمرة . فقد كان التجار الاجانب
 يجوبون البلاد ، يعرضون بضاعتهم ، ويتباهون بجودتها وابتكار الوسائل
 المتطورة في صنعها . لذلك كانوا يغالون في ثمنها ، فيصف لنا الاعشى مثلا ،
 تاجرا روميا معه غلامه الذي يعينه ويخدمه في ايصال بضاعته الى العملاء أو
 الزبائن . ولا يصرح الاعشى برومية هذا التاجر بل يشير اليه بما يعرف به او
 بلازمة من لوازمه ، فهو يخبرنا عن قومية الرجل الذي يبيع الشراب ، فيقول
 بانه ازيرق العينين أي أنه رجل رومي ، وقد عرف الروم لدى العرب بذوي
 العيون الزرق (٣٤) :

فقمنا ولما يصح ديكنا الى جونة عند حدادها (٣٥)
 ينخلها من بكار القطاف ازيرق آمن اكسادها (٣٦)
 فقال تزويدوني تسعة وليست بعدل لاندادها (٣٧)

وسبق قبل قليل ان تمثلنا بيتين للاعشى يذكر فيها اهل كابل والاثراك ،
 ويشيد بجودة الخمرة البابلية . واذا كانت كلمة (تركض) في البيتين المذكورين
 تقابل كلمة (ترقص) باعتبار الركض تحريك الرجل ، وهو معنى ذكره
 اللغويون (٣٨) ، نكون امام لوحة شعبية «فولوكلورية» لفن هذه
 الشعوب ، منقولة الينا عن طريق هؤلاء الاقوام المذكورين في شعر
 الاعشى الى بلاد العرب ، ثم عكسها الشاعر في ابياته .

واما الالفاظ غير العربية الواردة عن الحضارات المجاورة او البعيدة والتي تظهر في الشعر ، وبالاخص ما يتعلق بالشراب ، فهي كثيرة مثل كلمة (الراوق) وكلمة القاقوزة . قال عدي بن زيد العبادي (٣٩) .

قدمته على عقار كعين الديك صفى سلافه الراوق
وقال النابغة الجعدي (٤٠)

وظل لنسوة النعمان عندي على سفوان يوم ارواني
فبت كأنتي نادمت كسري له قاقوزة ولي اثنان
وقاقوزة هنا كلمة نبطية ذكرها صاحب كتاب المعرب .

ويتعلق بالتجارة لفظة « النمى » وهي النقود المعدنية ، واللفظة يونانية
Noummiyon وردت في بيت ينسب للنابغة ويروى لاوس بن حجر
ايضا (٤١) :

وفارقت وهي لم تجرب وباع لها من الفصافص بالنمى سفسفير
والدينار Denarius والدرهم Dhrakhmi « دراخمي »
لفظتان يونانيتان عرفتا في العصر الجاهلي ووردتا في الشعر ايضا :
قال عنتره (٤٢) :

جادت عليها كل عين ثرة فتركن كل حديقة كالدرهم
وقال زهير (٤٤) :

فتغلل لكم مالا تغل لاهلها قرى بالعراق من قميز ودرهم

وقال جابر بن حني التغلبي (٤٥)

النشر مسك والوجوه دنانير واطراف الاكف عنم

وقال جابر بن حني التغلبي (٤٥)

وفي كل ما باع العراق اتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم

وعلى صعيد العلم والمعرفة ، كان لكلمة « تلميذ » الواردة في الشعر
الجاهلي من يرجعها من العلماء الى منابع الحضارات المجاورة ، فهي من
المعربات ، وردت في شعر ينسب لامية بن ابي الصلت (٤٦) :

والارض معقلنا وكانت أمنا فيها مقامتنا وفيها نولد
وبها تلاميذ على قذاتها حبسوا قياما فالفرائص ترعد
وله أيضا (٤٧) :

صاغ السماء فلم يخفض مواضعها
لم يتقص علمه جهل ولا هرم
لا كشفت مرة عنا ولا بليت
فيها تلاميذ في اقائهم دغم
ووردت اللفظة في شعر لبيد أيضا (٤٨) :

فالماء يجلو متونهن كما
يجلو التلاميذ لؤلؤا قشبا
 واحتفظ العرب في شعرهم أيضا بمؤثرات كتابية مثل ذكرهم مهراق
الفرس وهي صحفهم الدينية ، كقول الحارث بن حنظلة (٤٩) :

لمن الديار عفون بالحبس آياته كمهراق الفرس (٥٠)
وقول ابي ذؤيب يعكس حضارة الحميريين (٥١) :
عرفت الديار كرسم الدواة يزبره الكاتب الحميري
وقول خزر بن لوذان السدسي (٥٢)

وكذاك لا خير ولا شر على أحد بدائم
قد خط ذلك في الزبو ر الاوليات القدائم

وقول امرئ القيس^(٥٣) :

اتت ججج بعدي عليها فاصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان

وقال شتيم بن خويلد الفزاري^(٥٤) :

تسمع اصوات كدري الفراخ به مثل الاعاجم تغشي المهرق القلما

وجاء للشماخ بن ضرار قوله^(٥٥) :

كما خط عبرانية يمينه بتيماء جبرثم عرض اسطرا

ولو شئنا استقصاء هذه الظاهرة لجمعنا منها الكثير ، لكننا نؤثر الانتقال الى مظهر حضاري آخر حفظه لنا الشعر الجاهلي نقلا عن الحضارات العالمية يومئذ ، من قبيل التأثير بالقيم الدينية الوثنية كعبادة الالهة وطقوسها المتعددة التي ترافق هذه العبادات . فقد وردت كلمة «صنم» و «وثن» و « بعل » و « عشتار » في النصوص العربية الجنوبية والارمية والتدمرية وفي الكتابات الجاهلية والموارد القديمة « الكلاسيكية » وفي الشعر الجاهلي . وهي الفاظ وردت في حضارات الامم المجاورة للعرب ، مما يدل على وجود تبادل ثقافي بين العرب والامم المتحضرة . وقد جمع علماء (الساميات) طائفة من الالفاظ العربية في اللغات السامية وبالعكس ، ثم درسوا هذه الالفاظ دراسة مقارنة^(٥٦) ، فظهرت الاثار اللغوية اليونانية والهندية والحبشية والفارسية في بعض هذه الاثار ، كما ظهر اثر العربية في هذه اللغات . وقد كان اكثر اعتماد العلماء على الشعر العربي قبل الاسلام ، ثم الشعر الاسلامي حتى نهاية الحكم العربي في عهد بني أمية ، فلم يثبت العباسيون اركان حكمهم ، كان التواصل والتلاقح كبيرين بين العرب والحضارات المعروفة في العالم يومئذ .

الهوامش :

- (١) سورة قريش وهي أربع آيات مكية .
- (٢) سورة الروم وهي ستون آية مكية .
- (٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي ٥/٢ [العرب واليونان]
- (٤) المصدر السابق ١١/٤
- (٥) المصدر نفسه ٥٧/١
- (٦) تراجع صفة السد في معجم ما استعجم ١١٧٠/٤ [مادة مأرب وتراجع مقالة في مجلة كلية الاداب - ملحق خاص بالعدد ٢٣ بعنوان : المدن التاريخية والحصون الاثرية في الشعر قبل الاسلام (ص ١٤٨) .
(ص ١٤٨) .
- (٧) المصدر السابق . ولم يرد البيت في ديوانه .
- (٨) ديوانه ص ٤٣ (القصيدة ٤) .
- (٩) المؤتسي : المتعزي . قفى : عفى .
- (١٠) لم يرم : لم يذهب .
- (١١) القيول : جمع قيل ، لقب للوك حمير .
- (١٢) اي لم يبق من الماء ما يروي رضيعا فطم .
- (١٣) يراجع كتاب الحضر مدينة الشمس تأليف فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى نشر وزارة الاعلام العراقية ومؤسسة كولبنكيان .
- (١٤) معجم ما استعجم ٥٣/١ [مادة الحضر
- (١٥) ديوانه ص ٤٣ (القصيدة ٤) .
- (١٦) القدم جمع قدوم ، الفأس العظيمة .
- (١٧) طروقا : ليلا .
- (١٨) صدم : انقطع
- (١٩) يجشمه : يتكلفه .
- (٢٠) الديوان ص ٤٧

- (٢١) الحضر : مدينة أثرية تقع ما بين دجلة والفرات على مسافة ثلاثة كيلومترات غرب الثرثار . صابت : سقطت ونزلت أيد : شديدة .
- (٢٢) غبقة : سقته الغبوق وهو شرب الماء ، خلاف الصبوح . وهل : أي توهل الإنسان وتوهمه .
- (٢٣) يشير الى قصة الضيزن ابنة ملك الحضر [الساطرون] (سنطروق)
- (٢٤) مراوح : جمع مروحة وهي ما يتروح به . الطايات : السطوح . والبور : الفاسد تضغو : تصوت يضعف .
- (٢٥) شعراء النصرانية ٦٦٣/١ بيروت (ط ٢) .
- (٢٦) خيس : ذلل واحبس . الصفاح : حجارة عراض . والعمد : اساطين الرخام .
- (٢٧) الضمد : الغيظ والغضب .
- (٢٨) ديوانه ص ٣٤٧ (القصيدة ٧٦)
- (٢٩) كابل أي ناس من اهل كابل .
- (٣٠) تنظر قصته في معجم ما استعجم للبكري ٥/٥ (مادة الخورنق) والافاني ١٤٤/٢ وتراجع مجلة كلية الاداب ملحق العدد ٢٣ بحث بعنوان : المدن التاريخية والحصون الاثرية في الشعر قبل الاسلام (ص ١٤٨) لكاتب هذا البحث نفسه .
- (٣١) المصادر السابقة في الهامش رقم ٣٠ .
- (٣٢) الحيوان ٧٢/١ - ٧٣
- (٣٣) يراد بالمعجم جميع الاقوام من غير العرب .
- (٣٤) ديوانه ص ٦٩ (القصيدة ٨) .
- (٣٥) جونة : جرة . حدادها : خمارها .
- (٣٦) تنخلها : تخيرها . بكار القطوف : اول ما يقطف . ازيرق : ازرق العينين أي رجل من الروم .
- (٣٧) ليست يعدل لاندادها : أي لاتعادلها خمرة في الجودة والثلث .
- (٣٨) يراجع اللسان (مادة ركض) .
- (٣٩) ديوانه ص ٧٨ وكلمة راووق تعني المصفاة .
- (٤٠) النقائض ٤٠٤ وشرح الحماسة للتبريزي ٣٠٤/١

- (٤١) ديوانه ص ٤١ (القصيدة ٢١) .
- (٤٢) هذه رواية الديوان ص ١٤٥ تحقيق فوزي عطوي ط : بيروت ١٩٦٨
واما رواية الزرزني ص ١٩٦ وابي جعفر النحاس ٤٧٤/٢
جادت عليه كل بكر حرة
فترك كل قرارة كالدهرم
- (٤٣) شرح ديوان زهير ص ٢١
- (٤٤) الاغانى ١٢٦/٦ ويروى البنان بدل الاكف .
- (٤٥) مفضلية رقمها (٤٢) ص ٢١١ من المفضليات .
- (٤٦) ديوانه ص ١٨٨ وتراجع اختلافات الرواية في هامش الديوان .
- (٤٧) رسالة التلميذ للبغدادي (نوادير المخطوطات) (المجموعة الثانية) ص ٢٢٢
- (٤٨) شرح ديوان لبید ص ٣١ (القصيدة ٤) .
- (٤٩) المفضليات ص ١٣٢ (القصيدة ٢٥) .
- (٥٠) المهارق : الصحف .
- (٥١) ديوان الهذليين ٦٤/١
- (٥٢) اللسان (مادة حتم) وخزانة الادب ١١/٣
- (٥٣) ديوانه ص ١٨٤ (شرح السندوبي) .
- (٥٤) النقائض ص ١٠٦
- (٥٥) شرح ديوان زهير ص ٥
- (٥٦) الساميون ولفاتهم - دراسة في القرابات اللغوية ص ٨١ .

المصادر بحسب تسلسل ورودها في البحث :

- ١ - القرآن الكريم - النسخة العثمانية .
- ٢ - الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي - طبعة اولى بيروت
- ٣ - معجم ما استعجم للبكري - ت : مصطفى السقا . القاهرة ١٩٤٥
- ٤ - مجلة كلية الاداب جامعة بغداد ملحق العدد ٢٣
- ٥ - ديوان الاعشى تحقيق محمد محمد حسين . طبع مصر ١٩٥٠
- ٦ - كتاب الحضرمدينة الشمس تأليف فواد سفر ومحمد علي مصطفى نشر وزارة الاعلام العراقية ومؤسسة كولبنكيان .
- ٧ - ديوان عدي بن زيد العبادي . ت محمد جبار المعبيد نشر وزارة الثقافة والارشاد العراقية ١٩٦٥
- ٨ - شعراء النصرانية - لويس شيخو اليسوعي طبعة ثانية - بيروت
- ٩ - ديوان عنصرة . ت : فوزي عطوي . ط . بيروت ١٩٦٨
- ١٠ - الحيوان للجاحظ . المجلد الاول .
- ١١ - لسان العرب لابن منظور - طبع بيروت .
- ١٢ - شرح ديوان زهير برواية ثعلب . نشر دار الكتب المصرية .
- ١٣ - ديوان امرئ القيس تحقيق (ابو الفضل ابراهيم) . او ما يذكر في الهامش .
- ١٤ - المضليات للضبي تحقيق احمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون نشر دار المعارف المصرية .
- ١٥ - ديوان الهذليين رواية ابي سعيد السكري نشر دار الكتب المصرية .
- ١٦ - ديوان اوس بن حجر . ت : د . محمد يوسف نجم . بيروت ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م)
- ١٧ - خزانة الادب للبغدادي - طبع بولاق .
- ١٨ - شرح المعلقات السبع للزوزني - طبع بيروت
- ١٩ - شرح القصائد التسع المشهورات لابي جعفر النحاس تحقيق احمد خطاب نشر وزارة الاعلام العراقية ١٩٧٣
- ٢٠ - الساميون ولغاتهم - دراسة في القرابات اللغوية للدكتور حسن ظاظا نشر الاسكندرية (١٩٧٣) .
- ٢١ - شرح ديوان لبید . ت : د . احسان عباس . نشر الكويت ١٩٦٢

الفلاح : نماذج من صورته على الاثار العربية الاسلامية

الدكتور صلاح العبيدي
كلية الاداب - جامعة بغداد

لم تحظ المهن والحرف بعناية المؤرخين مثلما حظيت الاعمال الاخرى كانبازات القادة وبناء المدن وفتحها وسيرة الخلفاء والملوك وغير ذلك من المعلومات التي تتعلق بالنواحي السياسية ومايجري في بلاط الخلفاء والسلاطين ويمكن ان نعزو هذا النقص الى ان المؤرخين كانوا اقل التصاقا بواقعهم المعاش من غيرهم ممن التفتوا الى تسجيل جزئيات الحياة اليومية الواقعية سواء كان ذلك عن طريق الادب او الفن .

وقد كان الادباء والشعراء اقرب الى واقعهم بحكم صنعتهم من المؤرخين ، لذلك نجد في أدبهم وشعرهم اشارات كثيرة الى وصف بعض الحرف والمهن واربابها ، حتى اننا نستطيع ان نستخلص من الشعر صوراً لكثير من مستلزمات هذه الحرف ووسائلها .

اما الفن ، وبالاخص التصوير ، فانه بحكم نقله للبيئة وتأثره بها ، فقد كان اكثر نزوعاً نحو هذا اللون من العمل . وقد انعكس هذا كله على منتجاتهم المختلفة ، فجاءت اثارهم غنية بالرسوم والصور التي تشمل تلك الجوانب ، لذلك استطعنا ان نستخلص من الصور الممثلة على التحف الاثرية العربية كثيراً من سمات ارباب الحرف والمهن الشعبية وكنا قد اشرنا في بحث سابق عن الحمال^(١) الى أننا سوف نتطرق الى بقية اصحاب الحرف والمهن، لذا اخترنا في هذه المرة الحديث عن الفلاح في العصر العباسي . وذلك لما تحمله شخصيته من أبعاد اجتماعية واقتصادية بعيدة الاثر في حياتنا ، فهو

المنتج المباشر للقوت ، والذي على يديه يتم احياء الارض الميتة وارواؤها ،
والذي من فيض يديه نستطيع الحصول على المنتجات النباتية والحيوانية ،
ان هذه الجوانب وغيرها سوف تتوضح من خلال بحثنا ، الارض والالات
والحيوان باعتبارها اجزاء متممة لصورة الفلاح .

ولابد لنا قبل الكلام عن الفلاح ، ان نشير الى ان اصل الزراعة وتدجين
الحيوان قد ظهر لأول مرة في العصر الحجري الحديث في شمال العراق في
حدود الالف الثامن او السابع قبل الميلاد ، حيث ظهرت هناك بعض القرى
الفلاحية ومنها قرية « جرمو » التي تعتبر من اقدم تلك القرى في العالم^(٢)
وقد تناولت شريعة حمورابي بين أشياء كثيرة امورا تتعلق بالري
وبالزراعة وادارة الحقول والالات الزراعية ، وغيرها حتى انها فرضت عقوبات
على كل من يخالف تلك القوانين^(٣) .

وتفيد أخبار اليمن السعيد بانها كانت على درجة كبيرة من التقدم
والتطور في مجال الارواء والسقي ، وما تزال اخبار سد مأرب تملأ الكتب
في صور قصص تكون جزءا مهما من تراث الامة العربية في حقل الارواء .

وعرف عن الرسول (ص) اهتمامه بشؤون الزراعة ، حتى اثر عنه
الحديث المعروف « من احيا ارضا مواتا فهي له »^(٤) . وحكي ايضا ان
النبي (ص) رأى خشونة في يد سعد بن معاذ الانصاري ، فسأله عن السبب
فقال : « اثر المسحاة اضرب وافق على عيالي » . ف قيل ان الرسول (ص)
قبل يده ، وقال : « هذه يد لا تمسها النار »^(٥) .

وسار الخليفة عمر بن الخطاب (رض) على مبدأ ابقاء الاراضي الزراعية
بايدي مالكيها على ان يدفعوا عنها الخراج^(٦) كما اتبع سياسة تطبيق مبدأ
التعويض بحق الفلاحين والمزارعين فقد جاء في كتب التاريخ ، ان رجلا اتى
الى عمر ، فقال : « يا امير المؤمنين زرعت زراعا فمر به جيش من أهل الشام
فافسدوه ، قال : فعوضه عشرة الاف »^(٧) .

وقد اوصى عمر بن الخطاب خير بالفلاحين ، وامر بعدم قتلهم او الحاق
الاذى بهم ، فيروى عنه قوله : « اتقوا الله في الفلاحين ، لا تقتلوهم الا ان
ينصبوا لكم الحرب » (٨) .

وتفيد اخبار الدولة العربية الاموية ان أصحاب الامر فيها قد اولوا
الجانب الزراعي أهمية خاصة ، ففي زمن الخليفة عبد الملك بن مروان بلغت
الزراعة مرحلة متقدمة ، اذ تفيد كتب المؤرخين بان الحجاج بن يوسف الثقفي
كان معجبا بالزراعة ، مهتما بمواسمها ، كما كان مهتما بالارصاد الجوية ،
ويحصى كمية الامطار لعلاقتها بالزراعة (٩) كما كان يشجع الاعياد الزراعية ،
ويحتفل بمحصول كل زراعة كما امتدت عنايته الى الحيوانات التي لها علاقة
بالزراعة وكان في زمانه قد منع ذبح الابقار وخاصة الصالحة منها للحرث
والري والخدمات الزراعية الاخرى (١٠) .

ومما يذكر عن الخليفة هشام بن عبد الملك انه اولى اهتماما بالاراضي،
فعمل على احياء الصالحة منها للزراعة وعلى زيادة انتاجها .

وكذلك الحال بالنسبة الى العصر العباسي ، فقد ازدهرت الزراعة في
هذا العصر ، وتنوعت المحاصيل الزراعية ، وبلغ من اهتمامهم بالجانب
الزراعي ، ان الخلفاء والحكام كانوا يتدخلون في شؤون الزراعة من جميع
النواحي ، فاهتموا اهتماما عظيما بمشاريع الري وانشاء السدود والقناطر
وحفر الترع واحياء الاراضي وايصال الماء الى الاماكن التي لا توجد فيها
مياه لغرض زراعتها . كما أصبحت حرفة الزراعة من أهم الحرف التي تدر
دخلا وارباحا ، فكان الناس في الاسواق يحصلون على أنواع المحاصيل
الزراعية ، مثل الحبوب والخضر (١١) والفواكه (١٢) .

وكذلك ما يحتاجونه من الحيوانات كالماشية وغيرها (١٣) .

ومما يؤسف له ان كل هذه العناية من قبل المؤرخين وغيرهم بالزراع والسقي والاراضي والحيوانات والالات الزراعية كانت تنقصها عنايتهم بالبشر الذين كانوا يقومون بهذه المهام كلها ، حيث لم ترد اليها اخبار وافية عن الفلاحين والاشخاص الذين يدجنون الحيوانات في المزارع او يعتنون بتربيتها ، او ممن يقومون بنقل المحصولات الزراعية الى المدن المختلفة .

لقد جاءتنا اخبار عن الفلاحين قد لا تكون كثيرة تشير الى ان بعض السلاطين كانوا يفرضون على الفلاحين ضرائب باهضة كما حصل في سنة ٥٤١هـ . عندما فرض السلطان عماد الدين زنكي على فلاحي مدينة الموصل ضرائب عالية فتركوا اراضيهم وهاجروا الى ماردين لان اميرها كان لا يأخذ من الفلاحين الا العشر ، فما كان من عماد الدين زنكي الا وانذر امير ماردين باعادة الفلاحين الى الموصل والا فانه سيقود الجيش ويسحق ماردين واهلها ، وقد اذعن الامير لهذا التهديد واعاد جميع الفلاحين الى الموصل (١٤) .

وتشير الروايات التاريخية ان الجند كانوا في بعض الاحيان يعتدون على الفلاحين ويخربون قراهم ومزارعهم . ومع ذلك فقد وجد من السلاطين من كان يمنع عبث الجند بالقرى وايذاء وقتل الفلاحين . وقد انتقد السبكي ديوان الجند المتولى لامر الاقطاعات العسكرية مستنكرا الزام الفلاحين في الاقطاع ، مؤكدا ان «الفلاح امير نفسه لا يد ذمي عليه» (١٥) .

كما عرف عن الفلاحين انهم كانوا لا يسكتون على ظلم بل كانوا يقاومونه بعنف ، ويخبرنا ابن الجوزي ان ثلاثة من الفلاحين دخلوا على عامل الخليفة على منطقة نهر ملك ويدعى الحويزي ويعذبهم ويستخرج الاموال فلا يتلبس بها اظهارا للزهد (١٦) .

ومع ندرة الاخبار والاشارات الواردة عن الفلاح في العصر العباسي ، فاننا نستطيع ان نلمح ولو بصورة مقتضبة الى شيء من تخصص العمل

الحرفي بين جماهير الفلاحين ، حيث ورد مصطلح «الحواصد»^(١٧) للدلالة على بعض الاشخاص الذين يقومون بعملية الحصاد ، و «الحراثين»^(١٨) على اولئك الفلاحين الذين يقومون بعملية حراثة الاراضي وتهيئتها للزراعة . وقد وصف اخوان الصفا^(١٩) الصنائع بحسب فائدتها ، فجعلوا الحراثة من بين الصنائع الاساسية الضرورية للمجتمع .

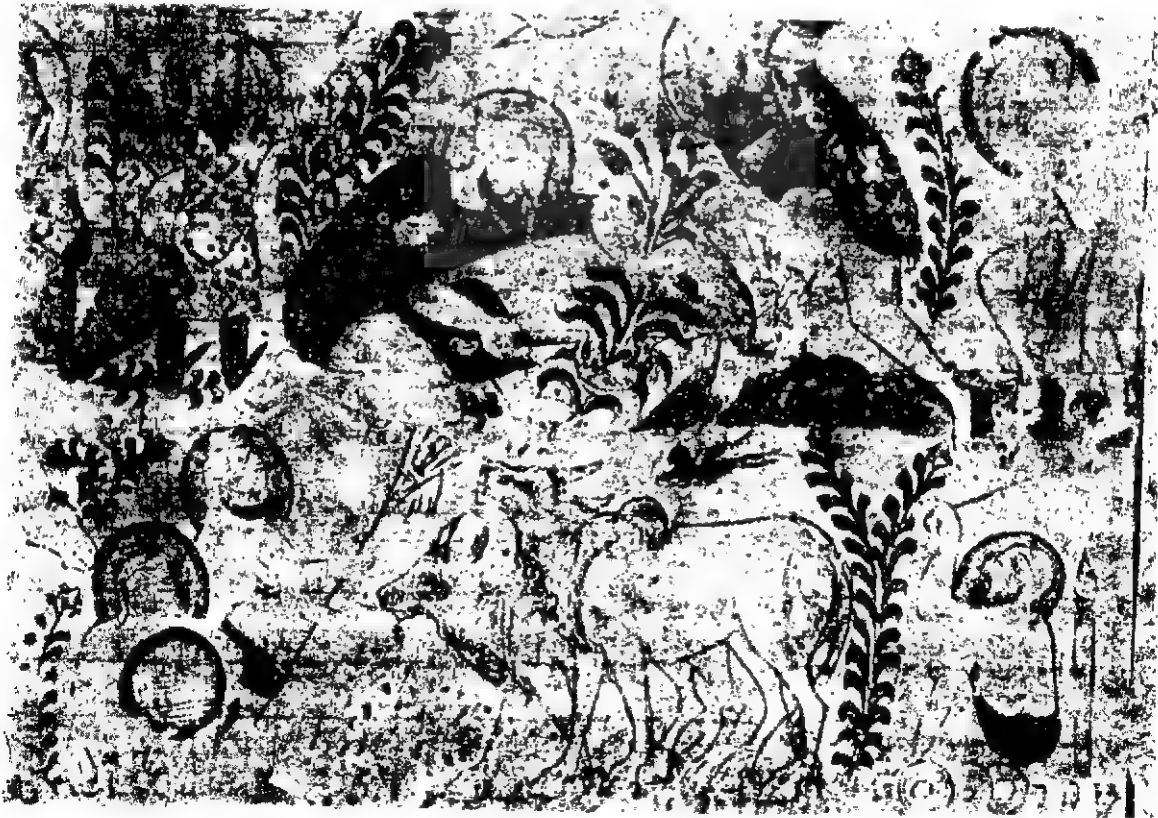
وفي مجال الري نجد تخصصا بين الذين يعملون في هذا الميدان ، فهناك عمال مهرة يشرفون على توزيع المياه في القنوات الرئيسية والفرعية يسمون بالقياسين أو الحساين وعمال غير مهرة يديرون الدوايب والنواعير^(٢٠) وهكذا .

وقد دلت دراستنا لهذا النوع من المهن على مقدار ما للآثار من اهمية كبيرة في ايضاح كثير من الجوانب مما نعتد عليه في دراستنا ، فقد كشفت رسوم الفنانين من العصور الاسلامية عن كثير من الحقائق المتعلقة بهذا الجانب والتي لولاها لظلت غامضة ومجهولة علينا .

وستفيدنا هذه الرسوم من جانب آخر في التعرف على انماط الفلاحين في الزي والملبس ، وما كانوا يستخدمون من الآلات ووسائل العمل الاخرى ، وكذلك في التعرف على حيواناتهم التي كانوا يستعينون بها في الحقل او المزرعة ، ونستطيع ان نستنتج ايضا من هذه الرسوم اساليب الزراعة والطرق المتبعة فيها يومئذ وسوف تتوضح هذه الجوانب تباعا عندما نمر بها مدعين ذلك بالشواهد المصورة خلال البحث .

ومن دراستنا للآثار العربية الاسلامية التي تعود الى العصر العباسي ، وجدنا صورا للفلاحين وما يتعلق باعمالهم الزراعية ممثلة عليها ، والذي يتفحص هذه الآثار يرى نماذج متعددة من هؤلاء الفلاحين وهم يعملون في مزارعهم وحقولهم ، نذكر من هذه الآثار مخطوط كتاب الترياق لجالينوس الذي يرجع تاريخه الى سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٩م المحفوظ في المكتبة الاهلية في

باريس ، ففي المخطوط تصويره^(٢١) توضح قصة خلاصتها انه كان لاحدهم ضيعة في بعض الحقول، وكان صاحب الضيعة يرسل الى فلاحيه في هذه الحقول غذاؤهم ، وحمل اليهم في يوم زادا وشرابا ، وكان الشراب في جرة مصنوعة من الفخار ، فلما فتحو الجرة وجدوا في الشراب افعى قد تهرات فلم يذوقوه واعطوه الى رجل مجذوب في القرية على اساس ان هذا الشراب سوف يقتله ويخلصه من العذاب الذي يعانيه ... الخ . وقد نقل لنا الفنان هذه القصة في صورتين نشاهد في التصويرة الاولى (شكل ١) منظرا ريفيا لمزرعة يبدو فيها مجموعة من الفلاحين يؤدون اعمالا زراعية مختلفة ، وتظهر هذه الاعمال في شكل تسلسل طبيعي للعمل الجاري في المزرعة ، مثل حراثة الارض وحصاد النبات ودرس الحبوب وتذريتها وغربلتها ، ويظهر في القسم العلوي من التصويرة وعند الزاوية اليسرى صاحب المزرعة بملابسه المزركشة يراقب



(شكل رقم ١)

عن كتب اعمال الفلاحين ويرصد حركاتهم • اما الفلاحون فقد ظهروا موزعين هنا وهناك ، فاثنان منهم في الجهة اليمنى يقومان بتهيئة التربة وحزقها بواسطة آلة بسيطة تعرف بالمسحاة ، او كما يسميها صاحب كتاب التلخيص بالمعركة (٢٢) ، فالفلاح الاول السذي يظهر على الجهة اليمنى يمسك بالمسحاة من نهايتها العليا باليد اليسرى ، بينما فرش كفه الايمن وقبض على المسحاة من ربعا السفلي ، وثبت قدمه اليمنى على كف المسحاة مباشرة ، وعلى مقربة من هذا نرى الفلاح الثاني وقد امسك بمسحاة ذات خشبة معترضة قرب كف المسحاة ، وهي الخشبة التي يعتمد عليها الحافر برجله ، وتعرف بـ «عتر المسحاة» (٢٣) وجاءت قبضة هذا الفلاح للمسحاة من اسفلها بيده اليسرى ، بينما امسك بنهاية المسحاة بيده اليمنى ، وقد وضع قدمه اليسرى على عتر المسحاة •

ويبدو الفلاح الاول في الصورة متعبا الى درجة كبيرة ، مما يدل على ما يعانيه من قسوة العمل ، وقد ارتسمت على وجهه علامات المعاناة ، في حين ظهر الفلاح الثاني بحيوية ونشاط ومنسجما مع العمل الذي يؤديه •

ويسترعي زي هذين الفلاحين انتباهنا ، اذ ان الفلاح الاول ظهر بسرwal مثبت على وسطه بما يعرف بالتكة (٢٤) وقد جاءت هنا فوق السرwal وليست بداخله كما هو مألوف ، والتكة تبدو من النوع العريض وهي مصنوعة من سفيفة من النسيج ، ويصل طرفاها السائبان الى منتصف الساقين تقريبا •

اما زي الفلاح الثاني فانه يرتدي نوعا من الملابس اقرب في شكلها الى ما يعرف بالجمازة (٢٥) والجمازة نوع من الجباب ، وتظهر في الصورة قصيرة ، وتصل في الطول الى الركبتين تقريبا ، وللجمازة كمان قصيران يصلان الى الكوعين ومزيتان بشريطين عريضين خاليين من الزخرفة •

وقد هدتنا التصويرة نفسها الى روءية فلاح ثالث مشغول بالحصاد والصورة تظهر فلاحا قد ثنى رجله اليمنى على الارض وارتكز على ركبتها ، ومد رجله اليسرى وارجعها الى الخلف بينما ثنى الرجل اليسرى ليسهل عليه عملية الحصد ، وقد أمسك الفلاح بيده اليسرى قبضة طيبة من السنابل يحاول قطعها بواسطة منجل صغير يقبض عليه باليد اليمنى ، ويظهر المنجل هنا من النوع غير المسنن ، وهو الذي تطلق عليه المصادر التاريخية اسم «المخلب» (٢٦) .

اما الملابس التي يرتديها هذا الفلاح فلا تظهر في الصورة بشكل واضح وعسى ان لا نكون مخطئين اذا قلنا ان ملابس البدن مؤلفة من جمازة اسوة بالفلاح السابق ، كما يرتدي في الوقت نفسه سروالا قصيرا وقد جاء السروال هنا ضيقا ومحبوكا على الجسم ، ويصل في الطول الى أعلى الركبتين .

وقبل الانتقال الى صورة اخرى ، لابد ان نشير الى نقطة جديدة بالملاحظة وهي ان الجمازة كما توحي الصورة بها انها ثوب شعبي يظهر بين الناس كزي للفلاحين يرتدونه في اوقات خاصة معينة كأوقات العمل .

وربما يتبادر الى الذهن ان عمل الفلاح ينحصر فيما ذكرناه من حرث وزرع وحصد ، الا ان الصورة نفسها اظهرت لنا فلاحا يؤدي عملا زراعيا لا يقل عن الاعمال الاخرى أهمية ، وهي عملية درس الحبوب وعزلها عن الشوائب بآلة يقال لها «النورج» والنورج عبارة عن عربة خشبية ذات عجلات حديدية ثقيلة تجرها حيوانات الحقل والصورة تعكس شكل ثورين يجران تلك العربة وقد جلس الفلاح خلفهما على مقعد مركب في مؤخرة النورج ، وعمل الفلاح هنا ينحصر في سوق الحيوانات وقد استخدم لهذا الغرض عصا رفعها في الهواء ، وراح يحث تلك الحيوانات على تأدية العمل بشكل مستمر وبلا توقف .

ولكي تكتمل ابعاد الصورة في ذهن القارئ ، نود ان نوجز عمل هذه الالة ، اذ ينحصر في حزم سنابل الحبوب مثل القمح والشعير ، فتسر العربة فوق تلك الحزم وتفرمها محولة القش الى تبس ومحتفظة بالحبوب سليمة .

ويشاهد الفلاح هنا ، وقد بدا النصف العلوي من بدنه عاريا ، بينما اكتسى النصف الاسفل من البدن نوعا من الملابس يعرف بالتبان^(٢٧) ، وهو سروال صغير يستر العورة ، وقد ظهر في الصورة بلون احمر خال من أية زخرفة (شكل ٢) .



(شكل رقم ٢)

وفي امكاننا ان نعزو اتخاذ هذا النوع من الملابس من قبل طبقة الفلاحين ومن شاكلتهم الى انه يوفر لاصحابه حركة اوسع من غيره اثناء العمل .

ويتصل بعمل الفلاح ايضا فضلا عما تقدم ، عمله في تذريرة الجبوب وفصلها عن القش بعد عمله السابق في آلة يقال لها المذراة ، وترينا الصورة المتقدمة فلاحا امسك بمسفار^(٢٨) مؤلفة من ذراع طويلة تنتهي طرفها العلوي بما يشبه اصابع الكف المبسوطة . والفلاح في هذه الصورة منهمك في عمله ، وقد اخذت ساقه اليسرى وضعا يتناسب وحركة الجسم واليد عند الميلان والسقوط ، ان ظهور الفلاح في هذه الصورة يتناسب والعملية التي تستوجب وقوفه مع اتخاذ موقفا يعاكس الريح حتى يتم فصل القش عن الجبوب بواسطة الريح وبسهولة ، لان الرياح عندئذ ستأخذ معها القش بعيدا وتسقط الجبوب في الموضع القريب من الفلاح .

ومن الملاحظ ان شكل المذراة هذه لا تختلف عن المذراة التي كان يستعملها قدماء العراق مثل السومريين وذلك قبل الاف السنين ، فقد عثر في مدينة نيبور (نمر) على لوح رخامي (شكل ٣) يرجع الى ما قبل ٤٥٠٠ سنة ، نقش عليه رسم فلاحه تحمل بيدها مذراة لا تختلف في شكلها عن مذراة العصر العباسي ، كما انها لا تختلف في الوقت نفسه عن المذراة التي يستعملها الفلاحون في وقتنا الحاضر .

وكذلك يتصل بالعملية المتسلسلة من الحرث بالمسحاة ، والحصد بالمنجل الى الدرس بالنورج ، والتذريرة بالمذراة ، عملية أخرى ، هي تنقية الجبوب من سائر الشوائب الاخرى بأداة يقال لها الغربال ، والصورة تبرز فلاحه امسكت بيدها غربالا ، ويكون عادة دائري الشكل ذا إطار خشبي يشبه المصفاة ، ولا تظهر لنا الصورة المادة التي صنعت منها عيون الغربال ، لكننا نؤمن انها قد تكون من الياف النبات .

ان هذه الاداة الزراعية ليست بجديدة على مجتمع العصر العباسي ،
فقد وردت إشارة اليها في قصيدة كعب بن زهير بن ابي سلمى المشهورة في
مدح الرسول (ص) التي يقول فيها الشاعر (٢٩) :

وما تمسك بالعهد الذي عهدت الا كما تمسك الماء الغرايل



(شكل رقم ٢)

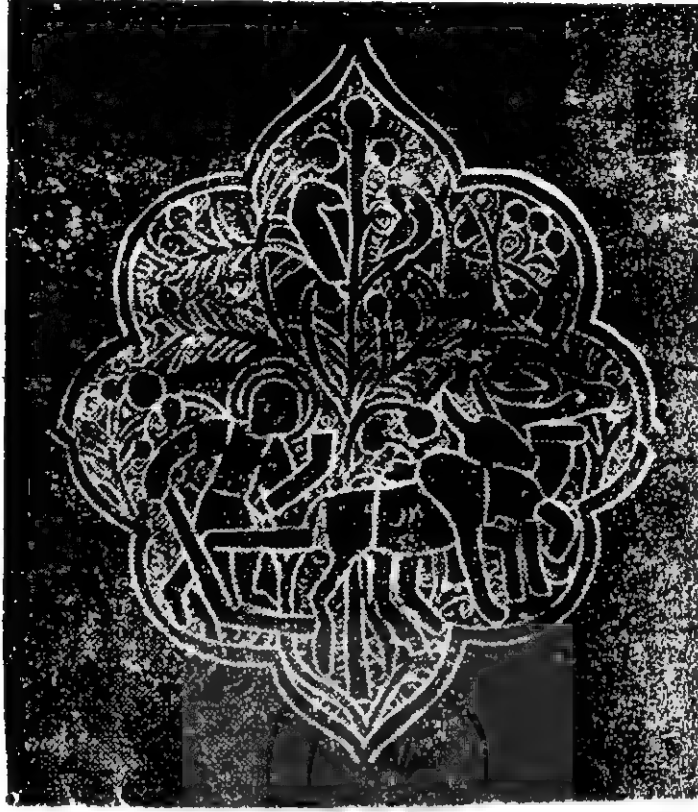
وتتضمن الصورة فضلا عن التفصيلات الوافية التي قدمناها صوراً لحيوانات ونباتات ، وقد سبق ان ذكرنا صورة الثورين اللذين يجبران النورج ، ونود هنا ان نذكر في الصورة حيوانا اخر يبدو القسم الامامي من مقدمة حمار يحمل حزمة كبيرة نظن انها من سنابل القمح المعدة لدرسها وتذريتها وغربلتها خصوصا وان الحمار قادم في اتجاه الفلاحين المنتشرين في الحقل والذين يقومون بالعمليات الزراعية المذكورة .

وعلى العموم فالصورة تعكس مشهدا متكاملا لمجتمع زراعي تجري فيه العمليات الزراعية المختلفة ، ويستطيع المرء من خلالها ان يكون في ذهنه فكرة لصورة تعتبر فريدة في نوعها وتكاد تكون الوحيدة من بين الاثار العربية التي تجمع عدة فعاليات زراعية في وقت واحد .

اما التصويرة الثانية المكمل للصورة الاولى ، فترينا الشخص المجذوب وهو يتسلم كأسا من رجل اخر ، والى يمين التصويرة فلاح يحمل بيده اليمنى جرة ، بينما نشاهد فلاحا اخر الى الجهة اليسرى يحرق الارض بمسحاة من نوع المساحي التي تحدثنا عنها مسبقا ، وقد ظهر الفلاح في وسطه ازار مسبل عقده من الاعلى فنجم من ربطه طيات كثيرة ، بعضها على شكل خطوط والبعض الاخر على شكل حلزونات .

ووجدنا على التحف المعدنية امثلة لفلاحين اخرين كالذي على ابريق^(٣٠) (شكل ٤) من النحاس مؤرخ من سنة ٦٢٠هـ - ١٢٢٣م محفوظ حاليا في متحف كليفلاند وهو من صناعة احمد الذكي النقاش الموصللي ومن النقوش التي تزين الابريق المذكور صورة تمثل حراثة الارض بواسطة المحراث ، والصورة تظهر لنا مزرعة ذات اشجار متشابكة الاغصان ينتهي معظمها باشكال دائرية تمثل ثمارا لم يتحدد نوعها ، ويتخلل هذه الاشجار رسم أحد الحراثين خلف محراث يجره ثوران ، وقد قبض الفلاح على آلة الحرث التي تعرف

بالدستق ، والدستق هي الخشبة التي يقبض عليها الحراث وتنتهي بآلة
حادة تعرف بالسكة او السنة وبها يتم الحرث^(٣١) .



(شكل رقم ٤)

وشكل المحراث هذا يذكرنا بالمحراث السومري القديم الذي كان
يستعمله الفلاحون في ذلك الوقت كما يتضح لنا ذلك من احد النقوش التي
ترجع الى العهد الاكدي (٢٣٧١-٢٣٣٠ ق م)^(٣٢) (شكل ٥) .



(شكل رقم ٥)

وقد ظلت هذه الالة يتناقلها الفلاحون جيل عن جيل حتى وصلت الى
يومنا هذا محتفظة بشكلها وطريقة استعمالها كما كانت عليه منذ اقدم
العصور •

واضافة الى الامثلة المتقدمة ، فقد عرض لنا رسم منقوش على
شمعدان^(٣٣) (شكل ٦) من النحاس من صناعة بن جلدك الموصري سنة
٦٢١هـ/١٢٢٤م ، والرسم يمثل مزرعة تتوسطها شجرة محورة عن الطبيعة
عليها فلاح يقطف فاكهة تبدو انها من التفاح ، بينما ظهر الى كل من يسار
الشجرة ويمينها فلاحان اخران الاول يضع مسحاة على كتفه الايمن وقبض
عليها يمينه اما يساره فقد أسندت على ساق الشجرة ، والمسحاة مؤلفة
من مقبض طويل تتصل به تقريبا من اسفله عترة المسحاة ، وفي نهايته كف
المسحاة التي ظهرت على شكل مثلث متساوي الساقين ، اما الفلاح الواقف
على الجهة الاخرى من الشجرة فقد امسك بالمسحاة بواسطة يده اليمنى
من الوسط ويساره من أعلى المسحاة مثبتة عند العكس ، وتختلف كف
المسحاة عن سابقتها في شيء واحد حيث لها نتوءان من جانبيها اشبه ما يكون
باذنين ، وبدت صورة الكفة فيها شيء من الاستطالة •



(شكل رقم ٦)

ويظهر الفلاحون لدينا في مثال آخر وارد على ابريق الذكي النقاش الموصلي^(٣٤) (شكل ٧) الذي قابلناه قبل قليل ، والرسم يمثل منظرا لبستان تتوسطه شجرة محورة عن الطبيعة من نفس الشجرة التي رأيناها في الرسم السابق وعليها ثلاثة طيور ، والى يسارها صياد على جواد يصوب سهمه نحو طائر ، بينما ظهر الى يمين الشجرة فلاح يعزق الارض بمسحاة ، ويرتدي الفلاح هنا تبانا ضيقا ومحبوكا على الجسم ويصل طوله الى مستوى الركبتين ، ويتدلى من أحد فروع الشجرة مزود يبدو انه مخصص لوضع طعام الفلاح .



(شكل رقم ٧)

وتمدنا بصورة^(٣٥) (شكل ٨) اخرى من مخطوط الترياق بنماذج لطائفة من الفلاحين أيضا ، يحملون في ايديهم المساحي ، والصورة تمثل منظرا لبית او قصرا من الداخل في مقدمته حديقة ظهر بعض اشجارها ، وعليها طيور ، والذي يهمننا من المشهد صورة فلاحين أحدهما يظهر على يمين

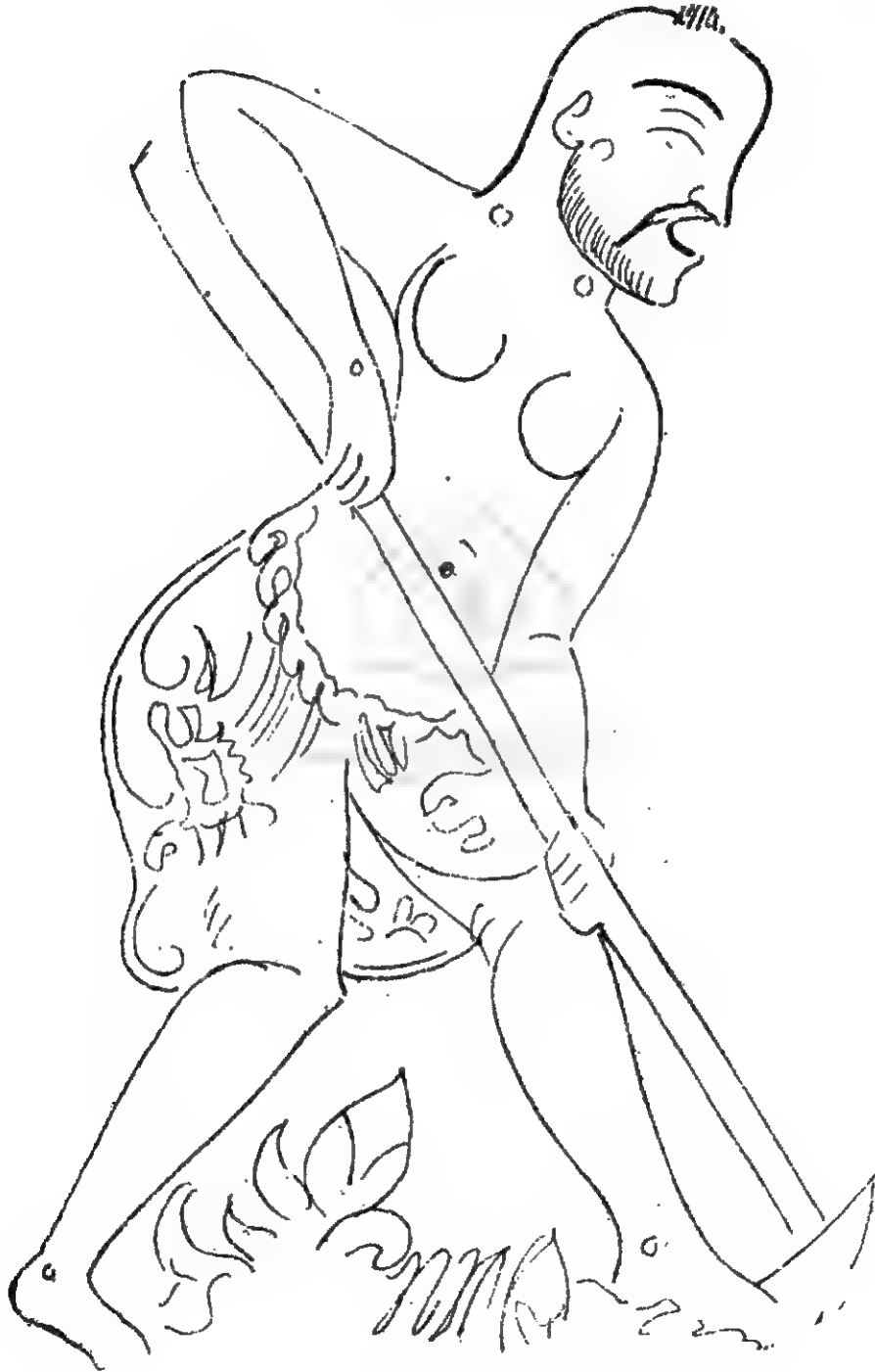
التصويرة يحمل مسحاة في يمينه ، ويبدو انه مقبل نحو شخصين يظهران في وسط الصورة ، واما الفلاح الثاني فهو يحتل الجانب الايسر من التصويرة وقد انهمك في عملية الحرث بواسطة المسحاة التي في يده .



(شكل رقم ٨)

اما ملابس هذين الفلاحين ، فقد ارتدى كل منهما ثبانا ضيقا جدا بحيث تبدو ملتصقة على جسيهما تماما . كما يرتدي الفلاح الذي على يمين التصويرة جمّازة ، بينما اتخذ لرأسه نوعا من أغطية الرأس يعرف بالطويلة^(٣٦) ، اما الفلاح الثاني فقد القى على صدره ازار ازرق اللون تحليه خطوط بسيطة مختلفة الاشكال .

واتحفنا البيروتي بتصويرة نرى فيها شخصا يتحدث الى
فلاح يعزق حقله بواسطة مسحاة وقد قبض من وسط المسحاة باليد اليسرى،
وباليمنى من اعلاه وضغط برجله اليسرى على عترة المسحاة وكف المسحاة
مركزة في وجه التربة وشكلها يضيوي تقريبا (شكل ٩) •



(شكل رقم ٩)

ولا ننسى ونحن نتكلم عن الزراعة ووسائلها ان نشير الى طرق الري التي استعملها الفلاحون في ري مزروعاتهم ، ومن هذه الوسائل الناعورة والساقية حيث استخدمتا في اصال مياه الانهار والآبار الى الجهات البعيدة والمرتفعة . وهاتان الوسيلتان هما الوحيدتان في السقي والارواء التي وصلت الينا ممثلة على الآثار العربية . فيما اعتقد

اما الناعورة فتستعمل لري الاراضي المرتفعة عن النهر ، ولا تزال تستعمل الى الان في منطقة الفرات ، وسميت بذلك لان لها صريفاً^(٣٧) في دورها . والناعورة لا تختلف عن الساقية في الوظيفة التي تؤديها وهي حمل الماء من الاماكن الواطئة الى العالية . وتعمل هذه الآلة بصورة طبيعية تلقائية بقوة تيار مياه النهر . وتتألف الناعورة من عجلة خشبية قائمة تدور حول محورها مثبتة على محيطها مجموعة من الآواني أو الجرار الفخارية وتتحرك هذه العجلة بواسطة قوة الماء الجاري في النهر الذي يكون مصدراً للقوة ، للحركة التي يكسبها اياها دورانا ، فالمحور يدور على نفسه افقياً ، فالجرار المثبتة في اطار الناعورة عندما تبلغ اعلى وضع لها على محيط العجلة ينقلب وضعها فيصبح افقياً فتصب ما بها من ماء في مجرى يحمل ما تضعه تلك الجرار من ماء الى حيث يراد حمله ، وعمل الفلاح هنا يقتصر على تشغيل الناعورة وضمان جريان الماء الى الاماكن المخصصة والسيطرة على توزيعه . وهذه الآلة مهما بدت بدائية الصنع والتركيب فانها ما زالت تؤدي مهمات كبيرة في ارواء الاراضي الزراعية على الرغم من التقدم العلمي الذي حصل في هذا الميدان ، وهي بذلك تعكس لنا صورة ناطقة للعقلية العربية التي ابتكرت هذه الآلة ومثيلاتها .

وتفيدنا صورة من مخطوط^(٣٨) بياض ورياض المحفوظة في المكتبة الانجليزية في لندن ، وهي من القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)

وفي هذه التصويرة نشاهد قصرا يطبل على نهر ، وعند حافة النهر ترتفع ناعورة ، وهي بالشكل الذي وصفناه قبل قليل ، ومع ان صورة الفلاح لم تظهر هنا الا ان المصور - على ما يبدو - قد وجد ان عمل الفلاح هنا ثانويا بالنسبة لهذه الوسيلة في الارواء ، فهي بعد تشغيلها تستمر في العمل لوحدها بواسطة قوة جريان الماء ، واذا احتاج الفلاح الى التأكد من سلامة سيرها لا يكلفه اكثر من القاء نظرة عليها ثم العودة الى عمله في الحقل .

ومن الجدير بالذكر ان هذا النوع من آلات السقي قد انتقل الى اسبانيا على أيدي العرب حيث توجد النواعير التي تدار على الخيل في بعض المقاطعات الاسبانية^(٣٩) .

اما الوسيلة الثانية التي استعملت في الارواء الساقية او ما يسمى بالناعور الحيواني وتدار الساقية بواسطة الحيوان حيث يعلق بها الثور او الجاموسة او الحمار فيدور في دائرة تلتف من حول البئر حيث تحرك دورته بواسطة قائم خشبي مثبت فوق عنقه رعى افقية متحركة وتلف بدورها عجلة كبيرة راسية تتحرك حركة دائرية ترفع بواسطتها الماء من أسفل الساقية في أواني فخارية متتابعة ترتفع بالدوران ، وعندما تصير في مستوى الارض تقذف بالماء الى مجرى مستقل عنها فتحمل الماء حيث يراد حمله .

وقد وصلت الينا صورة للساقية^(٤٠) (شكل ١٠) نقلها الواسطي في مخطوط مقامات الحريري يرجع تاريخه الى سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٧م محفوظة في المكتبة الاهلية في باريس ، والتصويرة تمثل مجلس طرب وغناء قوامه مجموعة من الرجال يجلسون حول ساقية في بستان من بساتين بغداد ، وقد



(شكل رقم ١٠)

أظهر لنا الواسطي في الجزء العلوي من التصويرة (شكل ١١) جانبا من ساقية يظهر فيها فلاح خلف ثورين يديران ساقية ، وقد أمسك الفلاح بعصا طويلة رفعها الى الاعلى وعمل الفلاح في ادارة الساقية ينحصر في حث الحيوان على الدوران فهو يسهر على استمرار دوران الساقية وتدفق الماء ومراقبة عدم تسربه او ضياعه قبل وصوله الى الحقول ويفصل بين الرجال وبين هذه الساقية جدار تتوسطه فتحة على شكل عقد يتدفق من خلالها ماء الساقية وقد ظهر الماء هنا على شكل حلزونات •

وقد عكس الواسطي في هذه التصويرة لمسة انسانية يصور فيها كدح الفلاح في حقله وانشغاله عن الطرب والغناء بعمله الشاق في ادارة الساقية • ولم تفته المقابلة الواقعية بين ملابس الفلاح المهلهلة البسيطة وبين ملابس الرجال المزركشة الفاخرة •



(شكل رقم ١١)

وصورت الماشية على الانار العربية باعتبارها جزءا من مجتمع الزراعة ، ولنا بعض لوحات تمثل الراعي في مزرعة وهو جالس عند شجرة ينفخ في نايه وبجانبه كلبه يحرس قطيع الغنم ، ويظهر مثل هذا الموضوع على ابريق احمد الذكي النقاش^(٤١) الموصلي ، الذي مررنا به ، فمن بين النقوش التي تزين الابريق المذكور رسم (شكل ١٢) يمثل راغيا أو فلاحا يجلس امام شجرة ينفخ في نايه ، بينما ترك قطيعه من ثلاث حيوانات - أظنها اغناما - ترعى وكلها يجلس على الارض •

ولابد لنا ونحن نتكلم عن الفلاحين ان نشير الى امور اخرى تتعلق بحياتهم مثل الاجور التي كانوا يتقاضونها والطعام الذي كانوا يتناولونه •

الواقع ان المعلومات التي بين أيدينا عن هذه النواحي قليلة جدا بل نادرة ، ولا يمكن معها تكوين صورة واضحة المعالم لهذه الجوانب ، لكننا فهمنا من بعض المصادر ان أجور الفلاحين على العموم كانت واطنة ، فالجاحظ^(٤٢) يذكر مثلا ان اجرة الحرائين كانت لا تتجاوز الثلاثين درهما في الشهر •



(شكل رقم ١٢)

اما بالنسبة الى طعامهم ، فاننا نستطيع ان نتعرف بعض الشيء على أنواع الطعام الذي كان مألوفا لديهم وذلك من خلال رواية افاد بها بعض المؤرخين ومفادها ، ان الخليفة المهدي خرج يوما للصيد وعرج الى كوخ أحد الفلاحين وطلب بعض الطعام فقدم له خبز شعير وطبقا فيه اسماك صغيرة وزيتا وتمرًا وكراثًا وبصلًا^(٤٣) •

ومثل هذا الطعام لا يكلف الفلاح شيئًا من دخله الخاص ولا يدل على انه كان على مستوى عال من الدخل لان ماذكر من نباتات يمكن الحصول عليها من الحقل • اما الاسماك فلقد كانوا يصطادونها من الانهر والترع القريبة اليهم •

وقبل ان نختتم هذا البحث نرى من المفيد ان تقدم نموذجا لقرية
فلاحية باعتبارها جزءا متما لحياة الفلاح ، وقد برز لنا هذا النموذج من
خلال تصويره^(٤٤) (شكل ١٣) من مقامات الحريري وهي من بغداد سنة
٦٣٤هـ/١٢٣٧م ، وتمثل التصويرة الحارث و ابا زيد السروجي فوق جملهما
وخلفهما قرية تبدو بيوتها وحوانيتها والمسجد تظهر منارته ، حيث نشاهد
النخل تحمل تمرا ، ومن الجدير بالذكر ان اشجار النخل اهم ما امتاز به
أقليم العراق ، وهذا يؤكد لنا ان الفنانين كانوا يرتبطون بفنهم بالبيئة
المحيطة بهم . وقد صور الواسطي أهل القرية وهم منهمكون في شؤون
حياتهم اليومية فألى اقصى يمين التصويرة سيدة تجلس على مكان مرتفع
وهي تحمل مغزلا يدويا بسيطا للغزل ، وقد رفعت خصلة الصوف بيدها
اليسرى الى أعلى ، بينما يتدلى منه خيط رفيع يتصل بالمغزل الذي كانت
تبرمه بيدها اليمنى ، ونلمح في التصويرة ايضا فلاح يحمل مسحة
استعدادا للخروج للحقل او أنه عائدا منه توا وفي وسط الصورة امرأة
يبدو انها تبيع الخبز الذي وضعت امامها في طبق ، ونشاهد الى جانب
ذلك قطعان من المعيز مع حارسه يبدو انها عائدة الى مرايضها او في
طريقها الى الحقل .



(شکل رقم ۱۲)

الهوامش :

- ١ - انظر بحثا بعنوان « الحمل » نماذج من صورهِ على الاثار العربية . المجلد الاول من العدد (٢١) لمجلة كلية الاداب - جامعة بغداد ١٩٧٧ . ص ٥٢٥
- ٢ - باقر . طه . مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة الجزء الاول . الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين . منشورات دار البيان . مطبعة الحوادث بغداد (١٩٧٣) ص ٩٥-١٩٨ .
- ٣ - راجع الاحكام التي تتعلق بالري والحقول والبساتين (المواد ٢٦-٦٠) وكذلك (المواد ٢٤١-٢٧٣)
- ٤ - ابو يوسف : يعقوب بن ابراهيم
كتاب الخراج ، المطبعة السلفية القاهرة - ١٣٨٢ ص ٦٣ ابن سلام ، ابو عبيد القاسم الهروي
الاموال . تحقيق خليل محمد هراس . دار الشرقية للطباعة (القاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) ص ١٢٥ .
الماوردي : ابو الحسن علي بن محمد ابن حبيب .
الاحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة البابي الحلبي واولاده (القاهرة - ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م) ص ١٧٧ / الشيخلي : صباح ابراهيم سعيد
الاصناف في العصر العباسي ص ١٦ .
- ٥ - ابن حجر : احمد بن علي بن محمد بن علي الكناي العسقلاني الاصابة في معرفة الصحابة (القاهرة - ١٩٣٩) ج ٢ ص ٣٦ / الشيخلي : المصدر السابق ص ٤١
- ٦ - ابو يوسف : المصدر السابق ص ٢٨ .
- ٧ - المصدر السابق ص ١١٩ .
- ٨ - آدم - يحيى : كتاب الخراج (مصر ١٣٨٤ هـ) ص ٤٨ .
- ٩ - الجاحظ : ابو عثمان عمرو بن بحر
البيان والتبين

- ١٠- ان رسته - ابو علي احمد بن عمر .
الاعلاق النفيسة باعثناء ام. جي . ويفويه . بريل ليدن ١٨٩٢ ص ١٠٩٥
- ١١- ابن الجوزي . ابو الفرج عبدالرحمن بن علي المدهش . مطبعة الاداب
(بغداد ١٣٤٨ هـ) ص ٦٥ .
- ١٢- ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم مطبعة دائرة المعارف
العثمانية . حيدر آباد الدكن ١٣٥٧ هـ - ١٣٥٩ هـ ج ٩ ص ٧٠ ، ٧٢ ،
ج ١٠ ص ٢٤٧ .
- ١٣- ابن الجوزي : المصدر السابق ج ٨ ص ٣١ .
- ١٤- الدوري . خضر : لمحات في حياة الطبقة الفلاحية في العراق الوسيط
« اداب الرافدين » مجلة تصدرها كلية الاداب في جامعة الموصل . العدد
الثاني ، تشرين الثاني (١٩٧١) ص ١٣٠ .
- ١٥- المصدر السابق ص ١٣٠ .
- ١٦- ابن الجوزي : المصدر السابق ج ١٠ ص ١٦١-١٦٢
- ١٧- المقدسي : شمس الدين ابو عبدالله محمد : احسن التقاسيم في معرفة
الاقاليم مطبعة بريل (ليدن) ١٩٠٦ م ص ١٣٨ .
الامتناع والموانسة . ٣ اجزاء تحقيق احمد امين واحمد الزين . مطبعة لجنة
التأليف والترجمة (القاهرة - ١٣٨٣ هـ - ١٩٥٣ م) ص ١٢٥ .
- ١٨- الجاحظ : الحيوان . تحقيق عبدالسلام محمد هارون مطبعة مصطفى
البابي الحلبي واولاده (القاهرة - ١٣٥٦ هـ ١٩٣٨ م) ج ٤ ص ٤٣٤ .
- ١٩- اخوان الصفا .
رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء . (بيروت ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م)
الاربلي - عبدالرحمن سنبط قنيتو ص ٢٨٠ .
- ٢٠- الشيخلي : المصدر السابق ص ١٧ .
- ٢١- انكهاوزن . ريتشارد . فن التصوير عند العرب .
ترجمة د. عيسى سلمان وطه التكريتي (وزارة الاعلام العراقية) لوحة
ص ٨٤ .
- ٢٢- العسكري : ابو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد
كتاب التلخيص في معرفة اسماء الاشياء . عنى بتحقيقه الدكتور عزة
حسن (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق) ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م
ج ١ ص ٤٧٦ .

- ٢٣- ابن سيده : ابو الحسن علي بن اسماعيل
المخصص . المطبعة الاميرية ببولاق (القاهرة - ١٣١٦-١٣١) ج ١١
ص ٢٦ وعثرة المسحاة : الخشبة المعترضة في نصابها والتي يعتمد عليها
الحافر برجله . انظر العسكري : المصدر السابق ج ١ ص ٤٧٦ .
- ٢٤- التكة . واحدة التكنك وهي عبارة عن سفينة من القماش تستعمل لربط
السراويل حيث تعتبر جزءا مكملًا للسروال .
- ٢٥- جبة مشقوقة المقدم قصيرة تصنع من الصوف .
ابن سيده : المصدر السابق ج ٤ ص ٣٦ .
- ٢٦- ابن سيده : المصدر السابق ج ١١ ص ٢٦٧ .
- ٢٧- التبان : سروال صغير يستر العورة . الثعالبي ابو منصور عبد الملك بن
محمد النيسابوري . لطائف المعارف . تحقيق ابراهيم الابياري وحسن
كامل الصيرفي . دار احياء الكتب العربية (القاهرة - ١٣٧٩ ص ١٠٠)
ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم لسان العرب . دار صادر بيروت
(١٣٧٤ هـ) ج ١٣ ص ٧٢ .
- ٢٨- ابن منظور : المصدر السابق ج ١٤ ص ٢٨٣ .
- ٢٩- العسكري : المصدر السابق ج ١ ص ٣١٥ .
- ٣٠- العبيدي : صلاح : التحف المعدنية الموصلية في العصر العباسي (مطبعة
المعارف) بغداد - ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م ص ٤٣-٤٤ (لوحة ٥ ب)
- ٣١- ابن سيده : المصدر السابق ج ٦ ص ١٠/ج ١٠ ص ١٥٣ .
- ٣٢- سوسة . احمد .
الري والحضارة في وادي الرافدين . (مطبعة الاديب البغدادية ١٩٦٩ م)
ج ١ اللوح ١١ .
- ٣٣- العبيدي . صلاح : المصدر السابق ص ٨٦-٧٧ لوحة ١ ، مكرر ، ز
- ٣٤- العبيدي : المصدر السابق ص ٤٢ .
- ٣٥- اتنكهاوزن : المصدر السابق صورة ص ٨٥ .
- ٣٦- الطويلة : لفظ يطلق على نوع من القلائس . ويبدو ان هذه التسمية جاءت
من طول تلك القلائس . انظر التنوخي : ابو علي المحسن علي القاضي .
الفرج بعد الشدة : دار الطباعة المحمدية بالقاهرة (١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م)
ج ١ ص ٨٣ .
- ٣٧- ابن سيده : المصدر السابق ج ٩ ص ١٦٢

- ٣٨- اتنكهاوزن : المصدر السابق صورة ص ١٢٧ .
- ٣٩- هونكة . سيجرند . فضل العرب على اوربا ص ٢١٤ .
- ٤٠- حسن زكي محمد اطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الاسلامية منشورات كلية الاداب والعلوم ببغداد شكل ٨٧٦ .
- ٤١- العبيدي : المصدر السابق ص ٤٤ .
- ٤٢- الجاحظ : الحيوان ج٤ ص ٤٣٢ / الشيخلي الاصناف ص ٩٠ .
- ٤٣- الطبري : ابو جعفر محمد جرير تاريخ الرسل والملوك . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . دار المعارف (القاهرة ١٩٦٨ - ١٩٧١) ج ٨ ص ١٧٤/الجهشياري : ابو عبدالله محمد بن عبدوس الوزراء والكتاب . تحقيق مصطفى السقا و ابراهيم الابياري وعبدالحفيظ شبلي مطبعة مصطفى الحلبي واولاده (القاهرة - ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م) ص ١٤٦ - الشيخلي المصدر السابق ص ٩١-٩٢ .
- ٤٤- اتنكهاوزن : المصدر السابق ص ١١٦ .

صلح العديبية

دراسة لمبدأ الصلح في السياسة العربية في القرن الاول الهجري

الدكتور نزار عبد اللطيف

عميد المعهد العالي

للدراستات القومية والاشتراكية

عندما هاجر الرسول (ص) والمؤمنون من مكة الى المدينة ، كان واضحا ان جوهر سياسته فيها سيكون متابعة الجهاد لتحقيق شعاره الذي اعلنه في مكة « قولوا لا اله الا الله تفلحوا تملكون بها العرب وتذل لكم العجم » ، واذا كان في مكة قد انجز بناء الاداة الثورية التي تقود عملية التغير في الحياة العربية فانه في المدينة سوف يعمل على تحويل المدينة الى قاعدة امينة للجهاد وتحقيق نموذج الامة التي يعمل لبنائها ، امة موحدة تؤمن بالله واحد . أي انه كان لابد ان يصطدم بقوى الشرك والوثنية والتجزأة والتخلف وفي مقدمتها أهل مكة لما ترسخ بينه وبينهم من تناقض وعداوة عبر عشر سنوات قضاها في مكة محاصرا محاربا .

ولم يكن اهل مكة عند الرسول (ص) قريش فقط انما أيضا حلفائها من الاحابيش وكنانه واهل تهامه ، وهم مادة تحالفاتها الاساسية وعصب قوتها^(١) . وقد لعبت التجارة دورا بارزا واساسيا في هذه التحالفات ، اضافة الى اعتبارات اخرى ثانوية .

(١) تاريخ الطبري : ٢ / ٥٠٠ .

وجه الرسول (ص) في الفترة من ١-٦ هـ خمس عشرة حملة عسكرية الى قريش وحلفائها^(٢) ، وكان هدفه الرئيس اضعاف تجارتها واغلاق طرقها وانهاء علاقتها بالقبائل التي حول مكة أو بالقرب من الساحل . ونجحت سياسته في تحقيق اهدافها فتحول موقف قبائل الساحل خاصة خزاعة الى موقف ناصح غير معادي ، كما هادن بعض كنانة^(٣) . واضطربت تجارة قريش كثيرا^(٤) واضطرت نهائيا الى تغيير خطها الى طريق العراق^(٥) .

كان الرسول (ص) يرصد مظاهر التقهقر في قوة قريش ويرصد في ذات الوقت خصومه الآخرين ، بخاصة اليهود الذين بدأوا ينشطون في خيبر مستفيدين من قوة يهود المدينة الذين اخرجوا منها لنقضهم العهد والمواثيق المعقودة بينهم وبين الرسول (ص) ، وبعد معركة الخندق (الاحزاب) كان واضحا ان قوة الرسول (ص) بلغت قمة نضجها وتعاضها وقد عبر الرسول (ص) عن هذا النضج بقوله « الآن نغزوهم ولا يغزونا »^(٦) . وكانت دلائل هذا التعاضم كما يلي : -

اولا - ان المدينة اصبحت خالصة من الجيوب المضادة والقوى المعادية فهي قاعدة متينة وامينة تمكن الرسول (ص) من الانطلاق الى خارجها والضرب في عمق العدو .

ثانيا - تقهقر قريش وفقدانها القدرة على تكوين أي حلف جديد لضرب الرسول (ص) والتراجع عن الهجوم الى الدفاع .

ثالثا - تنامي القوة الذاتية للمؤمنين في المدينة فيما ظهر من تماسك اجتماعي و طاعة تامة للرسول (ص) ، وقدرات دبلوماسية وعسكرية قادرة على السيطرة على الظروف وتوجيهها وفقا لحاجات الدعوة والدولة الجديدة .

(٢) انظر :واقدي : المغازي ، ج١ / للاطلاع على منازي الرسول (ص) الاولى .

(٣) تاريخ الطبري : ٦٤٦/٢ .

(٤) الواقدي : المغازي ١٩٧/٢

(٥) الواقدي : المغازي : ١٨٧/٢ .

(٦) تاريخ الطبري : ٥٩٣/٢ .

تطور الاوضاع بعد الخندق :

كانت الاوضاع الجديدة في الجزيرة بعد معركة الخندق تشير الى ان المؤمنين بقيادة الرسول (ص) هم الاقوى وان مرحلة بناء القاعدة الامنية قد انجزت وقد آن الاوان للخروج الى ابعد من حدودها وبدء الجهاد من اجل الوحدة والتحرير ، ومع ذلك فأن الرسول (ص) لم يترك الاحداث دون رصد انما على العكس كان رصده للاحداث دقيقا جدا وكانت عيونه المنتشرة في كل مكان تزوده بالمعلومات عن تحركات الخصوم والاعداء^(٧) ، وهي معلومات تجمعت وسجلت الدلائل التالية : -

اولا - بروز خبير مركز قوة جديد خاصة بعدما انضاف لها اليهود الذين طردوا من المدينة لاخلالهم بالمواثيق ونكثهم العهود التي عاهدتهم بها الرسول (ص) .

ثانيا - نشاط احبار اليهود ودعاتهم بين قبيلتي أسد وغطفان ومحاولاتهم الرامية الى تجديد حلف قديم كان قائما بين القبيلتين قبل الاسلام متخذين من اعتماد هذه القبائل على خبير في ميرتها وسيلة للضغط عليها^(٨)

ثالثا - اتجاه جهود اليهود نحو الشمال (فذك) وما خلفها ومفاوضتهم بني سعد لعقد تحالف ضد الرسول (ص)^(٩) .

كونت هذه المعلومات لدى الرسول (ص) قناعة بأن تنامي خبير وتحولها الى مركز قوة جديد يعني ضمنا ان قریش أصبحت في موقع ثان وان استمرار هذا التطور في الاحداث يعني ان المدينة سوف تصبح في المستقبل وسط معادلة صعبة عناصرها خبير مع تحالفاتها في الشمال وقریش في الجنوب ، وان أي تطور باتجاه توصل طرفي المعادلة الى التحالف يعني تهديد المدينة تهديدا بالغ الخطورة .

(٧) الواقدي : المغازي ١/ ٣٩٤ ، ٢/ ٤٤١ .

(٨) ن . م : ٢/ ٦٣٧ ، ٧٠٢ « أسد وغطفان تمتنع بخير عن العرب » .

(٩) الواقدي : المغازي ٢/ ٥٦٢ ، تأريخ الطبري : ٢/ ٦٤٢ .

موقف الرسول (ص) :

كانت خطة الرسول (ص) ذات مسارين :

الأول - اشغال خيبر وحلفائها واعاقة جهودهم وعدم تركها تتطور باتجاه هدفها دون اعاقة ، واشعار خيبر والقوى القبلية حولها بوجوده ورصده تحركاتهم وقدرته على التدخل متى شاء .

وقد نفذ هذا الهدف المحدود عن طريق :

١ - مضاعفة الحملات العسكرية باتجاه خيبر والقوى التي تسعى لكسبها فبين سنتي ٥-٧ هـ وجه سبع حملات عسكرية الى خيبر ومن حولها (١٠) .

٢ - القيام بعمليات اغارة خاطفة لتصفية بعض المواقع النشطة والمتقدمة في جهود خيبر مثل ابي رافع سلام بن ابي الحقيق وهو من الذين نشطوا في عقد حلف الاحزاب . كما قامت سرية خاصة بقيادة عبدالله بن رواحه بالهجوم على خيبر واختطاف أسير بن رزام مع ابرز رجالات خيبر وقتلهم (١١) .

الثاني - تعميق ضعف قريش وفرض الانكفاء عليها في مكة لتأمين عدم مشاركتها في الاحداث المقبلة او عدم افادتها من الظروف التي قد تفرزها احداث المستقبل . وقد هيأ الرسول (ص) لخطته هذه على النحو التالي:

١ - اذكاء العواطف الدينية والشخصية لدى المسلمين نحو مكة عن طريق اظهار قدسيته وواجب المؤمنين بتقديسها باعتبارها مركز ديانة ابراهيم الخليل أبو الانبياء ورمز الوحدة الروحية للعرب . وهذا يعني ان الحج لهذا المركز واجب عليهم (١٢) .

(١٠) الواقدي : المغازي - يراجع الجزء الاول .

(١١) الواقدي : المغازي ٧٠٢/٢ . سيرة بن هشام : ٤٠/٤ ،
الدياربكري : ١٢/٢ ، ١٥ .

(١٢) تاريخ الطبري : ٦٣٥/٢ رواية الامام علي بن ابي طالب ، الدياربكري :
٢٢/٢

٢ - اعلان تقديس المسلمين لمكة على الناس ومحاولة تكوين قناعة لدى القبائل بحق المسلمين في زيارة مكة •

وعندما اطمأن الرسول (ص) الى تعبئة المؤمنين نفسيا على هذه الامور قرر الخروج الى مكة حاجا سنة ٦ هـ وقد اختلفت الروايات في عدد المؤمنين معه ولكن ارجحها انهم كانوا ١٤٠٠ مؤمن (١٣) •

لقد كان توجه الرسول (ص) الى مكة توجهها عسكريا اظهر فيه كل عوامل القدرة العسكرية ومقومات القوة ، قال (ص) لبديل بن ورقاء الخزاعي: « انا لم نجيء لقتال أحد ولكننا جئنا معتمرين ، وان قریشا قد نهكتهم الحرب واخذت بهم فان شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس وان شاءوا ان يدخلوا فيما دخل الناس فعلوا والا فقد حموا وان هم أبوا فوالذي نفسي بيده لا قاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالقتي أو لينفذن الله امره» (١٤) ان هذا القول يحدد لنا وحسب اولويات الخطة التي اتبعها الرسول (ص) •

١ - انه جاء حاجا •

٢ - وان قریش انهكت وامامها أحد ثلاث خيارات :

أ - الصلح « فان شاءوا ماددتهم مدة » •

ب - الدخول في الدين الجديد •

ج - القتال •

وطبيعي ان الرسول (ص) حسب اولوياته كان يريد المصالحة غير انه لكي يصل اليها ، عليه أن يظهر ما يعزز انكفاء قریش ويذهبها ويدفعها الى الصلح فليس من المعقول ان يتجه للصلح ضعيفا كان لا بد ان يذهب بكل مقومات قوته ومظاهرها لكي يدفع خصمه نحو الصلح فالانطلاق من موقع القوة هو الذي يحسم القضايا ويوجهها نحو الهدف المرسوم • وعوامل القوة التي اعتمدها

(١٣) تاريخ الطبري : ٦٢٠/٢

(١٤) الديار بكرى : ١٨/٢ •

الرسول (ص) كانت تتشعل في الطاعة المطلقة التي اظهرها المؤمنون له^(١٥) والارتفاع بالتعبئة النفسية للمؤمنين الى الحد الاقصى « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون في الفتح »^(١٦) وانهم كانوا استوعبوا تحقيق هذا الهدف الى الحد الذي لن يثنيهم عنه شيء . حتى ان الرسول (ص) واجه أشكالا في علاج حالة الاستغراب التي مر بها المؤمنون عند عقده الصلح والتي وصلت حد الاعتراض على قرار الرسول (ص)^(١٧) ، وفي رواية للطبري انهم لما « رأوا من الصلح والرجوع ، وما تحمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا ان يهلكوا »^(١٨) .

ولقد نجحت سياسة الرسول (ص) في فرض الانكفاء على قريش وتعميق شعورها بالضعف والتخاذل بدليل كثرة السفراء الذين ارسلتهم قريش للمفاوضة وعددهم خمسة^(١٩) . بينما لم يرسل الرسول الا سفيرين^(٢٠) .

لقد تجمعت عدة دلائل تؤكد ان هدف الرسول (ص) كان جر قريش الى مهادنته بدليل :

١ - عدم تشديده على سريّة توجهه الى مكة والسماح بتسرب معلومات مسيره الى المشركين فهو اذا كان يريد لهم أن يعلموا بتحركه وان يشير تحركه في اوساطهم جدلا يقلقهم « الحرب النفسية » .

(١٥) تاريخ الطبري : ٦٢٧/٢ .

(١٦) الديار بكرى : ٢٢/٢ .

(١٧) تاريخ الطبري : موقف عمر بن الخطاب ٦٣٤/٢ ، رفض المسلمين ، حلق شعورهم ، ونحر اوضاعهم ص ٦٣٧ ، موقف الامام علي بن ابي طالب اثناء كتابة نص الصلح ص ٦٣٦ .

(١٨) ن . م . : ٦٣٥ .

(١٩) الديار بكرى : ١٨/٢ ، ٢١ .

(٢٠) ن . م . : ١٩/٢ ، ٢٠ .

٢ - تأكيد على رغبته في الهدنة منذ خروجه « ويح قريش ، لقد اهلكتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب » (٢١) . وقد حاول ايصال هذا الرأي الى اهل مكة مع العديد من الناس (٢٢) .

٣ - اللجوء الى ابراز قوته وبالمقابل احداث تناقض يضعف قوة الخصم يفرض عليه التوجه نحو الصلح ، فعندما قدمت قريش قوة من الاحابيش بقيادة سيدهم الحليس حرص الرسول (ص) ان يقدم « الهدى » لما كان يعرفه من « تاله » الاحابيش لكي يقتنعوا بأنه لم يأت ليحارب وقد تحقق هذا فعلا وعندما رجع سيد الاحابيش الى مكة قال : يا معشر قريش اني قد رأيت ما لا يحل من الهدى في قلائده ، قد اكل اوباره من طول الحبس عن محله . فقالوا له : اجلس انما انت رجل أعرابي لا علم لك (٢٣) . فغضب الحليس من رد قريش وقال : « يا معشر قريش والله ما على هذا حالناكم ولا على هذا عاقدناكم ان تصدوا عن البيت الحرام من جاءه معظما له والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له او لا نفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد » (٢٤) .

٤ - استخدام عثمان بن عفان سفيرا لمفاوضة قريش وهو أكثر المؤمنين لينا واكثرهم اقاربا في مكة (٢٥) .

٥ - اظهاره درجه عالية من المرونة وحرصه على تذليل كل العقبات التي تقف أمام الصلح والقبول ببعض الامور التي اعتبرها المؤمنون « دنية في الدين » (٢٦) ومن ذلك :

(٢١) سيرة بن هشام : ٢٥/٤ ، تاريخ الطبري : ٦٢٠/٢ ، ٦٢٣ .

(٢٢) ن . م . ٢٥/٤ ، تاريخ الطبري : ٦٢٥/٢ « قصة بديل بن ورقاء الخزاعي » ٦٢١/٢ « قصة بشر بن سفيان الكعبي »

(٢٣) تاريخ الطبري : ٦٢٨/٢ ، الديار بكرى : ١٩/٢ « الهدى » اهل تنحر في موسم الحج .

(٢٤) ن . م .

(٢٥) تاريخ الطبري : ٦٣٠/٢ .

(٢٦) سيرة بن هشام : ٢٨/٤ .

١ - الموافقة على استبدال عبارة « بسم الله الرحمن الرحيم » بعبارة

« باسمك اللهم » وهي العبارة التي كانت تستفتح بها قريش .

٢ - الموافقة على حذف عبارة « رسول الله » والاكتفاء بأسمه واسم

والده طرفا في المصالحة .

نظور المفاوضات :

تبادل الطرفان السفراء على مدى يوم كامل وكان الرسول (ص) معسكرا في الحديبية فلما نضجت نقاط الاتفاق اجتمع الرسول (ص) بمندوب مكة سهيل بن عمرو في خيمة الرسول (ص) واتفقا على المصالحة في صلح عرف بالحديبية . نصه :

هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيهم الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، على انه من اتى [رسول الله] (٢٧) (محمد) من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع [رسول الله] (محمد) لم ترده عليه وان بيننا عيبه مكفوفة وانه لا اسلال ولا اغلال وانه من أحب ان يدخل في عقد [رسول الله] (محمد) وعهده دخل فيه ، ومن أحب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه . . . وانك ترجع عنا عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وانه اذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثا ، وان معك سلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها بغير هذا (٢٩) .

(٢٧) في تقديري ان العبارة اضافة اسلامية لاحقة فقد رفضت قريش كل ما يشير الى الاسلام في الصلح والاضافة بين هلالين من عندي .

(٢٨) انظر اعلاه .

(٢٩) صيغة العبارة غير منسجمة مع صيغة الصلح في المقدمة وهي اشبه بتسجيل حوار المفاوضات المكى من كونها نصا في الصلح .

بعد الصلح أخذ الرسول (ص) بيعة المؤمنين وهي البيعة التي عرفت ببيعة الشجرة وبيعة الرضوان من الرضا « لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة » (٣٠) . وفي تقديرنا ان هذه البيعة كانت لعلاج حالة القلق التي اعترت المؤمنين وعدم استيعابهم قبول الرسول (ص) بالمصالحة وفي ظل امور اعتبروها « دنية في الدين » فذ يكون المؤمنون مهينين لفكرة المصالحة غير انهم لم يكونوا كذلك بالنسبة لمصالحة لا تقر بأن محمد بن عبدالله (ص) رسول الله ويعبر موقف عمر بن الخطاب عن هذا بشكل دقيق (٣١) .

نتائج الصلح :

اسفر الصلح عن نتائج مباشرة واخرى غير مباشرة

اولا - النتائج المباشرة :

- ١ - تحالف الرسول (ص) مع خزاعة .
- ٢ - اصبح بإمكان الرسول (ص) ان يزور مكة ويبقى فيها ثلاثة أيام ، أي أصبح المجتمع الجديد الذي بناه الرسول (ص) شيئا معاشا يراه أهل مكة عن قرب ودونما انفعالات تحريضية وهي مسألة تتيح لهم المقارنة وتبين الفروق الجوهرية بين المجتمع الجديد والمجتمع القديم بعيدا عن نزعة التحريض والاستعداد (٣٢) .
- ٣ - اعتراف قريش بأنها لم تعد وحدها المتسيدة في الجزيرة وان هناك قوى اخرى تستطيع ان تحتل موقعا مساويا لها بين القبائل .
- ٤ - الافادة من الهدنة في تعزيز ايمان القبائل المحيطة بالمدينة او تلك التي تقع بينها وبين مكة والتفرغ لنشر المبادئ خارج حدود المدينة .

(٣٠) الفتح : ١٨ ، تاريخ الطبري : ٦٣٢/٢ .

(٣١) تاريخ الطبري : ٦٣٤/٢ .

لا تذكر المصادر أن احدا تخلف عن البيعة باستثناء الجد بن قيس الانصاري
انظر ص : ٦٣٢ .

(٣٢) تاريخ الطبري : ٦٣٨/٢ رواية الزهري .

ثانيا - النتائج غير المباشرة :

حقوق الصلح النتائج غير المباشرة التالية : -

١ - تفكك المجتمع المكي وانهيار مقوماته الدينية والفكرية وفشل مقاومته وتدهور قناعة اهل مكة بها ، حتى انهم لم يصمدوا اذا كلموا بالاسلام حتى يدخلوا فيه فآمن خالد بن الوليد وعمر بن العاص وعثمان بن طلحة (٣٣) .

٢ - تحرير خيبر .

كان ابرز نتائج الصلح اطلاقا « تحرير خيبر » فهي المهمة التي من أجلها عقد الرسول (ص) صلح الحديبية « لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة تأخذونها فيحل لكم هذه وكف ايدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها » (٣٤) . وما أن رجع الرسول (ص) من مكة حتى تحرك الى خيبر وأمر المسلمين جميعا بالتحرك الى خيبر دون انتظار ومما لا شك فيه ان الرسول (ص) أفاد كثيرا من صلح الحديبية وآمن خطوطه الخلفية ، وعندما وصل خيبر نزل بينها وبين غطفان والشمال اي عزلها عن القوى التي كان يتوقع ان تساعد (٣٥) . وربما ان الرسول (ص) كلف قوة محدودة في التحرك حول غطفان لاشغالها ثم أغار على حصون خيبر وما ان تم له تحريرها حتى هاجم بني سعد في فدة (٣٦) .

(٣٣) تاريخ الطبري : ٦٣٨/٢ ، الدياربكري : ٦٥/٢ .

(٣٤) سورة الفتح : ١٨

(٣٥) الواقدي : المغازي ٦٣٩/٢ ، تاريخ الطبري : ٩/٣

(٣٦) الواقدي : المغازي ٥٦٢/١ ، ٧٢٣ .

الدروس المستخلصة :

- ان الظروف التي احاطت بعقد صلح الحديبية وصيغة الصلح تحدد لنا جوهر مبدأ الصلح عند الرسول (ص) على النحو التالي : -
- ١ - أن يكون الصلح بمستوى قضية جوهرية •
 - ٢ - أن يكون تكتيكا ظرفيا ضمن نظرة استراتيجية مرتبطة بالهدف فهو اجراء غير مجرد ولا مستقل •
 - ٣ - ان يركز الصلح الى موقع قوة متنامي •
 - ٤ - ان لا يكون مع قوة خارجية يتسم التناقض معها بسمة تأريخية لا رجعة فيه •
 - ٥ - المحافظة على موقع القوة بمواصلة تنمية عناصر القوة وقياس المستوى الذي تبلغه مع المستوى المتحقق في الطرف الزماني والمكاني •

الافعال في القرآن الكريم ونظائرها السامية

د . خالد اسماعيل
كلية الاداب / جامعة بغداد

نظرا لاهمية دراسة الافعال باصولها وأوزانها وأزمنتها ومعانيها ، وما يتصل بها من امور اخرى من أجل فهم أية لغة من اللغات ، وادراك العوامل المؤثرة فيها والمسيرة لها ، لذا اخترت هذا الجانب اللغوي موضوعا لهذا البحث . ولما كان دراسة الافعال في اللغات السامية من جوانبها السابقة أجمع أمرا واسعا جدا ، يستوجب سنين طوالا من النظر للاحاطة به ، كان من الاوفق الانطلاق من احدى اللغات السامية ، التي تمتاز بخصائصها القديمة ، الى اللغات الاخرى للاستعانة بها في حل المعضلات التي تواجه البحث . ولما كانت اللغة العربية تعد من أغنى اللغات السامية في الخصائص المذكورة وأوزان أفعالها ومعانيها ووفرة مادتها اللغوية ، كانت أصلح من سواها لان تكون أساسا ومنطلقا لهذه الدراسة .

ولما كان من الاولى في مثل هذه الدراسة ان ترسم لها حدودا تتقيد بها كان القرآن الكريم لما فيه من غناء في اللغة وللثقة التامة بما جاء فيه من أثر ، هو المعين المفضل على ما سواه من المصنفات اللغوية .

ولما بدأت أقلب البصر في هذا الموضوع ، وابتحث عما قام به من سبقني من دراسات فيه وقفت على كتاب الدكتور مصطفى شويمي : الافعال في القرآن : أصولها وصيغها ، باريس ١٩٦٦ ، باللغة الفرنسية ، والذي انصرف فيه الى احصاء الافعال في القرآن الكريم ومعانيها وأوزانها ، وهو كتاب جيد ضمن نطاقه هذا ، وقد بذل المؤلف جهدا حميدا في هذا المسار ، وبقي أن

ندرس كل ظاهرة من ظواهر الفعل المذكور دراسة أكثر تحليلاً وأعمق غوراً لاستخلاص النتائج المرجوة منها والتي لا يمكن أن تحققها مثل تلك الدراسة الجامعة والواسعة . وسأعرض هنا لطائفة من الأفعال في القرآن الكريم من زاوية نظائرها السامية .

١ - أبى

= امتنع ، رفض : ١٥ مرة . وهذا الأصل يدل على الامتناع ، (مقاييس اللغة ١/٤٥-٤٦) .

ونظيره في الأكديّة أَيْبَة : رغبة ، وفي الآرامية أَبَا : أراد ، وفي العربية الجنوبية أَبَى : رفض . ولا ترد أَبَى في العبرية إلاّ منفية (كولر - باوم جارتتر ، معجم العهد القديم ٣) ، ويبدو أن الأصل السامي يدل على (الرغبة) مطلقاً ، ثم صار المعنى في الأكديّة والآرامية والعبرية : الرغبة في الشيء ، وفي العربية الشمالية والجنوبية : الرغبة عن الشيء . وتدل لفظة (أبى) في اللهجة العربية الكويتية وعند قسم من البدو في السعودية والعراق على الرغبة في الشيء خلاف العربية الفصحى وبالاتفاق مع اللغات السامية الأخرى . وقد وهم من قال ، على ما أعتقد أن لفظة (أبى) الكويتية ناشئة من لفظة (أبغي) لسبيين : أولاً : أنه لا يؤثر عن اللهجة الكويتية الانتقال الصوتي من غ الى ي . ثانياً : أن معنى (الرغبة في الشيء) جلي في اللغات السامية الأخرى غير العربية الفصحى ، واللهجة العربية الكويتية وإن كانت عربية إلا أنها سامية أيضاً . وقد حافظت أحياناً اللهجات العربية على بعض الألفاظ والمعاني التي اندثرت من الفصحى وبقيت نظائرها في اللغات السامية الأخرى .

٢ - أتى

= جاء : ٣٦ مرة . والأصل يدل على مجيء الشيء (مقاييس اللغة ١/٤٩-٥٠) ، ونظيره في الأوجاريتية أ ت و ، وآرامية العهد القديم

آثا ، والسريانية إتا ، والعربية الجنوبية والحبشية أئو ،
والعبرية أئى ، كل ذلك بمعنى جاء (كولر باوم جارتنر ١٠٠)
وتشترك في هذا الاصل جميع اللغات السامية الغربية ، كما نستدل مما
سبق وهو من الاصول الشائعة . ولم يرد في الاكديّة حتى الان ، وهي
الفرع الشرقي لهذه اللغات .

٣ - أثر

= ذكر : ٦ مرات . والاصل هو رسم الشيء الباقي . وهو احد الاصول
الثلاثة التي يذكرها ابن فارس (مقاييس اللغة ١/٥٣-٥٧) . الا انني
أعتقد ان هذا المعنى هو الاصل وان المعاني الاخرى هي فرع عليه ، كما
يتبين من دراسة معاني هذا الاصل وسنة الانتقال من المعاني المادية
البسيطة الى المعاني المركبة والمعقدة والمعنوية (لسان العرب ٥/٦٠-
٦٥) .

ونظيره في الاكديّة آش ر : مكان ، والاولوجاريتية آش ر : خطأ ،
والارامية أئرا : اثر ، والسريانية أئرا ، والعبرية أئر :
يسير قدما ، يقود (كولر باوم جارتنر ٩٥) .

٤ - أجر

= اكرى : ٣ مرات . والاصل يدل على الجمع ، ومن ذلك يتفرع
معنيان :

أ - جبر العظم الكسير .

ب - الكراء .

فالمعنى الاول هو ان يجمع العظم الكسير بعضه الى بعض ، والثاني
معنى مجرد وأصله الجزاء بشيء مادي ، كأن يجمع للأجير شيء معين
كالقوت أصلا ، ثم صار بعد ذلك مالا ، ويدل على ذلك المعنى العبري
أجر يجمع ، يدر حاصلا ، أغوراه : الاجر ، الجزاء وفي الارامية

اليهودية أكر : جمع و أكر^١ : عصا ، كما تدل لفظة أكر وكذلك إكر السريانية على الكراء (ليفي ، معجم التلمود والمدراش ٢٣) ، وتدل في الاكدية إك^٢ ر^٣ على الكراء والجزاء (كولر — باوم جارتتر ٩) • وقد نبه ابن فارس الى انه يمكن الجمع بين المعنيين في العربية (مقاييس اللغة ١/٦٢-٦٣) •

• — أجل (أجل)

= آخر ، حبس : مرة واحدة (لأي يوم اجلت) ١٢/٧٧ • واعتقد ان الاصل هو حبس الشيء ماديا أولا وكما يصنع في المأجل : شبه حوض واسع يؤجل فيه الماء ثم يفجر في الزرع • ثم يحمل الحبس والتأخير على الزمن والدين والمال في : أجلوا مالهم : حبسوه ، وغير ذلك مما لا يستطيع ذكره تفصيلا في هذا الموضع • ولا اتفق من ابن فارس في قوله ان هذا الاصل يدل على خمس كلمات متباينة ، لا يمكن حمل واحدة على واحدة من جهة القياس (مقاييس ١ / ٦٤ — ٦٥) •

اما في العبرية فقد وردت كلمة إكلي ، قطر الماء ، مما يشير الى بعض معنى المأجل : حوض الماء (كولر باوم جارتتر ٩) • أما في الارامية اليهودية فهناك إيكلي ، أغكلي : أبواب • واعتقد ان لهذه اللفظة علاقة كبيرة بمعنى الغلق والحبس ، كما في غلق ومنها مغلاق ومغاليق : رتاج • ما يغلّق به الباب • أما اللفظة آگاليم أحواض ماء ، برك فانها مجانسة للمعنى العربي في كلمة ماجل (ليفي معجم التلمود والمدراش ٢٠-٢١) • ولم يشر أحد حتى الان الى علاقة اللفظتين الاراميتين بالاصل العربي •

٦ — أخذ

= تناول ، حاز : ٢٦٣ مرة • والاصل حوز الشيء وجيبه وجمعه مقاييس ١/٦٨-٧٠) •

وهو أصل سامي مشترك ، ففي الاكدية آخ ا ز : أخذ ، أمسك ، قبض والاولجارية آخ ذ ، والمواوية أحز : غزا ، والارامية أحد والعربية الجنوبية أخذ وكذلك في الحبشة ، وفي العبرية أحز مسك قبض (كولر - باوم جارتتر ٢٩) •

٧ - آخر (آخر)

= أجل ٢٤٠ مرة • والاصل هو خلاف التقدم (مقاييس ٧٠/١) ويبدو ان الفعل مشتق من لفظة أخرى : تقيض المتقدم ، ويقترن الفعل في القرآن بمعنى التأخير الزمني لا المكاني •

وهو من الاصول السامية المشتركة الشائعة ، ففي الاكدية آخ خثر : تخلف وفي الاولجارية آخ ر : فيما بعد ، وفي العربية الجنوبية آخر ، بالمعنى المعروف في العربية الشمالية ، وفي الفينيقية أحري : بقية ، وفي السريانية حرثا : بعد ، خلف ، وفي العبرية الوسيطة تأخر كما في عبرية العهد القديم أيضا (كولر - باوم جارتتر ٣١) •

٨ - ادى (ادى)

= اوصل ، ٥ مرات • والاصل هو ايصال الشيء أو وصوله اليه من تلقاء نفسه مقاييس ٧٤/١) •

ونظيره في الارامية اليهودية أذري = يذري : يرفع ، يقذف • ولم يشر أحد من قبل الى هذا التجانس (ليفي ، معجم التلمود والمدراس ٢٧) • ولم يرد لهذا الاصل نظائر في اللغات السامية الاخرى •

٩ - أذن

= سمح • ٤٢ مرة • والاصل الاذن ومنها يتفرع الباب • فأذن له أي أسمع فسمح له • واذن بالامر : علم به • ولا اتفق مع ابن فارس في جعل هذا الباب أصليين متقاربين في المعنى متباعدين في اللفظ (مقاييس ٧٧-٧٥/١) فالصلة ، على ما بينت ، واضحة الدلالة بين الاذن من جهة والسماح والعلم بالشيء من جهة اخرى •

واذن من الاصول السامية المشتركة الشائعة لدلالاته على عضو من اعضاء الجسم ، ففي الاكدية أ^١ ز^٢ ن^٣ والاولجارية أ^٤ دن والارامية أ^٥ دن أ^٦ زن • كل ذلك بمعنى الاذن المعروف • وجاء الفعل من ذلك بالعبرية بمعنى : استمع الى ، انصت ، وفي العبرية كلا أ^٧ زن بمعنى : اعلم أنبأ (كولر - باوم جارتتر ٢٥) •

١٠- اذى (آذى)

= آلم : ١٥ مرة كله من المزيد بالالف • والاصل يدل على الألم وعدم الاستقرار (مقاييس ٧٨/١) • ولم يرد هذا الاصل الا في العربية الجنوبية في اسم علم لشخص أذى ة ، وربما اذى المضعف العين (ف • مولر ، الاصول الجوفاء والناقصة في العربية الجنوبية ص ٢٦ •) (اطروحة دكتوراه • توبنجن) •

١١- أسس

= وطّد : ٣ مرات بمضعف العين مما يشير الى ان الفعل مشتق من الاسم وهو الاس • والاصل يدل على الشيء الوطيد (مقاييس ١٤/١) • ونظيره في الارامية اليهودية أشش : أسس ، وطّد (ليفي ، معجم التلمود والمدراش ١٨٢/١) •

١٢- أسف (آسف)

= اغضب : مرة واحدة بالمزيد بالالف • والاصل يدل على التلف والاثارة (مقاييس ١٠٣/١) • ولم اجد له نظيرا في اللغات السامية الاخرى لتباعد المعاني •

١٣- أسي

= حزن : ٤ مرات • ويبدو لي ان أسي وأسو هما أصل واحد وهما متقاربان في المعنى • فاصل أسو المدواة والاصلاح والمواساة بشيء مادي كما في أسوت الجرح ، ولذلك يسمى الطبيب الآسي • ثم حمل ذلك على اسوت بين القوم أصلحت ، واسيت فلانا اذا عزيته • وقريب

من كل ذلك آسي على الشيء : حزن وفي ذلك معنى الحنو والعطف
 والمواساة • ولهذا لا أتفق مع ابن فارس في جعلهما أصليين منفصلين •
 وبناء على هذا فان نظيره في الاكدية أَسْ و : طيب ، وفي الارامية
 اليهودية والسامرية والمندائية أَسِّي داري ، شفى ومن ذلك في
 الارامية آسِيَا : طيب • وفي العبرية آسون : نازلة ، كارثة
 (كولر - باوم جارتتر ٧١) • ولم يذكر بروكلمان في الموسوعة
 السريانية ص ٣١ ، النظر العربي للاصل السرياني أَسِّي شفى ،
 آسِيَا : طيب (ليفي ، معجم التلمود والمدرش ١٢٣) •

١٤- أفك

= قلب ، كذب • ١٦ مرة • فالاصل في المعنى هو القلب وهو شيء مادي
 كما في الآية الكريمة (قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا) ٤٦/٢٢ • ثم
 حمل على ذلك قلب الامور والحقائق فصار أفك بمعنى كذب وهو أمر
 معنوي مجرد (مقاييس ١/١١٨) •
 وهو من الاصول السامية الشائعة • ففي الاوجاريتية ه پ ك : قلب ،
 اسقط وفي الفينيقية هتهيك ، والعبرية الوسيطة والارامية اليهودية
 أفخ ، والسريانية هفخ • والمندائية أفك والعبرية هفخ • :
 قلب • (كولر - باوم جارتتر ٢٤٠) •
 وهذه هي من النوادر التي تناظر فيها الالف العربية هاء في العبرية وفي
 اللهجات الكنعانية الاخر ، ومثل ذلك ألف التعدية التي تجانس هاء
 التعدية في العبرية •

١٥- أفل

= غاب • ٣ مرات • للقمر والشمس ، والاصل يدل على الغيبة وما
 يقترب بها من ظلمة أو ضالة وصغر ودقة • ولا اتفق مع ابن فارس في
 جعل هذا الباب أصليين : غيبة ، وصغار الابل • فأكبر الظن ان الدقة
 والصغر لها علاقة معنوية بالغيبة والظلام • (مقاييس ١/١١٩) •

ونظير ذلك في الاكدية $\text{آ} \text{پ} \text{آ} \text{ل}^*$: تأخر ، أبطأ ، وفي العبرية $\text{آ} \text{ف} \text{ل}$
ظلمة (كولر - باوم جارتتر ٧٧) •

١٦- أكل

= طعم • ٩٣ مرة • وهو من الاصول السامية المشتركة لانه يدل على
فعل من الافعال الحيوية •

نظيره في الاكدية $\text{آ} \text{ك} \text{آ} \text{ل}^*$ ، وفي الاوجاريتية $\text{آ} \text{ك} \text{ل}$ • كما ورد في
الارامية بلهجاتها الارامية اليهودية والسامرية والسريانية والمندائية ،
الا في الحبشية حيث لم يؤثر عنها هذا الاصل (كولر - باوم جارتتر
٤٣) •

١٧- ألت

= نقص • مرتين • الاولى كما في الآية (ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم
من عملهم من شيء) ٥٢/٢١ ، والثانية بتخفيف الهمز (وان تطيعوا الله
ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً) ٤٩/١٤ • وكان حقها ان تقرأ
بتحقيق الهمز هكذا (لا يآلتكم) كما في قراءة الحسن والاعرج وأبي
عمرو ، كما في تفسير أبي حيان (١١٧/٨) وقراءة الجمهور بالتخفيف
(مقاييس ١٣٠/١ هامش ٦) ، والاصل يدل على النقصان (مقاييس
١٣٠/١) • ولم أجد له نظيراً في اللغات السامية الاخرى •

١٨- ألف (ألف)

= وفق ، ضم • ٥ مرات • مرة بمعنى الضم الحقيقي المادي كما في الآية
(ألم تر ان الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه) ٢٤/٤٣ • واربع مرات
بمعنى الضم المجرد ، أي ضم القلوب وتآليفها •

والاصل يدل ، كما سلف القول ، على انضمام الشيء الى الشيء أو
الاشياء الكثيرة (مقاييس ١٣١/١) • وهو من الاصول المشتركة
الشائعة ، ففي الاكدية $\text{آ} \text{ل} \text{آ} \text{پ}^*$: صنم ، والارامية ألف ، يلف
مقود ، تعلم ، وفي العبرية $\text{آ} \text{ل} \text{ف}$ يعلم ، يتعلم •

ومن ذلك إلف : قطيع ، كثرة ، بقر ، حيث يجانسه في الاكلية
 آل° پ° والاولجارية آل پ : بقرة ، وفي الفينيقية والسوقطرية ألف
 : عجل • والمعنى بين ألف وقطيع أو بقرة متجانس إذ إن البقر كان في
 مقدمة الحيوانات التي جعلها الانسان الفا أو اليفة • الا انه لم يرد في
 عربتنا الف بمعنى بقرة ، وانما اطلقت هذه الصفة على الطير لا غير •
 والالف العدد المعروف هو الاخر من التأليف أي الضم فالكثرة فالعدد
 المعروف (كولر - باوم جارتنر) (٥٦-٥٧) •

١٩- ألم

= توجع • ٣ مرات • والاصل يدل على الوجع • وقد يكون للالم
 علاقة بربط أو شد الشيء بمعنى الشديد والشدة • فان كان ذا مقبولا
 فنظيره في العبرية إلم : شد ، اخرس • ويأتي الالم في لهجة
 عنه بمعنى : القيح •

٢٠- الا (يالو)

= قصر ، حلف • ٣ مرات • الوت : قصرت • أما المعنى الثاني أي
 حلف فقد يكون له علاقة بكلمة : ال : الا وهو أصل سامي مشترك :
 إلاه ، الله ، إل •

٢١- أمر

ضد نهاء ، ألزم • والاصل التفوه والتكلم ، كما في يأتمر وكما في الاصل
 السامي فيما عدا الاكدية والحبشية أمر : قال • وقد يكون التفوه
 أصلا عاما ليس مختصا بالانسان ، وانما للحيوان أيضا كما في الاكدية
 إم° ر° ، والاولجارية أم ر ، والسريانية إمرا : والعريية إمّر :
 الصغير من الحُمْلان أولاد العنان ، والامرة الرفل (لسان ٩٢/٥) •
 ومن ذلك الامر : النماء والبركة ، وأمر الشيء : كثر • ومهره مأمورة
 كثيرة الولد • فالاصل إذن الصوت الذي خص به الحيوان ثم الانسان
 وحمل على ذلك بقية المعاني • ولا اتفاق مع ابن فارس في جعل هذا

الباب خمسة اصول : الامر من الامور ، والامر ضد النهي ، والامر
النماء والبركة والمعلم والعجب . اذ ان كل هذه المعاني محمولة على
الاصل وهو الصوت الذي قد يكون للحيوان ، الامر ، قبل الانسان ،
كما في باب قال أيضا الذي يشترك فيه الانسان والحيوان والجماد
(لسان ١٤ / ٩٠ - ٩٤) ، وكما في قول العبرية أيضا الذي يشترك
فيه الجماد والانسان والالاه .

٢٢- أمن

= صدق : ٥٥٨ مرة . الاصل هو الشيء الثابت الراسخ ، ثم يحمل
على ذلك الامانة ضد الخيانة والتصديق وكلاهما من المعاني المجردة
المشتقة من معانٍ مادية . ولا اتفق بناء على هذا في جعل هذا الباب
أصلين متقاربين احدهما الامانة ضد الخيانة ، والاخر التصديق . فهذان
المعنيان متدانيان كما يقول هو نفسه (مقاييس ١ / ١٣٣-١٣٥) ويعودان
الى أصل واحد . وهو من الاصول السامية المشتركة ، فقد وردت منه
مشتقات في الاكدية ، واسم علم الأمن في الفينيقية ، وامن في
العربية الجنوبية ، وامون في السوقطرية بمعنى : يقول الحق ، يصدق ،
وفي السريانية إثامن ، وفي الحبشة : آمَنَ ، وفي العبرية نِإْمَن
ييدي صدقا ثباتا (كولر - باوم جارتنر ٦٠-٦١ ، بروكلمان الموسوعة
السريانية ٢٥) .

٢٣- آنس

= رأى . ٦ مرات . والاصل هو الانسان على ما اعتقد ، ومنه اشتقت
سائر المعاني الاخرى ، ولا اتفق مع ابن فارس في جعل معنى هذا
الاصل : ظهور الشيء ، وكل شيء خالف طريقة التوحش (مقاييس
١ / ١٤٥) فأما ما ذكره فأمر عام جدا ، والانطلاق من شيء محسوس
معين كالانسان الذي تشترك معظم اللغات السامية به أوفق وأولى .
فقد ورد في العبرية إنوش وكذلك في الارامية ، وفي السريانية

ناشا (كولر - باوم جارتتر ٧٠) كما ورد في الاوجاريتية أن ش :
صار رجلا ، و/نشم : أناس (ايستلاتيز ، معجم اللغة الاوجاريتية ٢٨) •

٢٤- أنى

= حان • مرة واحدة (ألم يآن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر
الله) ٥٧/١٦ ، والاصل يدل على الوقت • ولا اتفق مع ابن فارس على
جعله أربعة اصول : البطء ... ، وساعة من الزمان ، وادراك الشيء ،
وظرف من الظروف (مقاييس ١٤١/١ - ١٤٢) • فأننا بلطف النظر
نستطيع ان نستخلص ان هناك ما يجمع بين هذه الاصول الاربعة ،
وهو الزمن ، فالبطء وادراك الشيء والظرف كله محمول عليه ومشتق
منه •

ونظير ذلك في العبرية آن ، آنى ، آنى وفي الاوجاريتية أن
بمعنى : الى أين ، متى ، والفعل آنى بمعنى : يسبب حدوث
يقع ل (كولر باوم - جارتتر ٦٧) •

٢٥- أوب (أوب)

= ردد • مرة واحدة (يا جبال أوبي معه والطير وأنا له الحديد)
٣٤/١٠ • والاصل الرجوع (مقاييس ١٥٢/١ - ١٥٤) • وقد يناظره
في العبرية أوقوت : ركية من جلد الماعز جعل ظاهرها الذي فيه الشعر
باطنها من أجل حفظ الخمر (كولر باوم - جارتتر ١٨) •

٢٦- آد

= ثقل على • مرة واحدة (ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم) •
٢/٢٥٥ • والاصل العطف والانشاء (مقاييس ١٥٤/١) • وقد يكون
نظير ذلك أئود في العبرية ، و أئذا في الارامية اليهودية
و أئوذا في السريانية بمعنى : خشب للحرق ، من الانشاء أو
من تقليب هذه القطع في النار (ليفي ، معجم المدراس والتلمود ٣٧/١)
وقد جاء في العربية تأود العود (النبت) : تعطف وتعوج •

٢٧- أوى

= لجأ • ١٤ مرة • والاصل التجمع والميل • ولا اتفق مع ابن فارس
(مقاييس ١٢١/١-١٥٢) في جعل الاشفاق اصلا ثانيا لهذا الباب
فإن الاشفاق معنى مجرد كالحنو والعطف مشتق من الحركة المادية
وهي الانحناء والانعطاف والميل وما أشبه ذلك • ولهذا فانه يعود الى
المعنى الاول وهو التجمع والميل •

ونظيره في العبرية والعبرية الوسطية إقنا رغب اليه ، اشتاق
(كولر - باوم جارتتر ١٨) •

٢٨- أيد

= قوى • ٩ مرات • والاصل يدل على القوة والشدة (مقاييس
١٦٣/١) واظن نظير ذلك في العبرية إيد : كارثة ، سوء • وهذا
قريب من الشدة بمعنى : الضيق والسوء • ولم أجد أحدا قد ذكر
النظير العربي للكلمة العبرية (كولر/باوم جارتتر ٣٦) •

٢٩- بأس (ابتأس)

= حزن • مرتين • والاصل يدل على الشدة وما ضارعها (مقاييس
٣٢٨/١) ومن ذلك أيضا (بأس) فعل الذم الذي ورد ٣٧ مرة بهذا
المعنى ، وبئسا بزيادة ما التي بمعنى الذي ، مرتين •
ولم أجد لهذا الاصل نظيرا في اللغات السامية •

٣٠- بتك

= قطع • مرة واحدة (ولأمرنهم فليبتكن آذان الانعام) ٤/١١٩ • ولم
أجد له نظيرا في اللغات السامية الاخرى •

٣١- بتل (تبتل)

= انقطع • مرة واحدة (واذكر ربك وتبتل اليه تبتيلا) ٧٣/٨ والاصل
يدل على ابانة الشيء من غيره (مقاييس ١٩٥/١) • وهو أصل سامي

مشارك ففي الاكديّة بَ تْ و لْ : أعزب و بَ تْ لْ ة : عذراء ،
وفي الاوجاريتية بتلة : عذراء ، وفي السريانية بثولا عذراء ،
والعبرية بثولا والمعنى في كل ذلك هو المنقطع عن الزواج •

٣٢- بث

= نشر • • مرات • والاصل يدل على تفريق الشيء واظهاره (مقاييس
١٧٢/١) •
ولم أجد له نظيرا ساميا •

٣٣- بجس

= نبغ • مرة واحدة (فانجست منه اثنتا عشرة عينا) ١٦٠ / والاصل
يدل على تفتح الشيء بالماء خاصة (مقاييس ١٩٩/١) • ولم أجد له
نظيرا ساميا •

٣٤- بحث

= فتش • مرة واحدة (فبعث الله غرابا يبحث في الارض) ٥٥/٣١
والاصل يدل على اثاره الشيء في التراب (مقاييس ٢٠٤/١) ولم أجد
له نظيرا ساميا •

٣٥- بخس

= نقص • • مرات • والاصل كذلك يدل على النقص (مقاييس
٢٠٥/١) ولم أجد نظيره في اللغات السامية الاخرى •

٣٦- بخل

= امسك ، صار بخيلا • • مرات • والاصل يدل كذلك على الامساك •
والبخل معنى مجرد مشتق من معنى مادي محسوس كالامساك والمنع •
ولم أجد نظيره في اللغات السامية الاخرى •

٣٧- بدأ

= افتتح الشيء ١٥٠ مرة • والاصل يدل على الافتتاح والاستهلاك
(مقاييس ٢١٢-٢١٣ /١) •

ونظيره على ما اعتقد في العبرية بدا : ابتدع وهو من ذلك ، اي استهلال أو افتتاح الشيء أول ما يكون ، كما في البكر الولد الاول ، وابتكر ابتدع ، وفي الآرامية اليهودية بدا ، بدى ، بدى : فصل ، عزل ، وكذلك أَلَف ، ابتدع ، وفي السريانية بدا : أَلَف ومنه الكذب بمعنى التأليف كما في عاميتنا ، أي ابتكار الشيء الجديد بالمعنى السيئ ، وفي المهرية : بدو ، والسوقطرية : بدى بمعنى : كذب (كولر باوم جارتتر ١٠٨ ، ليفي ، معجم المدراس والتلمود ١/١٩٢-١٩٣ ، بروكلمان ، الموسوعة السريانية ٥٩) .

ولم يربط احد ، على حد علمي ، وكما في المصادر السابقة ، بين الاصول السامية والاصل العربي .

٣٨- بدع (ابتدع)

= ابتكر . مرة واحدة (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم) ٥٧/٢٧ . والاصل هو وقوع الشيء الجديد . ولا اتفق مع ابن فارس في جعله أصلين : ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال ، والآخر الانقطاع والكلال (مقاييس ١/٢٠٩-٢١٠) . واعتقد ان ما ذكرت وهو وقوع الشيء الجديد ، يضم المعنيين ويقربهما بعضهما من بعض بحيث تتضح العلاقة بينهما ، واذكر هنا كمثال : حدث : وقدم وحديث : جديد ، وحدث : ما وقع من خيراً أو سوء .

ولم أجد نظيره في اللغات السامية الاخرى .

٣٩- بدل (بدل)

= غيّر . ٣٢ مرة . والاصل يدل على قيام شيء مقام الشيء الذاهب (مقاييس ١/٢١٠) .

ونظيره في العبرية بدل وفي العبرية الوسيطة كذلك بمعنى : فصل ، عزل (كولر باوم جارتتر ١٠٩) .

٤٠- بدا

= ظهر ٢٧ مرة • والاصل يدل كذلك على ظهور الشيء (مقاييس
٢١٢/١) • ونظيره في التمودية أسماء اعلام مشتقة منه : ب د ي ،
ب د ي ن ، ب د ي ت ، وفي العربية الجنوبية : ب د ي ت (مولر ،
الاصول الجوفاء والناقصة ٢٩) •

٤١- بذر (بذّر)

= أسرف • مرة واحدة • (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل
ولا تبذر تبذيرا) ١٧/٢٦ • والاصل يدل على نثر الشيء وتفريقه
(مقاييس ٢١٦/١) • ومنه بَذَرَ البذر أو البزر وجمعهما بذور
وأبزار وبزور •

ونظيره في العبرية بزر : فرّق نشر ، وفي آرامية التوراة بدر
فرّق ، وفي السريانية بذر : نثر • ويبدو ان من الكلمة الاكدية
بِر ز وَ جاءت الارامية بِزَرًا والعربية بَزَر التي حقها
أن تكون بَذَر على الاصل (كولر باوم جارتنر ١٠٥٦) •

٤٢- برا

خلق ١٠ • مرات • والاصل كما اعتقد يدل على اخراج شيء من شيء
ثم حمل عليه بقية فروع الباب • فمن ذلك برا : خلق وبرى شفي ،
وتبرأ : تباعد ... الخ • ولا اتفق مع ابن فارس في جعل هذا الباب
أصلين : أحدهما الخلق ، والآخر التباعد من الشيء (مقاييس ٢٣٦/١)
ونظيره في العبرية برا خلق (الله) ، وفي العربية الجنوبية برى :
حرّر ، كما هذا الاصل في اللهجات الظفارية والسوقطرية والدثينية
والشخورية بمعان متشابهة (مولر ، الاصول الجوفاء والناقصة في
العربية الجنوبية ٢٩) ، وفي السريانية برا : خلق •

٤٣- برج (تبرج)

يبدو لي أن الاصل فيه هو البرج ومعنى البروز والظهور متأت من
الاصل لظهوره وبروزه كالعلم بمعنى الجبل وبمعنى الشهرة والوضوح .
= تزّين • مرتين • والاصل بروز ألوان وحمل على ذلك المبالغة في
التزين • أما البرج : الحصن فانها من الالفاظ اللاتينية الدخيلة في
العربية • وبهذا فان ابن فارس محق في جعل هذا الباب أصلين : أحدهما
البروز والظهور والآخر البرج (مقاييس ٢٣٨/١) •
ولم أجد نظيرا للتبرج في اللغات السامية الاخرى •

٤٤- برح

= زال ، ذهب • ٣ مرات • والاصل الزوال والبروز والانكشاف
(مقاييس ٢٣٨/١) • واظن الاصل الآخر الذي يذكره ابن فارس ،
وهو الشدة والعظم محمولا على الاصل الاول ، واذكر مثالا على ذلك
ذهب : زال ، ذهب : مات ، وهلك أيضا بمعنى ذهب ، مضى كما في
اللغات السامية الاخرى أيضا ، وهلك بمعنى : فنى ، مات • فالزوال
والفناء والشدة معانٍ متلازمة ترجع الى أصل واحد •
ونظيره في العبرية بَرَح : هرب وكذلك في الاو جاريتية ب ر ح :
فرّ ، هرب (كولر باوم جارتتر ١٤٩) •

٤٥- برّ

صدق مرتين • والاصل ، على ما اظن ، هو فصل الشيء عن الشيء ثم
حمل الصدق ، الذي هو معنى مجرد ، عليه • والذي يشير الى ذلك
أيضا اللغات السامية الاخرى • ففي الاكدية بَرّ رثّ طاهر وفي العربية
الاسلامية مثل هذا المعنى ، نقي • وفي العبرية الوسيطة والارامية
اليهودية بَرَر نقي ، اختار ، وفي العبرية الجنوبية في صيغة
المتعدي : طهّر ، نقّى • (كولر - باوم جارتتر ١٥٦) • أما بقية
معاني هذا الاصل والتي يجعلها ابن فارس اصولا قائمة بذاتها وهي :

الصدق ، وحكاية صوت ، وخلاف البحر ، وبنت فأنني اعتقد أنها ترجع الى الاصل الذي ذكرناه أولا وهو فصل الشيء عن الشيء ، فيما عدا حكاية الصوت فانها ليس لها معنى تقاس عليه . فالصدق هو الشيء الطاهر المنقى المفصول عن الشوائب ، وكذلك البر هو الجزء من الارض المفصول عن الماء ، والبر : الحنطة هو الحب المنقى المفصول عن القشرة . وهكذا ترجع هذه الفروع الى أصل واحد .

ولم أجد أحدا ربط بين الاصول السامية والاصل العربي ، مع ان العلاقة ، على ما تبدو لي ، جلية واضحة .

٤٦ - برز

= ظهر . ٧ مرات . والاصل يدل كذلك على ظهور الشيء وبدوه (مقاييس ٢١٨/١) ونظير ذلك في الارامية اليهودية ، على ما أظن ، برز : خرق ، ثقب . والمعنيان متدانيان ، فالخرق هو بروز الشيء من الوجه الآخر . وقد تكون المبارزة بمعنى المطاعنة من هذا (ليفي ، معجم التلمود والمدراش ٢٦٢/١) . ولم أجد أحدا نبه الى العلاقة بين الاصلين العربي والارامي .

٤٧ - برق

= تحير . مرة واحدة (فاذا برق البصر) ٧٥/٧ . والاصل على ما اعتقد يرجع الى البرق وما يصاحبه من ظواهر طبيعية وما يحمل على ذلك . ولا أظن ابن فارس مصيبا في جعل هذا الباب أصليين : أحدهما لمعان الشيء ، والآخر اجتماع السواد والبياض في الشيء (مقاييس ٢٦١/١) . فان لمعان الشيء هو من صفة البرق ، وكذلك البياض والسواد ، فالبرق غالبا ما يحدث في ظلام الليل فيجتمع النور والظلام . ونظيره ب ر ا ق في الاكدية ، برق في الآرامية اليهودية ، ب ر ق في الحبشية ، ب ر ق في السوقطرية ، الكل بمعنى لمع (البرق) ، وفي الاوجاريتية ب ر ق بمعنى البرق المعروف (كولر باوم جارتتر ١٥٥) .

٤٨- برك (برك)

= مجّد • ١٧ مرة ، الاصل ، كما اعتقد ، هو ركة الانسان • وهي مقلوبة من ب ر ك ، كما يدل على ذلك بقية الباب ، وكما تدل على ذلك اللغات السامية الاخرى • وركبة الانسان هي من المسميات العريقة في القدم ككل أعضاء جسم الانسان • وهي كذلك مشتركة بين اللغات الاخرى • ومن المعاني المشتقة من (ركة) هب برك : أي نزل على ركبته ، وبارك مجّد التي الاصل فيها أيضا النزول على الركبة لغرض التمجيد •

وابن فارس يجعل أصل الباب ثبات الشيء • وهذا أمر عام جدا (مقاييس ٢٢٧/١) •

ونظيره في الاوجاريتية : ب ر ك ، والفنيقية برك ، والآرامية باربخ والعبرية برك : بمعنى بارك • برخ في العبرية : ركة وكذلك في الاوجاريتية ب ر ك م ، والاكديّة ب ر ك ، ب ر ك والسريانية بثورخا والحشية برك (كولر باوم جارتتر ١٥٣ - ١٥٤) •

٤٩- برم (ابرم)

= احكم • مرة واحدة (أم أبرموا أمرا فإننا مبرمون) ٤٣/٧٩ • والاصل على ما أظن ، يدل على قتل خيطين من لونين مختلفين ومن ذلك يشتق بقية الباب ويحمل عليه سائر المعاني مثل : برم : ضجر (من القتل) ... الخ ، ولا أجد ابن فارس محقا في جعل هذا الاصل أربعة أبواب : احكام الشيء ، والغرض به واختلاف اللونين وجنس من النبات مقاييس ٢٣١/١) • فان كل ذلك ما عدا النبات مرده الى الاصل الذي ذكرناه • أما النباتات فاشتقاقها على الاغلب يبقى غامضا لعدم وضوح العلاقة في معظم الاحيان • ونظيره في الاكديّة ب ر م : فأر متعدد الالوان ، وفي العبرية برمّيم غَزَل ذو لونين مختلفين (كولر باوم جارتتر ١٥٥) •

٥٠ - بسر

= كلج • مرة واحدة (ثم نظر • ثم عبس وبسر) ٧٤/٢٢ • وهو أصل يدل على الطراءة • وجعله ابن فارس اصلين : احدهما الطراءة وان يكون الشيء قبل اناه ومنه متبسر أي متعجل وقبل النضج ، والاصل الآخر وقوف الشيء وقلة حركته • ولم يذكر ابن فارس الاصل الثاني (مقاييس ٢٤٩/١) ولم أجد في المعجمات ما يبرر جعل هذا الباب اصلين ، فان المعاني جميعها ترجع الى الاصل الاول •

ونظيره في العبرية بَسِرَ : عنب غض ، فَجَّ ، وكذلك في الآرامية اليهودية بِسِرا والسريانية بِسِرا (كولر باوم جارتنر ١٣٥ - ١٣٦) •

٥١ - بسّ

= ساق ، فَت • مرة واحدة (اذا رجّت الارض رجًا • وبسّت الجبال بسًا) ٥٦/٥ • والاصل يدل على السوق وفت الشيء وخلطه (مقاييس ١٨١/١) واحسب الاصل الاول حكاية صوت من بسبت الدابة واسبتها ، ، اذا سقتها وزجرتها وقلت لها بس بس (لسان ٣٢٥/٧) • ونظيره في السريانية بَسْبِس (بروكلمان ، الموسوعة السريانية ٨٠) •

٥٢ - بسط

= مدّ : ١٦ مرة • والاصل يدل على امتداد الشيء (مقاييس ٢٤٧/١) ولم أجد نظيره السامي •

٥٣ - بسل

= حلك • مرتين (اولئك الذين أُبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم) ٦/٧٠ • واعتقد ان الاصل يدل على عدم التثضج مع شيء من الشدة • ولا اتفق مع ابن فارس الذي يذكر ان الاصل يدل على المنع والحبس (مقاييس ٢٤٨-٢٤٩/١) ، وذلك لأن الفاظ الباب

تدل على غير ذلك ، كما ان اللغات السامية الاخرى لا تؤيد ذلك المعنى .
 فمن ذلك البسل : الشدة ولبن باسل : كرية الطعام حامض ، وكذلك
 النبيذ اذا اشتد وحمض . وخل باسل ، اذا طال تركه فاخلف طعمه
 وتغير وابسل البسر : طبخه وجففه . واما بسل بمعنى : عبس
 من الغضب أو الشجاعة فمن المحمول على ذلك . (لسان ١٣/٥٦-٥٨)
 واما نظيره في اللغات السامية ففي الاكدية بَشَلْ : يغلي
 وبَشَلْ : ناضج (مطبوخ) تماما ، وفي الحبشية بَسَلْ : أغلى ،
 وفي العمانية مبسلي : التمر المطبوخ ، وفي الآرامية والعربية الجنوبية :
 ضحى ، وفي العبرية بَشَلْ ، نضج ، طبخ (كولر باوم جارتتر ١٥٧) .
 وأما ما ورد في لهجة عنه مثل بسل وبسل بمعنى : اتقى ، اختار ، فان
 مردّه الى المعنى الذي اصلناه ، لأن المنتقى لا يختار الا الناضج من
 الثمار وغيرها .

٥٤- تبع

تلا الحق ١٥٩ مرة . والاصل هو التلو والقفو (مقاييس ١/٣٦٢-
 ٣٦٣) . ولم يرد في عبرية التواراة . وجاء في الآرامية اليهودية تبع
 بمعنى : يطلب ، يريد ، وفي عبرية التلمود تبع بالمعنى ذاته ، وكذلك
 في السريانية تبع والحبشية : تبع وفي الاكدية تَبْ .
 (لينى ، معجم التلمود والمدراش ٤/٦٢٥ ، بروكلان الموسوعة
 السريانية ٨١٤) .

٥٥- ترف (اترف)

نعم . ٣ مرات بالمزيد بالالف . والترف جاء في القرآن الكريم بالمعنى
 السيء المذموم وليس بمعنى المدح . ويبدو لي ان اصل المعنى هو
 الامتلاء بالمعنى المذموم . فالترفة : الطعام الطيب . وترف النبات ،
 تروى . والترفة كذلك : مسقاة يشرب بها . ثم حمل على ذلك المعاني
 المجردة مثل المترف : الذي قد ابطره النعمة المتنعم المتوسع في

ملاذ الدنيا وشهواتها (لسان ١٠/٣٦٠) • ولم يذكر ابن فارس أصلاً للمعنى (مقاييس ١/٣٤٥) • ومما يؤيد ما ذهبنا إليه النظائر في اللغات السامية الأخرى • ففي العبرية ترافيم : معبودة ، صنم محتقر (كولر باوم جارتتر ١٠٤١) • وفي عبرية التلمود هتريف : قبـح : فسد (القمار) ، وفي الآرامية اليهودية أتريف : سلك سلوكاً مشيناً (ليفي ، معجم التلمود والمدراش ٤ / ٦٧٤) وفي السريانية ترَف وفي الحبشية ترف ، (بروكلمان : الموسوعة السريانية ٨٣٧) •

٥٦- تقن (اتقن)

أصلح • مرة واحدة بالمزيد بالالف (صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خير بما تفعلون) ٢٧/٨٨ • والاصل ، على ما أرى ، تسوية الشيء ، وخاصة الأرض • يقال : تقنوا أرضهم بالتقن ، وهو الحمأة والطين • هذا هو أصل الباب ، ولا اتفق مع ابن فارس في جعله أصلياً : احكام الشيء ، والطين والحمأة • فالمعنيان متدانيان • والاصل ، كما ارى ، فرع من الثاني (مقاييس ١/٣٥٠-٣٥١) •

ويؤيد ما ذهبنا إليه المعاني المستفادة من اللغات السامية الأخرى • ففي الأكدية تَقَّانُ : ينظم ، وفي العبرية : يقوم ، ينظم ، وفي عبر التلمود والمدراش تَقَّنَ : يسوى ، يصطلح (الطرق والاسواق التي أثلفها المطر في الشتاء) ، ليفي معجم التلمود والمدراش ٤/٦٦٢) وفي الآرامية اليهودية تقن والسريانية تقن يثبت ، ينظم (بروكلمان ، الموسوعة السريانية ٨٣١-٨٣٢) •

٥٧- تلو

أتبع • ٦١ مرة ، مرة واحدة بمعنى مجيء الشيء خلف الشيء (والشمس وضحاها ، والقمر اذا تلاها) ٩١/٢ • وأما بقية الالفاظ الواردة في القرآن فبمعنى القراءة ، أي تلاوة القرآن ، أي اتباع الآية بالآية الأخرى • وقد ذكر ابن فارس ان أصل الباب هو الاتباع (مقاييس ١/٣٥١) •

ونظير ذلك في العبرية تَكَلَّى : علق ، وفي عبرية التلمود والمدراش
تَلَّى ، تَكَلَّى : يرفع ، وفي السريانية تَلَا رفع ، علق (كولر باوم
جارتتر ٢٩ ، ١ بروكلمان ، الموسوعة السريانية ٨٥٤ ، ليفي معجم
التلمود والمدراش ٦٤٤/٤) وفي العربية الجنوبية ت ل و : تبع ،
والحبشية : تَكَوَّ تبع (مولى ، الاصول الجوفاء والناقصة في العربية
الجنوبية ٣٣) . وقد اوردت جميع المصادر السابقة إلا الاخير تل ، على
أنه نظير عربي للاصل السامي . وهذا اشتقاق بعيد .

والادنى منه ان يقال : تلا وذلك للتجانس الصوتي . اما التباعد
الظاهر في المعاني بين المجموعة السامية الجنوبية (العربية الشمالية
والجنوبية والحبشية) وسائر اللغات السامية الاخرى ، فانه يمكن
تقريبه وذلك اننا لو نظرنا في الاصل ، علق فان فيه معنى الاتباع
والرفع .

فالتعلق بالشيء يكون على الاغلب من الخلف . يقال : تعلق بأذياله .
والمسألة المعلقة ، المشكوك فيها ، كما في عبرية التلمود والمدراش
٦٤٥/٤ (رقم ٤) .

وقريب من ذلك تلاء : خذله ، أي تركه مثل المنقطع المعلق . أما معنى
الرفع فمعروف . يقال : علق الشيء .

هذا ، كما أظن ادنى ان يؤخذ به من طلب اشتقاق بعيد مثل تلّ
لا توافق حروفه حروف الاصول السامية الاخرى ، كما ان له معاني
مغايرة لتلك الاصول .

٥٨- تم

كمل : ٢٠ مرة . والاصل يدل على الكمال (مقاييس ٣٣٩/١) .
واقرب شيء للاصل هو التم والتم : الجذع التام ، أو الشيء التام
الصلب عموماً ثم فرع عليه (لسان ٣٣٦/١٤) .

ونظيره في العبرية تم كمل ، وفي الفينيقية تم : عزم ، قرر ،
وفي الارامية اليهودية تمما والسريانية تمّما : تام كامل
(كولر باوم جارتنر ١٠٣٢ ، بروكلمان ، الموسوعة السريانية ٨٢٦) •

حرف الشاء

٥٩- ثقل

رجح : ٦ مرات • والاصل هو ضد الخفة (مقاييس ٣٨٢/١) • وهو
من الاصول السامية المشتركة ، ففي الاكدية ش ق ا ل : يزن وفي
الارامية القديمة شقل وكذلك في الفينيقية ، كما ورد في عبرية
التلمود والمدراش وفي الارامية اليهودية ، وفي السريانية ثقل
كما وردت في المندائية لفظة تيقلاتا وفي الحبشية سَقَل :
يطلق ، يزن ، وفي العبرية شقل : يزن كما ورد اشتقاق له في
الاولجارية (كولر باوم جارتنر ١٠٠٨) بمعنى : ثقل ، وزن معين •

٦٠- ثنى

طوى : مرتين • والاصل يدل على تكرير الشيء مرتين (مقاييس
٣٩١/١) وهو من الاصول السامية المشتركة ، ففي الاكدية ش ن و :
تغير أعاد • ونحن نريد معنى : أعاد هنا ، لانني اعتقد ان معنى تغير
يعود لاصل آخر على ما سنرى في العبرية • وانه قد اندمج في الاكدية
أصلان في أصل واحد •

كما ورد في الاولجارية : ث ن ي : اعاد ، كرر ، وكذلك في عبرية
التلمود والمدراش وآرامية التوراة شنه والارامية اليهودية تنا
كرر ، وفي السريانية تنا : كرر •

وذهب الباحثون الى ان سنة هي من هذا الاصل الذي من معانيه في
العبرية والاكدية : التغيير كذلك • والسنة هي الزمن والمدة المتغيرة ،
ولكن التناظر الصوتي لا ينسجم مع هذا الاشتقاق • اذ حق ان يكون
في العربية بدل سنة بالسین ثنة بالثاء • ولكي يفسروا هذا الشذوذ

الصوتي قالوا ان سنة هي لفظة دخيلة في العربية ولهذا جاءت بالسین بدلا من الثاء كما يقتضي التجانس الصوتي •

وكان الاجدى من ذلك ان يقال ان سنة هي من سنه بمعنى تغير (الطعام أو الشراب) ومنه قوله تعالى (فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه) ٢/٢٥٩ • وهذا الاصل يطابق معنى ولفظا الاصل العبري شنه تغير وكذلك الاصل الاكدي ش ن و تغير ، واما معنى شنه : كرر و ش ن و كرر في الاكدية فانهما يناظران ثنى بالعربية • وليس في كل ذلك شذوذ في الصوت أو المعنى • وهو اولى ان يؤخذ به •

٦١- ثور (آثار)

بعث ، حرث : ٥ مرات • والاصل يدل على انبعث الشيء • ويقول ابن فارس انه أصلان قد يمكن الجمع بينهما بأدنى نظر • انبعث الشيء وجنس من الحيوان (مقاييس ١/٣٩٥) • وانني متفق مع ابن فارس في الجمع بين المعنيين ، اذ ان الانبعث يجمع بينهما ، كما ان الفتح والمزق يجمع بين كلمة البقر ، وبقر البطن : شقها • وفي العبرية ما يماثل هذا بَقَار : البقر ، و بَقِر : الفجر (افتتاح الظلام) ، و بَقَر تأمل ، فكر (= تبحر بحر : شق) ، وفي آرامية التوراة بقر : بحث ، فحص • وكل ذلك له علاقة بمعنى الانبعث والاثارة •

ونظير الاصل العربي ثور ، على ما أرى ، هو شور بمعنى : ثور ، وفي الاوجاريتية ثور ، والاكدية ش و ر كما ورد في عبرية التلمود والمدراش ، وفي الارامية اليهودية تورا والسريانية تَوَرا كما ورد في الحبشية والعربية الجنوبية : ثور (كولر باوم جارتتر ٩٥٨) •

ولما كان تور في العبرية وأثار من أصل واحد ، فأنني اعتقد ان شور
في العبرية بمعنى : نظر ، تأمل و شور : ثور انما هما لاصل واحد
أيضا ، كما ان ثور وأثار العبرية والقرآن ، أي بحث ونقر فيهما وفكر
في معانيها هما لاصل واحد • (لسان ١٧٩/٥) • فيكون بهذا الاصل
العربي برمته يناظر الاصل العبري برمته • وهذا ما لم يذكره احد
من قبل ، بل انهم فصلوا بين شور : ثور وبين الفعل شور
نظر ، تأمل ، كما استبعدوا ثورا من أثار •
وهذا غير صحيح كما بينت (كولر باوم جارتنر ١٩٥٧) •

٦٢- جدل (جادل)

ناظر : ٢٥ مرة • والاصل يدل على استحكام الشيء في استرسال
يكون فيه (مقاييس ١ / ٤٣٣) • ونظيره في العبرية גדל : اشتد
عظم ، وفي الاوجارية جدل : كبير ، عظيم • ومنه على ما اعتقد في
الاكديّة גִּדֵּל دֹלָ خِيط (من البصل) وفي الآرامية اليهودية גדיל
الجديل = الجبل المفتول ، كما في العبرية גדילيم جبل مفتول
وكذلك في السريانية גדל والجشية جدل (كولر باوم جارتنر
١٧١-١٧٢) بروكلمان الموسوعة السريانية ١٠٤ ، ليفي ، معجم
التلمود والمدراس ٣٠٢/١) •

ولا اظن كولر باوم جارتنر على حق في فصل גדל : اشتد عظم
عن גדילيم جبل مفتول • فان المعنيين متقاربان يؤولان الى
أصل واحد ، كما في العبرية فان الاصل هو احكام الجبل المفتول ،
ثم استعير للقوة والشدة عموما وللجدال : الخصومة والمناظرة ، مثل
سجل وساجل •

صنع وضع • الخ : ٣٣٨ مرة • ومن العسير جدا تأصيل هذا الباب لتعدد دلالاته واستعاراته (مقاييس ٤٦١/١) • والذي يبدو لي من دراسة ألفاظ الباب ان معظمه يدل على شيء صغير محقر ، من ذلك : الجعل والجعل والجعيلة والجعالة بثلاث الجيم : الاجر (القليل) على العمل الجعال والجعالة : ما تنزل به القدر من خرقه او غيرها • والجعلة الفسيلة او الودية وقيل النخلة القصيرة • الجعول : الرآل ولد النعام • والجعل : دابة سوداء وقيل هو ابو جعران (لسان ١١٦/١٣ - ١١٩) • وجعل : صنع وعمل ووضع انما هو محمول على هذا المعنى : أي صنع الشيء الصغير ، ثم الصنع والعمل والوضع اطلاقا •

ونظيره ، كما ارى في العبرية جعل : كره استهجن وفي صيغة هِفْعِيل للتعدية يأتي بمعنى : يستمني خارج الرحم (الثور) • وهذا المعنى يناظر المعنى العربي أجعلت الكلبة والذئبة والاسدة وكل ذات مخلب وهي مجعل واستجعلت : احبت السفاد • واظن ان المقصود بذلك انها اشتهت الولد : أي الصغار من أمثالها •

وقد جاء ان الجعول : ولد النعام (كولر باوم جارتتر ١٩٠) أما في عبرية التلمود والمدراش فجاء جعل بصيغة هِفْعِيل بمعنى طهر (من مني الحيوان) الانية • (بالمني وفضلات الحيوانات = جعل : روث الخيل) لسان ١١٩/١٣ ، ليفي معجم التلمود والمدراش ٣٥٠/١ - ٣٥١) وفي السريانية گوُعَلَايَا : أمر وفي صيغة المزيد بالالف بمعنى : أمر = صنع ، عمل (بروكلمان ، الموسوعة السريانية ١٢٧) • ولم يذكر كولر باوم جارتتر ولا ليفي النظير العربي للاصول العبرية والارامية • أما كارل بروكلمان فقد ذكر الاصل العربي الا انه لم يذكر الاصول الاخرى المناظرة للاصل السرياني •

ضرب بالسوط : مرتين • والباب كما يقول ابن فارس يدل على قوة وصلابة (مقاييس ٤٧١/١) • واظن ان الاصل في ذلك هو الجلد ، جلد الانسان ، ثم حمل عليه ما غيره من فعل واسم فمن ذلك جلد : ضرب بالسوط (على الجلد) • وجلد جزورة ، اذا نزع وجلدها ، من باب السلب • والجلد صلابة الجلد ، ثم صار عاما يطلق على ما هو قوي وصلد •

ونظيره في العبرية **گيلدي** : جلد ، وفي السريانية **گلدا** : جلد بشرة • ثم حمل على ما سوى ذلك من المواد الصلدة فجاء في عبرية التلمود والمدراش **گلد** : تصلب (الماء) جمد ، وفي الارامية اليهودية **گلد** : تصلب ، كثف وكذلك في السريانية **گلد** •

أبعد : ابتعد : ١٢ مرة • ويقول ابن فارس ان لهذا الباب اصلين : الناحية والبعد (مقاييس ٤٨٣/١) ، ولا أظن هذا صوابا منه ، فان ألفاظ الباب تشير الى ان الاصل هو جنب الانسان ، ومنه اشتق معنى الناحية التي تكون الى الجنب ، والبعد الذي هو منها ، لانه متطرف وليس في القلب أو الوسط • وشبيه بهذا طرف : جنب ، وتطرف : نأى ، وناحية كذلك بالمعنى ذاته ، وتنحى : اجتنب ، اعتزل • ونظيره في العبرية وعبرية التلمود والمدراش **گنف** : سرق ، اخفى ، وكذلك في الفينيقية والارامية اليهودية **گنف** والسريانية **گنف** والاصل في كل ذلك : وضع الشيء جنبا ، أي ليس امام الناظر ثم صار المعنى : اخفاه ثم سرقه (كولر باوم جارتتر ١٨٩ ، ليفي معجم التلمود والمدراش ٣٤٤/١ - ٣٤٥) •

٦٦ - جن

ستر • مرة واحدة (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي)
٦/٧٦ • والاصل يدل على الستر (مقاييس ٤٣١/١) •
ونظيره في الاكدية *ك ز* : غطاء ، *ك ز* : ان غطى ، وفي الارامية
اليهودية *ك ن* ، وفي العربية الجنوبية ، جتن ، وفي السريانية
وفي العبرية *ك ن* ، أحاط ، دافع عن •

٦٧ - جور

ساكن ، ألجأ : ٨ مرات • وهو يدل على الميل (مقاييس ٤٩٣/١) •
يقال : جور : اسقط أرضا ، قوض • وجار على : مال على ، أي ظلم •
وأجار : ألجأ والجار معروف •
ونظيره *گور* في العبرية بمعنى : يساكن لمولى ، وفي الفينيقية *گر*
وكذلك في الفينيقية غريب • ومن ذلك *گور* ، في العبرية بمعنى :
هاجم وخاف من • وكل ذلك مشتق من الميل الى الشيء او عنه وما
يتعلق به من ظلم أو عطف أو خوف أو هجوم ولا احسب كولر باوم
جارتتر على صواب في فصل معنى : هاجم ، ومعنى : خاف من الاصل
واحتسابهما أصليين منفصلين مع ان حروفهما متجانسة في معانيهما
مقاربة (كولر باوم جارتتر ١٧٥/١ - ١٧٦) •

٦٨ - حبر

فرح : مرتين ، والاصل يدل على الاثر في حسن وبهاء على الاغلب
(مقاييس ١٢٧/١ - ١٢٨) • فالحبر : الجمال والبهاء ، والمجر : المزمّن •
ومن المحمول عليه ، الحيرة : الفرح • اما في غير الحسن فيقال : حبر
الرجل ، اذا كان يجلده قروح فبرئت وبقيت لها آثار ، والحبر : صفرة
تعلو الاسنان •

ونظيره في العبرية حبر في صيغة المزيد بالهاء • يزدان بالالفاظ ضد ،
وفي الاكدية إِب ا ر ء ، والارامية اليهودية حَقَّوْرَتا والسريانية حَقَّرَثا
كرم متعدد الالوان (كولر باوم جارتنر ٢٧٣ ، ٢٧٠) •

أما حبر واحبار فليس من هذا الاصل وانما هو من خبر • وهو من
الدخيل من حاقِر ولهذا جاء بالحاء بدلا من الخاء على الاصل •

٦٩- حج قصد ، ناظر : ١٤ مرة • يقول ابن فارس ان لهذا الاصل اربعة
معان : القصد ، والسنة ، والحجاج ، والحججة (مقاييس ٢٩/٢ -
٣١) •

ولكنني أرى ان هذه المعان كلها ترجع الى أصل واحد ، كما يستدل
من ألفاظ الباب ودلالة اللغات السامية الاخرى ، وهذا الاصل هو
الحجاج : العظم المستدير حول العين ، أو العظم النابت عليه الحاجب ،
أو العظم المطبق على رقبة العين وعليه منبت شعر الحاجب • والمتفق
عليه انه مستدير ، واطلق تشبيها أيضا على الحجة والحاجة شحمة
الاذن ، وهي مستديرة كذلك ، وصار الحجة ثقبه شحمة الاذن ،
والخرزة أو لؤلؤة تعلق في الاذن • ثم ذلك فيه معنى الاستدارة •
وما سوى ذلك فمحصول على ما قلنا ، منه حج : اذا قدح بالحديد في
العظم (أصلاً بالحجاج) ، وما يقاربه بالمعنى •

والحج المعروف هو أصلا الطواف بالبيت ، وذلك بالدوران حوله •
والمحاجة هي على ما اظن المقابلة بالنظر أصلا ثم استعيرت للمجادلة •
ويشبهها المباراة ، والمنافسة والمساجلة ... الخ (لسان ٤٨/٣ - ٥٢) •
ونظيره في العبرية حَكَّك : قفز (كالسكران) • وذلك بالدوران
كما يفعل السكران حول نفسه أو حول شيء آخر • ثم استعير ذلك
السير في موكب ، ثم أخيرا للطواف بالحج • وفي العربية الجنوبية :
ح ج ج : طاف بالحج وكذلك في السريانية أَحَكَّك ، حَكَّ : دار ، طاف
(كولر باوم جارتنر ٢٧٥ ، بروكلمان الموسوعة السريانية ٢١٨ ، ٢١٣) •

كلم ، جاء بجديد : ٦ مرات • والاصل هو كون الشيء لم يكن (مقاييس ٣٦/٢) • ومن دراسة ألفاظ هذا الباب ، ونظائرها في بقية اللغات السامية ، أرى ان الاصل في ذلك هو ما ورد في العبرية وهو حُدش : الهلال أول ما يظهر ومنه الشهر المعروف •

وقريب منه في العربية الحدث : المطر النازل في أول السنة • وأول السنة يعرف كما هو معلوم بظهور الهلال فحملت الامطار الجديدة على ظهور الهلال الجديد • كما حمل كل شيء جديد على ذلك ، فقبل حدث لكل فتى من الناس والدواب والابل والوعل ، وللامر الجديد • ومن ذلك جاء الفعل حدث : وقع أمر جديد ، وحدث : تكلم بالشيء الجديد ، وأحدث أمرا : جاء بشيء جديد • الخ (لسان ٣٦/٢ - ٤٣٩) •

ونظير ذلك كما ذكرت سابقا حُدش في العبرية الهلال أو ما يظهر ، والفعل منه جدد وفي الاوجاريتية : حدث والاكديّة إدري شش والفينيقية حُدش وآرامية التوراة حُدث وفي عبرية التلمود والمدراش حُدش والارامية اليهودية حُدث والسريانية حُدث والعربية الجنوبية : حدث وفي الحبشية حُدس (كولر باوم جارتنز ٧٧٩) •

٧١ - حرّض (حرّض)

حث • يقول ابن فارس ان لهذا الباب اصلين : نبت والذهاب والتلف وشبه ذلك (مقاييس ٤١/٢) •

ولكن من دراسة ألفاظ هذا الاصل يتبين ان الاصل هو واحد وهو الاحريض : العصفر عامة • وثوب محرض : مصبوغ بالعصفر • كما ان الحرّض والحرّض من نجيل السباخ وقيل هو من الحمض • وقيل هو الاشنان • والحرّض الجص ، والحرّاض الذي يحرق الجص ويوقد عليه النار •

وغاية القول هي ان لهذا النبات لونا أصفر أو ناريا وعليه حمل بقية المعاني مثل الضعف والفساد . يقال الحرض : الفاسد ، وحرص الرجل نفسه : أفسدها ، احرصه المرض ، اذا اشفي منه على شرف الموت . وحرص : هلك . والاحريض : الساقط ... الخ . وشبه هذا الباب الارقان واليرقان ، وارق ضعف ، سهر ، ومما حمل عليه أيضا حرص : حض ، حث . ومرده ايضا الى ما أصلناه من اللون الناري والايقاد ، مثله مثل اذكى النار ، واذكى الحمية . والحمية هي الاخرى قريبة من هذا أيضا .

وعليه فان ما ذكره ابن فارس من تفسير لكلمة حرص : المشرف على الهلاك وانها أساس حرص ، بمعنى ان من يحرص ويخالف فقد أفسد وأهلك في الآية الكريمة (حرص المؤمنين على القتال) غير صحيح (مقاييس ٤١/١ ، لسان ٤٠٣/٨ - ٤٠٥) .

ونظيره في العبرية حرص : تحمس للشيء ، هاجم وهو من المحمول على الاصل الذي ذكرناه . ولم يقرن كولر باوم جارتز الاصل العربي بالاصل العبري وانما ذكر نظيرا له حرص ، وهذا كما تبين وهم منه ، لاختلاف المعاني (كولر باوم جارتز ٣٣٦) .

٧٣- حرف (حرف)

غير ، عدل عن : ٤ مرات . ويذكر ابن فارس له ثلاثة اصول : حد الشيء والعدول ، وتقدير الشيء (مقاييس ٤٢/٢) . ولا اظنه مصيبا في ذلك فان هذه الاصول الثلاثة يمكن ارجاعها الى أصل واحد وهو : الحد : الحرف . وعليه حملت بقية المعاني فحرف كل شيء حذه ، كالسيف وغيره . ومنه الحرف وهو الوجه ، أي طرف الوجه . وانحرف محمول عليه ، أي تطرف : ذهب الى الطرف وهو الحد . وحرفته : عدل به عن الوسط الى الطرف فمال به . والمحراف : حديدة يقدر بها الجراحات عند العلاج من ذلك ، فهي كالحد ، حد السكين

أو أي آلة • وحرف واحترف : كسب باستخدامه المحراف أصلا ، ثم صار عاما أي كسب • ومنه الحرفة : المهنة ، والحريف : المعامل • (مقاييس ٢ / ٤٢ - ٤٣) • ونظيره في عبرية التلمود والمدراش حرف وكذلك في الارامية اليهودية والسريانية حرف : صار حادا ، ذكيا حرف ، وفي العبرية حِرِف : يقول قولاً حاداً ، يلوم (كولر باوم جارتتر ٣٣٥) • وكل ذلك محمول على طرف الشيء وحده •

٧٣ - حفظ

وعى : ١٢ مرة • وهو يدل على استيعاب الشيء • وهذا احسن من المراعاة التي يذكرها ابن فارس أصلا لهذا الباب (مقاييس ٨٧/٢) • ومن المجاز الحفيظة والاحفاظ : الغضب • وشبيه به وجه له أو عليه حزن أو غضب أو أحب • وذلك مرده الى الاحتفاظ بمشاعر معينة • ونظيره حفص في العبرية بمعنى : أحب ، وفي عبرية التلمود والمدراش حِفْص شيء محفوظ ثمين ، وفي الارامية اليهودية حِفْصًا : شيء ثمين وفي السريانية حَفَطَل : مجتهد في ، وفي الفينيقية محفص أمر مراد ، محبوب •

٧٤ - خبط

ضرب : مرة واحدة في قوله تعالى (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) (٢/٢٧٥) • والاصل في المعنى هو الوطء والضرب ، ثم يحمل على ذلك (مقاييس ٢٤١/٢) فخطب البعير الارض بيده : ضربها • وخطب الورقة من الشجر : ضربه ليستقط • ويحمل على ذلك انبساط : داء يشبه الجنون • وتخطب في الآية الكريمة من ذلك •

ونظيره في العبرية حبط : ضرب ، ذرى (الحنطة) وفي عبرية التلمود
والمدراس حبط ، ضرب وكذلك في الارامية اليهودية والسريانية
والحبشية حفظ : ضرب (كولر باوم جارتنر ٢٧١ ، بروكلمان :
الموسوعة السريانية ٢٠٩) •

٧٥- خذل

ترك • مرة واحدة (وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده)
٣/١٦٠ • والاصل يدل على ترك الشيء والقعود عنه (مقاييس
١٦٥/١) • يقال خذلت الوحشية : أقامت على ولدها ، وهي خذول •
وحمل على ذلك الخذلان : ترك المعونة •
ونظيره في العبرية حذل : توقف ، انتهى ، وفي العربية الجنوبية
خذل : توقف ، انتهى (كولر باوم جارتنر ٢٧٧) •

٧٦- درس

عفا ، تعلم تتبع : ٥ مرات • يقول ابن فارس ان الاصل يدل على خفاء
وخفض وعفاء (مقاييس ٢٦٧/٢) وهذا صحيح للاصل الاول ، وأما
الاصل الثاني وهو الدرس والدراسة : طلب العلم والتتبع فلا يفصله
ابن فارس عن الاصل الاول وانما يعده فرعاً منه ومحمولاً عليه •
وهذا على ما أن ، من دراسة ألفاظ الباب واللغات السامية الاخرى ،
غير صحيح • وعليه ينبغي التمييز بين أصليين : درس عفا ، وداس ،
ودرس : طلب وتتبّع •

فمن الاول درس المنزل : عفا • والدريس : الثوب الخلق ، ودرست
المرأة حاضت • ودرست الحنطة : دستها كالطريق الذي يدرس ويمشى
فيه (مقاييس ٢٦٧/٢) •

ونظيره هذا درش في عبرية التلمود والمدراس و درس بحرف
السامخ داس بشدة (ليفي ، معجم التلمود والمدراس ٤٢٦/١)
والامهرية درش ، والاكدية دُ رُ ش : أساس •

وأما الأصل الثاني وهو درس : طلب العلم ومنه الدراسة فنظيره في العبرية وفي عبرية التلمود والمدراش درش بالشين والسريانية درش : طلب تتبع بالشين كذلك ، والجشية : درس : (بروكلمان الموسوعة السريانية ١٦٨) • اما درش في الاوجاريتية فمعناها غير أكيد ، ولهذا لا يستحب الاحتجاج بها هنا •

٧٧- دلي

دفع ، دنا : ٤ مرات • والاصل يدل على مقاربة الشيء ومداناته بسهولة ورفق (مقاييس ٢٩٣/٢-٢٩٤) • وقد يكون الدلو هو الاساس ثم فرع عليه • فيقال ادليت الدلو : ارسلتها في البئر ، فاذا نزلت فقد دلوت • والدلو : ضرب من السير سهل • ومن المجاز ادلى بمحبته : اتى بها وادلى بماله الى الحاكم من ذلك • ومن المحمول كذلك ، داليت الرجل : داريته •

ونظيره في الاكدية دلّو ، استقى الماء وفي الارامية اليهودية دلا ، دلي : دلو ، استقى ، وكذلك في عبرية التلمود والمدراش ، وفي السريانية دلا والجشية دلو بالمعنى ذاته ، وكذلك في العبرية دلي • ويرجع ذلك كله الى دلو الماء من البئر (كولر باوم جارتير ٢١٠ ، بروكلمان ، الموسوعة السريانية ١٥٤) •

٧٨- ذكا (ذكى)

ذبح : مرة واحدة في الآية الكريمة (وما أكل السبع الا ما ذكيتكم وما ذبح على النصب) ٥/٣ ، والاصل يدل على حدة الشيء وتقاذ (مقاييس ٣٥٧/٢) فمنه يقال للشمس : ذكاء لانها تذكو كما تذكو النار ، والصبح : أي ذكاء ، لانه من ضوئها •

ومن معنى الحدة الذبح والنار ، ومن ضوء النار الطهارة التي هي من صفات الضوء الساطع ومن صفات النار أيضا يقال ذكيت الذبيحة وذكيت النار ، وذكوتها : زدتها اشتعالا • والذبح في ذكى فيه أيضا معنى الطهارة والنقاوة مما ليس في لفظة الذبح السائدة • ومن المحمول عليه ذكاء الانسان أي سرعة الفطنة ، يقال ذكى يذكى •

ونغيره في العبرية زكى يطهر نفسه ، وكذلك في الاكدية زَكُو ، وفي الارامية اليهودية دكا ، دكى ، وفي آرامية التوراة زاخو والسريانية دخي ، دخا : يتطهر (كولر باوم جارتنر ٢٥٥ ، بروكلمان ، الموسوعة السريانية ١٥٢) •

٧٩- ذوق

طعم ، اختبر : ٥٨ مرة • والاصل فيه اختبار الشيء (مقاييس ٣٦٤/٢) • يقال منه ذق هذه القوس : انزع فيها لتخبر لينها من شدتها • وذقت فلانا وما عنده : خبرته • ومن المجاز يقال : ذقت المأكول • والذواق المأكول والمشروب • (لسان ٤٠١/١١ - ٤٠٢) • ونظيره في السريانية داق : ضبط ، دق ، وفي الارامية اليهودية دققا دقة ، ضبط ، أدقيق : تأمل بدقة ، ديق : يظهر بدقة وتأمل (بروكلمان ، الموسوعة السريانية ١٤٦ ، ليفي معجم التلمود والمدراش ٣٨٤/١ - ٣٨٥) •

٨٠- رحم

عطف على : ٢٨ مرة • والاصل يدل على الرقة والعطف (مقاييس ٤٩٨/٢) • واظن ان الاصل في ذلك هو الرحم : رحم الاتى لان منها ما يكون ما يرحم ويرق له من ولد ، بخلاف ابن فارس الذي يجعل الرحمة هي أصل الرحم ، واعتقد ان الاولى ان يكون الشيء المادي هو أصل الشيء المعنوي المجرد كالرحمة • هذا اضافة الى ان أعضاء

الانسان هي من الالفاظ السحيقة في القدم • ويقال من ذلك : شاة
رحوم اذا اشتكت رحمها بعد النتاج ، وقد رحمت ورحمت • ثم
حمل على ذلك رحمة : رق له وتعطف عليه • والرحم : علاقة القرابة •
ونظيره في الاكدية ري م^١ والاولجارية : رحم : حب ، عطف ، وفي
العبرية رحم رحم ، احب • وقد ورد هذا الاصل في جميع اللغات
السامية الا الحبشية ، وليس صحيحا ، كما أرى ، ما ذكره كولر باوم
جارتنر من ان النظر العربي لهذا الاصل هو رخم ، فان رخم لا يجانس
في حروفه ولا في معناه الاصول التي ذكرناها ، واقرب منه ، كما قلنا ،
هو رحم (كولر باوم جارتنر ٨٨٥) •

أما بروكلمان فقد ذكر مذكرنا ، من أصل عربي للاصول السامية
الآخري (بروكلمان الموسوعة السريانية ٧٢٣) •

وأما نظير الرحم فهو ري م^١ في الاكدية رَحْمًا في الارامية اليهودية
ورَحْمًا في السريانية •

٨١- رغب

طلب ، أراد : ٤ مرات ، يذكر ابن فارس معنيين لهذا الاصل : طلب
التجاء والآخر سعة في العيش (مقاييس ١٥/٢) • وأظن ان المعنى
الاول يرجع للآخر • فان السعة في الشيء قريب منها الاحتواء والضم •
ومن ذلك الرغبة في الشيء واليه وعنه • ورغب النفس : سعة الامل
وطلب الكثير • ورغب : اتسع وواد رغب : واسع وطريق رغب كذلك •
والرغب : الواسع الجوف • رجل رغب الجوف ، اذا كان آكولا ،
حوض رغب وسقاء رغب : واسع • ومحمول على ذلك رغب : طلب
اراد : حرص على الشيء (لسان ١/٤٠٦-٤٠٨) ونظيره في العبرية
رعب : جاع ، أي رغب في الاكل • فالمعنيان متدانيان وفي عبرية
التلمود والمدراش هِرْعَيْف ، وفي الاولجارية : رغب : جاع ولم يقرن
كولر باوم جارتنر الاصل العربي بالاصول السامية الآخري ، وذكر

بدلا منه رعى : وهو أصل لا يتفق مع الاصول الاخرى لا من جهة
حروفه ولا من جهة معناه (كولر باوم جارتتر ١٩٨) • وكذلك لم
يورد ليفي ذكر الاصل العربي رغب نظيرا للاصول الاخرى ، كما لم
لم يورد أي أصل عربي آخر (معجم التلمود والمدراش ٤/٥٨) •
أما ايستلايتنر (معجم اللغة الاوچاريتية ٢٩٥) فقد ذكر : رغب الا
انه لم يفسر اشتقاقها ومعناها •

٨٢- زلف (ازلف)

قرب : ٤ مرات • الاصل يدل على اندفاع وتقدم في قرب الى شيء
(مقاييس ٣/٢١) ويبدو لي من دراسة بقية المعاني في اللغات السامية
الاخرى ان الاصل هو اندفاع الشيء رويدا رويدا •

يقال الزلف : الاجاجين الخضر التي تقطر ماء عند امتلائها ، أو الصفحة
الملتئة وعلى التشبيه المرأة • والزلفة : البركة تطفح • والزلف :
مصانع الماء جمع زلفة : مصنعة الماء • الزلف : الغدير • المزلفة القرى
التي بين البر والبحر ... الخ (لسان ١١/٣٨-٤٠) •

ونظير ذلك في عبرية التلمود والمدراش زلف : قطر ، انزل قطرة
قطرة ، وكذلك في الارامية اليهودية ، زلوف : اندفاع الخمر من
الآنية (ليفي ، معجم التلمود والمدراش ١/٥٣٩) وفي السريانية :
زلف ، زلفتا : رفاء ، محارة مثل زلفة : محارة (لسان ١١ / ٣٩ ،
بروكلمان الموسوعة السريانية ١٩٨ • هذا ولم يورد ليفي في معجمه
النظير العربي للاصول السامية خلاف بروكلمان في موسوعة • ومن
نزول الماء أو أي سائل آخر قطرة قطرة جاء معنى الاقتراب : الزلف
والزلفة والزلفى : الدرجة أيضا • وازلف الشيء : قرب • ولهذا يكون معنى
الآية (وأزلقنا ثم الآخرين) ٦/٦٤ ، أي : قربناهم من الماء • والزلفة
الطائفة من أول الليل من ذلك أيضا •

٨٣- زلق (ازلق)

صعق • مرة واحدة (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر) ٦٨/٥١ • والاصل يدل على تزلق الشيء (مقاييس ٢١/٣) • ويمكن ان نضيف الى ذلك قولنا : الاصل يدل على تزلق وبرق • اذ ان مرد ذلك الى الماء الذي ينزل من السحاب مصحوبا بالبرق ، كما تشير الى ذلك ألفاظ الباب في اللغات السامية الاخرى • يقال : الزلق الزلل بسبب وجود الماء وكذلك المكان أزلقت الحامل : اذا ألقت ولدها ، أي اذا ألقت الماء ولم تقبله رحمة • الزلق الذي اذا دنا من المرأة رمى بمائه قبل أن يغشاها • تزلق : اذا تنعم حتى يكون لونه بريق وبصيص • والتزلق صبغة البدن بالادهان ونحوها • واما يزلقونك بأبصارهم في الآية الكريمة ، فأظن ان أقرب شيء الى معناها هو الآية الكريمة (يكاد البرق يخطف أبصارهم) ٢/٢٠ ، أي أي يكادون يبريق أبصارهم أن يخطفوك ويصرعوك (لسان ٩/١٢ - ١١) •

ونظيره في الارامية اليهودية زليقا : برق وفي السريانية زليقا : شعاع ، برق ، وفي صيغة المزيد بالالف : ابرق ، لمع (بروكلمان الموسوعة السريانية ١٩٨) • هذا ولم يذكر ليفي ، معجم التلمود والمدراش (٥٣٩/١) النظر العربي للاصول السامية ، بينما اتى بروكلمان على ذكره في موسوعته •

٨٤- سب

شتم : مرتين • اصلان ، احدهما يدل على القطع ثم اشتق منه الشتم (مقاييس ٦٣/٣) والآخر ، السبب : الحبل وهو من أصل يدل على طول وامتداد (مقاييس ٦٤/١) •

فمن الاصل السب : العقر ، يقال سببت الناقة ، اذا عقرتها • وسب : شتم ونظير هذا في السريانية سِبّا : عورة (بروكلمان الموسوعة السريانية ٤٥٤) وفي الاوجاريتية ، على ما أظن سب ، من سبب ، وفي عبرية التلمود والمدراش سبب يحوم ، يقطع ، وفي الارامية اليهودية سوفا : اطار حدود ، وفي العبرية سبب يتحول ، يدور يلتفت ، يجلس حول مائدة ••• الخ (كولر باوم جارتتر ٦٤٦) • وما لاريب فيه ان هنالك صعوبة في الربط بين معنى القطع ومنه الشتم في العربية والسريانية وبين معنى الدوران والتحول والاحاطة الذي في العبرية والارامية • ولكن أقرب تفسير يترامى لي هو المعاني المستفادة من قطع في العربية ومنها المجاز : قطع مسافة ، والقطيعة : الهجران ، وفي الدعاء على الانسان في اللهجات عندنا بمعنى : بعد وهجر • الا ان الذي يبدو لي والله أعلم ان في معنى سب ونظائره القطع بشكل دائري ، وليس القطع عموما فقط ، وعندئذ يقرب الى التصور اشتقاق معنى : قطع المسافة والاحاطة والالتفات والحوم • وقد أورد كولر باوم جارتتر سنن : جعل نظيرا للاصول السامية ، وهذا على ما أظن ، بعيد في حروفه وفي معانيه الاخرى عن الاصول السامية •

أما الاصل الثاني لسب في العربية فهو السبب : الحبل ، وكل ما يتوصل به الى غيره ، كما في الآية الكريمة (فليرتقوا في الاسباب) ٢٨/١٠ ، وقد تسبب اليه : توصل ، والسب : الحبل في لغة هذيل والسبب والسبيب والسبية المضلة من الشعر (لسان ٤٣٨/١ - ٤٤٢) •

ونظير هذا في السريانية شَف : ذهب ، وارسل شَفَى : أورده ، جمع وربد (بروكلمان ، الموسوعة السريانية ٧٤٩) وفي الاكدية شِب : حزام وهكذا لا نكون خرجنا بهذا الاشتقاق عن القاعدة المعروفة في تجانس الحروف في اللغات السامية : وهي : -

١ - شين في الاكدية = شين في العبرية = شين في الارامية = سين في العربية •

٢ - سامخ في العبرية = سامخ = الارامية = سين في العربية •
فتكون النتيجة انه قد اندمج في العربية أصلان أحدهما فيه سين منقلبة عن شيء والآخر فيه حرف س أصلي ، وهما متباينان في المعنى •

٨٥ - سجر

اوقد ، ملأ : مرتين • يقول ابن فارس ان لهذا الباب ثلاثة اصول : الملء والمخالطة والايقاد (مقاييس ١٣٤/٣) • وادنى من ذلك بدلالة اللغات السامية الاخرى أيضا ان يكون له معنيان بدلا من ثلاثة : الملء ، والايقاد • واما المخالطة فأظنها مشتقة من الايقاد ، لان من لوازم النار تعدد الالوان ولاسيما الحمرة والسواد والبياض • فاذا قيل : عين سجرء اذا خالط بياضها حمرة فانه من هذا الباب • وكذلك السجير : الصاحب والخليط من الايقاد والمرارة التي تصاحبه ، كما يقال : صديق حميم •

فمن المعنى الاول ، الملء : البحر المسجور : المملوء • ويقال للموضع الذي يأتي عليه السيل فيملؤه : ساجر • ومنه أيضا : الشعر المنسجر : المسترسل من كثرته (مقاييس ١٣٤/٣) ونظيره في العبرية سَگَرِير مطر مدرار ، وفي عبرية التلمود كذلك بالمعنى ذاته ، وفي الارامية اليهودية سَگَريرا والسريانية سَگَرَا : مطر غزير ، وكذلك في السامرية أسَگَر (كولر باوم جارتنر ٦٥٠) •

وقد فصل كولر باوم جارتنر وبروكلمان (الموسوعة السريانية ٤٦٠) هذا الفصل عن سَگَر في السريانية وسَگَر في العبرية وسَگَر (في الارامية اليهودية وآرامية التوراة و : س ج ر في الاوجاريتية

والكل بمعنى : اغلق ، سد • ولا احسب هذا صحيحا فان المعنيين
متقاربان ، فقد يغلّق الشيء بعرض ما أو بماء وفي العربية غلب على
ذلك الماء • وإن جاء أيضا ان الساجور : القلادة أو الخشبة التي توضع
في عنق الكلب • سجر الكلب والرجل : وضع الساجور في عنقه
(لسان ١٠/٦) وهكذا نكون قد وجدنا النظائر السامية الموافقة
للاصل العربي لفظا ومعنى •

وأما الاصل الآخر فهو الايقاد يقال : سجرت التنور : أوقدته •
والسجور : ما يسجر به التنور والحطب •

ونظائره شگر في السريانية أشگر (في الارامية اليهودية بمعنى :
أوقد كما احسب ان شگر في السريانية وشگر في الارامية
اليهودية بمعنى : رمى من ذلك أيضا • اذ ان الاصل هو رمى الحطب
في النار للايقاد ، ثم اجرى ذلك على عموم الاشياء • وقد فصل
بروكلمان وليفي هذين المعنيين عن بعضهما وفسر بروكلمان
السريانية بأنها صيغة = شفعل من : جرد متابعا في ذلك المستشرق
شولتهايس • وهذا طلب بعيد المتناول (بروكلمان الموسوعة السريانية
٧٥٦ ، ليفي معجم التلمود والمدراش ٥٠٩/٤) •

٨٦- طحي

بسط : مرة واحدة • في الآية الكريمة (والسماء وما بناها • والارض
وما طحاها) ٩١/٦ ، والاصل يدل على البسط والمد (مقاييس
٤٤٥/٣) ، يقال : طحا بك همك : ذهب ، مد ، الطاحي : الممتد
(لسان ٢٢٧/١٩ - ٢٨٢) • ونظيره في العبرية كِمְطַחֲתִי قִشִּית
رمية قوس (كولر باوم جارتنر ٣٥١) •

محا ، غطى : ٥ مرات • وقد ورد الفصل في القرآن الكريم مرتين
مقتربا بحرف الجر (على) ، وثلاث مرات بدون ذلك • والاصل يدل
على محو الشيء ومسحه (مقاييس ٤٢٤/٣) وبمقارنة هذا الاصل
باللغات السامية الاخرى يمكن ان نقول ان الاصل يدل على اختفاء
شيء في شيء آخر مثل : الطامسة : الجبال التي غطاها السراب فلا
تري • وطمس في الارض : دخل فيها اما راسخا واما واغلا • وطمس
يتعدى ولا يتعدى ، وانطمس : محى ودرس • وفي القرآن الكريم
(ولو شئنا لطمسنا على أعينهم) : أي غطينا فصاروا كالعميان •
وقوله تعالى (من قبل ان نطمس وجوها) : أي نحوها ونخفيها
(لسان ٤٣٢/٧ - ٣٣) •

ونظيره في الارامية اليهودية طمش وفي السريانية : غاص ، غط في
الماء وغيره • وقريب منه جدا المعنى المتداول في لهجة العراق : طمس
بضم الطاء بلهجة بغداد ، وبفتحها في اللهجة الشمالية بمعنى : غاص أو
غط في الماء •

ولم يقرن أحد هذا الاصل العربي بالاصول السامية الاخرى ، على
ما أعلم • أما بروكلمان فقد ذهب الى ان النظر العربي للاصول
السامية آتفة الذكر هو : طمش وانني اعتقد ان معنى طمش بعيد عن
الاصول السامية المذكورة وأقرب اليها الاصل الذي ذكرناه وهو
طمس (بروكلمان : الموسوعة السريانية ٢٨٠ ، ليفي : معجم التلمود
والمدراس ١٦٧/٢) •

جار على : ١٠٩ مرات • ويذكر ابن قارس لهذا الاصل معنيين :
احدهما خلاف الضياء والنور ، والآخر وضع الشيء غير موضعه تعديا
(مقاييس ٤٦٨/٣) ولكن من دراسة الالفاظ السامية المناظرة نستطيع

ان نقول ان الاصل واحد وهو : الظلام ومن هذا احتمال معنى الظلم والتعدي . واشير هنا الى عشق من العبرية والارامية بمعنى : ظلم ، اضطهد ، وغسق الليل اذا أظلم . فالظلام والظلمة من المعاني المادية التي يمكن ان يشتق منها معاني مجردة كالظلم والجور والاضطهاد وقريب منه أيضا : ليلة غدرة : أي مظلمة وما اشتهر من ذلك من معنى الغدر والكيد (مقاييس ٤/٤١٣ ، لسان ١٢/١٦٢) .
ونظير ظلم في الاكدية ص ل ا م : اسود ، وفي الارامية اليهودية ظلم والسريانية ظلم : اضطهد طالوتيا ظلم ، اضطهاد (بروكلمان : الموسوعة السريانية ٢٧٧ ، ليفي ، معجم التلمود والمدراس ١٦١/٢) .

٨٩- عبس

تجهم ، غضب : مرتين . والاصل يدل على اليأس ومنه اشتق تكره الشيء (مقاييس ٤/٢١١) . فالتعبس : ما يبس على هلب الذنب من بعز وغيره . وهو من الابل كالوذح من الشاء . وفي الحديث : أنه مر بابل قد عبست في أبوابها ثم اشتق منه : اليوم العبوس : الشديد الكرية ، وعبس الرجل يعبس بوسا .

ونظيره في العبرية عبس : يبس ، جف (كولر باوم جارتتر ٦٧٨) .

٩٠- غرف (اغترف)

اخذ ، تناول باليد : مرة واحدة في الآية الكريمة (ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده) ٢/٢٤٩ . يقول ابن فارس ان هذا الاصل لا تنقاس كلمه بل تتباين (مقاييس ٤/٤١٨) ، وقوله تتباين صحيح ، ولكن قوله لا تنقاس غير صحيح على ما اظن . فالاصل كما تدل الفاظ الباب يدل على اقتطاع شيء . فمن ذلك غرف الماء واغترفه وما اشتق منه وحمل عليه ، ومنه غرف ناصية الفرس جزها وحلقها . ومن المحمول على القطع والاقتطاع : ناقة غارقة وخيل مغارف : سريعة (لسان ١١/١٦٩-١٧٣) .

ونظيره في الاكدية $\text{أ}^{\text{ر}} \text{پ}^{\text{ر}} \text{پ}^{\text{ر}}$ ، $\text{أ}^{\text{ر}} \text{پ}^{\text{ر}} \text{پ}^{\text{ر}}$: سحاب وفي عبرية التلمود
مَعَرَف عَنان قطر الغيث ، وفي العبرية عرف يقطر وعرف (العنق)
= غرف الناصية : جزها وقطعها ، وغرف الشيء قطعه فانعرف انقصف :
انعرف العظم : انكسر •

يتبين مما تقدم ان غروف يدل على الانقطاع سواء اغتراف الماء وما
اشتهر منه مثل نهر غراف : كثير الماء وغيث غراف : غزير ، أو قطع
الشيء وكسره •

ولهذا لا احسب كولر باوم جارتسر محقا في جعل عرف : يقطر
وعرف يكسر أصلين وانما هما أصل واحد (كولر باوم جارتسر
٧٣٨) • كما لم أجد أحدا قد فطن الى النظر العربي للاصول السامية
الآخري •

٩١- نحت

قطع ، نقص برا : ٤ مرات ، ثلاث مرات تتحدث الآيات عن نحت بيوت
من الجبال ومرة تتحدث عن نحت اصنام لعبادتها • والصفة الغالبة هي
نحت الحجر ، وقد تتعلق الآية الرابعة بنحت الخشب •

والنحت يتضمن حفر الشيء وقطعه وتسويته • فالمعنى هو الدخول في
الشيء من أعلى الى أسفل والنفوذ فيه ثم تسويته حسب الصورة
المطلوبة ويقول ابن فارس ان الباب يدل على فجر شيء وتسويته
بحديدة (مقاييس ٤٠٤/٥) • ولا أظن ان استخدام حديدة شيء
لازم • فقد ينحت بأي شيء • فالحافر النحيت الذي ذهب حروفه ،
وجمل نحيت : اتتحت مناسمه (لسان ٤٠٣/٢) • والنحيت : الطبيعة
من طبع ، والغريزة من غرز والكل فيه معنى الدخول في الشيء من
أعلى الى أسفل •

ونظيره في الاوجاريتية : ن ح ت : سوى ، قشر (ايستلايتنر ، معجم
اللغة الاوجاريتية ٢٠٤) وقد وردت اللفظة ايضا في ارامية العهد

القديم نزل ، وضع ، هوى وفي السريانية نحث : نزل ، هبط ،
وفي العبرية : نحت غار ، تغلغل ، عمق (الشقوق) سواها (كولر
باوم جارتتر ٦١١ ، بروكلمان الموسوعة السريانية ٤٢٤) • والهم يشير
هذان المصدران الى النظر العربي الذي ذكرناه للاصول السامية
الآخري • الا ان بروكلمان ذكر نظيرا آخر هو : حت ، وكما تبين
لا تتناظر حروف هذا الاصل مع الاصول السامية ، كما ان المعنى
أيضا مختلف وان كان فيه بعض معنى الاصل السامي • اما ايستلايتتر
فقد ذكر الاصل العربي الذي ذكرناه وهو : نحت نظيرا للاصل
الاولجاري ، ولكنه اهل ذكر الاصول السامية الآخري لعدم ثقته
من تجانس معانيها مع المعنى في العربية والاولجارية وهذا لا مسوغ
له ، لان معاني الاصول كلها متماثلة كما بينا •

٩٢- هم

أراد : ٩ مرات • والاصل يدل على جريان وديب (مقاييس ١٣/٦) •
همني الشيء : اذا بني ، وانهم الشحم : ذاب • السحاب الهاموم :
الكثير الصوب والهميمة : المطرة الخفيفة والريح اللينة الهبوب •
الهوام حشرات الارض وهم في رأسه : جعل اصابعه تدب في خلال
شعره • ومن المجاز الهم : الحزن لما يسبب من حركة وقلق • وهم
بالشيء : أراد فعله ، أي تحرك لفعله • والهمة من ذلك ، وكذلك
الهام : العظيم الهمة : أي ارادة الفعل • واهمني : أقلقني أي حركني •
ونظيره في العبرية هم : يثير الاضطراب والحركة (في معسكر)
يستفز (الناس من مكان) ، يحرك (كولر باوم جارتتر ٢٧٣) •
وفي عبرية التلمود هم : بحث ، أثار الاضطراب وفي الارامية
اليهودية بحث في الارض ، سبب اضطرابا (ليفي : معجم التلمود
والمدراش ٤٧٦/١-٤٧٧) •

ولم يذكر كولر باوم جارتتر ولا ليفي نظيرا عربيا للاصول العبرية
والارامية •

مصادر البحث

أ - المصادر العربية

- ١ - ابن فارس ، احمد القزويني (مت ٣٩٥٠ / ١٠٠٥) : معجم مقاييس اللغة . نشر عبد السلام محمد هارون ، ٦ ج . القاهرة ١٣٦٦-١٣٧١ هـ .
- ٢ - ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي (مت ٧١١٠ / ١٣١١) : لسان العرب . عشرون ج . طبعة مصورة عن طبعة بولاق (سلسلة تراثنا) الدار المصرية للتأليف والترجمة . القاهرة .
- ٣ - الجواليقي ، موهوب بن احمد (مت ٥٣٩ / ١١٤٤) : المغرب من الكلام الاعجمي . نشر وتحقيق احمد محمد شاكر . القاهرة ١٣٦١ / ١٩٤٢ .
- ٤ - عبد الباقي ، محمد فؤاد : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم (سلسلة كتاب الشعب) مطابع الشعب . القاهرة .
- ٥ - القرآن الكريم : تفسير الجلالين . المطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٨٥ هـ .
- ٦ - معجم الفاظ القرآن الكريم (منشورات مجمع اللغة العربية) مجلدان . ط ٢ . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٣٩٠ - ١٩٧٠ القاهرة .

ب - المصادر الاجنبية

1. Aistleitner; Josef: Worterbuch der Ugaritischen Sprache, Hrsg. von Otto Eissfeld. Akademie Verlag. Berlin 1963.
2. Brockelmann, Carl: Lexicon Syriacum. Editio secunda aucta et emendata. Halis Sax. 1928.
3. Couemi, Moustapha: Le Verbe dans le Coran, Racines et formes. Paris. Klincksieck 1966 (Etudes arabes et islamiques. Serie 3 Etudes et documents VI).
4. Fraenkel, Siegmund : Die aramaischen Fremdwörter im Arabischen. Leiden 1886.
5. Jacobi, Renate: Review of: Moustapha Chouemi, Le Verbe ... (In Oriens. Vol. 21-22/1968-69. S. 396. Leiden. E.J. Brill 1971.
6. Koeler, Baumgartner: Lexicon In Veteris Testamenti Libros Leiden 1953.
7. Levy, Jacob: Neuhebraisches und chaldaisches worterbuch über die Talmudim und Midraschim. 4. Bde. Leipzig 1876-89.
8. Muller, W. Walter: Die Wurzel Mediae und Tertiae Y/W in Altsudarabischen. (Inaugural Dissertation).
9. Wensinck, A. J.: Concordance et indices la tradition musulmane. Tom. 1-4ff. Leiden 1936—62ff.
10. Zimmern, Heinrich: Akkadische Fremdwörter als Beweis für babylonischen Kultureinfluss. 2. Aufl. Leipzig.

علم اجتماع الثورة وخصائص المجتمع الثوري

د . فوزيه العطيه

استاذة علم الاجتماع المساعد

كلية الآداب / جامعة بغداد

المقدمة :

من المتفق عليه بين علماء الاجتماع ان علم الاجتماع وليد الازمات الاجتماعية والثورات . وبالرغم من المكانة المرموقة التي يحتلها هذا العلم والنتائج الايجابية التي حققها فان فرعاً من فروع ، هو علم اجتماع الثورة ، لا زال يعاني من الاهمال ، رغم الدراسات العديدة التي قام بها عدد من المفكرين الكبار ، امثال جون لوك J. Locke في انكلترا وجان جاك روسو J.J. Rousseau ومكسمليان روبسبير M. Robespierre في فرنسا وتوماس جيفرسون Th. Jeferson وجورج واشنطن G. Washington في امريكا الشماليه وغيرهم ، في مجال الثورة وحق الشعب في القيام بها والبواث لنشوبها . لقد اتسمت تلك الدراسات بالطابع المثالي ، الامر الذي ترك اثره السلبي المباشر في نمو وتطور علم اجتماع الثورة في الازمنة الحديثه . فقد استخلص جون لوك النتائج التي توصل اليها عبر الاحداث الاجتماعيه والسياسيه وعبر عنها بمذهبه الخاص بسيادة الشعب وحقه في الثورة . حيث يرى ان التعاقد بين الشعب والملك ضروري لتنظيم العلاقة وسيادة السلام في المجتمع ، ولكنه يرى ضرورة اقرار حق الشعب في الثورة ، حينما تتجاوز سلطة الدولة حدود التفويض الممنوح لها ، لالغاء العقد والاطاحه بالسلطه . الا انه اعتبر الملكيه الخاصه حقاً طبيعياً مقدساً لا يمكن الغاؤه او المساس به .

ان تلك الدراسات لم تكشف عن العوامل التي تؤدي الى نشوب الثورات ، وانما اكدت فقط على ان الاساليب الثورية والثوره تتطلبها الحقوق الطبيعيه للانسان وليس بسبب نضج وتطور الحاجات الماديه اللازمه للتغير والتطور الاجتماعي . لقد مهدت تلك الافكار المثاليه ، الطريق للتحويلات الاجتماعيه والاقتصاديه العميقه في المجتمعات الحديثه . وقد نشر فرانسوا شاتوبريان F. Chateaubriand مؤلفه الموسوم (محاولة تاريخيه سياسيه واخلاقيه في لندن عام ١٧٩٧ ، درس فيه الثورات وعلاقتها بالثوره الفرنسيه ، وقد استخدم في دراسته منهج المقارنه . وذهب الى ان الثوره تعني انقطاع التاريخ ، اي انها تفصل بين مرحلتين حيث ان الفكر والاخلاق والقوانين تتناقض في الفتره التي تعقب الثوره عما قبلها^(١) .

وحدد للثوره مجالها الطبيعي الخاص ودائرتها التي يحدد محيطها الشعب أو قائد محنك ذو قدرات خارقة تمكنه من تحقيق اهداف الثوره . لقد بقيت نظره شاتوبريان هذه غير معروفه ، وظل مؤرخو الثورات يدورون في صراع حاد ويخوضون في متاهات مختلفه من اجل تحديد اسباب الثوره وحدودها التاريخيه الخاصه بها . وقد سيطرت في أواخر القرن الثامن عشر افكار رواد الفلسفه الالمانيه الكلاسيكيه المناوئه للاساليب الثوريه . فقد عارض ايمانويل كانت Kant الثوره ودعا الجماهير للخضوع الكامل لرأي حاكم ارهابي ، وقد كانت عقيدته الاصلاح لا الثوره ، وعلى يد الصفوه elite أو السلطه لا على يد الجماهير او الشعب .

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر بدأ علم الاجتماع البرجوازي يعارض افكار الثوره الاجتماعيه ويرفض مبادئها ويضع بدلها مفهوم التطور

(١) شاتوبرياند مفكر فرنسي (١٧٦٨ - ١٨٤٨) ، هاجر الى اميركا ثم عاد اثناء الثوره الفرنسيه الى فرنسا ثم هاجر الى انكلترا وعاش فيها في عام ١٧٩٢ . انظر

André Decouflé, *Sociology des Révolution*, P.U.F. France
1960. p. 5

الاجتماعي الذي يمكن ان يتحقق بصورة تدريجية وتلقائية لاحداث التغيرات الاجتماعية المطلوبه .

وقد شبه هربرت سبنسر الثورة الاجتماعية بالابوة والمجاعات التي تؤدي الى خلق الاضطراب الاجتماعي والتفكك وتؤدي الى احداث الفوضى بدلا من النظام والاستقرار . كما أعلن فردريك نيتشة F. Nietzsche العدا للثوره ورفض التغيرات الاجتماعية الفجائية والجذرية (٢) .

ان علم اجتماع الثوره يتعرض لخطر كبيره تتحدد بهوية الذين يبحثون فيه ، الامر الذي أدى الى اختلاف النظريات التي يقدمها علماء الاجتماع لتحديد معنى الثورة .

معنى الثورة وانواعها :

يؤكد اغلب المؤلفين الذين كان طموحهم دراسة الثورات دراسة مقارنة من اجل التوصل الى تحديد السمات الاساسيه للثوره ، على ان دور علم اجتماع الثوره يمكن ان يختلف تبعا للاتجاه الفكري للباحث في هذا الموضوع ، حيث ان هذا العلم يجمع بين افكار وقيم متنوعه يمكن للملاحظ ان يميز بينها ويحدد هويتها .

لقد اجمع المؤلفون الاوريون المحدثون على الربط بين الثوره والتصنيع واعتبروا التصنيع من خصوصيات الجماعات التي تتمكن من استيعاب المنافع الاجتماعيه التي يحققها ، ولذا فهي لا تتمكن من معرفة مزاياه وتوضيحها ، اما القادة الثوريون فيمكن تصنيفهم الى فئات وشرائح مختلفة وذلك مثل المثقفين والعمال والفلاحين والعسكريين . اما المفهوم الواسع الانتشار فهو (القوى الثوريه) ، التي يعتمد في وجودها على العمل الجماعي في المجتمع ، وهي بهذا التحديد يمكن ان تضم الطبقة العامله او الفئات الفلاحيه أو المراتب الوسطى التي تخضع وتدعن لمصالحها ولضغط الاحداث الثوريه او لتلقائيتها التي تحددها قدراتها المختلفه .

(٢) ايوري كرازين ترجمة شوقي جلال ، علم اجتماع الثوره ، دار الثقافه الجديده ١٩٧٤ ، ص ١١ .

لقد تنوعت تعريفات الثورة واختلفت اختلافاً متباعداً حتى وصلت الى اخضاع اهم التحولات الثورية والانقلابات العسكرية والتعديلات الوزارية اليها فمجموعة الدراسات التي قدمها مركز الدراسات الدولية في جامعة برنستون والتي تضمنها كتاب « الحرب الداخلية » حيث تمثل الثورة الموضوع الرئيس فيه وقد جاء فيه « ان الثورة تعنى محاولة استخدام العنف أو التهديد بالعنف لتغيير ساسة حكومة او تغيير الحكم^(٣) . » وهذا يؤكد ان تعريف الثورة لم يقتصر على تغيير سياسة الحكومة فحسب وانما ضيق الدائرة فحصرها بالتعديلات الجزئية التي يتعرض لها نظام الحكم أو التعديلات السياسية الطفيفة .

ويعرف المفكر الانكليزي برينتون الثورة بانها « محاولة خارجه على القانون وتتسم عادة بالعنف لغرض تغيير الحكم القائم »^(٤) . هذا التعريف يقتصر على العلاقات السياسية البسيطة ويمحو الحدود الفاصلة بين الثورة التي تهدف الى اجراء تغييرات جذرية شاملة وبين التغييرات السياسية الجزئية التي قد لا يترتب عليها أي تغير جوهري في الحياة الاجتماعية والحضارية . كما يتضمن هذا التعريف مفاهيم الثورة والثورة المضادة . اما سيجمون نيومان S. Neuman فيقول « ان الثورة تعني التحولات الجذرية للتنظيم السياسي والبنية الاجتماعية ونظام الملكية الاقتصادية بل ويشمل حتى الاسطورة السائدة »^(٥) . ويعتبر الثورة طفرة في التطور التاريخي وبذلك يفصل بينها وبين الانقلاب الا انه لا يفصل بين الثورة والثورة المضادة .

ان الثورة الاجتماعية تمثل صورة من صور الانتقال من وضع الى آخر ، ويكون الهدف الاساسي فيها الغاء العلاقات الانتاجية التي تعوق التقدم الاجتماعي . وقد تحدث اثناء التحولات الفجائية الثورية ثورة مضادة

(٣) يوري كرازين ، المصدر السابق ص ٢٦ .

(٤) نفس المصدر ص ٢٧ .

(٥) وهذا ما يمكن ملاحظته في مسار الكثير من الثورات في البلدان النامية .

أو فترات وفاق سياسي ، وهذا هو السبب في ان الثورة الاجتماعية يجب ان تصاحبها ثورات سياسية وذلك مثل الثورة الفرنسية بين عامي ١٧٨٩-١٨٧١ ، التي استغرقت زمناً طويلاً . وتعمل الثورة السياسية على اكمال مهمة الثورة الاجتماعية ، وهذا ما جعل الثورة الاجتماعية صورة من صبور الانتقال الفوري من وضع اجتماعي - اقتصادي بال الى وضع اكثر تقدماً في خاصيته المميزة له ومحتواه السياسي ، من اجل انتقال السلطة السياسية الى الطبقات الثورية في المجتمع .

ان أية محاولة لفهم وتعريف الثورة بمعزل عن سياق الاوضاع الاجتماعية الاقتصادية المميزة سيحول دون مشاركة علماء اجتماع الثورة في تحديد مسارها ولا يمكن ايضاح الميكانيكية التي توضح كيفية نشوء وتطور العملية الثورية .

وثمة عدد من علماء الاجتماع عملوا في اطار المنهج البنيوي الوظيفي بهدف كشف المصادر الموضوعية للتغير الثوري داخل نسق الظواهر الاجتماعية . ومن ابرز ممثلي هذا الاتجاه تالكوت بارسونز T. Parsons الذي يعتبر الثورة انحرافاً مرضياً يؤدي الى خلخلة التوازن في بناء السلطة . اما روبرت ميرتون فيطرح مفهوماً خاصاً به اسماء « الاختلال الوظيفي » ليرز من خلاله الصراع الاجتماعي في النظرية الوظيفية البنيوية . ويعتقد ميرتون ان الاختلافات الوظيفية قد تؤدي بالمجتمع الى حالة عدم التوازن والاستقرار ، وهنا يصبح التمرد هو الرد أو الاستجابة لهذه الحالة ، وعندما يصبح التمرد مستقراً في جزء أساسي من المجتمع فانه يشكل قوة كامنة للثورة التي تعيد تشكيل البنية المعيارية والبنية الاجتماعية^(٦) .

6. Robert K. Merton, Social theory and social structure, Enlarged edition, New Delhi, 1968 p.p. 109—245.

ويرى جونسون ان النموذج المجتمعي الوظيفي البنيوي قد يعتبر انعكاساً لمجتمع مستقر Static • وان الصفة الاساسية لهذا النموذج المثالي هي حالة السكون والتوازن ، وهذا مالا يمكن تحقيقه بصورة تامه • وان أي نظام يتعرض لخلل في احد اجزائه ينعكس اثره على النظام برمته • ان الظواهر التي تسبب اختلالا في توازن المجتمع والتي تتطلب اجراء علاجا لاستعادة التوازن ، مثل تلك الحالة نسميها اختلالا وظيفيا • (٧) وان هذا الاختلال الوظيفي الذي يتعرض له المجتمع يوجب التعديل أو التغيير ، واذا قاومت السلطة هذا التغيير وتجاوز الاختلال الوظيفي القدرة على تغيير النظام فان التغييرات تكتسب طابعا ثوريا اي ان الصراع بين المؤسسات الاجتماعية والتناقضات القائمة بين البنى والعمليات الاجتماعية المختلفة يؤدي الى وقوع الثورة • وان كان هذا التفسير لا يكشف عن الاسباب التاريخية للثورة الاجتماعية ، أي لا يشير الى مصدر الاختلال الوظيفي أو التناقضات، ولا يميز بين مظاهر الاختلال الوظيفي وبين التناقضات التي تظهر في اي مجتمع سواء تلك التي تؤدي الى الثورة أم التي لا تؤدي اليها •

ان علم اجتماع الثورة يجب ان يسند بدراسات علميه مقنعة عن الحركات الثورية وان تشابهت الثورات الشعبية • والثورة تمثل النظام المادي والفكري المناقض لفترة ما قبل الثورة وتعني محاولة التفتيش عن مستقبل افضل ، وهي تقيض الركود والمحافظة ، وبالتالي فهي تمثل ظواهر اجتماعية تغير المجتمع وتقلب أوضاعه وتقطع بين مرحلتين متناقضتين •

ان صفة انثوره الشعبيه هي الاستمرار وعدم التوقف • وان الافكار الثورية في علم السياسة ظهرت في القرن الثامن عشر ، حيث ان مونتسكيو أعلن بأن النظام الطبيعي للثورة الشعبية هو « روح القوانين » ، ولكن حتى رجال الفكر بما فيهم روسو ومونتسكيو وثوار فرنسا عام ١٧٨٩ أنفسهم لم يعطوها المعنى الجديد وربما يمكن ان تفسر انثوره من خلال التقاليد

(٧) يوري كرازين ، نفس المصدر السابق ص ٣٠ .

الاشتراكية وتقاليد الثورة المضادة التي سادت في القرنين التاسع عشر والعشرين . والثورة في الانسكلوبيديا الاشتراكية تعني « الجهود المكرسة لتحقيق الانتصارات للحركات العمالية ، وهي التغيرات الجذرية والشاملة للنظام والمفاهيم والمبادئ ، وهي تعني التحرر الانساني والاجتماعي »^(٨) .

والثورة تعني لدى معظم المفكرين المعاصرين « الخلق التاريخي »^(٩) . وهذه النظرة للثورة تفرض التمييز بين الاصلاح والثوره وكذلك بين الثوره والانتفاضه . فالثوره سريعه على عكس الانتفاضه التي تمتد لفره زمنيه اطول ، فثوره ١٨٣٠ في فرنسا كانت بمثابة انتفاضه *Insurrection* لانها امتدت لمده ثمانى عشره سنه . أما كمونه باريس ١٨٧١ ، والتي حاول أعداؤها وصفها بالانتفاضه البسيطه فهي في الواقع ثوره دامت بضعة أسابيع فقط .

ان هذا التمييز بين الثوره والانتفاضه لا يتناقض مع ما وصفت به الانتفاضه من حيث كونها وسيله خاصه للاستحواذ على السلطه بالقوه .

ومما سبق يبدو ان علم اجتماع الثوره ما زال في بدايه ظهوره ، وان الثوره ما زالت تشغل افكار المنظرين السياسيين وعلماء النفس الاجتماعى ، ومن المفيد ان نستعرض الابحاث الاساسيه التي حددت محتوى الثوره وقوانينها في هذا المجال .

يربط أغلب الباحثين تاريخ علم اجتماع الثوره بالثوره الفرنسيه ١٧٨٩ - ١٧٩٩ ولكنه تفرع الى اتجاهين الاول سلمى مثل بمدرسه تيريز Thiers ، والآخر يميل الى العنف وممثل بمدرسه ميشليه Michelet .

ان نظريه الثوره السياسيه الفرنسيه للقرن التاسع عشر أيدت امكانيه قيام الثورات ضمن اطار الثوره الفرنسيه ، ويعتقد توكفيل Tocqueville بان ليس هنالك حدث اكبر واطول مدى واكثر تهيئه من الثوره الفرنسيه

(٨) اندريه دو كفيله ، المصدر السابق ص ١٢ - ١٣ .

(٩) اندريه دو كفيله ، المصدر السابق ص ١٣ .

لعام ١٧٨٩ ، فالتقدم العلمي يسير جنباً الى جنب مع المعرفة « بالديمقراطية » المتصاعده في المجتمعات الصناعيه . الا ان دراسة الثوره وتحديد معناها اتجه اتجاهاً خاصاً في فرنسا ، لان الباحثين الذين اهتموا بدراسة هذه الظاهره بدأوا من منطلقات نفسية وذاتية مثل تارد ولوبون ودوفيليس . Tarde, Lebon و De Felice .

• كما ان دراسات ميرلو - بونتي Merleau-Ponty والعنف في مؤلفه « الانسانيه والعنف » وجان - بول سارتر في مؤلفه نقد « المذهب الديالكتيكي العقلاني » وغيرهم من الفرنسيين الذين بحثوا في الحركات الثورية كانوا بعيدين عنها في دراساتهم تلك بعض الشيء . لقد فسر سارتر مشروع الثوره على انه عملية كسب جمعي يتساوى فيه الجميع ، واعتقد بان الاحكام التي وضعها الاجتماعيون في وصفهم للثوره كانت متسرعه وغير واقعيه ، وغير موضوعيه، خصوصاً في تفسيرهم لسلوك الفرد في موقف الجماعة الثوريه ، وما يخضع له من تغيرات نفسيه وعقليه تدفعه الى العمل الجمعي المشترك . ويعتقد سارتر ايضاً انه ليس هنالك موقف ثوري مثالي ، الامر الذي يتطلب الوقوف على الجوانب المتشابهه والمختلفة في الثورات لتحديد معناها . وقد يكون الرعب الجمعي احد الجوانب المتشابهه في الثورات والذي يؤدي الى خلق الجمع الثوري ، لذا يجب التعرف على وظيفة الرعب وتحليل العناصر التي تخلق الجمع الثوري .

ان دراسة الثورات والظواهر الحشديه في فرنسا والتي اتجهت اتجاهات فلسفيه تقابلها دراسات أخرى في أمريكا الشمالية اتجهت اتجاهاً آخر استند في تحليل الثوره وتحديد معناها على نقد الثوره الروسيه ١٩١٧ وامتدادها في اوربا الغريبه بعد الحرب العالميه الاولى ووصفت هذه الدراسات الثورة بكونها تتعارض مع النظام والحرية الديمقراطية وتؤدي الى عرقلة التغير ، كما اعتقدوا بإمكانية التنسيق بين الصراع والعلم لخلق مشروع الثوره المضاده ، واهم من برز في هذا الاتجاه سوروكن بارسونز ومورنيو وغيرهم،

وقد ربط سوروكن بين الثورة وفساد السلوك البشري في مختلف مجالات الحياة من اقتصادية ودينية وخلقيه وجمالية وقد وصف الثورة بأنها عبارة عن خدعه^(١٠) تؤدي الى افساد الشعور نحو الملكية وعلاقات العمل وعلاقات الرئيس بالمرؤسين والاتجاهات الدينية والخلقية والجنسية .. الخ، وخصوصا في مؤلفه الذي وضعه عام ١٩٢٥ « علم اجتماع الثورة » .

لقد تطور النقد الى حد حمل عدداً كبيراً من علماء الاجتماع الى الرغبة في منع الفلاسفه من استخدام النظرية الديالكتيكية مثل منطق الحرية الذي يربط الجماعة بالتاريخ . ان هذه الظاهرة تكمن في كيفية تمكن علم الاجتماع من تحليل الثورة وتحديد معناها وأنواعها من خلال الصراع الذي يقتسمه العالم اليوم ، والذي يمكن تفسيره بأنه صراع بين الحضارة التقليدية والحضارة الثورية ، بين المحافظه والتحرر .

عوامل نشوب الثورة :

ما هي طبيعة العوامل التي تؤدي الى نشوب الثورة ونجاحها ؟ هل هي ظروف المجتمع الصناعي والاضاع الاقتصادية والاجتماعية المتناقضة فيه ؟ ام هي الظروف والاضاع السياسي والاقتصادي والاجتماعي التي يعاني منها المجتمع النامي أو المتخلف ؟

يعد علم اجتماع الثورة نموذجاً للتغير الاجتماعي المادي والفكري وان مجال علم الاجتماع يتحدد بدرجة مساهمته في الازمات التي يجابهها المجتمع وان مسألة الواقع الفلسفي لعلم اجتماع الثورة لا يمكن معالجته بمعزل عن التصور الاجتماعي للثورة نفسها .

ولاختيار مواد الملاحظة الخاصة في الطريقة الثورية في العالم بشكل عام وما يمليه الفكر البشري من ايدولوجيات وتفسيرات ، فان علم اجتماع

الثورة يجب ان يسترج بالمذاهب الثوريه والتحليل العام • ولا يكفي لعلم اجتماع الثورة ان يميز بين الظواهر الثوريه والحركات الاجتماعيه الاخرى، وذلك للتوصل الى فهم التغيرات الفكرية والاجتماعية والابتعاد عن وضع الاوصاف التي تذهب الى وضع نموذج للثورة متذرعين بان الثورات يجب ان تخضع لحدود معينة والحقيقة ان الثورة يمكن اعتبارها عملية تجديد مستمرة لا يمكن قياسها بظواهر محدودة وانها لا تتحقق بمجرد الوصول الى الحكم ، لان الثورة صراع طويل بين الطبقات الاجتماعيه الكادحة من جهة وبين مستغليها من جهة اخرى ، وهذا يعني ان مهام الثورة تتجدد وتتحدد من خلال الآفاق الجديدة التي تتوغل فيها ، وان هذه الآفاق تشكل المعالم الجديدة التي تواجهها كل ثورة في حدود واقعها المتميز وظروفها المفروضة.

هنالك رأيان في تحديد اسباب الثورة ، الاول يرى ان الثورة تحدث نتيجة للانتقال الفكري والتغير الحضاري ، وهذا هو رأي العلماء الغربيين امثال دركايم Durkheim وبارك Park وسوركن Sorokin • اما الرأي الآخر فيرى ان اسباب الثورة هو النزاع الاقتصادي ، كما يعتقد الاشتراكيون • الا ان الثورة عند اصحاب هذين الرأيين هو امر حتمي يفرض نفسه على الانسان والمجتمع فرضاً • والتغيرات الحضارية الحتمية في المجتمع تؤدي الى أحداث أزمة حضارية « ثورة » تؤدي الى تغير النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي من شكل الى اخر • ان فقدان التوازن وقيام الثورة يؤدي دائماً الى تغير نحو الافضل ويساعد على قبول الجماعات للتغيرات الحضارية المطلوبة على اختلافها • فالتغيرات والاصلاحات قد تلاقي الفشل اذا لم تأت نتيجة حدوث ازمه « ثورة او ما شاكلها » (١١)

(١١) قد تؤدي بعض الحركات الاجتماعيه كالانقلابات مثلاً الى احدث
الاصلاحات السطحية وليس الجذرية كما تفعل الثورة .

Maurice Duverger, Sociologie de la Politique, P.U.F.

Frane 1973, P. 216.

ان الثورة الاجتماعية ليست ظاهره قائمه بذاتها ، بل تتغير دائما بسبب مجموعة من العلاقات الاجتماعية المتصارعة ، كما ان الطبيعة الموضوعية للثورة لا يمكن تحديدها دون الاشارة الى النظام الاجتماعي - الاقتصادي القائم في المجتمع . فطبيعة التناقضات الاجتماعية والاقتصادية هي التي تؤدي الى حدوث الازمات الاجتماعية (الثورة) . وان الحاجة الملحة لحدوث تحول نحو نظام اجتماعي اقتصادي افضل هي التي تؤدي الى الثورة .

ويسكن تصنيف الثورات بحسب طبيعة القوى الاجتماعية واتمائاتها الطبقيه الى ثلاثة اصناف رئيسيه هي (١٢) :

١ - الثورة ضد النظام العبودي

٢ - الثورة البرجوازية

٣ - الثورة الاشتراكية

ان نمط الثورة الاجتماعية يتحدد بطبيعة الفئات المشاركة فيها وبالتركيب الطبقي للشرائح الاجتماعية ودرجة الوعي الاجتماعي والسياسي لها وطبيعة العلاقات الاجتماعية التي تربط فيما بينها . وهذه المؤشرات تحدد عمق التغيرات الثورية وطبيعتها سواء كانت ثورة تقودها صفوفه (١٣) ، اي نخبه تمثل مجموعه من الافراد يتميزون بخصائص وقابليات « غير اعتيادية » ، أم تقودها المنظمات الجماهيرية الشعبية .

ويعتقد سارتر في مؤلفه « نقد الديالكتيكه » ، ان الثورة عميله كسب جمعي ، يتساوى فيه الجميع ويبحث سارتر عن الجوانب المتشابهة في الثورات

(١٢) عبد المنعم الغزالي الجبيلي ، تاريخ الحركة العمالية والنقابية في العالم منشورات مكتبة النهضة بغداد ١٩٦٤ ص ٩ - ١٥ .

(١٣) ان مفهوم الصفوه او النخبة اثير من قبل المفكرين الليبراليين وذلك لمعارضته المفهوم الماركسي في الطبقات الاجتماعية ، حيث يرفض اصحاب هذا الاتجاه وجود طبقه في المجتمع الرأسمالي ويعتقدون بوجود تراتب اجتماعي تمثل فيه ظاهرة الحراك الاجتماعي وليس الصراع الطبقي .

قبل حالات القلق الجمعي والرعب الجمعي والعنف الجمعي وما تتركه من أثر في المجتمع الثائر ، والتغيرات التي يخضع لها الفرد في موقف الجمع الثوري بحيث يصبح قادراً على العمل الجمعي المشترك . ان تحول القلق الثوري او الجمعي الى هياج جمعي يشتد بتأثير عوامل نفسه - اجتماعيه تهيج الى احداث الثورة ، واحداث السلوك الجمعي الهائج والمنظم ضمن ايديولوجيه معينه لتحقيق اهداف تبغيها ، فتوزع الادوار بحسب مستلزمات الحركة الثوريه تبعاً لمراحلها المختلفه^(١٤) .

لقد لاحظ بعض علماء الاجتماع مثل سوروكن ومورينو وبارسونز وغيرهم ، الذين أثارتهم الثورة الروسية عام ١٩١٧ وامتدادها في أوروبا الغربية بعد الحرب العالمية الاولى واعتقدوا بأن حدوث الثورة سيسبب تعارضاً بين النظام والحريات الديمقراطية نادوا بضرورة قيام الثورة المضاده لاعتقادهم بان الثورة تعرقل التغير والتقدم في المجتمع .

فمستلزمات دراسة الثورة تلزم الباحثين بتحليل كل ثورة منذ بداياتها ، وان هذه الدراسة يمكن ان تمر خلال ثلاثة مستويات ، العلاقات العامه بين الثورة والمجتمع الكلي ، وخصائص المشروع الثوري وانماط ادراك الجوانب الحقيقيه لمشروع الثورة . وعندما تتسع الشقة بين الجماهير وبين الطبقة الحاكمة وتتناقص الثقة بين السلطة وأعمالها وتنتشر التيارات الفكرية الجديدة المناوئه للسلطة ويظهر الارتباك والتحلل في التنظيم الاجتماعي وتضعف قوة ونفوذ السلطة السياسيه في المجتمع وتتضاءل كفاءة الفئة المشرفه على النظام الاجتماعي - الاقتصادي القائم ، تظهر الازمات الاجتماعيه وتتفاقم الكوارث وتصعد من نضال الجماهير وتزيد من نفقتهم ، وقد يعبر عنها بالتظاهر الجماهيري او الاضرابات المتواليه او باغتيالات بعض الزعماء البارزين في السلطة ، ومن الطبيعي ان يصاحب ذلك قلق جمعي واضطراب حشدي ويصبح المجتمع مهياً للعمل الثوري .

14. Jean Stoetzel; La Psychologie sociale Flammarion, Paris 1963, P.P. 230—233.

ان الوضع الثوري يرتبط بالبؤس العام . فالمجتمعات الصناعية والمدن الكبرى تضم عادة فئات اجتماعيه كثيره تعيش على هامش المجتمع مثل المتسولين والمشردين والعاطلين عن العمل ، وهؤلاء يحسون في اعماقهم بالشعور بالثوره على النظام القائم ، اما في المجتمعات الناميه ، في اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينيه ، فان نفس هذا الشعور يظهر لدى الجماهير الفلاحية في الريف وبين الفئات الفقيرة في المدينة . الا ان هذا البؤس لا يؤدي الى الثوره ما لم يظهر التنظيم وما لم يكن هناك هدف وصوره لنموذج المجتمع ونظامه المرغوب فيه ، ويطلق فرانسويرو François Perroux على هذه الصورة « الصورة الرائدة » . اما بول هنري شومبارت دولو P.H.C. De Lauwe فيؤكد على ان المشروع الثوري الجمعي هو اكثر من مجرد صورته وهو سلوك مشترك يعمل على تحسين اوضاع المجتمع من خلال اشراك الجماعات كليا فيه . وهناك نموذجان من المشاريع الثوريه يمكن التمييز بينهما : المشروع المتحكم المسيطر والمشروع الثوري . والمقصود بالاول المشروع ذو النظام المستبد والذي هو عبارته عن مجموعه متناسقه من المشاريع الفرديه (الليبراليه) Néo-Libéralisme تتركز فيها خطورة تناقض المؤسسات المعارضه لصالح المؤسسات الشعبيه . أما المشروع الثوري فهو يتعارض مع المشروع المسيطر « المشروع القائم »^(١٥) ، وهو يتصف بكونه جماعيا .

ان هذا يجب الا يؤدي الى الخلط بين تجربة البرت كامو Albert Camus التي تؤكد على ثورة الانسان الراض الذي يعاني من ثورة ذاتيه خياليه تتعارض مع اساس العدالة التي تدفعه الى رفض الظلم والثوره عليه وبين المشروع الماركسي للثوره الذي يستند على اسس موضوعيه ماديه ، يعاني

Pierre Laroque, Les classes sociales, P.U.F.
FRANCE, 1968, pp. 19-23.

(١٥) بيلاروك

منها المجتمع والفئات ذات النسبة الغالبة فيه ، حيث يعتقد كامو ان الانسان
الرافض والثائر سيعتاد « احترام الثورة » ولا يعتقد بوجود قوى اخرى
تتحكم بمصيره . (١٦)

هنالك اختلاف بين المشروع الثوري غير المنظم وبين الجماهير المنظمة
التي تسعى الى ممارسة السلطة . وان خصائص الجمهور او الحشود ومفهوم
المشروع الثوري تؤدي بالضرورة الى المقدرة على الانتقام بحسب النموذج
العقلي السائد في ذلك الجمهور وطبيعة ظروفه ومقتضيات مصالحه ، والتي
تحدد بموجه مسيرة الثوره . فقد تتخذ الثوره صورته دمويه أو ثوره
سلميه وذلك بحسب طبيعة الظروف الموضوعيه السائده في المجتمع .

فالتمييز بين الصوره والمشروع « اللذين اشرنا اليهما في الصفحات
السابقه » ، يمكن ان يجنبنا صوره الثوره الدمويه او السلميه ، وان تحليل
المصطلحات الثوريه هو الذي يحدد شكل مساهمتها ، وهذا دليل على الهوة
الفاصلة بين التعبير الشعبي للمشروع الثوري وبين حاله الاوليه
التي تمثل التنافس بين الجماعات الاجتماعيه المختلفه من أجل الاستحواذ على
السلطه .

فالثورة لا تؤدي الى تراكم العنف ولا الى ظهور مجموعه مؤسسات
فردية مختلفه ، وانما هي تستند على تخطيط (مشروع) لتحقيق المجتمع
السعيد الخالي من البؤس . ومن هنا تبدو ضرورة تحليل مفهوم الثوره
وتمثيلها للعسل الجمعي المحرك لها وفيما تحققه من نتائج عمليه . وعلى
المستوى الفردي قد يبدو المشروع الثوري وكأنه عالم جديد يحقق له
المكاسب التي يسعى اليها .

(١٦) اندريه دو كفيله ، نفس المصدر ص ٢١ .

فالثورة الثقافية الصينية مثلاً ، ترفض العالم القديم الذي سبق الثورة
وتسعى لتغيير المجتمع عن طريق الثورة • ومن الطبيعي ان يتحدد المشروع
الثوري في هذه الحالة بطبيعة المجتمع وظروفه الموضوعية فهو يختلف في
المجتمعات النامية من حيث انها تعاني من فقر وبؤس عام عنه في المجتمعات
الصناعية التي يعزز فيها الواقع اوضاعاً واحوالاً مختلفة كل الاختلاف عن
تلك المجتمعات •

فالمشروع الثوري في المجتمعات النامية تقوده الفئات الوسطى
(البرجوازية المتوسطة) ، التي تشكل اقلية بالنسبة للجماهير الفقيرة ، الا
انها تبعد في الوقت ذاته مساهمة الجماهير الفقيرة في الاداره والابداع
الفكري ، الامر الذي يؤدي بهم الى التفكير بخلق مشاريعهم الثورية التي
تنسجم مع طبيعة حياتهم وتطلعاتهم • فتظهر الطبقات الفقيرة وكأنها تخوض
اتفاضات تلقائية من باب الضغط على السلطة •

ان الحركات الثورية في البلدان النامية تعاني من سلبيات عديدة ، تؤدي
الى ان تتجه الثورة فيها الى احاطة نفسها بمعتقدات سائدة في تلك المجتمعات
وان هذه الروح الثورية التي تتصاعد لدى الجماهير في البلدان النامية وغير
القادرة على قياس مضمون رسالة التحرر لا تتمكن من انجاز التحرر
الجماهيري • ان المشاريع الثورية في المجتمعات النامية تبرز غالبيتها بين
الدين والسياسة وغالب ما تتخذ الدين واجهه لتحقيق الاهداف السياسية في
مرحلة معينة • فالحركات السياسية كثيراً ما تصطبغ بالصبغة الدينية ، وتتخذ
الدين واجهه لها من اجل تحقيق اهدافها • ولعل الحركات المناوئة للحكم في
العصر العباسي كالزنج والقرامطة والبابكية قد اعتمدت الدين واجهه لها
وادعى اصحابها انتماءهم الى البيت العلوي لغرض التأثير على الجماهير
واكتساب تأييدها • وقد تأخذ الحركات الثورية طابعاً آخر عندما تستند
الدين وسيلة من اجل استثارة الجماهير لندفاع عن حقها عندما تتعرض الامة
الى الخطر او يتعرض الوطن الى الغزو •

ان علم اجتماع الحركات الاجتماعية والتغيرات الاجتماعية يهتم
بالوظيفة الدينية في البلدان النامية من اجل الصراع ضد الاستعمار واخذه
شكل مقاومه شعبيه للدفاع عن الوطن ضد السيطره الاجنبيه ، اذ يمكن عن
طريق العامل الديني استقطاب الجماهير وخلق نوع من التضامن بينهم لخوض
الصراع ضد الاستعمار والتحرر من سيطرته . لان تشتت الجماهير الكادحه
في البلدان النامية وسمو الروابط العائليه يؤدي الى نوع من الشعور
الجماعي تجاه العائلة أو القبيلة أو الدين ، والشعور بالتفرد نحو الوطن أو
الامة احياناً .

وقد يكون الدين سلاحاً ذا حدين احياناً ، حيث يمكن استخدامه في
الشكل المعاكس ، لان الاستعمار الذي يركز على الاقطاعيين وشبه
الاقطاعيين الذين يثلون الحليف التاريخي لسياسته وكل المرتكزات التي
يعتمدها تنوُب عندما تجد تحولاً جماهيرياً ينشط لاستعادة الحق وانهاء حالة
الاستعباد . وفي اطار هذا التحرك يتوجه المستعمرون الى محاولة تمزيق
الوحدة الوطنية وايجاد الخنادق بين الفئات الشعبيه عن طريق الدين لامرار
ما يهدفون الى تحقيقه وذلك بايجاد المظلات التي يمكن ان تستظل بها تلك
المحاولات وبذلك يستخدم الدين استخداماً مناهضاً لتطلعات الجماهير
ويسخر رجاله تسخيراً يبعدهم عن المهمة السمحاء التي جاء بها الدين .

ان الثورة لا تستطيع تحقيق بعض المفاهيم المقترحه ، فالتمييز بين
الاصلاح والثورة مسألة تحتاج الى دراسة ظروف كل منهما وظروف المجتمع
الذي تولد فيه ، فالثوره تتصف بكونها سريعة وحاسمه ، اما الاصلاح فيأخذ
طابع الانجاز وفق فترات زمنية طويله نسبياً .

وكذلك الامر بالنسبة للثوره والانتفاضه ، فالانتفاضه تعني الاصلاح
الاجتماعي ، اما الثوره فتحقق تغيرات جوهرية اساسيه في المجتمع وكذلك
بالنسبه للزمن فالانتفاضه تستغرق وقتاً اطول في الوقت الذي تنتهي الثوره
نهايةً سريعاً وحاسماً .

اما بالنسبة للمجتمعات الصناعية ، فان المشروع الثوري يبدو اكثر غموضاً وتشعباً ، حيث ينقسم غالبا الى مشاريع ثانوية ، وحيث يكون الفقر غير مستبعد فيها ، الا ان ذلك يبدو هامشياً كما يشير الى ذلك فيكسيلار

J. Wresinski وفريزنسكي J. Labbens ولاينز J. Vexliard

وما تيلارت A. Mattelart .. وغيرهم (١٧) .

ان استبعاد الفقر باعتباره مؤثراً في انجاز المشروع الثوري ، لا يمكن ان يؤخذ به ، فالفقير الذي اكتسب صفة الفقر نتيجة تسوله أو عدم ممارسته لمهنة وأصبح عاطلاً يبدو غير متأثر بتأثيرات النظام القائم . لان المسافة الاجتماعية التي تفصل بين هذه الفئة الفقيرة الهامشية في المجتمعات الصناعية ضيقة نسبياً وهي في نفس الوقت لا يمكن قياسها باعتبارها غير واضحة . وان عدم قدره لهذه الفئة على المساهمة في المشروع الثوري تكون بسبب كونها تشكل أغلبية غير مؤثرة في المجتمع . وان غموض موقع هذه الفئة في المجتمع يسبب تشتتها وعدم تنظيمها هو الذي يحدد علاقتها بهذا المشروع الثوري . ان هذه الفئات الهامشية في مجتمع تركز مؤسساته ونظمه الاجتماعية على العدل والمساواة الاسطورية تتناقض وموقعها الاجتماعي ، حيث تعيش وكأنها فئات منبوذة اجتماعياً بشكل غير مشروع الامر الذي يشد هذه الفئات الى المشاريع الثورية بحكم ظروفها الخاصة في المجتمعات الصناعية التي تظهر فيها مجاميع متجانسة مع نفسها من جهة ومختلفة عن الفئات الأخرى في المجتمع من جهة أخرى ، الامر الذي يؤدي الى شعورها بكونها فئات اجتماعية تختلف عن بقية الفئات في المجتمع . الا ان طبيعة المجتمعات الصناعية وكون الفئات الهامشية قليلة نسبياً وذات اثر محدود

(١٧) ينتظر ما سبق .

لا يولد لها الشعور بالقدره على تغيير المجتمع^(١٨) كما هي الحال بالنسبة للمجتمعات النامية حيث تعيش جماهير غفيرة بحالة فقر وبؤس وتشعر بسبب زيادة نسبتها بالقدره على تغيير المجتمع عن طريق العنف الجمعي والثوره •

في هذه الظروف تبدو الامور غامضة ، لان الفقر يمكن ان يؤدي في الفئات ذات الوضع الهاشمي وبمستوى الطموح الى الحد الادنى لخلق الظروف النفسيه والتنظيميه الضروريه من اجل الشعور والاحساس اللازم للتناقضات بين هذه الفئات الفقيرة والفئات الاجتماعيه التي تسيطر على المجتمع بصوره عامه وعليها بشكل خاص •

ان المشروع الثوري يعمل على تغيير الحياه اللانسانيه للانسان عن طريق تحقيق المجتمع المتناسق • وان الجماهير الفقيره التي تحافظ على تقاليدها تتضمن قدرة الثوره على تحقيق المجتمع المتجانس ، وهنا يكمن القاسم المشترك بين هؤلاء الناس والثوره لان كلا منهما يسير من اجل انجاز الحدث واكتمال السيطره •

وكما يعتقد توماس منزر Thomas Münzer ، ان الثوره الفلاحيه في فرنسا عام ١٥٢٤ تعني العنف وتمثل في الوقت ذاته العالم القدسي حيث يعامل الانسان بلطف • فان الثورة الماوتسية الصينيه تمثل الحلم الذي كان يساور الفلاحين الفقراء بتحقيق مجتمع العدل والمساواة • كما ان الثوره البلشفيه في روسيا حررت القوى الشعبيه وحققت العداله في المجتمع وكذلك الامر بالنسبة لثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ في القطر العراقي ، فقد تمكنت من تحقيق التحولات الاشتراكية التي أدت الى تحسين أوضاع الفلاحين والعمال • وانها ما تزال سائرة في طريق البناء الكامل وانجاز الاهداف الكبرى التي رسمت أهدافها وتسعى من أجل استكمالها •

(١٨) ان الصراع في المجتمعات الصناعيه يتخذ صورة خاصة ومختلفة عما هي في المجتمعات النامية وذلك بسبب اوضاعها الاقتصاديه والاجتماعيه، الخاصه نتيجة التناقضات بين أشكال العمل والفكر وموانع الطبقات المختلفه من وسائل الانتاج •

ان الحقائق الاساسيه للمشروع الثوري يسكن تنظيمها حول مفهومين جوهريين : الشمولية والتاريخية ، لانها ترتبط بالانسان وتشمل النظام الاجتماعي الذي يسعى الى تغييره وتجديده ، وخلق المجتمع الجديد •

وان هذه الخصائص تحدد الثورة وتكشف عن طابعها الخاص بها في المجتمع ، وفي الجماهير التي تخضع نتيجة للثورة الى التغيرات الاجتماعية والعقلية وتعرف كيف تقف بوجه الثورة المضادة • فالثوري يعرف ثورته كالبأس الذي يعرف بؤسه •

ان تحليل شمولية المشروع الثوري تعني باختصار الشعور والادراك والتنظيم ، وان علم اجتماع الثورة لكي يحدد المراحل الاساسيه للثوره عليه أن يعود الى التاريخ الخاص بالمشروع الثوري • وان المشروع الثوري لا يمكن ان يحقق التغير الذي يحمله في نفسه الا بالمستوى العام الكلي ، حيث يشمل المجتمع برمته ، ويشمل الانسان ببنائه ، حيث يخضعه الى تغيرات فكرية وعقلية تتناسب مع تغيير الظروف والعلاقات الاجتماعيه ، الامر الذي تؤدي الى تغير الشخصية •

ان الصفة الشمولية للثوره ترتبط بالتغير الجذري للمجتمع والظروف والاضاع القائم فيه • والثوره الاجتماعيه لا تعني تغير نظام الحكم فحسب وانما تعني تغير جوانب الحياة كافه كما تحدث تغيرات اساسيه في الطبيعه البشريه •

والثوره تعنى من جانب اخر انقطاع التاريخ بين الافعال الاجتماعيه وبين وظائفها • فالثوره اذن ليست مجرد تتابع الحوادث ، تتابعاً تاريخياً ولا مجرد تراكمات افعال وانما هبات جديده في التاريخ • فهي اذن ليست موازنه بين القديم والحديث من السلوك والاتجاهات ، وانما تغير وتجديد شامل • فالمشروع الثوري يمكنه تغيير المجتمع ، لانه يعني القوه ، ويعني الصراع والحرب التي لا تتوقف ، والثوره تعني حتمية التاريخ •

ان الثوار يحتاجون الى التمسك بتقاليد داخلية واخرى خارجية في التاريخ ، وهي عبارة عن خلق جمعي لمستقبل مشرق وانبثاق قيم جديدة .
ان تحليل الحركات التحررية والتغيرات الاجتماعية في الوطن العربي مثلا ، يكشف بوضوح عن التحرر من السيطرة الاجنبية ، وان تحرر واستقلال المجتمع يؤدي وظيفته خاصه ، وذلك يعني التخلص من الاستغلال والنفوذ الاجنبي ، اي الميلاد الجديد للمجتمع .

ان اغلب الحركات الثورية المعاصره تتميز باطر حضاريه تقليديه . وان الاصلاحات في جوانب معينه من الحياة ، مثل الاصلاح الزراعي ، الذي يغير نوع الملكيه الزراعيه لا تشكل بمفردها ثوره . وهناك من يخلط بين ظواهر الحرب الثوريه وبين الازمات الوطنيه الاجتماعيه - الاقتصاديه . الا ان التغيرات الاجتماعيه والفكرية ترتبط بالمشاريع الثوريه نفسها من حيث انها تتم كعمل جمعي يومي . لقد حاول علم اجتماع الثوره في المجتمع الصناعي ان يبين الخصائص الاقتصاديه والاجتماعيه التي يتميز بها بسبب التناقضات في المصالح بين طبقاته المختلفه ، وهذه الظاهره قد تزيد من احتمال وجود مشاريع ثوريه في هذه المجتمعات تسعى لانها استغلال الانسان للانسان .

والثورة بعيدة عن الاسطورة ، وان كانت مضطرة ، لاجل تنفيذ مشاريعها الخاصه ، ان تتخذ لها تقاليد معينه في بعض الاوقات ، فان هذه التقاليد لا تستند الى قوانين ورموز خاصه ، وانما تستند الى ما يطلق عليه علم الاجتماع (الذاكره الجمعيه) ، ومن هنا فقد تتخذ الثوره لها بناء وقتيا لحل البناء التاريخي التقليدي لتبني مرحله تاريخية جديدة . ولكي تنتشر الثوره وتضمن اتساعها ، عليها الانتفاع من الماضي لبناء الحاضر وخلق المستقبل ، فالمشروع الثوري يعبر عن تغير اجتماعي شامل للحياة الجمعيه . وان علم اجتماع الثوره يمكن ان يحدد المحتوى لطموحات الجماهير في الثوره محددا ظروفها الموضوعيه . والثوره تنظم طقوسها وتخلص من ماضيها وتحاول تقديم محتوى ايجابيا لمشاريعها العامه والشامله .

والثوره في حالة اندلاعها ، تظهر صراعاً حاداً بين انصار التغير التلقائي أو العفوي وبين انصار التغير الارادي ، والذي يحدده ويوجهه قاده ثوريون • وقد يؤدي هذا الصراع ، الذي يتخذ صورته صراع سياسي بين الاحزاب السياسيه الى تمزيق الثوار أحياناً ، كما حدث في اسبانيا عام ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ، الامر الذي ادى الى فقدانها وضياع قادتها الثوريين ، بسبب محاولاتهم التوفيقية بين المثاليه الفوضويه والماديه اللينيه في مشاريع حزب العمال الحكومي ، الذي انبثق بشكل تلقائي بين الجماهير الشعبيه •

ان مورنيو Moreno ينطلق من كون الثوره ظاهره جمعيه مثل بقيه الظواهر الجمعيه الاخرى ، وهو يعتقد بان هناك طرقاً فنيه خاصه بالثوره ، واستناداً على دراساته التجريبيه السوسيومتريه (القياس الاجتماعي) وضع نظريته في « التلقائيه الخلاقه » التي يعتقد بانها تتضمن الاجابه على كيفيه دفع الجماهير المستعده للموافقه على الاوضاع الجديده ، وذلك عن طريق التعبئة التلقائيه للجماهير والتي تدفعها للمساهمه بشكل عضوي للعمل على قلب نظام الحكم القائم • ويستخلص ضرورة وضع طرق معينه لتعبئة طاقاتها والاستفاده منها • (١٩) ويميز مورنيو بين ثلاثة مستويات للظواهر الثوريه هي :

- ١ - المجموعه الثوريه
- ٢ - المجموعه العفويه أو التلقائيه تعرض الجماهير للعمل المطلوب
- ٣ - المجموعه التحرريه ، حيث يعمل القائد والجماهير معاً •

وينتقل مورنيو من دراساته التجريبيه عن الجماعات الصغيره الى الجماهير الثائره • ويبدو ان العفويه او التلقائيه قد امتدت لكبي تؤثر في توجيه الابحاث العلميه • الا ان رأي مورنيو هذا بعيد عن الواقع العملي ، حيث ان هنالك صراعاً ايديولوجياً بين الفئات الاجتماعيه المختلفه ، وان ثوره

(19) Jean Maisonneuve, La Psychologie sociale, P.U.F. Paris, 1964, p.p. 82-84.

الجماهير يمكن تفسيرها استناداً الى الوعي الشعوري والصراع الارادي الذي يتحدد ويوجه من خلال الظروف الموضوعية والمادية وليس الى العفوية الفطرية أو الوعي التلقائي . ان الجماهير الثائرة المسلحة بنظرية اجتماعية - ديمقراطية تتصف بالوعي والتنظيم تستطيع أن تحدد مسيرتها وتخطط للوصول الى أهدافها ، وهذا ما يؤكد التضاد بين الثورة العفوية والثورة الارادية ، ويوصف الثوري بالوعي والشعور^(٢٠) .

ان التطور التلقائي للحركات الثورية يؤدي الى الخضوع لايدولوجية البرجوازية وهذا يؤدي الى ضرورة الموافقة على ان الحركات الجماهيرية الثورية تفرض واجبا نظريا سياسيا وتنظيميا . وان نظرية الحزب المنظم الذي يتولى قيادة وتوجيه عمل الجماهير الثورية تفرض على كل المؤمنين بها الالتزام بالتوجيه ، فالحزب الثوري ينظم الوعي ويبلور الشعور الثوري . ويجب الا يقتصر عمل علم اجتماع الثورة على دراسة العفوية فحسب ، وانما عليه ان يسهم في دراسة اتجاهات الجماهير نحو القادة سواء كانت على نطاق الحزب أم على النطاق العام .

وقد تلعب التلقائية دورا مهما في بعض الاحيان ، ففي فرنسا كلها ، عدا الجانب الشرقي منها ، في اواسط القرن السابع عشر . انبثقت انتفاضات شعبية في المدن مثل ديجون وبوردو وروان ومولان واكس ، وفي منطقة النورماندي ، وقد كانت هذه الانتفاضات ذات خصائص عفوية تلقائية . وفي عام ١٧٨٩ عمت فرنسا حركات ثورية دون ان ترتبط تلك الحركات باتجاه سياسي معين والفترة من ٢٠ حزيران - ١٠ اب عام ١٧٨٩ ادت الى خلق حالات من الرعب الجمعي ، وذلك بتأثير « المؤامرة الارستقراطية » التي حاولت نشر الفوضى . وفي شباط عام ١٨٤٨ ، ظهرت كومونة باريس وثورات تحررية اخرى في اوربا ، بسبب الشعور الجماهيري العام وليس بسبب ظهور قادة معينين ،

(٢٠) بوثر اندريه ، الحرب الثورية ، تعريب اكرم ديرري والهيثم الايوبي ، المؤسسه العربية للدراسات والنشر لبنان ، الطبعة الاولى لبنان ١٩٧٣ صص ١٥ - ٢٠

ويمكن التمييز بين طبيعة القوى الثورية وطرق مساهمتها في الثورة ، حيث تسيطر الهيئات الشعبية وتأخذ على عاتقها مهمة التوجيه .

وفي عام ١٩٠٠ أدى انتشار الافكار الاشتراكية الى اضراب عام في جنوبي اسبانيا وهو اضراب تلقائي تميز بالعنف وادى ، الى الثورة . كما تعددت الحركات الثورية التلقائية في المانيا والنمسا وايطاليا وهنغاريا ، وهذا يعبر عن تلقائية جمعيه لها تنظيمها وطقوسها الخاصة .

ان الضرورة التلقائية تطابق الضرورة الموضوعية (الثورة الارادية) ، اي ان الجماهير لها حرية اختيار الموقف التاريخي المناسب . فالثورة كما يقول اندريه بيتر André Piettre لم تعد تتضمن مفهوماً تاريخياً ، وانما يعد لها كما يعد للحرب ، لذا فان الجماهير لا بد لها من تنظيم وتعبئة سياسية لتهيؤ للانفجار الذي يظهر كنتيجة للصراع الاقتصادي .^(٢١) أي تبرز هنا ضرورة اعداد برنامج تستند عليه الاحزاب والجماهير الثورية لكي تقوم بدورها التاريخي في انجاح الثورة وتحديد مسار احداث المجتمع .

اما بالنسبة للقطر العراقي ، فان الثورة اندلعت فيه نتيجة لموقف ثوري موضوعي ، وهي ليست عملاً تلقائياً ، او عفويّاً وانما تعتبر نتيجة للظروف الموضوعية المواتية لنشوب الثورة .

فالثورة لا يمكن ان تحدث نتيجة لتخطيط أو تدبير فقط وانما تحدث نتيجة للتناقضات الاجتماعية والاقتصادية وفي الوقت الذي تنهياً فيه الظروف الذاتية (الوعي والشعور) يتحول الصراع الى النقطة الحرجة (قلق جماهيري) يؤدي الى مشروع ثوري ثم الى ثورة اشتراكية تساهم فيها الجماهير الثورية لخوض غمارها ، ولا بد لهذه المشاريع الثورية من الاستناد على الوعي السياسي والتنظيم واعداد استراتيجية وتكتيك الصراع على أسس عميقة من التفكير والتخطيط الذي يستوجب وجود قادة نظريين وحزب

(٢٢) يوري كرازين ، المصدر السابق ص ٨٢ .

جماهيري قادر على خلق وتوجيه المشاريع الثورية المنسجمة مع الظروف الموضوعية بشكل منظم .

وإذا كان لابد من تحديد خصائص عامه لاية حركة ثورية فان الثوره لا تنطلق الا عند استيعابها لقوانين التاريخ وامكانياتها في التعبير عن ارادة الجماهير في تحقيق نزوعها الانساني المشروع وقدرتها على ادراك التناقضات التي سادت الفتره التي سبقت الاعداد لها ، وبمعنى اخر فان الثوره في قطر معين لاتعد استثناء من الحركه الثوريه في العالم وان كانت الظروف الموضوعيه الخاصه بكل مجتمع تحدد مسار الثوره فيه من خلال ما تمليه عليها الظروف في تحديد قدرتها على مواجهه .

ان الاهداف التي تسعى الثوره الى تحقيقها تتبلور وتتحدد اثناء عملية التفاعل الاجتماعي الذي يحدث بين الجماهير الثوريه من جهة وبين المشروع الثوري والظروف الموضوعيه المحيطه بها من جهة اخرى . وقد تكون هذه الاهداف محدوده في المراحل الاولى للمشروع الثوري ولكنها تتبلور وتتضح تدريجيا كلما استمر المشروع الثوري في التنفيذ ، كما تخضع الى عملية التحوير والتعبير حسب مقتضيات الظروف الموضوعيه التي تتأثر بها الثورة . ان العملية الثورية تبقى قاصرة ومعرضة للتدخل ما لم تتكامل فيها الشروط الاساسيه لانجاحها ، فامتلاك الطبقات ذات المصلحه في التغير الثوري للمواقع القيادية يعد من اهم مستلزمات نجاح العمل الثوري وضروراته ، شريطة ان تبقى الصله بين الجماهير التي تشكل الطبقات والشرائح ذات المصلحه في التغير الثوري وبين قيادتها الثوريه صله حيه ومتفاعله ، لقطع الطريق على تسرب اي افتراض يمكن ان يعزلها او يقيم بينها شكلا من اشكال التعارض . والمشروع الثوري يخلق في المجتمع نوعا من الرأي العام ، الذي يؤثر بدوره تأثيرا مباشرا في سياسة السلطة بين الطبقات المستفيدة من التغير في المجتمع ، ويساعد على انجاز التغيرات السياسيه والاقتصاديـه والاجتماعية ، ويمتد ليغير كذلك القيم والعقائد والاتجاهات والانماط السلوكيه .

ويعتقد بعض الباحثين مثل ماكيفر MacIver واوكبرن Ogburn ان الثورة تشمل بتغييراتها الجوانب المادية واللامادية لحضارة المجتمع ، الا ان التغيير في الجوانب المادية يتم بشكل اسرع مما هو في الجوانب اللامادية ، بل ان التغييرات الاقتصادية هي التي تؤدي الى تغييرات في القيم والافكار والفلسفه والعلاقات الانتاجيه في المجتمع ، وقد يزداد حجم هذه الفجوة بين الجانبين المادي واللامادي للحضاره في المجتمعات الناميه والمتخلفه اجتماعيا بسبب ما يسود فيها من جهل واميه تساعد على الابقاء والمحافظة على القيم والعادات والمعتقدات الخاصه بالمجتمع نظرا لطبيعة العلاقات الاجتماعيه التي تربط بين الافراد من جهة وبينهم وبين المؤسسات الاجتماعيه من جهة اخرى . وقد تواجه الثورة ثوره مضاده ، تقوم بها الجبهه التي تهددت مصالحها سواء كانت تلك الجبهه داخلية ام خارجيه . وفي حالة نجاح الثورة المضاده فان قادتها يعملون على وضع مشاريعهم ومفاهيمهم في قوالب ثوريه لكي تسجم مع الظروف الاجتماعيه القائم به هدف تمويه الجماهير وامتصاص قدراتها وهيجانها وتوجيه جهودها وجهه معاكسه . ومما يساعد على نجاح الثورة المضادة الاختلافات والانشقاقات التي قد تحدث بين الثوار حيث تظهر مناهج ووسائل واساليب متباينة ومتعددة ومن خلال ذلك تنشط الثورة المضادة لتستغل ... ولكي تستطيع الثورة تحصين نفسها ضد هجمات الفصائل المعادية وايقاف نشاط الثورة المضادة يجب ان تحدد الموازين الموضوعية الدقيقة في جملة امور تتحدد من خلال المنهج العلمي الواضح ووضع الجماهير في المواقع الواعية والقوية ، ووضع اجهزتها الثورية في حالة معاشة دائمة لعملية الثورة .

ان الثورة والمشاريع الثوريه تؤدي بالضرورة الى التغييرات الحضاريه التي تؤدي بدورها الى التغيير الاجتماعي والتقدم المطرد ، والثوره حتميّه رغم اختلاف وجهات النظر حول مسبباتها . ولكي تتمكن الثورة من تحقيق النجاح المستمر لابد لها من اعداد النشء وفق أسس ومفاهيم ثورية جديدة تؤدي الى خلق اتجاهات منسجمه ومتوافقه مع احتياجاتها ومتطلباتها .

لقد أصبح من البديهيات المتفق عليها والمسلم بنتائجها ان الاسس العلميه التي تنطلق من الواقع وتتجه في معالجاتها الى المشاكل التي يعيشها ذلك الواقع هي الاساس في بناء اية نظريه ، وان الفكر القادر على استيعاب التناقضات الحاصله في هذا الواقع والتفاعلات التي تتحرك في اعماق شرائحه هو الفكر القادر على رسم الصورة الموضوعيه وهو الفكر القادر على تحديد الرؤيه الصائبة في التشخيص وهو بالتالي الفكر الذي يستطيع ان يحرر الانسان من بقايا الركام الثقيل الذي ظل يلازمه طوال سنين ويؤثر في حياته دهوراً متلاحقة .

لقد ظل الانسان في المجتمعات النامية عموماً والوطن العربي خصوصاً يعاني من اسباب التخلف والتجزئه واشكال العبوديه والاستغلال واضطراب الانماط السلوكيه مما جعل حياته حافله بالعجز وموغله باسباب الحذر الاجتماعي وخاضعه لنوازع التفكك والانتقام . ومن هنا كانت الافكار تتجه الى ادراك هذا الواقع ادراكاً حقيقياً وتدعو الى تلمس جوانب التحول الاجتماعي والتغير السلوكي لغرض الوقوف على الطريق التي تحدد لهذا المجتمع طريق الخلاص واضعة هذه الجموع الغفيره من الناس في الطريق الذي يحقق لها الرفاه ويبين لها المستقبل المشرق ويرفع عنها اعباء الاستغلال الذي ناءت تحت عبئه حقبة من الزمن .

ان التحليل الصائب لواقع المرحله والتفسير العلمي لمجريات امورها يؤكد التوجه الصائب في تغيير علاقات الانتاج بحيث يأخذ الطابع الاشتراكي لتركيز الاسس النوعيه والمتينه من اجل بناء الاقتصاد القومي وتوجيه الجباهير من اجل انهاء حالة التجزئه والتخلف والاستغلال .

لقد اكد علم اجتماع الثوره على التجاوب مع الواقع المشخص من اجل خلق الثوره والسير بها من اجل تحقيق اهدافها . ومن الطبيعي ان

يختلف هذا المفهوم للعصر الذي تنبثق فيه الثورة والمنطقه التي تمتد في اجزائها لتنمو البذور الاولى لها والافكار التي تحدد المسار والمنهج الذي تلعب دور في اطاره وطبيعة الجماهير - صاحبة المصلحة - التي تتحمل اعباء انفجير والدفاع وتسلم السلطه ، وهذا يعني ان استراتيجيه الثورة في كل قطر ترتكز على الظروف السياسيه والاجتماعيه الحقيقيه التي تعيشها جماهير ذلك القطر الى جانب التقاليد التاريخيه وعوامل الاتصال التي تشدها ببناء الامه التي تنتمي اليها والواقع الحي الذي تمر به والقضايا المركزيه التي تمثل محور نضالها ومراعاة الوضع العالمي المحيط بها . ومن هنا كان الاتجاه الواسع والجذري هو الاتجاه الصائب من أجل معالجة التناقضات الكامنه في كل قطر والمعتمده في الاساس على رفض الحلول المبثوره والقائمه على المعالجه غير الواعيه وانهاء جوانب العمل البعيد عن التحليل والقاصر عن استيعاب الحتمية التاريخيه التي ينطلق باتجاهها الواقع في المجتمعات المنطقه الى حياة افضل ، لان اي حل من هذه الحلول يعني تشويه الشكل المطلوب وابعاد الثورة عن اهدافها وقطع الشريان الحقيقي الذي يمكن ان يمدّها بعناصر القوه ، فالجماهير في كل معركة وفي كل ثوره هي العنصر الفعال فيها ، وهي المحرك الاساسي في دفع قدرتها باتجاه المواقع التي تعطي المعركة حيويتها المستمره وتمنح الثورة مقومات الحياه ، وان القضايا المصيرية التي تتبناها الثورات وتدفع من اجلها اعز التضحيات لا يمكن ان تصل الى الغايه المرسومه او الهدف المنشود اذا لم تعتمد على الجماهير اساساً في الوصول لانها هي صاحبة المصلحه وهي اولى بالمشاركه الفعاله . وقد حققت الجماهير من خلال نضالها وكفاحها قدرتها على تحمل المسؤوليه ، ومن الطبيعي ان تختط كل ثوره طريقها المناسب وهي بذلك تختلف من مجتمع الى آخر حسب اختلاف المعطيات في الميدان الاجتماعي والتاريخي والسياسي وحسب المتطلبات التي يفرضها ويحددها الواقع الاجتماعي والتكوين العام الذي يحكم العلاقات ويحدد السلوك .

المصادر العربية :

- ١ - يوفران اندريه ، الحرب الثورية ، تعريب اكرم ديرى والهيثم الايوبى ، المؤسسه العربيه للدراسات والنشر ، لبنان ، الطبعة الاولى ١٩٧٣ .
- ٢ - عبدالمنعم الفزالي الجبيلي ، تاريخ الحركة العمالية والنقابية في العالم ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ١٩٦٤ .
- ٣ - يوري كرازين ، علم اجتماع الثورة ، تعريب شوقي جلال ، دار الثقافة الجديد ١٩٧٤ .

المصادر الاجنبية :

1. André Decouflé; Sociologie des Révolutions P.U.F. France 1968
2. Gaston Bouthoul; Sociologie de La Politique, P.U.F. France 1965.
3. Jean Maisonneuve; La Psychologie Sociale, P.U.F. France 1964.
4. Jean Stoetzel; La Psychologie sociale, Flammarion Paris, 1963.
5. Maurice Duverger; sociologie de la politique, P.U.F. 1973.
6. Pierre Laroque; Les classes soiales. P.U.F. France. 1968.
7. Robert Merton, social theory and social structure, Enlarged Indian Edition New Delhi 1968.

مقدمة في اللغة والحضارة

د . ابراهيم السامرائي
كلية الآداب - جامعة بغداد

بحث أهل العلم من المفكرين والفلاسفة في مدلول « الحضارة » وما تنصرف اليه في شؤون الحياة وما يتصل بالناس من أفكار وعادات ومواد وطرائق . ولعلمهم انتهوا الى ان البشرية الأولى قد مرت بمراحل انتهت الى نموذج حضاري من الاستقرار والفكر والسلوك ، وما يتطلب جماع هذا من لوازم .

ومن غير شك ان في هذه المادة من الافكار العامة والمبادئ الاساسية قدراً كبيراً يجمع بين الحضارات قديمها وحديثها في مشرق الارض ومغربها . وهذا لا يبعد ما تتصف به الحضارات المختلفة من سمات خاصة فرضها الزمان والمكان . وهذا يؤدي الى أن تكون حضارة الاقسام الشمالية غير حضارة الاقسام الجنوبية ، وحضارة الاقاليم البحرية شيء آخر ، ثم ان حضارة البلدان الباردة غير تلك التي تشتد فيها الحرارة ، ومثل هذا يقال في الحضارة اليونانية والرومانية والعربية والارانية والهندية والصينية . وليس غريباً أن تطبع الاديان الحضارات بطابع خاص فالحضارة المسيحية غير الحضارة الاسلامية مثلاً .

قلت : لقد بحث أهل العلم في مادة « الحضارة » ، فكان طبيعياً ان يعرضوا لما يتصل بمصطلح « المدنية » . وليس في العربية فرق كبير بين الحضارة والمدنية ذلك ان « الحضارة » متصلة بالحضر والحاضرة ، ومثل

ذلك « المدينة » التي تتصل هي أيضاً بالمدينة ^(١) . غير ان الباحثين في الموضوع ذهبوا بعيداً في الكلستين الاعجميتين ولا يهمننا في هذه الدراسة شيء كثير من ذلك .

ان الحضارة في العربية نقيض البداوة ، والحاضرة تقابل البادية وكلمة « الحضر » تقابل كلمة « البدو » . ولقد أحسن الشاعر القديم حين قال :
ومن تكن الحضارة أعجبتَه فأَيَّ رجالٍ باديةٍ ترانا

ومن غير شك ان « البداوة » تشغل حيزاً كبيراً في « العربية » وذلك أن الأصول القديمة في العربية اعتمدت من بين ما اعتمدت على مادة ذات أصول عميقة في الحياة البدوية . ولا أريد أن أصرف الجهد فأعرض لهذا الموضوع وذلك لاني أفردت له دراسة خاصة ^(٢) تتصل بتاريخ العربية .

وفي طوق أي باحث ان يهتدي الى المواد البدوية في أدبنا القديم مما يتصل بالبادية ولوازمها من شخوص مادية وأخرى مما يعود الى الحيوان والنبات والشجر . وكثير من هذا واضح في الادب القديم جاهليته واسلاميته ، ولا حاجة بنا الى أن ندل على ذلك فهو معلوم مشهور .

وكان الباحثين لما رأوا من صفات البداوة في أدبنا القديم أخذوا بذلك وغلبوه على سائر الصفات الاخرى حتى لكأن ذلك الادب مقصور على أنماط بدوية لا يتجاوزها الى غيرها . وكان « الجاهلية » شيء يرادف الجهل للبداوة التي غلبت على غيرها من مظاهر الحياة الجاهلية الاخرى .

(١) المدينة كلمة قديمة لا تختص بالعربية وحدها من بين اللغات السامية وذلك لان مادة « دين » وهي مادة سامية تعني الحكم والقضاء . ومن هنا ظل شيء من ذلك فقيلاً « يوم الدين » في العربية للدلالة على الحكم والحساب . وكانت كلمة « بيت دين » في العبرانية تعني « المحكمة » او دار الحكم ، وكان من ذلك ايضاً ان تكون مكان اجتماع الناس للحكم والسلوك الانساني الذي يعتمد على الحق والنظام .

(٢) كتاب يتصل بتاريخ العربية موسوم بـ « من تاريخ العربية » .

ان مصطلح الجاهلية شيء جاء به الاسلام ، وهو من غير شك نيز
لجميع مظاهر الحياة قبل الاسلام . ومن غير شك أيضاً أن « الجاهلية »
بالنسبة الى الاسلام حياة تفتقر الى كثير من مظاهر الحياة الحضارية التي جاء
بها الاسلام فكراً وعقيدة وسلوكاً . ولعل الباحثين سعوا مدفوعين بهذا
النظر ، وغير شاعرين ، الى سلب كل فضيلة من عهود الجاهلية المنبوزة ، فلم
يَتَحَرَّوا المظاهر الحضارية في عصر ما قبل الاسلام عامة .

ومن حق العلم ان يفترض الباحث الجاد ان في تلك العهود التي سبقت
الشريعة الغراء أنماطاً حضارية تتصل بالأدب والفكر والسلوك ومظاهر مادية
حسية عرفها الناس وأفادوا منها .

ومن البديهي أن يكون أولئك القوم في جاهليتهم على نحو فكري متقدم
اذا عرفنا أن كتاب الله ، مصدر الفكر والحكمة ، قد توجه اليهم وخاطبهم وقد
بشّر الرسول الأمين به التماساً لهدايتهم ، وليس من العقل والمنطق أن يأتي
كلام الله بهذا السداد والحكمة في قوم غلبت عليهم بدائية جاهلة لا تفقه الا
اليسير مما يضطربون فيه .

وفي كلام الله ما يومىء الى أن العرب غير الأعراب فاذا كان القرآن قد نيز
أولئك الاعراب بالجفوة والقسوة والضلالة فلا يعني ذلك ان جمهرة المجتمع
القديم بداءة جفاة لم يهتدوا الى شيء من معاني الحياة الحضارية .

ومن الغريب ان الباحثين في تاريخ الادب القديم قد فاتهم علم كثير حين
زعموا أن الأدب العربي القديم أدب بيئة بدوية ، وهم يشيرون الى وصف
الثلوات والاطلال والدمن وما يعرض فيها من حيوان ونبات وشجر .
وهم يشيرون كذلك الى أن الشاعر القديم يقطع تلك البيد على راحلته فيصف
سيرها ويصف الطريق الذي يدرج فيه ثم يأتي على وصف تلك الراحلة .
وجملة هذا وغيره من مواد الأدب تؤلف الصورة البدوية الجاهلية .

قلت : ان الباحثين في الأدب قد فاتهم علم كثير حين ذهبوا ذلك المذهب فقلدهم فيه خلق كثير وسار على نهجهم الدارسون الى يومنا هذا . ان الاستقراء الوافي لمادة الأدب القديم تكشف عن صفحات جديدة غريبة لم يهتد اليها أولئك الدارسون .

أقول : ان الاستقراء الوافي ليشير الى أن جملة ما تشتمل عليه القصيدة الجاهلية حشد لمواد كثيرة لا تعدم أن تجد فيها فكراً يتصل بحضارة وأدوات وحاجات تبتعد عن البداوة المعروفة . وسأعرض بعد هذه المقدمة لاستقراء ما في الأدب الجاهلي من مواد الحضارة لأدفع بالدليل الأكيد ان الجاهلية لم تكن خلواً من الفكر الذي استطاعت العربية في تلك الأحقاب أن تقي بهذه المهمة فكانت لغة حضارة وبداوة في الوقت نفسه .

ومن غير شك أن الاسلام قد امتحن هذه اللغة فكانت في عهوده كلها الأداة المحكمة في الوفاء بالحضارة الجديدة التي جاء بها الاسلام عقيدة وأحكاماً وسلوكاً . ثم ان هذه الحضارة الجديدة قد اندفعت شرقاً وغرباً فكان لها أن تتصل هنا وهناك بأنماط حضارية أخرى .

ولقد كانت هذه محنة جديدة امتحنت بها العربية فكانت اللسان المفضل للإعراب عن هذه المواد الجديدة من أجنبية وافدة وأخرى مما تمخض عنه اتصال الفكر العربي الاسلامي بغيره مما واجهه في تلك البقاع التي أنساح فيها .

وسأعنى ببيان هذه الألوان التي استطاعت فيها العربية أن تقي بتلك المواد في العصور المختلفة وسأنتهي من ذلك الى شيء مما تضطلع به العربية في عصرنا هذا فتواجه العصر الجديد بمشكلاته العلمية المعقدة .

ولعلي سأفي بشيء من هذا فأثبت مادة لها مكانها وخطرها في تاريخ لغتنا .

لقد خلل أدبنا القديم بسواد حضارية تتصل بالعقيدة الدينية وبأنماط أخرى من فنون وأدوات هي من صنع الاستقرار الحضاري .

واني لأبدأ بما يتصل بالفكر الديني في نصوص الأدب القديم فأجد من ذلك قول امرئ القيس^(٣) :

حلت لي الخمرُ وكنت امرأً عن شربها في شغلٍ شاغل
فاليوم أسقى غير مستحقبٍ إثمًا من الله ولا واغل
قال : « حلت لي الخمر » وذلك لما قتلت بنو أسدٍ أباه حرم على نفسه
الخمر حتى يأخذ بثأر أبيه ، فلما غارهم وقتلهم حلت له •

وقوله : « غير مستحقب إثمًا من الله ولا واغل » أي غير مكتسبه
ولا محتمله فيقول : انه يشرب الخمر وقد حلت له فلا يآثم ، ويكرم نفسه
عن أن يشرب الوغل وهو ما يشربه الواغل أي الذي يدخل على الشاربين
فيشاركهم الشراب من غير ان يدعى له كالوارش مع الطعام •

وهذا النص يشعرنا ان من الجاهليين زمن الشاعر امرئ القيس من
يؤمن بالله فيتخرج من شرب الخمر • وهو يعني ان لهم قدراً من فكر ديني
مادته ألوهية حقة تتوزع في فرائض ورسوم وواجبات • وهذا شيء من مادة
حضارية متقدمة في السلوك الاساني سمحت به عريّة جاهلية اضطلعت
بنساذج حضارية الى جانب غناها بالمواد البدوية •

ان الدارس ليحظى في كثير من مواد أدب الجاهليين على ما يتصل
بالحياة الدينية في صورها القديمة ورسومها التي مارسوها في حياتهم فهذا
بشر ابي خازم يقول^(٤) :

حلفت برب الداميات نحورها وما ضم اجواز الجواء ومذنب
فهو يحلف بالهدي الذي ينحر للآلهة •

واذا قرأت قول امرئ القيس^(٥) :

تضيء الظلام بالعشاء كأنها منارة مسمى راهبٍ مبتل

(٣) ديوان امرئ القيس (دار المعارف) ص ١٢٢

(٤) ديوان بشر بن ابي خازم (دمشق ١٩٦٠) ص ٨

(٥) ديوان امرئ القيس ص ١٧

أدركت صورة الراهب الاشيب المتبتل ومصباحه في جوف الليل • ومن غير شك انه شبه وجه حبيته بذلك • ان هذا المشهد الذي يقربه الشاعر من بيئة حضرية تنتظمها شخوص ومشاهد دينية قد برز في أدبه فكان منه نماذج عدة • ثم ان الاشارات الى الأديان وأهلها والى شيء من نوازمها لكثيرة جداً فهذا امرؤ القيس يشبه ناقته ببنيان اليهودي اظهاراً لقوته وصلابة عودها فيقول^(٦) :

فعزيزت نفسي حين بانوا بجسرة أمون كبنيان اليهودي خيفق
ولعلك تلمح مادة حضارية في لغة جاهلية وأنت تقرأ قول بشر^(٧) :
فقل كالذي قال ابن يعقوب يوسف لاخوته والحكم في ذاك راسب
فاني سأمحو بالذي أنا قائل به صادقاً ما قلت اذ أنا كاذب
ان هذه الاشارات التاريخية وضرب المثل بذلك ليشير الى ان الشاعر الجاهلي لم ينصرف الى البيئة الجاهلية انصرافاً لا تعرف فيه اشراقة حضارية • وهذا يهدينا الى القول ان العربية الجاهلية قد عرضت لها محنة الاعراب عن نماذج حضارية في بيئة أخذت من هذه المواد قدراً •

ولقد أشرت الى حديث الشاعر القديم عن الراهب ، ولم يكن ذاك شيئاً نادراً في ذلك الادب القديم فقد ألفه الدارس وعرف ان الجاهليين عرفوا الديارات وما يقيم فيها الرهبان من رسوم دينية وما يشتمل عليه من أدوات ومواد تنتظم في ذلك الاطار الديني •

يقول امرؤ القيس^(٨) :

نظرت إليها والنجوم كأنها مصاييح رهبان تشب لقفاً
والاشارة الى النار ، أي نظرة الى النار •

(٦) المصدر السابق ص ١٦٩

(٧) ديوان بشر ص ٤٢

(٨) ديوان امرؤ القيس ص ٣١

ثم يقول وهو يصف البرق^(٩) :

يضيء سناه أو مصاييح راهب أهان السليط بالذبال المقتل
ألا ترى ان هذه الصورة للبرق من شخوص الطبيعة بدوية كانت أم
حضرية قد حظيت بصورة مشبهة لها حضرية خالصة لها حين ذكر الشاعر
أجزاء الصورة من الزيت والذبال المقتل أي القتائل •

ولا بد لنا أن نعرض لهذه الشخوص الجادة والتي تنتظم في الحياة
الدينية بل قد تؤلف مادة فكر ديني جاهلي فتقرأ في ديوان أوس بن
حجر^(١٠) :

حلفت برب الداميات نحورها وما ضم أجساد اللبئين وككب
فهو يقسم برب الهدي يساق الى البيت فينحر تقرباً • ثم ان هذا
الحلف والقسم ليتجاوز « رب الداميات » فيكون الثلاث والعزى ثم الله
وهو أكبر من هذه الآلهة الممثلة بالأوثان فيقول^(١١) :

وباللات والعزى ومن دان دينها وبالله إن الله منهم أكبر
وهو يقول أيضاً^(١٢) :

فان يهوا أقوام رداي فاننا يقيني الاله ما وقى وأصادف
ثم يقول^(١٣) :

فلا وإلهي ما غدرت بذمة وان أبي قبلي لغير مذمم

(٩) المصدر السابق ص ٢٤

(١٠) ديوان أوس بن حجر ص ٧

(١١) المصدر السابق ص ٣٦

(١٢) المصدر السابق ص ٦٤

(١٣) المصدر السابق ص ١١٨

وما أظن ان هذا الأدب وهو ينصح عن هذا الخلق الديني منصرف الى
بدارة جافية أو بعيد عن فكر حضاري قائم على عقيدة دينية راسخة
الأصول •

وأنت تبصر ان الشاعر الجاهلي يملك زاداً نافعاً من ثقافة يستعين بها
على الاعراب عن أدبه وفكره القديم فهذا أوس الشاعر يقول (١٤) :

إذا استقبلته الشمس صدّ بوجهه كما صدّ عن نار المهوّل حالف

ان المهوّل هو القائم على النار المقدّسة والضمير في قوله « استقبلته »
يعود الى الثور الوحشي • لقد كانوا يحلفون بالنار وكانت لهم نار يقال
انها كانت باشراف اليمن ، فاذا تفاقم الأمر بين القوم فحلف بها انقطع بينهم،
وكان اسمها هولة أو المهولة ، وكان سادنها اذا أتى رجل هيبه من الحلف
بها ولها قيم يطرح فيها الملح والكبريت فاذا وقع فيها استشاطت وتنقضت
فيقول هذه النار قد تهددتك • فان كان مريباً نكل وان كان بريئاً
حلف (١٥) •

وأنت تحسّ ان هذا الشاعر الذي وصفناه أنه بدوي فلم ننظر الى
ما كان له من ثقافة واسعة يقول (١٦) :

والفارسية فيهم غير منكّرة فكلهم لاييه ضيزن سليف

وفي البيت اشارة الى ما أباحته الفرس من تزوج الولد من أمه
وخالته •

(١٤) المصدر السابق ص ٦٩

(١٥) المعاني الكبير ط. حيدر آباد - الهند ١/٤٣٤

(١٦) ديوان أوس ص ٧٥

وفي ديوان زهير بن أبي سلمى مادة حضارية ذات قيمة تاريخية • وانك
لتشعر أن هذا الشاعر ليس بعيداً عن فكر اسلامي متقدم حين يقول (١٧) :

فلا تكتُمَنَّ اللهَ ما في نفوسكم
ليخفى ومهما يكتُم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيُدْخَرُ
ليوم الحساب أو يُعْجَلُ فيُنْقَمَ

ان أجزاء هذين البيتين وهي الله والكتاب والحساب وما يتبع ذلك من
لوازم • خلاصة فكر ديني ثابت الدعائم راسخ الأصول •

ومثل هذا نجد في شعر لييد وهو أحد أصحاب المطولات • وقد يقال
ان لييداً أدرك الاسلام فتقف من مادته شيئاً ، غير أننا لا نستبعد أن يكون
قد عرض له كثير من هذا في جاهليته •

ولنعرض لحديث « الكتابة » في تلك النماذج الأدبية القديمة لتؤكد أن
وجوهاً حضارية حفل بها أدبنا القديم وان العربية الجاهلية كانت لغة حضارة
الى جانب الاعراب عن معاني البداوة وأجزائها الكثيرة •
فهذا امرؤ القيس يقول (١٨) :

لمن طلل أبصرته فشجاني كخط زبور في عسيب يمان
يقول : أحزني الطلل كخط زبور أي درّس فلا يرى منه الا مثل
الكتاب في الخفاء •

وهو يقول (١٩) :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان
ورسم غفت آياته منذ أزمان
أت حجج بعدي عليها فأصبحت
كخط زبور في مصاحف رهبان

(١٧) شرح ديوان زهير ص ١٨

(١٨) ديوان امرؤ القيس ص ٨٥

(١٩) المصدر السابق ص ٨٩

انك تبصر أنه شبه الرسم الدارس للطلل بالزبور وخطه الذي أتى عليه الزمان فمحا من سطره ما محا ، وهو يشير الى أن هذا « الكتاب » المزبور من صحف الرهبان في دياراتهم . وما أظنك الا أن تذهب معي في أن الأديب الجاهلي ليس كأحد من أهل البداوة ممن انقطعوا في باديتهم فلا يرون الا الفلاة وشيوخها البدوية .

وهذا بشر بن أبي خازم يقول فيعرض « لكتاب بني تميم » فيقول (٢٠):
وجدنا في كتاب بني تميم أحق الخيل بالركض المتعار
وهو يقول أيضاً حين يعرض للرسوم والأطلال (٢١):
كأنها بعد عهد العاهدين بها

بين الذنوب وحزمي واحيف صُحُفُ
وهذه الصورة وهي تشبيه الطلل الدارس بالكتاب الذي أتت على سطره الأيام ، ترد كثيراً في أدبهم القديم فهذا زهير يقول (٢٢):
لمن طلل كالوحي عافٍ منازلُهُ عفا الرّش فالرئيسُ فعاقِلُهُ
والوحي هو الكتاب . وحديث « الوحي » هذا كثير في شعره ومنه (٢٣):

دارٌ لأسماء بالغمرين ماثلةٌ كالوحي ليس بها من أهلها أرمُ
أي ليس بها أحد .
وقوله (٢٤):

لمن الديار غشيتها بالفد قد كالوحي في حَجَرِ المسيل المُخِلِدِ

(٢٠) ديوان بشر ص ٧٨

(٢١) المصدر السابق ص ١٣٧

(٢٢) شرح ديوان زهير ص ١٢٦

(٢٣) المصدر السابق ص ١٤٦

(٢٤) المصدر السابق ص ٢٦٨

والإشارة إلى الكتابة والكتاب والصحف والزبر كثيرة في أدبهم فهذا
ليبد يقول (٢٥) :

دَرَسَ المَنَا بِمُتَالَعِ فَأَبَانَ وَتَقَادَمَتْ بِالْحُبْسِ فَالسُّوبَانِ
فَنِعَافِ صَارَةً فَالْقَنَانِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ يَرْجَعُهَا وَلِيدٌ يَمَانِ
مَتَعَوَّدٌ لِحَيْنٍ يَتَعِيدُ بِكَفِهِ قَلَمًا عَلَى عُسْبٍ ذَبَلَنَ وَبَانَ
فَأَنْتَ تَرَى الصُّورَةَ كَامِلَةً تَنْتَظِمُ الْوَلِيدَ الْيَمَانِيَّ مُمْسِكًا بِكَفِهِ الْقَلَمَ
يَخُطُّ عَلَى الزَّبْرِ •

وهو يقول أيضاً (٢٦) :

عَفَا الرَّسْمَ أَمْ لَا بَعْدَ حَوْلٍ تَجَرَّمَا
لِأَسْمَاءِ رَسْمٍ كَالصَّحِيفَةِ أَعْجَمَا
ويقول أيضاً (٢٧) :

وَجَلَا السَّيُولُ عَنْ الطَّلُولِ كَأَنَّهَا
زُبُرٌ تَجْدُرُ مِثْلَ مِثُونِهَا أَقْلَامُهَا
فَالصَّحِيفَةُ وَالْأَقْلَامُ وَالزَّبْرِ شَيْءٌ اسْتَعَانَ بِهَا الشَّاعِرُ لِتَصْوِيرِ مَادَتِهِ
الْبَدْوِيَّةِ • أَلَا تَرَى غَلَبَةَ مَادَةِ الْحَضَارَةِ عَلَى أَنْمَاطِ الْبَدَاوَةِ الْمُتَخَلِّفَةِ •
وَلَا بَدَأَ أَنْ أَعْرَضَ لِلصُّورِ الْفَنِيَّةِ الْآخَرَى فِي أَدَبِ الْجَاهِلِيِّينَ الْأَقْدَمِينَ
فَأَشِيرُ إِلَى الرَّسْمِ وَالنَّحْتِ وَالْغَنَاءِ وَالْآلَاتِ وَغَيْرِهَا •

(٢٥) ديوان ليبد (ط . الكويت) ص ١٣٨

(٢٦) المصدر السابق ص ٢٧٨

(٢٧) المصدر السابق ص ٢٩٩

هذا هو امرؤ القيس يعرض لبيت بجوار وادي الساجوم كأن دُمى
سقفه الحور الغرائر قد حلين الياقوت وقلائد الذهب على هيئة فقر الجراد ،
تضوع منهن رائحة السنا الذكية فيقول (٢٨) :

كأن دُمى سُقِف على ظهر مَرمرٍ
كسا مزيد الساجوم وشياً مصوراً
غرائر في كنٍ وصونٍ ونعمةٍ
يُحَلِّينَ ياقوتاً وشذراً مفقراً
وريحَ سَنا في حَقّةٍ حميريةٍ
تُخَصِّشُ بمفروك من المسك أذفراً
وباناً وألويّاً من الهند ذاكيّاً
ورنداً ولبنى والكباء المقتراً

أقول : ألا ترى أن « بيت » امرئ القيس هذا ليس الا قصراً من قصور
الحضارة المترفة الانيقة فقد حفل بصور الدمى والوشى المصور والبناء ذي
السقف من المرمر . ثم انه استعان على ذلك فشبه الدمى بالغرائر الحسان
ذوات الصون والنعيم في أكمل زينة وأجل هيئة .

أما الحديث عن النعيم المتمثل في الوشي الأنيق الذي يشير الى أن
الجاهليين عرفوا ضروباً من الترف فنجدته في قول امرئ القيس (٢٩) :

خرجتُ بها تمشي تجثر وراءنا
على أترينا ذيَلٍ مرطٍ مَرَحَلٍ
والمرط المرحل هو الثوب الموشى والذي عُيِّنَ وشييه كتعيين
جَدَايات الرَحَل وهو ضرب من البرود .

(٢٨) ديوان امرئ القيس ص ٥٩

(٢٩) المصدر السابق ص ١٤

ومن لوازم الترف والالاقة العطور التي وردت في أدبهم وها هو ذا
امرؤ القيس يقول (٣٠) :

وتضحى فتيت المسك فوق فراشها

تؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضّل

وأنت كانوا يجتهدون في أن يتوفر لديهم من مواد الترف فيجلبونها من
الهند وأطرافها تجارة بحرية بالسفن والى هذا يشير الشاعر فيقول (٣١) :

إذا ذقت فاها قلت طعم مدامة

معتقة مما يجيء به التجبر

وقد عرفوا هذا اللون من التجارة ولذلك جاء في تشبيهاتهم (٣٢) :

فشبّههم في الآل لما تكمّشوا

حدائق دؤم أو سفينا مقيرا

وأنت تدرك من تشبيهاتهم أنهم عرفوا من مواد الحضارة والترف
والالاقة القدر الكبير فامرؤ القيس يشبه لحم ناقته بهدّاب الدمقس المقتل
أي الحرير المفتول فيقول (٣٣) :

يظلّ العذارى يرتمين بلحمها

وشحم كهّداب الدِمَقْس المَقْتَل

ويقول (٣٤) :

إذا ما الثريا في السماء تعرّضت

تعرّض أثناء الوشاح المفصّل

(٣٠) المصدر السابق ص ١٧

(٣١) المصدر السابق ص ١١٠

(٣٢) المصدر السابق ص ٥٧

(٣٣) المصدر السابق ص ١١

(٣٤) المصدر السابق ص ١٤

ويقول (٣٥) :

دَعَرْتُ بِهَا سَرِباً ثَقِيلاً جُلُودَهُ
وَأَكْرَعُهُ وَشِيءُ الْبُرُودِ مِنَ الْخَالِ

ويقول (٣٦) :

وَعَسَى كَأَلْوَاكِ الْأَرَانِ نَسَائَتَهَا
عَلَى لَاحِبٍ كَالْبُرْدِ ذِي الْحَبَرَاتِ

لقد شبه الطريق اللاحب بالبرد الموشى أي ذي الحبرات •
وهذا بشر بن أبي خازم يعرض لاختفاف ناقته التي بليت من السير
فيشبهها بقطع الزجاج المتكسر فيقول (٣٧) :

وَقَدْ بَلَّيَ الْاِخْفَافُ الْاَوْثَانُظَا
بَقَيْنَ لَهَا مِثْلَ الزُّجَاجِ الْمُهْظَمِ
وَكَأَنَّهُمْ ضَاقُوا ذُرْعاً بَيْنَهُمُ الْبَدْوِيَّةُ أَحْيَاناً فَتَوَجَّهُوا إِلَى مَشَاهِدِهِمُ
الْحَضْرِيَّةِ وَهِيَ هُوَ ذَا زَهِيرٍ يَقُولُ (٣٨) :

يَقْطَعُنَّ أَجْوَازَ أَمِيَالِ الْفَلَاةِ كَمَا
يَغْشَى النَّوَاتِي غَمَارُ اللَّحْجِ بِالسُّفْنِ
وهكذا ترى النواتي في غمار اللج في السفين كما تقرأ قوله وهو يشبه
الابل مجتمعة في سيرها ، سريعة في الفلاة حيث لا ماء فيها فيقول (٣٩) :

مَعْصُوبَاتٌ يُبَادِرْنَ النِّجَاءَ بِنَا
إِذَا تَرَامَتْ بِهَا الدِّيمُومَةُ الْجَدَدُ
عُومُ الْقَوَادِسِ قَفَى الْأَرْدَمُونَ بِهَا
إِذَا تَرَامَى بِهَا الْمَغْلُوبُ الزَّبَدُ

(٣٥) المصدر السابق ص ٣٧

(٣٦) المصدر السابق ص ٨١

(٣٧) ديوان بشر ص ١٩٨

(٣٨) شرح ديوان زهير ص ١٥١

(٣٩) المصدر السابق ص ٢٨٠

والقوادم هي السفن ، والأردمون جمع أردم أي الملاح •
أما حديث الزراعة فكثير أيضاً وها هو ذا الشاعر ليبد يعرض للنخيل
فيقول (٤٠) :

جَعَلَ "قصار" وعَيْدانَ "ينوء بها
من الكوافر مكموم" ومهْتَصِرٌ
الجَعْلُ : القصار من النخل • والعَيْدان : الطوال • وينوء به :
ينهض به ، وقال أبو عمرو : يسقط به • ومكموم أي كمامته غلاقة • ومهتصر:
متدل •

ثم يقول :
يُشْرَبْنَ رِفْهاً عِراكاً غير صادرةٍ
فكلّهما "كارع" في الماء مُغْتَمِرٌ
أما حديث الغناء وآلاته فكثير في أدبهم وها هو ذا عبيد بن الأبرص
يقول (٤١) :

ومسمعة قد أصحَل الشَّرْبُ صوتها
تَأَوَّى إلى أوتار أجوفٍ محنوبٍ
أي ان الشاربين أصحَلوا صوتها أي جعلوه مبجوحاً فهي تلجأ إلى أوتار
آلتها المحنية •

وها هو ذا الشاعر طرفة يقول (٤٢) :
ندامايَ بيضٌ كالنَّجومِ وقَيْنَةٌ
نروحُ علينا بين بُردٍ ومُجَسَّد

(٤٠) ديوان لبید ص ٥٨

(٤١) ديوان عبيد بن الأبرص (تحقيق حسين نصار) ص ٢٥

(٤٢) ديوان طرفة (ط . صادر) ص ٣٠

ولا بد من الإشارة الى ما يتصل بالزراع من العناية المقصودة لأخلص الى مكان اللغة في هذا اللون الحضاري . لعله من الثابت أنه لم يؤثر عن الجاهليين شيء كثير مما يتصل بالفلاحة والزراع والاهتمام بالأرض على أنها مستقر وقترى تزرع فيتخذ من ذلك مادة حضارة واستقرار . ولم يشذ عن هذا النمط من الحياة الجاهلية القديمة الا ما عرف عن أطراف بلاد العرب كما كان في اليمن التي كان فيها للزراعة مكان أي مكان ، وكما كان في شرب والطائف من عناية بصنوف الشجر المثمر والنخل ومثله ما كان في هجر وأطراف عمان .

غير اننا لا نعرف اهتماماً بالأرض وزراعتها الا في العصر الاسلامي فقد جاء في الأثر : ان الرسول (ص) قد اهتم بالأرض ووزعها بين طائفة من المسلمين فأقطع علي بن أبي طالب أرضين هنا وهناك كما أقطع الزبير وأبا بكر وعبدالرحمن بن عوف وأبا دجاجة سماك بن خرشة الساعدي . وخلف بعد الرسول الراشدون فساروا سيرته بالعناية بالأرض ولا سيما في الأقاليم المفتوحة ، ومثل ذلك كان في خلافة بني أمية .

وكانت العربية قد وفّت بهذه الحاجات الجديدة مما اقتضته الزراعة من تهيئة الأرض وسقيها وما يستخدم في ذلك كله من أدوات وآلات . ولا بد ان نستقرى هذه المواد مما يتصل بمصادر المياه كالآبار والعيون والغدران والمسائل . ان مجموع هذه المواد تؤلف معجماً وافر المواد يتصل بالزراع وحاجاته وأدواته . وقد فطن الى هذا الباب اللغويون الاقدمون فصنّفوا رسائلهم في طائفة من موضوعات هذا الباب الكبير ، فكانت كتب للنبات وكتب للشجر وكتب للكرم وكتب للنخل وكتب أخرى تتصل بالزراع والأرض وما يلزمها من مواد .

وأنت تستطيع أن تجمع شيئاً مما يتصل بأدوات السقي وأدوات الزرع
من كتب اللغة العامة^(٤٣) . ومن غير شك ان اللون البدوي كان يشغل من
الرقعة العربية ومن طبقات المجتمع القديم حيزاً كبيراً . ان البداوة أبت
ميسمها وطابعها في حياة الجاهليين وعاداتهم وأخلاقهم وأدبهم وسائر أوجه
النشاط الانساني القديم . ولعل شيئاً من هذا عرض للاسلاميين فلم ينج نهر
من هذه الآثار البدوية . وقد ارتضى هؤلاء البداوة أسلوباً وحياة ، ومن ثم
فقد تنكروا لمظاهر الحياة الحضرية وما يتصل بها من الزراعة والعناية بالأرض
فدموا هؤلاء الذين لزموا الأرض وعنوا بها .

غير أننا لا نعدم أن نجد طائفة أخرى رضيت عيش الحضر فاهتمت
بالزراعة اهتماماً فلمحه في أدبهم . واذا كان هناك اهتمام بالزراعة فلا بد أن
يكون اهتمام آخر بنواحي الحياة الحضرية الاخرى كالاهتمام بالحرف التي
نظر فيها أهل البداوة لوناً من ألوان الذل والجبن والاستكانة .

وكان أهل الحواضر قد استساعوا نمط العيش ذلك اننا نجد أمية بن
أبي الصلت من الجاهليين قد عاش في الطائف الحاضرة التي عرفت الزرع
والخضرة والبساتين وهو يشير الى ذلك في قوله :

فأبتنا خضارم ناضرات يكون تتاجها عنباً وتينا

ومن المواطن الحضرية في بلاد العرب « البحرين » التي عرفت ببساتين
النخل والشجر ، ومن أجل هذا جاءت الاشارات الى هذا في قول الصلتان
العبدى وهو يرد على الشاعر جرير الذي عيّر قومه بأنهم أهل نخل وزرع ،
قال :

أعيرتنا بالنخل ان كان ما لنا

نوداً أبوك الكلب لو كان ذا نخل

(٤٣) انظر « المخصص » لابن سيده في ابواب الارض والزرع وما يتصل بهذا .
ومثل ذلك كتاب « التلخيص » ٤٤٢/٢ ، ٤٧٢

وهو يشير في قصيدته هذه الى أن قرى الزرع والنخل موطن أهل الخير
والصلاح ، وان الله - جل وعلا - اختار النبيين والرسل منهم وهو يقول :

وأي نبي كان من غير قرية

وما الحكم يا ابن اللؤم الا مع الرسل

وليس غريباً ان يرى الصلتان العبدى في الفلاحة والزرع مظهراً من
مظاهر الخير والصلاح ، في حين ان جريراً يرى في هذه المظاهر الحضريّة
عيباً ونقصاً لا يحسن بأهل المروءة أن يلتزموا بها وهو يقول :

أقول ولم أملك ———— وابق عبرة

متى كان حكم الله في كَرَب النخل

وهو يخاطب الصلتان بهجوه فيقول :

كم عمة لك يا خَلِيد وخالصة خضر نواجزها من الكسرات
نبتت بمنبته فطاب لشَمَمُها ونأت عن القيصوم والجثجات

فأنت ترى مقدار تعلق جرير بالبيئة البدوية وبعدها عن مواطن
الحضارة التي ارتضت الزرع وسيلة للعيش واستقراراً في قرى النخل
والشجر .

وهذا أمية بن أبي الصلت يذكر أهله بأنهم يلومونه على اقتناء بساتين
النخل فيقول :

يلومونني في اشتراء النخيل أهلي فكلثهم يعذل

وبعد فهذا عرض لصور من أدبنا القديم برزت فيها امارات حضريّة
بعيدة عن البداوة الجافية . وقد أدركنا منها أن في العربية الجاهلية سعة
للاعراب عن مظاهر الحضارة كما هي حافلة بمواد البداوة في الوقت نفسه ،

فترة العاصفة والاندفاع في الادب الالماني

Sturm und Drang

د. وائل تقي عبدالهادي

كلية الآداب / جامعة بغداد

انفرد الادب الالماني خلال القرن الثامن عشر بحركة ادبية لها خصوصيتها المميزة يدل عليها الاسم الغريب والمثير للاقتباه الذي يطلق عليها . وقد استأثرت تلك الحركة باهتمام ودراسات العديد من مؤرخي الادب في العالم . ونظرا لكون القرن الثامن عشر أهم القرون التي بدأ فيها تأثير الحضارة العربية على الفكر الاوربي واضحا ، فإنه من الواجب تقديم نبذة عن ماهية الحركة الادبية في هذه الفترة للقارئ العربي .

قبل البدء في بحث « العاصفة والاندفاع » لابد من القاء نظرة موجزة على عصر التنوير وأهم دوافعه ، وذلك لانها – أي العاصفة والاندفاع – تعد جزءا متما لها ، ولانها ظهرت خلاله .

كانت المانيا مع اطلالة القرن الثامن عشر تعج بأفكار التنوير الوافدة اليها من انكلترا وفرنسا والتي استهدفت قبل كل شيء تحرير الفكر الاوربي من النظرة الكنسية الضيقة التي كانت تعتبر اساس الفكر والعلوم وذلك لانها أصبحت عائقا أمام التطور الذي اخذت تشهده اوربا في كافة المجالات .

وانطلاقا من ذلك أصبح شعار هذه المرحلة « تحكيم العقل » في معالجة كافة الامور الدينية والدينية وهذا يعني بشكل أو بآخر « الانطلاق الحر للشخصية الانسانية »^(١) .

(١) من محاضرة للبروفسور (Höhle) القاها في كلية الآداب – جامعة بغداد تحت عنوان « لسنك والعرب والاسلام » .

نتيجة لذلك تغير الكثير من المفاهيم والمعتقدات المتوارثة وبلغت الجراحة برواد عصر التنوير حد التشكيك بمعتقدات الكنيسة الاساسية بما فيها الثالوث المقدس واعتقادهم بالوجدانية وكان على رأس من قادة هذه الحملة اديب الكبير فولتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨) الذي بقي مصرا على رأيه حتى الرمح الاخير رغم ضغوط الكنيسة وتهديدها بعدم السماح بدفنه في مقابر المسيحيين .

أما في المانيا دعا لسنك Lessing (١٧٢٩ - ١٧٨١) الذي ينظر اليه على انه من اكبر المعبرين عن حركة التنوير الى التسامح الديني ومساواة الاديان الثلاثة في مسرحيته « ناتان الحكيم » وتعتبر هذه الدعوة بحد ذاتها تحديا كبيرا لافكار الكنيسة ورفضاً للتعصب الديني الذي استغل من قبل الكنيسة ابشع استغلال خلال حروب الاندلس والحروب الصليبية ولم تكن قناعته قد جاءت اعتباطا وانما أتت نتيجة اطلاعه على مكنونات الدين الاسلامي (٢) ، الامر الذي حدا به الى اتخاذ موقف المدافع المنصف عن الدين الاسلامي وذلك في مقالات نشرها في الخمسينات من ذلك القرن وكان من البديهي أن تتضمن تلك المقالات تلميحا ايجابيا لدور العرب الحضاري ، وذلك للترابط الوثيق بين كلمتي الاسلام والعرب لدى المثقفين الاوربيين وان كان هنالك البعض ممن يضع العثمانيين صنو العرب .

تعطي كتابات لسنك مؤشرا لادراك الادباء الالمان ما للحضارة العربية - التي يسر لها الدين الاسلامي سبل التطور - من شأن كبير وعطاء لا ينضب سواء في مجال العلوم او الآداب . وليس أدل على اعجاب الالمان بالادب العربي من ترجمة كتاب حي بن يقظان لابن طفيل عام ١٧٢٦ الى الالمانية (٣) ، وقد أثار هذا العمل الادبي الفذ بالذات اهتمامهم لاحتوائه على أفكار جريئة تتماشى مع أفكار عصر التنوير الى حد بعيد .

(٢) قام لسنك بترجمة كتاب « العرب تحت حكم الخلفاء » لمؤلف (Abbé Mamy) من الفرنسية . المصدر نفسه .

Texte und Kontexte P. 10

(٣) ص ١٠

لقد انصب اهتمام مفكري التنوير على دراسة الفلسفة الاغريقية التي نقلها لهم الفلاسفة العرب ، وانطلاقا من تحررهم من النظرة الدينية الضيقة فأنهم ابدوا تحيزا واضحا الى الفلسفة المادية ، ووجدوا ضالتهم في أفكار الفيلسوف الهولندي اليهودي سبينوزا التي كانت محرمة انذاك^(٤) والتي تنادي بوحدة الوجود وهي أفكار سبق لفلاسفة العرب ان جاهروا بها قبل اكثر من ستة قرون من ذلك الوقت . يبدو مما تقدم ان هنالك تشابها كبيرا في التوجه الفكري الاوربي في القرن الثامن عشر والحركة الفكرية العربية في القرن الحادي عشر والثاني عشر ، والتي وصفها أحد الكتاب الاوربيين بأنها « انسانية حرة سواء في المدن أو القصور ، جريئة ، لا تعرف الخوف ، كما هو الحال في القرن الثامن عشر^(٥) » .

وفي المجال السياسي كان الانحياز للفلسفة المادية والوقوف ضد الكنيسة يحمل في طياته توجهها ضد السلطة الاستبدادية المتحكمة ، ذلك لان الكنيسة كانت أهم دعائم السلطة ومن تعاليمها استمد الحكام سلطانهم وعلى هذا الاساس كانت الفلسفة المادية تمثل — بالنسبة لمفكري التنوير — بديلا لتعاليم الكنيسة « كانت فلسفة الطبيعة التي ترفض النظرة المسيحية المتشائمة ترمي الى ان الانسان بسيطرته على الطبيعة يتمكن من تغيير العلاقات الاجتماعية بما يلائم احتياجاته^(٦) » . تجاه ضعف موقف الكنيسة تضعفت اهم ركائز السلطة السياسية واصبحت تبعا لذلك عرضة لحملة انتقاد ادبية مباشرة من ادباء التنوير ، حاولوا خلالها تبيان معايب الحكم الاستبدادي وعدم ملائمته التطور الفكري والاجتماعي الاوربي وكذلك ارشاد الحكام الى الطريق القويم للحكم .

Philosophisches Wörterbuch Bnd II P. 1032

(٤) ص ١٠٣٢

Ley, Geschichte der Aufklärung

(٥) ص ١٦

(٦) المصدر نفسه ص ١٥ .

استند ادباء التنوير في تصورهم لما يجب ان يكون عليه الشكل السياسي للبلاد على فلاسفة الاغريق اكثر من غيرهم ، وقد اختص فيلاند (Wieland) (١٧٣٣ - ١٨١٣) بمعالجة هذه الناحية وذلك في قصتي « اكاتون » و « ملوك شيشيان » التي عرض فيهما صفات الحاكم الصالح والمدينة المثلى . أما بالنسبة الى نظرة ادباء التنوير للانسان والمجتمع فانهم لم يعيروا حياة الفرد ومشاكله الشخصية اهتماما كبيرا وذلك لانهم كانوا « يعالجونها من خلال النظم والقواعد الاجتماعية المتعارف عليها » (٧) .

بذل رواد عصر التنوير جهودا كبيرة في سبيل تطوير اللغة الالمانية ورفع مستواها الادبي وكذلك في التأكيد على اهمية المسرح الالمانى كما انهم نقلوا روائع الادب العالمى الى اللغة الالمانية كمسرحيات شكسبير وقصص الف ليلة وليلة وألّفوا كتباً عن الحضارتين الاغريقية والرومانية .

بقيت هذه الحركة الادبية التي تزعمها لسنك وفيلاند والشاعر كلوبشتوك (Klopstock) (١٧٢٤ - ١٨٠٣) مهيمنة على النشاط الفكرى والادبى فى المانيا حتى السبعينات من القرن الثامن عشر بالرغم من ظهور انتقاد شمل اسلوب معالجتها للامور السياسية بدأ فى منتصف ذلك القرن ، اذ أن مسرحيات لسنك وكتاباتة ومواعظ فيلاند ونصائحه لم تكن لتجدي نفعا مع السلطة الاستبدادية التي اخذت تتماهى فى طغيانها ، ولم تتوان عن استغلال الشعب باستخدام ابشع الاساليب فى سبيل مصالحها الخاصة وزيادة اموالها ، كبيعها الجنود الالمان الى انكلترة لاستخدامهم ضد حركة الاستقلال فى امريكا الامر الذي أثار موجة سخط كبيرة بين جماهير الشعب (٨) .

(٧) ص ٧ . Schneider-Die deutsche Dichtung in der Geniezeit

(٨) « باعت السلطات الاستبدادية الالمانية انكلترة ٢٩١٦٦ جندي مقابل مايعادل ١٠ ملايين دينار ذهب وقد سقط منهم خلال المعارك فى امريكا ١١٨٥٣ جنديا . تعرض الاديب الالمانى شيلر الى هذه الحادثة بصورة عرضية فى مسرحيته « دسيسه وحب » التي سيأتى ذكرها فيما بعد .

تناولت جملة الانتقادات التي وجهت الى ادباء التنوير جمودهم المتأني من وضعهم « التعقل فوق كل اعتبار »^(٩) وكذلك الفصل بين الشعور والواقع وهذا ما لم يتقبله الفكر الجديد المتأثر بأراء المفكر الفرنسي جان جاك روسو التي وضعت « الشعور فوق مرتبة التعقل »^(١٠) .

كان على رأس المنتقدين لاسلوب التنوير كل من المفكرين هامان Hamann (١٧٣٣-١٧٨٨) وهيردر Herder (١٧٤٤-١٨٠٣) اللذين دعيا الى اعتبار «العالم والحياة وحدة متكاملة لا يمكن فصلهما»^(١١) والى « سيطرة الشاعر بواسطة اللغة التي اعتبرها هامان واسطة بين عالم الروح والعالم المحسوس »^(١٢) كما انهما كانا متأثرين الى ابعد الحدود بأفكان روسو ، وكتاباتة .

كانت عظمة هذين المفكرين تكمن في سعة اطلاعهما على مختلف العلوم شرقية كانت أم غربية^(١٣) ، بضمنها الدين الاسلامي وبأنهما كانا يعبران عما تختلج به صدورهما من أفكار حية بجرأة متناهية كأن لها أكبر الاثر على الادباء الشبان مثل كوته (Goethe) الذي أصبح فيما بعد أعظم ادباء المانيا .

كان عمر كوته عند لقاءه الاول بهيردر عام ١٨٧٠ لا يتجاوز الحادية والعشرين وقد تم ذلك اللقاء في مدينة شتراسبورك الواقعة تحت حكم فرنسا حيث أعجب الاديب الشاب بمنطق هيردر اعجابا شديدا ثم عليه احدى رسائله التي كتبها بعد عامين من حيث يقول « لا يمضي يوم بدون ان اتحدث مع شخصكم واتمنى لو انني تمكنت من العيش بجانبكم دوما »^(١٤) وقد تضمنت

(٩) Deutsche Literaturgeschichte in einem Band ص ١٩٢

(١٠) المصدر نفسه .

Hunger - Deutsche Literaturgeschichte ص ١٤٤ (١١)

Schneider - Die deutsche Dichtung in der Geniezeit ص ٦٤ (١٢)

(١٣) كتب هيردر في احدى رسائله بتاريخ ٢٨-١٠-١٧٧٠ : لقد رميت بنفسي هذه الايام بشدة بين اليهود والعرب المصريين والاحباش والسويين والسامريين ، ص ٢٧٠ (Heder Briefe p. 270)

(١٤) ص ٢٣ ٤٢٣ CH Beck-Sturm und Drang, Klassik, Romantik I p.

الرسالة كذلك آراء كوته تجاه ما أشار عليه هيردر من الاهتمام بدراسة هوميروس - شاعر الالياذة - والاديب الانكليزي شكسبير . كانت مسألة الاقتداء بهذين الادبيين قد اثارت جدلا فكريا في اوربا نظرا لان الاعجاب الشديد بهذين الادبيين أخذ يقود بالتالي الى تقليد اعمالهما وقد كتب الاديب الانكليزي يونك (Young) ل ذلك في احدى رسائله « لاتقلوا كتابته - مشيرا الى هوميروس - بل قلدوا روحه ! »^(١٥) ، وانطلاقا من ذلك فقد اعتبر هوميروس وشكسبير من فلتات الطبيعة ورمزا للعبقرية التي أصبحت - خلال السبعينات - مرادفة لكلمة القوى المبدعة خلافا لما كانت تدل عليه خلال الستينات وهو للتفريق بين المقلد والاصيل .

أصبح منطلق الادباء الشباب تبعا لذلك النظرية المطروحة آنذاك من قبل الاديب والمفكر الفرنسي جان جاك روسو بأن « العبقرية موهبة طبيعية لدى بعض الناس وكان الغرض من هذه النظرية تخطي حدود سيطرة العلماء وقوانينهم »^(١٦) .

وقد أدى ذلك الى ظهور نزعة الاعتداد بالنفس والنبوغ لدى الادباء الجدد الذين عبروا عن ذلك في كتاباتهم التي تميزت « بعرض سريع لافكارهم بدون تردد أو مراجعة ورفض التقاليد او التقيد بالقواعد الادبية المتعارف عليها وقد بلغت ابعاد الاندفاع حد قدم تقبل كلام النقاد »^(١٧) .

ان التحول في ادراك مفهوم الادب من كونه « انجاز للمثقفين الى اعتباره موهبة طبيعية ادى الى أن يتوجه الادباء الجدد في كتاباتهم الى الناس كافة »^(١٨) بغض النظر عن مستوياتهم الفكرية أو الاقتصادية عن طريق ادخال كلمات شائعة الا انها لا تمت الى الاعراف الادبية المعتادة بصلة وذلك لاعتقاد

(١٥) المصدر نفسه

(١٦) ص ١٧ 17 Schneider-Die deutsche Dichtung in der Geniezeit

(١٧) المصدر نفسه ص ٢٢ .

(١٨) المصدر نفسه ص ١٧ .

هؤلاء الادباء بأن مهمة الادب في هذه المرحلة هو التغلغل في نفس القاريء أو المشاهد واثارته بشتى السبل •

كانت هذه أهم النقاط التي لعبت دورا كبيرا عند تأليف كوته لمسرحيته الأولى بعنوان (Götz von Berlichingen) التي ظهرت عام ١٧٧١ أي بعد فترة وجيزة من لقاء كوته بهيردر •

مع صدور هذه المسرحية بدأت مرحلة جديدة من عصر التنوير اتسمت بالحيوية والاندفاع لم يشهد مثلها الادب الالماني من قبل وقد اطلق كوته على هذه المرحلة الادبية « الثورة الادبية » • اما اسم « العاصفة والاندفاع » الذي يطلق عليها كذلك فهو نسبة الى عنوان مسرحية ظهرت عام ١٧٧٦ للكاتب مكسمليان كلتكر (Klinger) (١٩) •

حازت مسرحية كوته الاولى على اعجاب المشاهدين وسببت لكاتبها شهرة واسعة في المانيا بالرغم من انتقاد هيردر الذي كتب الى كوته يقول « لقد حطمتك شكسبير » (٢٠) لان كوته وضع مسرحيته على غرار مسرحيات شكسبير التي تميزت بسرعة تغيير المشاهد • كما ان كوته اقتبس موضوعها من تأريخ المانيا خلال ثورة الفلاحين عام ١٥٢٥ أما الشيء الجديد في هذه المسرحية فهو لغتها المبسطة واستعمال كلمات نابية — بالمفهوم العام — ضد السلطة لم تعدها المسارح الالمانية من قبل وكذلك الكفاح في سبيل الحق والعدالة المتمثل في شخص بطل المسرحية الاقطاعي « كوتز » الذي يتعاطف مع الفلاحين الثائرين بالرغم من منزلته ويقودهم في نضالهم ضد السلطة المستغلة وضد رجال الدين الى ان يقع اسيرا في يد اعدائه •

وفي عام ١٧٧٣ وضع كوته مسودة لعمل ادبي سماه « اناشيد محمد » احتوى على اروع قصائده التي يصور فيها « عظمة النبي محمد وروحه

Annalen der deutschen Literatur p. 471

(١٩) ص ٤٧١

C.H. Beck-Sturm und Drang, Klassik, Romantik p. 423.

(٢٠)

المتطلعة الى الكمال»^(٢١) على شكل تيار يجرف معه كل المياه ويقودها الى المحيط .

ان اعجاب كوته الشديد بشخصية محمد تعود الى اطلاعه على القرآن الكريم الذي اقتبس منه بعض السور وضمنها قصيدته الرائعة هذه كما انه كان يستشهد بسور من القرآن ففي احدى رسائله الى هيردر عام ١٧٧٢ يذكر كوته « ان حالي كمال قال موسى في القرآن «ربي اشرح لي صدري»^(٢٢) . لا بد هنا من ملاحظة نقطة مهمة وهي ان اعجاب كوته بالقرآن كان بتأثير من هيردر الذي كتب في احدى رسائله في بداية عام ١٧٧١ اي أثناء تواجد كوته معه مبدىا أسباب اعجابه بقصيدة نشرت في احدى الجرائد السويسرية « لانها تحتوي على شجاعة محمدية منزلة من السماء»^(٢٣) .

حصل كوته على شهرة في اوربا وفي فرنسا بالخصوص خلال مؤلفه «آلام الشاب فيتر» الذي صدر عام ١٧٧٤ وقد تميز بوصف دقيق للمشاعر الجياشة التي زحرت بها صدور شباب تلك الفترة ورفض العلاقات الاجتماعية التي تعرضها رسائل فيتر الذي يدفعه حبه الى زوجة صديقه الى الانتحار ليضمن لها السعادة وليتخلص من آلامه وما يلاقيه من عذاب .

بدأ كوته في هذه المرحلة كتابة مسرحية فاوست وكان غرض كوته هو اطلاق العنان لمخيلته من خلال شخصية فاوست الناقم على العلوم المتداولة والتطلع الى العلوم الحقة والمعرفة ويدفعه ذلك الى محاولة الاتصال بقوى ماوراء الطبيعة بواسطة السحر . وفي قصيدته الشهيرة (Prometheos) «يرفع كوته المقدرة البشرية الى مرتبة الاولوهية»^(٢٤) .

(٢١) Schneider-Die deutsche Dichtung in der Geniezeit p. 185١٨٥ ص

(٢٢) C.H. Beck-Sturm und Drang, Klassik, Romantik p. 423٤٢٣ ص

Herder Brief p. 295.

(٢٣) ص ٢٩٥

(٢٤) ص ١٩٠

Schneider—Die deutsche Dichtung in der Geniezeit p. 19٢

اما في مقطوعته الادبية (Egmont) التي تدور حوادثها حول حركة الاستقلال الهولندية من نير الحكم الاسباني فتظهر ولاول مرة في الادب الالماني عبارة « آلهة الحرية » .

تظهر أعمال كوته الادبية تعلقا شديدا بالطبيعة تصل ذروتها في عبارة « اهدني ايتها الطبيعة » التي حلت محل « اهدني أيها الرب » وهذا يبين تأثير كوته بأفكار سينوزا التي سبق ذكرها . والتي تعرضت لانتقاد الفيلسوف الالماني كانت الذي قال «تعرف على الطبيعة عندما نصنعها» (٢٥) .

بعد نيف وعشر سنوات من قيام كوته بحركته الادبية أي في عام ١٧٨١ ظهرت مسرحية جديدة لاديب شاب يدعى شلر (Schiller) استحوذت على «عجاب جمهور المشاهدين الى درجة نسي فيها نفسه» (٢٦) وسبب هياجه الامر الذي دعا السلطة الاستبدادية الحاكمة الى منع عرض المسرحية وملاحقة مؤلفها الذي اضطر الى الهرب من المقاطعة .

كان الشيء الذي أثار حفيظة المشاهدين الكلمات القاسية والمؤثرة ضد الاستبداد والتي اظهرته على حقيقته حيث يقول فرانز الذي يمثل الاستبداد بكل معانيه لفلاحى مقاطعته : « ان احب الالوان لدي هو شحوب الفقر وخوف العبيد ، والويل لمن يمر امام عيني بخدود وردية » .

يهب أخ فرانز وهو كارل بالوقوف امام جبع أخيه وطغيانه ويتعرض لذلك لمؤامرات فرانز الذي يستطيع من خلالها أن يوغر صدر ابيه ضد كارل فيضطر هذا للهرب ويتزعم عصابة من اللصوص هدفه من ذلك الدفاع عن الحق واغاثة المظلومين فكان يقتل الحكام الظالمين ويسلب اموال الاغنياء الجشعين ويوزعها على الفقراء والمحتاجين الا ان مثاليته تقوده للاصطدام مع افراد عصابته التي كانت السرقة بالنسبة لهم مهنة يتعيشون عليها لذا يضطر الى تسليم نفسه للسلطات ويساق الى الموت .

(٢٥) المصدر نفسه ص ٣٦ .

(٢٦) الدكتور غازي شريف : «التغريب في المسرح الالماني» العدد الحادي والعشرين ، مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد المجلد الثاني ص ١١٥ .

المسرحية الثانية التي عالج شيلر من خلالها مشاكل عصره السياسية والاجتماعية هي مسرحية دسيسه وحب «التي صدرت عام ١٧٨٤ والتي تحكي قصة حب بين ابن الامير وابنة موسيقي ضعيف الحال ولعدم تماشي ذلك مع تقاليد العصر فإن الامير واتباعه يلجأون الى استعمال أساليب دنيئة في سبيل ابعاد الابن فردناند عن ابنة الموسيقي لويزا وتكون نهاية المسرحية هو انتحار فردنايد بعد موت لويزا بالسم على يديه وامام هذا المشهد يسقط في يد الامير فيسلم نفسه للعدالة طواعية» •

اهم ما تعرضه هذه المسرحية هو انحطاط وضعة الطبقة الحاكمة الالمانية والمواجهة المباشرة بين فردناند الذي يمثل أمل الطبقات الاجتماعية الجديدة وبين الجيل القديم في شخصية والده كما ان شيلر قد صاغ المسرحية بصورة تجعل المشاهد يعتقد بأنها صورة واقعية لحياة القصور في المانيا (٢٧) • لذا تعتبر هذه المسرحية اروع نتاجات هذه الفترة» (٢٨) •

سار شيلر على منوال كوته في تصويره للكفاح الشعب الهولندي ضد اسبانيا في سبيل نيل حريته وذلك في مسرحيته «دون كارلوس» التي ركز هجومه على استبداد الملك الاسباني فيليب الثاني وعلى محاكم التفتيش ولا انسانيته» •

اختلف شيلر عن غيره من ادباء العاصفة والاندفاع بجرائته وبكرهه الشديد للسلطة المستبدة وجه المثالي والثوري للانسانية (٢٩) ، وهذا يرجع الى أن شيلر كان على مساس مباشر بالاستبداد منذ صباه الذي قضاه مجبرا في المدرسة العسكرية التي كانت تخضع لاشراف أمير المقاطعة المباشر وقد تركزت هذه الفترة العصبية من حياته آثارا لا تنسى عبر عنها في كتاباته الادبية •

(٢٧) ص ٢٦٦

Schneider-Die deutsche Dichtung in der Geniezeit p. 266.

(٢٨) المصدر نفسه ص ٢٧١ •

(٢٩) ص ١١١

Thomas Mann, über deutsche Literatur (Reclam) p. 111.

هنالك أعمال ادبية اخرى للاديين كوته وشيلر لم تنل شهرة كبيرة نذا
لم يجر ذكرها كما ان الادباء الآخرين الذين ساروا في هذه الفترة على هذا
النهج لم يصبهم مثل ما اصاب كوته وشيلر من شهرة ونجاح اللذان يعتبران
مفخرة الادب الالماني حتى يومنا هذا .

ادى ارتباط كوته بمنصب رفيعة في مدينة فايمار التي اصبحت مركزا
للاشعاع الادبي في المانيا الى حدوث تغيير تدريجي في اتجاهه الادبي وقد
ارهقته المشاكل الوظيفية والعاطفية في تلك المدينة الى درجة التفكير بالهرب
فغادر المانيا متوجها الى ايطاليا عام ١٧٨٦ حيث بقي هناك قرابة الثلاث سنوات
بدأ خلالها مرحلة ادبية جديدة هي مرحلة « الكلاسيك » وبعد عودته التقى
بشيلر لأول مرة وقد انضم شيلر الى الاتجاه الادبي الجديد اي قبل حدوث
الثورة الفرنسية بوقت قصير .

ما يسمى بالدخيل او الاعجمي في المعجمات العربية

بقلم : طه باقر الاستاذ بقسم الآثار
كلية الآداب - جامعة بغداد
والعضو العامل في المجمع العلمي العراقي

مقدمة وتمهيد (١)

من الحقائق الحضارية المهمة التي كشفت عنها البحوث والتحريات العلمية الحديثة ان تراث حضارة وادي الرافدين الضخم لم يقتصر على الجوانب الفكرية والادبية والعلمية في الحضارات التي جاءت من بعدها بل انه شمل حقل اللغة كاستعارة المفردات اللغوية الكثيرة التي انتقلت منها طائفة مهمة الى اللغتين اليونانية واللاتينية ومنها الى اللغات الاوربية الاخرى كما سيتضح لنا ذلك من الامثلة التي سنوردها . واكثر من هذا انتقل الكثير من المفردات اللغوية الحضارية الى اللغات العربية القديمة (او ما يسمى باللغات السامية) كالارامية والسريانية والعربية والعبرانية .

ومع ان مواطن الحضارات القديمة في الوطن العربي ورثت الكثير من تراث لغاتها القديمة بيد انه يصح القول للاسباب التي سنوردها ان العراق تفرد من بين تلك الاقطار بضخامة تراثه اللغوي القديم من اللغات القديمة التي ازدهرت في حضاراته القديمة المتعاقبة وتركزت رواسب لغوية كثيرة متراكمة لا تزال اثارها باقية في العامية العراقية وفي اللغات العربية المحكية الاخرى في ارجاء الوطن العربي ولكن بدرجات أقل .

(١) تستند هذه المقدمة بالدرجة الاولى الى بحث لي نشرته في مجلة « التراث الشعبي » ، السنة الثانية ، العدد العاشر (١٩٧١) ص ٦ فما بعد .

ولعلني لا ابالغ اذا قلت ان موضوع الرواسب اللغوية في تراثنا اللغوي العربي يأتي في مقدمة الموضوعات التي يجدر ان يضطلع بها باحثونا اللغويون ذلك لانه يدخل في صميم تراثنا العربي اللغوي الضخم المتمثل في المعجمات العربية التي تعد بحق من اروع ما اتجه الفكر العربي في ميدان علوم اللغة ، وكانت منطلقا بارزا في تطوير علم المعاجم في الحضارات الانسانية (Lexicography) . ومع انه لا يدخل في موضوع بحثي نشوء هذا العلم وتطوره في الحضارة العربية الاسلامية بيد ان هناك امرا يلاحظه الدارس لتلك المعاجم ويدخل في صميم هذا البحث المتواضع ، ويجدر التنويه به ذلك هو ضعف تلك المعجمات ونقصها في اهم ما يميز المعاجم الحديثة واعني بذلك التأصيل اللغوي اي ارجاع المفردات الى اصولها الاشتقاقية (Derivation) ولا سيما في الالفاظ التي ظنوها غير عربية فوسموها بالتسمية الغامضة « الدخيل » او « الاعجمي » وقد يستعملون مصطلح فارسي او سرياني - ارامي في بعض المفردات . على ان هذا النقص الذي نوهت به في معجماتنا العربية لا يقلل من شأنها ويضيرها ، ذلك لان معرفة اللغويين العرب بما يسمى باللغات السامية او اللغات العربية القديمة كانت ناقصة محددة لان ما كان معروفا منها اقتصر على الارامية والعبرانية ولم تكن اللغات السامية الاخرى قد كشف عنها النقاب عن طريق مدوناتنا اللغوية ، ذلك الكشف الذي يعد من اروع ما انجزته التحريات الآثارية الحديثة .

وهناك نقائص اخرى في معجماتنا العربية مع انها لا تدخل في موضوع بحثي ولكن ينبغي الاشارة اليها واعني بذلك اهمالها لعرض تطور المفردات اللغوي بحسب العصور المختلفة كما انها نادرا ما تذكر معانيها الفنية والاصطلاحية . ويستثنى من ذلك قلة من المعجمات الصغيرة في الفنون والعلوم اذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مفاتيح العلوم للخوارزمي وكتاب (كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي (١٧٤٥) . وارانني متطفلا على

هذا الموضوع الخطير اذا أهبت بلغويننا المحدثين ان يضطلعوا بهذا الواجب القومي الخطير فيحذوا حذو لغويننا القدماء ويخرجوا لنا معجمات حديثة وفق اصول فن المعاجم الحديثة ، على ان يتلافوا فيها تلك النقائص التي اشرت اليها واهمها قضية التأصيل اللغوي باعادة النظر اعادة جذرية فيما اصطالحوا عليه من الدخيل او الاعجمي التي يمكن البرهنة عليه بالادلة التاريخية التي لا يرقى اليها الشك في ان معظمه تراث اصيل من تراثنا اللغوي القديم ولا سيما من اللغات القديمة التي ازدهرت في حضارة وادي الرافدين مثل السومرية واللغة الاكدية وقرعها الرئيسين البابلية والاشورية . وقد جاءت اليها عن طريق عدة لغات منها الارامية والفارسية القديمة ، كما ان طائفة كبيرة من تلك المفردات ظلت حية في استعمال عامية العراق ولا سيما في شؤون الفلاحة والزراعة والري والبساتين ، ويقتصر استعمال البعض منها على عامية العراق .

صعوبات التأصيل اللغوي :-

موضوع الرواسب اللغوية القديمة او التراث اللغوي القديم في العربية من الموضوعات الشيقة الجذابة التي تستهوي القراء على اختلاف مستوياتهم الثقافية وتستدرج الهواة والباحثين المتطفلين الى المخاطر والمزالق ، وقد قرأنا في الاونة الاخيرة العجائب والغرائب في موضوع التأصيل او كما يسميه البعض «الترسيس» ، فحفزني ذلك على ان ادلو بدلوي لاسهم بنصيب متواضع في هذا الموضوع الشائك الذي بدأ به ولعي منذ عهد قديم وتجمعت لدي عنه مادة لا تزال حيصة دفاتري القديمة ، ولكن رغم تلك المخاطر التي نوهت بها قررت بالحاح من الاصدقاء والزملاء ان اخرجها الى النور لتكون حافزا للباحثين الاخرين لمناقشتها . وسأقتصر فيما ساورده من المفردات اللغوية التراثية على اوضحها واثقها من حيث تأصيلها وارجاعها الى تراثنا اللغوي القديم ، وقد اقر الكثير منها معظم الثقات من الباحثين وتحققت لدى هوية البعض الاخر منها بالادلة اللغوية التاريخية .

ولكي يكون ما ساورده من مفردات واضحا جليا رأيت ان اضعه في اطاره اللغوي التاريخي بتقديم فذلكة تأريخية عن لغات العراق القديم ليكون القارئ على بينة حين نرجع اصل بعض المفردات الى اللغة او اللغات التي تكلم وكتب بها سكان العراق القدماء . واول ما اذكر تلك الحقيقة التاريخية التي تميز تاريخ وادي الرافدين في قدم تراثه الحضاري ومنه تراثه اللغوي وتنوع هذا التراث واختلاف اصوله التي ترجع الى الاقوام المختلفة التي اسهمت في تكوين حضارته . وتكبدس وتراكم هذا التراث بهيئة طبقات كثيرة منضدة بعضها فوق بعض على نحو ما يجده المنقب الاثري في موضع أثري استوطنه الانسان منذ ابعد عصور ما قبل التاريخ ، واستمر الاستيطان فيه الى يومنا هذا فتراكمت فيه طبقات السكنى المتعاقبة ، الاحداث فوق الاقدم مكونة ادوارا حضارية تاريخية ، يتميز كل منها بخصائصه الحضارية الخاصة وان كلا منها ورث عناصر حضارية من سابقه ، ومن ناحية الموضوع الذي بين ايدينا يهون الامر على الباحث في هذه الادوار التاريخية لو ان نفس العناصر او الاقوام البشرية استمرت في استيطان ذلك التل الاثري الذي ضربناه مثلا ، وليس من جانب اقوام متعددة ذات اصول ولغات مختلفة .

ويمكن ايجاز هذه الصورة بالقول ان حضارة وادي الرافدين كانت حضارة متعددة اللغات أو غير متجانسة اللغات (Hetrogenous) بالمقابلة مع حضارات قديمة اخرى مثل حضارة وادي النيل التي تعد من هذه الناحية ذات تراث لغوي متجانس (Homogenous) اذ يقتصر الامر في تراثها اللغوي على رواسب اللغة المصرية القديمة . ان التشبيه الذي اوردته ليس من باب المجاز بل انه عين الواقع التاريخي بالنسبة الى تراث حضارة وادي الرافدين اللغوي . وليت العلم الحديث يخترع لنا جهازا « الكترونيا » يبلغ من الدقة والحساسية درجة بحيث انه يستطيع ان يستعيد لنا اصوات اللغات العديدة التي كانت تتكلم بها الاقوام التي استوطنت العراق منذ عصور ما قبل التاريخ . ولو تحققت هذه الامنية

العلمية الخيالية لسمعنا العجب العجاب من اصوات لغات ولهجات ورطانات لم يفتن الى وجودها الباحثون في لغات العراق القديم ، ولاستطعنا ان نحل اسرارها والغازا ما زالت مبعث حيرة وتخيلات : فمن كان يا ترى اولئك الاقوام الذين انشاؤا حضارات أو ثقافات عصور ما قبل التأريخ ؟ وما هي اللغة التي كان يتكلم بها انسان « النياندرتال » من العصر الحجري القديم الذي عاشت جماعات منه في كهوف العراق الشمالية قبل نحو ٧٠.٠٠٠ - ٥٠.٠٠٠ عام ، ومنها كهف شافندر في اعالي الزاب الاعلى حيث وجدت فيه نماذج عديدة من هياكله العظمية ؟ وهل ان لغات فصائل الانسان القديمة المختلفة ماتت وعفيت آثارها فلم تترك شيئا في لغات الانسان الحديث ؟ ومن كان اولئك الاقوام الذين كانوا اول من استوطن السهول الرسوبية في وسط العراق وجنوبه قبل السومريين والساميين ولم يخلفوا لنا سوى آثار ضئيلة من لغتهم ومنها اسماء معظم المدن التاريخية المشهورة ومنها اسما دجلة والفرات ، ومفردات قليلة في اسماء بعض الحرف والمهن الحضارية المهمة مثل نجار وملاح وفخار واسكاف وغيرها من المفردات التي رأى بعض الباحثين انها ليست من اصول سومرية ولا اكديّة (سامية) واطلقوا على اهلها اسما غامضا هو « الفراتيون » الاوائل (Proto-Euphrateans) (٢)

واذا تجاوزنا مثل هؤلاء الاقوام المجهولي الاصل فينبغي على الباحث مع ذلك ان يأخذ بنظر الاعتبار لغات الاقوام الاخرى المشهورة ممن خلفوا لنا مدونات تاريخية في لغاتهم الخاصة وفي مقدمتهم السومريون والاكديون ولغتهم الاكديّة بفرعيها الرئيسين البابلية والاشورية . ونوجز فيما يلي نبذة عن هذه اللغات التاريخية المشهورة لعلها تكفي لايضاح الموضوع الذي بين أيدينا :

(٢) لا يسعنا اسهاب القول في موضوع هؤلاء الاقوام فاحيل القارئ الى المناقشة الموجزة في كتابي : « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » الجزء الاول (١٩٧٣) ص ٧٤ فما بعد . وانظر بحث صاحب النظرية الاستاذ « لاندز بيركر » في المجلة التاريخية لجامعة انقرة (١٩٤٣ - ١٩٤٥) وايضا S.N. Kramer, The Sumerians (1963), P. 40.

ليس من موضوعنا ان نسهب القول في الاراء المختلفة التي قيلت عن اصل السومريين الذين كانوا من اقدم المستوطنين في سهول وادي الرافدين واسهموا بنصيب كبير في حضارته وكانت لهم تأثيرات ثقافية واسعة في الاقوام الاخرى التي استوطنت العراق القديم وفي مقدمتهم الاكديون (الساميون) وشملت تأثيراتهم اقوام الشرق الادنى الاخرى . وخلاصة ما يقال عن اصل السومريين والمهد الذي نزحوا منه ان ذلك لا يزال من الالغاز التي لم تحل بعد . ومن ناحية موضوع هذا البحث نكتفي بالقول ان اللغة السومرية هي الاخرى مجهولة الاصل ولا يمكن ارجاعها الى احدى العائلات اللغوية المعروفة ^(٣) فهي مثلا ليست من عائلة اللغات العربية القديمة (السامية) ولا من عائلة اللغات « الهندية الاوربية » ولا من عائلة « الاورال - الطاي » ، بيد انها من بعد حل رموز الخط المسماري الذي دونت به والذي يعزى اختراعه الى السومريين اصبحت لغة معروفة في مفرداتها ونحوها ونصوصها المدونة التي تعد من اقدم او اقدم نصوص مدونة في التاريخ (منذ مطلع الالف الثالث ق . م) . وكانت هذه اللغة بحكم تفوق السومريين الثقافي لغة العلم والادب في وادي الرافدين وظلت كذلك حتى من بعد زوال كيان السومريين السياسي منذ مطلع الالف الثاني ق . م . وتركت من ناحية الموضوع الذي بين ايدينا تراثا لغويا ضخما في تاريخ العراق سواء كان ذلك بطريق مباشر باستمرار تداول الكثير من مفرداتها ومصطلحاتها الفنية ام عن

(٣) لعله من المفيد ان نورد التعريف العلمي لما يصطلح عليه علماء اللغة العائلة اللغوية ، فيقصدون بالعائلة اللغوية (Family of Languages) عدة لغات منحدرة من اصل واحد، ولذلك فهي تتشابه في مفرداتها ونحوها اي تراكيبها . واذا استثنينا لغات الهنود الحمر في امريكا وبعض اللغات التاريخية المجهولة الاصل ومنها اللغة السومرية فان اللغات البشرية المعروفة تنظم في اربع عائلات لغوية هي التي اشرنا اليها (اى : (١) عائلة اللغات العربية (السامية) (٢) عائلة اللغات الحامية (٣) عائلة لغات الاورال - الطاي (٤) عائلة اللغات الهندية الاوربية .

طريق غير مباشر باستعارة الكثير من مفرداتها من قبل الاقوام القديمة في العراق القديم وفي مقدمتهم الاكديون (الساميون) . ويجدر ان نذكر بهذا الصدد ان السومريين انفسهم استعاروا من الاكديين مفردات لغوية غير قليلة دخلت في صلب لغتهم . وسنقف على امثلة لهذا الاقتباس المتبادل في المفردات التي سنذكرها من بعد هذه المقدمة . وهنا ينبغي على الباحث ان يحسب لهذه الحقيقة التاريخية حسابها حين يحاول ارجاع اصول التراث اللغوي في العراق ، فقد تكون الكلمة التي يظنها سومرية الاصل هي في الواقع سامية النجار استعارها السومريون من الاكديين .

٢ - اللغات العربية القديمة (السامية) :

من الحقائق المعروفة عن تاريخ الاستيطان البشري في العراق وفي اجزاء الوطن العربي الاخرى كثرة هجرات الاقوام الذين ساهموا المستشرق « شلوتزر » (١٧٨١) بالاقوام السامية ظنا منه انهم من ابناء سام بن نوح كما جاء في جدول الانساب في التوراة (سفر التكوين الاصحاح العاشر ٢١ - ٣١ والاصحاح الحادي عشر ١٠ - ٢٦)

وهذه فرضية لا يسندها الواقع التاريخي ، والصحيح ان نطلق عليهم اسم اقوام الجزيرة او الجزيريين او الاقوام العربية^(٤) من حقيقة كون الجزيرة العربية هي المهد الذي نزلت منه تلك الاقوام منذ ابعد عصور ما قبل التاريخ الى الاجزاء المختلفة من الوطن العربي بحيث يصح القول ان اصول العربية او الجزيرية فيها تطفئ على تركيب سكانها وتراثها اللغوي . واذا كان ليس من موضوعنا الكلام على تلك الهجرات في الازمان التاريخية المختلفة ، بيد ان موضوع بحثنا ذو صلة لازمة بالتعرف على اللهجات والفروع التي انقسمت اليها عائلة اللغات العربية او ما يسمى باللغة الام (Ur Sprache) ، فنقول ان الباحثين تواضعوا على تقسيم

(٤) راجع كتابي الموسوم « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » الجزء الاول (١٩٧٣) الفصل الاول

افراد هذه العائلة اللغوية الى كتلتين أو مجموعتين كبيرتين هما كتلة اللغات العربية الشرقية (السامية الشرقية) وكتلة اللغات الغربية (السامية الغربية) وتلحق بهذه الكتلة الثانية اللغات العربية بفرعيها الكبيرين ، العربية الشمالية التي نزل القرآن الكريم باحدى لهجاتها وهي لغة قريش ، وكانت اصل اللهجات العربية المحكية الان في الوطن العربي . والفرع الثاني اللهجات العربية الجنوبية كالمعينية والسبأية والحميرية وقريب منها اللغة الحبشية .

وانحصرت الكتلة الشرقية بالدرجة الاولى في العراق القديم وعرفت باسم اللغة الاكادية نسبة الى بلاد اكد المشتق اسمها من اسم العاصمة الاكادية « اكد » او « اكادة » التي اسسها مؤسس السلالة السرجونية سرجون (في حدود ٢٣٧٠ - ٢٣١٥ ق م) . ولا يعني هذا كما قد يتبادر الى الذهن ان هذه السلالة تمثل اولى هجرة للساميين الى وادي الرافدين ، بل ان الثابت تاريخيا ان العرب القدماء (الساميين) نزحوا الى العراق من الجزيرة منذ ابعد عصور التاريخ ، ولكن السومريين هم الذين برزوا في مسرح الحوادث ثقافيا وسياسيا ، ولا سيما في العهد الذي عرف في تاريخ العراق القديم باسم عصر دول المدن (City—States) او عصر السلالات (٢٨٠٠ - ٢٣٧٠ ق م) ، ومع ذلك فان اسماء غير قليلة من اسماء حكام تلك الدويلات كانت اسماء عربية قديمة (سامية) ، ولعل ابرز مثال على ذلك ان مالا يقل عن نصف اسماء سلالة كيش الاولى البالغ عددهم اربعة وعشرين ملكا كانت اسماء سامية . وكانت سلالة كيش هذه اولى سلالة حكمت في العراق من بعد الطوفان بحسب أثبات الملوك السومرية .

ولكن باستثناء اسماء الاعلام وطائفة من المفردات الاكادية الواردة في عصر السلالات السالف الذكر لم تأت الينا لحال التاريخ نصوص مدونة باللغة الاكادية باستثناء نص اكدى منقوش على تمثال للملك السومري « لوكال زاكيري » من اخر عصر السلالات وهو الذي قضى عليه سرجون الاكدي . وبدأت اللغة الاكادية تدخل في طور التدوين الواضح منذ عهد

السلالة الاكدية السالفة الذكر واصبحت لغة الدولة الرسمية وتحل محل السومرية شيئاً فشيئاً ، ولكن بقيت السومرية مستعملة في النصوص الادبية والعلمية الى آخر اطوار حضارة وادي الرافدين ، كما كان الحال في اللغة اللاتينية في أوربة من بعد زوال الامبراطورية الرومانية .

ويعني هذا بعبارة اخرى ان العراق القديم كان مزدوج اللغة (Bilingual) حيث اللغتان الرئيسيتان السومرية والأكدية . وعلى ما هو معروف في تاريخ العراق اللغوي مرت اللغة الاكدية في تاريخها الطويل بادوار تطورية حدث فيها كثير من التغيرات الصوتية والتركيبية ، استتبع عنها ان انقسمت الى لهجات يمكن حصرها في لهجتين رئيسيتين هما اللغة البابلية في بلاد بابل واللغة الاشورية في بلاد اشور ، وانقسمت كل من هاتين اللهجتين بمرور الازمان الى لهجات فرعية مثل البابلية القديمة والوسيط والحديثة والمتأخرة ، والاشورية القديمة والوسيط والحديثة . وحكم في العراق فيما يسمى بالعصر البابلي الوسيط (١٥٠٠ - ١٠٠٠ ق . م) سلالة عرفت باسم السلالة الكشية اصل حكامها من الاقوام الجبلية في جبال زجروس بيد ان هؤلاء الكشيين لم يأتوا الى العراق باعداد كبيرة وكانوا مجرد طبقة حاكمة مع اتباعها من المحاربين ، وانهم لم يستعملوا لغتهم القومية بل انصهروا في بودقة حضارة وادي الرافدين بحيث انهم لم يخلفوا تراثاً لغوياً يعتد به ويقتصر على اسماء الاعلام من ملوكهم واسماء آلهتهم ومفردات لغوية قليلة دونها اصحاب المعاجم في العراق القديم . ومع ان الاكدية بفرعيها الرئيسيين البابلية والاشورية ظلت كما قلنا اللغة السائدة في وادي الرافدين بيد انها دخلت في ادوارها الاخيرة (منذ مطلع الالف الاول ق . م) تحت تأثيرات لغوية لا يستهان بها من بعض افراد اللغات العربية الغربية وبوجه خاص اللغة الارامية .

اما كتلة اللغات العربية الغريبة فكانت لغات الاقوام التي استوطنت بلاد الشام في موجات تاريخية متعاقبة ، اشهرها بحسب الترتيب التاريخي : اللغة الكنعانية ولهجاتها المختلفة كالاوغاريتية (اوغاريت التي تمثلها رأس الشمر الان بالقرب من اللاذقية) والفينيقية ثم الامورية (نسبة الى امورو أو مارتو وهو المصطلح الذي اطلقه سكان العراق القدماء على بلاد الشام والغرب) ، ثم الارامية والعبرانية ، ولهجات اخرى مضاهية . وصارت بلاد الشام وبواديها وجهات الفرات الاعلى وشمالى غربي الفرات وجزيرة ما بين النهرين العليا بمثابة مهد ثان للاقوام العربية القديمة انتشروا منها في هجرات كثيرة الى اقاليم الوطن العربي ، ولا سيما وادي الرافدين حيث اقاموا فيه عدة دول حاكمة بعد ان قضوا على امبراطورية سلالة اور الثالثة السومرية واشتهرت من تلك السلالات الحاكمة سلالة بابل الاولى (١٨٩٤ - ١٥٠٠ ق م) التي اشتهر منها ملكها السادس حمورابي (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق م) . ولكن الغرب في امر الاموريين الذين استوطنوا العراق أنهم رغم نفوذهم السياسي لم يدونوا بلهجتهم الامورية بل انهم اتخذوا اللغة البابلية . فيمكن القول مما يتعلق بموضوع بحثنا ان الاموريين لم يتركوا تراثا لغويا يعتد به باستثناء اسماء بعض الاعلام واسماء بعض الالهة . على ان الحال كان يختلف بالنسبة الى اللهجة او اللغة الارامية من حيث تراثها اللغوي الكبير في العراق وفي انحاء الشرق الادنى . فان الاراميين رغم اخفاقهم السياسي بسبب ضغط الاشوريين عليهم خلفوا تراثا ثقافيا كبيرا في النواحي اللغوية ولا يزال هذا التراث حيا الآن ، حيث يتكلم باللهجات السريانية (من فروع الارامية القديمة) عدة طوائف مسيحية في سورية والعراق ولبنان ، ويتكلم السريانية ايضا الطائفة الصابئية (المندعية) وصارت الارامية وسيطا لغويا جاءتنا عن طريقها طائفة كبيرة من المفردات البابلية بالاضافة الى مفرداتها الخاصة ، وهو ما درج على تسميته اصحاب المعاجم العربية باسم الدخيل والارامي .

اذا اهلنا بعض الاقوام القديمة الذين يشك في اصلهم الهندي -
 الاوربي مثل الكوتيين الذين قضوا على امبراطورية سرجون الاكدي (في
 حدود ٢٢٠٠ ق م) ومثل اللولوبيين ثم الكشيين الذين نوهنا بهم - نقول
 اذا استثنينا امثال هؤلاء الاقوام الذين لم يثبت انهم خلفوا في العراق اي
 تراث لغوي ، فلا بد للباحث الذي يتناول تأصيل التراث اللغوي في العراق
 ان يأخذ بعين الاعتبار لغات الاقوام الايرانية مما كان لهم اثر مباشر في حياة
 العراق السياسية مثل الماذهين الذين اسسوا سلالة حاكمة قبل الفرس
 الاخمينيين الذين حكموا العراق زهاء قرنين من الزمان (٥٣٩ - ٣٣١ ق م .
 فمع ان اللغة البابلية بخطها المسماري ظلت لغة رسمية في العراق وحتى في
 بلاد ايران في المدونات الرسمية ، ولكن مما لا شك فيه ان حقبة القرنين
 اللذين دامتها الامبراطورية الفارسية الاخمينية قد تركت تراثا لغويا يعتد به .
 وبالإضافة الى ذلك صارت الفارسية القديمة وسيطا لغويا جاء الينا عن طريقه
 طائفة مهمة من المفردات البابلية ، مما نجده ينعت في معجماتنا العربية بصفة
 الاعجمي او الدخيل . واعقب الفرس الاخمينيين فترة حكم الاسكندر الكبير
 وخلفائه من السلوقيين (٣٣١ - ١٢٦ ق م) وهي فترة كانت على جانب
 كبير في اهميتها الحضارية ومنها الجوانب اللغوية فمما لا شك فيه ان مفردات
 بابلية كثيرة قد انتقلت الى اللغة اليونانية كما خلفت اليونانية بدورها بعض
 المفردات والمصطلحات اللغوية . واستمرت التأثيرات اللغوية المتبادلة ما بين
 البابلية والفارسية في العهد الفارسي الفرثي الذي اعقب حكم السلوقيين في
 العراق (١٥٠ / ١٢٦ ق م - ٢٢٦ م) ثم الفرس الساسانيون (٢٢٦ -
 ٦٣٧ م) ، واستمرت التأثيرات المتبادلة الى العهود العربية الاسلامية على
 ما هو معروف لدى المؤرخين واللغويين .

ومن اللغات التي ينبغي على الباحث في تراث العراق اللغوي ان يحسب لها حسابا اللغات التركية التي قلنا انها تنتمي الى العائلة اللغوية المصطلح عليها « الاورال - الطاي » . فبالاضافة الى ما هو معروف في تاريخ العراق الحديث من دخول القطر تحت حكم الدولة العثمانية طوال عدة قرون (١٥٣٤ / ١٦٣٨ - ١٩١٧) ، وتداول اللغة التركمانية في بعض جهات العراق الآن - نقول بالاضافة الى ذلك دخلت عناصر تركية الى العراق في عهود تاريخية اقدم ولا سيما منذ عهد الخليفة العباسي المعتصم بالله (٨٣٣ - ٨٤٢ م) . ثم فترة تسلط الاتراك السلاجقة على الخلافة العباسية (١٠٣٧ - ١١٥٢ م) وعهد احفاد هولاء اي الايلخانين (١٢٥٨ - ١٣٣٨ م) وفترة حكم الجلائريين الاتراك (١٣٣٨ - ١٤١١ م) وعهد الاسرتين التركمانيتين الحاكمتين اي اسرة الخروف الاسود « قره قوينلو » (١٤١١ - ١٤٦٨) واسرة الخروف الابيض « آق قوينلو » (١٤٦٩ - ١٥٠٨) .

واقدم في الصفحات التالية القسم الاول من تلك المفردات اللغوية التي لا يحوم حولها الشك في أنها من تراث حضارة وادي الرافدين اللغوي وهي مرتبة حسب حروف المعجم من حرف الالف الى حرف الخاء آملا ان اتبعها ببقية المفردات في الاجزاء الاخرى من هذا البحث . ولعله من المفيد ان انبه على ما سبق ان ذكرته ان هذه المفردات تقتصر على تراثنا اللغوي من حضارة وادي الرافدين وانها لا تتناول تلك المفردات التي لا تكاد ان تحصى في العربية والاكدية والمتشابهة في لفظها ومعناها مما هو مشترك بين اللغتين بصفتها من ارومة واحدة اي من عائلة لغوية واحدة .

تبادل الاصوات في اللغات العربية (ابامية)

٨ ٨ ٨ ٨ ٨ ٨ ٨ ٨

العربية النجدية العربية الحبشية العربية الريانية العربية النبطية الخطاطم

١	أ	أ	أ	أ	أ	أ	أ
٢	ب	ب	ب	ب	ب	ب	ب
٣	ث	ث	ث	ث	ث	ث	ث
٤	ج	ج	ج	ج	ج	ج	ج
٥	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح
٦	خ	خ	خ	خ	خ	خ	خ
٧	د	د	د	د	د	د	د
٨	ذ	ذ	ذ	ذ	ذ	ذ	ذ
٩	ر	ر	ر	ر	ر	ر	ر
١٠	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز
١١	س	س	س	س	س	س	س
١٢	ش	ش	ش	ش	ش	ش	ش
١٣	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص
١٤	ض	ض	ض	ض	ض	ض	ض
١٥	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط
١٦	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ
١٧	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع
١٨	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ
١٩	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف
٢٠	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق
٢١	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك
٢٢	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل
٢٣	م	م	م	م	م	م	م
٢٤	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن
٢٥	و	و	و	و	و	و	و
٢٦	ي	ي	ي	ي	ي	ي	ي
٢٧	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ
٢٨	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح

رأى بين اللغات ابامية المقارن وتبادل اصوات الحروف فيها راجع أحدث
 رسالة عن الموضوع في المرجع الآتي :
 S. MOSCATI و A. SPITALER, von SABEN, AN INTRODUCTION TO THE COMPARATIVE
 GRAMMAR OF THE SEMITIC LANGUAGES (1963)

المراجع الاساسية ومختصرات عناوينها : —

1. H. Zimmern, **Akkadische Fremd Wörter Als Beweis für Babylonische Kultureinfluss** (2nd ED. 1917) = Zawb
2. R.C. Thompson, **Dictionary of Assyrian Botany** = Dab
3. ———, **Dictionary of Assyrian Chemistry** = Dac.
4. Landsberger, **Die Fauna Und Flora Des Alten Mesopotamien**
= Fam
5. Von Soden, **Akkadische Hand Wörterbuch** = Von soden
6. **Chicago Assyrian Dictionary** = Cad
7. R. Labat, **Manuel D'Épigraphie Akkadienne** (1952) = Mea

الألف والهمزة

١ - أنكار

الكلمة الاكدية « اكارو » (Ikkaru) مشتقة من الكلمة السومرية « انكار » (Engar) ، وتكتب بالعلامة التي ترمز الى المحراث . وتعني هذه الكلمة بوجه عام العامل في الارض اي الزراعة والفلاح . وانتقلت الى العبرية بهيئة « اكار » والارامية « اكارا » . والمرجح كثيرا ان « اكارو » الاكدية واصلها « انكار » السومرية من المفردات اللغوية التي جاءت الينا من التراث اللغوي لاولئك القوم المجهولي الاصل واطلق عليهم المصطلح الغامض « الفراتيون الاوائل » ولم يكونوا من الاكديين (الساميين) ولا من السومريين ، وقد ارجع الباحثون حديثا مفردات اخرى مهمة الى هؤلاء الاقوام من بينها اسماء معظم المدن العراقية القديمة واسماء طائفة مهمة من الحرف والصناعات مثل النجار والفخار والاسكافي وغيرها مما سيرد ذكره فيما بعد .

والاكار في المعجمات العربية الحارث والزراع ، وجمعه أكره واكارون، كما ذكرت مادة اكر ، اكرأ ، واكرأ الارض حفرها وحرثها ، والاكرة وجمعها اكر ، الحفرة . والاكارات عند الفقهاء ما يعطي من الارض الى الاكرة لزرعها واعمارها مقابل حصة معلومة . وجاء في رواية قتل أبي جهل : « فلو غير أكار قتلني » اراد بذلك الانتقاص والاحتقار . وفي اللسان ان الحديث نهى عن المواكرة اي المزارعة على نصيب معلوم مما يزرع في الارض .

٢ - الافكل

كلمة الافكل الواردة في المعجمات العربية اصلها من الكلمة الاكدية الواردة في النصوص المسمارية بهيئة « أبكلو » أو « آپكلو » Apkallu التي تكتب بالطريقة المسمارية الرمزية بالعلامتين المسمارتين « نن - مي » (Nun-Me) وقد تكتب بالعلامتين « نن كال » (Nun-Gal) وفي هذا المعنى وردت في خاتمة شريعة حمورابي (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق م)

في وصف الاله « ايا » الذي تميز بالحكمة والمعرفة وانه حكيم الالهة ؛ كما نعت بالصفة نفسها الاله « مردوخ » كبير آلهة بابل وابنه الاله « نيسو » (الاله مدينة بارسبا الذي عد الاله الكتابة والحكمة) . وقد اشتق الاكديون من كلمة « أبكلو » ما يدعى في العربية بالمصدر الصناعي باضافة اللاحقة « - اوتسو » الى آخر الكلمة أي « أبكلوتسو » (Apkallutu) التي تعنى الحكمة . وورد في المصادر المسماوية بعض المرادفات لكلمة « أبكلو » ، منها « عمقو » (العمق او التعمق) و « خاسيسو » « الحاسس » و « مودو » اي العارف .

واطلق مصطلح « أبكلو » في نصوص ادب حضارة وادي الرافدين على ما سموه « الحكماء السبعة »^(٦) الذين عزوا اليهم اصل المعرفة والحكمة عند البشر ، وذكر مصطلح الحكماء السبعة في ملحمة جلجامش (مقدمة اللوح الاول) على انهم هم الذين وضعوا اسس مدينة الوركاء . واطلقت الكلمة نفسها ايضا على العراف والكاهن المعوذ ولا سيما من الطبقة العليا .

وورد اسم الافكل في النقوش العربية الجنوبية وهو يطلق على الكاهن الاعلى ، كما وردت الكلمة في نبطية تدمر بهيئة « افكلا » وفي التلمود « افقيلو » وهناك احتمالان عن اصل كلمة الافكل في العربية الجنوبية . فاما انها مأخوذة من اكدية وادي الرافدين او انها اصيلة في العربية الجنوبية . ومما تجدر ملاحظته بهذا الصدد ان اكدية وادي الرافدين اقرب لهجة الى العربية الجنوبية بحيث يصح الافتراض ان الاكديين انفسهم هاجروا الى

(٦) شاعت فكرة الحكماء السبعة في الحضارات القديمة ومنها الحضارة اليونانية التي لا يشك في انها اقتبستها من حضارة وادي الرافدين التي برزت فيها هذه الفكرة بصورة واضحة قبل اليونان بعدة قرون . عن الحكماء السبعة في مدونات حضارة وادي الرافدين انظر البحوث الالية :

Reiner in *Orientalia* , Vol. 30. 9,

Van Dijk, *La Sagesse*

و « مقدمة في ادب العراق القديم » (١٩٧٦) لطفه باقر

العراق من جنوبي الجزيرة في عصر مبكر من التاريخ (لعله في اواخر الالف الخامس ق . م) . ومن ناحية اخرى لا يمكن الجزم هل ان هذه الكلمة الاكديّة من السومرية او العكس الذي يؤيده وجود الكلمة في العربية الجنوبية كما نوهنا . وعلى ما يرجح انتقلت كلمة افكل من جنوبي الجزيرة الى شمالها مع تحوير في معناها الاصلي ، حيث تورد المعجمات العربية لها جملة معان منها الشجاعة والرعدة والجماعة من الناس فيقال مثلاً اخذ فلانا افكل اذا اصابته رعدة من خوف او برد ، وجاء في حديث عائشة : « وأخذني افكل وارتعدت من شدة الغيرة » .

٣ - اشكاراة ، شكاراة

يستعمل مصطلح إشكاراة وشكاراة ولا سيما في العراق الان في الشؤون والاعمال الزراعية بمعنى قطعة من الارض صغيرة يخصصها او يهبها مالك الارض لاحد الاشخاص لزراعتها وجني غلتها دون حصة يأخذها المالك ، وهكذا ورد معناها في بعض المعجمات العربية على انها ما يزرعه الخولي لنفسه في قطعة صغيرة من ارض المالك .

وجاءت كلمة « إشكارو » (Ishkaru) في الاكديّة وهي مأخوذة من اللغة السومرية : « اش - كار » . وتعني بوجه عام عمل او واجب ، ولا سيما فيما يتعلق بالاعمال المتعلقة بكري الانهار والفلاحة والزراعة ، وتعني كذلك ما يعين او يخصص للفلاحين والعمال من واجبات . واستعملت في النصوص الادبية بصيغتها السومرية بمعنى سلسلة او مجموعة متسلسلة من القطع الادبية مثل الاشعار والاغاني ، فيطلق مثلاً على ملحمة جلجامش (إشكار جلجامش)

٤ - اسكفة

وردت في الاكديّة كلمة اسكفة بلفظ يضاهي العربية اي بصيغة « أسكبتو » (Askuppatu) من مادة « سكابو » أو « سقاپو » اي سقف ، جريا على القاعدة في تبادل الاصوات في اللغات العربية القديمة

(السامية) من ان حرف الفاء في العربية يضاهيه صوت « الپاء » في الاكدية واللغات السامية الاخرى . واشتق في الاكدية من مادة « سقابو » اسم الالة « اسكتو » باضافة حرف (أ) الى اول الفعل ، وهذا اسلوب في الاشتقاق مألوف في اللغة الاكدية مثل « إكريبو » من فعل « كرابو » أي قدم النذور والقرايين . ومن الاكدية اخذت الكلمة الارامية « اسكتا » و « اسكتا » والمندائية (المندعية) « عشقوفتا » وتضاهيها العبرية « مشقوف » .

وتعنى الاسكفة في الاكدية عتبة الباب ، ولا سيما صفحة من الحجر توضع في عتبة الباب السفلى ، كما وردت مثلاً في ملحمة جلجامش (اللوح الاول) . وترد مادة سكف في المعجمات العربية بمعنى جعل للباب عتبة ، والسكف اعلى الباب الذي يقابل العتبة السفلى التي يوطأ عليها .

٥ - الاسكاف ، والاسكافي

وردت في الاكدية كلمة « أشكابو » مطابقة في اللفظ والمعنى للعربية اسكاف واسكافي بتغيير في بعض الاصوات بموجب قانون تبادل الاصوات في اللغات العربية القديمة (السامية) حيث الشين الاكدية تلفظ سينا في العربية والپاء الاكدية فاء العربية .

وترجع الكلمة الاكدية « اشكابو » في اصلها الى السومرية « اشكاب » Ashgab التي تكتب بنفس العلامة المسمارية الرمزية التي تعني الجلود . وورد في السومرية مرادف اخر هو « شكنكا » (Shikanga) الذي يعني بوجه عام الذي يعمل في الجلود اي الخفاف والاسكافي . ويرجح الباحثون المختصون ان كلتا الكلمتين الاكدية والسومرية من تراث تلك اللغة المجهولة التي سبقت الاشارة اليها ولم تكن سومرية ولا اكدية وانقرضت باستثناء طائفة مهمة من المفردات اللغوية لبعض الحرف والصناعات واسماء معظم المدن القديمة كما نوهنا . ومن الاستعمالات الطريفة لكلمة الاسكافي في اللغة الاكدية انها وردت لقباً لبعض العائلات القديمة (معجم CAI, I, 443) وذكرت كلمة الاسكاف في المعجمات العربية (مثل

لسان العرب) ان الاسكاف والاسكوف والاسكف الخ تعني الصانع مطلقا وتطلق ايضا على الخفاف والنجار وعلى الحاذق من الصانع .

٦ - انجانة ، أجانه :

جاء في الاكدية ما يضاهاى العربية « انجانة » و « أجانه » اي « اكنو » (Agannu) ولعل منها الارامية والسريانية « اكون » و « أكانا » والعبرانية « أكانو » ، وكلها وردت بما يسمى الكاف الفارسية ، ولكن الواقع ان هذا الكاف المشبع صوت اصيل في اللغات العربية القديمة (السامية) ولا يوجد فيها صوت الجيم العربي .

وفي المعجمات العربية الاجانه اثناء تغسل فيه الثياب وجمعها أجاجين ، كما ذكرت مادة « أجن » الثوب ، بمعنى دقه بمدقة مخصوصة ليستخرج ماءه .

٧ - ازميل

توجد في الاكدية كلمة « أزميلو » (Azamillu) المضاهية في لفظها للكلمة العربية ازميل وهي الآلة المعروفة من الحديد التي ينقر بها الحجر والخشب ، وتعنى كذلك شفرة الحداد . ولكن معنى الكلمة الاكدية يختلف عن معنى الازميل العربية فانها تعني في الاكدية بوجه عام الكيس ولاسيما الكيس الكبير المعمول على هيئة الشبكة لحمل الاشياء مثل التبن وغيره ، على نحو ما هو مستعمل الان في العراق . ولذلك فالمرجح ان « أزميلو » الاكدية ترادف الكلمة العربية الازمل والزمل اي الحمل والراحلة من مادة زمل زملا الشيء اي حمله .

٨ - الآس

كلمة الآس العربية مطابقة للاكدية « آسو » (Asu) لفظا ومعنى ، وتكتب في نظام الخط المسماري بالمقاطع السومرية : « شم كر » مسبوقة بالعلامة الدالة على الشجر أي « كش » ، ويعني اسمها بالسومرية الشجرة ذات الرائحة الطيبة المألوفة في شجرة الآس . وكثر ذكر الاس في النصوص المسمارية

وفي المعجمات (الأثبت) النباتية منذ العصر الاكدي (منتصف الالف الثالث ق م) ، وذكرت له عدة استعمالات طبية (انظر مجلة سومر ١٩٥٢ ، ص ٢٣ ، والمعجم المرموز له (Dab, 306ff) . واستخرج سكان العراق القديم من الآس نوعا من العطور والزيت اطلقوا عليه مصطلح « زيت الآس » (وفي النص الاكدي شمن - آسي ، أي شمن الآس) . وجاء ذكر الآس في ملحمة جلجامش (اللوح الحادي عشر ، السطر ١٥٧) في رواية بطل الطوفان البابلي « اوتو - نبشتم » عن الطوفان وكيف انه قرب من بعد انحصار الطوفان الى الالهة اذ يقول : « نصبت سبعة وسبعة^(٧) قدور للالهة وكدست تحتها القصب الحلو وخشب الارز والآس ، فشم الالهة شذاها » .

٩ - الآسي

كلمة « آسو » (Asu) في اللغة الاكدي تطلق على الطبيب . والرأي السائد بين الباحثين اللغويين ان هذه الكلمة مأخوذة من المصطلح السومري الذي يعني الطبيب ايضا وهو « آ - زو » (A-Zu) او « يا - زو » (Ia-Zu) المؤلف كل منهما من كلمتين سومريتين تعني الاولى منهما « آ » ، الماء والثانية « زو » العارف (من عرف) وفي الصيغة الثانية تعني اللفظة الاولى « يا » (IA) الزيت فيكون المعنى العام العارف بالماء او الزيت ، ولعل منشأ ذلك ان كلا من الماء والزيت يدخلان في فن الشفاء والتداوي ، او ان ذلك يشير الى اله الماء « ايا » المختص بالطب والشفاء .

وفي المعجمات العربية « أسا ، اسوا ، وآسا الجرح . داواه . وآسي تأسية الرجل عالجه . والاساء الدواء . ويطلق الاسي (وجمعه اساة واساء

(٧) لاحظ التعبير الشعائري الطريف « سبعة وسبعة » بدلا من قوله اربعة عشر دلالة على قدسية رقم ٧ . واستعمل التعبير نفسه في الشعائر الدينية الاغريقية (Dis Hepta)

والمؤنث آسية) كذلك على الطبيب . ويبدو ان مثل هذه الاستعمالات
قديمة في العربية ووردت في الشعر الجاهلي ، كما جاء في شعر الحطيئة :

هم الآسون أم الرأس لما - تواكلها الاطبة والاساة

١٠ - اكو ، ماكو

الكلمتان « اكو » و « ماكو » من المفردات اللغوية التي يقتصر تداولها
على عامية العراق ، وتعنيان على ما هو معروف « يوجد » و « لا يوجد » .
وقد حار المفسرون المحدثون في اصلهما وذهبوا في ذلك مذاهب شتى . فمنهم
من رأى انهما اختصار ليكون وما يكون . وجاء في معجم الالفاظ
الكويتية للشيخ جلال الحنفي ان كلمة ماكو مركبة من « ما » النافية ومن
لفظة « اكو » التي خمن اصلها تخميناً صحيحاً على انها من الالفاظ العراقية
القديمة التي بقيت معروفة ومتداولة الى يومنا هذا ، ونقل عن الاب
الكرملي ان اكو وماكو من الصابئية (المندائية) اللتين نقلتا عن اليونانية
(كذا !) . على ان النصوص المسمارية ساعدتنا على حل هذا اللغز اللغوي ،
فقد ورد في اللغة الاكدية « ماكو » وتعني لا يوجد ، وترادفها في السومرية
كلمة « نو - كال » (NU-GAL) (لا يوجد) . وتعني اللفظة الاكدية
« ماكو » عكس الكلمتين اللتين تعنيان الوجود وهما « كاشو » و
« باشو » (انظر مجلة سومر المجلد ١٤ ، ٤١ ، ومعجم CAD) . ومع
انه لم يرد الى الآن نص مسماري عن كلمة « اكو » ولكن المرجح ، قياساً
على ورود كلمة « ماكو » ، ان هذه الصيغة نفي لكلمة « اكو » .

١١ - افلي ، هرفي

من الالفاظ الاكدية الطريفة التي تداولها العراقيون القدماء في الاعمال
الزراعية الكلمتان « أفلي » و « هرفي » بالمعنى الذي يستعملهما فيه فلاحو
العراق الان . فزراعة الهرفي الزراعة المبكرة و « الافلي » الزراعة المتأخرة .
ومع ان مادة افل في العربية لا تطابق في معناها بالضبط المعنى العراقي
القديم للزراعة المتأخرة ، بيد ان مادة هرف « وبالتشديد » هرف تهريفاً

تعني بالضبط المعنى الاكدي ، فيقال هرفت النخلة اذا عجلت ثمرها .
والكلمتان الاكديتان « هرپو » (Hurpu) أي الهرفي و « ايلوتو »
(Uplutu) كاتتا شائعتي الاستعمال في النصوص المسمارية المتعلقة
بالزراعة (انظر المعجمين Von Soden, Cad والجدير بالذكر في
هذا الصدد ان هاتين الكلمتين وردتا بالمعنى الذي اشرنا اليه في احد الواح
الطين المسمارية المكتشفة في تل حرمل ويرجع زمنهما الى العصر البابلي القديم
(مطلع الالف الثاني ق م) ، وهو رسالة ادارية تتعلق بالزراعة (اللوح
المرقم ٥١٣٢١ في سجل المتحف العراقي والمنشور في مجلة سومر ١٤ ، رقم
٤٠ ، سطر ٧) . وقد جاءت فيه العبارة الاكدية : « شينم هرپوتم وشينم
اوپلوتم » (أي الشعير الهرفي والشعر الافلي) .

١٢ - الآجر واللبن

الاجر ، وواحدته آجرة ، ما يبنى به من الطين او اللبن المفخور
(المشوي) ترجعه معظم المعجمات العربية الى اصل فارسي . بيد ان الواقع
في ضوء ما ساذكره عن ورود كلمة الآجر في النصوص المسمارية ينبغي ان
نأخذ هذا التأصيل المذكور في المعجمات العربية على انه يعني ان كلمة الآجر
العربية قد جاءت اليها عن طريق الفارسية والارامية اللتين استعارتاها من
تراث العراق القديم اللغوي . فالواقع ان كلمة الاجر قديمة الاستعمال في
اللغة الاكدية وجاءت بصيغة « آگرو » (Agurru) « اكورا » ،
ومنها الارامية « اكورا » والفارسية « اكور » والاغريقية « اكوروس »
(Agouros) . ويرادف لفظة « آگرو » الاكدية المصطلح
السومري الذي يكتب بالمقاطع المسمارية السومرية « سك - آل - أور -
را » (Sig - Al - Ur - RA) ويرادف الكلمة السومرية (Sig 4) الكلمة
الاكدية « لپتو » (من لپنتو اي اللبن في العربية ، وهو على ما هو معروف
الاجر المجفف بالشمس ، ويجدر ان نذكر بهذه المناسبة ان احد الاشهر
البابلية المسمى « سيمانو » ، وهو الشهر الثالث في التقويم البابلي (ما بين

ايار وحزيران) يكتب اسمه بالعلامة المسمارية الدالة على الآجر واللبن « مسبوقة بالعلامة الدالة على الشهر وهي « ايتو » بالسومرية و « ارخو » في البابلية ، فيكون معنى اسم هذا الشهر في السومرية « شهر اللبن » اي الشهر الذي يعمل فيه اللبن ، وهو فصل ملائم لصنع الآجر •

ونختتم هذه الملاحظات اللغوية الموجزة عن الآجر في التنويه بنص ورد في ملحمة جلجامش يدل على قدم استعمال الآجر في حضارة وادي الرافدين • فقد جاء في ديباجة اللوح الاول من الملحمة وصف اسوار مدينة الوركاء التي شيدها جلجامش وانها بنيت بالآجر المفخور ، وباللفظ البابلي : « شما لبتا - لا آجرات » • هذا بالاضافة الى العثور على الآجر في اقدم المباني التي تقب فيها في العراق القديم منذ الالف الثالث ق • م •

١٣ - الاثل

كلمة الاثل العربية ، التي تطلق على نوع من الشجر من فصيلة الطرفائيات ، تضاهي الاكدية « أشلو » لفظا ومعنى (بقلب الشين الاكدية ثاء في العربية وفق قانون تبادل الاصوات الذي نوهنا به) • وقد كثر ورود الاثل في النصوص المسمارية كاستعمالاته في السحر في صنع الدمى ، وجاءت في النصوص الادبية محاورة طريفة بين شجرة الاثل والنخلة^(٨) •

١٤ - آذار

يرجع اصل الكثير من الاشهر المتداولة الآن في العراق وبعض الاقطار العربية الاخرى والتي تسمى خطأ الاشهر الرومية او السريانية الى تراث العراق القديم وقد انتقلت اليها عن طريق الاراميين والعبرانيين • ومن هذه الاشهر الشهر المسمى « آذار » وهو الشهر الثالث في التقويم الشمسي اي مارت • ولعله من المفيد ان نورد اسماء الاشهر العراقية القديمة كما عم استعمالها في التقويم البابلي منذ العصر البابلي القديم (مطلع الالف الثاني

(٨) راجع كتابي الموسوم : « مقدمة في ادب العراق القديم » (١٩٧٦) ص ١٦٥ وكذلك Lambert, The Babylonian Wisdom Literature (1960)

ق . م) . حيث وحدت الاشهر المحلية المختلفة في تقويم عام ولا سيما في بلاد بابل واليك اسماء هذه الاشهر ابتداء من راس السنة البابلية في شهر نيسان : (١) نيسانو (نيسان ما بين مارت وابريل) (٢) ايارو (ايار ما بين ابريل ومايس) (٣) سيمانو ، سيوان (ما بين مايس وحزيران) (٤) تموزو او « دؤزو » (تموز ، ما بين حزيران وتموز) (٥) آسو (آب ، ما بين تموز وآب) (٦) اولولو ، ايلول (ايلول ما بين آب وايلول) (٧) تشرتو (تشرين ما بين ايلول وتشرين الاول) (٨) أرخ شمنو ، سمنو (اي الشهر الثامن ما بين تشرين الاول وتشرين الثاني) (٩) كيسليمو (ما بين تشرين الثاني وكانون الاول) (١٠) طييتو ما بين كانون الاول وكانون الثاني) (١١) شباطو (شباط) (ما بين كانون الثاني وشباط) (١٢) أدارو اذار (ما بين شباط واذار) (١٣) ارخو مرخو شا أدارو ، وهو اسم الشهر الثالث عشر الكبيسي ويسمى ايضا « أدارو اركو » اي اذار التالي او اذار الثاني .

ومن الطريف ذكره عن اسماء هذه الاشهر البابلية انها تكتب بمقاطع من العلامات المسمارية السومرية يشير معناها العام الى صفة الشهر من حيث المناخ او الى الاعمال الزراعية او الشعائرية التي تتعلق به . ففي حالة موضوع كلامنا وهو اذار فانه يكتب بالعلامات المسمارية الدالة على الحصاد، وهو كما رأينا آخر الشهور في السنة البابلية ، ويقع موسمه ما بين شباط ومارت . وفي السنين الكبيسة يضاف شهر ثالث عشر من بعد اذار يسمى اذار التالي او الزائد (ويطلق على الشهر الكبيس في السومرية ايتو درك وفي الاكدية أرخو دركو) (٩) . اما لفظ الشهر بالاكديّة اي « أدارو » فانه مشتق من المادة الاكدية « هدر » التي تعني أرعد واطلم اي ما يضاهي معنى هدر العربية . اذ يقال هدر الرعد اذا صوت ، وهدر الحمام اي قرقر وكرر صوته ، والهدار بتشديد الدال للمبالغة يوصف به الرعد ، فيقال الرعد

(٩) حول التقويم البابلي واسماء الاشهر البابلية راجع :
Langdon, Babylonian Meneology

الهدار • وتنطبق هذه المعاني في المادة الاكدية على ما يتميز به شهر اذار من حيث الرعود الهادرة والامطار والعواصف •

١٥ - اردخل - اردكلا

يرجع الباحثون كلمة « اردخلا » و اردخل او اردخيل و اردكلا الى اصل ارامي ، ومعناها البناء ومنها الصيغة الارامية « اردخلوتا » (اردخلوتا) أي حرفة البناء^(١٠) ويرجح كثيرا ان منها الكلمة المستعملة في اللغات الاوربية التي تطلق على البناء والمعمار اي (Architect) وا قدم منها الكلمة الاغريقية « ارخيتكتون » (Arkhittekton) • وترد كلمة الاردخل في المعجمات العربية (لسان العرب مثلا) بمعنى الرجل الضخم • وهناك احتمال قوي ان اصل كلمة الاردخل الارامية بدورها من الاكدية (انظر مثلا المرجع المرموز له بـ (Zimmerun, AWB, 26) وعلى وجه التعيين من الكلمة الاكدية المركبة « أرد - ايكلي » ومعناها خادم القصر ، او احد حاشية القصر وموظفيه • وتولد من هذا المعنى الاساسي في العصر البابلي المتأخر (لعله منذ القرن السابع ق م) معنى فرعي يدل على الصنعة والمهنة وبالاخص المعمار والبناء ، فقد ذكر المصطلح في بعض النصوص المسماوية مع النجارين وبعض مواد البناء (راجع معجم (Cad, I, 210)

١٦ - انبوب

تشتق المعجمات العربية كلمة انبوب من مادة نب او نيب فيقال تنب النباتات اذا صارت له أنابيب ، وتنب الماء أي تسيل ، والانبوب ما بين العقدتين من القصب والرمح • والمرجح عندنا ان كلمة انبوب من التراث اللغوي الاكدي من الكلمة الاكدية « انبوبو » (Inbubu) ومنها الارامية « أبوبا » (Abbuba) والسريانية « انبوبو » (Ambubaya) المندائية (المندعية) امبوبا واللاتينية

(١٠) راجع مثلا « دليل الراغبين في لغة الاراميين » للمطران يعقوب اوجين متا

وتعني كلمة « انبوبو » الاكدية بالدرجة الاولى انبوب القصب حيث تسبق العلامات المسمارية التي يكتب بها العلامة الدالة على القصب . واطلقت كلمة انبوب ايضا على ضرب من الآلات الموسيقية الهوائية .

١٧ - أرجوان

تكاد المعجمات العربية ان تجمع على ان كلمة ارجوان ، وهو اللون القرمزي المعروف ، أصلها من الفارسية ، بيد ان ورودها في النصوص المسمارية الاقدم عهدا يشير بلا ادنى ريب الى انها من الاكدية « ارگمانو » (Argamamu) ، ومنها الكلمة العبرانية « ارگمان »

(Argaman) والارامية « اركيوان » والحثية « اركمان » .

وكثر ورود الارجوان في المدونات الاشورية الرسمية ضمن الجزية التي كانت تقدم الى الملوك الاشوريين . والمرجح ان كلمة « ارگمانو » الاكدية مأخوذة بدورها من احدى اللغات او اللهجات العربية القديمة في بلاد الشام ولا سيما الكنعانية ، فقد وردت بصيغة أ ر ج م ن في نصوص المدينة الكنعانية الشهيرة « اوغاريت » راس الشمر الان بالقرب من مدينة اللاذقية في سورية .

١٨ - آنك

الآنك في المعجمات العربية (مثل اللسان) الاسرب وهو ضرب من الرصاص يطلق عليه اسم الرصاص القلعي ، اي الرصاص الجيد المنسوب الى معدن القلع . وجاء في الحديث « من استمع الى قينة صب الله الانك في اذنيه يوم القيامة » . ويذهب معظم المعجمات العربية الى ان كلمة الانك معربة . ولكن كلمة الانك العربية مطابقة في اللفظ والمعنى للكلمة الاكدية « أنكو » او بتشديد الكاف المضمومة ، ويعني الرصاص ايضا وفي احتمال آخر القصدير . ويرجح ان الكلمة الاكدية بدورها مشتقة من السومرية « أنا (واصلها في الكتابة السومرية آن - ناك » وانتقلت الكلمة الى اللغات السامية الاخرى مثل العبرانية بهيئة « آناك » والسريانية « انكا » (بتشديد الكاف)

١٩ - اقليم

اختلف اللغويون العرب في تأصيل كلمة الاقليم فقد حسبه البعض مثل ابن دريد (انظر اللسان) بانه ليس عربيا ، وذهب البعض الاخر مثل الازهري الى انه عربي ، وقيل في اصل التسمية انه سمي اقليما كانه مقلوم اي مقطوع من الاقليم الذي يتاخمه . ومما يجدر ذكره بهذا الصدد ان اقرب اصل له الكلمة اليونانية « كليما » (Klima) و « كليماتوس » ومنها في اللغات الاوربية (Clime) و (Climate) والمرجح عندنا ان الكلمة اليونانية بدورها مأخوذة من السومرية « كلام » (Kalam) التي تعني كذلك الاقليم والقطر والبلاد (ولا سيما بلد المتكلم) ، واتخذ هذا المصطلح الملك السومري الشهير « لوكال زاكيزي » (منتصف الالف الثالث ق . م) لقبا سياسيا ، اذ لقب نفسه « ملك الاقليم » (وفي السومرية لوكال كلاما) ويعني بذلك ملك بلاد او اقليم سومر .

٢٠ - اتون

ترجع المعجمات العربية كلمة « اتون » الى المولد والدخيل ، فقد جاء في لسان العرب مثلا ان الاتون بالتشديد الموقد . والعامة تخففه ، وجمعه أتن وأتاتين . . . وهو ايضا اخدود الجصاص والجيلر وكذلك اتون الحمام . والاتون من بين الكلمات الكثيرة التي حسبت دخيلة ولكنها في واقع الامر من تراث العراق اللغوي ، فقد وردت في الاكدية بصيغة « آتونو » المشتقة بدورها من الكلمة السومرية أدن (Udun)

٢١ - آيار

مر بنا في الملاحظات التي اوردناها عن شهر اذار ان شهر آيار يأتي ثاني شهر في التقويم البابلي ، وانه يقع ما بين نيسان وآيار في تقويمنا الحالي . وقيل في اشتقاقه في الاكدية أن « آيارو » او « آيارو » (بتشديد الياء) يعني الازهار او تفتح الازهار ، وانتقل الى العبرانية والارامية بهيئة « إيار » (بكسر

الالف وتشديد الياء) ، ومنها انتقل الى العراق وبعض الاقطار العربية
الآخري .

٢٢ - أرخ ، يؤرخ

مادة « أرخ » يؤرخ ، اى عين الزمن وحدده ومنها كلمة تأريخ وتاريخ،
من المفردات المهمة التي لا يشك في انها مشتقة من اسم الشهر في اللغة
الأكدية أي « ارخو » . كما ان « ورخ » و « أرخ » من اسماء اله القمر
في اللغات العربية الجنوبية القديمة ، وهو الاله الذي سمي باسماء اخرى منها
«ود» و «المقا» و «سين» في وادي الرافدين .

٢٣ - ايس وليس

سمى النحويون العرب ليس فعلا جامدا واختلفوا في تأويله واشتقاقه
هل هو فعل أو حرف (١١) . ولكن الخليل ابن احمد الفراهيدي وقع على
حقيقة اشتقاقه في أنه فعل مركب من اداة النفي «لا» و « ايس » التي تعني
وجد اي الوجود ، أي انه « لا ايس » فطرحت الهمزة والزمتم اللام بالياء .
وان ايس تضاهي الكلمة الارامية « ايث » التي تعني الوجود ايضا .

من المصادفات اللغوية التاريخية الطريفة ان تحليل الخليل لفعل ليس
الذي ذكرناه يؤيده وجود الفعل نفسه في اللغة الاكدية بصيغة « لاشو »
(Lashu) ، المركب كذلك من نفس الكلمتين المضاهيتين وهما اداة النفي
الأكدية « لا » وفعل « ايشو » الذي يعني في الاكدية الوجود ايضا

٢٤ - ارملة

تشتق المعجمات العربية كلمة أرملة (للمؤنث) وأرمل (للمذكر) من
مادة « رمل » وارمل القوم اذا فقد زادهم ، والمرمل الذي فقد زاده ، والارملة
التي مات زوجها والارمل الذي ماتت زوجته .

(١١) راجع بحث الدكتور ابراهيم السامرائي المنشور في مجلة المجمع العلمي
العراقي (١٩٦٩) ، ص ٥٦ . فما بعد .

وتضاهي هذه الكلمة العربية الكلمة الاكدية « المتو » (Almattu) للمؤنث و « المانو » للمذكر وهما محوران من « ارمرتو » (Armartu) بإبدال الراء لاما . وان هذا الابدال او بالاحرى القلب ظاهرة لغوية مألوفة في اللغة الاكدية ولهجاتها المختلفة وكذلك بين الاكدية واللغة العربية واللغات السامية الاخرى . ويكفي ان نذكر بعض الاسئلة الشائعة مثل « بصرو » الاكدية للبصل العربية و « پيرو » الاكدية للفي (وفي هذا المثال تقابل الفاء العربية الياء الاكدية) . ووردت كلمة أرملة في العبرانية بهيئة « المانا » والارامية « ارمتلا » . والجدير بالذكر عن كلمة « المتو » الاكدية ان الاكديين ترجموا بها المصطلح السومري الذي يطلق على الارملة وهو « نو - مو - سو » (اي المرأة التي لا زوج لها) .

٢٥ - اذان

يذهب بعض اللغويين العرب الى ان كلمة اذان (النداء لمواعيد الصلوة) غير عربية (١٢) ، ولكن وجود الكلمة في اللغات العربية القديمة (السامية) يشير الى خلاف ذلك ، مثل كلمة « ادانو » و « دانو » مستعملة بكثرة في اللغة الاكدية وتعنى بالدرجة الاولى الموعد او مدة زمنية او يوما معيناً ويضاهيها في الارامية « عدان » والسريانية « عيدان »

٢٦ - اوزة ، وزه

الاوزة التي تطلق على الطائر المعروف تحسبها المعجمات العربية من الدخيل وهذا رأي صحيح اذا اعتبرنا الاوزة العربية من الارامية « وزه » التي يبدو انها اصل العامية العراقية (وزه) ، ولكن المرجح عندنا ان كلمة الاوزة تراث لغوي قديم جاء الى العربية من اللغة الاكدية حيث وردت في النصوص المسمارية كلمة « أسو » المأخوذة من السومرية « اوز »

(١٢) انظر مثلاً : « شفاء الغليل فيما كلام العرب من الدخيل » لشهاب الدين احمد الخفاجي المصري (٩٧٧ - ١٠٦٩ هـ) .

ذكر الاجاص ، الثمر المعروف، في المصادر المسمارية بهيئة «أنكاشي»
(Angashe) التي تضاهي العامية العراقية عنجاص^(١٣)

مع ان كلمة « ابل » وجمل من المفردات العربية الاصيلة وفي اللغات السامية الاخرى ، بيد أنه يحسن ان نورد عنهما بعض الملاحظات المفيدة من حيث ورودهما في النصوص المسمارية مما له صلة في تاريخ اقدم استعمال للجمل في الحمل والاسفار في حضارة وادي الرافدين بوجه خاص والاقطار المجاورة بوجه عام . فنقول انه يؤخذ من تلك النصوص ان كلمة ابل وفي الاكدية « ابلو » (Ibilu) اقدم استعمالا من كلمة جمل . والى حد ما جاء الينا من مدونات يرقى اقدم ورود لكلمة ابل الاكدية الى مطلع الالف الثاني ق . م . وتكتب بالمقاطع المسمارية السومرية : « انشى - آ - اب - با » (Anshe-A-AB-BA) ويرادفها في الاكدية في المعجمات المسمارية « ابلو » . وتعني كلمة « انشى » السومرية بوجه عام الحمار او فصيلة الحمار والفرس وتستعمل علامة دالة في نظام الخط المسماري تسبق كتابة الحمار والخيول والابل . ومعنى المقاطع السومرية الاخرى التي تلي « انشى » البحر ، فيكون المعنى العام لتلك المقاطع السومرية « حمار البحر » وهي تسمية غريبة لعلها تشير هنا ليس الى البحر حرفيا بل الى سيف البحر او ساحل البحر ، مما قد يستنتج منها ان الجمل ادخل الى العراق القديم عن طريق المناطق الساحلية في الجزيرة العربية ، كما يحتمل ان البحر هنا قد استعمل مجازا للتعبير عن البادية والصحراء .

اما كلمة جمل فقد وردت في الاكديّة بصيغة « انشى - كم - مال »
ولفظها « گما لو » (Gammalu) بتشديد الميم او « كملو » (Gamlu)
واقدم ورود لها منذ مطلع الالف الاول ق . م ، ولا سيما في اخبار الملك
الاشوري « شيملنصر » الثالث (القرن التاسع ق . م) في اخبار حملته على
دويلات بلاد الشام في معركة القرقار (٨٥٣ ق . م) التي ورد فيها لفظ
عرب وهو اقدم ذكر له في الاخبار المدونة . ولعله من المفيد ان نذكر العبارة
الاشورية بنصها : « أنشى كم - ما لى شا شرانى عريى كاليشونو » جمال
من ملوك العرب كلهم » . ووردت العلامات التي يكتب بها اسم الجمل أي
« أنشى - كم - مال » مرادفة للعلامات التي يكتب بها اسم الابل التي
ذكرناها اي « انشى - آ - أب - با »

وجاء اسم الناقة في المدونات الاشورية منذ القرن الثامن ق . م بهيئة
« أناقاتي » (Anaqâte) وهي صيغة جمع المؤنث السالم في
الاكديّة والاشورية) ، كما جاءت ذلك في نص تجلاتبليزر الثالث (القرن
الثامن ق . م) في كلامه على الغنائم التي غنمها من الملكة العربية شمسي^(١٤)
هذا ولا يمكن تحديد اقدم عهد ادخل فيل الجمل الى الاقطار العربية ،
على ان هناك امارات على ظهوره في مناطق البوادي العربية المتاخمة للجزيرة
في حدود ١٠٠٠٠ ق . م) كما تشير الى ذلك رسوم الجمال التي اكتشفت
في الموضع المسمى « كلوة » في شرقي الاردن الى الجنوب من عمان ، في
منطقة الصفا المعروفة .

(١٤) راجع معجم CAD. I، ومجلة IRAQ مجلد ١٧ ، ١٨ ص
١٢٨ و ١٢٦ .

ب - خ

٢٩ - بطة ، بشة

كلمة البط والبطة في معظم المعجمات العربية (انظر مثلا لسان العرب) من الكلمات الاعجمية العربية . ولكن الواقع التاريخي ان هذه اللفظة هي من بين المفردات اللغوية الكثيرة التي جاءت الينا من تراث حضارة وادي الرافدين اللغوي ، حيث وردت في النصوص المسمارية الكلمة التي اطلقت على البط والبطة بصيغة « بوصو » (Busu) و « بسو » وهي مرادفة لمجموع العلامات السومرية المسمارية : « بور - اوس - موشن » والمقطع الاخير اي « موشن » العلامة الدالة التي تكتب من بعد انواع الطيور . ويحتمل ان « بشو » الاكدية تعني « البشة » في العامية العراقية و « بصو » البطة .

٣٠ - بارية

كلمة البارية ، التي تطلق على ضرب من الحصر المصنوعة من القصب ، من المفردات الكثيرة التداول في العراق ؛ وتذكرها المعجمات العربية انها معربة من الفارسية ، بيد انها مثل الكلمات الاخرى التي مرت بنا تراث لغوي من الاكدية حيث كثر ورودها في النصوص المسمارية بصيغة « بورو » ايضا (Buru) ، ومنها الارامية « بوريا » والفارسية « بوريا » . وتنتشر صناعة البواري الان في انحاء العراق الجنوبية حيث يكثر القصب الذي تصنع منه . وهكذا كانت في العراق القديم كما تشير الى ذلك النصوص المسمارية الخاصة بصنعها وانواعها (راجع البحث المنشور في مجلة JCS, II)

٣١ - البطم

شجرة البطم كانت معروفة في العراق القديم ، وقد جاء ذكرها في النصوص المسمارية بصيغة تضاهي العربية وهي « بظنو » ، وتكتب في السومرية بالعلامتين المسماريتين « لام - كال » (Lam-Gal) مسبوقتين بالعلامة الدالة على الاشجار والخشب اي « كش » . ويسمى البطم في العبرانية « بطنيم » (بهيئة الجمع) وفي الارامية « بطنا » و « بطميثا » .

وتذكر المعجمات العربية (مثل لسان العرب) البطم على انه شجرة الحبة الخضراء وواحدته بطمه • وتسمى شجرة الحبة الخضراء الان في شمالي العراق بالبطم الصغير ، ويضاهي هذه التسمية الاسم الاكدي « بطنو صفرو » اما البطم الكبير فهو الشجرة التي من فصيلة البطميات والشبيهة بشجرة الفستق (Pistachia) وثمرها حبوب صغار ويؤكل مثل الفستق الصغير •

٢١ - بق - بقمه

تطابق لفظة البقة والبق العربية الكلمة الاكدية « بقو » وقد ذكر البق في المصادر المسمارية ولا سيما الاثبات الخاصة بالحيوانات والنباتات (انظر المرجع المرموز له بـ

(JCS, IV, 73, (Fam, 131

٢٣ - البقل

ورد لفظ البقل (وجمعه بقول) في معظم اللغات العربية القديمة (اللغات السامية) ، ففي الاكدية « بقلو » (بضم اوله) (Buqlu) والارامية « بقلا » والكنعانية الاوغاريتية بقل ، والحشية « بقليل » ، وتجعله المعجمات العربية ارامي الاصل •

٢٤ - بستوكه

البستوكه في استعمال العامية العراقية وعاء (برنية) من الفخار مزججة في الغالب اما باللون الازرق او الاخضر • وتحفظ فيها السوائل مثل الدبس والخل والدهن وما شاكل ذلك • ويؤصلها المعجم العربي - الفارسي - الانجليزي (Richardson, 1829) على انها من الفارسية

« بستك » • ومع ان هذا التأصيل صحيح باعتبار ان الكلمة العامية العراقية مصدرها من الفارسية بيد انه يرجح ايضا ان الاصل البعيد لهذه الكلمة من الكلمة السومرية « بسان - دكا » (Pisan-Dugga) او « بسان - دك » و « بسان - دبا » ومنها الاكدية « بسان تكو » ، ومعناها الاساسي وعاء من الفخار لحفظ الاشياء ومنها الواح الطين المكتوبة واشتق من هذا الاستعمال مصطلح « حفظ السجلات » و « حافظ السجلات » •

٣٥ - البلور

كلمة البلور في المعجمات العربية من الفارسية ، ولكن الكلمة نفسها وردت في اللغة الاكدية بصيغة « بورلو » (Burallu) التي يرجح انها مأخوذة من السومرية « بولك » (Bulug) بقلب اللام راء في الاكدية . ومنها السريانية « يرولتا » والحبشية « بيريله » (Berelle) واليونانية « يرولوس » (Byrollos)

٣٦ - البلوط

ورد ذكر البلوط في الاثبات المسمارية الخاصة باسماء النباتات بلفظ يضاهي الكلمة العربية لفظا ومعنى اي بصيغة « بيلط » مسبوقا بالعلامة الدالة على الاشجار . ويكثر البلوط في شمالي العراق وثمره معروف ، وهو من فصيلة الاشجار التي يطلق عليها الاسم العلمي
Quercus Ballota Quercus Infectoria

٣٧ - البصل

يسمى البصل في اللغة الاكدية « بصرو » أي مضاهيا للعربية بصل بقلب اللام العربية راء في الاكدية وفق القاعدة العامة التي نوهنا بها . ويكتب اسم البصل في نظام الخط المسماري بنفس العلامة التي يكتب بها اسم الكرات اي العلامة المسمارية السومرية « كراش » (وسأأتى ذكرها تحت كلمة الكرات) . واطلق العراقيون القدماء على نوع من البصل البري اسم « سيكلم » (Sikillum) ، من السومرية « سكل » ، ويرجح ان الكلمة العربية سجل مأخوذة منها .

٣٨ - البيرة

اطلق مصطلح البيرة على عدة امكنة ولا سيما في شمالي ما بين النهرين والمرجح عندنا ان تأصيلها اللغوي من الكلمة الاكدية « بيرتو » ومعناها الاساسي الحصن والقلعة وتطلق ايضا على المدينة .

٣٩ - الباطية

يضاهي لفظ الباطية في العربية الكلمة الاكدية « باطو » و « باطيئو » الواردة في المصادر المسمارية . وكان الغالب في الباطية في العراق القديم انها من معدن النحاس او الفضة (Von Soden)

٤٠ - البرغوث

وردت كلمة البرغوث في الاكدية بهيئة « برشوع » و « برسوع » وفي الكنعانية الاوغاريتية برغت والعبرانية برعوش ، والارامية « برتعا » و « برطعا »

٤١ - البشام

البشام والبشامة في المعجمات العربية شجرة طيبة الرائحة يستاك بها وجمعها بشام ، ويعرف جبه (ثمره) عند العشابين والصيدلة باسم البلسان . وجاء ذكر البشام والبشامة في شعر جرير :

أتنسى يوم تصقل عارضيهما

بعود بشامة سقى البشام

وذكر البشام والصمغ المستخرج منه واستعملاته الطبية في كتب الطب العربية وكتب العشابين (راجع مثلاً مفردات ابن البيطار) .

وذكر البشام في النصوص المسمارية الخاصة بأسماء النباتات والاشجار بصيغة تطابق العربية لفظاً ومعنى وهي كلمة « بشامو » (راجع مجلة سومر ، ١٩٥٢ ، العدد ٢ ، ص ١٥٢)

٤٢ - تبين

التبن المعروف ما يقطع من سوق النباتات والحشائش كالشعير والقمح وغيرها من بعد فصل سنابلها ، ويتخذ علماً للحيوانات ويطلق على التبن في الاكدية « تبنو » المطابقة للكلمة العربية لفظاً ومعنى .

الثال صغار النخل وفسيله والواحدة تالة • وقد وردت كلمة « تالو » في اللغة الاكدية بهذا المعنى ، وكذلك كلمة « فسيل » او « فصيل » التي سنذكرها تحت حرف الفاء • وان هاتين الكلمتين من تراث العراق القديم اللغوي في حقل الفلاحة وبساتين النخل مما لا يزال يستعمله فلاحو العراق الان • وترادف الكلمة الاكدية « تالو » المصطلح السومري الذي يطلق على النخلة الصغيرة وهو « كشار - تر » (Gishimmar Tur) اي حرفيا « النخلة الصغيرة » •

والمرجح ان لفظة « تالو » وتالة في الاكدية والعربية مأخوذة من مادة « تلا ، يتلو » اي انها تعنى التابع والتالي • ووردت كلمة التال في بعض اللغات العربية القديمة (اللغات السامية) مثل الارامية بصيغة « تالا » • وما تجدر ملاحظته بمناسبة ذكرنا للنخل ان العلامة المسمارية التي يكتب بها اسم النخل والنخلة وهي « كشار » (Gishimmar) كانت من العلامات المسمارية التي ظهر شكلها الصوري منذ اول ظهور الخط المسماري في حضارة وادي الرافدين في المنتصف الثاني مما يسمى عصر الوركاء (في حدود منتصف الالف الرابع ق م)

٤٤ - ترجمان

كلمة ترجمان من الالفاظ التي عدت في المعجمات العربية من الدخيل الاعجمي ، بيد انها وردت في الاكدية بصيغة « ترگمانو » (Turgmanu) ومنها الارامية « تركمينا » بفتح التاء او ضمها والعبرانية « ترگوم » وانتقلت هذه الكلمة السامية الى اللغات الاوربية بهيئة « دركومان » (Dragoman)

٤٥ - تشرين

شهر تشرين في الاكدية « تشريتو » والعبرانية « تشرى » (انظر شهر اذار) •

كلمة تهمامة التي تطلق على الجزء الجنوبي من الحجاز والمتاخم للساحل ترجع في اصلها الى المفردات العربية القديمة (السامية) ، ومنها الاكدية حيث وردت فيها كلمة « تيامتو » (Tiamtu) التي تطلق على البحر بوجه عام وعلى سيف البحر او ساحل البحر مجازا ، ووردت اللفظة في اسطورة الخليفة الباباية المعنونة بعنوان « حينما في العلى » (حينما عيلش) • على انها الهة الماء المالح او البحر ، حيث جسدت المياه الملحة بهيئة الهة ويقابلها اله الماء العذب « أبسو » ، وكانا اول الهين ظهرا الى الوجود ومن اختلاط مياههما ولدت الالهة الاخرى • ويكثر ورود المصطلح « تيامتو » و « تامتو » في النصوص المسمارية وهو يعني البحر • وتضاهي هذه الكلمة الاكدية الكلمة العبرانية « تهوم » الواردة في الاسطر الاولى من سفر التكوين مما يضاهي ما جاء في اسطورة الخليفة الباباية الى حد كبير •

يرجع بعض المعجمات الحديثة مثل المعجم العربي-الفارسي-الانجليزي (Richardson, 1829) كلمة تكان الى اصل فارسي • على انه يرجح كثيرا ان كلمة التكان المستعملة في عامية العراق بالدرجة الاولى اصلها من الكلمة السومرية « دكان » (Dugan) ومنها الكلمة الاكدية « تكانو » (Tukkanu) التي تعنى بالدرجة الاولى الكيس ولا سيما كيس النقود ، ونقلت باستعمال مجازي الى الدكان والتكان اي محل البيع بالنقود

يرجع معظم المعجمات العربية كلمة التنور الى اصل ارامي - سرياني ، او فارسي حيث الكلمة الارامية « تنورا » والفارسية « تنور » بيد انه وردت كلمة التنور في اللغة الاكدية بصيغة مضاهية للعربية أي « تنورو » (Tinuru) • وتستقها المعجمات الاكدية الحديثة (انظر مثلا (Bezold)

من المادة الاكدية « نار ، ينور » وتعنى النار والنور ، واشتق منها الاسم « تنورو » باضافة التاء الى أول الفعل وهي طريقة مألوفة في الاشتقاق في اللغة الاكدية . وتكتب كلمة تنور في السومرية بعلامات مسمارية تعنى بالدرجة الاولى النار والخبز واللاتون (انظر تحت كلمة أتون) . ويرى باحثون اخرون ان كلمة «تنورو» الاكدية مقلوبة من الكلمة السومرية «ترونا» (Turunna) التي تعنى الموقد او الفرن . والجدير ذكره بهذا الصدد ان عدة نماذج من التناير الطينية وجدت في اثناء التنقيبات الاثرية مما يشبه التنور العراقي الحالي ، واقدما ما وجد في اثناء تنقيبات مديرية الآثار العراقية في تل العقير (في البادية ما بين النهرين الى الجنوب من بغداد بنحو ٥٠ ميلا) حيث وجدت بقايا تناير ترجع الى دور العبيد (في حدود ٤٠٠٠ ق . م) .

٤٩ - التين

ورد ذكر التين واشجار التين في المصادر المسمارية منذ اقدم الازمان ، ولفظه مثل العربية « تنو » (Tittu) التي اصلها « تننو » (Tintu) ثم ادغمت النون بالتاء . وهي قاعدة عامة في الاكدية بالنسبة الى حرف النون اذا وليه حرف بدون ان تفصلهما حركة . وتضاهي الكلمة الاكدية الكلمة العبرانية « تينتا » والارامية « تينا » (انظر مجلة سومر ١٩٥٢ ، عددا ، ص ٢٣ والمرجع المرموز له : Bab, 303

٥٠ - تاجر

في النصوص المسمارية لفظتان تطلقان على التاجر ، احدهما الكلمة السومرية « دم - كار » (Dam-Gar) والاخرى الكلمة الاكدية « تمكارو » (Tamkaru) ، وهما متشابهتان ولا يعلم على وجه التأكيد ايهما اصل للآخرى ، ولكن اغلب الباحثين يميلون الى ترجيح اشتقاق السومرية من الاكدية اي « تمكارو » التي صارت بدورها اصلا لكلمة التاجر في معظم اللغات العربية القديمة (السامية) مثل العبرانية « تكار » والارامية « تكارا » والمندعية (الصابئية) « تنكارا » .

٥١ - تخوم ، تخوم

كلمة تخم العربية (وجمعها تخوم) اى الحد وردت في اللغة الاكدية
بهئة « تخوما » ، بضم التاء او فتحها ، ويبدو ان هذه المادة من المفردات
العربية القديمة (السامية) ومنها الارامية « تيخوما » (Zimmern, p. 9)

٥٢ - تيس

كلمة التيس في العربية (وجمعها تيس) الذكر من المعز والظباء والوعول
من الكلمات العربية القديمة (السامية) ، فقد وردت في الاكدية بهئة
(Tashnu) و « دشو » ، وفي العبرانية « يتش » ، وقد مرت بنا
عدة امثلة سابقة على قلب الشين الاكدية الى سين في العربية . وترادف الكلمة
الاكدية المصطلح السومري للتيس الذي يكتب بالعلامتين المسامريتين وهما
« ماش » (Mash) التي تعنى الظأن ، والعلامة الثانية « تتا » وتعنى
الذكر (ماش - تتا) .

٥٣ - التبيلة

التبيلة من المفردات الفلاحية التي يقتصر استعمالها على العامة العراقية
بين فلاحي النخيل في المناطق الوسطى من العراق ، وهي من تراث العراق
اللغوي الخاص بالزراعة وبساتين النخل . والتبيلة العراقية مأخوذة من الكلمة
الاكدية « تبالو » المشتقة بدورها من الفعل الاكدي « تبالو » او « وبالو » ،
و « أبالو » ، ويعني حمل ، ورفع ، ثم أضيفت التاء الى اول الجذر لاشتقاق
الاسم منه ، ولا سيما اسم الالة كما هو معروف في نظام الاشتقاق في اللغة
الاكدية . والتبيلة المستعملة الان في العراق آلة يرقى بها الى اعلى النخلة ،
قوامها جبل من ليف النخل (وكلمة ليف اكدية ايضا وسيرد ذكرها في حرف
اللام) تتوسطه قطعة بيضيه الشكل تقريبا من الليف ايضا ومتصلة بطرفي الجبل
حيث يسند المتسلق ظهره عليها ويحرك الجبل المحيط بجذع النخلة الى الاعلى
متسلقا معه . وستمر بنا مفردات اخرى فلاحية مستعملة في العامة العراقية بين
فلاحي العراق مثل المسحاة والمر والخلال والشيص والجمار وغيرها في
مواضعها من الحروف الهجائية المختلفة .

٥٤ - التركيس

يطلق مصطلح التركيس في عاميته فلاحى النخيل في العراق على العملية المعروفة التي يقوم بها فلاح النخيل حين تبلغ ثمرتها من بعد التلقيح حجما صغيرا ، فيرفع العذوق ويسندھا فوق سعف النخلة مع هز العذوق هزا خفيفا لاسقاط الاثمار اليابسة . وقد ورد ذكر التركيس في اللغة الاكدية بصيغة تطابق العربية وهي مشتقة من مادة « ركساو » الذي يعنى ربط وشد وعقد ، ومنها كلمة « ركستو » اي الربط ويطلق مجازا على العقد القانوني مثل عقد الزواج . ويجدر التنويه هنا بان مادة « ركس » العربية تعني ايضا شد وربط ، فيقال ركس البعير اي شده بالركاس وهو حبل يشد في خطم الجمل الى رجليه

٥٥ - التل والطل

كلمة التل والطل العربية وردت في الاكدية بهيئة « تلو » ، والعبرانية تيل او تل والارامية « تيلا » و « تلا » . ولا يمكن الجزم ان كانت الكلمة الاكدية مأخوذة من السومرية التي تعنى التل بلفظ مشابه للاكدية اي « دل » (Dull)

٥٦ - الثوم

كلمة ثوم ، وهو النبات المعروف من فصيلة الزنبقيات (Allium Sativa) وردت في الاكدية مثل العربية بهيئة « شومو » (بلقب الثاء العربية شيئا في الاكدية وفق قاعدة تبادل الاصوات في اللغات السامية مما مر بنا في عدة امثلة سابقة) . وتكتب كلمة « شومو » في نظام الخط المسماري بالمقطعين المسماريين السومريين « شى - شار » (She-Shar) ومعناها الحرفى « بصل البستان »

٥٧ - جمار

جمار وجامور النخلة في المعجمات العربية لبها او شحمها ، اي الجمار المستعمل الان في العامة العراقية . ومن المرجح ان اصل الكلمة العربية من السومرية « كشمارو » وهو المصطلح السومري الذي يطلق على النخيل بوجه

عام ، فيتضح من ذلك ان الاكدية لم تستعمل الكلمات الشائعة في اللغات العربية القديمة (السامية) مثل كلمة « تمر » العبرانية و « تمره » الحبشية و « دقلا » الارامية (انظر مادة تال وتاله حول تاريخ ظهور العلامة المسمارية التي يكتب بها اسم النخلة) .

٥٨ - الجص

كلمة الجص في المعجمات العربية من الاعجمي الدخيل على قاعدة ان حرفي الجيم والصاد لا يجتمعان في كلمة عربية . اما في اللغة الاكدية فقد وردت كلمة « كسو » (Gassu) وتعنى الجص ، وتكتب بالمقطعين السومريين « ام - بار » (Im-Bar) ومعناها الطين الابيض . والمرجح ان الكلمة الاكدية « كسو » هي أصل الكلمات المضاهية لها في اللغات السامية الاخرى مثل الارامية « كسا » ، وانتقلت الكلمة من الاكدية ايضا الى الاغريقية بهيئة « كبسوس » (Gypsos) ثم الى اللاتينية واللغات الاوربية بصيغة (Gypsum)

٥٩ - الجسر

كلمة جسر وهو ما يعبر عليه على النهر بهيئة قنطرة ونحوها وردت في الاكدية مثل العربية بهيئة « كشرو » (Gishru) ومنها الآرامية « كشرا » ، والمرجح ان اصل الكلمة من السومرية « كش - رو » (Gish - Ru)

٦٠ - الجرجير

الجرجير نوع من البقول من فصيلة « الصليبيات » (Eruca Sativa) ، له ازهار صغيرة بيضاء واوراق مركبة شديدة الخضرة . وقد وردت كلمة الجرجير في اللغة الاكدية بصيغة تضاهي العربية وهي « كنجيرو » (Gingiru) ومنها الارامية « كركيرا » (انظر مجلة سومر ١٩٥٣ ، العدد ٢ ، ص ٢١٢ . والمرجع الرموز له : Dab, 211)

٦١ - الجبن

ورد في اللغة الاكدية ما يضاهاى الكلمة العربية جبن بهيئة « گبتو »
(Gubantu) ولعل منها الارامية « كبتا » والعبرانية « كينا »

٦٢ - الجمشد ، والجمش

وردت في اللغة الاكدية كلمة « الكيشو » (Algameshu) بمعنى
الجمشد أي حجر الامثيست (Amythyst) ، ويرجح أن اصل الكلمة
الاكدية من السومرية « الكامس » او « الكامش » (Al-Ga-Mesh)

٦٣ - الحمض

كلمة الحمض العربية تطلق على ما ملح وامر من النبات ، وفي العامية
العراقية « حميض » وتضاهيها الكلمة الاكدية « حمضو » (Imsitu)
وهو العشب المعروف بالاسم العلمي (Rumex Acetosa) وترادف
الاكدية الكلمة السريانية « خموتا » (انظر مجلة سومر ، ١٩٥٣ ، ص ٥ :
والمرجع المرموز له : (Dab, 9)

٦٤ - حران

مع ان هذه الدراسة لا تتضمن اصول اسماء المدن القديمة بيد انه يجدر
ان ننوه باسم المدينة التاريخية المشهورة « حران » في جزيرة ما بين النهرين
العليا المشتق من الكلمة الاكدية « خرانو » او « حرانو » التي تعنى الطريق
ولا سيما طريق القوافل ، وترادف هذه الكلمة اللفظة السومرية « كسكل »
(Kaskal) • واشتق من الكلمة الاكدية مجازا اسم مدينة حران

اي مدينة القوافل (Caravan City)

٦٥ - الحنطة - القمح

الحنطة في الاكدية « أيطيتو » (Uttetu) واصلها « حنطيتو » ،
ثم ادغمت النون بالطاء وضاع صوت الحلق ح بسبب استعمال اللغة الاكدية
الخط المسماري الذي اوجده السومريون الخالية لغتهم من حروف الحلق
العربية والاكدية •

اما القمح المرادف للحنطة فقد ورد في الاكدية ايضا بلفظ يضاهي العربية
أي « قمحو » ويكتب « قيمو » ، بفقدان حرف الحلق ح ايضا للاسباب التي
اوردناها .

٦٦ - الحلفاء

يرجح كثيرا ان اصل كلمة الحلفاء العربية من الاكدية « الفتو »
(Elliptu) على الرغم من ان بعض الباحثين رأى ان هذه الكلمة
الاكدية تعنى نوعا من الاثل . وفي الارامية « خلفا » . وقد وصف هذا النبات
في بعض النصوص المسمارية بانه فراش الالهة « عشتار » ، ولعل هذا الوصف
يؤيد تعيينه بالحلفاء العربية اشارة الى الحصر التي تصنع من الحلفاء في
العراق قديما وحديثا (راجع مجلة سومر ١٩٥٣ ، ص ٥ ، والمرجع Dab, 9

٦٧ - الخروب - الخرنوب

الخروب وفي العامية خرنوب في اللغة الاكدية « خروبا » (Kharuba)
ومنها الارامية « خاروبا » و « خربا » ، وانتقلت الكلمة الى الاغريقية بهيئة
« خروبا » (Kharrouba) ومنها الى اللغات الاوربية مثل
الانجليزية (Carob) . ويسمى الخروب في اللغة السومرية
بالمصطلح « إيري - تل - لا » (Eri-Til-La) الذي يعني
حرفيا « نبات مدينة الحياة » ، وتذكرنا هذه التسمية بما جاء في المآثر العبرانية
(في سفر اخنوخ المنتحل مثلا) حيث الخروب نبات الحكمة . بيد ان المعتقدات
الشعبية في معظم البلاد العربية ترى ان الخروب موطن الشيطان (عن الخروب
في المصادر المسمارية واستعمالاته الطبية راجع مجلة سومر ، ١٩٥٣ ، ص ٢٠١ ،
والمرجع Dab, 186

٦٨ - الخس والمرار

كلمة الخس في اللغة الاكدية تطابق العربية حيث وردت في النصوص
المسمارية بهيئة « خسو » ، وفي السريانية « خستا » والارامية « خسا » .

والمرجح ان كلمة « خسو » الاكدية مشتقة من الاسم السومري للخس الذي يكتب بالعلامات « خيى - أس سا » (Hi-As-Sa) مسبوقة بالعلامة الدالة على النبات (وهي المرادفة للاكدية شمو (Shammu)) .
 وذكرت المعجمات المسمارية من بعد كلمة الخس نوعا اخر من الخس بصيغة مطابقة لكلمة « خسو » ولكن باضافة الصفة الاكدية « مارو » مما يرادف الكلمة العربية « المرار » أي الخس المر الذي يسمى بالمصطلح العلمي (Centarea Calcit Rapa) ، اما الاسم العلمي للخس الاعتيادي فهو (Lactuca Sativa) (انظر مجلة سومر ، ١٩٥٢ ، عدد ١ ، ص ٧٤ و ١٧٥ ، والمرجع 73 Dab)

٦٩ - الخس

كلمة الخس العربية التي تعنى بالدرجة الاولى الكوخ او البيت من القصب او اغصان الاشجار وردت في اللغة الاكدية بلفظ مطابق للعربية اى « خسو » ، وترادف هذه كلمة اكدية أخرى تعني الكوخ ايضا « كيكيشو » (Kikishu) التي وردت في ملحمة جلجامش بهذا المعنى (اللوح الحادي عشر الخاص برواية الطوفان)

وجاء في بعض المعجمات العربية عن اصل كلمة الخس انه سمي كذلك لانه يرى ما في داخله من خصاصة أي فرجة ، والخصاص التفاريح الضيقة ، وقيل انه من خوص النخل .

٧٠ - خشالة

تطلق كلمة الخشالة في العامية العراقية بالدرجة الاولى على ما تكسر وعنتق من اواني النحاس وغيرها . وجاء في المعجمات العربية عن مادة الخشل انه الرديء من كل شيء ، والخشل من المقل كالحشف من التمر . ويطلق الخشل ايضا على رؤس الحلى كالخلاخل والاسورة ، ويستعمل في عامية العراق على مطلق الحلى ولا سيما الحلى الذهبية والفضية .

ووردت في اللغة الاكدية كلمة « خشالو » و « خشلو » و « خشلاتو »
على ما انكسر وانسحق مثل الطحين ونحوه (راجع معجم (Cad)
ورسائل تل حرميل المنشورة في مجلة سومر ١٩٥٨ ، في اللوحين المسجلين في
سجل المتحف العراقي تحت الرقمين ٥١١٩٨ و ٥٢٦٢٨)
٧١ - الخسر

في استعمال العامة العراقية تعنى كلمة الخر مجرى لتصريف المياه
ولا سيما المياه الآسنة ، ويوجد نهر معروف باسم الخر في بغداد يمر الان في
مدينة المنصور . ووردت في الاكدية كلمة « خرو » و « خريتو » وتعنى
المجرى المائي والجدول ، من المادة الاكدية « خيرو » (Kheru) ومعناها
الاساسي حفر وكري بالنسبة الى الجداول والانهار
٧٢ - خش ، يخش

يستعمل فعل خش في عامية العراق وفي بعض الاقطار العربية بمعنى دخل
فيضاهيه المادة الاكدية « خاشو » التي تعنى تحرك بسرعة ودخل ايضا .
٧٣ - خدن

تضاهي كلمة خدن العربية الكلمة الاكدية « ختنو » و « ختانو » وتعنى
القريب برابطة الزواج ، فبالنسبة الى الرجل زوج ابنته او زوج اخته ، كما
تعنى العريس ايضا .
٧٤ - الحماة والحمو

الحماة ، أم الزوجة ، في اللغة الاكدية « حميتو » (Emetu) والمذكر
« حمو » (Emu)

٧٥ - الخوخ - الدراقن

كلمة الخوخ شائعة الاستعمال في العراق وفي بعض الاقطار العربية
مثل بلاد الشام ، وقد يطلق عليه « برقوق » و « دراقن » وهو المعروف
بالاسم العلمي (Prunus Persica) وفي الانجليزية (Prune)
وورد اسم الخوخ في اللغة الاكدية بلفظ يطابق اللفظ
العربي بهيئة « خخو » (Khakhkhu) . وذكر في كتب النباتات

العربية مثل ابن البيطار الذي قال ان الدراقن والدراقي الخوخ بلغة اهل الشام . وجاءت كلمة دراقن ايضا في المصادر المسمارية بهيئة « درقو » المأخوذة من السومرية « دا - رو - أق » و « دا - رو - قو » ويرادفه في الارامية « دوراقينا » (راجع مجلة سومر ١٩٥٢ ، ص ٢٥ ، والمرجع المرموز له بـ (Dab, 305)

٧٦ - الخله

الخله (وجمعها خلل) ما فيه حلاوة من النبات ويطلق على الخله في العربية ايضا السدا والديرم واسمها في الفارسية « نا نخواه » ، وسماها ابن البيطار « نانوخه » . وقد وردت كلمة الخله في اللغة الاكدية بهيئة « خلو » ، واستعملت في طب العراق القديم على هيئة بهار وبخور (انظر مجلة سومر ١٩٥٢ ، ١٨١ ، والمرجع المرموز له بـ (Dab, 67)

٧٧ - الخردل

من المحتمل جدا ان الكلمة الاكدية الواردة في النصوص المسمارية بهيئة « خلد فخانو » (Khaldapakhanu) تضاهي الكلمة العربية خردل وقد جاءت الكلمة الاكدية مرادفة للسومرية « خار - خار » ، كما تضاهي الكلمة الاكدية اسم الخردل بالسريانية وهو « خردلونا » والاوغاريتية الكنعانية « خندر » ، ويسمى الخردل (Mustard) بالاسم العلمي (Sinapis Mustard) ، ويوجد نوع من الخردل منتشر في بلاد ما بين النهرين يعرف بالاسم العلمي (Sinapis Orientalis) (راجع مجلة سومر ، ١٩٥٣ ، ص ٢٠٥ ، والمرجع (Dab, 207)

٧٨ - الخرص

يسمى الذهب في اللغة الاكدية « خراصو » ومنه العبرانية « خاروص » والكنعانية الاوغاريتية خرص . واستعار الاغريق الكلمة الاكدية بهيئة « خروسوس » (Chrusos) ومنها المصطلح الانكليزي (Chrysalis) وفي العربية من معاني الخرص ، بضم الخاء (وجمعها اخراص) حلقة من الذهب او الفضة .

٧٩ - الخربق

الخربق في المعجمات العربية نبات مزهر من فصيلة الشفاريات ، ورقه ابيض واسود . وذكرته كتب النباتات والاعشاب العربية انه سم للكلاب . وهو نوعان ابيض واسود وان الابيض منه يقيء الانسان والاسود يسهل المعدة . واعتقد فيه القدماء ان يشفي المجانين .

وورد اسم الخربق في اللغة الاكدية بصيغة « قر باخو » ، وله مرادف وصفي يعني « كلب الالهة كولا » (Gula) وهي الهة الطب والشفاء والكلب حيوانها المقدس ، كما وصف بانه « كلب الاله شمش (اله الشمس) » . ويعلل بعض الباحثين أصل هاتين التسميتين على انهما ناشتتان من كثرة الانسجة المنتشرة من جذور هذا النبات التي تخيلها القدماء وكأنها ارجل الكلب ، ومن قبيل ذلك تسمية الكاتب الروماني « بليني » له باسم يعني القدم الاسود (Pliny, Natural History, XXV, 2)

ويسمى الخربق في الانجليزية (Hellebore) ، والاسم العلمي للخربق الابيض (Helleborus Album) والاسود (Helleborus Niger) ولا يخفى ان الكلمة الاولى من هذه التسميات مأخوذة من كلمة الخربق (انظر مجلة سومر ١٩٥٣ ، ص ٥٤ والمرجع الرموز : Dab

ميراث الجد مع وجود الاخوة في المذاهب الفقهية

محبي هلال السرحان
المدرس في قسم الدين - كلية الاداب
جامعة بغداد

خلاصة الموضوع :

تعتبر مسألة ميراث الجد مع وجود الاخوة اعقد مسألة من مسائل علم الميراث ، فقد حوت ذخيرة فكرية ضخمة من الاراء الفقهية وتراثا عربيا اسلاميا اصيلا نابعا من صميم فكر هذه الامة يضرب لنا مثلا شرودا في قوة تشريعاتها وخصوبتها ، فهي معين ثر ، ومنهل عذب للمشرعين يستقون منه على مر العصور .

ولتسهيل هذه المسألة الشائكة وتقريبها فقد عمدت تبسيطها لطلابي وسلكت - لاجل عرضها عليهم عرضا هينا وتوضيحها لهم توضيحا وافيا - طريقا واضح المعالم بين الحدود يتلخص في انني قدمت للموضوع بباحث تمهيدية عرفت فيها باصطلاح الجدة والاخوة عند الفقهاء ، ليسهل تشخيصهم ، وتحديد مركزهم بالنسبة الى الميت ، ولان ميراثهم حين اجتماعهم مثار اختلاف بين الفقهاء . وبينت بعض الاحكام الموجزة عن ميراث الجد بدون الاخوة ، وعن ميراثهم دون وجود الجد على سبيل الاجمال ، ثم مقدمات لها صلة وثيقة بالموضوع كأسباب اختلاف الصحابة وتخرجهم في الافتاء في هذه المسائل .

ثم دخلت في صميم الموضوع ببيان الاراء الفقهية بصورة اجمالية ، وانصار هذه الآراء من الصحابة والتابعين وفقهاء الامصار وادلة كل رأي ومناقشاتهما .

ثم بينت تلك الآراء بصورة تفصيلية تفريعية ، وضربت الامثلة الكثيرة على ذلك تسهيلا للبحث وتقريبا للنظريات ، وقارنت بين تلك الآراء . ولم اتعرض الى ميراث الجدة والجدة ، ولا الى ميراث ابناء الاخوة وبناتهم لان ذلك مما يطيل البحث كثيرا ويشعبه فأثرت الجمود على حرفية الموضوع . ومن الله التوفيق

مباحث تمهيدية ما المقصود بالجد والاخوة ؟

يختلف المقصود بهما في اللغة والاصطلاح : فيحتم علينا ان نبين ذلك :

معنى الجد

الجد في اللغة :

الجد في اللغة : ابو الاب ، وابو الام ، وان علا...

قال في القاموس : « الجد ابو الاب ، وابو الام ، (ج) اجداد ، وجدود وجدودة » (١) .

وقال في المصباح المنير : « والجد ابو الاب ، وابو الام ، وان علا .. » (٢) .

اما الجد في الاصطلاح :

فهو عند جمهور اهل السنة على قسمين : صحيح ، وغير صحيح ...
فالصحيح (٣) : هو الذي يتصل بنسب الميت دون ان تكون في سلسلة النسب اثني (٤) ، فهو الذي « يمكن نسبته الى الميت بدون ان تدخل بينه وبين الميت اثني كأبي الاب وأبي ابي الاب وان علا ، وهو المراد عند

(١) الفيروز آبادي : القاموس المحيط (ط ٢ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٢ ، مادة جدد) ج ١ ص ٢٩١ .

(٢) الفيومي : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (ط ٢ المطبعة الاميرية بمصر ١٩٠٩) مادة جدد ج ١ ص ١٤٥ .

(٣) الفناري : محمد شاه : حاشية الفناري على شرح السيد الشريف على السراجية تحقيق فرج الله زكي الكردي مصر ص ٩١ و ص ٩٤ .

(٤) الشنشوري : شرح الشنشوري لمن الرحبية (المطبعة العامرة بمصر ١٢٩٣ هـ) ص ١٠١ .

الاطلاق»^(٥) ويعتبر من العصابات النسبية ، ومن اصحاب الفروض^(٦) .
وغير الصحيح :

ويسمى ايضا (الفاسد) ، وهو الذي تتوسط في النسب بينه وبين
الميت اثى . وبعبارة اخرى « هو الذي دخلت في نسبته الى الميت اثى ،
كأبي الام ، وأبي ام الاب .

ويعتبر الجد الفاسد من ذوي الارحام»^(٧) .

هذا عند اهل السنة .

اما عند الجعفرية :

فهو عام يشمل النوعين ما دام جدّاً بالمعنى اللغوي ، فهو مطلق^(٨)
يشمل الصحيح والفاسد .

ما المقصود بالاخوة

الاخوة في اللغة :

الاخوة في اللغة جمع اخ ، وهو من يتصل بالشخص في النسب باحد
والديه أو بكليهما ، واخ مخفف ومشدد وقيل اخو ، فلامه محذوفة ولذلك
تعود في التثنية فيقال اخوان وتطلق الاخوة على اخوة النسب واخوة
الصدقة . قال في المصباح : « الاخ لامة محذوفة وهي واو ترد في التثنية
على الاشهر فيقال : اخوان وفي لغة يستعمل منقوصا فيقال اخان . وجمعه

(٥) الكشكي : محمد عبدالرحيم : الميراث المقارن (الطبعة الثانية مطبعة
خلف (١٩٦٣) ص ١٦٢ .

(٦) عمر عبدالله : احكام الموارث في الشريعة الاسلامية (الطبعة الثالثة دار
المعارف بمصر ١٩٦٠) ص ١٨٩ .

(٧) البرديسي ، محمد زكريا : الميراث والوصية في الاسلام (الدار القومية
للطباعة والنشر في القاهرة ١٩٦٤) من سلسلة التعريف بالشريعة
الاسلامية رقم (٤) ص ٥٥ .

(٨) الحلي ، الشيخ عبدالكريم رضا : الاحكام الجعفرية في الاحوال الشخصية
(مطبعة حجازي بالقاهرة الطبعة الثانية ١٩٤٧) ص ١٤٨ .

اخوة ، واخوان ... والاثني : اخت ، وجمعها اخوات . وتقول : اخو
تميم ، اي واحد منهم »^(٩) .

وقال في المنجد : « وهو من جمعك واياه صلب أو بطن »^(١٠) .
قال الزمخشري : « اخوان الوداد اقرب من اخوة الولاد ، ومن
المجاز : بين السماحة والحماسة تأخ »^(١١) .

الاخوة في اصطلاح الفقهاء :

لئن كان المعنى اللغوي واسعا يشمل اخوة الصداقة واخوة النسب ،
فان المعنى الاصطلاحي عند الفقهاء يضيق فيقتصر على اخوة النسب فقط ،
اي اولئك الذين تجمعهم مع الشخص بطن واحدة ، أو ظهر واحد ..
وبعبارة اخرى : هم الذين يلتقون معه في النسب باحد والديه ...

والاخوة على ثلاثة انواع :

١ - الاخوة لأم : وهم الذين يتصلون بالشخص عن طريق الام
فقط ، ويسمون عند الفقهاء احيانا (اولاد الاخفاف) « وسموا بذلك من
قولهم فرس اخيف ، اذا كانت احدى عينيه زرقاء والاخرى كحلاء ، فنسب
باحدى عينيه الى شيء وبأخرى الى شيء اخر فحال الاخوة والاخوات
لام كذلك ... »^(١٢) .

٢ - الاخوة لاب : وهم الذين يتصل بهم الشخص عن طريق الاب
فقط ويسمون (اولاد العلات) .

(٩) المصباح المنير : مادة (اخ) ج ١ ص ١٦ .

(١٠) المنجد : مادة (اخ) ص ٥ .

(١١) الزمخشري : اساس البلاغة (دار ومطابع الشعب بالقاهرة ١٩٦٠ :
ص ٧ .

(١٢) السرخسي : شمس الدين : المبسوط (طبعة ساسي بمطبعة السعادة
بمصر ١٣٣١ هـ) الجزء ٢٩ ص ١٥٤ .

قال القائل :

ويوسف اذ دلاه اولاد علة فاصبح في قعر الركبة ثاويا (١٣)

٣ - الاخوة لاب وام معا : وهم الاخوة الاشقاء الذين يرتبط بهم الشخص عن طريق ابيه وامه معا . ويسمون (اولاد الاعيان) ، « وسموا بذلك لان عين الشيء اتم ما يكون منه وتام الاتصال يكون من الجانبين في حقهم » (١٤) .

احكام ميراث الجد اذا لم يوجد معه اخوة بصورة موجزة

لا يثير ميراث الجد عند عدم وجود الاخوة اية صعوبة ، فهو يقوم مقام الاب عند عدم وجوده باتفاق الفقهاء .

واحواله في الميراث

١ - يرث بالتعصيب فقط اذا لم يوجد فرع وارث لانه عصبه ، فيأخذ من التركة ما بقى منها بعد اخذ اصحاب الفروض فروضهم .

جد	مثل توفيت عن زوج
$\frac{1}{4}$ تعصيبا	$\frac{1}{4}$ فرضا

٢ - يرث بالفرض فقط ، وذلك عند وجود الفرع المذكور الوارث ، فيأخذ السدس فرضا فقط :

ابن	جد	ام	مثل توفي عن
الباقى تعصيبا	$\frac{1}{4}$ فرضا	$\frac{1}{4}$ فرضا	

(١٣) السرخسي : المبسوط ج ٢٩ ص ١٥٣ .

(١٤) نفس المصدر والصفحة .

٣ - يرث بالفرض والتعصيب ، وذلك عند وجود الفرع المؤنث.
الوارث مثل :

توفي عن أم بنت جد
 $\frac{1}{4}$ فرضا $\frac{1}{4}$ فرضا $\frac{1}{4}$ فرضا + الباقي وهو
 $\frac{1}{4}$ تعصيا .

٤ - وقد يكون محجوبا حجب حرمان ، وذلك اذا وجد معه الاب .
ويختلف الجد عن الاب في بعض المسائل

١ - ان الاب لا يجب ابدا الا بمانع من موانع الارث ، بينما الجد قد
يجب وذلك بوجود الاب .

٢ - لا ترث ام الاب مع الاب كما لا ترث كل جدة لابويه (اي ابوي الاب)،
وترث ام الاب مع الجد^(١٥) .

٣ - لقد اجمع الفقهاء على ان الاب يجب الاخوة حجب حرمان من اي
صنف كانوا^(١٦) اما الجد فقد اجمعوا على حجه الاخوة لام فقط في
مذاهب اهل السنة ولم يجمعوا على حجه للاخوة لابوين او لأب ،
بل لقد ذهب الجعفرية الى عدم حجه لهم حتى الاخوة لام كما
سيوضح ذلك .

(١٥) حاشية الفناري على شرح السيد الشريف على السراجية ص ٩٢ -
٩٣ .

(١٦) نفس المصدر .

٤ - في المسألة الغراوية^(١٧) يحجب الاب الام الى ثلث الباقي عند جمهور اهل السنة في حين لا ينقصها الجد الى ذلك :-

مثل توفيت عن	زوج	ام	اب
	$\frac{1}{4}$	$\frac{1}{4}$ الباقي	الباقي
	٦	٢	٤

مثال توفيت عن	زوج	ام	جد
	$\frac{1}{4}$	$\frac{1}{4}$ التركة	الباقي
	٦	٤	٢

٥ - لا يجوز اقرار الجد بابن ابنه حيا كان الابن أو ميتا ، ويجوز اقرار الاب اذا كان الابن ميتا^(١٨) .

٦ - لا يكون الابن مسلما باسلام الجد ويكون مسلما باسلام الاب^(١٩) .

٧ - الجد لا يجزى الولاء والاب يجزى الولاء^(٢٠) .

٨ - نفقة الصغير على الجد والام اثلاثا اذا لم يكن للصغير مال ولو كان له ابوان فجميع النفقة على الاب^(٢١) .

(١٧) نفس المصدر .

(١٨) السمرقندي : ابو الليث : خزانة الفقه وعيون المسائل (تحقيق الدكتور صلاح الدين الناهي) شركة الطبع والنشر الاهلية بغداد ١٩٦٥ المجلد الاول ص ٤١٧ .

(١٩) نفس المصدر .

(٢٠) نفس المصدر وانظر حاشية الفناي على حاشية السيد الشريف على السراجية ص ٩٣ .

(٢١) السمرقندي : خزانة الفقه وعيون المسائل ج ١ ص ٤١٧ .

ميراث الاخوة في حالة عدم وجود الجسد معهم

اخوة الميت على ثلاثة انواع كما قلنا ولكل منهم احكام خاصة :

١ - الاخوة لابوين أو الاشقاء :

يرث الاخ المذكر منهم بالعصوبة المحضة فلا فرض له لأنه احد العصابات عند جمهور اهل السنة والاخت الشقيقة من ذوات الفروض لها النصف ان كانت واحدة أو الثلثان ان كن اكثر من واحدة وان اجتمع الاخوة الاشقاء ذكورا واناثا فللمذكر مثل حظ الانثيين وهم محجوبون حجب حرمان اذا وجد الاب أو الفرع المذكر الوارث ...
واذا كانوا اثنين نزلوا بفريضة الام من الثلث الى السدس (وخالف في ذلك ابن عباس) واختلف الفقهاء ، في توريث الاخوات مع البنت أو البنات :

فالجمهور على انهن عسبة يأخذن ما بقى بعدهن ...
وذهب داود الظاهري^(٢٢) والجعفرية^(٢٣) وطائفة الى ان الاخت لا ترث شيئا مع البنت^(٢٤) وذلك مفصل في مراجعه فليراجع ...

٢ - الاخوة لاب :

لا خلاف بين الفقهاء في ان الاخوة لاب يقومون مقام الاخوة لابوين عند عدمهم .

٣ - الاخوة لام :

وهم من ذوي الفروض : فان كان اخا واحدا اخذ السدس وكذا ان كانت اختا . وان كانوا اكثر من واحد فهم شركاء في الثلث بلا فرق بين ذكر أو انثى ...

(٢٢) الظاهري : ابن حزم : المحلى (ادارة الطباعة المنيرية) ج ٩ ص ٢٥٦ .
(٢٣) المحلى المحقق : الشرائع تحقيق محمد جواد مغنية (دار مكتبة الحياة بيروت) المجلد الثاني ص ١٨٤ .
(٢٤) ابن رشد : بداية المجتهد ونهاية المقتصد (مطبعة الاستقامة بالقاهرة) ج ٢ ص ٣٣٨ .

وهم محجوبون حجب حرمان باربعة عند اهل السنة^(٣٥) الاب والابن
والبنت والجد والجد الصحيح في حين ان الجد لا يحجبهم عند
الجعفرية .

وهم يحجبون الام حجب نقصان اذا تعددوا الى السدس بدلا من
الثلث ...

ميراث الجد مع وجود الاخوة

صعوبة الموضوع :

يعتبر موضوع ميراث الجد مع الاخوة من اعقد المسائل وادقها في علم
الميراث ولذلك افاض الفقهاء في الحديث عن هذه الحالة ، وامتلات بطون
الكتب بالكلام الكثير والتفريعات على ذلك .

اختلاف الصحابة في الموضوع :

وبالنظر لتعقيد الموضوع ودقة مسائله التي تنفرد من بين مسائل علم
الميراث ، لذلك اختلف الصحابة في هذا الموضوع وتباينت آراؤهم
واحكامهم . الامر الذي كثر التفريعات والاستدلالات . ولكن رغم تلك
التفريعات فاننا نستطيع ان نرد هذه الاختلافات بصورة عامة الى خطين
عريضين ، أو فكرتين اساسيتين ، مبناهما على توريث الاخوة مع الجد أو
عدم توريثهم معه ... ثم تنشأ بعد ذلك التفريعات ...

وقبل ان نشرح هذين الرأيين ، يجدر بنا ان تبين اسباب ذلك
الاختلاف الذي دعا الى ظهور مسائل عديدة غزيرة ، اغنت الفقه بآراء جميلة ،
ستظل منبعاً يستمد منه القانونيون والفقهاء على مرور العصور ...

(٣٥) حاشية الفناري على شرح السيد الشريف على السراجية ص ٩٧ -
٩٨ .

اسباب اختلافهم في هذا الموضوع

ولعل اختلاف الصحابة في ميراث الجد مع الاخوة وتشعب آرائهم يرجع الى سببين مهمين :-

اولا : لان ميراث الجد لم يأت فيه نص قرآني ، ولا حديث نبوي يفصله (٢٦) كما جاءت آيات الموارث مفصلة دقيقة .

لذلك كانت المسألة « اجتهدية » (٢٧) يحصل فيها « ثواب الاجتهاد » كما يقول العلامة السرخسي (٢٨) اذ روى ان عمر لما ألح على رسول الله صلى الله عليه وسلم في السؤال عن الكلالة وضع يده في صدره فقال : « اما يكفيك آية الصيف » (٢٩) فقال وانما احاله على الآية ليجتهد في طلب معناها فينال ثواب المجتهدين .

ثانيا : صعوبة تحديد مركز الجد بالنسبة للمتوفى تحديدا واضحا : واتجاهاتهم في هذا الموضوع تختلف باختلاف الكيفية التي يتكيف بها مركز الجد (٣٠) وسبب الصعوبة يرجع الى عدة امور :

١ - تشابه الجد والاب :

على الرغم من اختلاف الجد عن الاب في بعض الاحكام كما سبق ان بينا (٣١) - فانه يشبهه شباها كبيرا في كثير من الامور منها :-
١ - انه يحجب أولاد الام اجماعا عند اهل السنة كما يحجبهم الاب ...

(٢٦) الشنشوري : الدرة المضيئة في شرح الفارضية (دمشق ، الطبعة الاولى ١٩٦١) ص ٣٠ .

(٢٧) عمر عبدالله : احكام الموارث ١٩١ .

(٢٨) السرخسي : المبسوط ١٥١/٢٩ .

(٢٩) نفس المصدر ، والمراد بآية الصيف قوله : « يستفتونك ... » .

(٣٠) البسام : عبدالرحمن : محاضرات في الوصايا والموارث القاها على طلبة كليتي الحقوق والشرعة العراقيتين سنة ١٩٥٧ - ١٩٥٨ القسم الاول ص ٤٩ من طبعة الشرعة .

(٣١) يراجع موضوع (اختلاف الجد عن الاب) من بحثنا هذا .

- ٢ - وانه اذا زوج الصغير والصغيرة فلا يكون لهما خيار البلوغ ...
- ٣ - وانه لا يقتل بقتل ولده ...
- ٤ - وانه لا تقبل شهادته له ...
- ٥ - وانه لا يجوز دفع الزكاة اليه ...
- ٦ - وانه يقدم على الاخ في ولاية النكاح ...
- ٧ - وانه يحرم ما نكح هو على ابن ابنه كما يحرم عليه ما نكح ابن ابنه (٣٢) ..

ب - تشابه الجد والاخوة من حيث قوة صلتهم بالميت :

ومع تشابهه مع الاب فانه يشبه الاخوة من حيث قوة الصلة والقربة والارتباط بالميت مما يعقد صعوبة تحديد مركزهما من الميت فأيهما اقرب الى الميت ؟ الجد ام الاخوة ؟

ان الجد والاخوة يتصلان بالميت عن طريق الاب فمزلتهما القرابية تكاد تكون متساوية في ما بينهما ... الامر الذي عنه انطلق الاختلاف في ما بين الصحابة ... حتى ضربوا الامثلة على تشابك درجة القرابة امثلة غامضة حينا وناطقة بتساوي الصلة بينهما ومن ذلك : ما أخرجه الدارقطني قال :

قال الحافظ بسند قوي عن زيد بن ثابت : ان عمر اتاه فذكر قصة فيها ان مثل الجد كمثل شجرة تنبت على ساق واحد يخرج منها غصن ، ثم خرج من الغصن غصن ، فان قطعت الغصن رجع الماء الى الساق ، وان قطعت الثاني رجع الماء الى الاول (٣٣) .

(٣٢) يراجع في ذلك حاشية السيد الشريف على السراجية ص ٢٤٩ - ٢٥٠ والمبسوط : ج ٢٩ ص ١٨٢ .

ومحمد عبدالرحيم الكشكي : الميراث المقارن ص ١٦٥ .

(٣٣) الصنعاني : تنمة الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير (القاهرة مطبعة السعادة ١٣٤٩ ملحق بنهاية الجزء الرابع من الروض النضير ص ٥٨ ، وانظر الخبر في سنن الدارقطني ٩٣/٤ - ٩٤ .

وتشبيهه آخر ، يشبههما فيما روى البيهقي ايضا انه شبه الجد بالبحر ، والنهر الكبير والاب بالخليج المأخوذ منه ، والميت واخوته كالساقيتين الممتدتين من الخليج والساقية الى الساقية اقرب منها الى البحر ، الا ترى اذا سدت احدهما اخذت الاخرى ماءها ولم يرجع الى البحر^(٣٤) وقد مثله زيد : « بواد خرج منه نهر افرق منه جدولان ، كل واحد منهما الى الآخر اقرب منه الى الوادي »^(٣٥) وقد روى عن الامام علي (رض) انه شبه الاخوين بشجرة انبتت غصنين ، والجد مع النافلة بشجرة نبت منها غصن ، فالقرب بين غصني الشجرة اظهر من القرب بين اصل الشجرة والغصن النابت من غصنها ، لان بين الغصنين مجاورة بغير واسطة وبين الغصن الثاني واصل الشجرة مجاورة بواسطة الغصن الاول^(٣٦) .

وقد اورد كل من ابن قدامة المقدسي^(٣٧) والمرتضى^(٣٨) الرواية على هذه الصورة « انه مثله علي (رض) بشجرة انبتت غصنا فانفرق منه غصنان ، كل منهما اقرب منه الى اصل الشجرة » .

كل هذه التشبيهات تدل على ان الصلة بين الميت والاخوة والصلة بين الميت والجد متقاربة شديدة التشابه...

(٣٤) نفس المصدر ص ٥٨ أيضا .

(٣٥) المرتضى ، احمد بن يحيى : البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الامصار (الطبعة الاولى مطبعة السنة المحمدية ١٩٤٩) ج ٥ ص ٣٤٨ .

وانظر ابن قدامة : المغني على مختصر الخرقي (الطبعة الاولى مطبعة المنار بمصر ١٣٤٨) ج ٧ ص ٦٥ .

(٣٦) السرخسي : المبسوط ج ٢٩ ص ١٨١ .

(٣٧) المقدسي : ابن قدامة : الشرح الكبير على متن المقنع (الطبعة الاولى في مطبعة المنار بمصر ١٣٤٨) على حاشية المغني لابن قدامة ج ٧ ص ٩ .

(٣٨) المرتضى ، احمد بن يحيى : البحر الزخار : ج ٥ ص ٣٤٨ .

ج - تشابه الجد والاخ من حيث الاحكام :

وكما اشبه الجد الاب في بعض الاحكام ، فهو ايضا يشبه الاخ في بعض الاحكام الاخرى ومنها :

١ - انه لا تفرض عليه صدقة فطر الصغير .

٢ - انه لا يصير الصغير مسلما باسلامهما كما يصير مسلما باسلام احد والديه ...

٣ - وفي ان نفقة الصغير على جده وامه اثلاثا^(٣٩) كما تكون على الاخ والام وغير ذلك^(٤٠) فهما متشابهان ... وقد تعارضا ...

لهذه الاسباب :

اعني لعدم وجود نص قرآني او من الحديث في ميراث الجد معهم ، ولعدم تشخيص مركز الجد والاخوة من الميت . ولتردد الجد في احكامه بين المشابهة بالاب والمشابهة بالاخ ، ولاستواء المنزلة القرابية - تقريبا - بينهما ، وعدم اجماع الصحابة ، ولتعارض القياس - اقول لهذه الاسباب وغيرها تردد الكثير من الفقهاء في اعطاء رأيه وترجيح احدي الفكرتين ، وربما نجد عن الصحابي الواحد روايتين احدهما يؤيد فيها الفكرة الاولى (اعني توريث الاخوة مع الجد) والثانية يؤيد فيها الفكرة الثانية (اعني عدم توريثهم معه) ، وربما يتوقف فلا يعطي رأيا بالمرة ، كما سنذكر ذلك فيما بعد :

(٣٩) (اثلاثا) بالنصب على انها حال . وخبر ان هو الجار والمجرور (على جده) .

(٤٠) السيد الشريف : شرح السيد الشريف على السراجية ص ٢٥٠ .

تخرج الصحابة من الافتاء في ميراث الجد مع الاخوة :

ونظرا لشدة اتصال الجد والاخ باليت ، اتصالا لا نستطيع به تمييز اكثرهما قوة ، فقد تحير الكثير من الصحابة في الكشف عن حكم الشارع في ميراثه مع الاخوة ، لغموض اقوى الصلتين باليت فتخرجوا بناء على ذلك من الافتاء في تلك المسائل التي يجتمع الجد فيها ، بالاخوة ، وتحرزوا كثيرا من الولوج في هذه المسائل خوفا من مجانقة الحق والوقوع في الائم والمعصية ، لقوة الفكرتين - اعنى ميراثهم معه أو عدم ميراثهم - كما سنرى ...

لذلك اثرت عنهم بعض الاقوال التي تدل على مبلغ الحرج الذي يقاسونه :-

قال عمر بن الخطاب (رض)

« اجرؤكم على الجد اجرؤكم على النار » (٤١)

وعن عبيدة السلماني :

« اجتمعوا في الجد على قول فسقطت حية من سقف البيت فتفرقوا

فقال عمر (رض) ابي الله ان يجتمعوا في الجد على شيء . ولما طعن عمر

(رض) وايس من نفسه قال :

اشهدوا انه لا قول لي في الجد ولا في الكلالة واني لم استخلف

احدا » (٤٢) .

وقال الامام علي (رض)

« من سره ان يقتحم جرائم جهنم بحر وجهه فليقض بين الجد

والاخوة » (٤٣) .

(٤١) ابن حزم : المحلى ج ٩ ص ٢٨٢ .

(٤٢) السرخسي : المبسوط ج ٢٩ ص ١٨٠ - ١٨١ .

والسيد الشريف : شرحه على السراجية ص ٢٥١ .

(٤٣) الرملي المتوفى الشهير بالشافعي الصغير (المتوفى سنة ١٠٠٤) كتاب

نهاية المحتاج الى شرح المنهاج (مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر

١٩٣٨) ج ٦ ص ٢٣ - ٢٤ وجرائم : اصول .

وحين سأل رجل عن فريضة قال : « هاتها ان لم يكن فيها جد » (٤٤) .
وقال ابن مسعود (رض) سلوني عما شئتم من عصباتكم ولا تسألوني
عن الجد لا حياه ولا بياه » (٤٥) .

وقال ابن عمر (رض عنهما)

« اجرؤكم على جرائم جهنم اجرؤكم على الجد » (٤٦) .

ومن هنا نفهم السر في توقف الكثير من الصحابة عن الافتاء وعدم
اعطاء رأى في مسائل ميراث الجد مع الاخوة :

فقد توقف شريح عن ان يقول في فريضة فيها جد واخ رغم سؤاله
مرة بعد مرة (٤٧) .

وقد حذا حذوه سعيد بن جبير وغيرهما (٤٨) .

مما يدل على استعظامهم الكلام فيه وتهيبهم من الخوض في مسألة
عويصة كهذه لا يحمد الدخول فيها .

الاراء الفقهية في ميراث الجد مع الاخوة

ومع تخرجهم من الافتاء واستعظامهم للكلام في ميراث الجد مع
الاخوة ، فقد كانت هناك مسائل فقهية تعرض على الفقهاء بصورة واقعية
في مجتمع الصدر الاول ...

فتحذرهم وتخرجهم لا يسوغ لهم الاعراض والتغافل والتغاضي عن
المسألة ، بل كانت مسألة حياتية تحتاج الى فتوى ومعرفة حكم .. بصورة
عاجلة .. لذلك كان لابد من ابداء الرأى وكسر حجاب التهيب .. فلا بد من
حكم لهذه المسألة .

(٤٤) ابن حزم : المحلى ج ٩ ص ٢٨٢ .

(٤٥) الرملي : نهاية المحتاج ج ٦ ص ٢٤ .

(٤٦) ابن حزم : المحلى ج ٩ ص ٢٨٢ .

(٤٧) ابن حزم : المحلى ج ٩ ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .

(٤٨) نفس المصدر ص ٢٨٣ .

وهنا اعمل الصحابة الاوائل اجتهادهم ضمن روح الدين الاسلامي
للكشف عن حكم الشارع في المسألة ، ولاختلاف المدارك واختلاف
المقدمات القياسية ودقة الصلة بين الميت وبين كل من الجد والاخوة ...

لذلك كثرت الاقوال والآراء في المسألة ...

ولكننا كما سبق ان قلنا نستطيع ان نردها على سبيل الاجمال الى
رأين اساسيين :

الرأى الاول :

ان الجد عند عدم وجود الاب يقوم مقام الاب في الارث والحجب، فيرث
ما يرثه الاب ، ويحجب من يحجبه ، فيجب الاخوة كلهم استثناء .

الرأى الثاني :

ان الجد يقوم مقام الاب في الارث مع الاولاد وغيرهم ، ويقوم مقام
الاب في حجب الاخوة والاخوات لام . اما الاخوة الاشقاء أو لأب فلا
يحجبهم ولكن يقاسهم على اختلاف في درجات المقاسمة .

انصار الرأى الاول :

وقد ذهب الى هذا الرأى - أعنى ان الجد يحجب الاخوة مطلقا -
جمع غفير من الصحابة الاوائل والفقهاء :

فقد قال به^(٤٩) ابو بكر الصديق ، وابن عباس ، وعائشة ، وابي بن
كعب ، وابو موسى الاشعري وابو الدرداء ، وعبدالله بن الزبير ، ومعاذ
ابن جبل ، ورواية عن عمر ، وعثمان ، وعلى وابن مسعود^(٥٠) .

(٤٩) انظر : السرخسي : المبسوط ج ٢٩ ص ١٧٩ . ابن قدامة المقدسي :
الشرح الكبير ج ٧ ص ٨ . وابن قدامة : المغني : ج ٧ ص ٦٤ .
والرملي : نهاية المحتاج ج ٦ ص ٢٤ . السيد الشريف : شرحه على
السراجية ٢٤٩ . الشنشوري : شرحه على متن الرحيبة ١٠١ . ابن
رشد : بداية المجتهد ونهاية المقتصد ج ٢ ص ٣٤٠ .

(٥٠) الصنعاني : تنمة الروض النضير ج ٤ ص ٥٤ - ٥٥ .

وحكى هذا المذهب ايضا عن عمران بن الحصين ، وجابر بن عبدالله ،
 وابي الطفيل وعبادة بن الصامت ، وعطاء ، وطاووس ، وجابر بن زيد^(٥١) ،
 وعبيدالله بن عبدالله وابي الشعثاء ، وشريح ، والشعبي^(٥٢) ، وحذيفة بن
 اليمان ، وابن عمر ، وابي سعيد الخدرى^(٥٣) رضوان الله عليهم اجمعين .
 وذهب الى هذا الرأى من فقهاء الامصار قتادة ، واسحق ، وابو ثور ،
 ونعيم بن حماد ، والمزنى وابن سريج ، وابن اللبان ، وابن المنذر ، وعثمان
 التيمي ، واسحق بن راهويه^(٥٤) .

ومن فقهاء المذاهب ابو حنيفة^(٥٥) وداود الظاهري^(٥٦) واختاره جمع

(٥١) انظر : ابن قدامة : المغنى/ ج ٧ ص ٦٤ . السرخسي : المبسوط ج ٢٩

ص ١٨٠ . الصنعاني : تنمة الروض النضير ج ٤ ص ٥٤ .

المقدسي : الشرح الكبير ج ٧ ص ٨ - ٩ .

(٥٢) الصنعاني : تنمة الروض النضير ج ٤ ص ٥٥ .

(٥٣) السيد الشريف : شرح السيد الشريف على السراجية ص ٢٤٩ .

(٥٤) المقدسي : الشرح الكبير : ج ٧ ص ٩ . وابن قدامة : المغنى : ج ٧

ص ٦٤ . الصنعاني : تنمة الروض النضير ج ٤ ص ٥٥ . الشنشوري :

شرح الشنشوري : لمن الرحبية ص ١٠١ .

الشيخ محمد الخضري : حاشية الخضري على الكتاب السابق في

صلبه ص ١٠١ - ١٠٢ . ابن رشد : بداية المجتهد ونهاية المقتصد

ج ٢ ص ٣٤٠ . الدسوقي : حاشية الدسوقي على الشرح الكبير

للدردير (مالكي) (دار احياء الكتب العربية) ج ٤ ص ٤٦٢ .

السيد الشريف : شرح السيد الشريف على السراجية ص ٢٤٩ .

الفناري : حاشية الفناري على الكتاب السابق ص ٢٤٩ .

(٥٥) انظر المصادر السابقة وانظر السرخسي : المبسوط ج ٢٩ ص ١٨٠ .

(٥٦) المصادر السابقة وانظر المحلى لابن حزم ج ٢٩ ص ٢٨٤ .

من الشافعية^(٥٧) منهم المزني^(٥٨) وغيره^(٥٩) وهو احدى روايتين عن الامام احمد بن حنبل^(٦٠) .

انصار الراى الثانى :

وهو ان الجد يحجب الاخوة لام فقط ، ولكنه لا يحجب الاخوة الباقين سواء كانوا اشقاء أو لأب ، بل يقاسمهم على خلاف في كيفية المقاسمة كما سنشرحها فيما بعد ...

فقد ذهب الى هذا الراى^(٦١) الامام علي ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، رضي الله عنهم . وبه اخذ سفيان الثوري ، والاوزاعي ، وابو يوسف ، ومحمد^(٦٢) صاحبا ابي حنيفة ومالك^(٦٣) والشافعي^(٦٤) ، واصح

-
- (٥٧) الرملي : نهاية المحتاج ج ٦ ص ٢٤ .
- (٥٨) الفيروز آبادي الشيرازي : المذهب في فقه الامام الشافعي : (مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر الطبعة الثانية ١٩٥٩) ج ٢ ص ٣٢ .
- (٥٩) الشنشوري : الدرة المضية في شرح الفارضية ص ٣٠ . وابن رشد : بداية المجتهد ونهاية المقتصد ج ٢ ص ٣٤٠ .
- (٦٠) الشنشوري : الدرة المضية في شرح الفارضية ص ٣٠ .
- (٦١) انظر السرخسي : المبسوط ج ٢٩ ص ١٨٠ . ابن قدامة : المغني ج ٧ ص ٦٥ . المقدسي : الشرح الكبير : ج ٧ ص ١١ . الرملي : نهاية المحتاج ج ٦ ص ٢٤ . السيد الشريف : شرحه على السراجية ص ٢٤٩ . الشنشوري : شرحه على الرحبية ص ١٠١ . ابن رشد : بداية المجتهد ونهاية المقتصد ج ٢ ص ٣٤٠ .
- (٦٢) انظر المبسوط للسرخسي ج ٢٩ ص ١٨٠ .
- (٦٣) الدسوقي : حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ج ٤ ص ٤٦٢ . والرملي : نهاية المحتاج ج ٦ ص ٢٤ (شافعي) والمقدسي الشرح الكبير ج ٧ ص ١٢ .
- (٦٤) الشافعي : الام (شركة الطباعة الفنية المتحدة الطبعة الاولى ١٩٦١) ج ٤ ص ٨١ . والمقدسي : الشرح الكبير ج ٧ ص ٩ . والرملي : نهاية المحتاج ج ٦ ص ٢٤ . والفيروز آبادي : المذهب ج ٢ ص ٣٢ .

الروايتين عن الامام احمد بن حنبل^(٦٥) ، والزيدية^(٦٦) والجعفرية^(٦٧) ، على اختلافهم في معنى الجد وفي التقسيم كما سنذكره ...

ادلة اصحاب الراى الاول :

• (اي القائلين بحجب الاخوة مطلقا مع الجد)

استدل هؤلاء على مذهبهم بادلة منها :

١ - ان الجد اب عند عدم وجوده وغالبا ما يطلق عليه ذلك : وقد وردت آيات كثيرة بهذا المعنى قال تعالى :

« يا بني آدم لا يفتننك الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة »
(الاعراف ٢٦) •

« قالوا نعبد الهك واله آباءك ابراهيم » (البقرة : ١٣٣) •
وكان ابراهيم جدا ...

« واتبعت ملة آباي ابراهيم واسحق » (يوسف : ٣٨) •
وكان اسحق جده وابراهيم جد أبيه •
وقال صلى الله عليه وسلم :

(٦٥) الشنشوري : الدرة المضية في شرح الفارضية ص ٣٠ . والمقدسي :
الشرح الكبير ج ٧ ص ١٢ . وابن قدامة : المغني ج ٧ ص ٦٨ .
(٦٦) الصنعاني : تنمة الروض النضير ج ٤ ص ٥٤ . والمرتضى : البحر
الزخار ج ٥ ص ٣٤٨ .

(٦٧) الحلبي : المختصر النافع في فقه الامامية (مطبعة النجف ١٩٦٤) ص
٢٦٨ - ٢٦٩ . والحلي ايضا : شرائع الاسلام في الفقه الجعفري
(منشورات دار مكتبة الحياة بيروت) المجلد الثاني ص ١٨٨ .
الشهيد العاملي : الروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية (بيروت
١٩٦٠ ج ٢ ص ٣١٦ . العاملي : الفرائض والمواريث من كتاب مفتاح
الكرامة في شرح قواعد العلامة (مطبعة الشورى بمصر ١٣٢٦) مجلد
٢٨ ص ١٥٢ . الحكيم : السيد محسن الطبطبائي : منهاج الصالحين
(الطبعة الثامنة مطبعة القضاء بالنجف ١٣٨٤) ج ٢ ص ٢٣١ .

« ارموا بني اسماعيل فان اباكم كان راميا »

« سام ابو العرب وحام ابو الحبش »

وقد استعمل ذلك في شعر الشعراء فقال الشاعر :

انا بنى نهشل لا ندعي لأب

عنه ولا هو بالابناء يشرينا

فوجب ان يحجب الاخوة كالأب الحقيقي (٦٨) .

اجابوا عليهم :

بان هذا في مقام النسبة والتعريف وبأن الابن يقال للرضيع وللمتبنى

ولهذا قيده في آية التحريم في قوله :

« وحلائل ابنائكم »

بقوله :

« الذين من اصلا بكم » (النساء : ٢٢)

لاخراجهما (٦٩) .

فاستدركوا عليهم :

ان هذا الاطلاق وارد على مقتضى الحقيقة اللغوية فيكون حقيقة

لغوية (٧٠) .

٢ - كما ان ابن الابن يقوم مقام الابن (اي مقام ابيه) في حجب الاخوة

عن الميراث فكذلك يقوم الجد مقام الاب في حجبهم ..

(٦٨) ابن قدامة : المغني ج ٧ ص ٦٦ .

وابن قدامة المقدسي : الشرح الكبير ج ٧ ص ١٠ .

(٦٩) الصنعاني : تنمة الروض النضير ج ٤ ص ٥٥ .

(٧٠) نفس المصدر .

يؤيد ذلك ما نقل عن ابن عباس انه كان يقول :

« الا يتقي الله زيد بن ثابت يجعل ابن الابن ابنا ولا يجعل اب الاب ابا » (٧١) ومعنى ذلك ان الاتصال بالقرب من الجانبين يكون بصفة واحدة وبمنزلة واحدة فيأخذ الجد حكم ابن الابن في قيامه مقام الابن قياسا فيقوم مقام ابنه ...
اجابوا عليهم :

بانه لا يلزم من كون الشيء كالشيء ان يساويه في جميع الاحكام (٧٢) .

٣ - قال صلى الله عليه وسلم :

« الحقوا الفرائض باهلها فما بقى فلاولى رجل ذكر » متفق عليه ...
« والجد اولى من الاخ بدليل المعنى والحكم :
اما المعنى فان له قرابة ايلاد وبعضية كالأب ...
واما الحكم فان الفروض اذا ازدحمت سقط الاخ دونه ولا يسقطه احد الا الاب ، والاخ والاخوات يسقطون بثلاثة ، ويجمع له بين الفرض والتعصيب كالأب ، وهم ينفردون بواحد منهما ، ويسقط ولد الام وولد الاب يسقطون بهم بالاجماع اذا استفرقت الفروض المال وكانوا عصابة ، وكذلك ولد الابوين في المشتركة عند الاكثرين ولانه لا يقتل بقتل ابن ابنه ولا يحد بقذفه ، ولا يقطع بسرقة ماله ، وتجب عليه نفقته ويمنع من دفع زكاته اليه كالأب سواء فدل ذلك على قربه » (٧٣) .

(٧١) شرح السيد الشريف على السراجية ص ٢٤٩ . والمبسوط ج ٢٩ ص ١٨٢ . ابن رشد : بداية المجتهد ج ٢ ص ٣٤٠ .

(٧٢) حاشية الخضري على شرح الشنشوري لمتن الرحبية (المطبعة العامرة بمصر ١٢٩٣ هـ ص ١٠٢) .

(٧٣) ابن قدامة : المغني : ج ٧ ص ٦٧ . وابن قدامة المقدسي : الشرح الكبير ج ٧ ص ٩ - ١٠ . والسرخسي : المبسوط ج ٢٩ ص ١٨٢ .

اجابوا عليهم :

ان الحديث الذي تمسكتم به هو حجة في تقديم الاخوات لانهن من اصحاب فروض فيجب ان يأخذن فروضهن وما بقي يكون للجد... (٧٤) .

فأستدركوا قائلين :

« ان هذا الخبر حجة في المذكورين المنفردين وفي الذكور مع الاناث ، أو نقول هو حجة في الجميع ولا فرض لولد الاب مع الجد ، لانهم كلاله والكلالة اسم للوارث مع عدم الولد والوالد ، فلا يكون لهم معه فرض » (٧٥) .

٤ — ان الجد يساوي الاب لما بينهما من الايلاد والبعضية والجزئية وهو يساوي الأب كما قلنا في كثير من الاحكام فيساويه في حجب الاخوة .. يؤيد ذلك ويحققه : أن أبا الاب ، وان علا ، يسقط بنى الاخوة وان نزلوا ، ولو كانت قرابة الاخ والجد واحدة لوجب ان يكون ابو الجد مساويا لبني الاخ لتساوى درجة من ادليا به (٧٦) . وهو واضح .

اجابوا عليهم :

ان الجد وان شابه الاب في بعض الاحكام فانه لم يأخذ كل احكام الأب كما مر (٧٧) الا ترى ذلك دليلا على انه ليس كالأب فلا يحجبهم للادلة التي ستأتي ...

(٧٤) ابن قدامة : المغني ج ٧ ص ٦٥ — ٦٦ .

(٧٥) ابن قدامة : المغني ج ٧ ص ٦٦ .

(٧٦) ابن قدامة : المغني ج ٧ ص ٦٦ . وابن قدامة المقدسي : الشرح الكبير ج ٧ ص ١١ .

(٧٧) ذكرنا ذلك في موضوع (ويختلف الجد عن الاب) من بحثنا هذا .

هـ - ان الله سبحانه وتعالى لم يذكر في القرآن ميراث الاخوة البتة ، ولا ميراث الاخوات الا في آيتي الكلاله فوجب ضرورة بنص القرآن ان لا يرث أخ ولا أخت الا في ميراث الكلاله ، ووجب ان لا يؤخذ ميراث الكلاله الا من نص أو اجماع راجع الى النص ، فوجدنا من ورثه اخوة ذكورا أو اناثا أو كليهما اشقاء أو لأب ، ولم يكن للميت ولد ذكر ولا ولد ولد ذكر ، ولا ابنة ، ولا اب ، ولا جد لأب ، فانه اجماع مقطوع عليه من جميع الامة على انه ميراث كلاله ...

ووجد السلف مختلفين اذا كان للميت احد ممن ذكرنا :

فبعضهم يقول : هو ميراث كلاله وبعضهم يقول : ليس ميراث كلاله ، فوجب الانقياد للاجماع المتيقن ، وترك ما اختلف فيه ، اذ لا نص عند المختلفين في ذلك فوجب أن لا ميراث البتة لآخ ولا لآخت ما دام للميت احد ممن ذكرنا » (٧٨) .

ادلة اصحاب الراى الثاني :

(اي القائلين بتوريث الاخوة مع الجد)
استدل هذا الفريق ايضا بأدلة كثيرة منها :

الدليل الاول :

لان ميراثهم ثبت بالكتاب فلا يحجبون الا بنص أو اجماع أو قياس وما وجد شيء من ذلك فلا يحجبون ... (٧٩) .
اجابوا عليهم :

بقولهم : « اما قول من قال ميراث الاخوة منصوص في القرآن وليس ميراث الجد منصوصا في القرآن فباطل ، بل ميراث الجد منصوص في القرآن بقوله تعالى :

(٧٨) ابن حزم : المحلى ج ٩ ص ٢٩٩ .

(٧٩) ابن قدامة : المغنى ج ٧ ص ٦٥ والشرح الكبير ج ٧ ص ٩ .

« يا بني آدم لا يفتننك الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة »
(الاعراف : ٢٦) فجعلنا بنين لآدم عليه السلام ، وجعله ابا لنا وهو ابعد
جد لنا فالجد أب •

وقال تعالى :

« ولا بويه لكل واحد منهما السدس » •

« وورثه ابواه فلامه الثلث »^(٨٠) (النساء : ١٠) •

الدليل الثاني :

لانهم تساوا في سبب الاستحقاق فيتساوون في الارث ، فان الجد
والاخ يدليان الى الميت بالاب والجد اصل والاخ فرع والفرع اقوى •
اجابوا عليه :

بان ذلك خاص بالاب وليس خاصا بالميت •

« اذ الاخ ليس باصل الميت ولا فرعه ، وانما هو مشارك له في
الاصل ، والجد ليس هو اصلا للميت من قبل الاب ، بل هو اصل اصله ،
والاخ يرث من قبل انه فرع لاصل الميت • فالذي هو اصل لاصله اولى من
الذي هو فرع لاصله ، ولذلك لا معنى لقول من قال :

ان الاخ يدلي بالبنوة والجد يدلي بالابوة ، فان الاخ ليس ابنا للميت
وانما هو ابن ابيه والجد ابو ابي الميت ، والبنوة انما هي اقوى في الميراث
من الابوة في الشخص الواحد بعينه »^(٨١) •

الدليل الثالث :

ما روى عن علي (رض) انه شبه الجد والاخوين بشجرة انبتت غصنا
فانفرك منه غصنان كل واحد منهما الى الآخر اقرب منه الى اصل
الشجرة ...

(٨٠) ابن حزم : المحلى ج ٩ ص ٢٩٣ •

(٨١) ابن رشد : بداية الجتهد ج ٢ ص ٣٤١ •

وما روى عن زيد (رض) انه مثله بواد خرج منه نهر فانفرد منه جدولان
كل واحد منهما الى الآخر اقرب منه الى الوادي ...

فالعصوبة يجب ان تنبني على القرب الا ان في الجد معنى آخر وهو
الولاد ، يتأيد بذلك المعنى اتصاله بالنافلة ، وبالولاد يستحق القرضية من
له اسم الابوة وبهذه القرضية انما يستحق السدس قال تعالى :
« ولأبويه لكل واحد منهما السدس » (النساء : ١٠) .

فلا ينقص نصيب الجد عن السدس باعتبار الولاد بحال وتأيد بهذا
الولاد قرابته من الميت ، فيكون مزاحما للاخوة ، ويقاسمهم اذا كانت
المقاسمة خيرا له من السدس (٨٢) .

اجابوا عليهم :

ان العصوبة لا تعتبر فيها القرابة (٨٣) ، ولو اعتبرت فيها القرابة لكان
ابن البنت اقرب من ابن العم ، ومن مولى العتاقة ، والعمة اقرب من ابن
العم ، ومع ذلك لم يجعل كذلك ، فكيف والجد اقرب لان ولادته لابي
الميت قبل ولادة ابي الميت لاختوة الميت ... ثم ان هذه الاخبار التي استدلتهم
بها مرسلة وضعيفة في روايتها (٨٤) .

وقد استدرکوا قولهم :

فقالوا : لما كان الجد ذا فرض فيقدم ، فاذا آل الامر الى العصوبة
فيعتبر الادلاء ، ولما كان الادلاء متساويا في ذلك ، ولكل واحد منهما ترجيح
من وجه فيقع التعارض ، ويكون المال بينهما بالمقاسمة (٨٥) .

(٨٢) المغني ج ٧ ص ٦٥ . والشرح الكبير ج ٧ ص ٩ . والمبسوط ج ٢٩
ص ١٨١ - ١٨٢ .

(٨٣) ابن حزم : المحلى ج ٩ ص ٢٩٣ . والمبسوط ج ٢٩ ص ١٨٢ .

(٨٤) ابن حزم : المحلى ج ٩ ص ٢٩٣ - ٢٩٥ .

(٨٥) المبسوط : ج ٢٩ ص ١٨٢ .

الدليل الرابع :

ان توريث الاخوة مع الجد هو مذهب عمر بن الخطاب وعلي ابن ابي طالب وابن مسعود وزيد بن ثابت رضوان الله عليهم ولكل واحد منهم مزية :

- اما عمر : فحديث « ان الله جعل الحق على قلبه ولسانه »
 - واما علي فالاحاديث تشير الى انه لا يزيغ عن الحق ولا يفارقه
 - واما ابن مسعود « فحديث : رضيت لامتي ما رضى لها ابن ام عبد »
 - واما زيد : فله فضيلة الاخضية بالفرائض لحديث « افرضكم زيد »^(٨٦)
- اجابوا عليهم :

بان الرواية عن الاربعة في توريث الجد مضطربة ولقد اثر عن عمر انه كان مضطربا في توريث الاخوة مع الجد^(٨٧) .

بل لقد حفظ عبيدة السلماني عنه في ميراث الجد معهم مائة قضية مختلفة^(٨٨) مما يدل على انه لم يستقر على رأي ...

بل لقد اثر حجب الجد للاخوة عن كل من عمر وعثمان وعلي وابن مسعود في رواية ثانية^(٨٩) .

وغير ذلك من الادلة التي يطول البحث بها لعدم استنادها الى نص قطعي ...

(٨٦) انظر بشأن ذلك بالتفصيل في كتاب الصنعاني : تنمة الروض النضير ج ٤ ص ٥٥ .

(٨٧) الصنعاني : تنمة الروض النضير ج ٤ ص ٥٦ .

(٨٨) ابن حزم : المحلى ج ٩ ص ٢٩٥ ، ورواه الدارمي (السنن - كتاب الفرائض - ٢/٢٥٤ رقم ٢٩٠٣ . وانظر شرح السيد الشريف على السراجية ص ٢٥٠ ، ورواه البيهقي (السنن الكبرى : ٦/٢٤٥) ، واخبار القضاة ٢/٤٠٠ . والمبسوط : ١٦/٨٤ . وطبقات ابن سعد ٢/٢/١٠٠ .

(٨٩) الصنعاني : تنمة الروض النضير ج ٤ ص ٥٤ - ٥٥ .

وقد افاض الفقهاء في الكلام حول ذلك وسودوا بطون كتبهم بكثير من الصفحات التي لو لخصناها لضاق بنا المقام فضلا عن استيعابها وتقل نصوصها ...

لذلك آثرنا الاكتفاء بما ذكرناه ...

وفي خضم هذه المعركة :- لا نستطيع ان نتخذ موقفا لوجهة ما تمسك به الفريقان . ولسنا بأفقه من القاضي شريح أو سعيد بن جبير حينما توقفا عن ان يقولوا في فريضة فيها جد واخ رغم سؤال شريح مرة بعد مرة (٩٠) . ولان الاخت صاحبة فرض صريح في القرآن ، ولعدم اتفاق الفقهاء على انه يرث المتوفى مع وجود الجد هو كلاله ...

ولو اتفقوا على ذلك لكان الحل واضحا ... لذلك نستعظم القول في هذه المسألة ونتهيب الخوض في موضوع لا يحمد الولوج فيه ...

تفصيل القول في آراء الفقهاء حول المسألة

الرأى الاول :

(القائل باقامة الجد مقام الاب في حجب الاخوة)

لقد جرى اصحاب هذا الرأى على حجب الاخوة دائما بوجود الجد .. فقد اقام هؤلاء الجد مقام الاب تماما في كل المسائل في علم الميراث ، الا ان ابا حنيفة رحمه الله قد استثنى من ذلك فصلين فلم يعطه نفس ما اعطى للاب بل استثنى ذلك من بين جميع المسائل ...

هذان الفصلان هما :

اذا توفيت عن :	زوج	وام	وجد
او توفى عن :	زوجة	وام	وجد

(٩٠) ابن حزم : المحلى ج ٩ ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .

إذ أعطى الام فيها ثلث جميع المال ، ولو كان مكان الجد اب لكان لها ثلث الباقي بعد اخذ صاحب الفرض فرضه^(٩١) وهاتان المسألتان تعرفان بالمسألتين الغراويتين ، ولها كلام في كتب الفقه ليس هذا محله لان البحث لا يتسع له .

وعلى كل حال فان هذا المذهب بسيط وسهل لا يثير مشاكل ولا استثناءات ولا تكديرا للمسائل والاصول الفرائضية التي يسير عليها كل فقيه من الفقهاء ، كما يحدث في الرأي الثاني ...

اذ يكفي ان نجيب الاخوة والاخوات - سواء كانوا اشقاء أو لأب أو لام - حجب حرمان لانهم كلاله ... ولا ميراث للكلالة مع وجود الجد ، لانه عصبه ... ولان ميراث المتوفى بوجود الجد ليس كلاله ...

امثلة على هذا الرأي :

جد	١ - مات عن : اخ أو اخت أو كليهما أو اكثر	لا شيء
كل التركة	له أو لها أو لهما أو لهما	
تعصيا		
جد	٢ - مات عن : زوجة	اخ أو اخت أو كليهما
$\frac{2}{3}$ تعصيا	$\frac{1}{3}$ فرضا	أو اكثر
		لا شيء
جد	٣ - ماتت عن : زوج	اخ أو اخت أو كليهما
$\frac{1}{3}$ تعصيا	$\frac{1}{3}$ فرضا	أو اكثر
		لا شيء (محجوبون)
جد	٤ - مات عن : ام	اخ أو اخت
$\frac{2}{3}$ تعصيا	$\frac{1}{3}$ فرضا	لا شيء

(٩١) السرخسي : المبسوط ج ٢٩ ص ١٨٠ .

جد	اخوين أو اختين أو اخ	٥ - مات عن : ام
$\frac{5}{6}$ تعصيا	واخت فاكتر	$\frac{1}{6}$
جد	لا شيء لهما أو لهما	
$\frac{1}{6}$ فرضا	اخ أو اخت أو اكثر	٦ - مات عن : ابن
	لا شيء (محجوب)	$\frac{5}{6}$ تعصيا
جد	اخ أو اخت أو اكثر	٧ - مات عن : اب
لا شيء محجوب	لا شيء (محجوب)	كل التركة (تعصيا)
جد	اخ أو اخت أو اكثر	٨ - مات عن : بنت
$\frac{1}{6}$ فرضا + الباقي	لا شيء (محجوب)	$\frac{1}{6}$ فرضا
تعصيا		
جد	ام	٩ - ماتت عن : زوج
الباقي تعصيا	اخ أو اخت	$\frac{1}{6}$ فرضا
	لا شيء	
جد	ام	١٠ - ماتت عن : زوج
$\frac{1}{6}$ فرضا	ابن	$\frac{1}{6}$ فرضا
	اخ أو اخوة	$\frac{1}{6}$ فرضا الباقي
	لا شيء	

تفصيل الراى الثاني :

(القائم على توريث الاخوة مع الجد)

يقوم هذا المبدأ على توريث الاخوة مع الجد مبدئيا ولكن اصحاب هذا الراى قد انقسموا في كيفية توريثهم معه الى اربعة مذاهب سنذكرها فيما يلي :

١ - مذهب الامام زيد بن ثابت (رض)

يتلخص هذا المذهب بما يأتي :

لا يخلو ميراث الجد مع الاخوة : اما ان يكون معهم وارث آخر ذو فرض ، او لا يكون معهم احد من اصحاب الفروض ...

أ - فإذا انحصرت التركة في جد و اخوة :

كان للجد أوفر النصيبين :

أما ان يقاسمهم كأخ منهم أو يأخذ ثلث جميع التركة ودليله :

من وجهين :

الوجه الاول :

ان الام والجد اذا اجتمعا وليس معهما غيرهما يكون له ضعف مالها والاخوة يحجبون كلا منهما نقصانا لكنهم لا ينقصون الام عن السدس فلا ينقصونه عن ضعفه وهو الثلث ...

الوجه الثاني :

ان الجد يحجب الاخوة لام باجماع اهل السنة مهما بلغ عددهم ، واعلى فرض لهم هو الثلث فحصة الجد اذا لم تكن اكثر من الثلث فلا تنقص عنه في حين ان الاخوة الآخرين لا يحجبون الاخوة لام مطلقا (٩٢) .

وعلى هذا فان كان مع الجد اخ واحد ، أو كان معه اخ واخت أو كان معه اختان أو ثلاث اخوات ، فالمقاسمة خير له من الثلث ...

وان كان معه اثنان من الاخوة أو اربع اخوات ، أو اخ واختان ، فالثلث والمقاسمة سواء فاعطه ما شئت منهما ...

فان زادوا على ذلك ، فالثلث خير له ، فيعطى له .

هذه هي احكامه مع الاخوة سواء اكانوا اشقاء ام لأب ...

ولكن اذا اجتمع معه الاشقاء ، مع الاخوة لأب : فان الاخوة الاشقاء يعادون الجد بالاخوة لأب ويحتسبون معهم كالاخوة الاشقاء .. فإذا اخذ الجد حصته رجع الاشقاء على الاخوة لأب فاخذوا منهم حصتهم لانهم يحجبونهم حجب حرمان ...

(٩٢) الخضري : حاشية الخضري على شرح الشنشوري لمن الرحيبة ص ١٠٤ .

الا ان يكون الاشقاء اختا واحدة أو اختين فتأخذ (ان كانت واحدة)
 منهم تمام نصف المال اكمالا لفرضها ثم ما فضل فهو لهم •
 ولا يمكن ان يفضل عنهم اكثر من السدس لان ادنى ما للجد هو
 الثلث ، وللاخت النصف والباقي هو السدس •
 وتأخذان - ان كانتا اثنتين - تمام الثلثين ، اكمالا لفرضهما ، وهو
 الثلثان وما فضل فهو لهم •
 ولا يمكن ان يفضل شيء في هذه الحالة للاخوة للاب لان ادنى ما للجد
 هو الثلث وللأختين الثلثان ، فلا يمكن ان يبقى شيء ...
 امثلة تطبيقية

إذا كان الاخوة من جنس واحد

- | | |
|---|-------------------------|
| جد | ١ - مات عن : اخ |
| $\frac{1}{4}$ المقاسمة او فر له | $\frac{1}{4}$ |
| جد | ٢ - مات عن : اخت |
| $\frac{2}{4}$ المقاسمة او فر له للذكر ضعف | $\frac{1}{4}$ |
| الاثنى | |
| جد | ٣ - مات عن : اخ |
| $\frac{2}{5}$ المقاسمة او فر له | $\frac{2}{5}$ |
| اخت | $\frac{1}{5}$ |
| جد | ٤ - مات عن : اختين |
| $\frac{1}{4}$ المقاسمة او فر له | $\frac{1}{4}$ |
| جد | ٥ - مات عن : اخوين |
| $\frac{1}{4}$ تتساوى القسمة مع الثلث | $\frac{2}{4}$ |
| جد | ٦ - مات عن : اخوين |
| $\frac{1}{4}$ الثلث أو فر له | الباقى للذكر ضعف الاثنى |

٧ - مات عن : اخ $\frac{1}{4}$ اختين $\frac{1}{4}$ جد $\frac{1}{4}$ الثالث او المقاسمة لانهما

سيان

٨ - مات عن : اخوين $\frac{1}{4}$ اختين $\frac{1}{4}$ جد $\frac{1}{4}$ الثالث او فر له الباقي للذكر ضعف الانثى

اما اذا كان الاخوة مختلفين (اي ليسوا من جنس واحد كان يكون بعضهم اشقاء والاخرون لاب فاليك الامثلة :

١ - مات عن اخ شقيق $\frac{1}{4}$ اخ لاب $\frac{1}{4}$ جد $\frac{1}{4}$ المقاسمة كالثالث

ثم يرجع الاخ الشقيق على الاخ لاب فيأخذ حصته لانه يحجبه حجب حرمان فتكون كالاتي :

اخ شقيق $\frac{2}{5}$ اخ لاب $\frac{1}{5}$ محجوب لا شيء $\frac{1}{5}$ جد $\frac{1}{5}$

٢ - مات عن اخت شقيقة $\frac{1}{5}$ اخ لاب $\frac{2}{5}$ جد $\frac{2}{5}$ المقاسمة $\frac{1}{5}$ او فر له

ثم ترجع الاخت الشقيقة على الاخ لاب فتكمل فرضها وهو النصف من حصته فتكون المسألة من (١٠) اسهم كالاتي : —

اخت شقيقة $\frac{5}{10}$ اخ لاب $\frac{1}{10}$ جد $\frac{4}{10}$

٣ - مات عن : اختين شقيقتين اخ لاب جد
 $\frac{1}{4}$ $\frac{1}{4}$ $\frac{1}{4}$ المقاسمة كالثالث

ثم ترجع الاختان على اخيهما فتكملان فرضهما ، وهو الثلثان من حصته ، وحينذاك لا يكون له شيء كالأتي :

اختان شقيقتان اخ لاب جد
 $\frac{2}{3}$ لا شيء $\frac{1}{3}$

ب - اذا كان مع الجد والاخوة وارث آخر من ذوي الفروض :
وفي هذه الحالة يعطى اصحاب الفروض فروضهم ثم ينظر فيما بقي فيعطى للجد الشيء الاوفر من بين ثلاثة اشياء :

المقاسمة ...

أو ثلث الباقي ...

أو سدس جميع التركة ...

وقالوا في تعليل ذلك :

« لان المقاسمة هي الاصل لكونه في درجتهم ، فقدمت عند كونها احظ من السدس وثلث الباقي ، ويقدم السدس عليهما عند كونه احظ لان الاولاد لا ينقصونه عنه فبالاولى الاخوة . ويقدم ثلث الباقي حيث كان احظ منهما قياسا على الام في الغراوين لان لكل ولادة وهي لا تنقص عنه مع الاب فكذا لا ينقص عنه الجد مع الاخوة » (٩٣) .

« واما اعطاؤه ثلث الباقي اذا كان احظ فلأن له الثلث مع عدم الفروض فما اخذ بالفروض كأنه معدوم قد ذهب من المال فصار ثلث الباقي بمنزلة ثلث جميع المال » (٩٤) .

(٩٣) الخصري : حاشية على شرح الشنشوري لمن الرحبية ص ١٠٦ .
(٩٤) ابن قدامة : الشرح الكبير ج ٧ ص ١٢ . وانظر الرملي : نهاية المحتاج ج ٦ ص ٢٤ . وانظر ابن قدامة : المغني ج ٧ ص ٦٩ .

امثلة تطبيقية :

وامثلته كثيرة ... ولكننا نستطيع ان نبوب هذه الامثلة الى اربعة احتمالات :-

الاحتمال الاول :

ان لا يبقى من التركة شيء بعد اخذ اصحاب الفروض فروضهم : مثال.
توفيت عن :

زوج	بنتين	ام	جد	اخ أو اكثر
$\frac{1}{2}$	$\frac{2}{3}$	$\frac{1}{3}$	$\frac{1}{4}$	$\frac{1}{4}$

فتعول المسألة الى ١٥ بدلا من ١٢

الاحتمال الثاني :

ان يبقى منها بعد اخذ اصحاب الفروض فروضهم اقل من السدس
مثال : توفيت عن :

زوج	بنتين	جد	اخ أو اكثر
$\frac{1}{2}$	$\frac{2}{3}$	$\frac{1}{4}$ فرضا	$\frac{1}{4}$ لا شيء لانهم عصبه

فتعول الى (١٣) بدلا من (١٢)

الاحتمال الثالث :

ان يبقى بعد اخذ اصحاب الفروض فروضهم سدس التركة ، مثل
توفيت عن :

زوج	ام	جد	اخ
$\frac{1}{2}$	$\frac{1}{3}$	$\frac{1}{4}$	$\frac{1}{4}$

عصبه يأخذ ما يبقى ولا يبقى شيء

فيأخذ الجد ذلك السدس المتبقى ولا شيء للاخ .

الاحتمال الرابع :

ان يبقى اكثر من السدس بعد اخذ اصحاب الفروض فروضهم فيأخذ
الافر له من ثلاثة اشياء : المقاسمة : أو ثلث الباقي : أو السدس من جميع
التركة مثل توفي : عن :

زوجة	بنتين	جد	اخ أو اكثر الباقي
$\frac{1}{8}$	$\frac{2}{3}$	$\frac{1}{6}$	

فيأخذ السدس هنا لانه هو الافر ...

وقد يأخذ المقاسمة التي هي اوفر له كما في المثال التالي :

ام	اختين	الجد
$\frac{1}{4}$	الباقي للذكر مثل حظ الانثيين	

فتصح من ١٢ للام ٢ وللختين ٥ وللجد ٥ لانه المقاسمة اوفر له

وقد يأخذ ثلث الباقي وهو خير له كما في المثال التالي : توفي عن :

ام	اربعة اخوة	جد
$\frac{1}{4}$	الباقي للمتخينات الباقي لانه اوفر له	

فتصح من (٣٦) للام (٦) وللجد (١٠) ولكل اخ (٥) اذ ان ثلث الباقي

اوفر له .

استثناءات هذا المذهب

وقد سار الامام زيد بن ثابت رضي الله عنه في هذا على ان الاخوات
لسن صاحبات فرض بل هن عصبة مع الجد ،

وسار على هذا المذهب في كل المسائل ولم يخرج عليه الا في المسألة
الاكدرية خاصة فانه جعل الاخت صاحبة فرض لاجل الضرورة تصحيحا
للمسألة .

وصورتها : امرأة ماتت عن :

جد	أخت شقيقة	أم	زوج
$\frac{1}{4}$	$\frac{1}{4}$	$\frac{1}{4}$	$\frac{1}{4}$

فتعول المسألة الى (٩) بدلا من (٦)

وانما جعل الأخت هنا صاحبة فرض لاجل الضرورة ، فانه لم يبق بعد نصيب اصحاب الفرائض الا السدس فان جعل ذلك للجد صارت الأخت محجوبة بالجد وهذا خلاف اصله ...

وانه جعل ذلك بينهما بالمقاسمة انتقص نصيب الجد عن السدس ومن مذهبه انه لا ينقص نصيبه عن السدس باعتبار الولاد بحال ...

واسقاط الأخت بالجد متعذر ايضا لانها صاحبة فرض عند عدم الولد بالنص وفريضة النصف فلهذه الضرورة جعلها صاحبة فرض هنا ...

وبعد ان يأخذ اصحاب الفروض فروضهم ينضم نصيب الأخت الى نصيب الجد فيقسم بينهما للذكر مثل حظ الانثيين فتصح كالاتي :

جد	أخت شقيقة	أم	زوج
$\frac{1}{4}$	$\frac{1}{4}$	$\frac{1}{4}$	$\frac{1}{4}$
١	٣	٢	٣

فتعول الى ٩ فتكون كالاتي :

جد	أخت ش	أم	زوج
$\frac{1}{9}$	$\frac{3}{9}$	$\frac{2}{9}$	$\frac{3}{9}$

ولاجل القسمة نصححها من (٢٧) ويكون ذلك بضرب البسط والمقام في

$$\frac{3}{3} \cdot \text{وبعد ضرب البسط والمقام في } \frac{3}{3} \text{ ينتج كالآتي :}$$

زوج	ام	اخت ش	جد
$\frac{9}{27}$	$\frac{6}{27}$	$\frac{9}{27}$	$\frac{3}{27}$

وبعد جمع حصة الاخت مع حصة الجد ينتج كالآتي :

الزوج	الام	الاخت مع الجد
$\frac{9}{27}$	$\frac{6}{27}$	$\frac{12}{27}$

وتقسم بينهما هذه الـ (١٢) سهما للذكر مثل حظ الانثيين فتكون :

الزوج	الام	الاخت	الجد
$\frac{9}{27}$	$\frac{6}{27}$	$\frac{4}{27}$	$\frac{8}{27}$

ولو كان بدل الاخت اخ لما كانت اكدرية عنده بل السدس الباقي يكون

للجد ولا شيء للاخ وهو عاصب (٩٥) كالآتي :

الزوج	الام	الاخ	الجد
$\frac{3}{4}$	$\frac{1}{4}$	لا شيء	$\frac{1}{4}$
٣	٢	(لانه عصبه)	١

وسنبين الاراء المختلفة في هذه المسألة بعد عرض المذاهب .

من اتباع هذا المذهب

وقد قال بهذا المذهب :

- ١ — الحنابلة (٩٦) .
- ٢ — الشافعية (٩٧) .
- ٣ — المالكية (٩٨) .
- ٤ — وابو يوسف ومحمد من الحنفية (٩٩) .
- ٢ — مذهب الامام علي بن ابي طالب (رض الله عنه)

يتلخص هذا المذهب بما يأتي :

- ١ — ان الجد يأخذ الاوفر من شيئين :
- المقاسمة

أو سدس التركة

سواء كان مع الجد والاخوة غيرهم من ذوي الفروض أو لم يكن ...
« وانما لم ينقصه عن السدس لجميع التركة لانهم لما اجمعوا على ان
الابناء لا ينقصون منه شيئاً كان احرى ان لا ينقصه الاخوة » (١٠٠) .

(٩٦) ابن قدامة : المغني ج ٧ ص ٦٦ . وابن قدامة المقدسي : الشرح
الكبير ج ٧ ص ١٢ . والحجاوي المقدسي : الاقناع ج ٣ ص ٨٣ .
والخرقي : مختصر الخرفي ص ١٢١ . والشنشوري : الدرر المضية
ص ٣٢ .

(٩٧) الشافعي : الام ج ٤ ص ٨١ . والخضري : حاشية على الشنشوري
ص ١٠٣ . والرملي : نهاية المحتاج ج ٦ ص ٢٤ . والفيروز آبادي
المهذب ج ٢ ص ٣٣ .

(٩٨) الدسوقي : حاشية على الشرح الكبير ج ٤ ص ٤٦٣ وابن رشد :
بداية المجتهد ج ٢ ص ٣٤٢ .

(٩٩) السرخسي : المبسوط ج ٢٩ ص ١٨٤ .

(١٠٠) ابن رشد : بداية المجتهد ج ٢ ص ٣٤٢ .

الحالة الثانية :

الجد والاخت مع البنات ، مثل توفي عن :

بنت	اخت فاكثر	جد
$\frac{1}{4}$ فرضا	الباقى (عاصبة)	$\frac{1}{4}$ فرضا فقط
بنتين	اخت فاكثر	جد
$\frac{2}{3}$ فرضا	الباقى (عاصبة)	$\frac{1}{4}$ فرضا فقط

الحالة الثالثة :

الجد والاخت مع صاحب فرض اخر مثل توفي عن :

ام	جد	اخت
$\frac{1}{4}$	الباقى مقاسمة بينهما للذكر ضعف الانثى	
زوج	ام	ثلاث اخوات
$\frac{1}{4}$	$\frac{1}{4}$	$\frac{1}{4}$ لانه اوفر
فتصح من ١٨ لصحة القسمة		
٩	(٣)	١٢
		٣

وتعول الى ٢٧

الحالة الرابعة :

الجد والاخت وفيهم ذكور ، سواء اكان معهم صاحب فرض ام لا ...

مثل توفي عن :

ام	جد	اخ	اخت
$\frac{1}{4}$	اوفر النصيبين	الباقى بينهما للذكر	
وهو المقاسمة	مثل حظ الانثيين	فتصح من ٦	
١	٢	٢	١
زوج	ام	جد	اخ
$\frac{1}{4}$	$\frac{1}{4}$	له الاوفر	الباقى بينهما للذكر
		وهو السدس	ضعف الانثى
٩	٣	٣	١

جد اخ اخت

اوفر النصيين

وهو المقاسمة

للذكر ضعف الاثني

$\frac{1}{5}$	$\frac{2}{5}$	$\frac{2}{5}$
---------------	---------------	---------------

جد اخوين اختين

المقاسمة لانها اوفر

$\frac{2}{8}$	$\frac{4}{8}$	$\frac{2}{8}$
---------------	---------------	---------------

جد اخ شقيق اخ لاب

$\frac{1}{4}$ $\frac{1}{4}$ محجوب

انصار هذا المذهب :

وقد قال بهذا المذهب :

الشعبي

والنخعي

والمغيرة بن المقسم

وابن ابي ليلى

والحسن بن صالح^(١٠١)

والزيدية^(١٠٢)

(١٠١) المغني ج ٧ ص ٦٧ . والشرح الكبير ج ٧ ص ١١ .

(١٠٢) المرتضى : البحر الزخار ج ٥ ص ٣٤٧ - ٣٤٨ . والصنعاني :
الروض النضر ج ٤ ص ٥٤ .

٢ - مذهب عبدالله بن مسعود (رض)

وهو مذهب يجمع بين المذهبين السابقين ويتلخص في :

١ - ان الجد يقاسم الاخوة ، فيأخذ الاوفر حظا من القسمة ، أو ثلث الباقي ، أو سدس التركة (كما هو الشأن في مذهب زيد) .

٢ - لا يعتد بالاخوة لاب مع الاخوة الاشقاء في مقاسمة الجد ، بل هم محجوبون بهم ، ولكن يعتد بهم اذا انفردوا عن الاخوة الاشقاء (كما هو الشأن في مذهب علي - رض -) . فاذا اجتمع مع الجد والاخوة اصحاب الفرائض فاهل الحجاز يروون عن عبدالله بن مسعود انه يعطي اصحاب الفرائض فرائضهم ، ثم ينظر للجد الى ثلاثة اشياء - كما هو مذهب زيد (رض) واهل العراق يروون عنه انه ينظر للجد الى المقاسمة والى السدس كما هو مذهب علي (رض) (١٠٣) .

٣ - ومن مذهبه ان الاخوات المنفردات اصحاب فروض مع الجد (كما هو الشأن في مذهب علي) .

ومما تفرد به عبدالله بن مسعود (رض) :

ما يلي :

المسألة الاولى :

ابنة	جد	أخت
$\frac{1}{4}$	الباقي للذكر مثل حظ الانثيين	
٣	٢	١

المسألة الثانية :

زوج	ام	جد
$\frac{1}{4}$	الباقي مناصفة بينهما لانه لم يفضل	
	الام على الجد	
٢	١	١

(١٠٣) السرخسي : المبسوط ج ٢٩ ص ١٨٥ .

المسألة الثالثة :

جد	أخت شقيقة	أخت لأب أو أخ لأب
١	١/٢ فرضاً	لا شيء

انصار هذا المذهب :

وقد اخذ بهذا المذهب :

علقة

والاسود

وابراهيم النخعي^(١٠٤)

٤ - مذهب الامامية :

ذهب الامامية الى التقسيم كمبدأ عام ، اي ان الاخوة يقاسمون الجد ..
ودليلهم على ذلك :

قول الصادق : « ان الجد شريك الاخوة وحظه مثل حظ احدهم
ما بلغوا اكثروا أو قلوا »^(١٠٥) .

وما روى عن ابي جعفر الباقر حين سئل عن الجد : فقال « يقاسم الاخوة
ما بلغوا وان كانوا مائة الف »^(١٠٦) .

اسس التقسيم عندهم :

ولكن اسس التقسيم عندهم لا تتفق مع اي مذهب من المذاهب السابقة
ونستطيع ان نلخص الامور المهمة في ميراث الجد مع الاخوة عند الجعفرية
بما يلي :

(١٠٤) ابن قدامة : المفني ج ٧ ص ٦٧ . ابن قدامة المقدسي : الشرح الكبير

ج ٧ ص ١٦ . السرخسي : المبسوط ج ٢٩ ص ١٨٥ .

(١٠٥) الحر العاملي : الفصول المهمة في اصول الائمة (الطبعة الثانية بالمطبعة

الحيدرية بالنجف ١٣٧٨) ص ٣٨٠ - ٣٨١ .

(١٠٦) نفس المصدر : ٣٨١ .

١ - ان الجد عندهم يختلف عن الجد عند اهل السنة والجماعة : فهو يشمل
أب الاب وان علا وأب الام وان علا وأب امهاتهم وان علون .

اي سواء ادلى الى الميت بذكر أو باثى ... صحيحا كان أو فاسدا .

٢ - ان الجد والاخوة من المرتبة الثانية لديهم في الميراث فلا ترث هذه المرتبة
مع وجود احد من المرتبة الاولى التي هي الابوان والاولاد وان نزلوا
سواء كان الاولاد ذكورا أو اناثا .. وسواء كان الاولاد صلبين أو
اولاد البنات ...

فلا يرث الجد والاخوة مع وجود الولد وان نزل ولا احد الابوين
المتصلين (١٠٧) .

٣ - اذا اجتمع الاجداد عند الجعفرية كان لمن يتقرب بالام الثلث واحدا كان
أو اكثر ولمن يتقرب بالاب الثلثان ولو كان واحدا (١٠٨) .

ولو كان معهم زوج أو زوجة اخذ أو اخذت النصيب الاعلى ، ولمن
يتقرب بالام ثلث الاصل والباقي لمن يتقرب بالاب (١٠٩) .

وبناء على ذلك يأخذ الجد الفاسد الثلث والجد الصحيح السدس ...

(١٠٧) الحكيم : السيد محسن الطبطبائي : منهاج الصالحين ج ٢ ص ٢٢٩ .

(١٠٨) الحلبي : المحقق المختصر النافع ص ٢٦٩ . الحكيم : منهاج الصالحين

ج ٢ ص ٢٣١ . الحلبي : المحقق : شرائع الاسلام ج ٢ ص ١٨٨ .

العامللي : محمد الجواد بن محمد بن محمد الحسيني : كتاب الفرائض

والوارث من كتاب مفتاح الكرامة شرح قواعد العلامة مطبعة الشورى

بمصر ١٣٢٦ هـ المجلد الثامن والعشرون ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(١٠٩) الحلبي : المختصر النافع ص ٢٦٩ . الحكيم : منهاج الصالحين ج ٢

ص ٢٣١ . الحلبي : الشرائع ج ٢ ص ١٨٨ . العامللي : مفتاح الكرامة

ج ٢٨ ص ١٥٠ .

(١١٠) الحلبي : المختصر النافع ص ٢٧٠ . الحكيم : منهاج الصالحين ج ٢

ص ٢٣٣ . الشيد الثاني : الروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية

ج ٢ ص ٣١٧ . العامللي : مفتاح الكرامة ج ٢٨ ص ١٥٢ .

٤ - انهم يجعلون الجد يقاسم ابناء الاخوة (١١٠) .

ودليلهم على ذلك

قول الصادق : « ان ابن الاخ يقاسم الجد » (١١١) .

مع انهم محجوبون عند أهل السنة .

٥ - لا يرث الجد ولا الجدة مع احد الابوين شيئا ولكن يستحب ان يطعما

سدس الاصل عندهم (١١٢) .

٦ - لا يورثون الاخوة لاب مع الاشقاء حتى ولو كانت الشقيقة اختا واحدة

اذ تأخذ فرضها ثم يردون عليها الباقي ولا شيء لاخته الاب (١١٣) .

٧ - « اذا اجتمع مع الاخوة للام جد وجدة أو احدهما (اي من قبل الام)

كان الجد كالاخ والجدة كالاخت وكان الثلث بينهم بالسوية .

وكذا اذا اجتمع مع الاخت أو مع الاختين فصاعدا (للاب والام) أو

(للاب) - جد وجدة أو احدهما كان الجد كالاخ من قبله والجدة

كالاخت ، وينقسم الباقي بعد كلاله الام بينهم للذكر مثل حظ

الاثنتين » (١١٤) .

٨ - « لو اجتمع الاخوة والاجداد فلقرابة الام من الاخوة والاجداد الثلث

بينهم بالسوية ذكورا كانوا أم اناثا .

(١١١) الحر العاملي : الفصول المهمة ص ٣٨٢ .

(١١٢) الحلبي : شرائع الاسلام مجلد ٢ ص ١٨٧ ، والعاملي : مفتاح الكرامة

ج ٢٨ ص ١٣١ .

(١١٣) الحلبي : شرائع الاسلام مجلد ٢ ص ١٨٨ . والعاملي : مفتاح الكرامة

ج ٢٨ ص ١٤١ .

(١١٤) الحلبي : الشرائع ج ٢ ص ١٨٨ .

ولقاربة الاب من الاخوة والاجداد الثلثان للذكر ضعف الانثى ، فلو
كان المجتمعون فيهما جدا وجدة للام واختا واخا لهم وجدا للاب واخا
واختا له فلاقرباء الام الثلث ولاقرباء الاب الثلثان « (١١٥) .

٩ - لا يمنع بعد الجد الاعلى بالنسبة الجد الاسفل المساوي للاخوة (١١٦) .

١٠ - قد يجتمع ثمانية اجداد في هذا المذهب (١١٧) في حين ان ذلك لا يكون
في مذاهب اهل السنة جميعها فلا يجتمع في مذاهبهم مع الجد جد اخر
بالمرة ... لانهم اما ان يكونوا محجوبين حجب حرمان بالجد الاقرب ،
أو يكونوا من ذوي الارحام فلا يرث منهم احد مع الجد الصحيح ...
وعلى ذلك فلا يرث عند اهل السنة الا جد واحد فقط مهما تعددت
الاحوال ... ان لم يكن محجوبا .

امثلة تطبيقية على هذا المذهب

١ - اخ شقيق أو اكثر / جد لاب أو اكثر

المقاسمة بينهم للذكر مثل حظ الانثيين

٢ - اخ لام / جد لام

الثلث لهما فرضا + الباقي ردا

ويقتسمون بالسوية

٣ - اخ أو اخت / جد أو جدة / ابن

لا شيء (محجوب) / لا شيء (محجوب) / كل التركة بالقرابة

(١١٥) الشهيد الجبعي العاملي : الروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية
ج ٢ ص ٣١٦ .

(١١٦) المصدر السابق .

(١١٧) المصدر السابق ص ٣١٨ . والعاملي : مفتاح الكرامة ج ٢٨ ص ١٥٥ .

٤ - اخوة لام اجداد لام اخوة لاب اجداد لاب
 لهم الثلث فرضا لهم الثلثان يقتسمونه
 يقتسمونه بالسوية للذكر مثل حظ الانثيين

٥ - اخوة اشقاء اجداد لاب
 المقاسمة بينهم للذكر مثل حظ الانثيين

٦ - زوج جد لام جد لاب
 $\frac{1}{2}$ $\frac{1}{3}$ فرضا الباقي وهو السدس

بعض المسائل الخلافية في ميراث الجدة مع الاخوة

١ - المسألة الاكثرية :

وقد مرت آتفا وهي : توفيت عن
 زوج ام اخت جد
 وفي قسمة فرائضها اربعة اقوال :

١ - قول زيد : وقد مر ذكره .

٢ - قول الصديق : ان للزوج النصف ، وللأم الثلث ، على ما رواه محمد بن الحسن والباقي للجد ، ولا شيء للاخت لانها محجوبة بالجد .

٣ - قول عبدالله بن مسعود :

ان للزوج النصف ، وللأخت النصف ، وللجد السدس ، وللأم السدس ،
 كيلا يؤدي الى تفضيل الأم على الجد فتعول بسهمين والقسمة من
 ثمانية .

٤ - قول علي :

للزوج النصف ، وللأخت النصف ، وللأم الثلث ، وللجد السدس فتعول
 بثلاثة فتكون القسمة من تسعة .

وهذا قريب من قول زيد ، الا انه على مذهب زيد يجمع ما يصيب الجد والاخت فيجعله بينهما للذكر مثل حظ الانثيين وعند (علي) لا يجعل كذلك ، بل لكل واحد ما أصابه .

وسميت بالاكدرية

« لان اسم الزوج ، أو السائل أو قبيلة الميتة ، أو المسؤول أو قبيلته — اكدر ... »

أو لكونها كدرت على زيد مذهب اي لانه لا يفرض للاخوة مع الجد ولا يعيل بل يسقطهم اذا لم يبق شيء ...

وقد فرض للاخت النصف ، واعال المسألة من ستة الى تسعة ، ثم جمع نصف الاخت وسدس الجد ، وقسمهما على جهة التعصيب ، فاعطى للجد ضعف الاخت ...

قال ابن الهائم : « وينبغي حينئذ ان تسمى مكدره لا اكدرية » (١١٨) .
٢ - المسألة الخرقاء :

وهي : (اخت شقيقة) أو لأب وجد وام وفيها ستة أقوال :

١ - قول ابي بكر الصديق ، وهو قول ابن عباس : للام الثلث ، والباقي للجد ولا شيء للاخت لانها محجوبة بالجد .
٢ - قول علي :

للأم الثلث وللأخت النصف فريضة وللجد السدس .

٣ - قول زيد :

للأم الثلث ، والباقي بين الجد والاخت للذكر مثل حظ الانثيين .

٤ - قول عبدالله بن مسعود :

(١١٨) البتني : عبدالملك بن عبدالوهاب المكي : شرح خلاصة الفرائض نظم : متن السراجية نشر ضمن كتاب يشمل مجموعة تشتمل على ثلاثة كتب في علم الفرائض (مطبعة مصطفى محمد الطبعة الاولى ١٩٣٥) ص ٣٣ .

للاخت النصف وللأم السدس في رواية والباقي للجد .
لانه يجعل نصيب الجد ضعف نصيب الأم ، كما هو مذهبه في زوج وام
وجد .

٥ - ومن قوله الآخر :

للاخت النصف والباقي بين الجد والام نصفان لانه لا يرى تفضيل الام
على الجد ويرى التسوية بينهما .

٦ - قول عثمان :

ان المال بين ثلاثهم اثلاثا ..

قال السرخسي :

« وجواب هذه المسألة بهذه الصفة محفوظ عن عثمان (رض) ووجهه
ان الام تستحق الثلث بالنص ولو لم يكن هناك ام لكان للاخت النصف
بالفريضة ، والنصف الآخر للجد فاذا استحققت الام الثلث عليهما كان ذلك
من نصيبها جميعهما (١١٩) ويبقى حقها في الباقي سواء ، فكان المال بين ثلاثهم
اثلاثا (١٢٠) .

وهذه المسألة تسمى الخرقاء (١٢١) .

وتسمى الخرقى لكثرة اختلاف الصحابة فيها ...

وتسمى المسبعة ، والمسدسة ، والمخمسة ، والمربعة والمثلثة والعثمانية
والشعبية والحجابية (١٢٢) .

(١١٩) كذا وردت ولعلها (من نصيبهما جميعا) .

(١٢٠) السرخسي : المبسوط ج ٢٩ ص ١٩١ .

(١٢١) الخرقى : مختصر الخرقى على مذهب الامام المبجل احمد بن حنبل
(الطبعة الثانية منشورات المكتب الاسلامي بدمشق ١٩٦٤) ص ١٢٣ .

(١٢٢) الحجاوي المقدسي : الاقناع في فقه الامام احمد بن حنبل تصحيح
وتعليق عبداللطيف السبكي (المطبعة المصرية بالازهر ١٣٥١) ج ٣
ص ٨٣ - ٨٤ .

وتلقب ايضا بالخمسية لانها اختلف فيها خمسة من الصحابة (١٢٣) ...

وقالوا في تعليل تسميتها بذلك :-

« فتسمى عثمانية لان قديما جوابها محفوظ عن عثمان ، وتسمى مثلثة لجعل عثمان المال بينهم اثلاثا ، وتسمى حجاجية ، وشعبية ، لان الحجاج القاها على الشعبي على ما حكى : ان الحجاج لما قدم العراق اتى بالشعبي موثقا بحديد فنظر اليه بشبه المغضب وقال :

انت ممن خرج علينا يا شعبي ...١٩

فقال : اصلح الله الامير لقد اجذب الجناح ، وضاق المسلك ، واكتحلنا السهر واستحللنا الحرر ، ووقعنا في فتنة ، لم يكن فيها تروية اتينا ولا فجرية اقويا .

قال : صدق خذوا عنه ما يقول في أم واخت وجد ...١٩

فقال : قد قال فيها خمسة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ومن هم ؟

قال عثمان وعلي وزيد وابن مسعود وابن عباس .

فقال ما قال فيها الجبر ؟ يعني ابن عباس ؟

قال « الخ » (١٢٤) .

ثم بين آراء وهم كما مر ...

(١٢٣) الدسوقي : ابن عرفة : حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لابي البركات سيدي احمد الدردير ج ٤ ص ٤٦٤ .

(١٢٤) السرخسي : المبسوط ج ٢٩ ص ١٩١ . وانظر المقدسي : الشرح الكبير ج ٧ ص ١٧ . وانظر ابن قدامة : المغني ج ٧ ص ٧٨ - ٧٩ .

٣ - المسألة الثالثة :

امراة اخت ام جد

وفيه اربعة اقوال :

١ - قول الصديق (في رأيه الاول) :

للمرأة الربع وللام ثلث ما بقى والباقي للجد ، ولا شيء للاخت لانها
محجوبة بالجد .

٢ - قول الصديق ايضا (في رأيه الثاني) :

للمرأة الربع ، وللام ثلث جميع المال والباقي للجد ، ولا شيء للاخت
لأنها محجوبة .

٣ - قول علي وزيد :

للمرأة الربع ، وللام الثلث ، والباقي بين الجد والاخت بالمقاسمة .

٤ - قول ابن مسعود :

للمرأة الربع وللأخت النصف والباقي بين الجد والام نصفان (١٢٥) .

٤ - المسألة الرابعة :

زوج ام جد اخ شقيق أو لأب

وفيه ثلاثة اقوال :

١ - قول للصديق (في رأيه الاول) :

للزوج النصف وللام ثلث جميع المال ، والباقي للجد ، ولا شيء للاخ
لأنه محجوب بالجد ...

٢ - قول للصديق (في رأيه الآخر) :

للزوج النصف ، وللام ثلث الباقي وللجد الباقي ولا شيء للاخ ايضا .

(١٢٥) السرخسي : المبسوط ج ٢٩ ص ١٩١ - ١٩٢ .

٣ - قول علي وعبدالله بن مسعود وزيد :
للزوج النصف ، وللام ثلث جميع المال ، والباقي للجد ولا شيء للاخ
فيكون موافقا لاحد قولي ابي بكر الصديق .
والقول الاخر لعبدالله بن مسعود : للزوج النصف والباقي بين الام
والجد نصفان ولا شيء للاخ (١٢٦) .

٥ - المسألة الخامسة :

زوجة وام وجد واخ شقيق أو لأب وفيها خمسة اقوال :
١ و ٢ - قولان للصديق كما قلنا في المسألة السابقة الا ان الزوجة تأخذ
الربع هنا بينما في المسألة السابقة يأخذ الزوج النصف
٣ - قول علي وزيد : للمرأة الربع ، وللام ثلث جميع المال والباقي بين الجد
والاخ نصفان لان المقاسمة خير له هنا من السدس .

٤ - قول عبدالله بن مسعود :

للمرأة الربع وللام ثلث ما بقي والباقي بين الجد والاخ نصفان

٥ - قول اخر لعبدالله بن مسعود أيضا :

للمرأة الربع والباقي بين الجد والام والاخ اثلاثا كيلا يؤدي الى تفضيل
الام على الجد (١٢٧) .

٦ - المسألة السادسة وهي :

ابنة واخت وجد

وفيها خمسة اقوال :

١ - قول الصديق :

للابنة النصف والباقي للجد بالفرض والعصوبة ولا شيء للاخت لانها
محجوبة .

(١٢٦) نفس المصدر ص ١٩٢ .

(١٢٧) المسوط ج ٢٩ ص ١٩٢ .

٢ - قول زيد :

للأبنة النصف والباقي بين الجد والاخت للذكر مثل حظ الانثيين •

٣ - قول علي :

للأبنة النصف وللجد السدس والباقي للاخت •

٤ - قول عبدالله بن مسعود في رأيه الاول :

للأبنة النصف والباقي بين الاخت والجد نصفان •

٥ - قول عبدالله بن مسعود في رأيه الآخر :

للأبنة النصف وللجد ثلث ما بقي وهو السدس في المعنى سواء والباقي للاخت (١٢٨) •

بعض المسائل الملقبة في ميراث الجد والاختوة

هناك كثير من المسائل التي وضعت لها القاب واسماء ولكننا سنقتصر هنا على ذكر بعض ما يخص ميراث الجد والاختوة فقط ... والا فان المسائل كثيرة (١٢٩) •

١ - الاكدرية : وقد مرت

٢ - الخرقاء : وقد مرت ايضا

٣ - مختصرة زيد : وهي

ام وجد واخت شقيقة واخت لأب واخ لاب

٤ - تسعينية زيد : وهي

ام وجد واخت شقيقة واخت لاب واخوان لاب •

(١٢٨) المبسوط ج ٢٩ ص ١٩٢ والمغني ج ٧ ص ٨٠ •

(١٢٩) انظر الحجاوي المقدسي : الاقناع في فقه الامام احمد بن حنبل ج ٣

ص ٨٤ - ٨٥ •

٥ - عشرية زيد : وهي :

جد ، اخت لابوين ، اخ لأب •

٦ - مربعة الجماعة : وهي :

زوجة ، اخت ، جد •

وبعد :

فان الموضوع شائك وعسير اضافة الى سعة ابوابه وتفرع مسائله مما يعكس للمشرعين صورة رائعة للتراث الفكري الخالد الذي تركه لنا الفقهاء الذين كانوا الاعمدة التي قام عليها بناء الفقه الاسلامي ، المنهل العذب الخصب الذي اغترف منه المشرعون ولا زالوا يغترفون على مر السنين •

ونظرا لسعة الموضوع وتشعب مسائله فقد سلكت فيه عريزي القاريء مسلك المؤرخ لا المفسر - كما رأيت - ولو قمت بذلك - اعنى شرح وجهات النظر شرحا استدلاليا - لضاق بي المجال - وانا في هذه العجالة السريعة ، لذلك فاني اعترف بتقصيري وعجزتي لكوني على ثقة من انه لو اعيد النظر في هذه الرسالة لتغير تبويبها وعرضها واسهابها في بعض الجوانب واخلالها في الاختصار في جوانب اخرى ... فلي العذر على كل حال من قارئ العريز ...

والحمد لله رب العالمين

مصادر البحث

المذاهب السنية :

الفقه الحنفي

- ١ - البتني : عبد الملك بن عبد الوهاب المكي : متن خلاصة الفرائض نظم السراجية نشرت ضمن كتاب مجموع المتون الكبير (مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٤ هـ) .
- ٢ - البتني ايضا : شرح خلاصة الفرائض السراجية نشرت ضمن كتاب يشمل مجموعة تشتمل على ثلاثة كتب في علم الفرائض (طبعة مصطفى محمد الطبعة الاولى ١٩٣٥) .
- ٣ - السيد الشريف : علي بن محمد الجرجاني : (المتوفى ٨١٤ هـ) : شرح السيد الشريف على السراجية (طبعة فرج الله زكي الكردي بمصر) .
- ٤ - الفناري : العلامة محمد شاه علي بن يوسف بن محمد الفناري (المتوفى ٩٢٩ هـ) حاشية الفناري على شرح السيد الشريف على السراجية مطبوع على هامش الكتاب السابق .
- ٥ - شيخي زاده : عبد الرحمن افندي داماد : مجمع الانهر شرح ملتقى الابحر (المطبعة العثمانية استانبول ١٣٢٧ هـ) المجلد الثاني .
- ٦ - الحلبي : الشيخ ابراهيم بن محمد (المتوفى ٩٥٦) : ملتقى الابحر مطبوع في صلب الكتاب السابق .
- ٧ - الخصكفي : محمد بن علي بن محمد بن علي الملقب بعلاء الدين المتوفى ١٠٨٨ هـ الدر المنتقى شرح الملتقى مطبوع على هامش الكتابين السابقين .
- ٨ - السمرقندي : ابو الليث : خزانة الفقه وعيون المسائل (تحقيق الدكتور صلاح الدين الناهي بغداد شركة الطبع والنشر الاهلية ١٩٦٥) المجلد الاول
- ٩ - السرخسي : شمس الدين : المبسوط (طبعة ساسي بمطبعة السعادة بمصر ١٣٣١ هـ) الجزء ٢٩ ص ١٥٤ وما بعدها .

الفقه الشافعي :

- ١٠- أبو شجاع : القاضي أحمد بن الحسين بن أحمد الاصفهاني : التقريب مؤسسة الشرق للطباعة والنشر ١٣٨٠ هـ .
- ١١- الفزي : محمد بن قاسم : فتح القريب المجيب على الكتاب المسمى بالتقريب (مؤسسة الشرق للطباعة والنشر ١٣٨٠ هـ) .
- ١٢- متن الرحبية : نشر ضمن كتاب مجموع المتون الكبير (مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٤) ص ١٨٧ - ٢٠١ .
- ١٣- الشنشوري : شرح الشنشوري : لمتن الرحبية (المطبعة العامرة بمصر ١٢٩٣ هـ) .
- ١٤- الخصري : الشيخ محمد : حاشية الخصري على شرح الشنشوري لمتن الرحبية منشور في صلب الكتاب السابق (المطبعة العامرة بمصر ١٢٩٣ هـ) .
- ١٥- النووي : الامام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي : منهاج الطالبين مطبوع في صلب كتاب مغنى المحتاج (مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٤ هـ) .
- ١٦- الشربيني : الشيخ محمد الخطيب : مغنى المحتاج الى معرفة معاني الفاظ المنهاج (مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٤ هـ) .
- ١٧- الرملي : شمس الدين محمد بن ابي العباس أحمد بن حمزة بن شهاب الدين الرملي المنوفي المصري الانصاري الشهير بالشافعي الصغير المتوفى ١٠٠٤ هـ : كتاب نهاية المحتاج الى شرح المنهاج (مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٣٨) ج ٦ .
- ١٨- الشبراملسي القاهري : حاشيته على الكتاب السابق (مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٣٨) ج ٦ .
- ١٩- المغربي الرشيدى : حاشيته على الكتاب السابق نفس الطبعة والجزء .
- ٢٠- الفيروز ابادى : الشيرازي : المذهب في فقه الامام الشافعي (مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر الطبعة الثانية ١٩٥٩) ج ٢ .
- ٢١- الشافعي : محمد بن ادريس المطلبي : الام (شركة الطباعة الفنية المتحدة الطبعة الاولى ١٩٦١) الجزء الرابع .

الفقه الحنبلي :

- ٢٢- الشنشوري الشافعي : عبدالله بن محمد المتوفى سنة ٩٩٩ هـ : الدرة
المضية في شرح الفارضية على مذهب الامام المبجل احمد بن حنبل
(منشورات المكتب الاسلامي بدمشق الطبعة الاولى ١٩٦١) .
- ٢٣- الحجاوي المقدسي : قاضي دمشق العلامة المحقق ابو النجا شرف الدين
موسى (المتوفى سنة ٩٦٨ هـ) الاقناع في فقه الامام احمد بن حنبل
(المطبعة المصرية بالازهر ١٣٥١ هـ) ج ٣ .
- ٢٤- الخرقى : ابو القاسم عمر بن الحسين الخرقى (المتوفى سنة ٣٤٤ هـ)
مختصر الخرقى (منشورات المكتب الاسلامي بدمشق الطبعة الثانية
١٩٦٤) .
- ٢٥- ابن قدامة : موفق الدين ابو محمد عبدالله بن احمد بن محمود المتوفى
سنة ٦٣٠ هـ (المغنى : (على مختصر الخرقى) (مطبعة المنار الطبعة
الاولى بمصر ١٣٤٨) ج ٧ .
- ٢٦- ابن قدامة المقدسي : شمس الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن ابي عمر بن
احمد المتوفى ٦٨٢ هـ :
الشرح الكبير على متن المقنع في مذهب الامام احمد بن حنبل : مطبوع
في حاشية الكتاب السابق (مطبعة المنار بمصر الطبعة الاولى ١٣٤٨)
ج ٧ .

الفقه المالكي :

- ٢٧- الدردير : ابو البركات سيدي احمد : الشرح الكبير (دار احياء الكتب
العربية) ج ٤ .
- ٢٨- الدسوقي : شمس الدين الشيخ محمد عرفة الدسوقي : حاشية
الدسوقي على الشرح الكبير لابي البركات سيدي احمد الدردير (دار
احياء الكتب العربية) ج ٤ .
- ٢٩- ابن رشد : بداية المجتهد ونهاية المقتصد : (مطبعة الاستقامة بالقاهرة)
ج ٢ .

المذاهب الشيعية :

١ - مذهب الامامية

- ٣٠- العاملي : محمد الجواد بن محمد بن محمد الحسيني : مفتاح الكرامة
في شرح قواعد العلامة (مطبعة الشورى بمصر ١٣٢٦) المجلد الثامن
والعشرون .

- ٣١- المحقق المحلي : المختصر النافع في فقه الامامية (مطبعة النجف ١٩٦٤) .
- ٣٢- المحقق المحلي : شرائع الاسلام في الفقه الجعفري (مطبعة دار الحياة بيروت) المجلد الثاني .
- ٣٣- العاملي : الشهيد الثاني : الروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية (بيروت ١٩٦٠) ج ٢ .
- ٣٤- الحكيم : السيد محسن الطبطبائي : منهاج الصالحين (الطبعة الثامنة مطبعة القضاء بالنجف ١٣٨٤) الجزء الثاني .
- ٣٥- الحر العاملي : الفصول المهمة في أصول الائمة (الطبعة الثانية بالمطبعة الحيدرية بالنجف ١٣٧٨) .
- ٣٦- مؤلف مجهول : رسالة في الفقه الجعفري موجزة ناقصة (زمن الطبع ١٣٥١ هـ كتاب الميراث من ص ٢٠٥ - ٢١٦) .
- ٣٧- المحلي : عبدالكريم رضا : الاحكام الجعفرية في الاحوال الشخصية مطبعة حجازي بالقاهرة ١٩٤٧ .

٢ - مذهب الزيدية :

- ٣٨- المرتضى : احمد بن يحيى (المتوفى ٨٤٠ هـ) .
- البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الامصار (مطبعة السنة الحمديّة مصر ١٣٦٨ هـ) ج ٥ .
- ٣٩- الصنعاني : العباس بن احمد بن ابراهيم بن احمد الحسني اليمني تنمة الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير (مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٤٩) في الجزء الرابع من الروض النضير .

الظاهرية :

- ٤٠- ابن حزم : ابو محمد علي بن احمد بن سعيد المتوفى ٤٥٦ هـ .
- المحلى (ادارة الطباعة المنيرية طبعة اولى ١٣٥١) ج ٩ .

كتب فقهية مقارنة :

- ٤١- عمر عبدالله : احكام المواريث في الشريعة الاسلامية (دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة ١٩٦٠) ص ١٨٩ وما بعدها .
- ٤٢- الشيخ محمد ابو زهرة : احكام التركات والمواريث (مطبعة مخيمر بالقاهرة ١٩٤٩) .
- ٤٣- البسام : عبدالرحمن محاضرات في الوصايا والمواريث القاها على طلبة الحقوق والشريعة ببغداد سنة ٩٥٧ - ٩٥٨ القسم الاول .

٤٤- البرديسي : محمد زكريا البرديسي الميراث والوصية في الاسلام (سلسلة التعريف بالشريعة الاسلامية الكتاب رقم ٤) (الدار القومية للطباعة القاهرة ١٩٦٤) .

٤٥- الكشكي : الشيخ محمد عبدالرحيم : الميراث المقارن (مطبعة خلف الطبعة الثانية) ١٩٦٣ .

كتب لغوية :

٤٦- الفيومي : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (الطبعة الثانية بالمطبعة الاميرية مصر سنة ١٩٠٩) مادة (جدد) ج ١ ومادة (اخ) .

٤٧- لويس معلوف : المنجد في اللغة (الطبعة السابعة عشرة بالمطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٠) مادة (جدد) ومادة (اخ) .

٤٨- الزمخشري : اساس البلاغة (دار ومطابع الشعب القاهرة ١٩٦٠) مادة (جدد) ومادة (اخ) .

٤٩- الفيروز آبادي : مجد الدين : القاموس المحيط (ط ٢ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ١٩٥٢) مادة (جدد) ومادة (اخ) .

«والحمد لله اولاً وآخراً»

الشيبانيون في اقليم الجزيرة « دورهم السياسي خلال القرن الثالث الهجري »

سليمة عبدالرسول
استاذة مساعدة بقسم التاريخ
كلية الاداب - جامعة بغداد

المقدمة :

شيبان قبيلة عربية سميت على اسم جدها شيبان بن بكر بن وائل ، وهي من القبائل العربية الكبيرة ذات التفرعات العديدة ، ولقد تهيأ لهذه القبيلة ان تلعب دورا متميزا خلال تاريخها الطويل ، كما عرف التاريخ العربي والاسلامي العديد من الشخصيات الشيبانية البارزة سواء بسبب مواقفها السياسية أو العسكرية أو الثقافية ، فكان ذلك سببا لرفع شأن شيبان وعلو منزلتها بين القبائل الاخرى .

ومثلما عرف التاريخ العربي قبل الاسلام قادة شجعان وفرسان أشاوس من الشيبانيين ، شهد مطلع العهد الاسلامي بطلا مغوارا كان موقفه النابع من أخلاقيات العرب أشبه بالاسطورة ، ذلك هو المشنى بن حارثة الشيباني الذي تحدى سلطة الفرس على الرغم من قواه وقوى حلفاءه العرب القليلة بالقياس الى جيروت الدولة الساسانية . وقد كانت موقعة ذي قار شرارة حرب التحرير العربية وتخليص العراق من نير الحكم الفارسي . وواصل الشيبانيون دورهم السياسي المتميز في القرنين الاول والثاني للهجرة فبرز بيت زائدة الذي قدم شخصيات كان لها دورها في البطولات العسكرية

أو الاعمال الادارية ، فمعن بن زائدة الشيباني ويزيد بن يزيد بن زائدة الشيباني وابنه خالد بن يزيد الذين تزخر باخبارهم كتب التاريخ مبنية ١
مواقفهم العسكرية ومقدرتهم الادارية والمكانة المرموقة التي تبوؤها في البلاط الاموي والعباسي •

وما أن حل منتصف القرن الثالث حتى برزت شيبان بكامل ثقلها سواء من خلال شخصياتها أو تجمعاتها القبلية فكان لها دورها الخطير في مجريات أحداث الدولة العباسية • فكانت الاوضاع السياسية والمالية مشجعة لكثير من التجمعات القبلية العربية لان تلعب دورا متميزا في هذه الاحداث • فقد ضعفت السلطة المركزية ضعفا شديدا شجع بعض الاقاليم على الانفصال ، وزاد من ارتباك الاوضاع المالية والادارية فخلق حالة من التذمر العامة ، وبخاصة عند العامة بسبب تردي أحوالها المعاشية • واتفجر هذا التذمر أحيانا على شكل ثورات أو استغل لتحقيق مطامع سياسية وكان للشيبانيون في اقليم الجزيرة ، ولبعض شخصياتهم دورهم المتميز في أحداث هذا القرن من تاريخ الخلافة العباسية • فارتقى بعضهم مناصب رفيعة في الدولة ، وتمرد آخرون ضدها ، ووسع بعضهم الآخر من حدود نفوذه ليشمل ولايات اسلامية أخرى • وبلغ الامر ببعضهم الى حد الامتناع عن طاعة الخليفة وعدم الاعتراف به ، وحجب الاموال التي تجد طريقها عبر مراكزهم عن بيت المال ، وأحسن مثال على ذلك موقف عيسى بن الشيخ وأحمد بن عيسى بن الشيخ وابنه محمد •

لم تكن الاوضاع السابقة خير مجال لظهور شخصيات شيبانية فحسب ، بل هيأت المجال أيضا للتجمعات القبلية من بني شيبان التي كانت تنتشر شرقي الموصل ، فأقلقت السلطة العباسية بتمرداتها ، لأنها رفضت الخضوع لسلطة يسيرها الاتراك وتخليها عن العرب باسقاط اسمائهم من ديوان المرتزة^(١) ولم تتوان تلك القبائل أن تظهر سخطها معبرة عن تدميرها

الواضح كلما وجدت الظروف سانحة باضطراب الوضع أو قيام فتنة أو ثورة ، فتغير بمجموعها على المدن لتسلب وتنهب وحتى لتقتل شفاءا لجليها مقتصة لحقها المهضوم .

أما الخوارج في الجزيرة فقد ذكر يوليوس فلهاوزن^(٢) : « انهم ينتمون بغالبيتهم الى قبيلة واحدة هي قبيلة بني شيبان من بكر » فقد أقلق هؤلاء السلطة وكلفوها غالبا في الارواح والمال خلال القرنين الاول والثاني للهجرة . وفي القرن الثالث حمل مساور الشاري رايتهم وخرج على السلطة ، بل واستطاع أن يهزم جيوش الخليفة مرات عديدة ، ويدخل الموصل دون قتال ، كما سيطر على أماكن أخرى من اقليم الجزيرة وجمع الضرائب فيها .

لذلك فاننا نهدف من وراء هذه الدراسة تقديم صورة شاملة لمجموعة بشرية تلتئم برابطة القرابة القبلية لبني شيبان ، وتبرز في منطقة محددة هي اقليم الجزيرة ، وفي حدود زمنية معينة هو القرن الثالث الهجري الذي يعد من الفترات الخطيرة التي مرت بها الدولة العباسية ، كما تهدف هذه الدراسة خدمة البحث العلمي اللاحق في الاستفادة مما ستركه من آثار على مجمل الوضع السياسي والعسكري والاقتصادي للدولة العباسية .

والملاحظة الاخيرة التي أمدتنا بها دراسة هذه القبيلة وشخصياتها هي أن الرابطة القبلية التي ضعفت بظهور دولة الاسلام لم تستطع الفترات اللاحقة من تطور الدولة الاسلامية من محوها ، وكانت تبرز قوية أثناء ضعف السلطة المركزية ، ولكن على الرغم من ذلك يبقى التأرجح واضحا في سلوك بعض الشخصيات الشيبانية من أمر انتمائهم للقبيلة والولاء لها أو للدولة .

نسب قبيلة شيبان

ترجع قبيلة شيبان^(٢) الى أصل عدناني ، وهي فرع من بكر ، ونسبه يرجع الى شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دغمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان^(٤) ولد شيبان بن ثعلبة بن عكابة : ذهل و ثعلبة وعوف ، وولد ذهل بن شيبان : محلم ومرة وابو ربيعة والحارث ومازن وعبد غنم وعوف وعمرو وشيبان الاصغر^(٥) ولد مرة بن ذهل بن شيبان : همام وجساس ، ومن نسل مرة هذا المثني بن حارثة الشيباني ، وبسطام بن قيس الشيباني^(٦) . ولد جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة : شهاب ولأبي واليه يرجع نسب أحمد بن عيسى بن الشيخ الذي تميز بدور سياسي خطير في أحداث القرن الثالث الهجري . ولد همام بن مرة : مرة ومن بني مرة هذا عمرو (الصلب) الذي ينسب اليه معن بن زائدة بن عبدالله بن مطر بن شريك بن الصلب ، وابن أخيه يزيد بن يزيد بن زائدة وابنه المشهور خالد بن يزيد^(٧) .

اقليم الجزيرة - منطقة سكنى الشيبانيين

عرفت الاقسام الشمالية من بلاد وادي الرافدين باسم اقليم الجزيرة ، ويراد به الاراضي السهلية المحصورة بين دجلة والفرات . أما الحدود الجغرافية لهذه المنطقة فتختلف فيها المراجع التاريخية والجغرافية . والحدود العامة التي نستنتجها من مطالعة غالبية المراجع^(٨) التي تعرضت لتحديد هذا الاقليم تعينه بالمنطقة المحصورة بين دجلة والفرات ولا تجعل من هذين النهرين كحدود نهائية ، بل ضمت اليها أقساما في الجانب الغربي لنهر الفرات مثلما أضيفت أقسام من الجانب الشرقي لدجلة ، ولكن يؤكد دائما على طبيعة الارض السهلية ضمن حدود ما عرف باقليم الجزيرة ، فما تعدى السهل ليس من الجزيرة . أما الحدود الجنوبية فتعين بخط وهمي يبدأ عند الانبار على الفرات والى تكريت على دجلة .

استوطنت بعض القبائل العربية مناطق معينة من اقليم الجزيرة فعرفت باسمها كديار ربيعة أي منطقة تفوذ قبيلة ربيعة من أقليم الجزيرة ، وكذلك ديار مضر وديار بكر^(٩) . فديار ربيعة تشمل الاراضي الواقعة بين الموصل وتمتد غربا حتى منطقة نصيبين ، ولها اراضي في شرقي دجلة هي من السهول التي تروى بواسطة الزابن ونهر الخابور الصغير^(١٠) أما ديار مضر فتمتد مع الفرات من سميساط^(١١) الى عانة مضافا اليها سهول نهر البليخ أحد روافد الفرات^(١٢) .

أما ديار بكر فتشمل الاراضي السهلية في حوض دجلة الاعلى المطلة على نصيبين ومركزها مدينة آمد^(١٣) وتشمل اراضي في شرقي دجلة ولكن لا تتجاوز بلاد الجبل^(١٤) .

نفهم مما اشرنا اليه من ان مناطق اقليم الجزيرة من ديار مضر وربيعة وبكر وهي اسماء « القبائل الذين كانوا ينزلونها في القديم »^(١٥) قد أصابها نصيب وافر من هجرات هذه القبائل التي تركت اوطانها الاولى لتستقر في اقليم الجزيرة .

ان الذي يبحث في أمر هجرات القبائل هذه يجد انها لم تكن على دفعة واحدة بل جاءت متعاقبة وفي ازمان مختلفة منها قبل الاسلام ومنها بعده . ففي القرن الخامس الميلادي خرجت قبيلة ربيعة على سلطة اليمن واصبح لها كيانا مرموقا بين القبائل فتزعمت عددا من القبائل كقضاة ومضر وأياد ونزار ، ولكن ما لبث ان دب النزاع بين بطونها وافخاذها من جهة وبينها وبين حلفائها من القبائل الاخرى من جهة ثانية ، فحرب البسوس بين بكر وتغلب ، ووقائع شيبان وتغلب ، وحروب ربيعة ومضر^(١٦) خير مثال على تلك المنازعات التي دفعتها الى النزوح من موطنها متجهة صوب الشرق فأناخت بطونها في مناطق متعددة ومتجاورة تقريبا ، اذ استقر بنو وائل من بكر وتغلب منطقة البحرين وبعض اراضي اليمامة وهضاب نجد ، ولكن

ما فتأوا ان تفرقوا اثر منازعاتهم المستمرة وحروبهم المتواصلة ، فاتجهت تغلب نحو الشمال ودخلت اراضي العراق متوغلة فيه على نهر الفرات ، أما بكر فبقيت في مناطقها حتى اذا ما اتسعت بطونها وافخاذها انتشرت في مناطق متفرقة من الارض فصعدت قبائل منها نحو الجنوب الغربي من ارض العراق في منطقة الحيرة على حدود مملكة اللخمين^(١٧) . وبعد حرب بين بكر وتغلب وهزيمة الاخيرة نزحت بعض بطون تغلب وسكنت في اطراف اقليم الجزيرة ، أما مضر فبقيت في منازلها في تهامة ثم انتقلت لتستقر في اقليم الجزيرة على اثر منازعاتها المستمرة بين بطونها ، وعدم استيعاب أرضها لاعدادها المتزايدة^(١٨) .

وخلال العصر الاسلامي ، وبعد فتح اقليم الجزيرة ، زادت هجرات القبائل العربية اليها كقبيلة طيء وكندة وقبائل من الازد خاصة على عهد الخليفة عثمان بن عفان كذلك معاوية بن ابي سفيان الذي اسكن مجموعات قبلية في اقليم الجزيرة ايضا ، وفي أثناء ولاية مروان بن محمد لاقليم الجزيرة جاءتها قبائل عربية أخرى فاستقر بها الازد وشييان وغيرهم ، وبذلك أصبح عرب اقليم الجزيرة بموجب هذه الهجرات المتعددة « مزيجا من قبائل مضر وربيعة العدنانيين ، ومجموعات قبلية أخرى عدنانية وقحطانية »^(١٩) .

عين المؤرخون مناطق سكنى بنى شييان في اقليم الجزيرة فذكر ابن حوقل^(٢٠) : انهم اتخذوا المنطقة المجصورة بين الزابين مصائف لهم . وسكن بعضهم منطقة البوازيج^(٢١) . أما الهمداني^(٢٢) فجعل ارضهم تمتد من بداية منطقة ديار بكر ، اي من جبل الطور البري وهو لبني شييان وذويها ، حتى حدود بلاد خراسان . ولم يقاسمهم فيها أحد سوى الاكراد . وفي وصف سلمان صائغ^(٢٣) لسكان الموصل والقبائل التي سكنت فيها ذكر « أن اكثرهم عددا وقوة هم بنو شييان الذين كانوا قد انتشروا في اطراف الموصل سيما في شرقها » .

لم يكن العرب العنصر البشري الوحيد لسكان اقليم الجزيرة ، وانما عاشت الى جانبهم أقوام أخرى كان لها اثرا واضحا في تاريخ المنطقة ، ومن هذه الاقوام الاكراد الذين قاسموا بني شيان مناطق سكناهم وصاهروهم وساندوهم في كثير من ثوراتهم حتى قيل انهم تحالفوا على أن يقتلوا على دم واحد ، عندما بلغهم خروج المعتضد الى بني شيان سنة ٢٨٠ هـ (٣٤) . وعندما أقام الحمدانيون دولتهم في نهاية القرن الثالث الهجري ، ادرك هؤلاء خطر الاكراد فحالفوهم وتزوج جدهم - حمدان - امرأة كردية وحذا غيره من الحمدانيين حذوه وبذلك كسبوا ودهم ومساندتهم (٣٥) .

اما المجموعة البشرية الثالثة التي سكنت اقليم الجزيرة الى جانب العرب والاكراد ، فهم الاراميون الذين سكنت غالبيتهم منطقة طور عابدين في المناطق الواقعة شرقي دجلة بمحاذاة منطقة سكنى الاكراد والارمن . وقد كان لهؤلاء النصارى دورا بارزا في النواحي الثقافية والاقتصادية ، وشغل عددا كبيرا من ابناءهم وظائف كتابية للخلفاء والامراء ، ومنهم من اصبح مسؤولا اداريا عن بعض مناطق الموصل (٣٦) .

عرض تاريخي لنشاط الشيبانيين السياسي والعسكري الى حدود القرن الثالث الهجري

لبنى شيان مواقف حافلة بالبراعة السياسية والمقدرة الحربية ، ويشهد لهم بذلك تاريخهم قبل الاسلام ، فغزواتهم الكثيرة مع القبائل الاخرى اثبتت مكائبتهم بينها وذاع صيتهم بالجرأة والتضحية والاقدام ، ويرى البعض ان أهداف ودوافع حروبهم ومعاركهم كانت تنصف « بطابع التحرر والانعقاد من قيود الغير ، أو بطابع قومي ضد نفوذ أجنبي » ، وبعبارة أخرى كانت « انتفاضات دامية على الظلم والاستبداد ، ومغامرات خطيرة في سبيل الانعقاد والانطلاق ، أو كفاح حقيقي في سبيل الكرامة » (٣٧) .

خاض بنو شيان أول حرب تؤكد ذلك النهج في كفاحهم ضد الاستبداد والظلم هي معركة (خزاز) عندما فرض أحد ملوك اليمن الاتاوة على القبائل النزارية المجاورة لمملكته وكان بينهم جماعة من قبيلة ربيعة الذين أبو أن يخضعوا لمذلتهم فامتنعوا عن دفعها ، وجمعوا قواهم تحت زعامة كليب بن ربيعة التغلبي وفرسانه من بني شيان ، وجابهوا قوات ملك اليمن بالقرب من جبل خزاز بين البصرة ومكة ، فانتصروا في هذه الحرب ، ثم انفصلت ربيعة عن قبيلة نزار واجتمعت كلمتها تحت زعامة كليب التغلبي الذي كان صهرا لمرّة بن ذهل بن شيان . كان كليب هذا صعب المراس حاد الطبع ، طغى وتجبر على أصحابه ، وأفرد لنفسه مميزات خاصة على حساب الآخرين ، فتذمر أصحابه من سلوكه هذا وهم الذين عرفوا بالانفة وعزة النفس فكرهوه لظلمه واستبداده وتخلصوا منه عندما حانت لهم الفرصة في حرب البسوس المشهورة (٢٨) .

جرت حرب البسوس الويلات على قبيلتي بكر وتغلب مدة أربعين سنة اذ لم يقتصر انتقام عدي بن ربيعة أخو كليب من بني شيان فقط ، بل كان يقتل كل بكري يصادفه حتى ضجت بكر فذهب بعض أشرافها الى الحارث ابن عمرو الكندي ملك الحيرة - وأمه شيبانية - وشكوا اليه أمرهم وما حل بهم من « غلبة السفهاء وحكم الاقوياء وطلبوا اليه ان يملك ابناءه عليهم ، فبعث بابنه شرحبيل مسؤولا عن قبيلة بكر بن وائل » (٢٩) . فخضعت بكر للحارث وقويت شوكتها حتى انها أخضعت العديد من القبائل الى سلطانها .

أخذ دور بني شيان يزداد أهمية تدريجيا قبيل العصر الاسلامي عندما ظهر من بينهم سادة وزعماء ذاع صيتهم في الشجاعة والشهامة ، وكان لهم أبرز الاثر في واقعة ذي قار المشهورة ، وملخصها ان كسرى أبريز ملك الفرس غضب على النعمان بن المنذر ملك الحيرة لوشاية بلغته عنه ، وعندما طلبه كسرى ، أودع النعمان أهله وسلاحه عند هانيء بن مسعود الشيباني

زعيم بني شيان وسيدها حينذاك^(٢٠) وبعد قتل النعمان من قبل كسرى ومطالبة الاخير لهانىء بودائع النعمان ، أمتنع هانىء عن ذلك مما أثار غضبة ملك الفرس وصمم ان ينتقم من بني شيان فاقتنص فرصة تقيضهم في الصيف في حنو ذي قار ليهاجمهم ، وأحس بنو شيان بذلك فتهيأوا لهجوم كسرى هذا واجتمعوا تحت زعامة سيدهم هانىء بن مسعود الذي وزع أسلحة النعمان بينهم ، وعندما هاجمتهم القوات الفارسية ابلوا في مقاومتها وتمكن الحارث بن شريك بن عمرو الشيباني من قتل قائد الفرس الهامرز ، فذعر الفرس لمقتل قائدهم وضعفت معنوياتهم ، بعد ان شاهدوا استماتة العرب وصلابة دفاعهم فولوا هارين^(٢١) .

وفي العصر الاسلامي جند المثنى كتابه من شيان وبكر بن وائل وغزا بهم العراق فدوخ الساسانيين بحملاته المتكررة حتى ذاع صيته ووصلت أخباره الخليفة ابو بكر ، ثم اصبح المثنى الساعد الايمن لحروب خالد بن الوليد في العراق ، وعندما انتدب أبا عبيدة الثقفي لقيادة الجيوش المرسلة الى العراق ، لم يتردد المثنى في التعاون التام معه اذ كانت غايته التخلص من الحكم الفارسي وتحرير أرض العراق من نفوذه ، وفي الحروب ابدى المثنى والشيبانيون معه شجاعة ومقدرة حرية تحدوا بها الموت عندما دارت عليهم رحى الحرب في موقعة الجسر ، عند ذلك أيقن ابو عبيدة انه ارتكب خطأ بعبوره الجسر الى جانب الفرس وعدم الانصات الى نصيحة المثنى الذي أوصاه بعدم العبور وبعد مقتل ابي عبيدة الثقفي خاف المثنى ان تنهار عزيمة المسلمين فحمل الراية وصاح في قومه والمسلمين ان يدافعوا عن دينهم ، وأمر جماعة منهم ان يشدوا الجسر ، فعبر بالبقية الباقية من الجيش وهو مصاب بطعنة رمح أحدثت فيه جرحا بليغا^(٢٢) . وخاض المثنى - برغم جرحه - واصحابه من بني شيان معركة البويب ، ثم التحق وقومه بالقائد سعد بن ابي وقاص ، غير انه لم يلبث ان توفي من أثر الجرح فالتحقت كتابه بالجيوش الفاتحة .

وفي العصر الاموي برز قائد آخر من بني شيبان هو معن بن زائدة الشيباني ، الذي ابلى بلاءا حسنا في محاربته الخوارج من بني شيبان وزعيمهم الضحاك بن قيس الشيباني ، كما خاض معارك حاسمة ضد الجيوش العباسية التي كانت بقيادة قحطبة بن شبيب الطائي الذي توفي اثر ضربة عاجلة من معن أردته قتيلا (٣٣) .

عرف معن في الاوساط العباسية انه من مقاومي دعوتهم ، وتمكن الافلات من ايديهم اثناء حصار واسط ، واختفى مدة من الزمن ليظهر ثانية ويدود عن الخليفة المنصور عند هجوم الراوندية عليه وكأنه يريد من وراء عمله هذا طلب الصفح من السلطة العباسية ، فاعجب به المنصور لشجاعته ومقدرته الحربية فقربه واصبحت له مكانة مرموقة في بلاطه . وعلى الرغم من العلاقة الظاهرية الطيبة بين المنصور وخصمه السابق معن بعد هجوم الراوندية وموقف معن فيها ، لكن الطرفين كانا حذران احدهما الآخر ، حيث يبدو أن موقف معن من المنصور كان يريد من وراءه شراء حياته ولينتخلص من مطاردة عيون المنصور ورجاله ، في نفس الوقت جعل المنصور في موقف حرج بعد أن افتداه ودافع عنه ببسالة ، فلم يستطع المنصور بعد ذلك الا ان يقرب اليه معن ، ولكن ظل يراقبه عن كثب . ومن جانب آخر كان معن في قرارة نفسه لا يزال على ولائه كما يبدو للامويين لانه كانت له ولا مثاله من القادة والزعماء العرب دورا بارزا في العهد الاموي ، بينما أصبحت الادوار البارزة في العهد العباسي الاول للفرس ، وهذا ما يضير معن وغيره من فرسان العرب . ويبدو أن معن أصاب شهرة ومكانة أخذت بالاتساع تدريجيا بحيث بلغه الشعراء ومدحوه ، وكان يفتقد عليهم العطاء وكأنه يقصد من وراء ذلك تحقيق غرض سياسي في نفسه ، ولكن المنصور كان يراقب عن كثب تحركات معن الخفية ، فيلومه في دفع مبلغ مائة الف درهم للشاعر مروان بن ابي حفصة على قوله :

معن بن زائدة الذي زيدت به شرفا على شرف بنو شيبان

ولكن معن كان ذكيا ونبيا فأحس ما في نفسية الخليفة المنصور ومقصده فاجابه : بانه لم يعط الشاعر الدراهم لقوله كذلك وانما اعطاه اباه لقوله :

ما زلت يوم الهاشمية معلنا بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته ، وكنت وقاه من وقع كل مهند وسان (٣٤)
لذلك عينه المنصور واليا على اليمن (٣٥) ليبعده عن المسرح السياسي
في مركز الخلافة ويتأكد استنتاجنا أعلاه عندما نعرف من الروايات التاريخية
ان المنصور نقل معن من ولاية اليمن الى اقليم سجستان لمحاربة الخوارج ،
فقتل معن من جراء معاركه معهم فعقد المنصور ليزيد بن مزيد الشيباني
الولاية على سجستان بعد وفاة عمه معن (٣٦) .

حرص الخليفة المهدي الذي أعقب والده المنصور في حكم الدولة
الاسلامية على اعتماد سياسة التوازن بين القوميتين العربية والفارسية ، ولم
ينس ان أقوى القبائل العربية حينذاك كانت ربيعة بفرعيها بكر وتغلب ،
فرعامة بكر بن وائل في بني شيبان التي انتقلت على عهده من معن بن زائدة
الى يزيد بن مزيد الشيباني ، فاستدعى الخليفة زعيم بني شيبان يزيد وعقد
اليه قيادة الجيش لمحاربة الخوارج في منطقة بخارى ، حيث استطاع ان
يقضى على اخطر ثورة خارجية آنذاك ، ثم بعثه بحملة مع ابنه هارون
ارشيد الى بلاد الروم (٣٧) . وتعالى شهرة يزيد بن مزيد الحرية خاصة بعد
قمعه ثورة الوليد بن طريف الشاري على عهد الخليفة هارون الرشيد حتى
اطلق عليه اسم فارس العرب (٣٨) . بعد ذلك ولاه الرشيد اقليمي اذربيجان
والجزيرة ، واتخذ يزيد من الموصل مقرا له ، واستطاع بكل حزم وقوة أن
يضبط الامن والسلام في ربوع تلك المنطقة (٣٩) . ولما كانت كل من أرمينية
واذربيجان مصدر قلق للدولة العباسية ، اقترح يزيد على الخليفة الرشيد
أن يوليه هذه الاقاليم وان يجعل مقره في مدينة بردعة (٤٠) فوافق الرشيد
على اقتراحه وولاه عليها ، فسار يزيد مع أهله وعشيرته من بكر وتغلب الى

هناك ، وقضى بقية حياته حتى توفي سنة ١٨٥ هـ في مدينة بردعة^(٤١) تاركا ابنه محمد واليا على أرمينية^(٤٢) ولم ينل شهرة يزيد الحربية من ابناءه سوى خالد الذي ذاع صيته في القرن الثالث الهجري .

دور الشيبانيين في الشؤون الادارية والعسكرية في القرن الثالث الهجري

لعب الشيبانيون دورا حساسا في القرن الثالث الهجري لا سيما النصف الاخير منه ، فبالاضافة الى كونهم قادة حربيين من الدرجة الاولى ، كانوا ولاية أشداء ، لم يقتصر حكمهم على ولاياتهم ، بل أمتدوا بنفوذهم الى مناطق أخرى كلما لمسوا ضعفا وترديا في أحوال الدولة والخليفة متحدين بذلك سلطة الدولة وهيبتها ، وقد برز منهم قادة لامعون في هذا الميدان منهم :

خالد بن يزيد الشيباني

هو ابن القائد المشهور الذي سبق ذكره يزيد بن يزيد بن زائدة بن عبدالله بن مطر بن شريك بن الصلب من بني مرة بن همام بن مرة بن ذهل ابن شيبان^(٤٣) بلغ بن يزيد على عهد الخليفة المأمون من المنزلة الرفيعة والسمعة الطيبة لقابلياته الادارية والحربية حتى شبهوه بشجاعة والده وكنوه بكنيته ، ففي السلم بابي خالد وفي الحرب بابي الزبير ، وهي الكنية التي كنى بها خالد في بعض أيامه بمصر^(٤٤) .

وفي سنة ٢٠٦ هـ أرسله المأمون مع عمرو بن فرج الزخجي الى مصر بجيش من ربيعة وغيرها ، وأمرهما أن يتعاونوا النظر فيها ، فينظر عمر في أمر الخراج ، وخالد في المعاونة والصلاة ، وسار خالد بالجيش ، وعند وصوله ارض مصر راسل واليها السابق عبيدالله بن السري الذي كره ان يسلم البلاد محتجا بان الخليفة كان قد ارسل اليه كتاب بولايتها ، وتنهيا عبيدالله لمقابلة هذا الجيش بالقرب من خوف مصر الشرقي ، ونشب القتال بينهم مدة ثلاثة أيام ، تمكن عبدالله في نهايتها - على اثر خيانة حصلت بين اتباع خالد ممن انضم اليه من سكان أسفل مصر - أن يأسر خالد ، ولكنه أحسن معاملته فاكرمه وحمله في البحر الى العراق^(٤٥)

وبعدها ولاء المأمون الموصل وزاده ديار ربيعة^(٤٦) . ثم رأى المأمون ان أوضاع منطقة ارمينية غير مستقرة بسبب ضعف واليها ، فاعز الى خالد أمر هذه البلاد ، وسار اليها خالد مع أهله وعشيرته كما انضم اليه خلق عظيم من ربيعة ، وسيطر فعلا على تلك المنطقة مدة من الزمن ثم استدعاء المأمون ، فخاف خالد أن يكون قد وشي به عند الخليفة ، غير ان الخليفة ضمه الى أخيه المعتصم عندما قدم^(٤٧) وأصبح لخالد عند المأمون منزلة عظيمة ، فكان يعتمد عليه في كثير من الامور السياسية الهامة ، وعندما القي القبض على ابراهيم بن المهدي ليلا متخفيا بزي امرأة ، أرسل خالد مع ابراهيم ليحفظه حتى دار المأمون^(٤٨) .

وفي عهد المعتصم نال خالد شهرة حرية واسعة نتيجة لاجاب المعتصم بتقديرته الحرية وكان يردد ذلك في مجالسه ، وولاه المصيصة ونواحيها^(٤٩) . ولم تسلم هذه الشخصية العربية من الوشايات عند الخليفة ، لا سيما وانه عاش في زمن كان التمايز فيه واضحا بين الاتراك اصحاب المعتصم وبين عدد من الشخصيات العربية التي لم ترتاح لنفوذ وقوة هؤلاء الاتراك ، فتغير المعتصم عليه وقرر نفيه الى مكة ، ولكن تدخلت في ذلك شخصيات عربية كانت تحاول دائما ان تخفف من حدة الصراع العربي التركي ، وكانت تنجح في مهمتها احيانا وتخفق احيانا اخرى ، ورجحت الكفة العربية في هذه المرة فشغعت لخالد عند المعتصم وأعفاه من الخروج الى مكة^(٥٠) .

وفي زمن الواثق انتفضت ارمينية وضعف أمر الخلافة هناك ، فولى الواثق هذه المنطقة خالد بن يزيد بعد ان ضم اليه مناطق من ديار ربيعة ، ونجح خالد في العمل على استقرار الاوضاع ومسك الامور بيد قوية ، وبسبب من سمعته الواسعة ومعرفة أهل المنطقة به عندما تولاهم سابقا على عهد المأمون ، خافته معظم شعوب تلك المناطق وارسلت اليه بالطاعة والهدايا . غير ان خالدا ساءت صحته هناك وتوفى فحمل في تابوت الى منطقة ديبيل^(٥١) . فدفن فيها ، وأخذ أصحابه بعد وفاته يتفرقون ، وكادت

البلاد ان ترجع الى حالتها السابقة ، فرأى الخليفة الواثق ان يعين ابنه محمدا عليها ، وفعلا استطاع محمد ان يرد اصحاب ابيه ويسيطر على تلك المناطق (٥٢) .

يتضح لنا من ذلك ان الخلافة الى حدود نهاية القرن الثالث الهجري كانت تعتمد التجمعات القبلية وتستند اليها في مهمات سياسية وعسكرية كبيرة وبخاصة في بلاد ارمينية ومناطق خراسان ، فخوفا من تفرق وحدة بني شيان الذين كانوا متماسكين مع زعيمهم خالد ، وبالتالي ضعفهم كقوة متحدة ضاربة ، وقرارا بالعرف القبلي نقل الواثق أمر الولاية من بعد خالد لابنه محمد ، والذي نجح في اعادة وحدة القبيلة ، في نفس الوقت أفاد الواثق من ذلك بعودة النفوذ المركزي وسيطرته القوية على أرمينية .

وقبل ان نختم كلامنا عن خالد نورد ما ذكرته بعض المصادر الادبية بخصوصه والتي تتفق جميعها في انه كان سيدا ذو منزلة رفيعة بين سادات العرب وفارسا مقداما من فرسانها الشجعان ، بالاضافة الى ما كان يتميز به من الصفات العربية النبيلة كالكرم وحسن الضيافة ، وديوان الشاعر أبا تمام يزخر بالعديد من القصائد الشعرية التي توضح ذلك (٥٣) .

ان الذي تشير اليه المصادر الادبية يلقي ضوءا على أسباب العلاقة بين خلفاء بني العباس وبين سادات بني شيان ، حيث لم تكن هذه العلاقة تستند بطولات فذة في ميادين القتال لبعض الشجعان من بني شيان ، ولكن بالاضافة الى ذلك فانها تستند التجمع القبلي لشيان ومكانة هذه القبيلة المتميز بين قبائل العرب في اقليم الجزيرة .

ذكرنا سابقا ان الخليفة الواثق ولى محمد بن خالد خلفا لابيه على مناطق أرمينية فمسكها بيد حازمة ، وفي عهد الخليفة المستعين ، قلد محمد ابن خالد أمر الثغور الجزرية سنة ٢٥١ هـ ، وعندما كان محمد ينتظر وصول الجيش والاموال ليتولى أمر الثغور ، قام الاتراك بفتنة على المستعين ، فعجل محمد من سيره نحو بغداد ووصلها في اربعمائة من

اصحابه ، فخلع عليه محمد بن عبدالله بن طاهر الخلع والهدايا ووجهه بجيش احاربة أيوب بن أحمد ، غير ان محمد كان قد اخفق في هذه الحرب ، فانهزم ونهبت متاعه وفر الى ضيعة له في منطقة السواد (٥٤) .

عيسى بن الشيخ

عيسى بن الشيخ بن السليل من ولد جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان (٥٥) من أبرز القواد الامراء في الدولة العباسية خلال هذا القرن ، له منزلة عظيمة بين أفخاذ قبيلته ، وقد أدرك ذلك خلفاء بني العباس ، فعندما ثار ابن البعيث (٥٦) سنة ٢٣٤ هـ وتحصن في مرند من مناطق اذربيجان ، رأى الخليفة المتوكل أن يرسل له جيشا فيه عيسى بن الشيخ ليستميل بني ربيعة الذين كانوا مع ابن البعيث في ثورته ، وفعلا سار عيسى بن الشيخ الى ابن البعيث وطلب منه ان ينزل على حكم أمير المؤمنين والاقتل وأصحابه ، فاستجاب لعيسى عدد كبير من بني ربيعة ولكن ابن البعيث كان قد هرب ، ثم أسر من قبل الجند ونودي بالامان لبقية أتباعه (٥٧) .

وفي سنة ٢٥١ هـ ألتدب عيسى بن الشيخ من قبل الخليفة المستعين بالله لقمع ثورة الموفق الخارجي ، وأرسل عيسى بن الشيخ الى المستعين بالله ان يرسل اليه ما يحتاج من السلاح لتصبح له عدة جيدة يقوى بها على العدو ، وتمكن عيسى من تهزيم الموفق وتأسيده (٥٨) .

كان عيسى بن الشيخ ذكيا ، لم يدع الامور تفوته ، والفرص تفلت من يده ، وما أن أحس باضطراب الدولة وسيطرة الاتراك عليها ، الذين كان همهم الاول والاخير هو المال ، استطاع عيسى ان يعطي بغا الشرابي اربعين الف دينار ليشتري أمر ولاية الرملة ، فعين فيها سنة ٢٥٢ هـ ، وكان من علو المنزلة أن ارسل خليفته أبا المغراء عليها (٥٩) .

ولما بلغ سوء العلاقة بين الاتراك والمستعين أشده ، وأرادوا به شر مثلما فعلوا بآبائه واجداده ، ترك المستعين مدينة سامراء الى بغداد ، فبايع أترك سامراء المعتز على الخلافة ، وبقي من كان منهم ببغداد على الوفاء

لبيعة المستعين^(٦٠) . كان عيسى بن الشيخ في فلسطين يراقب تطور الاحداث في دار الخلافة عن كثب وبلغت به الجرأة أن امتنع عن مبايعة المعتز الخليفة الجديد ، على الرغم من مبايعة كافة عمال الولايات له بعد مقتل المستعين ، فاوعد الخليفة المعتز الى عامل دمشق التركي نوشري بن طاجيل بالزحف نحو فلسطين لتأديب عيسى بن الشيخ ، وتهياً عيسى لهذا الجيش وخرج لمقابلته ، وخاض ضده حرب صعبة قتل فيها ابن النوشري ، وتفرق جند عيسى بن الشيخ ، فقفل راجعا الى فلسطين وحمل ما استطاع ان يحمله منها وسار الى مصر ، ومن هناك ارسل بالبيعة للخليفة المعتز ، بعد ان ارسل له الاخير رجلا من الاتراك لهذه المهمة . ثم عاد عيسى بن الشيخ من مصر الى فلسطين ، وفي الطريق صادف جيشا كان قد ارسل من قبل المعتز تحت ضغط الاتراك للانتقام لابن النوشري من عيسى بن الشيخ ، وحذر كل منهما الآخر ثم سار الاثنان الى العراق^(٦١) فأقر عيسى خلافة المعتز ، لكن الخليفة لم يهدأ له بال على ما أوجس من خيفة لتمرّد وعصيان هذا الوالي ، وتحت ضغط الاتراك ثانية ارسل الخليفة جندا من الاتراك ليرصدوه اثناء عودته ويقتلوه ، غير ان عيسى أحس بذلك واستطاع ان يفلت منهم فخرج مستترا في يوم مطير في خيل جريدة حتى استطاع ان يفوتهم ويصل فلسطين . وهناك بدأ عيسى يحتاط للظروف فرتب جنده ، واجتمع اليه من قبائل ربيعة خلق عظيم وصاهر قبيلة كلب لتقف الى جانبه ، وابتنى له حصنا خارج مدينة الرملة سمي (الحسامي)^(٦٢) .

ويمكن اعتبار هذه الخطوات من عيسى بن الشيخ ، أول عمل منظم يستند التجمعات القبلية الذي ربما كان يؤدي الى خلق كيان سياسي منفصل عن الدولة كما حدث للحمدانيين .

ولم يكتف عيسى بذلك ، بل أخذ يوسع نفوذه وسلطانه على حساب الفوضى والاضطرابات التي عمت دار الخلافة فزحف سنة ٢٥٦ هـ الى دمشق وتغلب عليها^(٦٣) وضمها الى منطقة نفوذه فلسطين والاردن . كما

قام بعملية تحدي أخرى للسلطة فحجز أموالا كانت في طريقها من مصر الى بغداد مقدارها سبعمائة الف دينار^(٦٣) وعندما كتب الخليفة المهدي كتب الامان الى جميع المتحركين والمتغلبين ومنهم عيسى بن الشيخ ، أمره أن يرسل أموال مصر الى دار الخلافة ، غير أن ابن الشيخ امتنع عن ارسالها ، وأخبر الخليفة بأنه اتفقها على الجند ، عند ذلك بلغ من أمر عيسى حدود الاستقلال الكامل عن سلطة الخلافة ، ولكن دون اعلان رسمي بذلك ، ولم يكن أمام الخليفة بد الا حسم السيف ، فاعز الى أحمد بن طولون في مصر بالمسير اليه ، غير ان الخليفة عدل عن هذه الفكرة فارسل كتابا الى ابن طولون وهو في الطريق اليه ، يصرفه فيه الى الاسكندرية^(٦٤) .

وفي سنة ٢٥٦ هـ بويح بالمعتمد خليفة على المسلمين ، فكتب بالبيعة الى كافة الاقطار الاسلامية فبايع أهل خراسان ومصر وديار ربيعة ، ولكن عيسى بن الشيخ امتنع عن البيعة أيضا ، فكان أمر امتناع عيسى عن المبايعة يعد تطورا خطيرا في علاقة عيسى والشييعانيين وحلفائهم بالدولة العباسية ، وأهتم الخليفة لهذا الامر بشكل كبير ، فارسل له جيشا في سبعمائة تركي بقيادة أماجور ، وسار هذا بالجيش حتى قدم دمشق فتها إلى ابن الشيخ وخرج بجموعه من فلسطين وحاصر الجيش التركي وقائده بباب دمشق ، ولما اشتد الحصار على أماجور خرج وأصحابه من المدينة فتبعه منصور بن عيسى بن الشيخ وظفر بن اليمان خليفته ، وجرت حرب بين الطرفين قتل فيها منصور وأسر ظفر بن اليمان ثم ضربت عنقه بعد ذلك ، أما عيسى بن الشيخ فقد انصرف الى الرملة وحمل عياله وتحصن في مدينة صور^(٦٥) .

ولكن هذه الحرب لم تكن حاسمة لصالح الخلافة . فلا يزال عيسى حيا ولا تزال أعداد قبيلة شيبان وربيعة كثيرة وقوية . كما أن عيسى لم يزل يحتل مكانة الزعامة بين ربيعة ، فعمد المعتمد لاعتماد أسلوب آخر في تصفية حركة ابن الشيخ فارسل اليه من بغداد وفدا يحمل اليه كتاب الامان لنفسه وماله وولده ، والصفح عما بدر منه ، وتوليته ارمينية - التي سبق

وان رفض عيسى بن الشيخ ان يقيم الدعوة فيها للمعتمد - فوافق عيسى على ذلك ، واستلم كتاب الامان ، واقام الدعوة للمعتمد في أرمينية ، وكان اكبر ظنه ان الشام ستبقى بيده ، غير ان المعتمد أنفذ اماجور بجيش وقلده دمشق واعمالها ، فترك عيسى البلاد سنة ٢٥٧ هـ وسلم ما كان بيده الى اماجور التركي (٦٦) فكانت خدعة ذكية أبعدت عيسى عن مناطق نفوذه وأهله وعشيرته الذين كان يستمد منهم العون والنصرة في أعماله .

تولى عيسى بن الشيخ أمر ارمينية مكرها وجعل مركزه مدينة آمد ، وبقي موقفه سلبيا من السلطة ، وانتظر يتحين الفرص المواتية للانتقام لنفسه كلما لاحت في الافق علائم الفوضى والاضطراب تعم مركز الخلافة ، فعندما اختلف القادة الاتراك ، اسحاق بن كنداج مع أحمد بن موسى بن بغا بسبب تولية الاخير موسى بن اتامش منطقة ديار ربيعة ، فارق اسحاق معسكره واتجه الى مدينة بلد ، وواصل سيره الى الموصل وطلب من أهلها المال ، وكان عليها علي بن دواود الذي تهيأ لقتاله واجتمع معه حمدان بن حمدون ، واسحاق بن عمر بن أيوب حتى بلغت عدتهم خمسة عشر الفا وقامت الحرب فاتتصر ابن كنداج ، وهرب حمدان وعلي الى نيسابور ، وابن أيوب الى نصيبين ، فاتبعه اسحاق بن كنداج ، غير أن ابن أيوب ترك نصيبين واتجه نحو آمد مستجيرا بعيسى بن الشيخ ، فكانت الفرصة الذهبية التي طالما انتظرها عيسى بن الشيخ ، وتهيأ عيسى فعلا لخوض الحرب ضد القائد التركي اسحاق بن كنداج فطلب نجدة عسكرية من والي أرزن (٦٧) غير ان ابن كنداج قفل راجعا - لاستلامه كتاب من الخليفة فبه أمر تعيينه على الموصل وديار ربيعة وارمينية - تاركا على حصار عيسى بآمد جيشا اقلق عيسى بهجماته المتكررة ، وعندما أيقن عيسى أن الحصار قد طال ، ولم تصله امدادات من اية جهة من الجهات ، اضطر الى طلب الصلح كبقية الامراء على أن يقرهم ابن كنداج على اعمالهم مقابل مئتي الف دينار (٦٨) . فبقي عيسى بن الشيخ عاملا على بلاد ارمينية وديار بكر الى ان توفي سنة ٢٦٩ هـ (٦٩) .

أحمد بن عيسى بن الشيخ

هو أحمد بن عيسى بن الشيخ الشيباني ، الامير ، صاحب آمد وديار بكر ، وعلى الاغلب ان أحمد هذا ، هو ابن عيسى بن الشيخ المذكور آنفا ، لانه يحمل نفس النسب^(٧٠) وقد خلف والده على الارجح في ولاية تلك المناطق بعد وفاته سنة ٢٦٩ هـ .

أصبح لأحمد بن عيسى بن الشيخ نفوذا واسعا مكنه من الاستيلاء سنة ٢٧٩ هـ على قلعة ماردين وتغلب على صاحبها التركي محمد بن اسحاق بن كنداج^(٧١) وقبض على ما فيها من الاموال ، فتأثر الخليفة المعتضد لذلك ، ومما زاد سخط الخليفة هذا ، على بني شيان عامة ، ما قام به الاعراب منهم من خروج على السلطة واغلاق أمنها فصمم الخليفة المعتضد ان يضع حدا لهجوم القبائل الشيبانية وتمرداها على السلطة ، ولتوسع نفوذ الامراء الشيبانيين ، فسار الخليفة بنفسه سنة ٢٨٠ هـ بحملة قوية أوقعت ببني شيان مما يلي الجزيرة والزاب في الموضع المسمى بوادي الذئاب فقتل وأسر العدد الكبير منهم ، اما أحمد بن عيسى بن الشيخ فهرب من ماردين الى منطقته ، ولما رأى المعتضد ذلك بعث اليه بكتاب يطلب فيه الاموال التي استولى عليها من ابن كنداج اثناء استيلاءه على ماردين ، فأمثل أحمد بن عيسى لاوامر الخليفة وبعث بالاموال مع هدايا ودواب وبغال^(٧٢) .

بقيت علاقة أحمد بن عيسى بن الشيخ بالخلافة حسنة بعد أحداث هذه الحرب ، ويتبين ذلك من موقفه من الخوارج حين ظفر بزعيمهم محمد ابن عبادة الخارجي بعد حرب ، وأخذه أسيرا الى المعتضد الذي قيل انه « سلخ جلده كما يسلم الشاة »^(٧٣) .

محمد بن أحمد بن عيسى بن الشيخ

توفي أحمد بن عيسى بن الشيخ بآمد سنة ٢٨٥ هـ ، وبلغ الخليفة خبر وفاته وسيطرة ابنه محمد على منطقة آمد وما يليها ، فثارت ثأثرته لقوة نفوذ

هذه العائلة وتصرفها بأمر ولاية آمد دون علم وموافقة الخليفة ، فجهز جيشا قويا لتأديب هذا المتغلب ، صاحب معه ابنه علي الملقب بالمكتفي ، بعد ان عقد له على الجزيرة وقنسرين والعواصم .

سار جيش الخليفة المعتضد سنة ٢٨٦ هـ متخذا طريقه عبر مدينة الموصل ، وسمع محمد بحملة الخليفة هذه فتهيا لها متحديا سلطة الخليفة ، فتحصن في منطقته ، وأمر بسد أبواب المدينة ونصب المجانيق على سورها ، وعندما وصلت جيوش الخليفة حاصرت مدينة آمد ونصبت عليها المجانيق ثم اشتد القتال بين الطرفين وتراموا بالمجانيق ، ولما طال القتال دون نصر سريع رأى الخليفة ان يعامل محمدا بسياسة اللين والدبلوماسية فبعث اليه رسولا يقنعه بالنزول لاوامر الخليفة ويعطيه الامان لنفسه وأهله ، وسمعت (أم الشريف) وهي عمة محمد بن أحمد ، والتي ربما كانت بمقام امه - بكتاب المعتضد ، فاسرعت الى مقابلة الرسول وناقشت معه مسألة عصيان ابن أخيها الحدث الذي تأثر براء من حوله وانصت لاقوالهم وبعثت بكتاب الى محمد ضمنته نصيحته وموعظتها ورجته ان يحكم عقله في مثل هذه الامور ، غير ان محمدا انزعج من كتابها وطرحه ارضا معللا أن الامور لا يمكن ان تقاس براء النساء ولا بعقولهن يتم الملك ، وطلب من رسول الخليفة ان يرجع لخليفته ويبين موقف محمد منه ، وفعلا رجع الرسول الى الخليفة ومعه كتاب أم الشريف الموجه الى محمد ، وأخبره بسوقف محمد فاعجب الخليفة بكتابها ، ولكنه صمم على فتح مدينة آمد مهما كلفه ذلك ، فاشتدت الحرب وعظم القتال ، فياس محمد من مقاومة جيوش الخليفة فاستسلم وطلب الامان لنفسه وأهله ، فاستأمنه المعتضد (٧٤) .

وبعد أن فتح المعتضد آمد ، تذكر أم الشريف وكتابها ، فارسل اليها رسوله السابق لينفتش عنها ، فلما ابصرته أسفرت عن وجهها ، وانشدت شعرا عبرت فيه عن عزهم وشجاعتهم وغدر الزمان بهم بقولها :

رب الزمان وصرفه وعتوه كشف القناعا
وأذل بعد العز منا الصعب والبطل الشجاعا

ولقد نصحت فما أطعت ، وكم حرمت بان أطاعا
يا ليت شعري هل ترى يوما لفرقتنا اجتماعا
ثم بكت وضربت يدا بيد وهي تقول بانها كانت تعلم هذه النتيجة
المؤسفة ، ثم أخبرها الرسول ، بان الخليفة قد ارسله اليها فرجته أم الشريف
ان يحمل الى الخليفة هذه الايات الشعرية :

قل للخليفة والامام المرتضى	وابن الخلائق من قريش الأبطح
بك أصلح الله البلاد وأهلها	بعد الفساد وطالما لم تصلح
وتزحزت بك قبة العز التي	لولاك بعد الله لم تتزحزح
وأراك ربك ما تحب فلا ترى	ما لا يحب ، فجد بعفوك وأصفح
يا بهجة الدنيا وبدر ملوكها	هب ظالمي ومفسدي لمصلح

ومضى الرسول الى الخليفة وأخبره بحال أم الشريف ووضع بين يديه
ما قالته من الشعر فأعجب الخليفة بشعرها وأمر أن « يحمل اليها تخوت
من الثياب ، وجملة من المال والى ابن أخيها محمد بن أحمد مثل ذلك ،
وشفعها في كثير من اهلها ممن عظم جرمه وأستحق العقوبة عليه » (٧٥) .

ان أمر هذه الحرب وتناجها يلفت الانتباه ، فبعد أن يطلب الخليفة
من محمد التنازل وحسم الموقف دون حرب يرفض محمد ذلك باباء ،
وعندها يصمم الخليفة على فتح آمد ، ولكنه - أي الخليفة - يقبل في
آخر لحظة بينه وبين النصر وقتا قصيرا ، طلب الامان لمحمد . أن الامر
الذي نستنتجه من وقائع هذه الحرب ، هو أن الخليفة ما كان يريد أن تصل
الامور بينه وبين شيان القبيلة ذات العز والمكانة السامية والقوة ، وكثرة
انصارها وحلفائها ، الى القطيعة التامة فهم عرب وعلى أطراف بلاد الروم
والترك ، وبالتالي فهم سند الخلافة عند الملومات . وهكذا احتل الشيبانيون
كقبيلة كبيرة قوية مركزهم السياسي في اقليم الجزيرة في القرن الثالث
الهجري . وبسبب تلك المكانة المهمة للشيبانيين والتي قدرها المعتضد حق
قدرها من تجيش الجيوش الكبيرة والسير بنفسه اليهم ، انه بعد أن فتح

مدينة آمد كما مر معنا سابقا ، بعث بكتاب الى مدينة السلام ليقرأ من على منبر المسجد الجامع يبشر الناس بفتح المعتضد لمدينة آمد^(٧٦) وكأنه من أعظم الانتصارات العسكرية ، وفي الواقع لم يكن انتصارا بمغزاه الحربي وانما بمغزاه السياسي .

وبعد أن رجع المعتضد الى بغداد بلغته سنة ٢٨٧ هـ وشاية من أحد أقرباء محمد بن أحمد بن عيسى ، بأن محمد يعزم على الهرب في جماعة من أهله واصحابه . فأمر الخليفة بالقاء القبض عليه وعلى جماعة من أهله وحبسهم في دار ابن طاهر^(٧٧) .

الشيبيانيون الخوارج

ظهر من بني شيبان خوارج ، قادوا الحملات العسكرية ضد السلطة ، وأقلقوها لفترة طويلة من الزمن ، وكان أبرز هؤلاء في القرن الثاني الهجري ، الضحاك بن قيس الشيباني ، الذي خرج على الدولة الاموية سنة ١٢٧ هـ في منطقة اقليم الجزيرة واتسعت حركته ، فاستحوذ على الكوفة وحاصر واسط . شغل الخليفة بمحاربته أكثر من خمس سنين^(٧٨) ثم خرج الوليد ابن طريف الشيباني سنة ١٨٧ هـ على عهد الخليفة هارون الرشيد ، وكان الوليد قد اظهر من المقدرة الحربية والشجاعة مما أقلق الخليفة هارون الرشيد ، فبعث اليه بقائده يزيد بن مزيد الشيباني وهدده الخليفة بالموت ان لم يسرع في القضاء على حركته ، وفعلا استمات يزيد في الحرب حتى مكنته ذلك من القضاء على ثورة الوليد بن طريف وقتله^(٧٩) .

وحل القرن الثالث الهجري ، قرن الاضطراب السياسي والفوضى العسكرية ، فاشتدت وقوت حركات الخوارج ، الذين اتعبوا الدولة عسكريا وأرهقوها ماليا ، فظهر منهم محمد بن عمرو الشيباني في اقليم الجزيرة بديار ربيعة معلنا خروجه على السلطة سنة ٢٣١ هـ على عهد الخليفة الواثق ، غير ان حركته هذه أخفقت ، اذ سرعان ما القي القبض عليه ، وارسل اسيرا الى الخليفة الواثق الذي أودعه السجن وصلب بقية اتباعه عند خشبة بابك^(٨٠)

ويبدو أن محمد الخارجي كان قد فر من السجن أو خرج منه بشكل من الاشكال ، اذ اوردت المصادر انه خرج على السلطة في عهد الخليفة المنتصر سنة ٢٤٨ هـ بناحية الموصل ، واشتبك مع جيوش الخليفة بقيادة اسحاق ابن ثابت الفرغاني الذي تمكن من أسره أيضا (٨١) . ويظهر ان حركة محمد هذه لم تكن ذات أهمية عند الخليفة ، الذي لم يبادر الى ان يتخذ أشد الاجراءات في حق هذا الثائر ، القتل مثلا ، بل يدخله السجن ويقتل من وقف الى جانبه من أصحابه ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، ان تبلبل الوضع السياسي وتبدل الخلفاء بفترة قصيرة ، اتاحت لمحمد وامثاله ان يلعبوا دورهم فيهربوا من السجن أو يخرجوا منه خلال تلك الظروف الصعبة التي تمر بها الخلافة ، ليعزم على الثورة ثانية في خلافة الخليفة الجديد ، لذا نرى ان محمد بن عمرو يخرج على السلطة في خلافة المستعين سنة ٢٥٢ هـ بديار ربيعة غير انه قتل في هذه المرة (٨٢) .

وفي سنة ٢٥٢ هـ خرج مساور بن عبد الحميد الشاري من بني شيبان (٨٣) في منطقة البوازيج ، مغلنا تمرده على السلطة لسوء تصرف عمالها الاداريين ويرى ابن الاثير (٨٤) ان خروج مساور على السلطة كان بسبب سجن ابن مساور (حوثة) من قبل رئيس شرطة الموصل ، والاساءة اليه خلقيا مما أغاض مساور فاعلنها ثورة على السلطة ، وبايعه عدد كبير من أهله وأصحابه . ويبدو ان سبب اعتداء رئيس الشرطة على ابن مساور ، انما يمثل عملا يراد منه النكاية به وبأبيه الخارجي ، وربما فهم الخوارج من أهل وجماعة وأصحاب مساور هذا العمل انذارا وتهديدا سافرا لهم ، لذلك التفوا حول مساور بأعداد كبيرة ومن بينهم عرب وأكراد استطاع ان ينازل بهم جيوش الخلافة مرات عديدة (٨٥) .

أشدت أمر مساور الشاري سنة ٢٥٣ هـ (٨٦) فأهتم الخليفة المعز لذلك وأرسل اليه جيشا يقوده القائد التركي أساتكين ، وكان مساور قد اتجه باتباعه صوب طريق خراسان ، وهناك اشتبك مع جيوش الخليفة بحرب

أسفرت عن مقتل عدد كبير من جنود الخليفة ، بعدها اتجه مساور الى جهة حلوان ، فخرج اليه اهلها فقاتلهم . ويذكر انه قتل منهم ما يقارب الاربعمائة رجل ، ثم سار الى جلولا حيث قابلته جيوش الخليفة عندها ، وفي هذه المرة ايضا أحرز مساور نصرا كبيرا حيث استطاع ان يفتك بعدد كبير منهم ، وفر من نجا منهم ^(٨٧) وهكذا تعاضم شأن مساور وكثر اتباعه فاستولى على أعمال الموصل ^(٨٨) وقيل انه سار بعد ذلك من الموصل « حتى قرب من سر من رأى ونزل الحمديّة ثلاثة فراسخ من قصور الخليفة ودخل القصر وجلس على الفرش ودخل الحمام » ^(٨٩) .

لم يهدأ للخليفة بال ، بسبب انتصارات وتوسع نفوذ مساور البجلي ^(٩٠) فاوز سنة ٢٥٤ هـ الى والي الموصل الحسن بن أيوب بن أحمد العدوي بتجهيز جيشا قويا ضم اليه حمدان بن حمدون جد الامراء الحمدانيين ، لمقاتلة مساور الشاري فالتقوا به بالقرب من وادي الذئاب ، فأحرز الشاري النصر عليهم ^(٩١) .

كان لانتصارات مساور هذه الاثر الكبير في نفوس الناس ، حيث استطاع أن يسير الى الموصل ويدخلها سنة ٢٥٥ هـ دون مقاومة اهلها مما يؤكد ان اهل الموصل كانوا غير راغبين في واليهم الذي هرب وأستتر ، وترك مدينته طعمة لمساور ، اما مساور فلم يتعرض لاهل الموصل ، بل سار الى دار الوالي وأحرقها ، وفي يوم الجمعة دخل المسجد واعتلى المنبر وخطب بالناس قائلا « اللهم أصلحنا وأصلح ولاتنا » وقيل انه عندما كان يخطب جعل الى جانبه حرسا يحرسونه بالسيوف . وبعدها قرر مساور ان يترك الموصل ، تلك المدينة الكبيرة الكثيرة السكان ويتخذ من الحديشة دار هجرته ^(٩٢) .

بدأت حركة مساور المتعاضمة تعاني اختلافات بين صفوف زعمائها بسبب خلافات عقائدية ، وتحولت هذه الخلافات الى فرقة أستعدت بعضها البعض الآخر ، ونشب قتال فيما بينهم ، ومع ذلك ينجح مساور في تصفية

خصومه • وبلغ من سعة النفوذ بحيث انه منع وصول الاموال التي تمر بمناطق نفوذه الى دار الخلافة • ولم يكن أمام الخليفة المهتدي الذي شعر بتفاقم خطر مساور سوى اعلان حالة الحرب القصوى والتعبئة العامة للقادرين على حمل السلاح - النفير العام - وعقد الوية الجيش لقادة أنراك ، ولكن باءت جميع هذه الجهود بالفشل الذريع ، اذ قتل قادة الجيش راجعين الى سامراء اثر سماعهم أبناء الخلاف بين الاتراك والخليفة المهتدي الذي نجم عنه قتل المهتدي وتولية المعتمد خليفة للدولة العباسية^(٩٣) • ووجه الخليفة الجديد أول اهتمامه نحو حركة مساور ، فسير اليه جيشا كبيرا عقد لواءه لمفلح التركي ، وكانت بدايات اللقاء الحربي بينهما لصالح جيوش الخليفة وعندها اعتصم مساور بالجبل بالقرب من منطقته الحديثة ، وأستمر مفلح في حصاره ، ولكن مساور نجح في مناورة عسكرية أراد بها ايها مفلح بموقعه الحقيقي ، فسار مفلح صوب الموصل ظنا منه الالتقاء بمساور ، وبعد أن عبر مفلح الموصل وديار ربيعة ومنطقة سنجار ونصيبين ، عاد ثانية الى الحديثة بحثا عن مباور ، فظهر مساور وجنوده من خلفهم ودار قتال عنيف خسر فيه مفلح الكثير من جنوده مما أضطره الى الانسحاب الى سامراء ، فاستولى مساور على تلك المناطق وجبى خراجها^(٩٤) •

وفي سنة ٢٥٨ هـ ولي الخليفة المعتمد مسرور البلخي منطقة الجزيرة والموصل ، ودارت « بينه وبين مساور الشيباني حروب » كثيرة لم يستطع مسرور القضاء على حركة مساور هذه غير انه تمكن من تأسيس عدد من اصحاب مساور^(٩٥) •

صعب على الخليفة المعتمد ، أمر مساور الشاري ورأى في سنة ٢٥٩ هـ ان يولي منطقة الموصل الى اساتكين - من كبار القواد الاتراك - وبعث اساتكين هذا بابنه اذكوتكين واليا عليها ، ولكنه أساء التصرف في ادارتها ، ولم يحسن السيرة بين أهلها الذين ضجروا منه ، وخرجوا عليه وقاتلوه قتالا

شديدا حتى اجبروه على الخروج من بلدهم الى سامراء^(٩٦) . مهدت اضطرابات الموصل هذه السبيل امام حركة مساور ان تتسع ، ويزداد خطرهما على الدولة ، بحيث استطاع مساور في سنة ٢٦١ هـ من قتل يحيى بن حفص مسؤول منطقة خراسان ، وسار القائد مسرور البلخي بنفسه ليتبع اثر مساور غير انه لم يظفر به^(٩٧) .

يمكننا أن نعزي رجحان كفة مساور واتباعه في حروبهم مع جيوش الدولة العباسية الى أسباب منها أولا - ما كان للوضع السياسي والاقتصادي والاداري والعسكري الذي أحاط بالدولة العباسية ، من اثر في ذلك ، ثانيا اعتماد مساور لنظام الحرب التقليدية تارة ، والحيل العسكرية تارة اخرى ، كلما اقتضى الموقف العسكري لمعركة من المعارك ، فانسحابه من الجبل لايهام عدوه بتحركاته ، والتفافه عليه من الخلف ونجاحه لتسديد ضربة قوية لجيش مفلح ، خير مثل على ذلك ، ثم تتبع مسرور البلخي لمساور بعد قتله والي خراسان ، مثل آخر لاسلوب مساور في الحرب ، ثالثا ، كانت المنطقة التي تحرك في أطرافها مساور واستمد من أهلها العون والدعم في نشاطاته المختلفة ، شيبانية خارجية على الاغلب ، فان لم يكن أنصاره ومؤيدوه خوارج يدعمونه بسبب العقيدة ، فهم شيبانيون ينصرونه بسبب انتمائهم القبلي .

توفي مساور الخارجي سنة ٢٦٣ هـ عندما كان على رأس جيش لمقابلة جيوش الخليفة في منطقة البوازيج ، وولى أصحابه من بعده عليهم هارون ابن عبدالله البجلي^(٩٨) . الذي كان من اكبر اعوان مساور الشاري^(٩٩) .

شهد اقليم الجزيرة سنة ٢٧٢ هـ حدثا عزز من قوة هارون الشاري وزاد من ثبوته عندما أعلن حمدان بن حمدون خروجه عن طاعة الخليفة ، وانضمامه الى هارون الشاري ، ووجد هارون في نفسه القوة الكافية بعد تحالف حمدان معه فسارا سويا الى الموصل ودخلاها « وصلى الشاري بهم في مسجد الجامع »^(١٠٠) .

وتوطيدا لمواقع أقدامهم وسيطرتهم وتنفذهم في اقليم الجزيرة ، وقفوا بالمرصاد لأية جماعة يشم من تحركها رائحة التعاون مع السلطة ، حتى لو كانت هذه الجماعة من أقرب أقربائهم ، فقد صادف أن ولت السلطة العباسية رجلا من موالي الشيبانيين على مدينة الموصل ، ورفض سكان الموصل قبوله واليا عليهم فاستنجد الوالي ببني شيبان الذين تحركوا سنة ٢٧٩ هـ وعبروا الزاب لفرض سلطة والي المدينة على اهلها بالقوة ، عند ذلك شعر هارون بضرورة التحرك السريع خشية استفحال أمر هذه المجموعة من الشيبانيين الذين كانوا يعملهم هذا يؤيدون السلطة عن قصد أو دون قصد ، وخشية اشتغالهم من قبل السلطة في نجاحهم لتثبيت والي الموصل بتحويلهم صوب الخوارج أعداء الدولة الاقوياء ، فسار هارون وحمدان وأهل الموصل لقتال الاعراب من بني شيبان بالقرب من بعشيقا ، غير ان نتائج المعارك كانت للمصالح الاعراب (١٠١) .

تعرضت حركة هارون الشاري الى انقسامات بين صفوفها لبعض احين ، مما عطل نشاطات هارون الموجهة ضد السلطة العباسية ، فقد شق عليه عصا الطاعة محمد بن عبادة الذي يعرف بابي جوزة سنة ٢٨٠ هـ وكثر اتباعه فبنى له عند سنجار حصنا وضع فيه مائة وخمسون رجلا بقيادة ابنه - ابا هلال - مما أثار حفيظة الشاري فذهب الى بني تغلب وأستنصرهم ، فاجتمع بين يديه منهم عددا كبيرا سار بهم الى الحصن وحاصره ، ولعب بنو تغلب دورا فعالا في اقناع اتباع محمد داخل الحصن بالقاء اسلحتهم بعد أن أمنوهم عن طريق المكاتبه معهم ، وبذلك استطاع هارون أن يملك الحصن ويقيّد ابن محمد . ثم سار هارون بعد ذلك الى قبرائا (١٠٢) قاصدا محمد بن عبادة الذي قابله بجيش يقدر باربعة آلاف رجل ، وخسر هارون الجولة الاولى من الحرب أمامه ، ولكنه نجح أخيرا في تسديد ضربة لجيش محمد انهزم على اثرها محمد نفسه الى منطقة آمد فوقع بيد صاحبها أحمد بن عيسى بن الشيخ - بعد قتال - فارسله بدوره الى الخليفة المعتضد الذي

سلخ جلده^(١٠٣) وبذلك انفرد هارون برئاسة الخوارج وازداد نفوذه فسيطر على « القرى والرساتيق ، ثم جعل على دجلة من يأخذ الخاوة من الاموال الصادرة والواردة ، وبث نوابه في المناطق يأخذون الاعشار من الغلات »^(١٠٤) .

قرر المعتضد بعد ما صار اليه أمر الخوارج من الاتساع والقوة أن يضربهم ويضرب حمدان الذي انضوى تحت لواء هارون ، وفي المقابل اجتمع بنو تغلب لصد هجوم المعتضد ولكنهم غلبوا على أمرهم ، اذ استطاعت جيوش الخليفة من قتل واغراق أعداد كبيرة منهم في الزاب^(١٠٥) . بعدها واصل المعتضد سيره نحو الموصل في طريقه الى قلعة ماردين مقر حمدان ابن حمدون وعندما علم حمدان بقرب جيوش الخليفة من مقره ، فر من القلعة موليا عليها ابنه الحسين ليواجه جيوش الخليفة ، ولكن الاخير استسلم للخليفة بعد حصار قصير . وارسل المعتضد جيشا يقتضي أثر حمدان ، وكان حمدان قد لجأ الى أحد ولاة الخليفة في اقليم الجزيرة ، فاستأمنه هذا ثم ارسله الى الخليفة حيث القاه في السجن^(١٠٦) .

نجح المعتضد في تركيز الحرب ضد حمدان ثم سجنه ، من عزل هارون عن حليف قوى استندت اليه حركة الخوارج في اقليم الجزيرة . ورغبة منه في تعميق الخلاف بين تغلب وبين جماعة هارون ، أستعدى الحسين بن حمدان التغلبي على هارون ، ووافق في نفس الوقت المعتضد على شروط الحسين في حالة نجاحه ، باخراج والده حمدان من السجن .

سار الحسين الى هارون في ثلاثمائة فارس ومعه من قواد الاتراك وصيف بن موسكير ، وعندما قرب الحسين الى مخاضة في دجلة ، أوعز الى وصيف ومن معه ان يلزموا هذا الجانب ليسدوا الطريق على هارون في حالة هربه ، ويسير هو بالجيش لملاقاة هارون . وسار الحسين والتقى بهارون وجرت حرب بينهما انهزم فيها هارون وجاء المخاضة فغيرها دون مقاومة ثم اختفى ، ذلك لأن وصيف وجماعته كانوا قد فارقوا اماكنهم ، وظنوا ان

الحسين يريد أن يظفر بهارون دونهم ، فساروا في أثره . وعندما جاء الحسين منتبعا اثر هارون تألم كثيرا عندما أحس ان خطته قد فشلت وهرب هارون وافتقده ، عندما ذهب الى أحياء العرب هناك واستجوبهم فاخبروه بأنه اجتازهم ، فسار في أثره ولقيه بعد أيام مع عدد من أصحابه يقدرون بمائة رجل ، فالقى الحسين بنفسه على هارون وأخذه أسيرا الى المعتضد ، فاركبوه على فيل والبسوه لباس التشهير — دراعة ديباج وبرنس حرير طويل على رأسه — رغما عنه ، وقيل انه عندما صلب كان يردد بأعلى صوته : « لا حكم الا لله ولو كره المشركون » وخلع المعتضد الخلع والهدايا على الحسين كما ير بوعده فأمر « بحل قيود حمدان بن حمدون والتوسعة عليه والاحسان اليه ، ووعدده باطلاقه » (١٠٧) .

موقف اعراب بنى شيبان من السلطة

لم تنهأ الفرصة لجميع الشيبانيين بالاستقرار في مراكز المدن الرئيسية لاقليم الجزيرة ، بل بقيت بعض البطون والافخاذ تراوح بين الاستقرار والترحل وتسكن اطراف المدن . وكانت العلاقة بينهم وبين السلطة العباسية تتسم بطابع العداء في معظم الاحيان لسببين أحدهما ضعف السلطة المركزية الذي يشجع دائما القبائل البدوية ونصف البدوية على الغزو والاغارة ، والثاني ميلهم القبلي لبني جلدتهم الشيبانيون من سكان المدن الذين عرفنا مواقفهم المعادية للسلطة ايضا ، بسبب مذهبهم الخارجي أو اعتراضهم على سلوك وتصرف الخليفة ، يضاف الى ذلك سوء أحوالهم الاقتصادية ، واسقاط اسمائهم من ديوان الخراج — كما اسلفنا — شجعهم اكثر للخروج عن طاعة الخلافة . وكانت مراكز انتشار هذه القبائل اطراف الموصل خاصة شرقيها (١٠٨) . ومما يؤكد بقاء روح العصبية القبلية تفسير الخليفة المأمون لخروج القبائل ضده وخاصة قبيلة ربيعة — وشيبان منها — قوله : انها كانت « ساخطة على الله منذ بعث الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من مضر ، ولم يخرج اثنان الا خرج أحدهما شاريا » (١٠٩) .

وفي عهد الخليفة المأمون كتب واليه على الجزيرة عبدالله بن طاهر ، الى سائر المتغلبين في مناطق الجزيرة ، فاجابوه على الطاعة ، وطلبوا منه أن يرسل لهم الامانات فوافق على ذلك^(١١٠) غير أن حالة الهدوء هذه لم تدم طويلا ، اذ سرعان ما قطعت هذه القبائل - واغلبهم من بني نسيان - طريق خراسان واستولت على أموال كانت في طريقها الى دار الخلافة^(١١١) وربما دفعتها ظروفها الاقتصادية الى القيام بمثل هذا العمل ، اذ رافق هذا العام (٢٠٧ هـ) غلاء في العراق حتى « بلغ القفيز^(١١٢) من الحنطة بالهاروني اربعين درهما الى الخمسين بالقفيز الملجم »^(١١٣) . ولكن الخليفة المأمون لم يغفل عملهم هذا بل كتب الى السيد بن أنس والي الموصل بضربهم « حتى تستأصل شأفتهم وأسب ذريتهم » وفعلا خرج اليهم ابن أنس وكبسهم بالدسكرة^(١١٤) وواقع بهم شر وقعة فأسروا وقتل العد الكبير منهم ، واستولوا على أموالهم ، وحمل رؤوس قتلاهم في السفن الى المأمون^(١١٥) .

وفي سنة ٢٥١ هـ قيل ان الخليفة المعتز أرسل ما يقارب مائتين جندي بين فارس وراجل الى ناحية البندنجيين^(١١٦) يرأسهم رجل تركي يسمى أبلج ، فاتجهوا الى دار الحسن بن علي الشيباني ، فانتهبوها وأغاروا على قرينته وقرى أخرى قريبة منها فلما أطمأن هؤلاء بظفرهم ، استنجد الحسن بن علي قومه وأخواله الاكراد - لان أمه كانت كردية - فغاروا عليهم وقتلوا الكثير منهم ، من بينهم قائدهم أبلج وارسلوا برؤوس القتلى الى بغداد^(١١٧) .

كان بنو شيبان متهاون دوما للخروج على السلطة ، بحيث أخذوا يلبون دعوة أو نجدة كل من يستنجد بهم ، وفعلا حصل ذلك في سنة ٢٥٣ هـ عندما استجارت قبيلة عنزة ببني شيبان واعلنوها حربا على القائم بأمر الموصل سليمان بن عمران الازدي الذي اشترى ناحية من المرج فطلب منه رجل من عنزة الشفعة فلم يجبه سليمان مما دفع ذلك الرجل ان يحرض قومه عنزة عليه ، واستجارت هذه ببني شيبان ، فهاجموا القرى ونهبوا الاموال ، وخرج اليه سليمان بجموع من اهل الموصل ، ف وقعت بين الاثنين

حرب شديدة ظفر بها سليمان حتى قيل انه « أدخل من روؤسهم الى الموصل
أكثر من مائتي رأس » (١١٨) .

وعندما عين اسحاق بن كنداج واليا على الموصل سنة ٢٦٧ هـ أشتبك
بحرب مع عيسى بن الشيخ الشيباني وحمدان بن حمدون ومن دخل الى
جانبهم من قبائل ربيعة وبكر وتغلب ، ولكن ابن كنداج استطاع ان يهزمهم
الى نصيبين ثم الى آمد وهناك حاصر عيسى بن الشيخ هناك (١١٩) .

بقيت القبائل الشيبانية تترقب الظروف السياسية ، وتتحين الفرص
لاعلان سخطها على السلطة ، وعندما خلع الطاعة حمدان بن حمدون سنة
٢٧٢ هـ وانضم الى هارون الخارجي ، مما أدى الى اضطراب الخليفة وتهيأه
لحربهم . استغل بنو شيان ذلك الوضع ، وهاجموا نواحي المدن فسلبوا
ونهبوا ثم ساروا الى الموصل وعبروا الجانب الشرقي من دجلة ، وباءت
محاولات هارون وحمدان للتصدي لهم بالفشل كما اسلفنا الكلام عن
ذلك (١٢٠) .

وفي سنة ٢٧٩ هـ وقف بنو شيان الى جانب ولاتهم الشيبانيين ،
فعندما عين هارون بن سيما مولى أحمد بن عيسى بن الشيخ واليا على
الموصل ، رفضوه اهلها ، فخرج بنو شيان وعبروا الزاب بخيهم واثقالهم ،
فتصدت لهم القوى المسيطرة على الجزيرة انذاك - هارون وحمدان -
وبمساعدة أهل الموصل ، اشتبكوا مع بني شيان بحرب انهزم فيها الشيبانيون
في بداية الامر ونهبت أموالهم . فهربوا الى الزاب ، وبعد أن صعب عليهم
عبور الزاب ، ووجدوا خصومهم منشغلين في السلب والنهب ، أعادوا الكر
عليهم فقتلوا منهم الكثير ، وضربت الفوضى اثر هذه المعارك ، أطنابها في
مدينة الموصل ، فذهب وفد من اهلها الى بغداد يطلبون تعيين واليا عليهم ،
وفي الطريق كانوا قد التقوا بمحمد بن يحيى المجروح الذي كان قد استلم
أمر ولاية الموصل (١٢١) .

اضطرب المعتضد لوضع بني شيان وكثرة غاراتهم هذه ، فصمم وضع
حد لها بحملة قادها بنفسه سنة ٢٨٠ هـ متوجها صوب أماكن سكناهم ،

ولما سمع بنو شيبان بحملة المعتضد هذه تهيأوا لقتاله ، وسار المعتضد ، وقصد بعض الاعراب منهم عند السن ونهب الجند أموالهم وقتلوا الكثير منهم ، وغنموا منهم غنائم كثيرة حتى قيل : « عجز الناس عن حمل ما غنموه فبيعت الشاة بدرهم والبعير بخمسة دراهم » وأمر بالنساء والذراري ان يحفظوا حتى يأخذهم الى بغداد ، وبعدها سار الى الموصل ، وعند رجوعه منها ، خرج اليه بنو شيبان يسألونه الصفح عنهم ، وبذلوا له الرهائن ، فأخذ منهم خمسمائة رجل رهينة (١٢٢) .

لم تعط حملة المعتضد الائمة الذكر لبني شيبان درسا ، بل استمروا على تحديهم للسلطة ، فاغاروا سنة ٢٨٦ هـ على القرى في منطقة الانبار وقتلوا وأخذوا المواشي ، ولم يستطع مسؤول هذه المنطقة أن يردهم فكتب الى المعتضد يسأله العون ، فأمدته الخليفة بجيش اشتبك مع الاعراب بمعركة اندحر فيها ، وتآلم الخليفة لهزيمة جيشه هذه ، فارسل جيشا آخر ، غير أن الاعراب تحولوا الى منطقة عين التمر فافسدوا وعاثوا هناك ، فوجه اليهم المعتضد جيشا ثالثا الى عين التمر ، غير أن الاعراب لزموا طريق البادية متجهين الى نواحي الشام ، وهكذا عاد جيش الخليفة الى بغداد بعد ان اخفق في ملاقاته هذه القبائل وتأديبها (١٢٣) .

وعلى الرغم من أن موقف قبيلة بني شيبان من السلطة خلال القرن الثالث الهجري يتسم بالعداء والاقتتال ، لكننا عثرنا في أخبار هذه القرن تعاوننا بين الشيبانيين والخلافة ، ففي سنة ٢٩٠ هـ ثار القرمطة ببلاد الشام وحاصروا عاملها وقتلوا الكثير من اهلها ، فسار اليهم المكتفي بجيش أسهم فيه بنو شيبان ، ونجح هذا الجيش من تفريق القرمطة ، والقاء القبض على بعض زعمائهم (١٢٤) .

كما شارك بنو شيبان ثانية مع جنود الخليفة في حرب القرامطة الذين كانوا تحت قيادة ذكرويه القرمطي ، وهزم القرامطة في المعارك التي دارت في منطقة بين الكوفة والبصرة ، حيث أصيب قائدهم بجروح لم تمهله

الوصول الى بغداد أسيراً (١٢٥) . وربما يرجع سبب هذا الموقف الى سلوك الخليفة المكتفي بالذات مع الشيبانيين ، أو بسبب الخلاف المذهبي بينهم وبين القرامطة .

وهكذا نأتي على نهاية القرن الثالث الهجري ودور الشيبانيين ولاية وزعماء وقادة وقبائل وخوارج فيه .

الهوامش

- (١) ابن تفر بردي - النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة ٢٢٣/٢ ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، المؤسسة المصرية .
- (٢) فلهاوزن - الدولة العربية وسقوطها ص ١٨٧ ، نقله الى العربية الدكتور يوسف العش دمشق ١٣٧٦ هـ ، ١٩٥٦ م .
- (٣) ابن دريد - الاشتقاق ص ١٢ وقد جاء فيه ان العرب سمت شيبان وهو فعلان من الشيب . تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ، مطبعة السنة النبوية . مؤسسة الخانجي بمصر ١٣٧٨ ، ١٩٥٨ ، ياقوت - معجم البلدان ٣/٣٤٥ ليزك ١٨٦٨ يذكر فيه عن ابن جني : انه يحتمل ان يكون من شارب يشوب ويكون اصله على هذا شيوبان ، فلما اجتمعت الواو والياء على هذه الصورة قلبت الواو ياء وادغمت فيها فصار شيبان ومثله في كلام العرب ريحان وريدان ، والشيباني ، اما ان يكون منسوب الى القبيلة ، او منسوب الى جده الاعلى وليس من القبيلة ، واما منتسب اليها . انظر ابن القيسراني - محمد بن طاهر - الانساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط ص ٨٤ . بريل ١٨٦٥ .
- (٤) ابن منظور - لسان العرب ١/٥١٤ مادة شيب ، دار صادر ١٣٧٤ هـ ، ١٩٥٥ م ، انظر شجرة نسب شيبان في كتاب يزيد بن مزيد - عبد الجبار الجومرد ص ٢٥ ، ٢٦ ، الطبعة الاولى ، دار الطليعة بيروت ١٩٦١ م .

- (٥) ابن حزم - جمهرة انساب العرب ص ٣٠٢ ، نشر وتحقيق ا. ليفي بروقنل ، دار المعارف مصر ١٣٦٨ هـ ١٩٤٨ م ، القلقشندي - صبح الاعشى في صناعة الانشا ٣٣٨/١ نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية - المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة والنشر ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ٣٦١/٣ الطبعة الثانية مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م شرح وتصحيح أحمد أمين وآخرون .
- (٦) الزركلي - الاعلام ٩٠/٨ الطبعة الثانية ، مطبعة كوستا توماس وشركاه ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م .
- (٧) ابن حزم - ص ٣٠٢ - ٣٠٧ ، القلقشندي - نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ص ٣٠٩ تحقيق ابراهيم الابياري ، الطبعة الاولى - القاهرة ١٩٥٩ ، النويري - نهاية الأرب في معرفة فنون العرب ٣٣٢/٢ مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ ، ابن عبد ربه ٣٦١/٣ .
- (٨) ابن حوقل - صورة الارض ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ ليدن ١٩٢٨ ، ابو الفدا - تقويم البلدان ص ٢٧٣ ، اعتنى بتصحيحه رينورد وماك كولن ، دار الطباعة السلطانية باريس ١٨٤٠ ، القلقشندي - صبح الاعشى ٣١٤/٤ .
- (٩) ابو الفدا - ص ٢١٣ ، القلقشندي - صبح الاعشى ٣١٥/٤ .
- (١٠) ياقوت ٦٢٧/٢ ، طهران ١٩٦٥ ، فيصل السامر - الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ١٣٩/١ مطبعة الايمان بغداد ١٩٧٠ وتجد فيه وصفا وافيا لجغرافية اقليم الجزيرة انظر من ص ١٢٣ - ١٦٤ .
- (١١) مدينة على شاطئ الفسرات الغربي في طرف بلاد الروم . ياقوت ١٥١/٣ - ١٥٢ .
- (١٢) السامر ١٣٤/١ .
- (١٣) من مناطق ديار بكر ، غربي دجلة ، عليها سور حصين جدا مبنى من الحجارة السود ، وارضها كثيرة الخصب . ابو الفدا - تقويم البلدان ص ٢٨٧ .
- (١٤) ياقوت ٦٣٧/٢ .
- (١٥) القلقشندي - صبح الاعشى ٣١٥/٤ .
- (١٦) السامر ١٦٨/١ - ١٦٩ .
- (١٧) المصدر السابق ١٦٨/١ - ١٦٩ .
- (١٨) المصدر السابق ١٦٩/١ - ١٧٠ .
- (١٩) المصدر السابق ١٧٢/١ - ١٧٣ ، ١٦٥/١ .

- (٢٠) صورة الارض ص ٢٢٨ ، ليدن ١٩٢٨ .
- (٢١) بلدة بالقرب من تكريت على فم الزاب الاسفل عندما يصب في دجلة .
ياقوت ٧٥٠/١ .
- (٢٢) صفة جزيرة العرب ص ١٣٣ ، تحقيق النجدي مطبعة السعادة مصر
١٩٥٣ م .
- (٢٣) تاريخ الموصل ٧٣/١ المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م .
- (٢٤) الطبري - تاريخ الرسل والملوك ٣٧/١ تحقيق محمد ابو الفضل دار
المعارف - مصر .
- (٢٥) السامر ١٨١/١ - ١٨٦ .
- (٢٦) المصدر السابق ١٨٧/١ - ١٩١ .
- (٢٧) الجومرد ، ص ٢٩ .
- (٢٨) حدثت هذه الحرب بين بكر وتغلب وسببها ان امرأة من بني شيبان تدعى
البسوس جاءت لزيارة ابن اختها جساس بن مرة الشيباني ، وتركت
ناقتها طليقة في مرعاها ، فدخلت الناقة حمى كليب التغلبي الذي حرمه
على غير ابله ، ورماها كليب بسهم خرم ضرعها ، فاعتبرتها البسوس
اهانة ، فحرضت قومها على كليب ، وخرج اليه جساس وقتله بعد
عتاب . انظر ايام العرب ص ١٠٩ - ١١٢ ، ١٤٢ - ١٤٤ تأليف محمد
احمد جاد المولى ، علي محمد البجاوي ، محمود ابو الفضل ، الطبعة
الاولى ١٣٦١هـ ، ١٩٤٢م ، مطبعة عيسى الحلبي - مصر .
- (٢٩) ايام العرب ص ٤٦ .
- (٣٠) الطبري ٢٠٥/٢ ، ايام العرب ص ٢٣ - ٢٤ .
- (٣١) ايام العرب ص ٢٧ - ٣٢ .
- (٣٢) الطبري ٤٥٦/٣ - ٤٥٧ .
- (٣٣) الجومرد ص ٦٣ - ٦٤ .
- (٣٤) المسعودي - مروج الذهب ومعادن الجوهر ٢٨٦/٣ ، دار الاندلس
للطباعة والنشر - بيروت .
- (٣٥) الطبري ٤٥٣/٧ ، ٥٠٥ ، ٥٠٧ ، ابن الاثير - الكامل في التاريخ
٥٠٢/٥ - ٥٠٤ دار صادر بيروت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .
- (٣٦) ابن الاثير ٦٠٦/٥ .
- (٣٧) الطبري ١٢٤/٨ ، ١٥٢ .
- (٣٨) المصدر السابق ٢٦١/٨ ، الازدي - تاريخ الموصل ص ٢٩٧ ، تحقيق
علي حبيبة القاهرة ١٣٨٧هـ ، ١٩٦٧م .
- (٣٩) الطبري ٢٧٠/٨ ، ابن الاثير ١٦٦/٦ .

- (٤٠) بلد في أقصى أذربيجان ، ومعناه بالفارسية موضع السبي ، ياقوت
٥٥٨/١ .
- (٤١) الطبري ٢٧٣/٨ .
- (٤٢) ابن حزم ص ٣٠٧ ، الزركلي ٢٤٤/٩ .
- (٤٣) ابن حزم ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .
- (٤٤) الجاحظ - البيان والتبيين ٣٤٢/١ ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الخانجي ،
القاهرة ١٣٨٨هـ ، ١٩٦٨م .
- (٤٥) اليعقوبي - تاريخ ٥٥٥/٢ - ٥٥٦ ، بريل ١٨٨٣ .
- (٤٦) الأزدي ص ٣٢٣ ، الزركلي ٣٤٣/٢ ، الجومرد ص ٢٧٣ ، وقد جاء
عند الأزدي ص ٣١٠ أن سبب زيادة المأمون ديار ربعة لولاية خالد
ذلك أن خالد عندما بلغ الموصل وأراد الدخول مع جيشه من بابها
نشب اللواء بسقف الباب فاندق ، فتشائم خالد من ذلك ، غير أن
الشاعر أبي الشيص محمد بن رزيق الذي كان معه ارتجل له شعرا
قال فيه :
- ما كان مندق اللواء لطيرة تخشى ولا أمر يكون مؤيلا
لكن هذا الرمح اضعف ركنه صغر الولاية فاستقل الموصل
- ففرح خالد بقوله واستبشر ، وقيل أن الخليفة المأمون سمع بذلك
فكتب إلى خالد : لقد استقل رمحك الموصل فزدنا في ولايتك ديار
ربعة كلها .
- (٤٧) اليعقوبي ٥٦٥/٢ - ٥٦٦ .
- (٤٨) الطبري ٦٠٣/٨ .
- (٤٩) الجومرد ص ٢٧٢ .
- (٥٠) ديوان أبي تمام ٧/١ هامش رقم (١) شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق
محمد عبد عزام دار المعارف مصر ١٩٦٥م .
- (٥١) جاء في ياقوت ٥٤٨/٢ - ٥٤٩ أن دبيل مدينة بارمينية ، ودبيل موضع
يتأخم اعراض اليمامة .
- (٥٢) اليعقوبي ٥٨٧/٢ - ٥٨٨ ، الزركلي ٣٤٣/٢ .
- (٥٣) روي أن الشاعر أبا تمام قصد خالد وهو بارمينية فامتدحه بقصيدة ،
أجزأه خالد عليها بعشرة آلاف درهم ونفقة لسفره ، ومضت أيام وظن
خالد أن الشاعر قد رحل إلى أهله ، وصادف أن خرج خالد يتصيد
فراى أبا تمام تحت شجرة وبين يديه زكرة فيها شراب و غلام يفنيه
فسأله خالد ما الذي فعله بالمال) فاجابه الشاعر :
- علمني جودك السماح فما أبقيت شيئا لدي من صلتك
ما مر شهر حتى سمحت به كأن لي قدرة كمقدرتك

تنفق في اليوم بالهبات وفي الساعة ما تجنيه في سنتك
 فلست ادري من أين تنفق لو لا أن ربي يمد في هبتك
 وقيل أن خالد عندما سمع قصيدة أبي تمام هذه أمر له بعشرة آلاف
 أخرى . انظر : الاصفهاني - الاغانى ٣١٠/١٦ تحقيق عبدالستار
 أحمد فراج - دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٥ م ، الصولي - اخبار أبي
 تمام ص ١٥٨ تحقيق خليل محمود وغيره قدم له أحمد أمين ، بيروت ،
 المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر . وعند وفاة خالد بن يزيد ،
 رثاه أبو تمام بقصيدة منها :
 ومنها :

الله أنى خالد بعد خالد وناس سراج المجد نجم المحامد ؟
 ومنها :

أشيبان عمت نارها من مصيبة فما اشتكى وجد الى غير واجد
 إذا شب نارا أقعدت كل قائم وقام لها من خوفه كل قاعد
 انظر ديوان أبي تمام - ٦٥/٤ - ٧٣ .

- (٥٤) الطبري ٣٠٣/٩ .
 (٥٥) ابن الاثير ١٧٦/٧ .
 (٥٦) نائر كان في حبس اسحاق بن ابراهيم ، شفع له بغا الشراي ، واخذ
 منه نحو ثلاثين كفيلا منهم محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ،
 وكان يتردد بسامراء ، ثم هرب الى مرند ، واجتمع اليه من رغب
 الفتنة من مناطق متعددة ، انظر الطبري ١٦٥/٩ .
 (٥٧) الطبري ١٦٥/٩ ، ابن الاثير ٤٢/٧ .
 (٥٨) المصدر السابق ٣٠٨/٩ ، المصدر السابق ١٦٣/٧ .
 (٥٩) الطبري ٣٧٢/٩ ، ابن الاثير ١٧٦/٧ ، الزرمكي ٢٨٨/٥ .
 (٦٠) اليعقوبي ٦١١/٢ - ٦١٢ .
 (٦١) المصدر السابق ٦١٣/٢ - ٦١٤ .
 (٦٢) الطبري ٤٧٤/٩ - ٤٧٥ ، ابن الاثير ٢٣٨/٧ ، الكندي - الولاة وكتاب
 القضاء ص ٢١٤ مطبعة الاباء اليسوعيين - بيروت ١٩٠٨ ، ابن
 تغر بردى - النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة ٧/٣ وزارة
 الثقافة والارشاد القومي المؤسسة المصرية ، انظر ايضا زامباور معجم
 الاسرات الحاكمة ، مطبعة فؤاد الاول ١٩٥١ ج ١ ص ٤٣ وقد التبس
 عليه الامر فخلط بين شخصيتين الاولى عيسى بن الشيخ الشيباني ،
 والثانية النوشري بن طاجيل ، وذكر ان والي دمشق منذ زمن المنتصر
 سنة ٢٤٧هـ هو « عيسى بن محمد بن السليل النوشري المعروف بابن

الشيخ وقد استردها منه اماجور سنة ٢٥٦ هـ الذي انتصر على منصور ابن عيسى بن محمد النوشري « وهذا التباس واضح فالنوشري بن طاجيل تركي الاصل وهو والي دمشق من قبل الخليفة فعندما استولى عليها عيسى بن الشيخ الذي يرجع نسبه الى جساس بن مرة بن ذهل ابن شيبان ، سنة ٢٥٦ هـ زحف اليه النوشري ، كما زحف عيسى بن الشيخ لمقابلته ، والتقى الاثنان في منطقة الاردن ، ووقعت حرب بينهما قتل فيها ابن النوشري ، وخاض عيسى بن الشيخ حربا اخرى مع جيش بقيادة اماجور التركي الذي جاء ليسترد دمشق منه سنة ٢٥٦ هـ قتل في هذه الحرب منصور بن عيسى بن الشيخ وخليفته ظفر بن اليمان . انظر اليعقوبي ٦١١/٢ . وهناك فرق كبير بين الشخصيتين السابقتين انظر الفهرس للطبري وابن الاثير تحت اسم عيسى بن الشيخ والنوشري وكذلك الاعلام - للزركلي ٢٨٨/٥ ترجمة عيسى بن الشيخ وكذلك ٢٩٢/٥ ترجمة النوشري .

(٦٣) ابن الاثير ٢٣٨/٧ ، الكندي ص ٢١٤ ذكر فيه ان الاموال كانت « سبع مائة الف دينار وخمسين الف » .

(٦٤) اليعقوبي ٦١٨/٢ ، ابن الاثير ٢٣٨/٧ ، الكندي ص ٢١٤ ، ابن تفربردي ٧/٣ .

(٦٥) اليعقوبي ٦١٨/٢ - ٦٢٠ ، الكندي ص ٢١٤ .

(٦٦) المصدر السابق ٦١٢/٢ ، الطبري ٤٧٥/٩ ، ابن الاثير ٢٣٨/٧ ، ابن خلدون - العبر ٣٢٩/٣ مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - بيروت لبنان ١٣٩١ هـ ، ١٩٧١ م .

(٦٧) وهي مدينة مشهورة من نواحي ارمينية ، وقيل انها من اطراف ديار بكر ، وعددها بعضهم من نواحي الجزيرة . ياقوت ٢٠٥/١ - ٢٠٦ .

(٦٨) الطبري ٥٥٣/٩ ، ابن الاثير ٣٣٣/٧ - ٣٣٤ ، ابن خلدون ٣٢٩/٣ .

(٦٩) الطبري ٦٢٧/٩ ، ابن الاثير ٣٥٧/٧ ، اما ابن خلدون ٣٤٤/٣ يذكر ان تاريخ وفاته كانت سنة ٢٦٨ هـ ، وابن تفربردي في النجوم ٤٦/٣ ان وفاته كانت سنة ٢٧٠ هـ .

(٧٠) يذكر ابن الاثير ١٧٦/٧ نسب عيسى بن الشيخ بن السليل من ولد جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان ، وابن حزم في جمهرة الانساب ص ٣٠٦ يذكر نسب احمد بن عيسى فيقول : (... وهؤلاء بنو جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، من ولد جساس بن مرة : شهاب ولاي ... منهم القائم بأمر احمد بن عيسى بن الشيخ) وان كلامه (القائم بأمر احمد بن عيسى بن الشيخ) غير واضح ومن المؤكد ان كلمة (آمد) قد سقطت ، فهو اراد ان يقول : (القائم بأمر

آمد) أحمد بن عيسى بن الشيخ ، اذ ان كافة المصادر تعرف أحمد
ابن عيسى بن الشيخ بأنه صاحب آمد ، انظر الطبري ٦٨/١٠ ، ابن
كثير ، البداية والنهاية ٧٨/١١ الطبعة الاولى مكتبة المعارف بيروت
١٩٦٦ ، ابن تفر بردي ١١٦/٣ ، الزركلي ١٨٢/١ .

(٧١) الطبري ٣١/١٠ ، ابن الاثير ٤٦٠/٧ ، يذكر تحسين في كتابه (المعتضد
بالله) اطروحة غير مطبوعة ص ٦٦ ان المعتضد عندما تولى الخلافة
سنة ٢٧٩ هـ كانت تواجهه مشاكل عدة في الجزيرة منها تمرد عيسى
ابن الشيخ وانه اراد بذلك القول أحمد بن عيسى بن الشيخ ، لان
عيسى بن الشيخ كان قد توفي سنة ٢٦٩ هـ ، انظر الطبري ٥٥٣/٩ ،
ابن الاثير ٣٣٣/٧ - ٣٣٤ .

(٧٢) الطبري ٣٢/١٠ - ٣٣ ، المسعودي ١٥٥/٤ ، ابن الاثير ٤٦٢/٧ ، ابن
الجوزي - المنتظم ١٤٢/٥ ، الطبعة الاولى ، حيدر آباد ١٣٥٧ هـ ،
ابن خلدون ٣٤٧/٣ .

(٧٣) ابن الاثير ٤٦٢/٧ - ٤٦٤ .

(٧٤) الطبري ٧٠/١٠ ، المسعودي - مروج ١٥٢/٤ - ١٥٤ ، ابن الاثير
٤٩١/٧ ، ابن كثير ٧٨/١١ ، ابن خلدون ٣٤٩/٣ .

(٧٥) المسعودي ١٥٢/٤ - ١٥٤ .

(٧٦) الطبري ٧٠/١٠ .

(٧٧) المصدر السابق ٧٤/١٠ .

(٧٨) الطبري ، انظر ٣١٦/٧ - ٣١٨ ، ٣٢٠ - ٣٢٣ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ،
٣٤٤ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

(٧٩) الطبري ٢٥٦/٨ ، ٢٦١ .

(٨٠) اليعقوبي ٥٨٩/٢ وقد ذكر ان محمد بن عمرو كان قد خرج في ثلثمائة
او اربعمائة رجل من الخوارج بينما يذكر الطبري ١٤٠/٩ انه خرج
في ثلاثة عشر رجلا .

(٨١) الطبري ٢٥٥/٩ ، ابن الاثير ١٢٠/٧ .

(٨٢) المصدر السابق ٣٧٢/٩ ، المصدر السابق ١٧٦/٧ .

(٨٣) اليعقوبي ٦١٤/٢ ، ابن خلدون ٣٤٠/٣ ، ٢٩٣ .

(٨٤) ابن الاثير ١٧٤/٧ .

(٨٥) السامر ٦٨/١ .

(٨٦) المسعودي - مروج ٩١/٤ .

(٨٧) الطبري ٣٧٤/٩ - ٣٧٨ ، ابن الاثير ١٧٩/٧ .

(٨٨) ابن خلدون ٢٩٢/٣ ، الصائغ ٧٩/١ .

- (٨٩) . يعقوبي ٦١٤/٢ .
- (٩٠) يلقب بالبجلي ايضا ، وربما انه كان يرجع في النسب الى بني بجيلة الذين سموا باسم امهم بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ، ويقال انهم من القبائل العدنانية لأن نزار بن معد بن عدنان ولد له : مضر وربيعه وايباد وانمار ، وولد لأنمار ولد : بجيلة وخثعم ، وذكرت المصادر ، ان قبيلة بجيلة هذه وقع لها حرب شديدة مع كلب بن وبرة في مكان يعرف بالفجار ، فافتقرت بجيلة منذ ذلك الوقت في احياء العرب . انظر ابن حزم ، جمهرة الانساب ص ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، القلقشندي - نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ص ١٧١ ، ١٧٢ تحقيق الابياري الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٥٩ م ، وربما بسبب تفرق بجيلة هذا انتسب مساور وغيره من البجليين الى قبيلة شيبان .
- (٩١) ابن الاثير ١٨٨/٧ ، ابن خلدون ٢٩٢/٣ .
- (٩٢) ابن الاثير ٢٠٥/٧ ، ابن خلدون ٢٩٢/٣ ، الصائغ ٨٠/١ ، زامبور ٥٧/١ .
- (٩٣) الطبري ٤٥٢/٩ ، ٤٥٦ ، المسعودي - التنبيه والاشراف ص ٣١٧ تصحيح الصاوي القاهرة ١٣٥٧ هـ ، ١٩٣٨ م ، ابن خلدون ٢٩٢/٣ ، ٣٣٩ ، الصائغ ٨٠/١ .
- (٩٤) الطبري ٤٧٤/٩ ، ابن خلدون ٣٩٣/٣ ، الصائغ ٨٠/١ .
- (٩٥) الطبري ٥٠١/٩ ، ابن خلدون ٣٤٠/٣ ، ٢٩٣ .
- (٩٦) الصائغ ٨١/١ .
- (٩٧) الطبري ٥١٢/٩ .
- (٩٨) اشرنا في هامش رقم ٩٠ الى نسب مساور البجلي ، والذي نعرفه شيبانيا في مصادر أخرى ، ومن المحتمل ان يكون هارون البجلي شيباني ايضا ، ونستند في ذلك على دلالة نسب مساور البجلي والشيباني أولا ، ثم لقبول جماعة مساور من الشيبانيين بزعامة هارون بعد وفاة رئيسهم مساور ثانيا .
- (٩٩) ابن كثير ٣٦/١١ ، ابن خلدون ٣٤١/٣ .
- (١٠٠) الطبري ٩/١٠ ، ابن كثير ٥٠/١١ ، الصائغ ٨٤/١ .
- (١٠١) الصائغ ٨٦/١ .
- (١٠٢) قرية بنواحي بقعاء الموصل . ياقوت ٢٧/٤ .
- (١٠٣) ابن خلدون ٣٤٧/٣ ، الصائغ ٨٤/١ ، السامر ٧٦/١ - ٧٧ .
- (١٠٤) الصائغ ٨٤/١ .
- (١٠٥) ابن خلدون ٣٤٧/٣ .

- (١٠٦) الصائغ ٩٤/١
- (١٠٧) الطبري ٤٣/١٠ ، ٤٤ ، ابن الاثير ٣٧٦/٧ - ٤٧٧ ، ابن الجوزي - المنتظم ١٦١/٥ ، ابن خلدون ٣٤٨/٣ ، الصائغ ٩٤/١ .
- (١٠٨) الصائغ ٨٤/١ .
- (١٠٩) اليعقوبي ٥٥٥/٢ .
- (١١٠) اليعقوبي ٥٥٥/٢ .
- (١١١) الازدي ص ٣٦٤ .
- (١١٢) القفيز - مكيال ، وهو ثمانية مكاليك (مكوك) عند اهل العراق ، وهو من الارض قدر مائة واربع واربعون ذراعا ، لسان العرب ٣٩٥/٥ دار صادر بيروت ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م ، المنجد مادة قفز ، المطبعة الكاثوليكية - بيروت ، الطبعة الخامسة .
- (١١٣) الطبري ٥٩٦/٨ ، ابن الاثير ٣٧٤/٦ .
- (١١٤) الدسكرة في اللغة - الارض المستوية ، وهي قرية بنواحي نهر الملك غربي بغداد ، وقيل ان الدسكرة قرية بنواحي خراسان . ياقوت ٥٧٥/٢ .
- (١١٥) ابن الاثير ٣٨٥/٦ ، الازدي ص ٣٦٤ ، ابن خلدون ٢٥٤/٣ ، الصائغ ٧٧/١ .
- (١١٦) قرية مشهورة في العراق في طرف النهروان من ناحية الجبل ، وقيل ان البندنجين اسم يطلق على عدة محال متفرقة غير متصلة البنيان ، اكبرها باقطنايا بها سوق ودار أمارة ومنزل القاضي - ياقوت ٧٤٥/١ .
- (١١٧) الطبري ٣١٧/٩ .
- (١١٨) ابن الاثير ١٨١/٧ .
- (١١٩) الطبري ٥٨٧/٩ ، ابن الاثير ٣٦٢/٧ .
- (١٢٠) ابن كثير ٥٠/١١ ، ابن خلدون ٣٤٤/٣ .
- (١٢١) ابن الاثير ٢٧٩/٧ ، ابن خلدون ٣٣٧/٣ ، الصائغ ٨٦/١ - ٨٧ .
- (١٢٢) الطبري ٣٢/١٠ - ٣٣ ، المسعودي - مروج ١٥٥/٤ ، ابن الجوزي ١٤٢/٥ ، ابن الاثير ٤٦٢/٧ ، ابن خلدون ٣٤٧/٣ .
- (١٢٣) ابن الاثير ٤٩٥/٧ .
- (١٢٤) ابن خلدون ٣٥٥/٣ .
- (١٢٥) المسعودي - التنبيه والاشراف ص ٣٢٦ .

مصادر ومراجع البحث

- (١) ابن الاثير - علي بن ابي الكرم محمد (ت ٦٣٠ هـ)
(الكامل في التاريخ) دار صادر ، بيروت ١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٥ م
- (٢) ابن تفر بردي - ابو المحاسن يوسف
(النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة) وزارة الثقافة
والارشاد القومي ، المؤسسة المصرية .
- (٣) ابن الجوزي - (ابو الفرج عبدالرحمن بن علي)
(المنتظم) الطبعة الاولى حيدر آباد ١٣٥٧ هـ
- (٤) ابن حزم - ابو محمد علي بن سعيد
(جمهرة انساب العرب) نشر وتحقيق ا. ليثي بروفسال دار
المعارف مصر ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٨ م .
- (٥) ابن حوقل - ابو القاسم النصيبي
(صورة الارض) ليدن ١٩٢٨ م .
- (٦) ابن خلدون - عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ)
(العبر وديوان المبتدا والخبر) مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ،
بيروت ١٣٩١ هـ ، ١٩٧١ م .
- (٧) ابن دريد - ابو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١ هـ)
(الاشتقاق) شرح وتحقيق عبدالسلام هارون ، مطبعة السنة
النبية ، مؤسسة الخانجي بمصر ١٣٧٨ هـ .
- (٨) ابن عبد ربه - ابو عمر احمد بن محمد
(العقد الفريد) الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر القاهرة ١٣٧٢ هـ ١٩٥٢ م .
- (٩) ابن القيسراني - ابو الفضل محمد بن طاهر (ت ٥٠٧ هـ)
(الانساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط) بريل
١٨٦٥ م .
- (١٠) ابن كثير - الحافظ الدمشقي ، اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ)
(البداية والنهاية) الطبعة الاولى مكتبة المعارف بيروت ١٩٦٦ م
- (١١) ابن منظور - ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم
(لسان العرب) دار صادر ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

- (١٢) أبو الفدا - عماد الدين اسماعيل بن محمد (ت ٧٣٢ هـ)
(تقويم البلدان) اعتنى بتصميمه رينورد وماك كولبن ، دار
الطباعة السلطانية ، باريس ١٨٤٠ م .
- (١٣) الازدي - أبو زكريا يزيد بن محمد (٣٣٤ هـ)
(تاريخ الموصل) تحقيق علي حبيبة - القاهرة ١٣٧٨ هـ ١٩٦٧ م
- (١٤) الاصفهاني - أبو الفرج علي بن الحسين (٣٥٦ هـ)
(الاغانى) تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، دار الثقافة بيروت
١٩٥٥ م .
- (١٥) الجاحظ - أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)
(البيان والتبيين) الطبعة الثالثة : مكتبة الخانجي ، القاهرة
١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨ م .
- (١٦) جاد المولى (وآخرون) (أيام العرب) تأليف محمد أحمد جاد المولى ،
علي محمد البجاوي محمد أبو الفضل ، الطبعة الثانية ، مطبعة
عيسى الحلبي مصر ١٣٦١ هـ ، ١٩٤٢ م .
- (١٧) الجومرد - عبد الجبار
(غرة العرب من شيبان ، يزيد بن مزيد) الطبعة الاولى - دار
الطلعة - بيروت ١٩٦١ م .
- (١٨) حميد - تحسين
(المعتضد بالله) اطروحة ماجستير لم تطبع - مكتبة الدراسات
الاسلامية - كلية الاداب ، ١٩٦٩ م - ١٣٨٩ هـ
- (١٩) ديوان ابي تمام - شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ،
دار المعارف مصر ١٩٦٥ م .
- (٢٠) زامباور - معجم الاسرات الحاكمة ، مطبعة فؤاد الاول ١٩٥١ م
- (٢١) الزركلي - خير الدين
(الاعلام) الطبعة الثانية ، مطبعة كوستا توماس وشركاه
١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م .
- (٢٢) السامر - فيصل جرى
(الدولة الحمدانية في الموصل وحلب) مطبعة الايمان بغداد
١٩٧٠ م .
- (٢٣) الصائغ - سلمان
(تاريخ الموصل) المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٣ م
- (٢٤) الصولي - محمد بن يحيى
(اخبار ابي تمام) تحقيق خليل محمود وغيره ، قدم له أحمد
أمين ، بيروت المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر

- (٢٥) الطبري - محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)
(تاريخ الرسل والملوك) تحقيق محمد أبو الفضل ، دار المعارف
مصر .
- (٢٦) فلهاوزن - يوليوس
(الدولة العربية وسقوطها) ترجمة الدكتور يوسف العش ،
دمشق ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م .
- (٢٧) القلقشندي - أبو العباس أحمد بن علي (٧٥٦هـ - ٨٢١هـ)
(صبح الاعشى في صناعة الانشا) نسخة مصورة عن الطبعة
الاميرية ، المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة والنشر ، مطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧٢هـ ، ١٩٥٢م .
- (٢٨) القلقشندي (نهاية الارب في معرفة انساب العرب) تحقيق ابراهيم
الابيارى الطبعة الاولى - القاهرة ١٩٥٩م .
- (٢٩) الكندي - أبو عمر محمد بن يوسف
(الولاة وكتاب القضاء) مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت
١٩٠٨م .
- (٣٠) المسعودي - علي بن الحسن (ت ٣٤٦ هـ)
(التنبيه والاشراف) تصحيح الصاوي ، القاهرة ١٣٥٧هـ
١٩٣٨م .
- (٣١) المسعودي (مروج الذهب ومعادن الجوهر) دار الاندلس للطباعة
والنشر ، بيروت .
- (٣٢) المنجد - المطبعة الكاثوليكية - بيروت ، الطبعة الخامسة
- (٣٣) النويري - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب
(نهاية الارب في معرفة فنون العرب) مطبعة دار الكتب المصرية
١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م .
- (٣٤) ياقوت - الحموي (ت ٦٢٦ هـ)
(معجم البلدان) ليزك ١٨٦٨م .
- (٣٥) الهمداني - أبو محمد الحسن بن أحمد
(صفة جزيرة العرب) تحقيق النجدي ، مطبعة السعادة ،
مصر ١٩٥٣م .
- (٣٦) اليعقوبي - أحمد بن واضح (٢٨٠ هـ)
(تاريخ اليعقوبي) بريل ١٨٨٣م .

نظام الافراج الشرطي واصلاح المجرمين

الدكتور

عز الدين علي الخيرو

الاستاذ المساعد - كلية الآداب

جامعة بغداد

وعضو مجلس ادارة مصلحة السجون

عندما نشأت السجون الحديثة كانت العقوبة الموقعة على المحكوم عليه بالحبس تنفذ خلال المدة المحددة لقضائها ، ولم تكن هناك وسيلة لانقاص المدة المقررة بالحكم الا الاعفاء عن جزء من مدة العقوبة على سبيل الرأفة ، فاذا صدر الحكم على متهم بالحبس لمدة عشر سنوات مثلاً ، فذلك يعني ان المحكوم عليه يقضي عشر سنوات فعلاً في السجن ، وعند انتهاء المدة يخلى سبيل المحكوم عليه ، ويطلق سراحه دون اي اجراء من مراقبة أو مساعدة ، ما عدا المساعدة التي يقدمها افراد من الناس أو بعض جمعيات مساعدة المساجين . ولذلك يبقى المطلق السراح هائماً في المجتمع ، وهذا يكون مصدر خطر عليه^(١) .

لذلك فالأصل ان الافراج الشرطي يكون نهائياً باتتهاء المدة المقررة للعقوبة طبقاً للآراء التقليدية ، ولكن الآراء العقابية الحديثة تذهب الى اعتبار

(١) راجع : عبد الجبار عريم : الطرق العلمية الحديثة في اصلاح وتأهيل المجرمين والجانحين ، صفحة ٣٢٨ مطبعة المعارف بغداد ١٩٧٥ .

الأصل في الافراج ان يكون غير نهائي ونستخلص من ذلك ان وظيفة الافراج غير النهائي هي التمهيد للافراج النهائي ، وتقرر تبعا لذلك ان كل افراج نهائي لا يسبقه افراج غير نهائي يمهده له يغلب الا يكون من شأنه تأهيل المفرج عنه للحياة في المجتمع . وقد ترتب على ذلك ان تنوعت صور الافراج غير النهائي ونشأت بها نظم عقابية عديدة تحتل مكانا ملموسا في السياسة العقابية كالاختصار التلقائي والبارول والافراج الشرطي^(٢) .

ويتطلب دراسة « نظام الافراج الشرطي واصلاح المجرمين » تقسيم البحث الى ثلاث مباحث :

المبحث الاول - تعريف وتكييف الافراج الشرطي

المبحث الثاني - شروط الافراج الشرطي

المبحث الثالث - آثار الافراج الشرطي

(٢) نوضح المقصود بهذه الانظمة في هذا المجال :

١ - الاختصار التلقائي : هو النظام المبني على قاعدة ان كل محكوم عليه لم يثبت سوء سلوكه يخضع له عن كل مدة يقضيها في المؤسسة العقابية جزء من مدة العقوبة ويطلق سراح كل محكوم عليه امضى نسبة معينة من مدة عقوبته .

٢ - البارول : نظام بمقتضاه يفرج عن المحكوم عليه بعد قضاء فترة من العقوبة داخل المؤسسة ، ويبقى المفرج عنه خاضعا للمراقبة خلال فترة معينة بحيث انه اذا خالف شروطه يعاد مرة اخرى الى المؤسسة العقابية ليستوفي المدة المتبقية من العقوبة .

٣ - الافراج الشرطي : هو استبدال الجزء الاخير من مدة العقوبة السالبة للحرية بعقوبة مقيدة للحرية .

راجع : الدكتور يسر انور علي والدكتورة آمال عبدالرحيم عثمان : علم العقاب ، صفحة ٢٦٩ دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧١ .

المبحث الاول تعريف وتكييف الافراج الشرطي

الفرع الاول تعريف الافراج الشرطي

يعرف الافراج الشرطي بانه النظام الذي بموجبه يطلق سراح المحكوم عليه قبل انقضاء كل مدة عقوبته اطلاقا مقيدا بشروط تتمثل في التزامات تفرض عليه وتقيده حريته حتى انتهاء مدة العقوبة .

ويخلص من هذا التعريف : ان الافراج الشرطي يعني استبدال تقييد الحرية بسلبها ، خلال الجزء الاخير من مدة العقوبة ، ويتميز بأنه افراج غير نهائي ، بمعنى انه يجوز الرجوع فيه ، ومن ثم قيل انه معلق على شرط فاسخ هو الاخلال بالالتزامات المفروضة ، ويعني غالبا العودة بالمحكوم عليه الى سلب الحرية .

والافراج الشرطي بطبيعته انتقائي ، يفترض توافر شروط معينة لجواز منحه باجراءات معينة للتحقق من توافر تلك الشروط ، وتشرف على هذه الاجراءات جهة تخول سلطة تقديرية للفصل بجدارة المحكوم عليه للافراج الشرطي بان تنهى سلب الحرية وتخضع المحكوم عليه لمعاملة تقتصر على مجرد تقييد الحرية ، وعلى هذا النحو كان اساس الافراج الشرطي هو اعتبارات المصلحة العامة المتصلة بتطور المعاملة العقابية تبعا لتطور الخطورة الاجرامية ، ولم يكن اساسه الشفقة بالمحكوم عليه . والافراج الشرطي تبعا لذلك نظام عقابي تقرره سلطة يخولها ذلك القانون ، وليس حقا للمحكوم

عليه^(٣) ، ومن ثم لا يكون منحه متوقفا على طلبه ، في ذاته ، اعتبار في منح الافراج الشرطي أو تطبيقه .

ويرجع بعض الكتاب^(٤) الافراج الشرطي في اصوله التاريخية الى التقرير الذي تقدم به ميرابو Mirabeau الى الجمعية الوطنية الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر واعتبر فيه هذا الافراج أحد سبل اصلاح نظام السجون وقد تناوله بعد ذلك بالدراسة مارساني Marsangy سنة ١٨٤٧ وأقره في فرنسا للمرة الاولى القانون الصادر في ١٤ آب (اغسطس) سنة ١٨٨٥^(٥) .

(٣) لا يعني انكار ان يكون الافراج الشرطي حقا للمحكوم عليه انه بالضرورة منحه له ، فالتكييف العقابي الصحيح له انه تعديل في اسلوب المعاملة العقابية تقتضيه اعتبارات التأهيل ، وهي اعتبارات تتصل بالمصلحة العامة ومصلحة المحكوم عليه المرتبطة بها وتختص بتقديرها السلطات التي يخولها القانون ذلك .

راجع : الدكتور محمود نجيب حسني : علم العقاب ، الصفحات (٥١٩ - ٥٢٠) ، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٦٦ .

(٤) الدكتور محمود نجيب حسني في كتابه علم العقاب في الصفحات ٥٢٠ ثم ٢٢ و ٢٣ ، حيث يقول : « بان الجمعية الوطنية الفرنسية كانت قد عهدت الى ميرابو (١٧٤٩ - ١٧٩١) رئاسة لجنة تبحث في الفناء نظام أوامر الاعتقال فوسع نطاق مهمة اللجنة وتناول بالبحث مشاكل السجون الفرنسية في مجموعها وأقترح برنامجا اصلاحيا يقوم على الاهتمام بالعمل العقابي واقرار نظام السجن الانفرادي والتدرج في المعاملة بحيث تمنح المزايا لمن تثبت جدارتهم بها والافراج الشرطي والرعاية اللاحقة للمفرج عنهم وقد ضمن ميرابو بحثه في تقرير شهر قدمه في سنة ١٧٩٠ نشره بعد وفاته بجوان سنة ١٨٨٨ .

(٥) نصت المادة الاولى من هذا القانون على وجوب ان يقرر في كل سجن نظام عقابي يقوم على الدراسة اليومية لسلوك المحكوم عليهم ومدى مواظبتهم على العمل ، ويستهدف تهذيبهم واعدادهم للافراج الشرطي . ويكشف هذا النص عن منزلة الافراج الشرطي في النظام العقابي وكون الاعتراف به يستوجب تعديلا شاملا لهذا النظام بحيث يتجه الى الاعداد لذلك الافراج .

ويشير بعض الكتاب^(٦) الى ان أول قانون لنظام الافراج الشرطي كان قد صدر في ولاية « ماسوشست » الامريكية في سنة ١٨٣٧ . ويضيف بعض الكتاب^(٧) أيضا بان انكلترا كانت أول الدول في تطبيق نظام الافراج الشرطي عام ١٨٥٣ .

وعرفت مصر نظام الافراج الشرطي لاصلاح المجرمين بموجب الامر العالي الصادر في ديسمبر (كانون اول) ١٨٩٧^(٨) ، وفي العراق لم يدخل هذا النظام الا في التشريع الجنائي العراقي المتمثل بقانون الاحداث رقم ١١ لسنة ١٩٦٢ (المواد ٤٨ و ٤٩ و ٥٠)^(٩) ثم نقل هذا النظام - مع تعديلات جوهرية - الى قانون اصول المحاكمات الجزائية رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١^(١٠) .

لقد تجاهلت معظم التشريعات الجنائية العربية تعريف الافراج الشرطي^(١١) ما عدا التشريع المغربي رقم ٤١٣ لسنة ١٩٦٢ (المادة ٥٩) التي

(٦) عبد الجبار عريم في كتابه : الطرق العلمية الحديثة في اصلاح وتاهيل المجرمين والجانحين ، صفحة ٣٣٠ .

(٧) الدكتور علي احمد راشد في كتابه : القانون الجنائي ، صفحة ٧١٩ دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٤ .

(٨) راجع : الدكتور رؤوف عبيد : مبادئ القسم العام من التشريع العقابي المصري ، صفحة ٦٢٥ مطبعة نهضة مصر بالجيزة القاهرة ١٩٦٢ .

(٩) راجع : الدكتور اكرم نشأت ابراهيم : موجز الاحكام العامة في قانون العقوبات العراقي صفحة ١٥٠ مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٩ .

(١٠) المنشور في جريدة الوقائع العراقية بالعدد ٢٠٠٤ في ٣١/٥/١٩٧١ (المواد ٣٣١ - ٣٣٧) والمعدلة بالقانون رقم ٣٤ لسنة ١٩٧٤ التعديل الثاني لقانون اصول المحاكمات الجزائية المنشور في الوقائع العراقية عدد ٢٣٣٣ في ٢٧/٣/١٩٧٤ .

(١١) وهي التشريع العراقي رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١ والتشريع المصري رقم ٣٩٦ لسنة ١٩٥٦ وقانون العقوبات اللبناني رقم ٣٤٠ لسنة ١٩٤٣ وقانون العقوبات السوري رقم ١٤٨ لسنة ١٩٤٩ وقانون الاجراءات الجنائية الليبي لعام ١٩٥٣ وتعديله بالقانون رقم ١٨ لسنة ١٩٦٢ وقانون الجزاء الكويتي رقم ١٦ لسنة ١٩٦٠ وقانون بشأن العقوبات رقم ٣ لسنة ١٩٧٦ لليمن الجنوبية .

تنص على ان الافراج الشرطي هو : « اطلاق سراح المحكوم عليه قبل الاوان نظرا لحسن سيرته داخل السجن على ان يظل مستقيم السيرة في المستقبل ، اما اذا ثبت عليه سوء السلوك أو أخل بالشروط التي حددها الافراج المقيد ، فانه يعاد الى السجن لتنظيم ما تبقى من عقوبته » (١٢) .

الفرع الثاني

تكييف الافراج الشرطي

يمكن تكييف نظام الافراج الشرطي من ناحيتين احدهما قانونية ، والاخرى عقابية ، وتتضح كل ناحية من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الاول

التكييف القانوني للافراج الشرطي

اختلفت الآراء في هذا المجال ، ويمكن التمييز بين اتجاهين فيه :

الاتجاه الاول : الافراج الشرطي عمل اداري

يذهب اصحاب هذا الاتجاه الى اعتبار الافراج الشرطي عملا اداريا يتعلق بتعديل المعاملة العقابية حتى تلائم التطور الذي طرأ على شخصية المحكوم عليه ، وهو من هذه الوجهة أشبه بأوجه النشاط الاداري انذني تمارسه الادارة العقابية تنفيذا للعقوبة ، ولذا يدعو هذا الاتجاه الى تخويل السلطة الادارية المختصة صلاحية منح الافراج الشرطي ، وهذا ما ذهب اليه التشريع الفرنسي حيث جعله من اختصاص وزير العدل (المادة ٧٣٠ من قانون الاجراءات الجنائية) (١٣) ، وبهذا الاتجاه أخذ التشريع العقابي المصري (المادة

(١٢) يسمى القانون الجنائي المغربي - الافراج الشرطي بالافراج المقيد بشروط .

راجع : القانون الجنائي المغربي رقم ٤١٣ لسنة ١٩٦٢ ، المادة (الفصل) ٥٩ .

(١٣) راجع : الدكتور محمود نجيب حسني : علم العقاب ، صفحة ٥٢٣ .

٥٣ من قانون تنظيم مصلحة السجون رقم ٣٩٦ لسنة ١٩٥٦) حيث يفوض مدير عام مصلحة السجون حق اصدار أمر الافراج الشرطي طبقا للاوضاع والاجراءات التي تقررها اللائحة الداخلية للسجون (١٤) .

ويتجه قانون العقوبات الكويتي أيضا الى تأييد هذا الاتجاه ، حيث خول النائب العام (المدعى العام) حق اصدار الامر بالافراج الشرطي وبالعائنه (المادة ٩١) (١٥) .

الاتجاه الثاني : الافراج الشرطي عمل قضائي

يذهب اصحاب هذا الاتجاه الى اعتبار الافراج الشرطي عملا قضائيا لأنه ينطوي على مساس بالقوة التنفيذية للحكم ويدخل تعديلا عليه من حيث تحديد مدة معينة للعقوبة ، ويقود هذا الاتجاه الى تخويل سلطة منح الافراج الشرطي للقضاء ، وهذا ما قرره التشريع الالماني (المادة ٢٦ من قانون العقوبات) (١٦) ، وكذلك فعل التشريع العراقي (المادة ٣٣١ فقرة ج من قانون اصول المحاكمات الجزائية رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١ وتعديله الثاني بالقانون رقم ٣٤ لسنة ١٩٧٤) عندما خول محكمة الجراء الكبرى التي يقع ضمن اختصاصها المكاني الجهة التي يقضي المحكوم عليه عقوبته عند تقديمه الطلب سواء كانت سجنا أو مؤسسة اصلاحية ، وان كان قد نقل اليها من سجن أو مؤسسة أخرى ، واذا وجدت في المحافظة اكثر من محكمة جزاء كبرى فيوزع بينها بيان من رئيس محكمة الاستئناف (١٧) .

(١٤) راجع : الدكتور رؤوف عبيد : مبادئ القسم العام من التشريع العقابي المصري ، صفحة ٦٢٥ .

(١٥) راجع : قانون العقوبات الكويتي رقم ١٦ لسنة ١٩٦٠ ، المادة ٩١ .

(١٦) راجع : الدكتور محمود نجيب حسني : علم العقاب ، صفحة ٥٢٤ .

(١٧) كانت المادة ٣٣١ من قانون اصول المحاكمات الجزائية رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١ تنص على ان : « للمحكمة التي اصدرت الحكم او المحكمة التي حلت محلها ان تقرر الافراج عن المحكوم عليه بعقوبة أصلية مقيدة للحرية » .

ونعتقد ان الطبيعة القانونية للافراج الشرطي تميل الى اعتباره حكما قضائيا يحقق احتراماً لمبدأ الفصل بين السلطات وقراراً لقيمة العمل القضائي، وحماية المجتمع من خطر المجرمين وحماية الحرية الشخصية من العبث بها تحت تأثير العوامل السياسية والاعتبارات الشخصية معا .

المطلب الثاني

التكييف العقابي لنظام الافراج الشرطي

يتمثل التكييف العقابي للافراج الشرطي في ان الاجماع يكاد ينعقد في شأنه على انه لا يعتبر انهاء للعقوبة ، والدليل على ذلك أن المحكوم عليه لا يسترد به حريته الكاملة ، ولا تنقطع عن طريقه صلته بسلطات تنفيذ العقوبات في حين أنه لو كان انهاء للعقوبة لما كان محل لفرض قيود على حرية المفرج عنه .

لذلك فالتكييف العقابي الصحيح للافراج الشرطي هو أنه تعديل لاسلوب تنفيذ العقوبة ، وليس انهاء لها لأن المحكوم عليه قد طبقت عليه أساليب المعاملة العقابية في داخل المؤسسة العقابية حتى ثبت أنه قد أصبح في حاجة الى معاملة عقابية من نوع مختلف لا تتطلب سلب الحرية ، ولكن تكتفي بتقييدها ، وهذه المعاملة العقابية تكمل ما سبق تطبيقه في المؤسسة العقابية وتمهد للحرية الكاملة ، وتعتبر على هذا النحو مرحلة انتقالية بينهما وقد اقرت هذا التكييف حلقة الدراسات العقابية التي عقدت في « ستراسبورج » سنة ١٩٦١ ، فوصفت الافراج الشرطي بأنه : « جزء من الجهود التأهيلية » وقررت ان وظيفته هي « التمهيد للتأهيل بتطبيق نظام انتقالي يتوسط بين الحبس والحرية ، ويسمح بان يعقب سلب الحرية نظام متكامل قوامه اساليب من المساعدة والمراقبة » (١٨) .

(١٨) راجع : الدكتور محمود نجيب حسني : علم العقاب ، الصفحات (٥٢٤ - ٥٢٥) .

ويدفع نظام الافراج الشرطي المحكوم عليه في تحسين سلوكه خلال فترة العقوبة سعيا وراء الافادة من هذا النظام ، ولا شك في ان انتهاج هذا السبيل من أغلب المسجونين يكفل تطبيق المعاملة على احسن وجه لتحقيق اغراض الجزاء الجنائي^(١٩) ، ومن ناحية أخرى ، فإن فرض التزامات معينة على المحكوم عليه بعد الافراج عنه افراجا شرطيا ، وكون استمرار هذا الافراج معلقا على وفائه بهذه الالتزامات التي تتمثل في اتخاذ مسلك سليم مطابق للقانون ، يجعل المفرج عنه يحرص على احترام القانون حتى لا يتعرض لالغاء الافراج والعودة الى السجن ، مرة أخرى ، ومن ناحية ثالثة ، فإن فترة الافراج الشرطي تسهم باعتبارها نوعا من المعاملة العقابية ، في تحقيق تكيف المحكوم عليه مع المجتمع ، اذ تعتبر فترة انتقال من سلب الحرية الى الحرية الكاملة ، ففي خلال فترة الافراج الشرطي ينتقل المحكوم عليه من سلب الحرية المطلق في ظل المؤسسة العقابية الى نوع من الحرية المقيدة ، فيمثل هذا النظام نوعا من التدرج في ممارسته لحيته حتى لا يدفعه انتقاله طرفة واحدة من القيود الشديدة الى الحرية الكاملة ، الى اساءة استعمالها والعودة الى ارتكاب الجريمة^(٢٠) .

لذلك فالتكيف العقابي للافراج الشرطي يتمثل باعتباره تعديل لاسلوب تنفيذ العقوبة ، وليس انهاء لها ، وان المفرج عنه قد استفاد من اساليب المعاملة العقابية المقررة داخل المؤسسات العقابية ، واصبح محتاجا الى معاملة عقابية جديدة تتمشى مع وضعه الجديد .

(١٩) ندعو هنا الى عدم استثناء اي فئة من المحكوم عليهم من الاستفادة من نظام الافراج الشرطي ، واذا وجدت ضرورة تتطلب استثناءات فيجب ان تكون نتيجة تدقيق وتمحيص للوصول الى تحديد دقيق لتلك الانواع من الجرائم التي يستثنى منها .

(٢٠) راجع : الدكتور فوزية عبدالستار : مبادئ علم الاجرام وعلم العقاب ، صفحة ٣٨٧ دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٢ .

ويؤكد هذا الاتجاه ما ذهب اليه التشريع المصري (المادة ٥٩) ، حيث أوضح بأنه اذا خالف المفرج عنه الشروط التي وضعت للافراج ، ولم يقم بالواجبات المفروضة عليه ألغى الافراج واعيد المحكوم عليه الى السجن ليستوفي المدة الباقية من العقوبة المحكوم بها عليه (٢١) . وايدت هذا الاتجاه قواعد قانون العقوبات الكويتي (المادة ٨٨) حيث تضمنت الغاء الافراج الشرطي اذا ساءت سيرة المفرج عنه . واتجه قانون العقوبات السوري (المادة ١٦٩) الى اعادة تنفيذ العقوبة من قبل المحكوم عليه عند ارتكابه جريمة أخرى ، أوجبت الحكم على المفرج عنه بعقوبة جنائية أو جنحة ، أو أن يثبت بحكم قضائي خرق المحكوم عليه للحرية المتمتع بها أثناء المراقبة أو مخالفة تقديم الكفالة أو الرعاية أو عدم دفع التعويض للمدعي الشخصي اذا كان قد قيد الافراج بهذه الشروط أو بواحد منها (٢٢) ، وكذلك الحال بالنسبة للتشريع الجنائي العراقي (المادة ٣٣٣ من قانون اصول المحاكمات الجزائية المعدل) (٢٣) ، تنص على أنه اذا أخل المفرج عنه افراجا شرطيا بشروط الافراج تصدر المحكمة المختصة قرارا بالقاء القبض على من افرج عنه بموجبه وايداعه السجن أو المؤسسة التي اخلي سبيله منها لتنفيذ ما أوقف تنفيذه من العقوبات .

(٢١) راجع : الدكتور روؤف عبيد : القسم العام من التشريع العقابي المصري ، صفحة ٦٢٧ .

(٢٢) راجع : حسين جميل : نحو قانون عقابي موحد للبلاد العربية ، صفحة ٢٩٣ معهد الدراسات العربية العالية القاهرة ١٩٦٥ .

(٢٣) راجع : المادة ٣٣٣ من اصول المحاكمات الجزائية العراقي رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١ المعدلة بالقانون رقم ٣٤ لسنة ١٩٧٤ حيث توسعت هذه المادة وبفقرات ثلاث لفسح المجال امام المفرج عنه للاستفادة من الانذار الوارد في الفقرة هـ من المادة ٣٣٢ ، واذا كان هناك اصرار من المفرج عنه على الاخلال بشروط الافراج الشرطي فيلغى حكم الافراج الشرطي ، ويعود المحكوم عليه الى السجن مرة أخرى ، لتنفيذ ما تبقى من مدة العقوبة المحكوم بها .

المبحث الثاني

شروط الافراج الشرطي

يتطلب منح الافراج الشرطي لمحكوم عليه توافر عدة شروط يمكن حصرها في مجموعتين : الاولى اساسية والثانية ثانوية .

المجموعة الاولى : الشروط الاساسية لمنح الافراج الشرطي

تجمع التشريعات الجنائية التي أخذت بنظام الافراج الشرطي على وجوب توافر شروط أساسية تتمثل بحسن سلوك المحكوم عليه خلال مدة معينة يقضيها المحكوم عليه في المؤسسة العقابية حتى يمنح افراجا شرطيا قبل انتهاء مدة العقوبة .

الشرط الاول : شرط حسن سلوك المحكوم عليه

يجب أن يثبت أن المحكوم عليه قد استفاد من المعاملة العقابية التي قدمت له وأثرها البالغ في نفسيته ، وفي تقويم سلوكه بحيث أصبح لا يخشى من اطلاق سراحه ، ولا يشكل اي خطر على المجتمع لأنه مستعد لتطبيق المعاملة التي يفترضها نظام الافراج الشرطي ، وأصبح الامل غالبا في ان يستفيد المحكوم عليه من هذه المعاملة تأهيلا للحياة الاجتماعية . ويقتضى الاسلوب العلمي فحص شخصية المحكوم عليه بعد مضي فترة معقولة من الخضوع للمعاملة العقابية في داخل المؤسسة والتحقق عن طريق الفحص من تطور شخصيته على وجه يقتضي تعديلا مقابلا في المعاملة العقابية على النحو الذي يفترضه الافراج الشرطي . والجانب الغالب من الفحص التجريبي يعهد به الى العاملين في المؤسسة العقابية الذين يقع على عاتقهم ملاحظة التحسن الطارئ على سلوك المحكوم عليهم والتطور الذي أصاب شخصياتهم كثرة للمعاملة العقابية يضاف الى ذلك وجوب اجراء فحوص فنية حيث قد يثبت أن

أوجها من الخلل المرضي قادت المحكوم عليه الى الاجرام ويتوقف على شفائه منها منحه الافراج الشرطي . وبينت المادتان ٨٤٦ و ٨٤٧ من قانون الاجراءات الجزائية الفرنسي (في قسمه الخامس) معالم مهمة العاملين في المؤسسة العقابية من هذه الوجة بحيث يتعين عليهم الا يضعوا في اعتبارهم المظاهر الخارجية للسلوك فحسب ، بل عليهم ان يوجهوا العناية الى جميع عناصر التقدير ، وبصفة خاصة ، الاتجاه العام للمحكوم عليه وعلاقاته بزملائه وجميع الاشخاص الذين يتصلون به ومشروعات المستقبل التي أعدها والجهود التي يبذلها في سبيل اكتساب تدريب مهني وتكوين مدخرات ومدى خضوعه للوائح ومقدار مواظبته على العمل^(٢٤) .

واشترط قانون تنظيم السجون في مصر رقم ٣٩٦ لسنة ١٩٥٦ (المادة ٥٢) وجوب ان يكون سلوك المحكوم عليه اثناء وجوده في السجن سلوكا يدعو الى الثقة بتقويم نفسه ، وان لا يكون الافراج عنه خطرا على الامن العام^(٢٥) . واشترط التشريع العراقي أيضا (المادة ٣٣١ فقرة أ من قانون اصول المحاكمات الجزائية رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١) توافر استقامة سير وحسن سلوك المحكوم عليه بعقوبة أصلية سالبة للحرية شرطا للافراج عنه شرطيا .

ونعتقد ان وجوب توافر هذا الشرط يمكن ان يعتبر وسيلة لتفريد المعاملة العقابية بين المحكوم عليهم ، فيميز بين المحكوم عليهم حسني السلوك والمحكوم عليهم الذين ساء سلوكهم ، بأن يمنح الاولون الافراج الشرطي نوعا من المكافأة على حسن سلوكهم دون الآخرين ، ومن شأن هذا الشرط حمل المحكوم عليهم وتشجيعهم على انتهاج السلوك القويم رغبة في الافادة من نظام الافراج الشرطي .

(٢٤) راجع : الدكتور محمود نجيب حسني : علم العقاب ، الصفحات (٥٢٧ - ٥٢٩) .

(٢٥) راجع : الدكتور ريوؤف عبيد : القسم العام من التشريع العقابي المصري ، صفحة ٦٢٦ .

الشرط الثاني : شرط المدة التي يقضيها المحكوم عليه

اتفقت التشريعات الجنائية ، التي أخذت بنظام الافراج الشرطي ، على وجوب بقاء المحكوم عليه مدة من الزمن داخل المؤسسة العقابية لكي يستفيد من هذا النظام ، وهي تقدر عادة على أساس نسبة معينة من مدة العقوبة المحكوم بها . واختلفت تلك التشريعات في تحديد مدة العقوبة الواجب قضاؤها في المؤسسة العقابية ، وهي لا تقل عن نصف مدة العقوبة في التشريع الفرنسي (المادة ٧٢٩ من قانون الاجراءات الجنائية) وكذلك في تشريع اليمن الجنوبي (المادة ٦١ من قانون العقوبات) ، وهي ثلثا مدة العقوبة في التشريع الالماني (المادة ٢٦ من قانون العقوبات) وكذلك الحال بالنسبة للقانون الانكليزي (المادة ٦٦ من مجموعة قواعد السجون الانكليزية) . في حين ، نجد ان هناك تشريعات جنائية اخرى لدول معينة تتطلب مزيدا من المدة بحيث لا تقل عن ثلاثة ارباع مدة العقوبة يقضيها المحكوم عليه داخل المؤسسة العقابية ، وهذا ما فرضه التشريع المصري (المادة ٥٢ من قانون تنظيم السجون) وكذلك التشريع العراقي (المادة ٣٣١ فقرة أ من قانون اصول المحاكمات الجزائية) .

ونلاحظ ان هذا التحديد النسبي قد يكون غير متصور في حالة العقوبة المؤبدة ، اذ كيف يمكن تحديد ثلاثة ارباع مدة عقوبة الاشغال الشاقة المؤبدة التي تمتد بامتداد حياة المحكوم عليه ؟

الحقيقة ان بعض التشريعات تتدخل لتحديد تلك المدة كما فعل التشريع العراقي الذي حدد مدة الحكم المؤبد بعشرين سنة^(٢٦) ، ولكن بالرغم من هذا الوضوح في التشريع العراقي ، فقد أوجب التشريع المصري بان لا يفرج عن المحكوم عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة الا اذا قضى المحكوم

(٢٦) المادة ٨٧ من قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ ، والمادة ٦٨ من قانون مصلحة السجون العراقي رقم ١٥١ لسنة ١٩٦٩ ، والتي تنص على ان :

« يعتبر الحكم بالمؤبد موقوتا بعشرين سنة » .

عليه في السجن عشرين سنة على الأقل^(٢٧) ، بينما لم ينص التشريع العراقي على هذا التحديد .

هذا وقد تكون المدة المشترطة للافراج الشرطي قصيرة بحيث يثور الشك حول ما اذا قد تحقق في خلالها ارضاء الشعور بالعدالة أو الردع العام باعتبارهما من اغراض العقوبة . وقد تغلبت التشريعات الجنائية على هذه الصعوبة بان حددت لهذه المدة حدا ادنى لا يجوز الافراج شرطيا عن المحكوم عليه قبل مضيه وقد حددها بثلاثة اشهر كل من التشريع الفرنسي (المادة ٧٢٩ فقرة ٢ من قانون الاجراءات الجنائية) والتشريع الالماني (المادة ٢٦ من قانون العقوبات) ، وهي ستة اشهر في التشريع العراقي (المادة ٣٣١ فقرة آ من قانون أصول المحاكمات الجزائية) ، وكذلك في تشريع اليمن الجنوبية (المادة ٦١ من قانون العقوبات) ، ولكن التشريع المصري حددها بتسعة اشهر (المادة ٥٢ فقرة ٢ من قانون تنظيم السجون)^(٢٨) . وكذلك فعل التشريع السوري (المادة ١٧٢ فقرة ٢ من قانون العقوبات السوري) . وأكثر من ذلك فقد قررت بعض التشريعات الجنائية العربية بان لا تقل مدة بقاء المحكوم عليه في المؤسسة العقابية عن سنة حتى يستفيد من نظام الافراج الشرطي ومن هذه التشريعات قانون العقوبات الكويتي (المادة ٨٧) والقانون السوداني (المادة ٢٥٧) .

(٢٧) المادة ٥٢ من قانون تنظيم السجون المصرية رقم ٣٩٤ لسنة ١٩٥٦ ، والتي تنص على ان « ... واذا كانت العقوبة هي الاشغال الشاقة المؤبدة ، فلا يجوز الافراج الا اذا قضى المحكوم عليه في السجن عشرين سنة على الأقل » .

راجع : الدكتور روؤف عبيد : مبادئ القسم العام من التشريع العقابي المصري ، صفحة ٦٢٥ .

(٢٨) راجع : الدكتورة فوزية عبدالستار : مبادئ علم الاجرام وعلم العقاب ، الصفحات (٣٨٧ - ٣٨٨) .

ويترتب على هذه التحديدات للحد الأدنى من الزمن الذي يجب أن يقضيه المحكوم عليه في المؤسسة العقابية امتناع تطبيق نظام الافراج الشرطي على الاشخاص الذين يحكم عليهم باقل من تلك المدة اللازمة (٢٩) .

الفرنسي	الالماني	اليمن الجنوبية	العراق	المصري	الكويتي
مدة	مدة	مدة	مدة	مدة	مدة
الافراج الشرطي	$\frac{1}{3}$ المدة	$\frac{2}{3}$ المدة	$\frac{1}{3}$ المدة	$\frac{2}{3}$ المدة	$\frac{2}{3}$ المدة
الحد الأدنى للافراج	٣ شهور	٣ شهور	٦ شهور	٦ شهور	٩ شهور
مدة العقوبة الدنيا	٦ شهور	٥ شهور	٨ شهور	سنة	١٦ شهرا

المجموعة الثانية : الشروط الثانوية لمنح الافراج الشرطي

تتشرط بعض التشريعات وجوب توافر شروط أخرى ، نعتقد بأنها شروطا ثانوية ، وذلك ؛ اما لأنها متداخلة بالشروط الاساسية أو أن بعضها غير مطلوب في بعض التشريعات الجنائية ، ويمكن متابعة تلك الشروط على النحو التالي :

الشرط الاول : الا يكون في الافراج خطر يهدد الامن العام

يلاحظ ان بعض التشريعات كالتشريع المصري (المادة ٥٢ فقرة ١ من قانون تنظيم السجون) تشترط ان لا يكون في الافراج خطر على الامن العام (٣٠) .

والحقيقة ان ثبوت تقويم سلوك المحكوم عليه وانتهاجه السبيل القويم ، نتيجة بقاءه المدة المحددة في المؤسسة العقابية طبقا لنظام الافراج الشرطي ، يترتب عليه ضمان حسن سلوك المحكوم عليه ، وبالتالي لا يشكل خطرا على الامن العام .

(٢٩) ولتوضيح هذه النسب يمكن اعطاء الجدول التالي :

(٣٠) راجع : الدكتور روؤف عبيد : مبادئ القسم العام من التشريع العقابي المصري ، صفحة ٦٢٥ .

الشرط الثاني : ان يكون المحكوم عليه قد اوفى بالتزاماته المالية

تشترب بعض التشريعات عادة بان يكون المحكوم عليه قد اوفى بجميع الالتزامات المالية المحكوم بها من قبل المحكمة الجنائية (المادة ٥٦ من قانون تنظيم السجون المصري ، وكذلك المادة ٨٤٨ من قانون الاجراءات الجنائية الفرنسي ، في قسمه الخامس ، والمادة ٣٨ من قانون العقوبات السويسري)^(٣١) ، وتشمل هذه الالتزامات :

— الغرامة

— المصاريف القضائية

— التعويضات ، سواء كانت مستحقة للدولة أو الافراد المتضررين من الجريمة •

ونعتقد أن هذا الشرط ليس مطلوباً لذاته ، وإنما هو دليل على ندم المحكوم عليه لارتكابه الجريمة ومحاولته الاعراب عن ارادة التأهيل لديه فينعكس أثر ذلك على مدى تقبل المجتمع له (وفيه المجنى عليه وأهلوه) ليفسحوا له مكاناً في نطاقه فيدعم ذلك الامل في تأهيله ، ولا يجعل الشارع من عسر المحكوم عليه وعجزه ، تبعاً لذلك عن الوفاء بهذه الالتزامات ، عائقاً دون الحصول على الافراج الشرطي طالما أن هذا العجز لا يعني عدم الندم على الجريمة ولا ينفي بالضرورة « ارادة التأهيل » بما لا يحول دون توافر علة الشرط على الرغم من انتفائه ، ويؤكد ذلك أن هذا الشرط غير مطلوب لذاته^(٣٢) •

(٣١) لم يتطرق التشريع الجنائي العراقي الى هذا الشرط وترك مسألة الوفاء بالتزامات المالية المحكوم بها من قبل الى القواعد العامة لتنفيذ الديون المترتبة على احكام جنائية ، وأغلبها تتحول الى اقساط شهرية ومستمرة الدفع ، وربما يكون المحكوم عليه قد وفاها خلال المدة اللازمة لمنحه الافراج الشرطي •

(٣٢) راجع : الدكتور محمود نجيب حسني : علم العقاب ، الصفحات (٥٣٢ - ٥٣٥) •

الشرط الثالث : رضا المحكوم عليه بالافراج الشرطي

لقد تبنت بعض التشريعات شرط رضا المحكوم عليه لمنحه الافراج الشرطي ، بحيث لا يصدر هذا الحكم الا بعد موافقة المحكوم عليه « المادة ٢٦ من قانون العقوبات الالماني والمادة ٣٣٢ المعدلة من قانون اصول المحاكمات الجزائية العراقي » (٣٣) ، وأكثر من ذلك فقد أعطى التشريع الفرنسي حق رفض الافراج الشرطي لكل محكوم عليه مما يقتضي عدم جواز تطبيق التدابير والشروط الخاصة التي يتضمنها بدون رضائه (المادة ٥٣١ من قانون الاجراءات الجنائية الفرنسي) (٣٤) .

واننا نعتقد أن رضا المحكوم عليه يمكن ان يتخذ دليلا على رغبته في تنفيذ الافراج الشرطي ، وان عدم رضاه يضعف الامل في امكان جدوى تطبيق هذا النوع من المعاملة عليه بغية تأهيله وتحقيق تكييفه مع المجتمع والتدرج به من سلب الحرية الى تقييدها قبل حصوله على الحرية الكاملة حتى يتحقق الردع الخاص على أحسن وجه ، وحتى لا يحدث الانتقال المفاجيء من السلب الكلي للحرية الى الحرية المطلقة رد فعل عنيف قد يصل الى حد العودة الى ارتكاب الجريمة .

ولنتساءل الآن :

هل يكفي أن تتوافر هذه الشروط ، الاساسية والثانوية ، لمنح الافراج الشرطي ؟

وهل مصلحة الهيئة الاجتماعية وسلامة افرادها توجب استبعاد مرتكبي جرائم معينة من الانتفاع بنظام الافراج الشرطي ؟

(٣٣) والتي تنص على ان : « يقدم طلب الافراج الشرطي من المحكوم عليه واذا كان حدثا فممنه او من احد والديه او وليه او وصيه او مربيه او احد اقاربه ... » .

راجع : قانون اصول المحاكمات الجزائية العراقي رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١ المعدل بالتعديل الثاني بالقانون رقم ٣٤ لسنة ١٩٧٤ .

(٣٤) راجع : الدكتور محمود نجيب حسني : علم العقاب ، صفحة ٥٣٥ .

الحقيقة ان الأصل منح الافراج الشرطي لكل محكوم عليه ، اذا تبين أنه قد أستفاد من المعاملة داخل المؤسسة العقابية بما يتفق والتطور الطارىء على شخصيته ، بحيث لا يخشى منه على اعضاء الهيئة الاجتماعية ، ولكن على العكس اذا كانت القرائن كلها تشير الى عدم أهلية المحكوم عليه لاسترداد حريته قبل انقضاء مدة العقوبة ، فينعدم حينئذ الاساس الذي يقوم عليه نظام الافراج الشرطي ، وفي هذه الحالة لا مسوغ للافراج الشرطي على حساب مصلحة الهيئة الاجتماعية •

ومن ناحية أخرى يرى بعض المختصين ان أفضل القوانين الخاصة بالافراج الشرطي هي التي لا تستبعد المحكوم عليه من الافراج الشرطي لسبب نوع الجريمة المرتكبة والتي لا تعين مدة العقوبة التي يجب ان يقضيها المحكوم عليه بالسجن قبل ان يكون صالحا للافراج الشرطي ، وذلك لان القوانين لا تستطيع ان تتنبأ بصلاحية المحكوم عليه للافراج الشرطي • ويرون أيضا بان توافر سلطة كفوءة مختصة في الافراج الشرطي وبمساعدة هيئة موظفي السجن تكون في وضع أحسن لمعرفة ما اذا كان السجين مؤهلا للافراج الشرطي ، من عدمه وما هي درجة خطورته ؟ وما هو نوعها ؟ وهل هو مهيب ؟ ليسترد حريته ؟ ومدى قدرته على الاستفادة من الاشراف بعد اخلاء سبيله •

ان هذا الرأي على الرغم من كونه صحيحا من الناحية النظرية لكنه من الناحية العملية لا يمكن التسليم به لأنه طالما ان هناك اصنافا خطيرة من المجرمين فان عدم استبعاد هذا الفريق منهم فيه مجازفة بمصلحة الهيئة الاجتماعية وسلامة افرادها • كما أن هذا الرأي يتطرق الى جانب المحكوم عليه بصورة مطلقة دون حساب للخطر المحتمل للهيئة الاجتماعية •

وفي الحقيقة ان كثيرا من التشريعات الجنائية تضع استثناءات محددة تمنع تطبيق نظام الافراج الشرطي على بعض المحكومين ولنستعرض على سبيل المثال ما تقرره قوانين بعض الولايات المتحدة الامريكية من استثناءات تشمل المحكومين بجرائم :

- القتل العمد
- الخيانة
- الاغتصاب
- الزنا بالمحارم
- العود بجناية (٣٥) .

وبامعان النظر في هذه المجموعة من الجرائم يتضح لنا خطورة المجرم الذي يرتكبها وانعدام أي بادرة للإصلاح . وتتفاوت درجات القابلية للإصلاح حسب الظروف الاجتماعية الدافعة للجريمة ، وهذا يستتبع التدقيق بالجرائم التي تستثنى بحيث تنتهي باستخدام الوسائل العلمية الحديثة ، النظرية والعملية ، الى تحديد دقيق لتلك الانواع من الجرائم التي لا يشملها نظام الافراج الشرطي وبأقل ضرر ممكن بحيث يتحقق التوازن بين مصلحة الهيئة الاجتماعية وبين مصلحة المحكوم عليهم لنصل الى مجتمع تنخفض فيه الجريمة الى اقصى حد ممكن ودون ان نطمح في الوصول الى مجتمع خال من الجريمة كما يتوهم بعض الكتاب ، لأن الاجرام ظاهرة اجتماعية — كما هو معلوم — وليس ظاهرة فردية ترتبط بانسان معين أو بمجموعة من المجرمين بالفطرة .

(٣٥) راجع : عبدالجبار عريم : الطرق العلمية الحديثة في اصلاح وتاهيل المجرمين والجانحين ، الصفحات (٣٤٥ - ٣٤٩) .

ان التشريعات الجنائية العربية تكاد تجمع على اتخاذ موقف معين من موضوع عدم تضمين القواعد القانونية نصا يضع استثناءات محددة عندما يحرم المحكوم عليه من الاستفادة من نظام الافراج الشرطي كما فعل التشريع الجنائي العراقي الذي أخذ بالبداية بهذا الاتجاه العام عند صدور قانون اصول المحاكمات الجزائية رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١ ، ولكنه عاد فوضع تلك الاستثناءات بالتعديل الثاني لهذا القانون بالقانون رقم ٣٤ لسنة ١٩٧٤ ضمن المادة ٣٣١ فقرة د(٣٦) .

(٣٦) التي تنص على ما يلي :

يستثنى من احكام الافراج الشرطي المحكومون الآتي بيانهم :-

- ١ - المجرم العائد الذي حكم عليه بأكثر من الحد الاقصى للعقوبة المقررة للجريمة طبقا لاحكام المادة (١٤٠) من قانون العقوبات رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ او المادة (٦٨) من قانون العقوبات البغدادي .
- ٢ - المحكوم عليه عن جريمة ضد امن الدولة الخارجي او جريمة تزيف العملة او الطوابع او السندات المالية الحكومية .
- ٣ - المحكوم عليه عن جريمة وقاع او لواط او اعتداء على عرض بدون الرضا او جريمة وقاع او اعتداء بغير قوة او تهديد او حيلة على عرض من لم يتم الثامنة عشرة من عمره او جريمة وقاع او لواط بالمحارم او جريمة التحريض على الفسق والفجور .
- ٤ - المحكوم عليه بالاشغال الشاقة او السجن عن جريمة سرقة اذا كان قد سبق الحكم عليه بالاشغال الشاقة او السجن عن جريمة سرقة اخرى ولو كانت قد انقضت عقوبتها لاي سبب قانوني .
- ٥ - المحكوم عليه بالاشغال الشاقة او السجن عن جريمة اختلاس للاموال العامة اذا كان قد سبق الحكم عليه بالاشغال الشاقة او السجن عن جريمة من هذا النوع او الحبس عن جريمتي اختلاس متعاقبتين او اكثر او عن جريمة اختلاس مكونة من فعلين متتابعين او اكثر ولو كانت قد انقضت عقوبتها لاي سبب قانوني .

المبحث الثالث آثار الافراج الشرطي

تختلف آثار تطبيق نظام الافراج الشرطي باعتباره نظاما لاصلاح المجرمين باختلاف الحالة التي يكون عليها المفرج عنه تحت شرط وهذه الحالات هي ما يلي :

الحالة الاولى - خلال مدة الافراج الشرطي

الحالة الثانية - الاخلال بالتزامات الافراج الشرطي

الحالة الثالثة - انتهاء مدة الافراج الشرطي

ولتوضيح هذه الحالات الثلاث نبحث في :

الحالة الاولى : خلال مدة الافراج الشرطي

يعتبر المفرج عنه تحت شرط كأنه لا يزال تحت العقاب ، لأن الافراج الشرطي ليس انهاء للعقوبة ، وانما هو مجرد تعديل للمعاملة العقابية بما يتفق مع التطور الطارئ على شخصية المحكوم عليه ، وهو تطور معناه أن المعاملة في داخل المؤسسة العقابية قد استنفذت أغراضها بالنسبة له ، وأنه قد صار محتاجا الى معاملة من نوع جديد تكمل المعاملة الاولى وتمهد للحرية الكاملة . ووفقا لهذا التكييف فان المفرج عنه يعتبر - خلال فترة الافراج الشرطي - خاضعا لاجراءات تنفيذ العقوبة وان كان قد دخل بهذا الافراج مرحلة جديدة متميزة تماما عن المرحلة السابقة عليها ، ولا تنقضي العقوبة الا اذا تحول الافراج الشرطي الى افراج نهائي عند انقضاء فترة الافراج الشرطي دون الغائه وخلال تلك الفترة يتحدد الوضع العقابي للمفرج عنه بأعباءه خاضعا لمعاملة عقابية تقنع بتقييد الحرية ولا تقتضي سلبها . وهذه المعاملة تقوم على عنصرين : الرقابة والمساعدة ، وهذه

المعاملة مؤقتة بطبيعتها ، فلها مدة تنقضي ببلوغها وهذه المعاملة أيضا ، غير نهائية فهي قابلة للتعديل — بل والالغاء — خلال الفترة التي تمتد خلالها .

هذا ويلاحظ أن :

١ — الرقابة تستهدف اشراف السلطات العامة على سلوك المفرج عنه على نحو يتاح به العلم بهذا السلوك والتثبت مما قد ينطوي عليه من خلال الالتزامات المفروضة ثم تعديل المعاملة تبعا لذلك تعديلا قد تصل الى حد الغائها اذا ثبت أنه لم يعد جديرا بالافراج .

٢ — المساعدة تستهدف امداد المحكوم عليه بالامكانيات المادية والمعنوية التي تعينه على انتهاج الطريق المطابق للقانون وتنأى به عن الظروف التي قد تنحرف به الى الاجرام^(٣٧) .

ولهذه المعاملة العقابية أهميتها الجوهرية في نجاح نظام الافراج الشرطي باعتبار دوره العقابي التمهيد للتأهيل ، وهو اعتبار يقوم على افتراض عجز المحكوم عليه عن انتهاج طريقه في المجتمع دون عون من السلطات العامة ، واعتبار حالة الافراج الشرطي مرحلة انتقال بين سلب الحرية والحرية الكاملة ، كل ذلك يقتضي اخضاع المفرج عنه لهذه المعاملة العقابية بعنصرها .

وتتمثل هذه المعاملة العقابية في فرض التزامات هادفة عليه واسناد الاشراف على سلوكه الى شخص محل للثقة ، ويقابل هذه الالتزامات بعض الحقوق التي يتعين الاعتراف بها للمفرج عنه ازاء السلطات العامة ، وهي حقوق تقتضيها استفادته من المساعدات التي تقدمها له الدولة ويفترضها وضعه العقابي ذاته .

(٣٧) وقد أشارت الى ذلك المادة ٧٣١ فقرة ١ من قانون الاجراءات الجنائية الفرنسي فنصت على انه : « يجوز ان تقترن الاستفادة من الافراج الشرطي بالتزامات خاصة كتدابير مساعدة ومراقبة تتجه الى تسهيل تأهيل المفرج عنه والتحقق من ذلك » .

هذا ، ونلاحظ أن التشريعات الجنائية تختلف فيما بينها في تحديد الالتزامات المفروضة على المفرج عنه ، ولكن يوجد بينها أساس مشترك يهدف الى اعداد وتأهيل اجتماعي سريع وطبيعي يضاف الى ذلك وجود اتجاه عام فيها يقتضي ان تحدد تلك الالتزامات بحيث يكون الوفاء بها ممكنا دون مشقة بالغة ، ولا يكون ثمة تعارض بينها وبين الحقوق الاساسية للانسان والمواطن ، ولا يكون من شأنها عرقلة الجهود والمشروعة التي يبذلها المحكوم عليه لبناء مركزه في المجتمع (٣٨) .

لقد أجتهدت التشريعات الجنائية في كفالة خضوع المفرج عنه لرقابة السلطات العامة والتزامه سلوكا يباعد بينه وبين الانحراف الى الاجرام ، ولكن يؤخذ على بعض الشروط انها تقرر ذلك بتنظيم تدابير مساعدة تضمن

(٣٨) طبقا للمادة ٥٧ من قانون تنظيم لائحة السجون المصرية رقم ٣٩٦ لسنة

١٩٥٦ فقد صدر قرار وزير العدل في يوم ١١ يناير (كانون ثاني)

١٩٥٨ محدد في التزامات المفرج عنه ، وهي :

١ - ان يكون حسن السير والسلوك ولا يتصل بذوي السيرة السيئة .

٢ - ان يسعى بصفة جديدة للتعيش من عمل مشروع .

٣ - ان يقيم في الجهة التي يختارها ، ما لم تعترض جهة الادارة عن

تلك الجهة ، وفي هذه الحالة يجب على المفرج عنه تحت شرط ان

يقيم في الجهة التي تحددها جهة الادارة لاقامته .

٤ - لا يغير محل اقامته بغير اخطار جهة الادارة مقدما ، وعليه ايضا

ان يقدم نفسه الى جهة الادارة في البلد الذي ينتقل اليه فور

وصوله .

٥ - ان يقدم نفسه الى جهة الادارة التابع لها محل اقامته مرة واحدة

كل شهر في يوم يحدد لذلك يتفق وطبيعة عمله .

وتحدد المادة ٣٣٢ فقرة ب من قانون اصول المحاكمات الجزائية

العراقي بعض تلك الالتزامات المتمثلة بمنع المفرج عنه من التردد خلال

مدة الافراج على الحانات او الملاهي او منعه من الاقامة في اماكن معينة

او منعه من التردد عليها او ان تفرض عليه اي تدبير احترازي آخر مما

نص عليه في قانون العقوبات عدا المصادرة .

للمحكوم عليه امكانيات الاستقرار في مركز اجتماعي مطابق للقانون ويؤخذ عليها ، كذلك انها وضعت في صورة مجردة بحيث تفرض ذات الالتزامات على كل مفرج عنه في حين كانت الاصول العقابية مقتضية تحديدها على نحو يتيح تفريدها بحيث تفرض على كل مفرج عنه الالتزامات التي تتفق وشخصيته ويكون من شأنها التمهيد لتأهيله ويؤخذ عليها أنها صيغت على نحو افترض معه ان تظل مطبقة دون تعديل طيلة فترة الافراج الشرطي في حين تقضي مبادئ المعاملة العقابية الحديثة ان يرد عليها من التعديلات ما يجعلها متلائمة مع التطور الذي يطرأ على شخصية المحكوم عليه متفقة مع مقتضيات تأهيله وهي بطبيعتها متطورة ، ويعاب عليها في النهاية أنها أغفلت النص على خضوع المفرج عنه لاشراف هيئة أو شخص بعينه على شق طريقه الجديد في المجتمع ويقدم اليه الارشاد ويكون الواسطة بينه وبين السلطة المختصة بالغاء الافراج ، وقد غدا هذا الاشراف عنصرا جوهريا في تطبيق نظام الافراج الشرطي الحديث (٣٩) .

هذا ، وقد اجتهدت التشريعات الحديثة في تدارك المآخذ السابقة التي شابت الافراج الشرطي في صورته التقليدية : فالتشريع الفرنسي يضع في ذات المستوى من الاهمية تدابير المساعدة واجراءات الرقابة ثم يوحد بينها بالهدف وينص على : « جواز ان ترتعن الاستفادة من الافراج الشرطي

(٣٩) لقد اشار مؤتمر لاهاي الى ان من عوامل نجاح الافراج الشرطي ان توجد مساهمة فعالة ويقظة تباشرها هيئة للاشراف حسنة التدريب والاعداد وان يقدم جمهور الناس عونهم للمفرج عنه حتى تتاح له فرصة بناء حياته من جديد ، واشارت كذلك حلقة ستراسبورج للدراسات العقابية الى اهمية الاشراف في تطبيق نظام الافراج الشرطي ، وقررت ان واجبات المشرف لا تقف عند استقبال المفرج عنه وتلقي تقاريره عن سلوكه واجابته الى ما يطلبه من نصح او يعن له من استفسارات ، بل ان عليه ان يزوره في بيئته ويكون على دراية بحياته الخاصة والعائلية ويقدم اليه كل المساعدات المعنوية والمادية التي يقتضيها تأهيله .

بشروط خاصة وتدابير مساعدة ورقابة تستهدف تسهيل تأهيل المفرج عنه والتحقق من ذلك - المادة ٧٣١ من قانون الاجراءات الجنائية » . ويقرر قانون الاجراءات الجنائية أيضا « المادة ٧٣٢ فقرة » جواز تعديل هذه الشروط والتدابير اثناء فترة الافراج الشرطي . ويقرر خضوع المفرج عنه للاشراف الذي يقتضيه تطبيق الافراج الشرطي ، وتضيف « المادة ٧٣١ فقرة ٢ من هذا القانون » على ان تطبيق تدابير المساعدة والمراقبة يخضع لاشراف لجان يرأسها حاكم تطبيق العقوبات وتعاونه في ذلك جمعيات الرعاية المعترف بها قانونا ، وقد فصل التشريع الفرنسي ، بعد ذلك ، هذه التدابير وحدد أغراضها المباشرة وأسلوب تطبيقها : فبين ان تدابير المساعدة تستهدف مساندة الجهود التي يبذلها المحكوم عليه في سبيل تأهيله الاجتماعي ، وبصفة خاصة من الوجهتين العائلية والمهنية وقد تتخذ صورة معنوية أو مادية ، وتقوم عليها اللجان المختصة بمساعدة المفرج عنهم أو شخص يعهد اليه بذلك بصفة خاصة أو جمعيات الرعاية المعترف بها وبين بعد ذلك ان تدابير الرقابة تتضمن الالتزام بالاقامة في المكان الذي يحدده قرار الافراج الشرطي والاستجابة لكل استدعاء يصدر عن حاكم تطبيق العقوبات أو الشخص الذي يعهد اليه بالاشراف على سلوكه واستقبال زيارات هذا الشخص وتقديم المعلومات والمستندات التي تتيح له رقابة موارد رزقه ، وبالإضافة الى ذلك يجيز التشريع الفرنسي فرض التزامات خاصة على المفرج عنه تتفق مع ظروفه ومقتضيات تأهيله (٤٠) .

(٤٠) هذه الالتزامات هي تعويض الضرر الذي ترتب على الفعل واتبع تعليمات معينة متعلقة بمحل الاقامة أو التعليم أو العمل أو استغلال وقت الفراغ والخضوع لعلاج طبي والوفاء بالتزامات النفقة واداء مبلغ من النقود لمؤسسة ذات نفع عام والخضوع لرقابة وتوجيه مشرف يعهد اليه بذلك .

راجع : الدكتور محمود نجيب حسني : علم العقاب ، الصفحات (٥٣٨ - ٥٤٤) .

الحالة الثانية : الاخلال بالتزامات الافراج الشرطي

لاحظنا أن نظام الافراج الشرطي ليس حقا يطالب به المحكوم عليه لمجرد وفائه بشروط معينة ، وانما هو منحة أو امتياز يمنح له تبعا لتقدير السلطة المختصة في منحه ، وبالشروط التي ترى ان تقيده بها والواجبات التي ترى ان تفرضها على المستفيد منه ، ومن بين هذه الشروط هو عدم الاخلال بالتزامات التي يفرضها القانون على المفرج عنه طيلة مدة الافراج الشرطي المحددة بأمر الافراج (٤١) .

لذلك وعند مخالفة المفرج عنه الشروط التي وضعت للافراج، او عندما لم يتم بالواجبات المفروضة عليه ، فالجزاء التقليدي هو الغاء الافراج واعادة المفرج عنه الى السجن ليستوفي المدة الباقية من العقوبة المحكوم بها عليه (٤٢) .

هذا ويتفق التحديد الجديد للجزاء على هذا النحو مع التكيف الشرطي للافراج . فهو - كما سبق وقلنا - افراج معلق على شرط فاسخ هو الاخلال بالتزامات المفروضة ، فاذا تحقق الشرط انفسخ الافراج ، ولم يعد له تبعا لذلك وجود ، ويعد الغاؤه تبعا لذلك مجرد اقرار لهذا الوضع ، ولكن هذا التحديد المجرد للجزاء - كما هو واضح - يصطدم مع اعتبارات تفريد المعاملة العقابية ، فليس كل اخلال مبررا لالغاء الافراج ، فبعض حالات الاخلال قد تكون قليلة الخطر بما يجعل الالغاء غير متناسب معها ، وهي مع ذلك من الاهمية بحيث لا يجوز ان تترك بغير جزاء . وبالإضافة الى ذلك فانه لا يجوز النظر الى الاخلال من زاوية اقتضائه جزاء فحسب ، بل ينبغي ان ينظر اليه كذلك باعتباره كاشفا عن مقدار

(٤١) راجع : الدكتور علي احمد راشد : القانون الجنائي ، صفحة ٧٢١ دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٤ .

(٤٢) المادة (٥٩) من قانون تنظيم السجون المصرية .
راجع : الدكتور رؤوف عبيد : مبادئ القسم العام من التشريع العقابي المصري ، صفحة ٦٢٧ .

الخطورة الاجرامية ، ومقتضيا تبعا لذلك تعديلا في المعاملة ، ويقتضي ذلك ان يتخذ جزاء الاخلال بالالتزامات صورة تعديل المعاملة العقابية بما يتفق مع دلالة هذا الاخلال ، ويجوز ان يتخذ الجزاء صورة الغاء الافراج حين يكشف عن حاجة المحكوم عليه الى معاملة لا تتوافر الا في داخل المؤسسة العقابية . فان لم يكشف عن ذلك تعين ان يتخذ الجزاء صورة مختلفة . ومن الجزاءات التي يجوز ان يتخذها :

١ - الانذار (٤٣) .

٢ - التوبيخ

٣ - اضافة التزامات جديدة

٤ - اطالة المدة المتطلبية لتحويل الافراج الشرطي الى افراج نهائي (٤٤) .

لقد أشار القانون الفرنسي الى قابلية قرار الافراج الشرطي للتعديل المستمر خلال المدة المحددة له ، وقد اراد بذلك ان يكون التعديل صورة للجزاء متناسبة مع درجة الاخلال ، اما الغاء الافراج فيقصره على الاخلال الخطر ، وبصفة خاصة حالتي صدور حكم اداة تال وسوء السلوك البين (٤٥) .

ويترتب على الغاء الافراج الشرطي سلب حرية المفرج عنه (٤٦) ، ولا

(٤٣) من ذلك ما يقرره التشريع الجنائي العراقي (المادة ٣٣٢ فقرة هـ من قانون اصول المحاكمات الجزائية) ... » ... للمحكمة ان تستدعيه وتنذره بأنه اذا كرر الاخلال بذلك فانها تتخذ بحقه ما تراه مناسبا من الاجراءات ... »

(٤٤) اشارت الى هذه الجزاءات حلقة ستراسبورج للدراسات العقابية . راجع : الدكتور محمود نجيب حسني : علم العقاب ، صفحة ٥٤٨ .

(٤٥) المادتان ٧٣٢ و ٧٣٣ من قانون الاجراءات الجنائية الفرنسي (في قسمه الخامس) .

(٤٦) وفي ذلك يقول التشريع الجنائي المصري (المادة ٥٩ من قانون تنظيم السجون) « ... انه اذا خالف المفرج عنه الشروط التي وضعت للافراج عنه ، ولم يقم بالواجبات المفروضة عليه الفعي الافراج عنه واعيد الى السجن ليستوفي المدة الباقية من العقوبة المحكوم بها عليه ... » .



يعني ذلك حتما خضوعه لذات المعاملة العقابية التي كان يخضع لها قبل الافراج فقد يتبين تأثير الفترة التي امضاها خارج المؤسسة العقابية بحيث جعلته في حاجة الى معاملة من نوع مختلف^(٤٧) ، والاصل ان يترتب على الغاء الافراج الشرطي بقاء المحكوم عليه في المؤسسة العقابية كل الفترة المتبقية من العقوبة ان كانت محددة أو اقصى مدة ان كانت غير محددة وقد يفقد الامتيازات التي كان يتمتع بها كما قد يفقد حقه في منحه افراجا آخر الا بعد قضاء فترة معينة^(٤٨) .

نعتقد ان هذه الفترة قد تطول عند حساب مدة الافراج الشرطي التي قضى بعضها خارج المؤسسة العقابية يضاف لها العقوبة أو العقوبات التي قد يحكم عليه بها نتيجة خرقه للقانون وارتكابه جريمة جديدة بعد الافراج عنه .

ويحدد التشريع الجنائي العراقي (المادة ٣٣٣ فقرة ج) الآثار المترتبة على الغاء قرار الافراج الشرطي وهو اصدار قرار بالقاء القبض على من أفرج عنه بموجبه وايداعه السجن أو المؤسسة التي اخلي سبيله منها لتنفيذ ما اوقف تنفيذه من العقوبات .

(٤٧) راجع : الدكتور محمود نجيب حسني : علم العقاب ، صفحة ٥٤٩ .

(٤٨) راجع : الدكتور سعد المغربي وأحمد الهيبي : المجرمون ، صفحة ٣٧٥ مكتبة القاهرة الحديثة القاهرة ١٩٦٧ .

هذا ، ونلاحظ ان موقف التشريع المصري مخالف لهذا الاتجاه لانه يجوز بعد الغاء الافراج ان يفرج عن المسجون مرة أخرى ، اذا توافرت شروط الافراج السابق الاشارة اليها ، وفي هذه الحالة تعتبر المدة الباقية من العقوبة بعد الغاء الافراج كأنها مدة عقوبة محكوم بها ، فاذا كانت العقوبة المحكوم بها الاشغال الشاقة المؤبدة فلا يجوز الافراج قبل مضي خمس سنوات (المادة ٦٢ من قانون تنظيم السجون المصري) .

وعلى العكس نجد ان التشريع العراقي يصر على انه « ... لا يجوز اصدار قرار بالافراج بمقتضى هذا الباب - الرابع المتعلق بالافراج الشرطي - عن الفري قرار الافراج عنه ... » (المادة ٣٣٦ من قانون اصول المحاكمات الجزائية رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١) .

الحالة الثالثة : انتهاء مدة الافراج الشرطي

يتحول الافراج الشرطي الى افراج نهائي اذا انقضت مدته دون الغاء ، حيث تعتبر العقوبة قد نفذت ويكون الافراج نهائيا وتنتهي بالتالي المراقبة المفروضة على المفرج عنه الا اذا كان محكوما عليه بالمراقبة كعقوبة تكميلية أو كان الحكم الصادر ضده يستلزم حتما وضعه تحت المراقبة بعد انقضاء مدة عقوبته ، ففي هذه الحالة تستمر المراقبة ، ولكن ينزل المدة التي كان مراقبا فيها منذ كان مفرجا عنه تحت شرط (٤٩) .

ويرد سؤال عما اذا كانت العقوبة تعتبر منقضية من تاريخ الافراج الشرطي ، أم من تاريخ تحوله الى افراج نهائي ؟ يقتضي المنطق باقتران انقضاء العقوبة بالافراج النهائي - دون الافراج الشرطي ، والحجة في ذلك مستمدة من التكييف القانوني للافراج الشرطي ، فهو ليس انهاء للعقوبة ، ولكنه مجرد تعديل لاسلوب تنفيذها اقتضاء تطور شخصية المحكوم عليه ، ويعني ذلك ان العقوبة تستمر اثناء الافراج الشرطي . ولكن الشارع الفرنسي ذهب الى اعتبار العقوبة منقضية من تاريخ الافراج الشرطي (٥٠) . وهذا الحكم يستند الى الرغبة في تدعيم تأهيل المفرج عنه بالتقريب ما بين وضعه اثناء مدة الافراج الشرطي ووضع المفرج عنه نهائيا ومنحه مكافأة على وفائه بالتزاماته بالرجوع بتاريخ الافراج النهائي الى يوم الافراج الشرطي ، ولكن هذا الحكم لا يتسق مع تكييف الافراج الشرطي ويناقض وظيفته العقابية التي تفرض تضمنه معاملة عقابية واعتباره احدي مراحل التنفيذ العقابي (٥١) .

(٤٩) راجع : جندي عبد الملك : الموسوعة الجنائية ، مطبعة الاعتماد صفحة ١٠٥ الجزء الخامس مطبعة الاعتماد القاهرة ١٩٤٢ .

(٥٠) المادة ٧٣٣ فقرة ٤ من قانون الاجراءات الجنائية الفرنسي (في قسمه الخامس) .

(٥١) راجع : الدكتور محمود نجيب حسني : علم العقاب ، الصفحات (٥٥٠ - ٥٥١) .

ينص التشريع الجنائي المصري (المادة ٦١ من قانون تنظيم السجون) على ان يصبح الافراج نهائيا اذا لم يلغ الافراج الشرطي حتى التاريخ الذي كان مقررا لانتهاء مدة العقوبة المحكوم بها .

ويوضح التشريع الجنائي العراقي (المادة ٣٣٤ من قانون اصول المحاكمات الجزائية) اثار انتهاء المدة التي أوقف تنفيذها من العقوبة دون ان يصدر قرار بالغاء قرار الافراج الشرطي وهي سقوط جميع العقوبات التي أوقف تنفيذها عن المفرج عنه .

وللنائب العام (المدعي العام) المصري (المادة ٦٣ من قانون تنظيم السجون) النظر في الشكاوى التي تقدم بشأن الافراج الشرطي وفحصها واتخاذ ما يراه كفيلا برفع اسبابها وفي العراق تتولى محكمة التمييز النظر في تصديق القرار أو نقضه واعادة الاوراق الى المحكمة المختصة - بعد ان تكون قد ارسلتها تلك المحكمة وخلال عشرة ايام من تاريخ اصدار القرار منها (المادة ٣٣٧ من قانون اصول المحاكمات الجزائية رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١) .

ويعنى المفرج عنه تلقائيا من شرط المدة (ثلاث سنوات في الجنايات وستين في الجرح) اللازم مضيها لرد الاعتبار اذا انتهت مدة الافراج الشرطي دون الغائه (المادة ٣٤٣ فقرة د من قانون اصول المحاكمات الجزائية العراقي) (٥٢) .

وعلى ادارة السجن اخطار وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل باسماء المحكوم عليهم قبل الافراج عنهم بمدة كافية لا تقل عن شهرين ، لكي يتسنى في هذه المدة تأهيلهم اجتماعيا ، واعدادهم للبنية الخارجية مع بذل كل اسباب الرعاية والتوجيه اللازمة لهم (المادة ٦٤ من قانون تنظيم السجون) .

(٥٢) أضيفت الفقرة د من المادة ٣٤٣ بموجب القانون رقم ٣٤ لسنة ١٩٧٤ التعديل الثاني لقانون اصول المحاكمات الجزائية رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١ .

المراجع

٢ - التشريعات الجنائية العربية

- ١ - قانون اصول المحاكمات الجزائية العراقي رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١ .
- ٢ - قانون الاجراءات الجنائية الليبي لعام ١٩٥٣ وتعديله بالقانون رقم ١٨ لسنة ١٩٦٢ .
- ٣ - قانون بشأن العقوبات رقم ٣ لسنة ١٩٧٦ لليمن الجنوبية .
- ٤ - قانون تنظيم السجون المصرية رقم ٣٩٦ لسنة ١٩٥٦ .
- ٥ - قانون الجزاء الكويتي رقم ١٦ لسنة ١٩٦٠ .
- ٦ - القانون الجنائي المغربي رقم ٤١٣ لسنة ١٩٦٢ .
- ٧ - قانون العقوبات البغدادي لعام ١٩١٨ .
- ٨ - قانون العقوبات السوري رقم ١٤٨ لسنة ١٩٤٩ .
- ٩ - قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ .
- ١٠ - قانون العقوبات اللبناني رقم ٣٤٠ لسنة ١٩٤٣ .
- ١١ - قانون مصلحة السجون العراقي رقم ١٥١ لسنة ١٩٦٩ .

ب - الكتب والبحوث

- ١٢ - الدكتور اكرم نشأت ابراهيم : موجز الاحكام العامة في قانون العقوبات العراقي ، مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٩ .
- ١٣ - حسين جميل : نحو قانون عقابي موحد للبلاد العربية، معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ١٩٦٥ .
- ١٤ - جندي عبد الملك : الموسوعة الجنائية ، مطبعة الاعتماد ج ٥ القاهرة ١٩٤٢ .
- ١٥ - الدكتور رؤوف عبيد : مبادئ القسم العام من التشريع العقابي المصري، مطبعة نهضة مصر بالفجالة ١٩٦٢ .

- ١٦- الدكتور سعد المغربي واحمد الهيشي : المجرمون ، مكتبة القاهرة الحديثة
القاهرة ١٩٦٧ .
- ١٧- عبدالجبار عريم : الطرق العلمية الحديثة في اصلاح وتأهيل المجرمين
والجانحين ، مطبعة المعارف بغداد ١٩٧٥ .
- ١٨- الدكتور عز الدين علي الخيرو : اضواء على تطور حركة الدفاع الاجتماعي
ضد الجريمة ، مجلة كلية الاداب مطبعة الجاحظ العدد ٢١ المجلد ٢
بغداد ١٩٧٧ .
- ١٩- الدكتور علي احمد راشد : القانون الجنائي ، دار النهضة العربية القاهرة
١٩٧٤ .
- ٢٠- الدكتورة فوزية عبدالستار : مبادئ علم الاجرام وعلم العقاب ، دار
النهضة العربية القاهرة ١٩٧٢ .
- ٢١- الدكتور محمود نجيب حسني : علم العقاب ، دار النهضة العربية القاهرة
١٩٦٦ .
- ٢٢- الدكتور يسر انور علي والدكتورة آمال عبدالرحيم عثمان : علم العقاب ،
دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧١ .

النقل النهري في دجلة وامكانية تطويره

وزيره احمد رستم
كلية الاداب - جامعة بغداد

محتويات البحث

- ١ - المقدمة
- ٢ - لمحة تاريخية عن الملاحة النهرية في العراق •
- ٣ - النقل النهري في العراق •
- ٤ - الوصف الطبيعي لنهر دجلة •
- ٥ - واقع النقل النهري •
- ٦ - تطوير الملاحة في نهر دجلة •
- ٧ - وسائل النقل النهري •
- ٨ - مستقبل النقل النهري •

المقدمة

يمر العراق بمرحلة انمائية شاملة لجميع القطاعات الاقتصادية ومن ضمنها قطاع النقل والذي يعتبر بمثابة الشريان الذي ينقل الحياة والحيوية الى جميع اجزاء القطر •

وقد اهتمت حكومة الثورة اهتماما بالغاً في تطوير وتحسين مرافق النقل كافة لتكون بمستوى الحديث المتطور ولاستيعاب طاقات النقل نظراً لما لهذا القطاع من اهمية كبيرة في النهضة الاقتصادية والاجتماعية وجانب مهم لدفع

عجلة البناء الاقتصادي ولارتباطه الوثيق ببقية القطاعات الانتاجية . وقد شهد القطر تغييرات ثورية في مجالات النقل كافة سواء في مجال نقل البضائع او الركاب ، حيث يستعمل في الوقت الحاضر جميع وسائل النقل وطرقها لتلبية متطلبات النقل في هذا القطر . الا ان هناك بعض قطاعات النقل العاجزة عن تلبية متطلبات النقل الرئيسية وبصورة خاصة النقل النهري والذي لو تطور هذا النقل فليسوف يساهم مساهمة كبيرة في عملية النقل وبخاصة للبضائع اذا ما علمنا ان هناك مجموعة من الخطوط الملاحية فان بالامكان الاستفادة منها لهذا الغرض في نهري دجلة والفرات .

ويعتبر العراق هبة الرافدين حيث اسهم النهران اللذان يخترقانه من الشمال الى الجنوب ويمران باكثر مدنه المهمة وباهم مناطقه الزراعية في تذليل عوائق النقل منذ الازمان السالفة البعيدة التي سبقت استعمال الطرق البرية الاخرى كالقاطرات والسيارات .

لذا فقد وجهت اهتمامي الى هذا البحث الذي يتضمن دراسة عن النقل النهري في العراق ولاسيما على نهر دجلة بين محافظتي بغداد والبصرة لان القسم الاغلب من الملاحة النهرية الجارية فعلا هي في دجلة في القسم الواقع بين بغداد والبصرة . فهو اهم الطرق الملاحية في الوقت الحاضر وانشطها . اما الملاحة في بقية الانهار فهي محدودة جدا ولمسافات قصيرة وخلال مواسم معينة .

كما يتناول البحث مشكلة تأخر النقل النهري في العراق ودراسة العوامل التي ادت الى هذا التأخر وخصوصا على خط الملاحة في نهر دجلة كما يتضمن امكانية تحسينه وتطويره ومستقبل الملاحة في العراق بعامة .

لمحة تاريخية عن الملاحة النهرية في العراق

لقد استخدمت الشعوب القديمة الانهار التي وهبتها الطبيعة للنقل ولو بصورة بدائية . حيث يظن ان ابسط الطرق استخدمت للنقل على الماء هي الواح خشبية عريضة Rafts تطفو مع التيار في الانهار (١) .

وكان العرب قبل بزوغ فجر التاريخ بوقت طويل كغيرهم من الامم يصنعون القوارب من الجلود او جذوع الاشجار المجوفة او اية مادة اخرى ملائمة ويمخرون المياه الهادئة بالمجداف الصغير . فقد ركبوا البحر لصيد السمك وبداء الغوص فيه طلبا للؤلؤ . وقد تطورت الملاحة في معناها الصحيح عن هذه الاعمال الساذجة عندما اقدم الانسان على التوغل في البحر . وكان للموقع الجغرافي تأثير كبير ساعد على تطور الملاحة فتهيا للعرب الاتصال بالمراكز المهمة في العالم عبر المياه المغلقة في البحر الاحمر والخليج العربي يكملها النيل والفرات ودجلة ممران طبيعيان للملاحة بين حوض البحر المتوسط وشرق اسيا . فكان العرب يطلون من كلا جانبي جزيرتهم على طريقين من الطرق التجارية الكبيرة في العالم (٢) .

واهتم العراقيون منذ العهد البابلي والآشوري باستخدام دجلة والفرات وقنوات الري الرئيسية في النقل .

وفي العصر الاسلامي سرعان ما ادرك العرب اهمية القوة البحرية للفتح والتوسع وبعد اتصالهم بسكان السواحل كونوا لهم قوة بحرية على البحر المتوسط واستطاعوا ان يبعثوا بقوة بحرية من الخليج العربي الى السند (٣) .

(١) محمد سعيد نصر - جغرافية النقل - الطبعة الثانية - مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٤٧ .

(٢) جورج فضلو حوراني - العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة واول القرون الوسطى - ترجمة الدكتور يعقوب بكر - مكتبة الانجلو المصرية ص ٢٢-٢٤ .

(٣) James Hornell, water transport, origins, early Evolution, David Charles, Newton Abbot, 1970 PP. 230.

اما في العراق فقد كانت للملاحة النهرية شأن كبير في النقل خلال هذه الفترة ، وكانت للانهر الصدارة في طرق النقل القديمة التي سبقت الطرق البرية الاخرى^(٤) .

وفي العهد الحديث فقد ظهر الاهتمام الاوري بتطوير حركة النقل المائي في وادي الرافدين منذ مايزيد على قرن من الزمن وذلك حين ظهرت شركة لنج البريطانية على مسرح ولايتي البصرة وبغداد في نشاط اقتصادي عن استثمار الانهار في النقل . وفي عام ١٨٤٣ كانت الشركة قد حصلت على امتياز للملاحة في هاتين الولايتين ، وقد استمرت في تقديم خدماتها في شحن البضائع ونقل الركاب حتى الحرب العالمية الاولى ، حين ظهرت لأول مرة على ارض وادي الرافدين ظاهرة حديثة هي السكك الحديدية التي كانت المنافس الخطير لوسائط النقل المائي، وبقيت السكك الحديدية العمود الفقري للنقل في الطرق والواسطة الرئيسية حتى عام ١٩٥١ . فمنذ هذا التاريخ بدأت الحكومة بوضع الخطط لبناء شبكة حديثة من الطرق المعبدة^(٥) .

هذه لمحة سريعة في تاريخ الملاحة في العراق والتطورات التي مرت بها في القديم . وسنحاول ان نلقي نظرة عن وضع النقل النهرى في العراق في الوقت الحاضر .

النقل النهرى في العراق

يقصد بالنقل النهرى حركة النقل الجارية على الخطوط الملاحية في داخل العراق حاليا (انظر الخارطة رقم ١-) . والتي تشمل خط الملاحة في شط العرب أي خط (الفاو - القرنة) ، والخطوط الملاحية في نهر دجلة اي خط (بغداد - البصرة) وخط (بغداد - الموصل) وخط الملاحة في نهر

(٤) المهندس رشاد قزانجي - النقل النهرى في العراق - الملاحة في نهر دجلة - المؤتمر الهندسي العراقي الثامن ٢٣ - ٢٧ كانون الثاني ١٩٦٧ ، مطبعة المعارف ، بغداد ص ٣ .

(٥) Lord Salter, Iraq Development Board, The Development of Iraq, A plan of Action, 1955, PP. 62-63.

الفرات اي خط (انبصرة - هيت) • واخيرا هناك بعض الخطوط الملاحية الصغيرة في الجداول الواقعة في منطقة ميسان على الاخص^(٦) .

وتبلغ مجموع هذه الخطوط الملاحية النهرية داخل العراق نحو ٣٠٠٠ كيلو متر ، وهي تؤمن الملاحة لحد غاطس Draft يتراوح ما بين ٩٠ و١٠٠ متر الى ١٨٠ متر • وبعض هذه الخطوط تؤمن الملاحة طيلة ايام السنة عدا بعض المواسم القليلة المياه والتي تشح فيها المياه في الجداول والانهر الى درجة بحيث لا تكفي لامرار وسائط النقل النهرية لعدم وجود عمق من المياه كاف لها • هذا وان منشآت الري وجسور السيارات وجسور السكك الحديدية المشيدة على هذه الخطوط الملاحية مزودة بالاهوسة والفتحات الملاحية اللازمة لاغراض الملاحة^(٧) .

وقد كان لتطور وسائل النقل البري وتحسين شبكات الطرق وتوسيعاتها تأثير كبير ومباشر على تأخر النقل النهرى رغم رخص اجور النقل بواسطته كما يبدو في ادناه :

الكلفة بواسطة الطرق البرية يساوي ٥ فلوس لكل طن / كم

الكلفة بواسطة السكك الحديد يساوي ٣ فلوس لكل طن / كم

الكلفة بواسطة النقل النهرى يساوي ١ فلس لكل طن / كم

ويمكن اجمال الاسباب المؤدية الى تأخر النقل النهرى في العراق الى العوامل التالية :

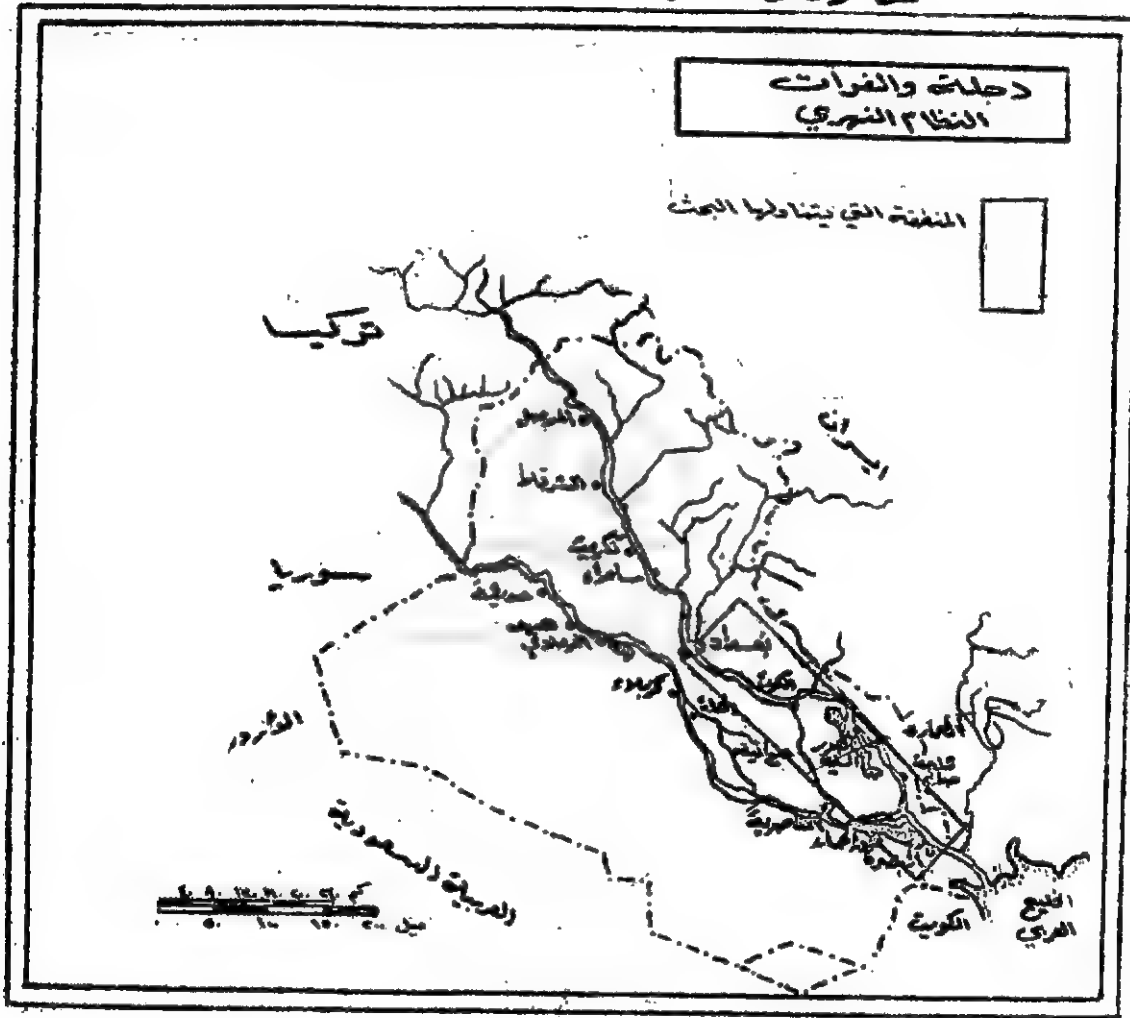
١ - كثرة الطمس المتراكم الذي ادى الى ان تكون بعض الجزر الصغيرة في منعطفات نهر دجلة ووجود تراكمات رملية متحركة في قاع الانهر تعيق الملاحة فيها •

(٦) التطور النوعي والمالي بقطاع النقل في العراق ، الجمهورية العراقية ، وزارة التخطيط كانون لاول ١٩٧١ ، ص ١٢٢ .

(٧) المهندس رشاد قزانجي ، صفحات ٣ - ٤

٢ - التغير الموسمي في مستوى المياه ووجود اقسام ضحلة ذات قيعان صخرية وانحدارات فجائية تؤثر على سرعة تيار المياه في بعض مناطق النهر والركود في مناطق اخرى خلال مواسم معينة^(٨) . حيث ان لطبيعة السطح والانحدارات اثرا في جريان الماء وسرعة التيار وملائمته لمرور السفن في الاتجاهين المضادين في حالتي الصعود والهبوط^(٩) . كما ان لاختلاف

خارطة رسم (١١)



- (٨) التطور النوعي والمالي ، صفحات ١٢٢-١٢٣ .
 (٩) الدكتور صلاح الدين الشامي ، جغرافية النقل والمواصلات ، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٥٦

منسوب الانهار من وقت الى اخر امرأ يجب ان لاتغفله ، ففي فصل الزيادة والفيضان يكون النقل عرضة لاضطراب النهر . وفي فصل التحريق (الصيهور) لا تستطيع المياه حمل المراكب الكبيرة . علما ان اطوار النظام النهري في العراق يظهر على الشكل التالي : الفيضان الشتوي المطري والفيضان الربيعي الواسع ثم الصيهور الصيفي والخريفي^(١٠) .

٣ - صدور اجراءات تأميم المؤسسات الانتاجية الكبيرة والحاقها بالقطاع العام عام ١٩٦٤ . ومن ثم الزام هذه المؤسسات بنقل منتجاتها بواسطة السكك الحديدية اضافة الى بدأ تسير القطارات على الخط العريض عام ١٩٦٦^(١١) .

وقد ادى الى تحول كميات كبيرة من البضائع التي كانت تنقل بواسطة النقل النهري الى السكك الحديدية اضافة الى ما حققه اكمال تبليط طريق (بغداد - البصرة) البري من زيادة في كفاءة النقل بواسطة السيارات .

٤ - عدم وجود علامات ملاحية في نهر دجلة مما تضطر الى السير اثناء النهار مما يسبب ذلك الى مضاعفة الوقت الذي تستغرقه السفرة الواحدة والتي تصل الى حوالي عشرة ايام في المواسم الطبيعية وهذه الفترة تعتبر طويلة اذا ما قورنت بالنقل البري بواسطة السيارات او السكك الحديدية^(١٢)

٥ - عدم وجود سدود وخزانات كافية لتنظيم توزيع المياه طيلة ايام السنة وبالتالي المحافظة على مستوى المياه في انهر العراق^(١٣) .

(١٠) الدكتور وفيق الخشاب والدكتور مهدي الصحاف ، الموارد الطبيعية - دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٦ ص ٢١٢ .

(١١) الدكتور احمد حسون السامرائي - محاضرات في جغرافية النقل ، مكتبة الدوري للطباعة . بغداد ١٩٧٦ - ١٩٧٧ ص ١١ .

(١٢) التطور النوعي والمالي ، نفس المصدر السابق ، ص ١٢٤ .

(١٣) شري المدرس - النقل في شط العرب - اطروحة ماجستير - مطبعة العاني - بغداد ١٩٦٩ ، ص ١٨

٦ - التوسع الزراعي المصحوب بعدم السيطرة على المياه التي اخذت تتسرب الى الاهوار والمستنقعات والذي يتطلب تحويل كميات كبيرة من مياه النهرين الى القنوات والجداول مما انقص مياه الانهار واضعف جريانها وبصورة عامة هذه الاسباب أدت الى تأخر النقل النهري في العراق اذا قورنت بوسائل النقل البري الاخرى كالسيارات والقاطرات التي تطورت بصورة سريعة وخاصة في السنوات الاخيرة بالنسبة لعدد المسافرين وكمية البضاعة المنقولة . وفي الحقيقة لم يطرأ اي تطور على النقل النهري في العراق منذ مدة طويلة لاسيما خلال السنوات العشر الاخيرة . لان امكانيات النقل النهري محدودة نسبيا في الوقت الحاضر بسبب صعوبة الملاحة في نهر دجلة لاسيما في فصل الصيف . ولهذا فان عدم انتظام الملاحة النهرية في دجلة جعل النقل النهري في العراق في تخلف دون سائر وسائل النقل الاخرى . وهناك عوامل عديدة ادت الى اضعاف الملاحة في نهر دجلة ، يضاف الى ذلك طبيعة مجرى النهر ذاتها التي سنحاول شرحها بالتفصيل .

الوصف الطبيعي لنهر دجلة

ينبع نهر دجلة من بحيرة كولجك الواقعة في منطقة جبلية بتركية الان ثم يتجه نحو الجنوب الشرقي حيث يلتقي مع رافد بطمانصو ثم موتانصو وتكون فائدة النهر في هذه المنطقة محدودة ثم تصل الى جزيرة ابن عمر في ديار بكر . وفي هذه المنطقة تتغير حالة النهر ومن ثم يدخل حدود العالم العربي عند قرية فيشخابور^(١٤) .

(١٤) الدكتور ابراهيم المشهداني - محاضرات في جغرافية العالم العربي - الجزء الاول - الطبعة الثانية ، مطبعة شفيق ، بغداد ١٩٧١ ، الصفحات

وتتصل بنهر دجلة بعد دخوله الحدود العراقية من ضفته اليسرى
خمس روافد رئيسية تمونه بـ ٦٥٧٧/ من مجموع مياهه السنوية .
وهذه الروافد هي ابتداء من الشمال الى الجنوب (١) الخابور (٢) الزاب
الكبير (٣) الزاب الصغير (٤) العظيم (٥) ديالى . فمنها قليل المياه وتجف
في فصل الصيف مثل نهر العظيم ومنها كثير المياه كالزاب الكبير الذي تعادل
كمية مياهه مجموع كمية مياه الروافد الاربعة الباقية (١٥) .

ويجري نهر دجلة بعد دخوله العراق في واد عميق حتى سامراء وبلد
حيث يدخل المنطقة الرسوبية الحقيقية وهو بذلك يشبه وضعية الفرات بين
القائم وهيت . ويكون سريع الجريان حتى يدخل المنطقة الرسوبية فتقل

سرعته ويكون الانحدار حتى الشقاط ————— بينما عند بلد —————
١٨٠٠ ٢٠٠٠

وعندما يدخل المنطقة الحقيقية يكون ————— ويجري النهر من بلد
١٤٥٠

الى الكوت في مجرى عميق منتظم ولكنه يكون عرضه للفيضان لعدم انتظام
مياهه او مياه توابعه ويمكن القول بان دجلة اقل انتظاما في جريانه من
الفرات وان مستواه عرض للارتفاع المفاجيء، ويختلف جريان توابع دجلة
التي يأتي معظمها من المنطقة الجبلية الملتوية وكذلك يختلف نظام تصريفها
باختلاف مصدر مياهها اي فيما اذا كان مطرا او ثلجا (١٦) .

وبالنظر لتباين نزول مياه الامطار ومياه الثلوج لذلك تباينت الروافد
في موسم ارتفاع مناسيها ، وتفيض مياه دجلة في قسمه الواقع جنوب

(١٥) الدكتور جاسم محمد الخلف — محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية
والاقتصادية والبشرية ، معهد الدراسات العربية العالية — جامعة الدول
العربية — ١٩٥٩ — ص ١٧٧

(١٦) كوردن هستند — الاسس الطبيعية لجغرافية العراق — تعريب الدكتور
جاسم الخلف الطبعة الاولى ١٩٤٨ ، ص ١٤٨ — ١٤٩ .

هذا القسم من دجلة من الكوت حتى القرنة مع قسم الفرات الواقع بين الهندية والخضر حيث ان المجرى الرئيسي يتوزع الى مجاري كثيرة توصل المياه الى مزارع الشلب والاهوار تتجمع ثانية لتكون مجرا واحدا^(١٧) .
ولكون نهر دجلة اقل ثباتا في فيضانه كما انه يجري في وادي اعرق من وادي الفرات لذلك فان دجلة اقل فائدة لاغراض الري من الفرات .

وهناك العديد من القنوات على جهتي النهر بين العمارة وقلعة صالح تأخذ مياهها من النهر . وهذه القنوات الموجودة تأخذ المياه الزائدة من المستنقعات لتعيدها ثانية الى النهر^(١٨) .

وتمتد الاهوار والمستنقعات من العمارة حتى الحدود الايرانية شرقا ومن العمارة حتى نهر الفرات غربا ولا يزيد ارتفاع مياه هذه المستنقعات والاهوار عن بضعة اقدام . وتوجد فيها عدة جزر فوق مستوى المياه وتقع عليها القرى التي يسكنها زارعو الشلب ورعاة الجاموس^(١٩) .

واقع النقل النهري

يتناول بحثنا هذا دراسة النقل النهري في دجلة ولا سيما على خط (بغداد - البصرة) فقط البالغ طوله ٦٨٥ كيلو مترا الذي يعتبر من انشط خطوط النقل النهري المتوفر حاليا في العراق واكثرها حركة وهو الخط المعمول عليه في نشاط النقل النهري في الوقت الحاضر . وذلك لان خط بغداد - الموصل لا توجد ملاحه فيه حاليا ، وعلى خط البصرة - هيت تستخدم وسائل نقل صغيرة ولمسافات قصيرة^(٢٠) .

(١٧) الدكتور ابراهيم المشهداني ، ص ٦٦ .

(١٨) A Handbook of Mesopotamia Vol. 1 General, Admiralty war staff, intelligence Division, August 1916 PP. 117-118.

(١٩) الدكتور ابراهيم المشهداني ، ص ٦٦ .

(٢٠) التطور النوعي والمالي ، ص ١٢٢ .

ويضاف الى ذلك ان نهر الفرات يعتبر اقل صلاحية للملاحة من نهر دجلة وعملية النقل فيه محدودة جدا وتقتصر على المسافات القريبة من مدن الفرات الاوسط ويزيد من مشكلة مروره بهور الحمار في القسم الواقع بين كرامة علي وسوق الشيوخ وتوزع مياهه في اقسامه الجنوبية على مساحات كبيرة وكذلك على الفروع والجداول التي تأخذ المياه منه لسقي مزارع الرز ، ولهذا فلا يصلح الا للسفن الشراعية والزوارق البخارية الصغيرة اللهم الا في موسم الفيضان وفي بعض اقسامه التي تصلح لسير البواخر الصغيرة ومع ذلك فهذه السفن تقوم بقسط كبير لتقل البضائع (٢١) .

غير ان امكانيات النقل النهري في دجلة تعتبر محدودة نسبيا بسبب صعوبة الملاحة فيه لاسيما حين ينخفض منسوب المياه في فصل الصيف (موسم قلة المياه في النهر) . وان المصاعب التي يواجهها الناقلون في نهر دجلة كثيرة أهمها :

١ - هبوط مناسيب مياه نهر دجلة في بعض اشهر السنة مما يعيق او يؤخر سير الجنائب (*) . ففي الاشهر آذار ونيسان وايار وحزيران في كل سنة تكون مناسيب المياه عالية حيث بالامكان تسيير وسائل النقل النهري وتحميلها بكامل طاقتها دون صعوبة تذكر وبنفس الوقت ايصالها من البصرة الى بغداد او بالعكس باقل مدة ممكنة وبارخص الاسعار . وفي الاشهر التي تهبط فيها مناسيب المياه في دجلة فان نسبة نقل الحمولات تقل ما بين ٤٠٪ من اصل حمولتها في الماء العالي - فالجنيبة التي تشحن بـ ٤٠٠ طنا (بكامل حمولتها) في مناسيب المياه العالية فليس بالمستطاع تحميلها اكثر من ٢٠٠ - ٢٤٠ طنا عند هبوط مناسيب المياه في النهر .

(٢١) الدكتور جاسم محمد الخلف ، ص ٣٤٧ .

(*) الجنائب راجع (ص ٧٠٧) .

٢ - كثرة الترسبات في نهر دجلة في منطقة المضائق والتي تقع ما بين العمارة والكسارة مما يعيق سير الجنائب والزوارق الآلية^(٢٢) ، علما ان كميات الطمي التي تحملها مياه نهر دجلة في الفيضان اكثر مما تحمله مياه نهر الفرات^(٢٣) .

٣ - كثرة المنعطفات والانحناءات وضيقها في بعض المناطق من نهر دجلة مما يصعب معه سير ودوران وسائل النقل النهرية .

٤ - وجود عوائق في النهر مما يشكل خطرا على سير الوسائط النهرية وخاصة عند ارتفاع منسوب المياه اذ لا يمكن ملاحظتها من قبل الملاحين دون وجود اشارات تهديهم الى وجود الخطر . واهم هذه العوائق هي سقوط صبات الاسس للمضخات الكبيرة المنصوبة على النهر والتي تتآكل ضفافها في تلك المنطقة وبقائها دون اتخاذ اي اجراء من اصحاب المضخات او الجهات المختصة لازالتها بعد سقوطها في الماء ..

تطوير الملاحة في نهر دجلة

ولغرض تحسين الملاحة في نهر دجلة بين بغداد والبصرة يمكننا تقسيم النهر من حيث صلاحيته للملاحة الى الاقسام التالية :

١ - النقل النهري بين البصرة - العمارة .

ان اكثر الاجزاء صعوبة للملاحة النهرية في هذا القسم بين بغداد والبصرة هو الجزء الواقع بين العمارة والكسارة لاسيما القسم الواقع منه بين نهر الطبر والكسارة بطول ٦٣ كيلو مترا والذي يعرف باسم المضائق . ان نهر دجلة في هذا القسم يضيق حتى يصل عرضه ٤٠ مترا ويوجد فيه انحناءات حادة يتراوح انحناء بعضها من ١٢٠ - ١٥٠ مترا تصعب فيها الملاحة .

(٢٢) المهندس رشاد قزانجي - الصفحات ٤ - ٧ .

(٢٣) سري المدرس - ص ١٨ .

ان العارض الرئيسي للملاحة هو عمق الماء القليل اثناء الصيهود اي في موسم قلة المياه في النهر والتي تكون عادة خلال الاشهر آب - ايلول - تشرين الاول وتشرين الثاني • وان السبب الرئيس في قلة المياه عند المضائق في معظم اشهر السنة هو الكمية غير المحدودة من المياه التي تأخذها خمسة من جداول الري الكبيرة التي تروي اراضي لواء العمارة وهي : المشرح والكحلاء والطبر والمجر الكبير والمجرية • وبوجود هذه الجداول مقدم منطقة المضائق فان المياه في نهر دجلة وخاصة اثناء النوبة الواطئة تدخل في تلك الجداول وتصبح منطقة المضائق غير صالحة للملاحة النهرية • وان الجنائب التي يزيد غاطسها عن ٩٠ م. من المتر لاتستطيع السير في هذا الجزء من النهر اثناء الصيهود في الوقت الحاضر ولذلك تعمل مناوبة لمدة يومين الى اربعة ايام في كل خمسة عشر يوما وذلك بسد بعض الجداول وهي البتيره والكحلاء والمجر الكبير وزيادة المياه من سدة الكوت ايضا لغرض زيادة كمية المياه خلال المضائق الى العمق الذي يسمح بمرور الجنائب •

وعليه وفي سبيل تحسين الملاحة في هذه المنطقة ، اي منطقة المضائق وجعلها متيسرة طيلة السنة فقد اقترح الاستشاريون (شركة ثامس الهندسية الامريكية) والخبراء السوفيت انشاء ناظمين احدهما في الكسارة والآخر قرب قلعة صالح واقترح ان يكون تصميم الناظمين المذكورين (اعلى تصريف) بمقدار ١٥٠ متر مكعب في الثانية وان يحتوي على (هويس) للملاحة وجدران الدلالة وسلم للاسماك •

٢ - النقل النهري بين العمارة والكوت

ان طريق الملاحة الحالي بين مدينتي الكوت والعمارة طوله ٢٥٧ كيلو متر • والنهر يسير باتجاه الجنوب الشرقي وفيه تعرجات كثيرة • لان المسافة بين الكوت والعمارة على خط مستقيم هي ١٢ كيلو متر ، بينما هي بطريق النهر ٢٥٧ كيلو متر • وعلى الجهة اليمنى من النهر توجد فتحة المصدق وذلك لتصريف مياه الفيضانات الزائدة التي تمر في نهر دجلة لتصبها

في الاهوار الواقعة في الجهة اليمنى من النهر وذلك عندما يزيد تصريف نهر دجلة عن ١٨٠٠ متر مكعب في الثانية عند فتحة المصدق ويكون منسوب الماء اكثر من ١٠٥ متر فوق مستوى سطح البحر .

هذا وان مجرى النهر ما بين الكوت والعمارة يتوقف على المياه التي تطلق من سدة الكوت وتشغيل (الهويس) وعلى المياه التي تأخذها جداول الري . ففي مقدم سدة الكوت يوجد ناظم مشروع الغراف الكبير وناظم مشروع الدجلة في الجهة اليمنى من النهر . ثم فتحة المصدق الالف الذكر . ثم جدول البتيرة الواسع في الجهة اليمنى من النهر عند مقدم مدينة العمارة . ويتفرع من النهر في الجهة اليسرى منه جدول الكحلاء والمشرح وعند بلدة العمارة يوجد ناظم قديم على جدول الكحلاء فقط .

ولتحسين الملاحة بين الكوت والعمارة سوف لا يحتاج الى عمل اي منشأ على النهر سوى اجراء الحفريات بواسطة مكائن (الدريجز) وانشاء العلامات الملاحية اللازمة .

٣ - النقل النهري بين الكوت وبغداد

ان سير الملاحة في هذا القسم من نهر دجلة ما بين بغداد والكوت متيسر طيلة السنة ولا يحتاج الى منشأ سوى وضع العلامات الملاحية الضرورية وذلك لان عمق الملاحة فيه متوفر وكمية المياه كافية .

ويبدو ان الملاحة بين بغداد والبصرة ستكون متيسرة طيلة السنة عند انشاء الناظمين الالف ذكرهما ، وعند انشاء العلامات الملاحية الضرورية على طول النهر واجراء الحفريات اللازمة بواسطة مكائن (الدريجز) ولا يعترضها سوى صعوبة واحدة وهي (هويس) سدة الكوت . وذلك لان منسوب قعر الهويس هو ٩٥ متر فوق سطح ولاجل تأمين عمق ملاحي في الهويس وهو ١٥ متر على الاقل فيجب ان يكون منسوب ماء النهر مؤخر السدة بما لا يقل عن ١١٠ متر والذي يمكن تهيئته اذا كان تصريف النهر مؤخر سدة الكوت لا يقل عن ١٨٥ متر مكعب في الثانية .

وكلما تحسنت خطوط الملاحة النهرية في دجلة وزادت حركة النقل ازدادت معها عدد اللذين يشتغلون بالنقل النهري بين بغداد والبصرة وازدادت معها ارباحهم . ولكن لم يطرأ اي تطور على النقل النهري في دجلة منذ مدة طويلة بسبب صعوبة الملاحة فيه ولاسيما عندما ينخفض منسوب المياه في النهر الى مستويات لا تسمح بمرور وسائل النقل النهرية^(٢٤) .

وسائل النقل النهري

بقيت الوسائل المستعملة في الوقت الحاضر كما كانت عليه منذ اكثر من نصف قرن تقريبا اضافة الى انخفاض اسعارها وتدهور اجور النقل بواسطتها . لذلك اصبح دور النقل النهري محدود بالنسبة لعملية النقل بصورة عامة . وان مشكلة تدهور وسائل النقل النهري قائمة الان في بلدنا وتشتد سنة بعد اخرى وبالقاء نظرة على الجدول رقم (١) الخاص بعدد السفن المحلية التي تشتغل في المياه العراقية وحمولتها سنرى هبوطها مستمرا في وسائل النقل النهري البالغ عددها ١٢٨٥ واسطة سنة ١٩٧٠ بنسبة ٢٨٪ عن سنة ١٩٥٠ ، ومثلها تقريبا عن سنة ١٩٦٠ . ويلاحظ ان الهبوط لازال مستمرا بعد سنة ١٩٧٠ . وقد حافظت الجنائب على عددها تقريبا من بين كافة الوسائل النهرية^(٢٥) . وتكون الجنائب غير الالية حوالي ٨٠٪ من مجموع وسائل النقل النهرية وتتراوح حمولتها بين ٢٠٠ الى ٦٠٠ طن^(٢٦) وتشمل الوسائل هذه ، الاصناف التالية :

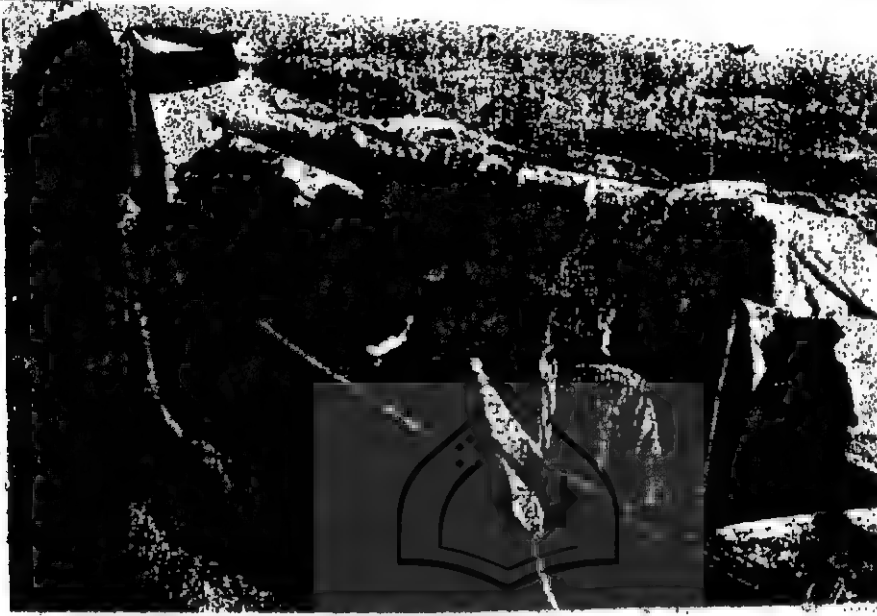
(٢٤) المهندس رشاد قزانجي ، الصفحات ٤-٥٥ .

(٢٥) التطور النوعي والمالي ، ص ١٢٤ .

(٢٦) قطاع النقل والمراسلات ، تقرير رقم (١) المنقح ، وزارة التخطيط . مجموعات عمل خطة التنمية القومية (١٩٧٦-١٩٨٠) . ايلول ١٩٧٤ ص ٩٠ .

١ - ابلام الية (المهيلات)

وهي اكبر القوارب المحلية حجما وتستعمل كثيرا بين البصرة وبغداد، ويختلف طولها بين ٣٠ - ٨٠ قدما • وتنقل حمولة بين ١٠ - ٥٠ طنا • وتستغرق السفرة من بغداد - البصرة من اسبوعين الى ثلاثة اسابيع في فترة المنسوب العالي بينما تستغرق من ٥ - ٧ اسابيع في زمن المنسوب المنخفض (شكل رقم ١)



شكل رقم (١)

٢ - سفن مجاديف (ابلام) •

تستعمل عادة لنقل العابرين فوق النهر ولكن تستخدم في بعض الحالات لنقل بضائع خفيفة الوزن من طن واحد وتستعمل ايضا لصيد الاسماك وخاصة الابلام الصغيرة عندما تستعمل الشبكات • وتنتشر الابلام قرب بغداد والبصرة (٢٧) • (شكل رقم - ٢) •

Al-Samarraie. Ahmed Hassoun, Transport in Iraq (A study in economic Geography) A thesis submitted to the University of Reading for degree of Doctor of Philosophy in april 1969 PP. 95-96. (٢٧)

٣ - شخاتير

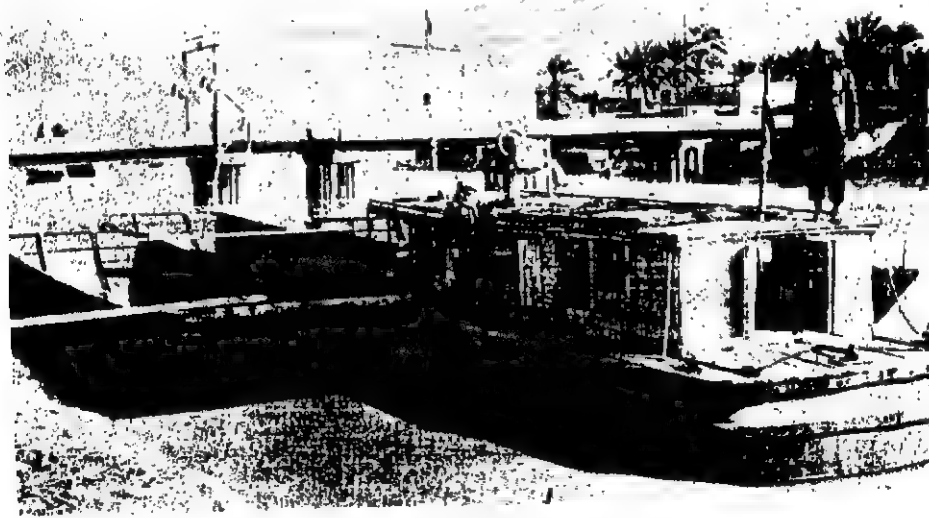
جمع شختور وهو قارب كبير من الخشب منبسط القاع (٢٨) •



شكل رقم (٢)

٤ - دوب (جنائب)

والدوب ذ جمع دوبة وهي تشبه الشختور في كونها زورق عريض منبسط القاع (٢٩) • (شكل رقم - ٣)



شكل رقم (٣)

(٢٨) سري المدرس - ص ١٠٩

(٢٩) الدكتور جاسم محمد الخلف ، ص ٣٤٧ •

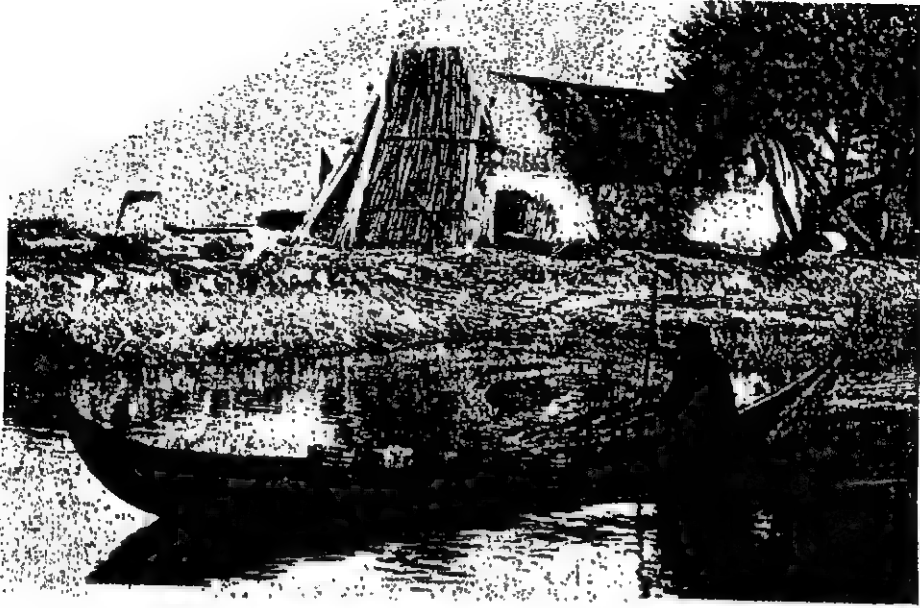
هي قارب مدور قطره يتراوح بين ٥ الى ٨ أقدام وتطلى بالقار من الداخل والخارج . تستعمل القفة محليا فقط لسفارات قصيرة مثل البلم وتتحرك بمجداف وان القفة المتوسطة الحجم تستوعب عشرة اشخاص وتستخدم ايضا لنقل البضائع والحيوانات . اما القفة الاكبر حجما فقد تنقل حوالي ٢٠ شخصا . وان هذه الواسطة للنقل شائعة على نهر الفرات .

٦ - الكلك

وهي واسطة للنقل في الجهات العليا من دجلة بالاخص شمال بغداد وفي الزابن . وتستخدم للنقل المحلي وعلى نطاق ضيق مع التيار النازل للنهر فقط . ومنذ اكمال ناظم سامراء قل استخدامها جاليا .

٧ - المشحوف

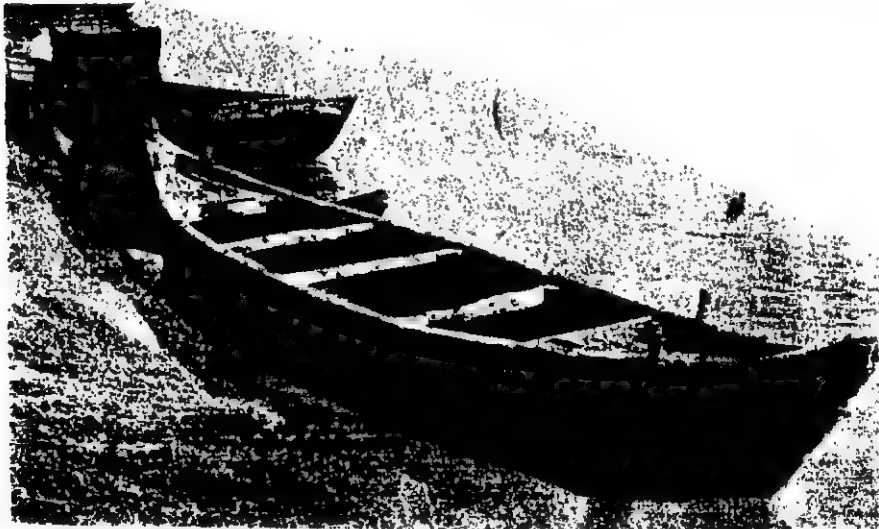
وهو قارب خفيف اشبه بالبلم يصنع من الواح القصب الخفيف والمطلي بالقار . والمشحوف شائع في محافظات العمارة والبصرة والناصرية في جنوب العراق في مناطق الاهوار . والمشحوف واسطة النقل الرئيسية لسكان الاهوار وتملك تقريبا كل عائلة واحدا منه ، وقد تملك بعض العوائل الغنية (٤) مشاحيف . ويستعمل المشحوف لنقل الاشخاص والحيوانات ومحاصيل الاهوار ايضا وكذلك يستعمل لصيد الاسماك^(٣٠) . (شكل رقم - ٤)



شكل رقم (٤)

٨ - الكعود :

يجري الكعود بواسطة الدفع بمرادي غليظة (وهو عمود من القصب الغليظ) وقد يستعمل الشراع في بعض الكعود ، وفي اكثر الاحيان تربط هذه الوساطة مع الزوارق البخارية ذهابا وايابا . ويستخدم الكعود لنقل القصب والبردي والرز والتمور والامتعة الثقيلة الى داخل هور الحويزه او الى مراكز النواحي المجاورة للهور^(٣١) . (شكل رقم - ٥)



شكل رقم (٥)

(٣١) ماجد السيد ولي محمد - هور الحويزة ، دراسة بشرية ، رسالة ماجستير
كانون الاول ١٩٦٧ ، الصفحات ١٤٤ - ١٤٧ - ٢٤٨ .

ويتركز نشاط هذه الوسائط غالبا داخل شط العرب وكذلك على خط
بصرة - بغداد حيث تستعمل عند تفريغ وتحميل البواخر الراسية في الموانئ
كما تقوم بعض السفن الشراعية الكبيرة والدوب بنقل البضائع بين الموانئ
العراقية وموانئ الخليج العربي .

واذا ما ركزنا على نشاط السفن النهرية التجارية (الدوب) العاملة على
خط بصرة - بغداد نشاهد ان معدل عدد السفرات الجنبية (الدوبة) الواحدة
(راجع الجدول رقم - ٢ -) كان يتراوح بين (٨-٧) سفرات خلال الفترة
(١٩٥٠-١٩٦٠) ثم نخفض المعدل الى (٣) سفرات في سنة ١٩٧٠ والى اقل من
ذلك سنة ١٩٧٥ ، مع ملاحظة عدم حصول انخفاض في معدل حمولة الواسطة
في السفرة الواحدة ، خلال هذه الفترة مما يدل على ان السفن تأخذ حمولة
كاملة لكل سفراتها ، وبعد ان كان معدل اجر الطن الواحد المنقول على هذا
الخط لا يقل عن (٢) دينار حتى عام ١٩٥٨ اصبح في الوقت الحاضر لا يتجاوز
(١٥) دينار في اغلب الاحوال .

ونستدل من الجدول (رقم - ٣ -) بان النقل النهري قد اعتمد بالدرجة
الاولى على الزوارق البخارية الصغيرة والالية بكونها وسائط تلائم قلة عمق
المياه لذلك حافظت على عددها خلال السنوات ١٩٥٩-١٩٦٩ ، وقد بلغت نسبة
الزيادة في عام ١٩٦٩ بما يقارب المرة والنصف المرة عن السنة السابقة ١٩٥٩ ،
ثم انخفض العدد منذ عام ١٩٧٠ ولغاية عام ١٩٧٥ .

جدول رقم (١)

عدد السفن المحلية التي تشتغل في المياه العراقية وحمولتها بالاطنان
للفترة ١٩٥٠ - ١٩٧٢ (٣٢)

السنة	اطلام اليه امهيلات	سفن	مجاذيف اطلام	شخاتير دوبات كمود (جنائب)	تقاري المجموع الحمولة (بالاطنان)	١٩٧٢	١٩٥٠
٩٥١/٩٥٠	٢٩٠	٧٨٠	١٣٠	٤٧٦	٧٨	١٩	١٣٧٥٨٧
٩٥٢/٩٥١	٢٣٦	٧٤٩	١٣٤	٥٠٣	٨٠	٢٤	١٣٩٠١٢
٩٥٣/٩٥٢	٢٣٥	٧٤٤	١٣٥	٥٠٥	٨٠	٢٤	١٣٩٤٠٠
٩٥٤/٩٥٣	٢٣٤	٧٤٠	١٣٤	٥٠٧	٧٨	٢٤	١٣٩٦٠٠
٩٥٥/٩٥٤	٢٢٧	٧٣٤	١٦٤	٥٢٠	٧٣	٢١	١٤٣٤٢٥
٩٥٦/٩٥٥	٢٢٧	٧٢٩	١٦٢	٥٣٥	٧١	٢٠	١٤٦١٨٢
٩٥٧/٩٥٦	٢٢٠	٧١٨	١٥٠	٥٤٢	٥٩	٢٠	١٤١٩٣٢
٩٥٨/٩٥٧	٢١٢	٦٨٥	١٤٢	٥٤١	٥١	١٨	١٤٥٥٠٢
٩٥٩/٩٥٨	٢٠٩	٦٧٠	١٣٦	٥٨٣	٤٠	١٠	٢٦٨١٤٠
٩٦٠/٩٥٩	٧٤	٥٢١	١٧٦	٥٩١	٤٠	٧	٢٦٥٥٤٠
٩٦١/٩٦٠	١٣٦	٦٤٠	١٥٨	٦٢٩	٥٩	٦	٢٨٠٤٧١
٩٦٢/٩٦١	١٣٤	٦٣٦	١٥١	٦٢٩	٥٧	٦	٢٨٠٤٧١
٩٦٣/٩٦٢	١٣٠	٤٩٣	١٥٠	٤٧٠	٥٦	٥	٢٢٢٨٢٩
٩٦٤/٩٦٣	١٢٠	٥٨٥	١٣٤	٥٠٠	٥٥	٤	٢٥٢٨٧٩
٩٦٥/٩٦٤	١٢٠	٥٨٩	١٢٤	٤٨٠	٥٤	٤	٢٤٨٨٧٧
٩٦٦/٩٦٥	١١٦	٥٨٨	١٠٩	٤٧٩	٥٤	٤	٢١٨٤٦٩
٩٦٧/٩٦٦	١١٥	٦٠٠	١١٦	٤٦٩	٥٤	٤	٢١٨٥٨٩
٩٦٨/٩٦٧	١٠٢	٥٩٧	١٠٧	٤٦٠	٥٢	٤	٢١٨٠٥١
٩٦٩/٩٦٨	١٠٠	٥٣٧	١٠٧	٤٧٨	٥٢	٤	١٣٥٦٩٨
٩٧٠/٩٦٩	٩٥	٥٥٩	١١١	٤٦٦	٥٠	٤	١٣٧٩١١
٩٧١/٩٧٠	٨٦	٥٦٥	١٠٦	٤٥٧	٤٩	١	١٤٠٣٠٤
٩٧٢/٩٧١	٨٦	٥٥٤	١٠٧	٤٥٦	٤٩	١	١٣٩٦٨٠ (٣٣)

(٣٢) التطور النوعي والمالي ص ١٢٦ .

(٣٣) مصلحة الموانئ العراقية - التقرير الاحصائي السنوي ١٩٧٢ ص ٤٥ .

جدول رقم (٢)

عدد السفن النهرية البخارية التي تشتغل بين بغداد والبصرة
وعدد السفرات التي قامت بها (٢٤)

السنين	العدد	السفرات صعودا	السفرات نزولا
١٩٥٠	٥٤	١٨٠	١٩٠
١٩٥١	٤٢	٢٠١	٢٠٨
١٩٥٢	٤٢	٢٠٠	٢٠٣
١٩٥٣	٣٨	٢٠٠	١٩٦
١٩٥٤	٣٦	٢١٢	٢١٤
١٩٥٥	٣٦	٢٢٤	٢٢٤
١٩٥٦	٤١	٢٢٩	٢٢٩
١٩٥٧	٢١٣	١٣٠٧	١٣٠٧
١٩٥٨	٢٠٩	٨١٦	٨١٦
١٩٥٩	٢١٣	١٠٢٥	١٠٢٥
١٩٦٠	٢٦٤	١١٠٥	١١٠٥
١٩٦١	٢٧٠	٩٧٩	٩٧٩
١٩٦٢	٢٤٦	٨٨٧	٨٨٧
١٩٦٣	٢٤٠	٥٩٩	٥٩٩
١٩٦٤	٢٧٥	١١٠٠	١١٠٠
١٩٦٥	٢٤٦	٩٩٤	٩٩٤
١٩٦٦	٢٠٢	٩٢٤	٩٢٤
١٩٦٧	٢٠٢	٨٣٥	٨٣٥
١٩٦٨	٩٩	٤١٥	٤١٥
١٩٦٩	٢٣٨	٣٦٧	٣٦٧
١٩٧٠	٢٣٨	٣٣٩	٣٣٩
١٩٧١	١٠٣	٣١٣	٣١٣ (٢٥)
١٩٧٢	٩٨	١٦٨	١٦٨
١٩٧٣	٤١	١٤٠	١٤٠
١٩٧٤	٩٢	٩٢	٩٢

(٢٤) التطور النوعي والمالي - ص ١٢٧ .

(٣٥) المؤسسة العامة للموانئ العراقية - التقرير الاحصائي السنوي - ١٩٧٥

ص ٤٤ .

جدول رقم (٣)

عدد الزوارق البخارية خلال الفترة ٥٩ - ١٩٧٤ (٣٦)

السنة	عدد الزوارق البخارية
١٩٦٠/٥٩	٧٠٩
١٩٦١/٦٠	٨٧١
١٩٦٢/٦١	٩٠٢
١٩٦٣/٦٢	٩٧٢
١٩٦٤/٦٣	٩٦٨
١٩٦٥/٦٤	٩٦١
١٩٦٦/٦٥	٩٧٨
١٩٦٧/٦٦	١٠٠٦
١٩٦٨/٦٧	١٠٤٧
١٩٦٩/٦٨	١٠٧١
١٩٧٠/٦٩	١٠٥٧ (٣٧)
١٩٧١/٧٠	١٠٣٩
١٩٧٢/٧١	١٠٤١
١٩٧٣/٧٢	١٠٣٦
١٩٧٤/٧٣	١٠٠٦
١٩٧٥/٧٤	٩٨٨

وهكذا يبدو جليا مدى تدهور وسائط النقل النهري والتخلف الذي أصابه على مر السنين بمقارنته مع تطور وسائط النقل الأخرى (٣٨) . وإن ذلك يمثل انعكاسا لعدم تطور النقل النهري في السنوات الماضية الأمر الذي يعزي إلى مايلي :

(٣٦) نشرة احصاءات النقل والمواصلات للفترة ١٩٦٠ - ١٩٦٩ وبعض التوقعات للفترة ١٩٧٠ - ١٩٧٥ - دائرة احصاءات النقل والمواصلات آب ١٩٧٠ ص ١٣٩

(٣٧) التقرير الإحصائي السنوي ١٩٧٥ ص ٤٤

(٣٨) التطور النوعي والمالي ص ١٢٥ .

- ١ - الزام المؤسسات الحكومية باستخدام السكك الحديدية وسيارات شركة النقل البري لنقل بضائعها وبصورة خاصة بعد سنة ١٩٦٤ .
- ٢ - عدم صلاحية الانهر وانعدام اعمال تحسين الملاحة .
- ٣ - زيادة الاستثمارات في مجالي النقل بالسكك الحديدية والنقل على الطرق البرية وتطوير هذين المرفقين .
- ٤ - توفر عامل السرعة في النقل بالسكك الحديدية والنقل على الطرق وضعف في النقل النهري (٣٩) .

مستقبل النقل النهري

ان استخدام النقل المائي ووسائله في الانهار الصالحة للملاحة مهم وضروري من وجهة النظر الاقتصادية لانه السبيل الوحيد لنقل السلع الثقيلة الوزن الكبيرة الحجم بتكاليف معقولة . ومع ذلك فان هذه الوسيلة تتميز بالبسط الشديد اكثر من اي وسيلة اخرى ويعني البطء الشديد من ناحية اخرى . اي لسلع المنقولة تكون عادة من الانواع والاصناف التي تحتل التأخير والتعطيل والبطء ، وهذه الصفات مجتمعة تمكن النقل النهري من تأدية وظيفته في خدمة التجارة وتنمية الانتاج وان ينافس النقل البري على السيارات او سكة الحديد . بل ان تلك المنافسة تكون مجدية من وجهة النظر الاقتصادية لانها تؤدي الى خفض اجور كل من هاتين الوسيلتين الاخيرتين (٤٠) .

ويبدو ان لتحسين الملاحة النهرية اثرها الكبير في تنشيط حركة النقل النهري والحركة التجارية والتخفيف من الضغط المتزايد على طرق المواصلات البرية اضافة الى تخفيض تكاليف نقل المواد والسلع (٤١) . لذا فقد اهتمت الحكومة العراقية منذ مدة طويلة باستدعاء المؤسسات الاستشارية المختصة

(٣٩) قطاع النقل والمواصلات ، ص ٩١ .

(٤٠) الدكتور صلاح الدين الشامي ، ص ٦٣ .

(٤١) التطور النوعي والمالي ، ص ١٢٨ .

لدراسة تنظيم وتحسين النقل النهري في العراق في النهرين الرئيسين دجلة والفرات فاستدعت الشركة الاستشارية الامريكية الهندسية والتي اشتهرت باسم - ثامس - للدراسة واجراء التحريات وتقديم التقرير لتحسين الملاحة في نهري دجلة والفرات . غير ان عدم انتظام الملاحة النهرية في دجلة جعل النقل النهري في العراق في تخلف دون سائر وسائل النقل الاخرى^(٤٢) ، الامر الذي حدا بالمسؤولين الى اتخاذ الخطوات اللازمة لتحسين الملاحة في نهر دجلة بين بغداد والبصرة ليكون هذا الخط صالحا للملاحة طيلة اشهر السنة .

ولقد سبق وان عهدت دراسة قسم الملاحة لقسم من نهر دجلة الواقع بين بغداد والبصرة الى خبراء من الاتحاد السوفيتي خلال عام ١٩٦٠ ، وقد اتم الخبراء هذه الدراسة واعدت التصميمات اللازمة الى ان اجراء فعليا لم يحدث بخصوص التنفيذ وابرار المشروع الى حيز الوجود . وبقي الموضوع قيد الدرس حتى عام ١٩٦٨ اذ تقرر بعد هذا التاريخ اتخاذ الاجراءات الفعلية في التنفيذ وقسمت المشروعات المشمولة بالتحسين الى قسمين اصبحت مصلحة الموائى مسؤولة عن تنفيذ قسم منها ومديرية السدود والخزانات في وزارة الري مسؤولة عن تنفيذ القسم الاخر .

وقد تمت عمليات المسح لبعض الاعمال منها تعريض وتعميق النهر - تهذيب تعرجات مجرى النهر - وضع علامات ملاحية - انشاء ارصعة لرسو الجنائب ، وبوشر بالتنفيذ الفعلي في اعمال الحفر كما انجز صنع العلامات ويجري الان نصب هذه العلامات كما يؤمل المباشرة بتنفيذ الارصفة في بغداد^(٤٣) . كما بوشر بالعمل في انشاء ناظمي قلعة صالح وناظم الكسارة منذ عام ١٩٧٥/٢/١٩ .

(٤٢) المهندس رشاد قزانجي ، ص ٥ وص ٢٦ .

(٤٣) قطاع النقل والمواصلات ، ص ٨٧ - ٨٩

والى جانب ذلك هناك اعمال اخرى على وشك الانجاز وهي انشاء نواظم على صدر جداول المجرية والكحلاء والمشرح ، وكذلك انشاء سدود جانبية وبزل تخلف السداد وتكسيه بعض المواقع (٤٤) .

هذا اضافة الى ان هناك اعمال تكميلية اخرى للمشروع منها بناء الارصفة والمخازن وورش اللازمة لخدمة اغراض المشروع في المحطات الرئيسية على امتداد مسار النهر بين بغداد والعزيزية والكوت والبصرة (٤٥) .

وان انجاز هذه الاعمال الحيوية سوف يؤدي الى مايلي :

١ - استعمال الطاقة المتوفرة لحمولة وسائط النقل الحالية في جميع المواسم وعدم الانتظار او الاعتماد على فتح الماء من سدة الكوت .

٢ - تقليل مدة السفر التي تستغرقها الواسطة .

٣ - التخفيف من حركة المرور المتزايد على الطريق البري بين بغداد - البصرة .

ويظهر مما سبق ان النقل النهري متخلف في العراق بسبب قلة حصول اي زيادة في كفاءة تشغيل وسائط النقل النهري او في حجم نشاطها بمقارنته مع التطور الكبير الذي حصل في مجالات النقل الاخرى . لذا يمكن اعتبار النقل النهري من فروع النقل القديمة بالنسبة للعراق ، وتقع تبعية تخلفه اساسا على طبيعة نهري دجلة والفرات من جهة ، وعدم شمولية البرامج الاقتصادية ولغرض تحسين النقل النهري وتطويره ظهرت عدة محاولات منها :

(٤٤) كمال عبدالقادر ولي - رئيس المهندسين - دائرة النقل والمواصلات ، وزارة التخطيط

(٤٥) اديب جورج - منجزات المنشأة النقل النهري لغاية نيسان ١٩٧٧ - منشأة النقل النهري .

١ - قامت الجهة المختصة في مصلحة الموانئ العراقية باجراء الدراسات اللازمة التي تبين الواقع الحالي للنقل النهري وكيفية تطويره والسبل الكفيلة بالاسراع في هذا التطور بهدف الاستفادة من مشروع تحسين الملاحة النهرية باقصى ما يمكن .

٢ - تطوير دراسات تحسين الملاحة في نهر الفرات ودراسة امكانية المباشرة ببعض المشاريع المتعلقة بها ، لغرض تنشيط الحركة التجارية والزراعية والصناعية في المنطقة الواقعة على هذا الخط (٤٦) .

٣ - العمل على فتح مدرسة لملاحة النهرية في مدينة بغداد لتدريب العراقيين على العمل النهري والملاحة النهرية ، وسيصل القطر قريبا وجبة من الخبراء اليوغسلافيين لهذا الغرض .

٤ - تشغيل الجنائب التي وصلت للقطر مؤخرا على ظهر الاسطول النهري لنقل الحبوب من البواخر الراسية في ميناء الفاو وميناء ام قصر الى سايلو البصرة اضافة الى نقل البضائع الاخرى كالسمنت والتمور وغيرها للمساهمة في عملية النقل والتخفيف عن وسائل النقل العراقية الاخرى . وقد اعدت مؤسسة النقل المائي الكوادر اللازمة للعمل على ظهر الاسطول النهري حيث عاد الى بغداد عدد من المهندسين والفنيين العراقيين بعد ان اكملوا تدريبهم في يوغسلافيا (٤٧) .

(٤٣) اديب جورج منشأة النقل النهري - منجزات المنشأة النقل النهري لغاية نيسان ١٩٧٧ .

(٤٦) التطور النوعي والمالي - نفسه المصدر السابق - الصفحات ١٢٨ - ١٢٩

(٤٧) رسالة النقل - مجلة فصلية تعنى بشؤون النقل تصدرها وزارة النقل ، العدد الثالث ، كانون الثاني - ١٩٧٧ ، ص ٤٤ .

٥ - تم تسلم بعض وحدات الاسطول النهري كزوارق الخدمات لنقل الملاحين ونقل الوقود وورشة التصليح الى جانب الجنايب والقاطرات المسلمة منذ تاريخ ١٩٧٧/١/٩ ولحد ١٩٧٧/٤/٢ ، والمتوقع استلام القسم الاخير خلال هذه الفترة .

٦ - تم الاتفاق المبدئي وتوقيع البروتوكول مع شركة النقل النهري اليوغسلافية على ان تقوم الشركة المذكورة بارسال خبيرين للعمل في المنشأة لمدة ستة اشهر وقبول الشركة المذكورة تزويد المنشأة بخمسين ربان وخمسين ميكانيك (٢٨) .

مراجع البحث

- Al-Samarraie, Ahmed Hassoun, Transport in Iraq (A study in Economic Geography) A thesis submitted to the University of Reading. or Degree of Doctor of Philosophy in April 1969. (١)
- James Hornell, water transport, Origins, early Evolution, David Charles, Newton Abbot, 1970. (٢)
- Lord Salter, Iraq Development Board, the Development of Iraq, Aplan of Action 1955. (٣)
- Handbook of Mesopotamia, Vol. I General, Admiralty war staff, Intelligence Division, August 1961. (٤)
- ٥ - المهندس رشاد قزانجي - النقل النهري في العراق - الملاحه في نهر دجلة - المؤتمر الهندسي العراقي الثامن ٢٣ - ٢٧ كانون الثاني ١٩٦٧ - مطبعة المعارف - بغداد .
- ٦ - الدكتور صلاح الدين الشامي - جغرافية النقل والمواصلات - مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٠ .
- ٧ - محمد سيد نصر - جغرافية النقل - الطبعة الثانية - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٥٩ .
- ٨ - الدكتور وفيق الخشاب والدكتور مهدي الصحاف - الموارد الطبيعية - دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٦ .
- ٩ - الدكتور ابراهيم المشهداني - محاضرات في جغرافية العالم العربي - الجزء الاول - الطبعة الثانية - مطبعة شفيق - بغداد - ١٩٧١ .
- ١٠ - الدكتور جاسم محمد الخلف - محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية - معهد الدراسات العربية العالية - جامعة الدول العربية - ١٩٥٩ .
- ١١ - التطوير النوعي والمالي لقطاع النقل في العراق - الجمهورية العراقية - وزارة التخطيط - كانون الاول ١٩٧١ .

- ١٢- سرى المدرس - النقل في شط العرب - اطروحة ماجستير - مطبعة
العاني بغداد ١٩٦٩ •
- ١٣- ماجد السيد ولي محمد - هور الحويزة - دراسة بشرية - اطروحة
ماجستير - كانون الاول ١٩٦٧ •
- ١٤- جورج فضلو حوراني - العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور
القديمة ووائل القرون الوسطى ترجمة الدكتور يعقوب بكر - مكتبة
الانجلو المصرية •
- ١٥- قطاع النقل والمواصلات - تقرير رقم (١) المنقح - وثيقة رقم (١)
المنقحة - وزارة التخطيط - مجموعات عمل خطة التنمية القومية (٧٦-
١٩٨٠) ايلول ١٩٧٤ •
- ١٦- نشرة احصاءات النقل والمواصلات للفترة ١٩٦٥ - ١٩٦٩ وبعض
التوقعات للفترة ١٩٧٠ - ١٩٧٥ - دائرة احصاءات النقل والمواصلات
اب ١٩٧٠ •
- ١٧- مصلحة الموانئ العراقية - التقرير الاحصائي السنوي - ١٩٧٢ •
- ١٨- المؤسسة العامة للموانئ العراقية - التقرير الاحصائي السنوي -
١٩٧٥ •
- ١٩- الدكتور احمد حسون السامرائي - محاضرات في جغرافية النقل -
مكتب الدوري للطباعة بغداد ١٩٧٦ - ١٩٧٧ •
- ٢٠- رسالة النقل - مجلة فصلية تعني بشؤون النقل تصدرها وزارة النقل
- وزارة النقل ، العدد الثالث - كانون الثاني ١٩٧٧ •
- ٢١- اديب جورج - منجزات المنشأة النقل البري لغاية نيسان ١٩٧٧ - منشأة
النقل النهري •
- ٢٢- كمال عبدالقادر ولي - رئيس المهندسين - دائرة النقل والمواصلات -
وزارة التخطيط •

العود في الاثار العربية

الدكتور عبدالعزيز حميد
كلية الاداب - جامعة بغداد

للموسيقى دور حضاري مهم عند مختلف الشعوب ، فهي تشكل وجها حضاريا وجانبا لا يمكن اغفاله في تراث الامة . وللموسيقى ، كما هو معروف ، الدور الاساس في رفع مستوى الذوق الفني والتسامي باحاسيس الناس .

وقد قال كونفوشيوس حكيم الصين قديما : « اذا اردت ان تعرف مبلغ حضارة امة فاسمع موسيقاها » (١) .

ولا شك ان لصفاء بيئة العرب الصحراوية الممتدة تحت زرقة السماء اللانهائية قد ارهفت احاسيس العربي فاصبح مولعا بهذا الجانب من الفن ميالا بالفطرة الى الشعر الغنائي والموسيقى منذ العصور القديمة .

ولدينا من الدلائل ما يؤكد غنائية الشعر العربي . وذهب الكثير من اخصائي الادب العربي الى ان الشعر الجاهلي كان شعراً غنائياً بشكل عام (٢) .

وما القافية فيه الا مظهر من مظاهر الموسيقى الغنائية حيث ان كثيرا من شعراء تلك الحقبة الزمنية كانوا يعملون على المشاكلة بين الكلتين الاخيرتين من البيت . كما في ابيات معلقة ليبد حيث جعل للبيت الشعري الواحد

(١) زكريا يوسف ، موسيقى الكندي ، ص ١ ، طبعة بغداد ١٩٦٢

(٢) شوقي صيف ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص ١٥٠

« قافيتين ، قافية داخلية وقافية خارجية • ولم يدفعه الى ذلك الا انه يريد ان يرتفع بالصوت في مقطعين متقاربين ، وهو لذلك يخرج هذا الاخراج المنتظم المقطع تقطيعا صوتيا دقيقا »^(٣) • وعلينا ان لا ننسى التصريح في مطلع القصيدة الشعرية واثرها في غنائية الشعر^(٤) • ومن الواضح ايضا ان عبارة (انشد) تعني ان الشعر كان ينشد اي يغنى • وقد قال حسان ابن ثابت قديما :

تغنّ بالشعر اما انت قائله

ان الغناء لهذا الفن مضمار^(٥)

ولا شك ان الشعراء انفسهم كانوا يغنون في شعرهم ويذكر ان المهلهل بن ربيعة اقدم شعراء الجاهلية المعروفين قد غنى في قصيدته :

طفلة ما ابنة المحلل بيضاء

لعنوب لذيذة في الغباق^(٦)

ويقال انه لقّب بالمهلهل لانه اول من هلهل الشعر وقصّد القصائد^(٧) • ولقد لقب الشاعر الجاهلي الاعشى بن جندل بصناعة العرب لسهولة شعره على الغناء والتلحين واكثره تغنيه هو بشعره^(٨) • ومن شعراء الجاهلية الذين

(٣) نفس المصدر ، ص ٣٣-٣٤

(٤) التصريح : الابيات التي تفتح بها القصائد وتكون قافية صدر البيت مشابه لقافية عجزه •

(٥) ابن رشيقي ، العمدة ، ج ٢ ، ص ٢٤١ (طبعة الهند) •

(٦) الاصبهاني ، الاغاني ، ج ٥ ، ص ٥١ •

(٧) بطرس البستاني ، دائرة المعارف ، ج ١٠ ، ص ٤٩٠ ، دار المعرفة بيروت •

(٨) هو الاعشى ابو نصر ميمون بن جندل • ادرك الاسلام في اواخر عمره ويقال انه مدح الرسول الاعظم بقصيدة • كما روي انه وفد على النبي ليسلم فتصدت له قريش بزعامة ابي سيفان وثنته عن ذلك بعد ان اهدته مئة بعير • كما روي انه في طريق عودته رمى به بعميرة فقتله (الاغاني ، ج ٩ ، ص ١٠٦) •

كانوا يغنون بشعرهم السليك بن سلكه وعلقة الفحل • حتى ذكر ان الغناء كان اساس تعلم الشعر عندهم^(٩) •

ويظهر ان الغناء لم يكن ساذجا حينذاك فقد عرفوا منه ضروبا مختلفة ، يقول اسحق الموصلي وهو من اشهر مغني العصر العباسي : « غناء العرب قديما على ثلاثة اوجه : النصب والسناد والهج ، فاما النصب فغناء الركبان والقينات وهو الذي يستعمل في المراثي ، وكله يخرج من اصل الطويل من العروض ، واما السناد فالثقل ذو الترجيع الكثير النغمات والنبرات ، واما الهج فالخفيف الذي يرقص عليه ويمشى بالدف والمزمار فيطرب ويستخف الحلیم •

هذا كان غناء العرب قديما حتى جاء الله بالاسلام وفتحت العراق وجلب الغناء الرقيق من فارس والروم وتغنوا الغناء المجزأ المؤلف بالفارسية والرومية وغنوا جميعا بالعيدان والطناير والمعاذير والمزامير »^(١٠) •

ولا ريب ان للشعر الغنائي اثره البين في استعمال الالات الموسيقية • ويرى الدكتور شوقي ضيف بان الموسيقى « والغناء في الشعر واضحة الصلة بضربات المغنين وایقاعات الراقصين • انها بقية العزف ، وانها لتعيد للاذن تصفيق الايدي وقرع الطبول ، ونقر الدفوف »^(١١) •

وفي فجر الاسلام كانت الخنساء شاعرة المراثي الشهيرة تغني مراثيها بمصاحبة الموسيقى • ولا شك ان الخنساء لم تكن الشاعرة الوحيدة التي كانت تغني الشعر بمصاحبة الالات الموسيقية ، فنحن نعلم ان العرب في الجاهلية قد عرفت واستعملت الكثير من تلك الالات ، ربما كان اكثرها استعمالا الدفوف والمزامير • ومن الامور المؤكدة ايضا ان آلة العود قد عرفها العرب قبل الاسلام في الجزيرة العربية واطلقوا عليها اسماء مختلفة

(٩) شوقي ضيف ، المصدر السابق ج ١٩٠ •

(١٠) ابن رشيق ، المصدر السابق ج ٢ ، ص ٢٤١ •

(١١) شوقي ضيف ، المصدر السابق ، ص ٣٤

بعضها عربية وبعضها معربة • منها (المزهر) و (والبريط) و (والموتر) و (المستجيب) و (ذو الزير) و (ذو العتب) و (الكران) (١٢) • ومن الكران اطلق العرب في الجاهلية على المغنية التي تستعين بالضرب على العود في غنائها بـ (الكرينه) (١٣) •

لقد وردت اشارات كثيرة الى الالات الموسيقية في الشعر الجاهلي ربما اقدمها في شعر امرؤ القيس ، من ذلك قوله :

وان امسى مكروباً فيارب قينة
منعمة اعلمتها بكران

لها مزهر يعلو الخميس بصوته
اجش اذا ما حركته اليدان (١٤)

وقال فيه علقمة الفحل :

قد اشهد الشرب فيهم مزهر رغم
والقبوم تصرعهم صباء خرطوم (١٥)

كما وردت في شعر لبيد في قوله :

بصبوح صافية وجذب كرينة
بموتـر تأتاله ابهامها (١٦)

(١٢) قال ابن الرومي في ذلك :

وقيان كأنها امهات عاطفات على بنيتها حواني
كل طفل يدعى باسماء شتى بين عود ومزهر وكـران
(١١) ناصر الدين الاسد ، القيان والفناء في العصر الجاهلي ، ص ٢٨ (طبعة مصر ١٩٦٨) •

(١٤) مختارات في الشعر الجاهلي ، ص ٥٢

(١٥) المفضل الضبي ، المفضليات ، ص ٤٠٢ •

(١٦) الانباري ، شرح القصائد السبع الطوال ص ٥٧٨ ، (طبعة مصر ١٩٦٣)

غير انه بلا شك ان اكثر الاشارات التي وردت الى هذه الالة الموسيقية
وغيرها من الآت الطرب جاءت في قصائد لشاعر الغناء والطرب ومجالس
الانس ورائد الحانات الاول الاعشى . من ذلك في قوله :

وشاهدنا السورد والياسمي
ن والمسمعات بقصاها
ومزهرنا معمّل دائم
فياي الثلاثة اوزى بها
تري الصنج ييكي له شجوه
مخافة ان سوف يدعى بها

وقوله :

من قوّة بفارس صفوة
تدع الغنى ملكاً بميل مصرعا
بالجسان وطيب اردانه
بالدن يضرب لي بكر الاصبا
والناي نرم وبربط ذي لجة
والصنج ييكي شجوه ان يوضعا

وقوله :

اذا قلت : غني الشرب قامت بمزهر
يكاد اذا دارت له الكف ينطق

وقوله في حلفته :

ومستجيب تخال الصنج يسمعه
اذا ترجع فيه القينة الفضل

ومع هذا الترداد المتواصل للعود في الشعر الجاهلي فانه يبدو ان دخول العود الى اعماق الجزيرة العربية كان في حقبة زمنية متأخرة نسبيا . ربما في زمن لا يتعدى اواخر القرن الخامس او بداية القرن السادس الميلادي . ومع ذلك فان المدونات التاريخية العربية قد قرنت وصوله بتاريخ احدث .

فيذكر البلاذري ان دخول العود الى مكة قد تم قبل نزول الوحي بسنوات قليلة على يد النضر بن الحارث بعد ان « قدم الحيرة فتعلم ضرب البربط وغنى غناء اهل الحيرة وعلم ذلك قوما من اهل مكة »^(١٧) ويشير ايضا الى ان الآية القرآنية الكريمة : « ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله »^(١٨) قد نزلت فيه بسبب افراطه في ايداء رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة^(١٩) .

وقد ذهب ابو الفرج الاصبهاني ، الذي يعتبر بحق اهم واشهر من كتب عن الغناء والمغنين عند العرب الى ابعد من ذلك ، فهو يروي بان صناعة العود لم تدخل مكة الا في العصر الاموي على يد ابن سريج « وذلك انه رآه مع العجم الذين قدم بهم ابن الزبير لبناء الكعبة ، فاعجب اهل مكة غناؤهم فقال ابن سريج انا اضربه على غنائي ، فضربه فكان احنق الناس »^(٢٠)

اما بالنسبة الى المدينة المنورة ، فيروى ان المغني والموسيقي (سائب خاثر) كان « اول من عمل العود بالمدينة وغنى بالعربية الغناء الثقيل »^(٢١) .

(١٧) هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلده بن عبد مناف اسره المسلمون يوم بدر وضرب عنقه لاذينه لرسول الله (البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ١ ، ص ١٤٣ ، طبعة مصر ١٩٥٩) .

(١٨) سورة الاعراف ، ١٨٥/٧ .

(١٩) البلاذري المصدر السابق ، ص ١٤٣ .

(٢٠) الاغانى ، ج ١ ، ص ٢٣٣ .

(٢١) كان مولى النبي ليث بالمدينة اصله فارسي من فيء كسرى . وعاش في المدينة المنورة طيلة عصر الخلفاء الراشدين وقتل ايام خلافة يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤ هـ / ٦٨٠-٦٨٣ م) يوم وقعة الحره .

(الاغانى ، ج ٧ ، ص ١٧٩)

وطبيعي ان يذهب العرب في اصل العود وزمن اختراعه مذاهب شتى
اغلبها اقرب الى الروايات الاسطورية منها الى الحقيقة الواقعة . ومن تلك
الروايات ما ذكره ابن خرداذبه للمعتمد على الله (٢٥٦-٢٧٩ هـ ٨٧٠-٨٩٢ م)
عندما كان ينادمه في سامراء : « قد قيل في ذلك يا امير المؤمنين اقاويل كثيرة .
اول من اتخذ العود لمثلِك بن متوشلح بن محويل بن عباد بن فتوح بن قاين
بن ادم . وذلك انه كان له ابن يحبه حبا شديدا ، فمات فعلقه بشجرة فتقطعت
اوصاله حتى بقي منها فخذه والساق والقدم والاصابع ، فأخذ خشبه فرفقه
والصقه فجعل صدر العود كالفخذ وعنقه كالساق ورأسه كالقدم ، الملاوي
كالاصابع ، والاولتار كالعروق . ثم ضرب به وناح عليه فنطق العود » (٢٢) .
ويبدو ان هذه الصورة كانت في ذهن الشاعر العباسي الحمدوني عندما قال :

وناطق بلسان لا ضمير له

كانه فخذ نيطت الى قدم

ويروى صاحب العقد الفريد رواية مفادها « ان اول من صنع العود
هو لامك بن قايل بن آدم وفي رواية اخرى يذكر لنا : ان صانعه بطليموس
صاحب كتاب الموسيقى وهو كتاب اللحن الثمانية » (٢٣) .

ويفهم مما تقدم ان دخول العود الى الجزيرة العربية كان من بلاد الهلال
الخصيب ومن العراق على الأرجح ، خاصة اذا ما علمنا ان الموطن الاصلي
لهذه آلة الموسيقى هو بلاد الرافدين . فقد اثبتت البحوث الاثرية الاخيرة
ان العود قد عرف في العراق منذ العصر الاكدي على الاقل (٢٣٥٠-٢١٥٠ ق م)
حيث ظهرت اشكال له في الرسوم المحزوزة على بعض الاختام الاسطوانية
التي تعود الى تلك الحقبة الزمنية . كما ظهر ايضا على كثير من الرقم الطينية
التي تعود الى العصر البابلي القديم (١٩٥٠-١٥٣٠ ق م) والتي اكتشفت

(٢٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص ٢٢٢-٢٢٧ (طبعة مصر ، ١٩٥٨)

(٢٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ج٦ ، ص ٣٧ ، طبعة مصر ، ١٩٤٨ .

خلال الحفائر الاثرية المنتظمة في مناطق مختلفة من العراق (٢٤) . ويتبين من تلك الدراسات الحديثة انه لا صحة لما ذهب اليه بعض الاختصاصيين الاوربيين في الدراسات القديمة الى ان هذه الآلة الموسيقية كان قد اختص بها سكان الجبال وبصورة خاصة الخوريون الذين سادوا في المنطقة الممتدة من بحيرة (وان) حتى شمال العراق في القرن الخامس عشر قبل الميلادي وما بعده (٢٥) .

وطبيعي ان يستمر استعمال آلة العود من العصر الاشوري وفي العصور التي تلتها في العراق وبلاد الشرق الادنى بما في ذلك العصر الهلنستي والبارثي ثم الساساني .

واذا انتقلنا الى موقف الاسلام من الموسيقى والغناء فليس في القرآن الكريم ما يشير الى تحريم تلك الملاهي . غير انه يروى من الحديث عن ابي هريره عن النبي (ص) « عشر خصال عملها قوم لوط بها هلكوا ، منها ضرب الدفوف وشرب الخمر ولبس الحرير » (٢٦) . وقد روي عن رسول الله أيضا : « ان الله تعالى ليومي الى شجرة من الجنة ، ان اسمعي عبادي الذين اشتغلوا بعبادتي عن عزف البربط والمزامير ، فترفع صوتا لم تسمع الخلائق مثله في تسبيح الرب وتقديسه » (٢٧) .

كما روي عن التابعي عبدالله بن عمرو بن العاص : « ان الله تعالى انزل الحق ليذهب به الباطل ويبطل به اللعب والزفّٰن والزمارات والمزاهر والكنارات » (٢٨) .

(٢٤) صبحي انور رشيد ، تاريخ الآلات الموسيقية في العراق القديم ، ص ١٩٠

(٢٥) المصدر السابق .

(٢٦) ابن حنبل ، المسند ، ج ٢ ، حاشية صفحة ٢٩٦ (طبعة مصر) .

(٢٧) أحمد تيمور ، الموسيقى والغناء عند العرب ص ١٢ (طبعة مصر) .

(٢٨) ابن سيده المخصص ، ج ١٣ ، ص ١٢ (طبعة بيروت) .

ومع ذلك فيبدو ان هذه الكراهية للموسيقى والغناء في الاسلام لم تكن شديدة اذ روي عن عائشة قولها : « دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جارتان تغنيان بغناءبعث فاضطجع على الفراش وحول وجهه فدخل ابو بكر فاتهرني وقال زمارة الشيطان عند رسول الله (ص) فاقبل عليه رسول الله (ص) فقال دعهما • فلما غفل غمزتهما فخرجتا قالت وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحديد » (٢٩) •

اما بالنسبة الى موقف الفقهاء المسلمين من الموسيقى والغناء فانهم اختلفوا فيه • لقد « اجازة عامة اهل الحجاز وكرهه عامة اهل العراق » (٣٠) • وربما كان اشد كراهية للغناء والملاهي هم اصحاب ابي حنيفة النعمان الذين قالوا « بتحريم سماع الملاهي كلها ، كالزمار والدف » (٣١) • وقال ابو يوسف صاحب ابي حنيفة : « الدار التي يسمع منها صوت المعازف والملاهي يجوز دخولها بغير اذن • لان النهي عن المنكر فرض » (٣٢) •

ومما لا شك فيه ان تنعكس هذه الكراهية عند السلطات التنفيذية خاصة في العصر الاسلامي الاول ، فنحن نعلم ان الخيفتين الاولين لم يكونا من محبزي سماع الموسيقى والغناء •

غير ان الموقف العام من الموسيقى والغناء قد تبدل تبديلا ملحوظا منذ العصر الاموي خاصة منذ ايام الخليفة الاموي يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ / ٦٨٠-٦٨٣م) حيث يقول المسعودي فيه بانه « صاحب طرب » (٣٣) • ويكتب الاصبهاني بانه كان « اول من سن الملاهي في الاسلام

(٢٩) القسطلاني ، ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري ج ٦ ، ٢٢١ (طبعة مصر ١٩٠٦) •

(٣٠) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٦ ، ص ٦

(٣١) احمد تيمور ، المصدر السابق ، ص ١٥

(٣٢) المصدر السابق ، ص ١٥

(٣٣) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٥ ، ص ١٥٦ (الطبعة الاوربية)

من الخلفاء وآوى المغنين» (٣٤) . ومع ذلك فقد مرت فترات زمنية في العصر الاموي ظهرت فيها عند السلطة بعض مظاهر الكراهية المقيدة للغناء والموسيقى . من ذلك ما يذكر مثلاً من ان يزيد بن حبيب قد كتب « الى عمر ابن عبدالعزيز في اللعب في الدفاف والبربط في الاعراس فكتب اليه عمر بن عبدالعزيز » امنع الذين يضربون البرابط ، ودع الذين يضربون بالدفاف فان ذلك يفرق بين النكاح والسفاح » (٣٥) . والواقع انه يروى ان لعمر عبدالعزيز (٩٩-١٠١ هـ / ٧١٧-٧٢٠ م) بعض الحان معروفة قبل ان يتولى الخلافة (٣٦) .

وكان الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦ هـ / ٧٤٣-٧٤٤ م) ايام خلافته « يضرب بالعود ، ويوقع بالطبل ، ويمشي بالدف على مذهب اهل الحجاز » (٣٧) .

ومن الفترات الزمنية التي حرّم فيها في العصر الاموي الموسيقى والغناء في العراق كانت بعض سنوات ولاية خالد بن عبدالله القسري على العراق (١٠٥-١٢٠ هـ / ٧٢٣-٧٣٧ م) (٣٨) . ربما كان ذلك بتأثير من فقهاء العراق .

ومن الطبيعي ان لا تصلنا عيdan من العصر الاموي والعصر العباسي وما تلتهما من العصور الاسلامية . والسبب في ذلك هو ان العود كان يصنع من رقيق الخشب ، اوتاره من الامعاء المبرومة او الحرير . فهو نتيجة لذلك عرضة للكسر او التلف السريع ، خاصة اذا اخذنا بنظر الاعتبار كبر حجمه النسبي .

(٣٤) الاغانى ، ج ١٦ ، ص ٧٠

(٣٥) عبدالله بن عبدالحكم ، سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٨-١٢٩ (طبعة مصر)

(٣٦) الاغانى ، ج ٨ ، ص ١٤٩-١٥٠

(٣٧) الاغانى ، ج ٨ ، ص ١٦

(٣٨) الاغانى ، ج ٢ ، ص ٣٠٨

لم تنطرق المصادر التاريخية الى شكل العود ايام بني امية الا في القليل النادر وبايجاز شديد • وربما يعزى سبب ذلك الى ان العود لم يعد بعد واسع الانتشار عند العرب • من ذلك ما يروي انه قد ورد ذكر للعود في مجلس من مجالس الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥ هـ / ٧٢٠-٧٢٤ م) فاراد يزيد ان يوصف له « فقال عبدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود : انا اخبرك ما هو ، محدودب الظهر ، ارسخ البطن له اربعة اوتار ، اذا حركت لم يسمعها احد الا حرك اعطافه وهز رأسه » (٣٩) •

وليس في الرسوم والمحزوزات على التحف الاثرية التي تعود الى العصر الاموي الا القليل النادر من مصورات تمثل اشخاصا يعزفون على آلة العود • من ذلك القليل النادر مصورة على بعض ارضيات قصر الحير الغربي الذي يقع على بعد ٦٠ ميلا شمال شرق تدمر (شكل ١) (٤٠) • والمصورة تمثل قينة تعزف على عود ذي وجه يضيوي - كمثري الشكل ، قصير العنق ينتهي برأس يبدو في التصوير وكأنه متجه الى الاسفل • وفي الواقع لا توجد عيدان لها رؤوس متجهة الى الاسفل او الاعلى وانما الرؤوس في جميعها تميل الى الجهة الخلفية فقط • وان كانت قد مثلت في معظم الرسومات التي تعود الى العصر الاموي او العصور التالية الى الجهة السفلية او الجهة العلوية • ويعزى سبب ذلك الى عدم احترام المنظور في الرسم او عدم الدراية بالبعد الثالث من جهة ، والى الرغبة في ابراز اكثر ما يمكن ابرازه من شكل العود في الرسم من جهة اخرى • والواقع ان تلك القاعدة لم تطبق على رسومات العيدان فقط بل على الكثير من الرسوم الادمية والحيوانية والعمائر في الفنون الاسلامية والفنون القديمة بشكل عام •

(٣٩) ابن عبدربه ، العقد الفريد ، ج٦ ، ص ٧٣

(٤٠) زكي محمد حسن ، اطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الاسلامية ، شكل ٨٠٦ (طبعة القاهرة ، ١٩٥٦)

ونلاحظ على جانبي الرأس (البنجق) انه قد رسمت عدد من اشكال
اسطوانية دقيقة طويلة نسبيا تنتهي برؤوس كروية او مثلثة الشكل . ولا شك



شكل (١)

ان المقصود بها هي ما سمته العرب قديما بالملاوي (جمع ملوي)^(٤١) . وهي قطع خشبية مثبتة بالرأس يسميها العوادون اليوم بالمفاتيح التي تنتهي اليها الاوتار وتشد بها . ولكل وتر في العود ملوي واحد . ومن الواضح ان الغرض من وجود الملاوي هو لحزق الاوتار او ارخائها لتهيئتها للضرب وهي العملية التي اطلق العرب عليها في العصر العباسي لفظة (البظ)^(٤٢) .

وقد سميت العملية احيانا باصلاح العود^(٤٣) وسميت طورا بتسوية العود .^(٤٤) وهي العملية التي يطلق عليها العودان اليوم (بالدوزنه) .

ويبدو في التصويرة ، ولو بشكل غير واضح تماما ، ان لهذا العود اربعة اوتار . ونحن نعلم ان العود الاول الذي استعملته العرب وورثته عن حضارات الشرق الاوسط تميز باستخدام اربعة اوتار . ارفعها الوتر السفلي وقد سمته العرب (الزير) يليه (المثني) ثم (المثلث) واخيرا (البم) وهو اعلى تلك الاوتار من العود موضعا واغلقها صوتا . فهم من كان يسميه (الابح) لغلق صوته^(٤٥) . ويظهر ان مسميات اوتار العود هذه كانت معروفة عند العرب في العصر الجاهلي وان كانت تلك التسميات غير متطابقة دائما مع تسمياتها في العصور الاسلامية . فنجد مثلا ان لفظة (الزير) قد اطلقت على الوترين الاول والثاني عند الهذلي . مع انه اطلق على الوترين الثالث والرابع نفس تسمياتها التي عرفت به في العصور الاسلامية ، فهو يقول :

(٤١) قال عنها صاحب لسان العرب « بانها العيدان المروضة على وجه العود ومنها : تمد الاوتار الى طرف العود »

(ابن منظور ، لسان العرب ، لفظ (لوى))

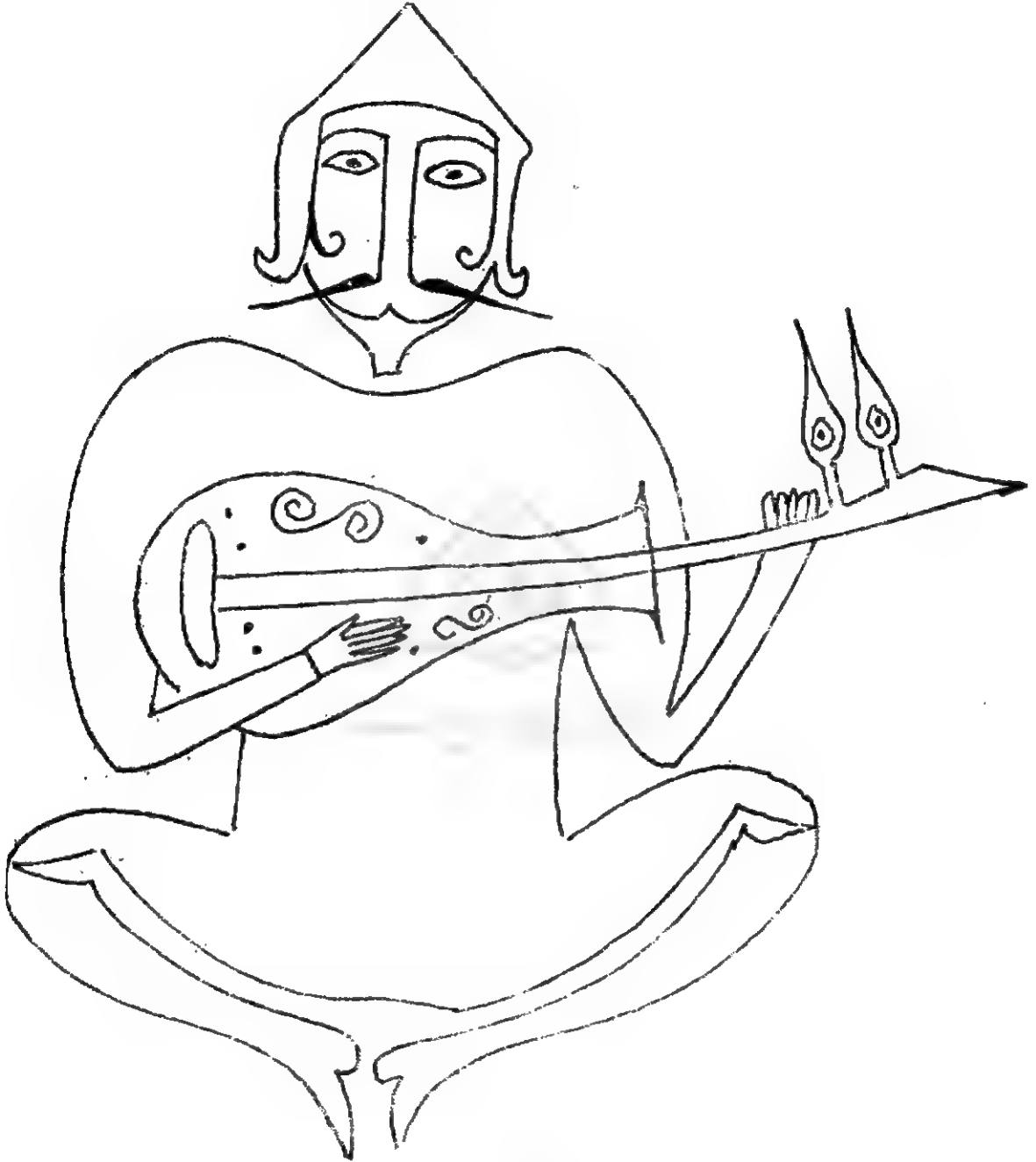
(٤٢) من بظ يبظ ، بظ وقد يكتب ايضا البظ (المخصص ، ج ١٣ ، ص ١٣)

(٤٣) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٧٢

(٤٤) ابن سيده ، المخصص ، ج ١٣ ، ص ١٢

(٤٥) الاغانى ، ج ٢ ، ص ٣١٠

إذا سوت الزيرين والمثلث الذي
يسرى دون ييت البسم والبسم يضرب
رأيت ليماها على البسم سرعة
رتحسب يراها على العتب تحسب (٤٦)



شكل (٢)

(٤٦) ابن سيده ، المخصص ، ج ١٣ ، ص ١٢

ومن رسومات العود الاخرى في العصر الاموي رسمان وصلا الينا ضمن الرسومات الجدارية لقصير عمره (٤٧) . وكليهما غير واضح المعالم تماما نتيجة التلف الذي لحق بهما على مر العصور . ويبدو شكل الصندوق الصوتي في التصويرة الاولى اقرب الى المستطيل منه الى الشكل الكمري كما يظهر ان الملاوي (ليست ظاهرة جميعا) قد ثبتت على الرقبة بدلا من تثبيتها بالنجق (شكل ٢) . اما في التصويرة الثانية فان وجه الصندوق الصوتي فيه يضيوي الشكل صغير نسبيا يذكر بالعود القديم الذي يرجع الى العصور القديمة في العراق (٤٨) . كما يلاحظ ان الرقبة فيه طويلة وضخمة نسبيا .

ومن دراسة رسوم هذه الآلات يبدو انها بشكل عام قريبة الشبه بشكل العود الذي كان معروفا على المخلفات الاثرية التي تعود الى العصر الساساني . من ذلك ما نلاحظه في عود محزوز على تحفة معدنية فضية يرجعها معظم اختصاصي الآثار الساسانية الى القرن السادس الميلادي (٤٩) . والعود هنا واضح الشكل تماما ، وجهه يضيوي كمثري الشكل ذو رقبة معتدلة الطول تنتهي برأس مدفوعة الى الجهة الخلفية من الآلة وان كانت قد صورت وكانها متجهة الى الجهة السفلية (شكل ٣) .

واذا انتقلنا الى العصر العباسي فانا نجد ان النصوص حافلة باخبار الآلات الموسيقية والمغنين وغيرهم . ولا شك ان لتشجيع الخلفاء والولاة في العصر العباسي الاثر الكبير في تطوير الغناء والموسيقى في هذا العصر الحافل والزاهر بكل شيء .

(٤٧) وهو من المبانى المنسوبة الى الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦ هـ /) يقع على مسافة (٥٠) شرق عمان

(٤٨) صبحي انور رشيد ، ، الآلات الموسيقية في العصور الاسلامية ، (بغداد ، ١٩٧٥) .

(٤٩) Ghinsliman, R., *Argenterie d'un Seigneur Sassanide*, P. 80, (٤٩) *Ars Orientalis*, Vol. 2, 1957

وعلى الرغم مما جاء في بعض كتب التاريخ التي تناولت تلك الحقبة
الزمنية من ان بعض الخلفاء العباسيين كانوا غير ميالين الى الموسيقى اما تزمتا
او ورعا مثل الخليفة المنصور (١٣٦-١٥٨ هـ / ٧٧٥٤ م) الذي يروى
انه شاهد يوما احد غلمانه يعزف على طنبور فظل يضرب الطنبور برأسه حتى



شكل (٣)

هشّمه على رأسه^(٥٠) . او مثل الخليفة المهدي (٢٥٥-٢٥٦ هـ / ٨٦٩-٨٧٠ م) الذي اراد ان يقتدي بعمر بن عبدالعزيز بالورع والتقوى فطرد جميع النقيان والموسيقين وامر بنفيهم من سامراء^(٥١) . غير اننا نجد ان الخلفاء العباسيين بشكل عام ميّالين الى الموسيقى والغناء . فالمهدي مثلاً كان من المولعين بهذا الجانب من الملاهي منذ ايام ولايته للعهد فقد كان قصره في الرصافة مزدحماً بالموسيقين . كما نجد ان المعتمد على الله (٢٥٦-٢٧٩ هـ / ٨٧٠-٩٨٢ م) الذي نصّب خليفة بعد المهدي مباشرة قد اعاد المغنين والموسيقين الى سامراء فقد كان من المعروفين بشغفهم بالموسيقى^(٥٢) . وكان الواثق بالله (٢٢٧-٢٣٢ هـ / ٨٤٢-٨٤٧) من اشهر الخلفاء العباسيين في اجادته الغناء والضرب على العود . ويروي صاحب الاغاني بانه كان يلحن وله الحان معروفة^(٥٣) .

ومع كل ما تقدم فيعتبر عصر هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣ هـ / ٧٨٦-٨٠٩) العصر الذهبي بالنسبة الى هذا الجانب من جوانب الفن . فهو اول من وضع المغنين والموسيقين في طبقات^(٥٤) .

كما انه لأول مرة نجد فلاسفة ورياضيين عظماء يولون جانب الموسيقى النظرية اهتماماً كبيراً . وربما من اقدم هؤلاء الخليل ابن احمد الفراهيدي ، فهو اول من كتب الرسائل العلمية في علم الموسيقى . ثم الفيلسوف العربي الشهير الكندي المتوفي بعيد سنة ٢٥٨ هـ (٨٦١ م)^(٥٥) . فقد وضع عدة تصانيف في الموسيقى النظرية .

(٥٠) الطبري ، ج ١٠ ، ص ٦٣

(٥١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ، ص ٨٠٦

(٥٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٨ ، ص ٨٨-٨٩

(٥٣) الاغاني ، ج ٨ ، ص ١٥٦-١٥٧

(٥٤) الجاحظ التاج في اخلاق الملوك ، ص ٤٥ ، (طبعة بيروت ١٩٧٠)

(٥٥) محمد لطفي جمعة ، تاريخ فلاسفة الاسلام ، ص ٢٦٣ (طبعة مصر ١٩٢٧)

ويعتبر الفيلسوف العربي الكبير ابو نصر الفارابي المتوفي سنة ٣٣٩ هـ (٩٥١ م) من اشهر من كتب في الموسيقى عند العرب وله في ذلك كتاب جليل يعرف بـ (الموسيقى الكبير) الذي يعد بحق اكمل ما كتبه العرب عن الموسيقى . « والناظر في كتابه ذاك يشعر بانه لم يكن فيلسوفا وعالما فحسب وخاصة في صياغة الموسيقى النظرية ، بل لابد ان يكون من مزاولي هذه الصناعة بالفعل » (٥٦) .

ومن الفلاسفة العرب الذين كتبوا في الموسيقى اخوان الصفا ، وهم جماعة فلسفية تألفت في القرن الرابع الهجري وكان موطنها البصرة (٥٧) .

واذا انتقلنا الى الجانب العملي نجد ان العصر العباسي كان زاخرا باعظم الموسيقيين والملحنين والعودادين في العالم الاسلامي قاطبة . وربما كان من اشهر هؤلاء منصور زلزل المتوفي سنة ١٧٥ هـ (١٩٧ م) الذي بزغ نجمة ايام هرون الرشيد بشكل خاص (٥٨) . والذي يكتب عنه الجاحظ انه « احسن واحذق من برأ الله بالجس ، فكان اذا جس العود فلو سمعه الاحنف ومن تحالم في دهره كله لم يتمالك نفسه حتى يطرب » (٥٩) . ويقول فيه ابن عبد ربه بانه « كان اضرب الناس للوتر ، لم يكن قبله ولا بعده مثله » (٦٠) . وقد نسب اليه في السلم الموسيقي للعود دستانا سمي بدستان وسطى زلزل . ولا شك ان المقصود بالدستان هنا هو ليس كما فهمه (فارمر) من انه الوتر الثالث الاوسط (٦١) ، وانما الدستان وهي لفظة معربة (جمعها دساتين) كما

(٥٦) الفارابي ، الموسيقى الكبير ، المقدمة ، ص ٨ (طبعة القاهرة ، ١٩٦٧)

(٥٧) رسائل اخوان الصفا ، ج ١ ، ص ٢ ، (طبعة بيروت ، ١٩٥٧)

(٥٨) ويذكر بان هرون الرشيد قد زج به في السجن بعد ذلك لعدة سنوات اطلق.

سراحه في اخريات ايامه حيث توفي بعد ذلك بوقت وجيز

(٥٩) الجاحظ ، المصدر السابق ، ص ٤٦

(٦٠) العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ١٩٠

(٦١) فارمر ، تاريخ الموسيقى العربية ، ص ١٤٠ ، ترجمة الدكتور حسين نصار ،

طبعة القاهرة ، ١٩٥٦

يكتب الفارابي انها اماكن في عنق العود « تحت الاوتار تحدد اقسامها التي تسمع منها النغم فتقوم لها تلك مقام حوامل الاوتار » (٦٢) . وعلى ذلك فربما كانت تحدد الدساتين احيانا يقطع من الخشب الرفيع تثبت على عنق العود (٦٣) .

ان الدساتين حسب السلم الموسيقي في العصر العباسي ، والمعروفة عندهم بالطبقات (مفردا طبقة) ، عديدة غير ان اكثرها شهرة : دستان الخنصر ، دستان البنصر ، دستان وسطى زلزل ، دستان وسطى الفرس ، دستان السبابية ، دستان المجنب دستان الزائد واخيرا دستان مطلق الوتر (٦٤) .

وينسب الى منصور زلزل ايضا ابتكار « العود الكامل » المعروف بـ « العود الشبوط » . ولا ندري السبب في تسميته بالكامل . فلا نعرف ان كان هو الذي اضاف الوتر الخامس للعود ام انه مثلا قد جعل الاوتار مزدوجة وبعد ان كانت منفردة ؟ ام كبر في حجم العود قليلا ؟ اما بالنسبة الى ازدواجية الاوتار فقد اخبرنا بانها كانت منفردة في زمن الكندي (٦٥) . غير ان رسوم العود المتعددة التي وصلتنا من العصر العباسي تجعلنا نميل الى الظن بان الكثير من العيdan المستعملة في ذلك العصر كانت مزدوجة الاوتار . صحيح ان تلك الرسوم ليست دقيقة تماما خاصة عندما يتعلق الامر بالتفاصيل كالاوتار مثلا ، حتى نجد ان عددا الاوتار في بعض العيdan

(٦٢) الفارابي ، الموسيقى الكبير ، ص ٤٩٨-٤٩٩

(٦٣) لقد كتب في ذلك اخوان الصفا « يقسم طول الوتر الواحد باربعة اقسام متساوية ، ويشد دستان الخنصر عند الثلاثة باربع مما يلي عنق العود . ثم يتسم طول الوتر من الرأس بتسعة اقسام متساوية ، ويشد دستان السبابية مع التسع مما يلي عنق العود . ثم يقسم طول الوتر ٠٠٠ الخ » (رسائل اخوان الصفا ، ج ١ ، ص ٢٠٣) .

(٦٤) الفارابي الموسيقى الكبير ، ص ٥٠٠

(٦٥) زكريا يوسف ، الكندي ، ص ٧

المرسومة في المنمنمات ثلاثة اوتار (لوح ١) وهي اقل من العدد المطلوب.
اصلا وربما اثنان فقط (شكل لوح ٢) • وقد يزيد عدد الاوتار في البعض منها.
على الخمسة (شكل ٤) • وقد يلاحظ ان عدم الدقة يتجاوز ذلك الى فقدان.
مقومات اساسية في العود • ففي منمنمة من منمنمات نسخة المتحف البريطاني.
من مخطوطة (مقامات الحريري) ، تجد ان العود رغم وجود اربعة اوتار.
كاملة عليه الا انه ليست هناك (ملاوي) مثبتة في رأس العود (لوح ٢) •
ومهما يكن من امر فان بعض المخطوطات المتأخرة التي ترجع الى القرن



شكل (٤)

الثامن الهجري (الرابع عشر ميلادي) التي تناول فيها مؤلفوها فيكون دراسات موسيقية مثل مخطوط (كنز التحف) نجد انه قد ثبت لنا مصوره لعود باربعة اوتار منفردة ، ينتهي كل وتر منها بملوي واحد . ثبت اثنين من تلك الملاوي في جهة من الرأس وثلاثة في الجهة المقابلة منه ^(٦٦) . بينما نجد في مخطوطة اخرى وهي مخطوطة (الادوار) لصفي الدين عبدالمؤمن ان الاوتار خمسة مزدوجة لكل وتر منفرد منها ملوي فيكون مجموع الملاوي عشرة ، خمسة في كل جانب من جانبي الرأس ^(٦٧) . وفي عود مصور على اناء من الخزف المزجج من مصر ومحفوظ في متحف الفن الاسلامي في القاهرة نجد في رأسه عشرة ملاوي ، في كل جانب من جانبي الرأس خمسة (شكل ٨) . كما نلاحظ ايضا ان في العود المصور في منمنمة مخطوطة (بياض ورياض) التي سبقت الاشارة اليها اربعة اوتار مزدوجة ^(٦٨) وثمانى ملاوي موزعة بشكل متساو على جانبي رأس العود (شكل ٥) .

ولا شك ان التسمية الثانية لعود منصور زلزل (العود الشبوط) ، وهي الاكثر شيوعا ، قد جاءت نتيجة لتشابهه في الشكل مع ضرب من ضروب الاسماك النهرية التي تحمل هذا الاسم وتكثر في العراق . والسذي يكتب صاحب (لسان العرب) فيه بانه « دقيق الذنب عريض الوسط صغير الرأس كانه البربط » ^(٦٩) . ويكتب لنا (فارمر) نقلا عن (لند) انه سمي بذلك « لان رقبته ولوحة اصابعه تتسعان تدريجيا من جسمه » ^(٧٠) مما

Lewis, Berard, the word of Islam, P. 166, London, 1976. (٦٦)

Ibid., P. 164 (٦٧)

Ettinghausen, R., Arab Painting. P. 129 (٦٨)

(٦٩) لسان العرب ، لفظه (شبط)

(٧٠) فارمر ، ص ١٣٠ عن :

Land, J.P.N., Recherches sur l'histoire de la gamme arabe,
Leyden, 1883, P. 161—162

يجعل شكله شبيهاً بذلك الضرب من ضرب السمك . وسواء صح هذا التشابه او لم يصح ، فيبدو ان العود الجديد قد شاع وانتشر في العصر



شبيكل (٥)

العباسي ليحل تدريجيا محل العود القديم السذي كان يعرف بالعود
الفارسي (٧١) .

ومن موسيقي العصر العباسي الذي لم يقل في الشهرة عن منصور
زلزل هو ابو الحسن علي بن نافع الملقب بـ (زرياب) (٧٢) . لقد اشتهر هذا
الموسيقيار في بغداد اولا ، حيث كان تلميذا لاسحق الموصلي ، ونامد الخليفة
هرون الرشيد (١٧٠-١٩٣ هـ / ٧٨٦-٨٠٩ م) ثم ترك العراق لعداوة نشأت
بينه وبين ابراهيم الموصلي . لقد هاجر الى الاندلس والتحق ببلاط الخليفة
الاموي عبدالرحمن الثاني (٢٠٦-٢٣٨ / ٨٢٢-٨٥٢ م) في قرطبة . وسرعان
ما بزغ نجمه فتقدم جميع الموسيقيين في الاندلس (٧٣) . وينسب معظم المؤرخين
العرب الى زرياب اضافة وتر خامس للعود الذي سرعان ما انتشر في كافة
الاقاليم الاسلامية ، وقد سمي الوتر الجدير بالزير او الزير الثاني او الزير
الاسفل واحيانا بالحاد (٧٤) . ومع ذلك فيظهر ان الوتر الخامس قد قل
استعماله في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، وربما يعود
السبب في ذلك الى صعوبة استعماله اذ لم يكن مريحا بالنسبة للضارب خاصة
اذا علمنا ان العود كان اصغر حجما في العصر العباسي من العود
الحالي (٧٥) . ورسم لنا الموسيقي الشهير صفي الدين عبدالمؤمن نديم اخر خلفاء
بني العباس المستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٦ / ١٢٤٢-١٢٥٨ م) والمتوفي سنة
٦٩٣ هـ (١٢٩٤ م) رسما تخطيطا جيدا لعود بخمسة اوتار مزدوجة وعشرة
ملاوي كما سبق واشرنا الى ذلك .

(٧١) فارمر ، المصدر السابق ، ص ١٣٠

(٧٢) لقب بزرياب لسواد لونه

(٧٣) المقري ، نفح الطيب في اخبار الاندلس الرطيب ، ج ٢ ، ص ١١٠ (طبعة
لندن ١٨٥٥)

(٧٤) زكريا يوسف ، موسيقى الكندي ، ص ٩

(٧٥) المصدر السابق ، ص ١٠

ويعزي الى زرياب ايضا ابتكار مضراب من « قوادم النسر » للاستعاضة به عن المضرب الخشبي الذي كثيرا ما ورد في النصوص التاريخية من العصر العباسي . ان من اجمل واظرف تلك النصوص ما يرويها صاحب كتاب الاغاني : « .. فخرج فجاء بخشبة عيناها في صدرها ، فيها خيوط اربعة فاستخرج من خلالها عودا فوضعه خلف اذنه ثم عرك اذانها وحركها بخشبة في يده ، فنطقت ورب الكعبة . واذا هي احسن قينة رأيتها قط ، وغنى عليها واطربني حتى استخفني من مجلسي . فوثبت وجلست بين يديه وقلت : بابي انت وامي ما هذه الدابة فلست اعرفها للاعراب واراها خلقت الا قريبا . فقال هذا البربط . فقلت بابي انت وامي فما هذا الخيط الاسفل ؟ فقال الزير . فما الذي يليه ؟ قال المثني . قلت فالثالث ؟ قال المثلث . قلت فالاعلى ؟ قال البم . فقلت : آمنت بالله اولا وبك ثانيا وبالبربط ثالثا وبالبنم رابعا » (٧٦) . والواقع اننا نجد المضرب في رسوم كثير من العوادين في العصر العباسي ، سواء كان ذلك في المنمنمات او في غيرها . منها منمنمة مقامات الحريري التي سبقت الاشارة اليها (شكل ٤) . ولا شك ان المقصود بعبارة « عيناها في صدرها » في النص اعلاه هو فتحتين في وجه العود الغرض منهما ، كما يكتب الدكتور صبحي انور ، لتقوية الصوت وتجسيمة (٧٧) . والواقع ان اشكال الفتحات الظاهرة وفي وجه العيدان العديدة التي وصلتنا رسوم لها ، خاصة في العصر العباسي ، متنوعة ، منها على شكل حرف (S) الافرنجي (شكل ٢) . ومنها دائرية الشكل ذات زخارف مخرمة . وقد تكون فتحتين دائرتين فقط ، او ثلاث فتحات دائرية مخرمة صنعت بشكل

(٧٦) الاغاني ، ج ١٢ ، ص ٢٥

(٧٧) صبحي انور رشيد ، الآلات الموسيقية في العصور الاسلامية ص ٧٧

مثلث رأسه باتجاه عنق العود (لوح ٢ ، ٣) • وقد تكون تلك الفتحات صغيرة ومتعددة موزعة على جانبي الوجه (شكل ٦) •



شكل (٦)

وإذا انتقلنا الى اشكال العيدان المستعملة في العصر العباسي فائنا لنجد في رسومها المثلة في المنمنمات او التحف المعدنية او الخزف وغيرها اشكالا متعددة غير انه بلا شك ان الشكل الذي يغلب عليها هو الصندوق الصوتي الكمشري ذو العنق المعتدل الطول ، رؤوسها مستطيلة تقريبا • غير ان هناك اشكالا قليلة تختلف بعض الشيء عن الشكل العام الذي وصفناه • من تلك مثلا ان يكون الصندوق الصوتي مقطوع (شكل ٧) • او ان يكون



شکل (۷)

الصندوق الصوتي فيها ذا شكل غريب اقرب الى شكل جرة وكأن العنق يخرج من فوهتها (شكل ٨) • كذلك نجد احيانا ان شكل العود منبعج بعض



شكل (٨)

الشيء من جانبيه مما يجعله اقرب في الشكل الى الكيتار الحديث
(شكل ٩) •

لقد كانت صناعة العود تتطلب ان يكون الخشب من النوع الجيد الجاف وبمقاييس ثائية معلومة • ويكتب ابن سيده ان العيدان في العصر العباسي كانت تصنع من خشب (الوعس) وهو ضرب من الخشب الجيد كما يبدو (٧٨) • وجاء في رسائل اخوان الصفا بهذا الشأن : « ينبغي ان تتخذ الالة التي تسمى العود خشبا طوله وعرضه وعمقه على النسبة الشريفة وهي ان طوله مثل عرضه ومثل نصفه ويكون عمقه مثل نصف العرض ، وعنق العود مثل ربع الطول • وتكون الواحا رقاقا متخذة من خشب خفيف وويكون الوجه رقيقا من خشب صلب خفيف يطن اذ نقر » (٧٩) •

(٧٨) ابن سيده ، المخصص ، ج ١٣ ، ص ١٣

(٧٩) رسائل اخوان الصفا ، ج ١ ، ص ٢٠



شکل (۹)

ولا شك ايضا انه كان يصنع احيانا من اخشاب نادرة ثمينة . فقد ذكر
مثلا ان (بجكم) امير الامراء في بغداد ايام الخليفة الراضي بالله (٣٢٢ -



شكل (١٠)

٣٢٩ / ٩٣٤-٩٤٠ م) قد عشق جارية فاهدى لها عودا قد صنع من عود هندي (٨٠) . والعود الهندي كما هو معروف خشب معطر نفيس كان يستورد من الهند ومن بعض اقاليم الشرق الاقصى في العصر العباسي . ونستدل من منمنات العصر العباسي ان العيدان كانت تزوق وتصبغ ، غير ان التزيق لم يكن مبالغ فيه .

ف نجد مثلا ان الطريقة التي كان يزوق فيها ظهر العود احيانا ان يقسم الى شرائط بلونين متغايرين ومتعاقبين . وهي نفس الطريقة المستخدمة اليوم في تجميل العود . وربما كان هذا ينتج عن طريق استخدام شرائح خشبية من ضربين من ضروب الخشب بلونين طبيعيين مختلفين ، فيتم الحصول على التفاوت في اللون دون الاستعانة بالاصباغ .

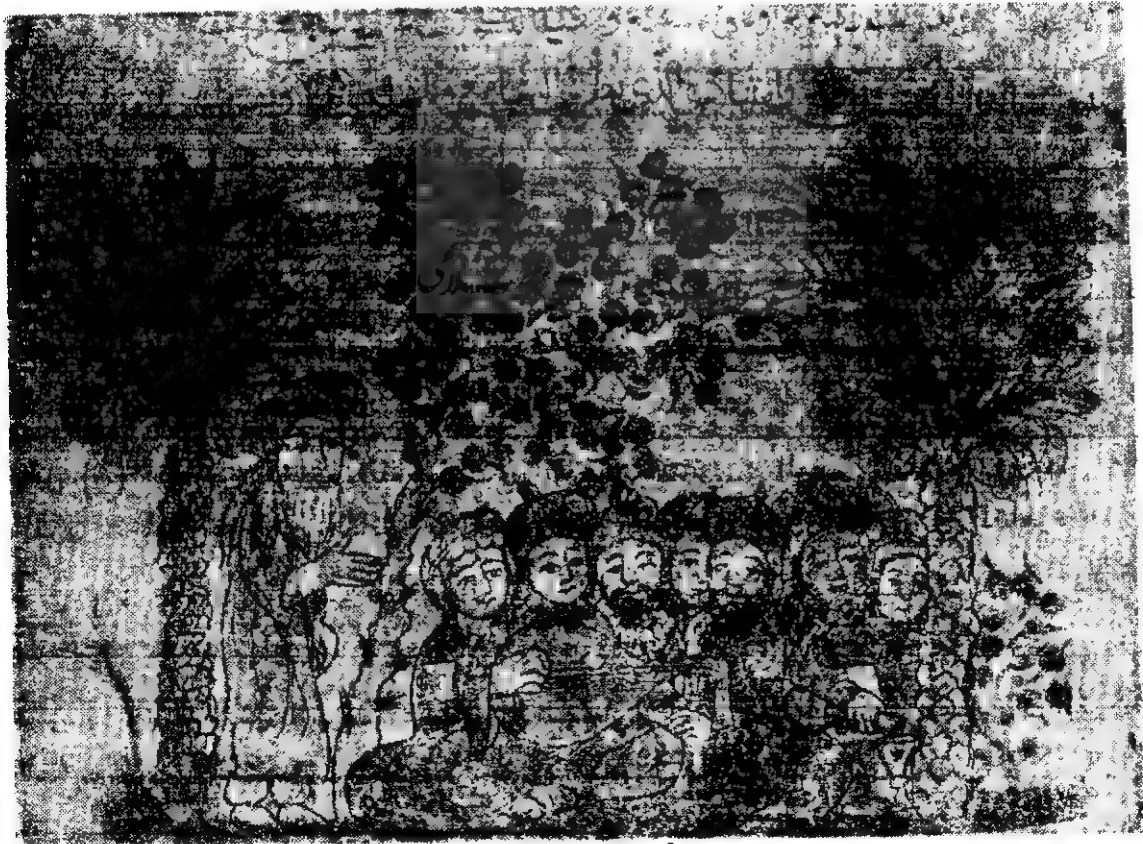


لوح (١)

(٨٠) التنوخي ، نشوار المعاصرة ، ج ١ ، ص ١٩٦ ، طبعة بيروت ١٩٧١-١٩٧٣

اما بالنسبة الى وجه العود ، فنجد في رسوم كثير من العيدان أن حافاتهما قد زينت بالاصباغ ، بعضها في شكل شرائط مستقيمة (شكل ٦) وبعضها في شكل شرائط ذات زخارف نباتية او هندسية (شكل ٥) .

واخيرا فان العود العربي الحديث لا يختلف الا في القليل عن العود العباسي الاعتيادي ذو الوجه الكثري ليس فقط في الشكل وانما في الزخرفية وربما في طريقة الصنع ايضا . وليس من خلاف واضح الا في الحجم اذ ان حجم العود الحالي اكبر قليلا من العود القديم . ان حجم العود القديم هو ثلاثة ارباع حجم العود الحالي (٨١) . كذلك في عدد الاوتار ، اذ ان العود الحالي ذو ستة اوتار مزدوجة والقليل منها بخمسة اوتار مزدوجة ، بينما ان العود العباسي كان ذو اربعة ثم خمسة اوتار كما سبق ومر بنا في هذا البحث .



لوحة (٢)

(٨١) زكريا يوسف ، المصدر السابق ، ص ٧

فهرس الاشكال

- شكل (١) جزء من نقش بالالوان المائية على ارض قاعة من قاعات قصر الحير الغربي في الاردن .
- شكل (٢) صحن من خزف ذي بريق معدني من الطراز العباسي من القرن الثالث او الرابع الهجري - متحف الفن الاسلامي في القاهرة .
- شكل (٣) اناء فضة من صناعة القرن السادس الميلادي . متحف طهران .
- شكل (٤) منمنمة من منمنمات مخطوطة مقامات الحريزي . كتبها وزوق منمنماتها محمود بن يحيى الواسطي سنة ٦٣٤ هـ (١٢٢٧ م) المكتبة الوطنية في باريس .
- شكل (٥) منمنمة من منمنمات مخطوطة بياض ورياض ، القرن الثالث عشر الميلادي - المكتبة الانجيلية - الفاتيكان .
- شكل (٦) اناء من الخزف ذي البريق المعدني . النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي . متحف المتروبوليتان - نيويورك .
- شكل (٧) من الرسوم الجدارية التي تزين بعض جدران وسقوف قصر الكابالا بلانتينا في بلرمو بصقلية . القرن الثاني عشر الميلادي .
- شكل (٨) اناء من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني . العصر الفاطمي في مصر . القرن الحادي عشر او الثاني عشر الميلادي . متحف الفن الاسلامي في القاهرة .
- شكل (٩) اناء من الخزف ذو البريق المعدني من ايران ، القرن الثاني عشر الميلادي . متحف برلين .
- شكل (١٠) اناء من الخزف ذي البريق المعدني العصر الفاطمي من مصر . القرن الحادي عشر والثاني عشر - متحف الفن الاسلامي في القاهرة .

فهرست الموضوعات للعدد الرابع والعشرين

الصفحة	الموضوع	اسم الباحث
٧	هيئة التحرير	المقدمة
٩	افلاطون : الاديب الناقد	د. جميل سعيد
٤٢	القاعدة النفسية الاجتماعية للاتصال الاعلامي	د. متعب مناف
٥٤	التجديد في الادب ، معناه وتطوره	الاستاذ ابراهيم الوائلي
٧٧	استخدام التصوير الجوي في اعداد الخرائط	د. فلاح شاكر اسود
١٣١	ملامح من الشعر القصصي في الادب العربي	د. نوري حمودي القيسي
١٨٥	الاكديون دورهم في المنطقة	د. فاضل عبدالواحد علي
٢٠٣	حزب البعث العربي الاشتراكي	د. صباح محمود محمد
٢١٩	نماذج من الآثار الاسلامية المؤثرة في آثار اوربا	د. طاهر مظفر العميد
٢٣٣	المصدر الصريح والمؤول	د. فاضل صالح السامرائي
٢٥١	معوقات مشاركة المرأة في عملية التنمية	د. عادل عبدالحسين شكارا
٢٨٣	توظيف رموز التراث العربي في التربية	د. ابراهيم الداوقي
٣٠٢	الدراسات والمناهج الاعلامية	د. سنان سعيد
٣٢٧	الکرد في كتابات المسلمين الاوائل	د. احمد عثمان ابو بكر
٣٥٢	صلوات العرب الحضارية واثرها في الشعر	د. عادل جاسم البياتي
٣٦٧	الفلاح : نماذج من صوره على الآثار العربية	د. صلاح العبيدي
٣٩٥	صلح الحديدية	د. نزار عبداللطيف
٤٠٦	الافعال في القرآن الكريم	د. خالد اسماعيل
٤٥٢	علم اجتماع الثورة	د. فوزية العطية
٤٨٠	مقدمة في اللغة والحضارة	د. ابراهيم السامرائي
٤٩٨	فترة العاصفة والاندفاع	د. وائل تقي عبدالهادي

الصفحة

الموضوع

اسم الباحث

٥٠٩	ما يسمى بالدخيل أو الاعجمي	الاستاذ طه باقر
٥٥٦	ميراث الجد مع وجود الاخوة	السيد محي هلال السرحان
٦١٥	الشيبانيون في اقليم الجزيرة	السيدة سليمة عبدالرسول
٦٥٩	نظام الافراج الشرطي	د. عزالدين علي الخيرو
٦٩١	النقل النهري في دجلة	السيدة وزيرة احمد رستم
٧٢١	العود في الاثار العربية	د. عبدالعزيز حميد



مركز تحقيقات كميونير علوم اسلامي



مركز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

۱۳۹۹ هـ - ۱۹۷۹ م

دار الحرية للطباعة - بغداد



مركز تحقيقات كميوتور علوم إسلامي

وقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد

٩٧ لسنة ١٩٧٩